

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ

المجلد الخامس

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ
وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام ضري « وضار » كضار الطريق

٣٠ جمادى الآخرة ١٣٤٢ - ١٥ الدلو ١٣٠٣ هـ ش - ٥ يناير ١٩٢٤

فاتحة المجلد الخامس والعشرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الجبار، الرحيم الغفار، مقدّر الآجال
والاعمار، (وكل شيء عنده بمقدار)، المحيط علمه بالجهات والاقطار، النافذة
مشيئته في البراري والبحار، البارزة حكمته في القرى والامصار، المطردة
سنته في الابرار والفجار، الفائضة نعمته على المؤمنين والكفار (وأتاكم من كل
ما سألتهموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظالم كفرار)
والصلاة والسلام على المصلح الاعظم، والرسول الاعز الاكرم،
سيد العرب والعجم، محمد النبي الامي معلم الكتاب والحكم، المبعوث
رحمة لجميع الامم، وعلى آله الاطهار، وأصحابه المصطفين الاخيار، وعلى

من اتبع هديهم من المقرين والابرار ، وانما الخزي والخسار ، واللعنة وعذاب النار ، على زمر الاشرار ، الذين آثروا الشهوات الحيوانية ، والعصبيات الجنسية والوطنية ، على هذه الهداية الالهية ، المكملة للفطرة الانسانية ، والموحدة لسلائل الامرة الآدمية ، غرورا بالذات المادية ، وجهلا بالحياة الروحية (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار)

أما بمدفان المنار قد أوفى بفضل الله ونعمته على الخامسة والعشرين ، فان كان ماتوقاها في عدد المجلدات فقد زاد عليها في عدد السنين ، وكانت حق هذه السنة ان تكون السابعة والعشرين ، لو لا ما كان من إدغام بعض السنين في بعض ، بما كان من لآواء الحرب ، وماتلا سنيها الاربع ، فكان أذع وأوجع ، ناهيك بما أعقبته من فساد الاخلاق ، وضيق الارزاق ، والاعراض عن العلم والادب ، ورواج اللهو واللعب ، وكساد المجلات والكتب ، على ما سبق ذلك من جور السلطان ، وكلب الزمان ، وعدم الاعوان ، وضعف الوفاء ، والتهاون في الاقتضاء ، على قلة المال ، وكثرة العيال

هذا وان الخامسة والعشرين هي السن التي تكمل بها بنية الانسان ، وتم قوى الابدان ، ولكن لم يكد يبلغ المنار سن الشباب ، الا وكان منشئه قد شاخ وشاب ، ونحمد الله ان كان وقع الشواثب الذي شيب الرأس ، لم يشيب العزم والبأس ، ولم يشب الهمة بشائبة من اليأس ، على ان أسبابه من جهة الناس اكثر ، وبما يوسوس به الخناس اكبر ، وانما الايمان واليأس ضدان لا يجتمعان ، والتجارب والوهن خصمان لا يتفقان ،

فقد ثبت المنار على دعواته، التي وضعناها له في أول نشأته، فكلما وسوس
الى شيطان اليأس: ألم تر الى سوء حال المسلمين، وتسليمهم أفرادا وجماعات من
هداية الدين، وجمود علمائهم، وخمود زعمائهم، وفساد امرائهم، وشح
اغنيائهم، وضعف صلحاءهم، وغباوة دهمائهم، وموت هممهم، وتفرق
جماعاتهم، وتعدد جنسياتهم، وعدم الرجاء في صلاح أمرهم، وشدة ازدهارهم؟
— صاحت به آيات القرآن، وما يشهد لها من عبر الزمان، وتكاثر الاخوان،
فنكص على عقبيه، وخنس يضرب أصدريه،

ما اعتن لي يأس ينجي همتي الا تحداه رجاء فاكتمى
وقد تذكرت الآن أن أجعل ذكرى الاصلاح في هذه الفاتحة شيئا
من شعري في اوائل عهد الرشد، وشعوري عند الاستواء وبلوغ الاشده
وأحمد الله تعالى أنني شبت على حب الاصلاح والتفكر فيه، وشبت على
الدعوة الى مناهجه ومناحيه، وذلك قولي في (المقصورة الرشيدة)
التي عارضت بها (المقصورة الدريدية):

كم ليلة أيتها مفكرا	يني لي السهد ويخلف الكرى
أطوي جناحي على جمر اللظى	أرضك عيني على الماء الروى ^(١)
خلهما ركبتين ^(٢) كلما	نحنت هذا الماء فاض وطفى
وكل جفن ماتحا فكلما	أهوى بشبه الغمض بلا الدلا ^(٣)
تلك ليال خنت عهد الصبر في	يحدثها وكنت أوفى من وفي
إذ خاني العزم الذي بلوته	في مهبهم الخطب فما قط نبا

(١) يقال أرضك فلان عيذه اذا أغمضهما وفتحهما المرة بعد المرة (٢) مشى
ركية بوزن قضية وهي البئر (٣) الماتح المستقي يخرج الدلو من البئر والدلاء جمع دلو

لو انما أبكي لمحبوب جفا
وأعوز الصبر فقليل جازع
لراعي القول بصدقه وقد
لكنا أبكي لمجد أمة
ووطن ذل فأمسى حوضه
وملة حكيمة رحيمة
وقال فيها الاخسرون لانها
فكيف كانت علة السعادة الـ
(بها) أصبنا الملك والحكمة والـ
ألم نوحدها أمما تفرقت
فكيف عدتم وأنتم أخوة
أما بدت في أمة أمية
في كل علم للعقول يقتني
فكيف صرتم بترك هديها

أو مال آتيل وذو قربى قضى
أشبه ربات الحجال في البسكا
يُقصد من يصدق إن قيل رمى^(٤)
ثلث عروشه^(٥) وحات العرى
(مدعتر المهدوم الحبي)^(٦)
قد تركت للجبل كالشيء اللقي^(٧)
علة هذا الانحطاط والشقا
تي مضت لنا وذاك الأرتقا
علم (بها) فما عدا مما بدا^(٨)
واختلفت في الاعتقاد واللغى
لما تركتم هديها من العدى
بجملتهم وأمة الورى
وعمل في الكائنات يقتفى
اجهل من دب عليها وهشى

قصر لضرورة الوزن (٤) يقصد بضم الياء : يصيب المرمى (٥) أي عروش المجد
(٦) المدعتر المهدوم اسم مفعول والأعضاء ما حول شفير البئر من البناء كالصفائح
وغيرها ومثله مهدوم الحبي وهي جمع حبوة ما يحيط بالبئر من البناء كالثوب الذي يحتمي
به الإنسان والشاطر لابن دريد (٧) اللقي بالفتح ما يلقى ويطرح لهوانه وعدم
الحاجة اليه (٨) بها الثانية توكيد الاولى التي نفيد الحصر بتقدمها على الفعل .
وجملة « فما عدا ما بدا » من كلام علي « عم » ومعناها هنا : فما الذي صرف هذه
لمة عن مثل ما كان لها من التأثير ما بدا وظهر بعد ذلك ؟ وهو رد على زعم
تفرنجة العصر المرتدين أن الإسلام عائق عن العمران والعزة والقوة والثروة

ألم يكن أسلافكم بعدها
وعمروها فتعدت بفضلهم
زراعة صناعة تجارة
فلم أضعتم مجل ما تأثروا
قد فتحو الامصار قبل والقرى
تفضل في الوجود كل ما عدا^(١)
علما وحكمة وعدلا وعلى
وأصبح الباقي لكم على شفا

* *

شريعة القرآن دأب وردها
فان أباهما الحاكمان عن عمى
فرما أيدها على هدى
وان يكن قد عفا أبنائها
فارجم الى تاريخ خير أمة
ميريك عصر الراشدين المثل الأعلى
والمجد والزينة والقوة في الد
وجنة الزهراء (٢) في أندلس
والجمع ما بين علوم النقل وال
أحيا ببغداد فنونا درست
والجامع الأعظم في قرطبة
أفاض نور شمسها في أفق
كان يعادي الدين فيه العلم بل
فيكم عليهم صلي النار وكم
عذب وتهلكون من فرط الصدى
وصد عنها الجامدون عن هوى
كل صحيح الفكر من أولي النهى
وعاد من كان صديقا في العدى
قد أخرجت للناس وابتعث الأسي
لكنه العدل زانه الهدى
ين جوى قصر الرشيد ووعى
حيث الامام الحكيم العدل نوى
عقل الى المأمون عهده انتهى
إذ كان عمران ذويها قد عفا
جامعة العلوم في ذاك الرجا (٣)
طال عليه ليل جهل قد غسا (٤)
يسوم أهله العذاب والاذى
متهم بالعلم تقريه المئدى (٥)

«١» اي ما عداها «٢» معطوف على قصر الرشيد «٣» الجانب وهو الاندلس «٤»
أظلم «٥» البيتان اشارة لما كانت أنشأته الحكومة البابوية في اسبانية من المحكمة

واذكر على ذكر العلوم نونسا
وكل قطر ساسه خلائف ال
هم الذين عمروا الارض وبالا
فعالم الشمال منهم قبس الذ
وسار كل فاتح مستمر
ولو أقاموه (٢) ولم يتدعوا
وأسرعان ما أمية^١ ابنت
وجعلوها دولة موروثه
فعات فيها العُجم مذ تفرقت
وانقطع النظام جامعا بهم
فبعث الله على بلادهم
ومصر والشام (وشر من رأى) (١)
عرب بما أوحاه شرع المصطفى
عدل مع الرحمة قد ساسوا الوري
ور وعنه العلوم قد روى
وراءهم فلم يقف دون المدى
لدام ملكهم واصلاح الدثني
إمامة الرشيد فأنزلت من نزا (٣)
وعرضة لغصب ارباب القوى
فيها قریش فعدت أيدي سبا (٤)
فانتثر العقد وشقت العصا
من استذل واستباح ولحا (٥)

المعروفة بحكمة التفتيش للعقاب على الاشتغال بالعلوم العقلية والسكونية بالقتل والاحراق
بالنار « ١ » هي « سامراء » مدينة المعتصم العباسي « ٢ » الضمير لشرح المصطفى
« ٣ » أي ولكن ما كان أسرع بني أمية إلى إزالة خلافة الراشدين الشورية فوثبوا
على اغتصابها وأنزلوا عليها غلمانهم الفساق والنزوان الوثبان إلى فوق وفيه إشارة
إلى رؤيا أحد أئمة أهل البيت أنه رأى ينزون على منبر جده عليه وعليهم السلام
« ٤ » أي تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده كأهل سبا من قدماء اليمن وأيديهم قوانينهم
« ٥ » أي من استذل خلفاءهم وكبراءهم، واستباح أموالهم وأعراضهم، وخرب عمرانهم يقال
لحالة شجرة لحوا ولحيا والنجاها إذا أزال قشرتها ويستعمار لاشد الارهاق والتخريب ،
وفيه إشارة إلى حديث « يا معشر قریش انتم أهل هذا الامر ما لم تحدثوا فإذا
غيرتم بعث الله عليكم من يلحكم كما يلحقكم كما يلحق القضيبي » رواه احمد وأبو يعلى بسند
رجاله ثقات وفي آخر « فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شرار خلقه فالتحوم كما
يلتحى القضيبي » وحديث « أن أول من يسلب امتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء »
وأورده الحافظ في الفتح بلفظ « ان بني قنطوراء أول من يسلب امتي ملكهم » قال
وهو حديث أخرجه الطبراني من حديث معاوية والمراد ببني قنطوراء الترك . ثم قال

الترك والتار في الشرق وفي
وصدق الرسول في انذارهم
واعترز بالاسلام بعد من عشا
وامتد ملك آل عثمان به
ألا ترى اوطانهم تنقص من
ما السأو الا برجاله فإن
فكيف حال وطن أبنائه
قد عضد العاضد منهم دوحه
وغادر الارض به موظوبه
ولّي أمره امام جائر
اذ استخف قومه فاصبحوا
يليه في الظلم ولالة أبصروا
وسمعوا رعوده تنذر من

اندلس أبيد من ثم ثوى (١)
وان تمارى فيه قوم وامترى
فورث الارض به اذ آعزى
ثم تزوى آرزا حيث أنى (٢)
أطرافها ألا ترى ألا ترى
عزوا ولا ساء حالاً وكصا (٣)
مافتوا أعق من ضب الكدى (٤)
وخضد الشوكه والعود التحى (٥)
وغمره الفرات ضعضاحاً جوى (٦)
قد استبد بالامور واعتدى (٧)
أطوع من ظل الحذاء يحتدى
بروقه ترجى لرى وحيا
خالف أمره صواعق الردى

- وكأنه يريد بقوله امة التي امة النسب لا امة الدعوة ، يعني العرب اه وفي معناه
مارواه عنه ابو يعلى مرفوعاً « إن الترك نجلى العرب حتى تلحقها بمنابت الشيخ »
وقد فعلت فلم يبق الترك استقلالاً للعرب حتى زاحموا في عقر جزيرتها حيث
ينبت الشيخ « ١ » الترك بدل او عطف بيان لمن استندل الخ
« ٢ » تزوى تقلص وتقبض - آرزا : منكشا راجعا الى وطنه « ٣ » السأو
الوطن - وكصا : خس بعد رفعة « ٤ » الكدى جمع كدية « كغرف جمع غرفة »
وهي الارض أو الصخرة الغليظة الصلبة « ٥ » العاضد لك من اعانك وعضد
الشجرة قطعها والدوح الشجر العظيم جمع دوحه بالفتح . وخضد الشوكه
قطعها والتحى العود قشره « ٦ » موظوبه : واضبت الراعية رعيها حتى لم يبق بها
نبات . والغمر الماء الكثير والفرات العذب وما بعدهما ضدهما . وجوى (كهوى)
مصدر جوى (كرضي) الواو : انتن « ٧ » هو السلطان عهد الحميد آخر سلاطين بني
عثمان وقد كان من خلقه من الجماعات شرا منه واضر

فآثروا ما عنده حتى على الاوطان والرحمن جلا وعلا
وجعلوا مال العباد دولة فذالت الدولة منهم للعدي
من نال منهم حاجة لكرشه وفرشه قال على الدنيا العفا
يريك عزة الامين فاذا والوطن الذي امثروا اخلافه
وكيف لا يسبحته الله وهم قد بشمت بطونهم فاصبحوا
ومشبعوها يشتكون سغباً فاصبحوا في شظف وضعة
وعالم مبتدع منافق لا يأمر الحكام بالعرف ولا
وليس يوصي الناس بالحق ولا الصبر سوى على المكوس والاذى
ومرشد غير رشيد دأبه عزو الخرافات لارباب الولا
والرجم بالغيوب مسندا الى اضغاث احلام ومكذوب رؤى
اولئكم سادتنا الذين قد أضلوا السبيل كل من قننا
فدسالة تعالى ان ينقذه هذه الامة من اغواء هؤلاء الرؤساء الضالين، ويعيد
اليها سلطانها بعز الدنيا وهداية الدين، ويجعلنا فيهم من الهداة المبتدئين، آمين
محمد رشيد رضا الحسيني الحسيني

«١» ضغنا: تذلل للخيانة «٢» امثروا اخلافه حابوا ضرعه «٣» أسحتهم
الله اهلكهم واستأصلهم والسمحت الحرام الخسيس «٤» الطسي بالفتح مصدر
طسي «كرضي» التخممة من كثرة اكل الدسم . وجاء بالزاو وبالهمز «٥» السغب
بالفتح بك الجوع كالطوى والعلمز بكسر العين والهاء احقر ما يؤكل كالفراد «٦»
اي فاصبحوا في ضيق عيش ومهانة نفس اخضعتهم واهزلت اجسامهم

فتاوى المنار

تجنس المسلم بجنسية تنافي الإسلام

(س ١) من الحزب الوطني التونسي

ماقول حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ رشيد رضا أيداه الله في حكومة فرنسا المتسلطة على كثير من الشعوب الإسلامية اذ عمدت أخيرا الى وضع قانون يعرف بقانون التجنس الغرض منه حمل سكان تلك البلاد من المسلمين على الخروج من ملتهم وتكثير سواد أشياعها وقد جعلت هذا التجنس شرطا في نيل الحقوق السياسية التي كانت لهم من قبل وسلبتها منهم على وجه الاستبداد الجائر مع أن اتباع المسلم لهذه الملة يجعله ينسب بالفعل ما هو معلوم من الدين بالضرورة ولا تتناوله الأحكام الشرعية بل يصير تابعا لقوانين وضعية نصوصها صريحة في إباحة الزنا وتواطئ الخمر وارتكاب الفجور وتحليل الربا والاكتساب من الطرق غير المشروعة ومنع تعدد الزوجات واعتبار ما زاد عن الواحدة من قبيل الزنا المعاقب عليه وانكار نسب ما ولد له من غيرها حالة وجودها

٢٢ الردة بانتكار المعلوم من الدين بالضرورة المنار : ج ١ م ٢٥

ولاحق له في نفقة ولا إرث ولو على فرض الاستلحاق . وفك العصمة من الزواج واستنادها الى المحكمة حتي اذا أوقع الطلاق بنفسه كان لغوا . وقسمة المواريث على طريقة مخالفة للفرائض الشرعية وجعل انصبتها على حد سواء بين الاناث والذكور ؟

وأشد بلاء من هذا كله جعل المسلم مجبوراً على الخدمة العسكرية في جيش العدو معمد لقتال المسلمين وإذلالهم وإكراههم على الخضوع والالقاء بأنفسهم في قبضة من لا يرقب فيهم ذمة ولا يحفظ معهم عهداً

فهل يعد اقدام تلك الحكومة على أمر كهذا نكثاً للمعاهدة الموضوعة على أولئك المسلمين وفتنة لهم في دينهم وإخلالا بنظام اجتماعهم ؟ ؟ ؟

وهل يكون أولئك المسلمون اذا قبلوا هذا التجنس مرتدين عن دينهم فلا تعاملهم معاملة المسلمين من مثل المناكحة والتوارث وأكل ذبائحهم ودفن أمواتهم في مقابر المسلمين لانهم رضوا بالانسلاخ عن أحكام الشريعة ولا مكره لهم على ذلك ؟ أم كيف الحال ؟

وهل يحذر المسلم بدرك عواقب هذه فتنة العمياء وغوائل السكوت عنها أن يترك الانكسار عليها والحال أنه آمن على نفسه وقادر على مقاومتها وإظهار التكبر عليها ؟ أفقونا في هذه الواقعة بما يقتضيه النظر الشرعي إرشاداً للحائرين ، وتنبيهاً للغافلين ، أبقاكم الله لخدمة الاسلام والمسلمين

الجواب

اذا كانت الحال كما ذكر في هذا السؤال ، فلا خلاف بين المسلمين في ان قبول هذه الجنسية، ردة صريحة وخروج من الملة الاسلامية، حتي ان الاستفتاء فيها يعد غريباً في مثل البلاد التونسية ، التي يظن أن عوامها لا يجهلون حكم ما في السؤال من الامور المعلومه من الدين بالضرورة، ولعل المراد من الاستفتاء إعلام الجمهور معنى هذه الجنسية وما تشتمل عليه من الامور المذكورة المنافية لاسلام نفسه لا للسياسة الاسلامية التونسية التي بدىء السؤال بذكر غوائلها فقط ،

كقوله ان هذه الملة (يعني الجنسية التي هي بمعنى الملة في الاحكام المخالفة للشرعية الاسلامية) تحمل صاحبها على إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة — على أنه قال انه يشكر ذلك بالفعل ، ولعله أراد بهذا القيد الاحتراز عن الاعتقاد ، وجعل هذا هو المراد من الاستفتاء ، لما هو مشهور بين أهل السنة من أن المعاصي العملية لا تخرج صاحبها من الملة اذالم يجحد نحرهما أو يستحلها ، وان كانت مجمعا عليها معلومة من الدين بالضرورة ، وهذه المسألة أهم عندنا من كل مرتبة السائل على هذه الجنسية من الغوائل كنكت الدولة الفرنسية للمعاهدة التونسية فان المعاهدات في هذا العصر حجة القوي على الضعيف كما قال البرنس بسمارك فهو يأخذها من الضعيف إضعاف ما جعله لنفسه من الحقوق ولا يعطيه مما التزمه الا ما يريد هو ويوافق مصلحته كما قانا للسيد فصل بن السيد حسين الحجازي عند ما أراد اقناعنا بقول الوصاية الفرنسية على سورية بمقتضى معاهدة وشروط . . . وقد بلغنا أن بعض المتفقهة أبي الافتاء بردة من يقبل مثل هذه الجنسية ويرتكب ما يترتب عليها من ترك أحكام الشريعة المشار اليها في السؤال بناء على قول بعض الائمة : لانكفر مسلما بذنب ونظامه اللقائي في جوهره التوحيد * فلا نكفر مسلما بالوزر * مع الغفلة عن قوله فيها الذي نظم به قاعدة الردة العامة

ومن المعلوم ضرورة جحد * من ديننا يقتل كفرا ليس حد

فان هذه القاعدة وقع فيها اللبس والاشتباه حتى « ين المشتغلين بالعلم ، وفي أحد فروعها وهو استحلال الحرام ، فانه اذا كان من المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كان ردة عن الاسلام بلا خلاف ، ولكن بعض المشتغلين بقشور العلم والمجادلين في ألفاظ النكتب من يظنون ان الجحد والاستحلال من أعمال القلب ، فجحد الصلاة ومستحل شرب الخمر والزنا عندهم هو من يعتقد أن وجوب الصلاة وتحریم الخمر والزنا ليسا من دين الاسلام ، فلا الصلاة فريضة فيه ولا لزنا حرام . وفي هذا الظن من التناقض والتهاوت ما هو صريح ، فان فرض المسألة أن الذي يستحل مخ لفة ما يعلم أنه من الدين علما ضروريا غير قابل للتأويل سواء كان فعلا

أو تركا فانه يكون به مرتدا عن الاسلام ، والعلم الاعتقاد القطعي فكيف يفسر الاستحلال بعدم الاعتقاد وهو جمع بين النقيضين أعني اعتقاد أنه من الدين وعدم اعتقاد أنه من الدين ؟ وقد سبق لنا تحقيق هذه المسألة في بابي التفسير والفتاوى من المنار ، ونقول الآن بإيجاز واختصار : ان حقيقة الجحد هو انكار الحق بالفعل ، واشترط أن يكون المنكر معتقدا له بالقلب . قال الزمخشري في الاساس : جحده حقه وبحقه جحدا وجحودا . وقال الراغب في مفردات القرآن : الجحود نفي ما في القلب اثباته واثبات ما في القلب نفيه ، يقال جحد جحودا وجحدا قال عز وجل (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) اه وحسبنا الآية نصا في الموضوع وسند كر غيرها أيضا

وكذلك الاستحلال والاستباحة أن يفعل الشيء فعل الحلال والمباح أي بخير تخرج ولا مبالاة ، وهو يعتقد انه حرام شرعا ولو لم يكن مجمعا عليه فان كان المستحل متأولا لنص أو قاعدة شرعية اعتقد بها انه حلال شرعا لم يحكم برده ، والا كان مرتدا ، ويصدق في ادعائه الجهل بحرمة الا اذا كان مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة والوجه في ذلك ان الاسلام هو الاذعان بالفعل لما علم أنه من دين الله في جملته وهو الايمان ، اذ الاعتقاد القلبي وحده لا يكون به المعتقد مسلما ولا يكون الاعتقاد ايمانا حتى يكون نازعا ، ولهذا قالوا بترادف الايمان والاسلام فيما يصدقان عليه وان اختلفا في المفهوم . ورد بعض ما جاء به الرسول كره كله (أفتمؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) . وأما الذنب الذي لا يخرج به فاعله من الملة ، فهو مفروض في المسلم ، وهو المذعن لدين الله وشرعه كله بالفعل اذا عمل سوا بجهالة من سورة غضب أو ثورة شهوة ، وهو لا بد أن يحمله الايمان على الندم والتوبة ، ولا يدخل فيه غير المذعن الامر والنهي ، كالمستحل لجملة المعاصي بالفعل ، بحيث يترك ما يترك منها لعدم الداعية . قال تعالى (١٦: ٤) (أنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم وتبين الله عما حكما) (١٧) وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتي اذا حضر أحدهم الموت قال : اني تبت

الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار . أو أئمتنا لهم عذابا أليما)
ومن تفسير الفقهاء لمسألة استحلال المحرم بالمعنى الذي وضعناه ما أورده
الفقيه ابن حجر في كتابه (الاعلام بقواطع الاسلام) قال
«ومن ذلك أن يستحل محرما بالاجماع كالخمر واللواط ولو في مملوكه - وإن
كان أبو حنيفة لا يرى الحد به لان مأخذ الحرمة عنده غير مأخذ الحد - أو يحرم
حلالا بالاجماع كالنكاح ، أو ينفي وجوب مجمع على وجوبه كركعة من الصلوات
الخمس ، أو يعتقد وجوب ما ليس بواجب بالاجماع كصلاة سادسة يعتقد فرضيتها
كفرضية الخمس ليخرج وجوب معتقد الوتر ونحوه كصوم شوال . هذا ما ذكره الرافعي ،
وزاد النووي في الروضة أن الصواب تقييده بما إذا جحد مجعما عليه يعلم من دين
الاسلام ضرورة سواء كان فيه نص أم لا ، بخلاف ما لا يعلم كذلك بأن لم يعرفه كل
أحد من المسلمين فان جحدده لا يكون كفرا . اه وما زاده ظاهر ، وخرج بالمجمع عليه
الضروري المجمع عليه غير الضروري كاستحقة بنت الابن السدس مع بنت الصواب
ونحریم نكاح المتعة فلا يكفر جاحدهما كما بينته في شرح الارشاد ، ومع بيان أنه هل
الكلام في جاحدهما جهلا أو عنادا . ومع بيان رد قول البلقيني : إن تحریم نكاح المتعة معلوم
من الدين بالضرورة ، وأنه قيد استحلال الدماء والاموال بما لم ينشأ عن تأويل
ظني البطلان كتأويل البغاة ، وللضروري أمثلة كثيرة استوعبتها في الفتاوى .
ومن ذلك أيضا ما لو أجمع أهل عصر على حادثة فانكارها لا يكون كفرا .
«ومحل هذا كاله في غير من قرب عهده بالاسلام أو نشأ ببادية بعيدة ، الاعرف
الصواب فان أنكر بعد ذلك كفر فيما يظهر لان انكاره حينئذ فيه تضليل للامة .
وسياتي عن الروضة عبر القاضي عياض أن كل ما كان فيه تضليل للامة يكون
كفرا . ثم ما ذكره الشيخان كلا صاحب في استحلال الخمر استبعده الامام بأن لا
نكفر من رد أصل الاجماع ، ثم أول ما ذكره بما اذا صدق المجمعين على أن التحريم
ثابت في الشرع ثم حمله فانه يكون ردأ للشرع . قال الرافعي وهذا ان صح فليجبر
مثله في سائر ما حصل الاجماع على اقتراضه أو تحريمه فنفاه ، وأجاب عنه أبو القاسم

الزنجاني بأن ملحظ التكفير ليس مخالفة الاجماع بل استباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة » هـ ما أردت نقله من الاعلام

فقول الزنجاني « ان ملحظ التكفير ليس مخالفة الاجماع بل استباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة » معناه استباحته بالعمل بأن يفعله كما يفعل المباح بغير تأثم ولا مبالاة ولا توبة ، وقول الامام (أي امام الحرمين) قبله إن المراد من الاستحلال للمجمع على تحريمه مبني على تصديق المجتهدين على أن التحريم ثابت في الشرع وتعليقه اياه بأنه يكون ردا للشرع ، فهو صريح في أن المراد برده عدم الاذعان بالفعل لعدم الاعتقاد اذ الاعتقاد التصديق ومومضه بأنه من الشرع والا سقطت المسألة من أصلها

وانما اشترطوا فيها الاجماع وكونها معلومة من الدين بالضرورة لاسقاط عذر الجاهل — ولذلك استثنوا قريب العهد بالاسلام ومن نشأ بعيدا عن المسلمين — وعذر احتمال التأول ، وهم لا يختلفون في كون رد أي مسألة من الشرع يعتد رادها أنها منه كرد المجمع عليه المعلوم بالضرورة عند جماعة المسلمين اذ مدار الردة في هذا المقام على رد الشرع وعدم الاذعان له أي عدم التلبس بالاسلام

فالقاعدة الأساسية في هذه المسألة أن الاسلام الذي تجري على صاحبه أحكام المسلمين هو الاذعان والخضوع بالفعل لكل ما علم أن النبي (ص) جاء به عن الله تعالى من أمر الدين ، وأن رد بعضه كرده كله (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)؟ فان كان الخضوع بالفعل تابعا للاذعان النفسي ، والاعتقاد القطعي بصدق الرسول في دعوى الرسالة كان اسلا ، وإيمانا منجيا في الآخرة لمن مات عليه ، وان كان في الظاهر دون الباطن كان نفاقا تجري على صاحبه أحكام المسلمين في الدنيا مالم يأت بما ينافيه ويثبت خلافه — وأما الاعتقاد في الباطن دون الاذعان في الظاهر لم يمكن من العمل بأن لم تمت عقبه فلا يعتد به في الدنيا ولا في الآخرة ، فان كفر ابليس لم يكن عن عدم اعتقاد ، بل عن حسد وعناد ، وكذلك كفر فرعون موسى والملائكة من قومه ، اذ قال الله تعالى فيهم في سياق الكلام عن

الآيات التي أيد الله نبيه موسى (ص) بها (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) وكذلك كان كفر طائفة قریش المستهزئين بأنبي (ص) قال تعالى (فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وتقدم أن الإمام بمصيبة ما لا يعد استحالاً يوجب الخروج من الملة ، لأنها إنما تقع من المدعى بجهالة من غضب أو شهوة ، ويتبعها الندم والتوبة .

علم من هذا أن قبول المسلم الجنسية ذات أحكام مخالفة لشريعة الإسلام خروج من الإسلام فإنه رد له ، وتفضيل لشريعة الجنسية الجديدة على شريعته ، ويكفي في هذا أن يكون عانا يكون تلك الأحكام التي آثر غيرها عليها هي أحكام الإسلام ولكن يقبل اعتذاره بالجهل أن لم تكن مجعاً عليها معلومة من الدين بالضرورة كـ بعض ما ذكر في السؤال من قتال المسلمين وبعض أحكام الإرث وإباحة تعدد الزوجات بشرطها فلا يعامل معاملة المسلمين في نكاح ولا إرث ولا يصل عليه إذا مات

ومن أدلة ذلك في القرآن قوله تعالى (٤: ٥٩) ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً (٦٠) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً الطاغوت مصدر الطغيان ومثاره ويدخل فيه كل ما خالف ما أنزله الله وما حكم به رسوله (ص) فإنه جعل مقابلاً له هنا وفي آيات أخرى . ومنه بعض أحكام القانون الفرنسي كإباحة الزنا والربا ، دع ما يستلزمه اتباع أى جنسية سياسية غير إسلامية من قتال المسلمين وسلب بلادهم منهم . ومما ورد في تفسير الآية بالمأثور أن سبب نزولها تحاكم بعض المنافقين إلى بعض كنان الجاهلية ، وقد سعى سبحانه ادعاء هؤلاء المنافقين للإيمان زعماً والزعيم مطية الكذب . وقد بينا في تفسيرنا الأولي منها اقتضاء الإيمان الصحيح للعمل وأن الاستفهام فيها للتعجب من أمر هؤلاء الذين يزعمون الإيمان ويعملون ما ينافية ، وأن الاستاذ الإمام سئل في

أثناء تفسيرها في الجامع الأزهر عن القوانين والمحاكم الأهلية فقال : تلك عقوبة عوقب بها المسلمون أن خرجوا عن هداية قوله تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) فاذا كنا تركنا هذه الهداية للقليل وانتقال آراء الرجال من قبل أن نبطل بهذه القوانين ومنفذيها فأبي فرق بين آراء فلان وآراء فلان وكلها آراء منها الموافق لنصوص الكتاب والسنة ومنها المخالف له ؟ ونحن الآن مكرهون على التحاكم الى هذه القوانين فما كان منها يخالف حكم الله تعالى يقال فيه — أي في أهله — (الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) وانظر فيما هو موكل الينا الى الآن كالأحكام الشخصية والعادات والمعاملات بين الوالدين والأولاد والأزواج والزوجات ، فهل ترجع في شئ من ذلك الى الله ورسوله ؟ . . . الخ ماقاله . وقد وضحت المراد منه فيراجع في الجزء الخامس من التفسير

وأقول ان إكراه المصريين على ما يخالف الكتاب والسنة من القوانين قد زال الآن بالاستقلال فاثم ما يبقى منه بعد انقضاء البرلمان المصري في أعناق أعضائه وأعناق الأمة في جعلتها اذهي قادرة على إلزامهم إلغاء إبادة الزنا والخمر وغير ذلك من المحرمات بالاجماع هذا وان المحاكم الأهلية وقوانينها خاصة بالأحكام المدنية والعقوبات التي تقل فيها النصوص القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ومن حكم له فيها برها محرم فليس ملزماً أخذه ، ومن حكم عليه به واكرهه على أدائه فهو معذور ، ولا يمس عقيدته ولا عرضه منه شئ ، والحدود الشرعية في العقوبات خاصة بالامام الحق ، والتعزيرات مبنية على اجتهاد الحكم — فابن حكم المحاكم الأهلية بالقوانين من قبول جنسية تهدم ما في القرآن من أحكام النكاح والطلاق والارث وغير ذلك وهي اختيارية لا اضطرارية ومن اختارها فقد فضاه على أحكام الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) ؟ وفضل اهلها الكافرين على المؤمنين بالفعل (ومنها) قوله تعالى (٤ : ٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) قال أبو بكر الجصاص من أئمة الحنفية في تفسيرها من كتابه (أحكام القرآن) مانصه :

« وفي هذه الآية دلالة على ان من رد شيئاً من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله (ص) فهو خارج من الاسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم ، وذلك يوجب صحة ماذهب اليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم لان الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبي (ص) قضاءه وحكمه فليس من أهل الايمان اهـ

وقد بينا في تفسيرنا لهذه الآية ماملخصه ان الايمان الصحيح الحقيقي وهو ايمان الاذعان النفسي المقابل لما يدعيه المناقون لا يتحقق الا بثلاث (١) تحكيم الرسول (ص) فيما شجر أي اختلط فيه الامر مما يتخاصم فيه الناس (٢) الرضاء بحكمه وانشراح الصدر له بحيث لا يكون في القلب أدنى حرج أي ضيق وانكماش مما قضى به (٣) التسليم والالتقياد بالفعل . ولا خلاف بين المسلمين في اشتراط هذه الثلاث في كل مائت مجيئه به (ص) من أمر الدين اذ لا يعقل اجتماع الايمان الصحيح برسائله مع اشارة حكم غيره على الحكم الذي جاء به عن الله تعالى ولا مع كراهة حكمه والامتناع منه ، ولا مع رده وعدم التسليم له بالفعل وجملة القول ان المسلم الذي يقبل الانتظام في سلك جنسية يتبدل أحكامها بأحكام القرآن ، فهو ممن يتبدل الكفر بالايمان ، فلا يعامل معاملة المسلمين ، واذا وقع من أهل بلد أو قبيلة وجب قتالهم عليه حتى يرجعوا . والمعقول ان هذا لا يقع من مسلم صحيح الايمان بل لا يجوز عقلاً أن يصدر عنه ، ذلك بأن الايمان القطعي بأن أحكام النكاح والطلاق والارث وتجرىم الربا والزنا المنصوصة في القرآن من عند الله العليم الحكيم يقتضي تفضيلها على كل ماخالفها والعلم بأن التزامها من أسباب رضوان الله وثوابه ، وترك شيء منها من أسباب عذابه وسخطه ، يقتضي الحرص على الاستمساك بها فعلاً لما أوجب سبحانه وتركاً لما حرم ، ودليله ان العلم بالمضار والمنافع يقتضي فعل النافع وترك الضار بسائق الفطرة ، ويعرف ذلك كل انسان من نفسه بالوجدان الطبيعي ومن سائر الناس بالتجربة المطردة في جملة المنافع والمضار . وما يشذ من الجزئيات فله أسباب لا تنقض القاعدة التي بينها مراراً

٣٠ اقتضاء العلم والظن للعمل ما لم يعارضه ما هو أرجح منه المنار: ج ١ ص ٢٥

ويلتبس الأمر على كثير من الباحثين في بعض هذه الجزئيات فيحسبها ناقضة لقاعدة اقتضاء العلم القطعي أو الأرجح للعمل ، وجل هذا اللبس يرجع إلى خفاء وجوه الترجيح الطبيعي فيما يتعارض فيه العلم القطعي والظن والوجدان والفكر ، مثال ذلك ترك المريض الدواء النافع وفعله لضده كتناول الغذاء الضار من أمور الدنيا ، وتركه لبعض الواجبات أو اجتراحه لبعض السيئات من أمور الدين ، ومن محض المسألة يظهر له أن تارك الدواء لاستبشاع طعمه قاطع بضرره المتعلق بالذوق وهو من الحسيات اليقينية وغير قاطع بنفعه بل هو إما ظان وإما شاك فيه ، وكذلك مرتكب المعصية وإن كان نحرىها قطعياً كالزنا فإن الشك يعرض له في الوعيد عليه من باب الرجاء في العفو والمغفرة بفضل الله تعالى أو بالتكفير عنه بالأعمال الصالحة ، ولكن لذة الشهوة التي تعرض له لاشك فيها ، فيرجح العلم القطعي بالمنفعة وهي الآلة على الظن أو الشك في العقاب ، وإنما يقع هذا الترجيح في الكبائر لمن كان ضعيف الإيمان ، وهو ما كان عقيدة لم ترتق بها التربية العملية إلى الوجدان ، وإنما الإيمان الكامل المقتضي للعمل في أفراد الجزئيات ما كان فيه الاعتقاد الصحيح مصاحباً للشعور الوجداني بالخوف والرجاء في كل منها ، وقد يتخلف في بعض دون بعض ، فإن من يعيش بين قوم يجاهرن بمعصية لا ينفر وجدانه منها كمن يعيش بين قوم لا يفعلونها إلا ما قد يقع من بعضهم وراء الاستار فهذا ملخص ما يحتاج به على استلزام الإيمان الصحيح للعمل بمجملته ما ثبت عند المؤمن أنه من الشرع ، والآلة الشرعية عليه كثيرة ، وبها جعل جمهور السلف العمل ركناً من أركان الإيمان — وقد اختلف العلماء في معنى الحديث المتفق عليه « لا زني الزاني حين يزني وهو مؤمن » الخ بناء على اختلافهم في تعريف الإيمان فذهب بعضهم إلى أن المنفي هو الإيمان الكامل وهو الوجداني الذي يقتضي العمل فعلاً وتركاً — وقبل أن الإيمان يفارق الزاني عند الزنا بحيث لومات في أثائه مات كافراً ، وحقق الغزالي أنه لا يكون عند تلبسه بالزنا مؤمناً بأنه يستلزم سخط الله وعذابه . وهو يصدق ببيان الوعيد عند ذلك لغلبة الشهوة التي يغيب

صاحبها عن إدراك لحسيات أحيانا كما قال الشاعر
 قالت وأبشتها وجدي فبحث به * قد كمت عندي تحب الستر فاستتر
 ألسنت تبصر من حولي ؟ فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري
 ويصدق بالشك في وقوع الوعيد بما بيناه آتفاً من رجاء المغفرة أو التكفير.
 ومثل هذا الشك والتأول لا يمكن أن يجري في جملة المأمور به والمنهي عنه ولا في
 ترك الأحكام الكثيرة التي لا يغلب صاحبها عليها ثورة شهوة، ولا سورة غضب
 كأحكام الارث والنكاح والطلاق وثبوت النسب ونفيه — بل هي مما يتفق
 الدلائل العقلية والطبيعية مع الدليل الشرعي على أن من رغب عنها إلى غيرها من
 أحكام البشر لا يمكن أن يكون مؤمناً، وعندي أن تركها بمثل اختيار الجنسية
 المسؤول عنها ليس انشاء للكفر وابتداء للردة بل هو أثر له ناشيء عنه، وإنما
 أطلت في هذه المسألة التي سبق لي توضيحها مراراً لما بلغني من توقف بعض علماء
 تونس في الافتاء بكون التجنس بالجنسية الفرنسية ردة

جنسية الاسلام واصلاحه للبشر

وبحسن ختم هذه الفتوى بالتذكير بما كنا نوهنا به مراراً من الركن الأعظم
 لاصلاح الاسلام لشؤون البشر وتمهيد طريق السعادة لهم
 و بيان ذلك بالإيجاز ان مشاركات شقاء البشر محصورة في اختلافهم في مقومات الاجتماع
 ومشخصاته من العقائد واللغات والاطنان والأحكام والحكومات والانساب (أي
 العناصر والاجناس كما يقول أهل هذا العصر، أو الاصناف كما يعبر علماء المنطق)
 والطبقات والتقاليد والعادات وحسبك من هذا الأخير ان المتخلفين في الأزياء من
 أبناء الوطن الواحد المتفقين فيما عداه من روابط الاجتماع يتفاضلون فيه حتى يحقر
 بعضهم بعضاً . . .

جاء دين التوحيد والسلام (الاسلام) يرشد الناس كافة الى المخرج من
 كل نوع من أنواع هذا الاختلاف المثيرة لشقائهم بالتمسك بالدين والنباغض بجمعهم
 على دين واحد موافق للفطرة البشرية مرق لها بالجمع بين مصالح الروح والجسد

(وهو الجنسية الدينية) وافة واحدة يتخاطبون بها ويتلقون معارفهم وآدابهم بها (وهي الجنسية الاجتماعية الادبية) وحكم واحد يساوي بينهم على اختلاف مللهم ونحلهم (وهو الجنسية السياسية) فهو يزيل من بينهم التفاضل والتعالي بالانساب والامتياز بالطبقات ، والتعادي باختلاف الاوطان والعادات ، وأودع في تعاليمه وأحكامه جواذب تجذبهم الى ذلك باختيارهم بالتدريج الذي هو سنة الله في كل تغيير يعرض لجماعات البشر (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وحسبنا هنا من الحجة على ذلك ما هو معلوم بالتواتر من أثره في نشأته الاولى في خير القرون اذا انتشر مع لغته وآدابه وسياسته وأحكامه في العالم القديم من أقصى المغرب الى أقصى المشرق ، وطالما شرحنا أسباب ذلك من آيات الكتاب والسنة وعمل الخلفاء وعلوم الائمة .

وقد قلده أمم الحضارة الكبرى في هذا العصر فكل منها تبذل القناطر المقنطرة من الذهب لنشر دينها واعتها وتشريعها وآدابها وأحكامها في جميع أقطار الارض مؤيدة ذلك بآلات القهر والتدمير البرية والبحرية والجوية ، ولم يبلغ تأثيرها في عدة قرون مع سهولة المواصلات وتقارب الاقطار ودقة النظام ما بلغه تأثير الاسلام في أقل من قرن واحد مع فقد هذه الوسائل كلها — ولو وضع نظام للإمامة الكبرى (الخلافة) يكفل اصولها وأحكامها الشرعية اعم الاسلام واعتها العالم كله ولنحتمت به أمنية الحكماء فيما ينشدونه من المدنية الفاضلة قديما وحديثا أهل المسلمون هذه الفريضة الكافلة لجميع الفرائض والفضائل فما زالوا يرجعون القهقري ، حتي بلغ بهم الخزي ما نسمع ونرى ، وصار مستعبدونهم ومستذلونهم يطعمون في تركهم لا بقي من شريعتهم اختيارا في الوقت الذي آن لهم فيه أن يعرفوا أنفسهم ويعرفوا قيمة دينهم وشرعهم وينهضوا به لاصلاح أنفسهم وتلافي سقوط حضارة العصر ، بإبادة بعض أهلها لبعض ، (فاعتبروا يا أولي الابصار)

خطاب عام

فيما يجب على المسلمين لبیت الله الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

(ان أولَ بيت وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ *
فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ لِّمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ
الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (سورة
آل عمران ٩٣ : ٩٧)

جعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قيامًا للناس (سورة المائدة: ٩٥)
وإذا جعلنا البيتَ تمثابةً للناسِ وأمنًا ، واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى (سورة البقرة ١٢٥ : ٢)

إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي
جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ
نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (سورة الحج — ٢٢ : ٢٣)

أخبر الله تعالى عباده في آخر كتاب أنزله وكفل حفظه — وهو
القرآن — على لسان آخر نبي أرسله وأكمل به دينه العام ، وهو محمد عليه
أفضل الصلاة والسلام ، ان هذا المعبد المعروف بمكة أم القرى من بلاد
العرب باسم الكعبة ، والبيت الحرام ، والمسجد الحرام ، هو أول بيت
وضعه تعالى للناس كافة ، وجعله قياما ، ومثابة ، وأمنًا ، ومسجدًا ، للناس
كافة ، سواء العاكف فيه من المقيمين حوله ، والبادي ممن يؤمونه من

مؤمنني سائر الاقطار لعبادة الله وحده، فمن دخله كان آمناً بتأمين الله تعالى على نفسه وماله وعرضه وشرفه، وحرية في قوله وفعله، لا مسيطر عليه غير دين الله وشرعه — وجعل حجه ركناً من اركان الاسلام، وجعل الصد عنه وعن سبيله من شأن الكفار، وجعل ارادة الظلم والاحقاد اليه فيه، كاقتراف الظلم في غيره، وجعل السيئات فيه مضاعفة العقاب، كما جعل الحسنات مضاعفة الثواب، بل حرم سبحانه على لسان ابراهيم خليله ومحمد خاتم رسله (عليهما الصلاة والسلام وعلى آلهما) الاعتداء في ذلك الحرم المحيط ببيته على كل ذي حياة حيوانية أو نباتية، فلا يُعضد شجره ولا يُتخلى خلاه (١) ولا يحل فيه الصيد ولا ترويع الحيوان، ولا يقتل فيه الا الفواسق الضارة التي تقل في الحل والحرم كالحيات والمقارب والفيران

وقد صح في الاحاديث النبوية أنه يحرم من المدينة مثل ما يحرم من مكة، وان الاسلام يأرّز بين المسجدين ويأرّز الى الحجاز كما تأرّز الحية الى جحرها، أي ينكمش وينقبض فيه ويعود اليه، وأنه لا يجوز أن يكون هنالك ولا فيما حوله دينان، كما جاء في آخر ما أوصى به عليه الصلاة والسلام

وقد أجمع المسلمون على أن حج هذا البيت مفروض على كل من استطاع اليه سبيلاً، وأن الامة الاسلامية مطالبة به في جملة ما، لا بد أن يؤديه في كل عام بعض المستطيعين من أفرادها، وهو الركن الروحي البدني المالي

« ١ » أي لا يقطع شجره ويقلم حشيشه الا ما رخص فيه النبي من قلع الاذخر لوضعه على الموتى عند الدفن وهو نبات طيب الرائحة

الاجتماعي السياسي من أركان دينها، فهي مطالبة باقامة هذا الركن مع كل ما تتوقف عليه إقامته، وكل ما أوجبه الله تعالى من حرمة وتأمينه، وتحقيق مقاصد الدين من ذلك. ولا نطيل في تفصيل هذا فهو مما لا يجهله مسلم في جملته، وإنما أتينا بهذه المقدمة تمهيداً لما نذكر بعده من الخطر الحديث على هذا الركن الاسلامي وعلى حرم الله وحرم رسوله، وعلى كل ما شرع الله تعالى هنالك من عبادة ونسك وإجلال، وتعظيم للشعائر والمشاعر العظام، التي تجدد في قلوب الحجاج والمعتزين روح الاسلام

ومن المسلمات التي لا نزاع فيها أن ما أوجبه الله تعالى وشرعه لهذه البلاد وما أوجبه فيها مما أجهلنا التذكير به لا يتم ولا يضمن في هذا الزمان إلا بجمل هذه البلاد المقدسة مصونة من التعدي عليها، ومن جعلها عرضة للغزو والقتال — ومحفوظة من أي تدخل أو نفوذ لغير المسلمين فيها ولا سيما الدول الاستعمارية القوية، وباقامة حكومة شرعية لها تكون قادرة على حفظ الامن والشرع، وعاجزة عن الاستبداد والظلم، بمراقبة العالم الاسلامي لها، ومساعدته إياها بالرجال والمال على الوجه الذي نقترحه به، فسكان الحجاز غير قادرين على ذلك حتماً لفقرهم وفقدهم المال والعلم الذين يتوقف عليهما ذلك

أيها المسلمون :

إنه لا يخفى على شعب من شعوبكم في مشارق الارض ومغاربها أن الدولة العثمانية كانت كافلة للحجاز، وممدة لحكومته وأهله بالرجال والمال، وكانت دولة حربية مرهوبة، وذات حقوق دولية مرعية،

ومعترف لها بمنصب الخلافة الاسلامية، وهي مع هذا كله لم تؤد لهذا
المسكان، كل ما يجب له من الامن وال عمران، ولم ترق فيه العلم والعرفان،
وانما كان مصونا بها من أن يهاجم بحرب أو يمتد اليه نفوذ غير اسلامي
وقد زال نزوالها كل من الامرين :

ذلك بأنها كانت قد نصبت في مكة أميراً اسمه (الشريف حسين بن
علي) وأن هذا الأمير خرج عليها وحاربها في الحرب الاخيرة هو ومن
أجاب دعوته الى قتالها، ووالى الدولة البريطانية وأحلافها، وأذاع بالدعاية العامة
أنه يريد بذلك إنقاذ البلاد العربية واستقلالها ، وكانت دعواه في نفسها
معقولة، ثم تبين أنها غير صحيحة ، فقد ظهر أنه استبد بالأمر، واتجر بالامة
وسعى نفسه (ملك البلاد العربية) بغير مبايعة ولا رضا من أهل الحل والعقد
في جزيرة العرب وهم الأئمة والامراء والعلماء في بلادها المستقلة كاليمن
وتهامه ونجد، ولا في غيرها بالاولى ، بل جعل هؤلاء أعداء له وهم
يحيطون بالحجاز من كل جانب كما نبينه لكم بالوثائق الرسمية ، ورفض
ما دعاه اليه أهل البصرة من عقد روابط الحلف وشد أواخي الاخاء
بينهم ليكونوا كما هم أعوانا على حفظ الحرم بين الشريفين وسيابجهما من جزيرة
العرب أن ينالها عدوان أجنبي ، أو يتسرب اليها نفوذ غير اسلامي ، عملاً
بوصية النبي صلى الله عليه وسلم قبيل لقاء ربه في الرفيق الاعلى

إن هذا الرجل لم يقدم على ادعاء التملك على الامة العربية بأسرها
ويعادي أمراء الجزيرة المقدسة على ما هو عليه من الضعف ، ويعتقد
باتفراده مع الاجانب المعاهدات السياسية والحربية باسم العرب فيعطيه

من الحقوق السياسية والعسكرية ما شاء حتى في الحرمين الشريفين ، ومن رقبة البلاد بالاحتلال ما شاء — لم يفعل هذا كله إلا اعتماداً على قوة هؤلاء الاجانب ، فقد تواطأ واتفق معهم على اقتسام السلطان والنفوذ بينه وبينهم في مهد الاسلام من غير مشاورة أحد من أصحاب الزعامة والسلطان كالامراء والائمة ، ولا من أهل العلم والرأي في هذه الامة . فهو بهذا وذاك قد أدخل النفوذ الاجنبي غير الاسلامي في الحجاز ، وجعله ملكاً سياسياً حريماً مرضياً للغزو والقتال ، ولم يقف عند حد هاتين الجنايتين الخارجيتين ، بل استبد وظلم ، وألحد في الحزم ، كما ثبت ذلك بالحجج الآتية ، ولا غرض لنا إلا بيان الواقع ليعلم أمراء العرب وزعمائهم . وعلماء المسلمين وكبرائهم . ما يجب عليهم من تغيير المنكر . ومنع الخطر المنتظر . ولو باقناع هذا الرجل بما يجب . وإقناع الحكومة الانكليزية بترك معبد المسلمين الاكبر وقبلتهم لهم . وعدم تصديدها لها بحيل المعاهدات وغيرها . ونرى أن هذا خير لنا ولها من ضم العداوة الدينية الى العداوة السياسية . وهذا ما نريد بيانه من الوثائق وقد سبق نشر بعضها :

(وثائق الجناية الاولى : وضع الحجاز تحت النفوذ والسلطان الاجنبي)

الاولى مقررات النهضة

من المعلوم المشهور أن هذا الرجل يسمى خروجه وثورته التي هي افتيات على العرب والاسلام «بالنهضة» ومن أعياده الرسمية «عيد النهضة» ومن أوسمته الملكية «وسام النهضة» ويسمى المواد التي عرضها

على الدولة البريطانية والتزمها وقيد نفسه وأمته وبلادها بها بغير حق ولا أهلية «مقررات النهضة» و«أساس النهضة» وقد كان يكتم هذه المقررات ويضن بها على كل أحد حتى أولاده قواد جيش ثورته — حتى اذا ما فتئت الحرب وجاء وقت اقتسام الغنائم ومنها حصته من السلطان على البلاد العربية كلها في ظل الحماية البريطانية، انكرت عليه حليفته بريطانيا العظمى ما يدعيه لنفسه منها — فحينئذ — سمح باعطاء ولده (الامير فيصل) صورة «مقررات النهضة» ليناضل له بها، وقد اقتضت الحال نشره لياها باسمه في جريدة المفيد التي كانت تصدر في دمشق على عهد امارته لها، ونقلتها عنها صحف كثيرة في مصر والهند وغيرها، وهذا نصها (١) — تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة

بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقا من بحر خليج فارس ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الابيض وشمالا حدود ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ومجموعة مع الدجلة الى مصبها في بحر فارس ما عدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود. وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أبرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحمل في محملها في رعاية وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميرا كان أو من الافراد

(٢) — تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها

من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها

البرية والبحرية من أي تعدد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام لحين اندفاعه . وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية (١)

(٣) — تكون البصرة تحت إشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي حكمها قاصرة في حوض بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الاشغال (٤) — تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الاسلحة ومهماتا والذخائر والنقود مدة الحرب

(٥) — تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو مناسب من النقط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها. اهـ فملخص هذه المقررات : أن الدولة الانكليزية هي صاحبة البلاد العربية. وأنها بما لها من حق التصرف فيها تؤسس لواضعها «أمير مكة» دولة منها تسمى مستقلة مع كونها قاصرة في حرجها وحضنها، وتحت حمايتها في داخلها وخارجها، حتى لو حصل قيام داخلي على ملكها في حرم الله تعالى أو حرم رسوله صلى الله عليه وسلم كان على الانكليزان يساعده

١٢ « توهم واضع هذا القيد أنه احتسب به عن جعل الاحتلال دائماً جهلاً منه باحتلال مصر وبأنه لا يمكن له ولا هي تمكنه من إتمام ما ذكر

مادة ومعنى على قمعه ، ويدخل في هذا لإدخال جيوشها في الحرمين الشريفين لأجل حفظ ملكه فيهما ،

فما تقولون أيها المسلمون فيمن يعطي هذه الحقوق لدولة غير مسلمة في الحرمين الشريفين وسياجهما؟ هل هو مشروع موافق لتلك الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ، والوصية المحمدية ، والاحكام الاسلامية ، التي ذكرناكم بها في مقدمة هذا الخطاب؟ أم هو جناية على الحرمين وسياجهما ومشاعرها وعلى الملة الاسلامية والامة العربية فيجب عليكم السعي لازالتها ؟

إن الدولة البريطانية قد سجلت على هذا الرجل كل ما اعترف لها به من الحقوق على أمته وبلادها في هذه المقررات وغيرها ، ولكنها لم تجبه الى كل ما طابه لنفسه منها ، بل استثنت سورية الشمالية من المملكة العربية لأجل حايفتها فرنسة ، وحملته على الاعتراف بحقوق لها في سائر العراق فلم تقنع بولاية البصرة التي سمح لها من تلقاء نفسه

الوثيقة الثانية : كونه موظفا بريطانيا

إن هذا الرجل هو الذي انفرد باعطاء الدولة الانكليزية الحق بأن تؤسس له دولة عربية تكون تحت حمايتها ، وفي حكم القاصر في حضانتها ، وهو الذي اختار لنفسه أن يكون من جملة رؤساء الممالك المنضوية الى كنف امبراطوريتها ، وكم في هذه الامبراطورية من ممالك تسمى مستقلة ، وكم فيها من أمراء وملوك وسلاطين ؟ فلا غرو ولا عجب منه اذا صرح ونشر في جريدته (القبلة) ما يصرح بأنه عامل موظف عندها . وانه هو وأولاده كالبلاد رهن تصرفها . ونكتفي بشاهدين على ذلك من جريدته القبلة

«الشاهد الاول» لما علم هذا الرجل ان الحكومة البريطانية قررت عرض مطالبه على مؤتمر الصلح واعطائه ما يقرره المجلس أرسل كتابا منه الى نائب ملكها بمصر بتاريخ ٢٠ ذي القعدة ١٣٣٦ نشره بعد ذلك مرارا في جريدة القبلة وقد جاء فيه مانصه :

« فان كان ولا بد (؟) من التعديل فلا لي (؟) سوى الاعتزال والانسحاب ولا اشتبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا انه أمر (؟) يتعلق بالحياة لا المقصد عرضي ، ولا لفكر غرضي ، وانما لا ترتاب في آني وأولادي اصدقاؤها الذين لا تغيرهم الطواريء والاهواء ، ثم تعينوا (؟) البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر اليها في أول فرصة

« وان رأيت ذلك ولكن مشاكل الحرب الحاضرة تقتضي بتأجيله الى ختامها فحقوق الوفاء والجميل يفرض علينا الثبات امام ماسيتضاعف علينا من التهمات ونحوه من العموم مما لا مقاومة لدينا أمامها الاحسن النية — فالامر اليها

« أما عطف الامر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأنه لا علاقة لنا به ولا مناسبة بيننا وإياه حتى نفتظر منه سلبا أو إيجابا ، ولو قرر المؤتمر المذكور اضعاف مقررانا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن (؟) من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا » اهـ

نقلنا هذا بحروفه حتى اغلامه اللفظية عن العدد ٣٩١ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة المكرمة في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣٨ وهو نص في جمل هذا الرجل اخلاصه في التبعية البريطانية تعبداً وأنه يقبل من الدولة الانكليزية تعبه مع أسرته من وطنه ولا يقبل من سائر الدول اضعاف مقررات استقلال الحماية لمصلحة الامة بل يعده كالكر بالله والطرده من رحمته !!!

«الشاهد الثاني» انه قد استقال في هذا الكتاب من منصبه (ملك الحجاز)

(المنازل: ج ١) «٦» (المنازل: ج ١) «٦»

لدى الدولة البريطانية استقالة . ملقة ويظهر أنه قد رفع استقالته الى الحكومة البريطانية بلندن مباشرة بعد الاستقالة الضمنية بهذا الكتاب كما يفهم من نص البرقية الآتية التي أرسلها الى مدير جريدة التيمس الانكليزية يتوسل بها الى قبول استقالته التي تكررت وهذا نصها منقولاً من العدد ٥٥٣ من جريدة القبلة :

﴿ المدير العمومي لصحيفة التيمس ﴾

﴿ اطلعت على عددكم المشتمل الرد والقدح باتحاد العرب والتزامكم ﴾
 ﴿ أحد أمرائهم (١) ولزيادة إقناع حكومة جلالة الملك وإيضاح الحقيقة ﴾
 ﴿ لعموم الشعب النجيب البريطاني أكرر بهذا طلبي بواسطتكم من ﴾
 ﴿ حكومة جلالاته تأكيد تعيين الأمير المذكور أو من تراه ليستلم ﴾
 ﴿ البلاد فان غايي الراحة العمومية وخدمتها كما يعلم من أساسات ﴾
 ﴿ قيامي وشرائطه يؤيده طلبي هذا المثبت للحقيقة من سائر وجهاتها ﴾
 وهذا نص صريح قطعي في اعتراف الملك حسين بأنه تابع للحكومة الانكليزية وخادم لها وبأنها هي صاحبة الحق في عزله وتولية من تشاء على الحجاز وغيره من بلاد العرب ، وبأن هذا من « أساسات قيامه وشرائطه » يعني ما يسميه مقررات النهضة ، ولولم يكن له الا هذه الخزية لما احتيج الى حجة غيرها على جعل الحرم الشريفين تحت السيادة البريطانية ومن ضمن مستعمرات التاج البريطاني ، وكفى بذلك عداوة وإهانة للاسلام والمسلمين كافة ، وإضاعة لاستقلال العرب خاصة ، توجب على مجموعهم التماون على ازالة هذا المنكر الاكبر والخطر الاعظم ، فان لم يفعلوا كانوا كلهم عصاة لله تعالى هادمين لاركان دينه ومحقرين لما أوجب عليهم من حفظ شعائره ومشاعره

**

(١) يعني سلطان نجد اذ كانت التيمس قد أثبتت في ذلك العدد عليه

الوثيقة الثالثة : المعاهدة الجديدة

خاب أمل هذا الرجل في الانكايز فلم يجعلوه ملكا على جميع البلاد العربية بقوتهم وسلطانهم كما اقترح عليهم في « مقررات النهضة » والحجاز وحده لا يشبع مطامعه ، وليس من مصلحة الانكايز أن يقاتلوا أمراء جزيرة العرب لاجل إخضاعهم له وتحقيق جعله ملكا عليهم ولا أن يجعلوه حاكما من قبلهم على العراق وفلسطين ، لانه على خضوعه لهم ليس عنده لين ولده فيصل ومروته ، ولا فرق ولده عبدالله واستسلامه ، وقد جعلوا الاول ملكا على العراق ليروض لهم صعاب الشيعة الجامعة بشهرة نسبه وخلابة لسانه ، ويسلس لهم قياد رؤساء الجند وزعماء الشعب بدمائة نفسه وجود بنانه ، وجعلوا الثاني أميراً على شرق الاردن ليكف عن فلسطين عادية قبائل العرب ويمكن لهم السلطان في هذه المنطقة فيؤسسوا فيها حظيرة الطيارات التي هي العمدة الاخيرة لهم في تذليل جزيرة العرب وأمثالها بدون نفقة كبيرة ولا سفك دماء من جندهم — ويمهدوا بنفوذهم في البدو طرق السيارات والدبابات في قلب البلاد العربية ، تمهيداً لما سيشرعون به من مدسكة الحديد العسكرية الحربية بين فلسطين والعراق ليتصل البحر الاحمر بخليج فارس ، ولقد صدق عليه وعلى أخيه ظن وزير المستعمرات البريطانية ، فيما ضمنه لحكومته وأمتة من تقليل نفقات الاستيلاء على هذه البلاد العربية ، ولكن أباهما لا يرضيه الا أن يكون هو ملك البلاد العربية كلها كما لقب نفسه ، فهو ما زال يلاح ويلحف في مطالبة الحكومة البريطانية بانجاز وعندها له على ما فيه ،

وما زالت تعرض عليه ما لا يرضيه، حتى جاءه الدكتور ناجي الاصيل مندوبه لديها في شهر رمضان الماضي (سنة ١٣٤١) بالمعاهدة الجديدة فرضي بها وأعلنها بمكة المكرمة في عيد الفطر وأمر بأن يكون يوم اعلانها عيداً سياسياً للامة العربية بأسرها، وأمضاها بالتوقيع الابتدائي مع طلب تعديل جزئي غير جوهري في بعض موادها غير الاساسية

واننا نذكر هنا أهم مقاصدها السياسية المنافية لمصلحة العرب والاسلام المؤكدة لما تقدم من جعله الحجاز تحت سيادتها وحمايتها بمنتهى الاجاز معتمدين على ترجمة ما نشرته حكومة فلسطين الانكليزية من الخلاصة الرسمية لها، وهي :

أهم غوائل المعاهدة الحجازية البريطانية

(١) « تنص المادة الاولى على منع استعمال بلاد كل من الحكومتين قاعدة لاعمال موجهة ضد الحكومة الاخرى » هذا نص الخلاصة الرسمي وفيه الغم للانكليز، والغرم على العرب وغيرهم من المسلمين، فهي تسلب أهل البلاد وغيرهم من حجاج الآفاق حرية التعاون والتشاور هنالك في أي مصلحة لهم في دينهم ودنياهم تمدها الدولة البريطانية « ضدها » وان كانت خاصة بمصالح المسلمين الدينية كاضطهادها إياهم أو ظلمهم في امر يتعلق بدينهم كالحبس نفسه، وما زال المستعمرون للبلاد الاسلامية يخافون أن يستيقظ المسلمون من رقادهم الاجتماعي والسياسي ويتعاونوا على مصالحهم الاسلامية المشتركة في هذا المجمع العام، عند بيت الله الحرام، فاعطى الملك حسين كبراهن السلطة على زهاء مئة مليون مسلم مأربها، وليس لأهل

الحجاز ولا لغيرهم من العرب أو المسلمين ولا الملك حسين أدنى فائدة في مقابلة هذه الغائلة ، فإن الحكومة البريطانية لا تستطيع أن تمنح أهل بلادها مثل هذه الحرية الذي يتعهد ملك الحجاز بمنعها منه ، إذ يرى انه مالك لرقاب أهله ونواحي كل من لاحامي له من دول الاجانب ممن يحج بيت الله فيه ، فإن الحرية في بلاد الانكليز أقوى من كل معاهدة تعقدها أي حكومة فيها ، ولكن ملك الحجاز يظن أن حكومة الانكليز تستطيع أن تعمل في لندن وليفربول كل ما يستطيع هو أن يفعله في أهل مكة وجدة المستضعفين المستعبدين

على أن الانكليز ابرع خلق الله في التفصي من قيود المعاهدات التي يعقدونها مع الدول الكبرى بالتأويل كما قال اعظم ساسة اورية في عصره (البرنس بسمارك) فكيف يبالون بضعيف رضي لنفسه ولقومه سيادتهم عليهم؟ فاذا فرضنا أن بعض الانكليز في بلادهم أو بعض رعاياهم من مسلمي الهند قاموا بعمل ضد حكومة الحجاز ولم تمنعهم حكومتهم فهل يستطيع ملك الحجاز أن يثبت ذلك ويكره الحكومة الانكليزية على منعهم؟ لا، لا، لا، (٢) من قضايا المادة الثانية تعهد ملك الانكليز بتعريض استقلال

البلاد العربية التي اعترف باستقلالها ، بالمعنى الذي لا ينافي الانتخاب ولا الحماية بدليل كون فلسطين والعراق منها ، وهذا التعهد يعطيه حق التدخل في شؤون هذه البلاد الداخلية باسم التعريض ومنها الحجاز واليمن ونجد ، كما جعلت حكومته وحكومة فرنسا لانهما حقاً في عزل ملك اليونان بحجة انها وعدتا بتعريض استقلالها وان اعمال ذلك الملك تنافي الاستقلال

(٣) تتضمن هذه المادة إقرار الانتداب على العراق وعلى فلسطين ايضاً، وعبر عن هذا فيها بأن ملك الحجاز « يعترف بالمركز الخاص الذي للملك الانكليز فيهما » وما هو إلا الانتداب ولوازمه ، ومنه الاعتراف بعهد بلفور في جعل هذه البلاد وطناً لليهود ، وتتضمن فوق هذا تعهد ملك الحجاز ببذل غاية جهده في التعاون مع ملك الانكليز على القيام بتعهداته في البلاد العربية (ومنها عهد بلفور والاتفاق مع فرنسة على سورية) (٤) في المادة الخامسة « يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بأن يصد بجميع الوسائل السلمية والممكنة أي اعتداء يقع على بلاد جلالته الهاشمية ضمن الحدود التي تقرر نهائياً » وهذا نص صريح باعطاء الانكليز حق حماية الحجاز ولهذا صرح الملك حسين بأن هذه المعاهدة مبنية على أساس مقررات النهضة وسيأتي نص عبارته في هذا

(٥) تنص المادة السادسة على تعيين وكلاء سياسيين وقناصل للانكليز في الحجاز وفي البلاد البريطانية للحجاز — والحجاز في غنى عن هذا التدخل الاجنبي السياسي بما سيجيء بعد

(٦) يعترف ملك الحجاز في المادة السابعة للانكليز بحق الحجر الصحي على حجاج الشرق والجنوب ، ويعترف له ملك الانكليز بالتدابير الممتمة لذلك في ثغور الحجاز ، وفي كل من الامرين سيادة لملك الانكليز على الحجاز وتحكم في الحجاج ، فان القانون الدولي يعطي لسكل دولة الحق بأن تحجر على الموبوئين الذين يريدون دخول بلادها ، وملك الحجاز أعطى حقه هذا للانكليز واستمد من ملكهم حق الاعمال الممتمة له في بلاده هو أي الحجاز

ولم يسمح بمثل الحق للحكومة المصرية الاسلامية ، وما ذلك الا انه يعد نفسه تابعا للدولة البريطانية كما تقدم في الوثائق السابقة

(٧) يتعهد ملك الحجاز في المادة الثامنة بأن لا يتدخل في التدابير التي يتخذها ملك الحجاز للاعتناء بالحجاج ، ويتعهد ملك الحجاز بتعويض المساعي التي يبذلها مسلمو الرعايا البريطانيين لمساعدة الحجاج في الحجاز ، فالأول مبني على الاعتراف بسيادة ملك الانكليز على الحجاز اذ لا معنى لتعهد بعدم التدخل في أمر الاعتناء بالحجاج الا أن هذا وأمثاله من حقه وقد أباحه لملك الحجاز ، والثاني مما أنكر ملك الحجاز مثله على الحكومة المصرية إذ أرسلت مع ركب الحج المصري بعثة طبية فلم يقبلها محتجا بأن قبولها ينافي لاستقلاله؟ أليس معنى هذا ان استقلاله واقع في ضمن دائرة الامبراطورية البريطانية التي تضم كثيرا من المستعمرات التي تسمى مستقلة؟

(٨) المادة التاسعة « تنص على تعيين مبلغ محدود يفرض على كل حاج » وهي معترضة من ثلاثة أوجه

(أحدها) ان ضرب أثاوة أو غرامة على كل من يحج بيت الله تعالى محرم في الشريعة الاسلامية بالاجماع يدخل في عموم قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وعموم (ولا تشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) فقد قال تعالى في شأن بيته (فيه آيات بينات) وهو كفرض الضرائب على الصلاة والصيام ، ومن يستحل ذلك يعد مرتداعن الاسلام ، ويعد أيضا من الصدق سبيل الله ويدخل في عموم قوله (ان الذين كفروا

٤٨ الخوف من منم الحج أو الحرب في الحجاز النار: ج ٢٥١

ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس (الخ
(ثانيها) ان وضع هذا التعدي على شرع الله ودينه وحجاج بيته الداخلين
في أمانه— في معاهدة مع دولة غير اسلامية لا يعقل له سبب الا الاستعانة
بها على تنفيذه، والاعتماد على حمايتها في قهر جميع المسلمين على الاذعان له
(ثالثها) انه قد يكون مشارقتن بين الحكومات الاسلامية وبين
ملك الحجاز تؤدي الى تدخل هذه الدولة الحامية في الحجاز لتنفيذ عمل
محرم في الاسلام يعد مستحله والراضي به كافراً خارجاً منه . ذلك بأنه إذا
امتنع حجاج نجد واليمن وتهامة من جيران الحجاز عن دفع هذه الضريبة
فلا سبيل الى تنفيذها الا أن يجبرهم ملك الحجاز عليها أو يصددهم عن
أداء الفريضة بقوة السلاح؟ وهو غير قادر على ذلك بنفسه؟ فإذا قاوموه
وحاولوا دخول الحرم بالقوة لا يكون له ممول في صدمه الا على ارسال
الجند البريطاني ليحيطوا بالحرم الشريف ويصدروا عنه هؤلاء الحجاج
تنفيذاً لهذه المعاهدة ولمقررات النهضة؟

(٩) المادة الحادية عشرة وما بعدها الى السادسة عشرة في
امتيازات قضائية للدولة البريطانية في الحجاز تنافي الاستقلال الصحيح
وتنفيذ الشرع الاسلامي فيه وتؤكد ما تقدم بيانه

هذه بعض غوائل هذه المعاهدة ومفاسدها ، وقد انفردها الرجل
المستبد في حرم الله تعالى بالتعاقد مع الانكايز عليها ، كأن حرم الله تعالى وحرم
رسوله ملك له يتصرف فيه كما يشاء لا يتقيد بنص شرعي ولا بمشاورة أحد
من أمراء المسلمين وعلمائهم

فان قيل ان المعاهدة لما تمض وتوضع موضع التنفيذ؟ قلنا نعم ولكن السبب الاول لذلك هو رفض الفلسطينيين لها ، ولا تزال المفاوضات بين هذا الرجل وبين الانكليز دائرة في حل المسألة الفلسطينية لأجل تنفيذها، والراجع ان مجيئه الى فلسطين يقصد به قبل كل شيء اقناع أهلها بنص خادع فيها اذ لم يتخذوا بالنص الاول

الوثيقة الثالثة اتخذ يوم اعلان هذه المعاهدة عيداً

جاء في العدد ٦٨٨ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة المكرمة في ٥ شوال سنة ١٣٤٢ بعد بيان الاحتفال الرسمي بعيد الفطر ما نصه :

عيد على عيد

﴿ اعلان استقلال العرب ووحدتهم في جميع الجزيرة العربية ﴾
ولما استقر بجلالة المنقذ المقام ، في بهو الاستقبال العام، مثل بين يدي جلالته الاشراف والسادة العلماء والاعيان والوجهاء وأماثل الامة على اختلاف طبقاتها حاضرها وباديها ، وحينذاك تفضل جلالته فقاه بخطاب ملوكي سام حمد الله فيه وأثنى عليه ثم أشار الى أن هذا العيد المبارك لا شك في تضاعف عنه حيث صادف قبول المراجع الانكليزية^(١) لجميع المطالب العربية، فلاريب في أنه يوم اجتمع فيه عيدان ؟ عيد الفطر السعيد وعيد الاعتراف باستقلال العرب ووحدتهم وعليه لجلالته يعلن ذلك للامة العربية حاضرها وباديها ، وعلى أثر ذلك أمر جلالته صاحب الاقبال رئيس الديوان العالي أن يلقي في ذلك المحفل الجليل الخطاب الملوكي الهاشمي الآتي وهذا نصه :

(١) هذه الكلمة من الاصطلاحات التركية وهي بمعنى أولي الامر والمراد هنا الحكومة الانكليزية لأنها في عرف ملك الحجاز ولية امر الحجاز وسائر العرب والوصية عليهم كما سيأتي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نصح في هذا العيد المبارك بمال المعاهدة العربية البريطانية ﴾
 ﴿ المؤسسة على مقرراتنا الأساسية والتي يعترف بها صاحب الجلالة ﴾
 ﴿ البريطانية لنا باستقلال العرب بجزيرتهم وسائر بلادهم ، ويتعهد لنا ﴾
 ﴿ حشمته الملوكية بالمعاضدة الفعلية لتأسيس الوحدة العامة الشاملة ﴾
 ﴿ لكل هذه البلاد بما فيها العراق وفلسطين وشرق الأردن وسائر البلاد ﴾
 ﴿ العربية في جزيرة العرب (ما خلا عدن) فنأمر أن يعتبر هذا اليوم ﴾
 ﴿ المبارك عيد الاعتراف باستقلال الامة العربية والله ولي التوفيق ﴾ انتهى
 هذا نص خطاب الملك الرسمي بحروفه ، وقد نشرت جريدة القبلة عقبه
 خطابا ألقاه الدكتور ناجي الاصيل بمسار هذه الخديعة وحسبنا التصريح
 الرسمي من الملك حسين بأن هذا الاستقلال مبني على أساس نهضته أي حماية
 الانكليز لبلاد العرب ووصايتهم على أهلها كما علم من الوثيقة الاولى ولكن
 الناس يغفلون عند القراءة فيظنون أن المراد الاستقلال الحقيقي المطلق من كل قيد
 ولهذا يتعجب بعضهم من تصريحه هو وأولاده وجريدته (القبلة)
 تسمية العراق وشرق الأردن مستقلة فليس معنى الاستقلال عندهم الا جعل دولة
 الانكليزية ايام ملوكها وأمراءها في البلاد العربية تحت حمايتها اذ يعدون هذه
 البلاد ملكا لها. فلو سمي عبد الله أو أخوه زيد ملكا على سورية أي المدن
 الاربع منها — صارت مستقلة عندهم ، وصار الانتداب مساعدة ومخالفة في عرفهم

﴿ الوثيقة الرابعة خداع أهل فلسطين ﴾

بيننا أن المعاهدة العربية البريطانية مشتملة على إقرار الانتداب وعهد
 بلفور ضمنًا ولكن الملك حسين قد أرسل البرقية الآتية الى أهل فلسطين
 واشترت في جرائدها والجرائد المصرية وهذا نصها

الى عموم اهالي فلسطين

رغبة في وقوفكم على الحقيقة وضرورة اعلانها للعموم لقد صرحنا في هذا العيد المبارك بآل معاهدتنا العربية البريطانية المؤسسة على مقرراتنا الاساسية التي يعترف بها صاحب الجلالة البريطانية لنا باستقلال العرب في جزيرتهم وسائر بلادهم ويتعهد اننا حشمتهم الموكية بالمعاضدة الفعلية لتأسيس الوحدة العامة الشاملة لكل هذه البلاد بما فيها العراق وفلسطين وشرق الاردن وسائر البلاد العربية في جزيرة العرب ما خلا عدن . وهذا من منن الباري علينا وعلى عظمتها بلوفاءهم واعيدنا واقوالنا للعرب رغما عما نسبوني وعظمتها اليه من هضم حقوقهم وكلمهم مونا به ولا نشك أن هذا العيد المبارك سيعتبر أيضا عيداً ميموناً باستقلال الامة العربية ولا أحتاج لتحذيركم عن احداث أي شيء يخل بالراحة والسكون بأي صورة كانت لما في ذلك من ضياع الحقوق فانكم المسؤولون عن ذلك وباقي المعاملات تردكم عقب هذا

حسين

هذه البرقية هي التي حملت حكومة فلسطين الانكليزية الصهيونية على نشر خلاصة المعاهدة التي كان الملك حسين قد كتبها وأراد إقناع أهل فلسطين وسائر العرب بقبولها والاذعان لها ثقة ببيانها هو — كما فعل بمقررات النهضة منذ بدأ بالثورة فكانت جريدته (القبلة) وجريدة الكوكب التي أنشأها الانكليز بمصر وغيرها من الجرائد المستأجرة للانكليز يذعن في العالم أن الامة العربية قد ضمن لها استقلالها وإعادة مجدها بولائها لانكليز وحلفائهم

ولما نشرت خلاصة المعاهدة وعلم أنها مقرررة للاتتداب لا نافية له بلغ رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني الملك حسين ذلك فاجابه الملك ببرقية هذا نصها «حسنوا الظن» وقاله أن اليقين لا ينفك بالظن وان تقامد أهل فلسطين له وهم

على علم بالحقيقة محال فهم لم يقبلوا برقيته ولا غيرها مما نشر في جريدته الكاذبة الخاطئة من المكابرة وتكذيب حكومة فلسطين وجرائد العالم... بل ألغوا مؤتمراً قرروا فيه عدم الاعتراف بالمعاهدة وبأن ملك الحجاز لا يملك أن يقرر شيئاً في شأن بلادهم افتئاتاً عليهم وبلغوه ذلك هو والدولة البريطانية — ولا نطيل بنشر ما لم ننشر من الوثائق في ذلك لقرب العهد بها، وعلينا أنه لا يكابرنا أحد فيها

ولقد كان من عجب العقلاء الذي لا ينتهي أن ملكاً ينفرد بوضع نصوص معاهدة سياسية مع أدهى دول الأرض واحذقهن وأدقهن في استعمال الالفاظ القابلة للتأويل ، ثم انه يفسر هذه المعاهدة بخلاف المتبادر من نصها ويخطب بذلك أهل بلاد واسمة ليحملهم على الرضا باضاعة وطنهم وجمل رقبته وحكمه لغيرهم ، ويخطيء كل من يخافه في ذلك حتى حكومة فلسطين البريطانية والجرائد الانكليزية — دع العربية وغيرها — ومن شاء فليراجع في ذلك (العدد ٦٩٠ و ٦٩٦ من جريدة القبلة . والمشارور الرسمي في العدد ٧٠١ الذي يرد به على المصير خاصة . ثم يعلم انه قد ظهر للعالم كله انه هو المخطيء فيما فهمه أو ما نشره مخالفًا لفهمه فيرجع عنه : وجه العجب الذي لم يعرف له نظير أن الملك حسين ان كان قد نشر ما نشر من تفسيره للمعاهدة المخالف لنصها وهو يفهم معنى النص فتلك خيانة توجب عدم الثقة بقوله وعمله واماتته ، وان كان نشره وهو لا يفهم معناه ولم يفهمه اياه نائبه لدى الدولة البريطانية ولا ناظر خارجيته فالمصيبة أعظم اذ هو حجة على أنه ليس أهلاً لعقد التحالفات ولا لتولي الاحكام ولا لنصب العمال — اذ يكون معتمده لدى الدولة البريطانية ووزير خارجيته قد خاناه بكتمان معنى المعاهدة حتى حملاه على التصريح بتضمينها لاستقلال جميع البلاد العربية — ما عدا عدنا — وبحمل أهل فلسطين على قبولها ، ثم ظهر الامر وافتضح ، وبقي الرجلان موضع ثقته في أعماله السياسية الدولية !! على أن الظاهر المتبادر هو الاول وهو أنه صرح بما صرح به على علم بأنه عبودية للانكليز لا استقلال كما انه اغتبط باحتفال ولده الامير عبدالله باستقلال شرق الاردن ونشر ما قيل فيه بجريدته وهو يعلم أنها تحت لوصاية البريطانية والتي لا تنافي الاستقلال عنده بل تقتضيه

طور آخر وتصريح جديد

بعد هذا نشرت جريدته في العدد ٧٣٢ الذي صدر في ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٤٢ مقالا ذكرت فيه أنه صرح لبعض الحجاج من البلاد العربية المختلفة بما يدل على اعتراف بخطائه فيما صرح به في أول شوال وما كتبه بمعناه لأهل فلسطين وهو كسائر كلامه المتعارض أو المتناقض وهذا نصه

« يهمني من جميع البلاد العربية ما يهمني من أمر بيت الله الحرام وقد عرضت على الحكومة البريطانية معاهدة وجدت في بعض موادها ما لم يتفق مع اليهود المقطوعة لي التي تأسست عليها أعمال النهضة فعدلت تلك المعاهدة تمديلا هاما نصصت فيه على استقلال فلسطين استقلالا مطلقا يخول للفلسطينيين إدارة بلادهم بأنفسهم واختيارهم طريقة الحكم التي يريدونها وبذلك جعلت وعد بلفور في حكم أنه لم يصدر وقضى عليه بالموت وفوق ذلك فاني طلبت في التعديل أنه بعد عقد المعاهدة يؤمر المندوب السامي بفلسطين أن يصرح — بحضور مندوب من قبلي أمام ممثلي فلسطين — باستقلال الاقطار الفلسطينية استقلالا تاما مطلقا ودخولها صراحة في الوحدة العربية طبقا لليهود البريطانية المقطوعة لي، وأؤكد لكم أنه اذا لم تقبل الحكومة البريطانية التعديلات التي طلبتها فلا يمكن أن أوقع على المعاهدة بل أرفضها رفضاً باتاً وكونوا على ثقة أنه لا يمكن أن يذهب شبر من أراضي فلسطين وأنا وأولادي أحياء على وجه الارض فانا نحافظ على أحقر قرية في فلسطين محافظتنا على بيت الله الحرام ونريق في سبيل ذلك آخر نقطة في دماننا وعلى كل حال فاني بعد انتهاء أمر المعاهدة سأحضر بنفسي الى أطراف تلك البلاد فاذا ورد

جواب لندن على مطالبي بالإيجاب أستشيركم في طريقة الحكم التي تريدونها
وإذا ورد جوابها بالسلب أستشيركم فيما يجب عمله وأنني أسير معكم على ما تنفقون
عليه، وكونوا على ثقة أنني أنظر إلى أهل فلسطين نظري إلى أولادي ولا
أفرق في ذلك بين مسلم ومسيحي، يهودي وطني ومن يرجع من الصيونيستين
عن أطباعه البلفورية، وأنني أشهد الله على ذلك وهو حسبي ونعم الوكيل، اه
وسنبين غرضه من هذا التصريح عند ذكر نتيجة هذه الوثائق كلها

الجنابة الثانية عداؤه لامراء جزيرة العرب

﴿ وتعرضه الحرمين الشريفين للغزو والقتال ﴾

لوشئنا لأئتنا بوثائق كثيرة من جريدة القبلة ثبتت هذه الجنابة كالمنشورات
الرسمية الصادرة باسم الملك حسين في الطعن بدين أهل نجد وتكفيرهم وزعمه أنه
يجب على ولي أمر المسلمين (يعني نفسه) عقابهم الذي يقتضيه الشرع أي قتالهم
قتال أهل الردة وغير ذلك من التعرض بهم والتصريح بعداوتهم والاستعداد
لقتالهم والاعتداء عليهم بالفعل (كما شور ٩ شوال سنة ١٣٣٦ الذي نشر في
عدد ٢٠٢ من جريدة القبلة المؤرخ ٢٤ منه — والمنشور الذي نشرته في غرة
ربيع الأول سنة ١٣٣٧ — والمنشور الذي نشرته في ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٣٧)
والتصريح بغزوه لبلاذعسير بعد وفاة السيد محمد الإدريسي بالقوة الحربية
والفتح الهاشمي ولكننا نستغني عن إيراد النصوص في ذلك من أعداد جريدته
بالتصريح الأخير الذي بين فيه ما كان يكتمه من معنى الوحدة العربية عنده
وهو إخضاع جميع أمراء جزيرة العرب للملك وما يراه من تقسيم البلاد وإدارة
حكومتها بالقوة القاهرة، وهو الوثيقة الخامسة

﴿ الوثيقة الخامسة التفسير الرسمي للوحدة العربية ﴾

جاء في صدر العدد ٧٣٧ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة المكرمة في
٦ ربيع الآخر سنة ١٣٤٢ (بيان عام من اللجنة التنفيذية لمؤتمر الجزيرة)

بامضاء رئيس لجنتها التنفيذية (محمد بن علوي) جعل عنوانه (هذا بلاغ للناس) وذكر فيه أن اللجنة تشرفت بالمثل بين يدي الملك حسين للوقوف على ما وصلت اليه القضية العربية فصرح لها بأمور أهمها عندنا تفسيره للوحدة العربية التي ملا الدنيا تنويهاً بها وانخدع كثير من العرب الذين يصدقون دعايته بأنها هي التي تؤلف بين العرب وتوحد قوتهم — كما انخدعوا بمؤتمر الجزيرة الذي يستخذه في ذلك ، فتبين الآن من هذا التفسير ان هذه الوحدة عين الفرقة وانه لا غرض له من هذه الدعاية الا إذلال العرب والاستيلاء عليهم بقوة لا جانب الحامين له ، وطالما بين الناصحون العارفون هذا قولاً وكتابة — ولا سيما المنار — فارتاب في نصيحهم الخادعون والمخدعون وعدوه عداوة شخصية له ، حتى صدقهم الملك حسين نفسه ، وهذا نص تعريجه بحروفه :

« ان نهضتي عند ما آن أوانها الذي قضت به قدرته جل شأنه قبل خلق العالم وكرتنا بما فيها من موجوداتها قد رسمتها على الاساس الآتي وهو وحدة البلاد العربية واستقلالها بحيث تكون خارجيتها وعسكريتها وسياستها العامة واحدة ، أما داخليتها فالامارات المعروفة بجزيرة العرب تكون على ما كانت عليه قبل الحرب وان كل أمير في أي أمانة من هذه الامارات الموروثة لهم من آباءهم وأجدادهم يستقل بداخليته ضمن الحدود التي كانت عليها إمارته قبل الحرب بشرط أن يرتبط مع المجموع الذي كل من خرج عنه منهم أو شذ بانخروج عن الجامعة العربية يحكم عليه المجموع بمقتضى قوله تعالى : (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله) . وأما ما كان خارجاً عن حدود تلك الامارات سواء كانت تلك الامارات قائمة بذاتها ضمن حدودها أو طرأ عليها الاغتصاب كعسير قبل الحرب وابن رشيد بعد الهدنة فلا بد من عودتهم الى ما كانوا عليه كعودة

٥٦ تصريح الملك حسين بعزمه على إخضاع أمراء العرب المنار ج ١ م ٢٥

الامام يحيى الى صنعاء — فيكون أمراً (أي تلك المقاطعات — بما فيها الحجاز — الخارجة عن حدود تلك الامارات) منوطاً برأي عموم أهاليها يعينون رياساتها وكيفية تشكيلاتها واداراتها بالشكل الذي يستنبونه بشرط المحافظة على الوحدة والارتباط وهي القاعدة التي ذكرتها آنفاً « (وهنا تبرأ مما هو محسوس ومشهود من تهالكه على طلب الرياسة له ولا بنائه ثم قال) :

« واني أمقت التداخل الاجنبي وسياسة الاغتصاب والاعتداء في داخلية الجزيرة مما هو مشهود من اغتصاب بعض الامراء لامارة اخوانه فاني أجده من أكبر الفظائع أمام حسياني المذكورة إذ أن النهضة ومؤسساتها هي لحفظ حقوق الجميع، وليست لتمييز فريق على فريق (الى أن قال بصدده هذا الاعتداء الذي سماه أجنبياً) :

« ولذلك فهذه هي الخطة التي عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله من الآمنين . لذا فلا بد من إعادة آل رشيد وآل عايض الى أمارتهم وحدودهم وقبائلهم التي كانوا عليها ، إعادة كل أمين من أمراء الجزيرة الى ما كان عليه قبل الحرب

واني لثابت (بقدره الله تعالى) على هذا الحس والشعور أمام التجاوزات الاجنبية اذا أصر أربابها على مطامعهم الحاضرة المخالفة لمقرراتهم (الصواب لمقرراتنا) التي تأسست عليها النهضة والمخالفة لكل عدل حتى لما جاهروا به من بعد ومن قبل . هذا الذي أدين الله عليه ولو لم تبق الا ذاتي وحياتي لا نفقت في هذا السبيل لا أريد بذلك جزاء ولا شكوراً الا خدمة العرب خاصة والاسلام عامة والاعمال بالانيات (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) هـ هـ

هذا نص ألفاظ الملك حسين حتى إننا لم نصحح كلمة « لمقرراتهم التي تأسست عليها النهضة » مع القطع بأن لفظ لمقرراتهم غلط من المطبعة أو سبق لسان أو قلم منه لأن « مقررات النهضة » له لالا ولثك الا جانب في عرفه وهم أمراء العربية . ويتلخص هذا التصريح بالامور الآتية

(١) جعل جميع البلاد العربية (وهو يسمى نفسه ملكها) دولة واحدة تكون سياستها الخارجية وعسكريتها وادارتها العامة واحدة

(٢) تغيير شكل إمارات جزيرة العرب الحاضرة بانزاع بلاد حائل وعشائر شمر من سلطنة نجد واعادتها الى آل الرشيد — وانزاع بلاد عسير التي كانت لآل طايض من سلطنة نجد وامارة الادريسي واعادتها اليهم — وانزاع اقليم الحديدة من الادريسي وجميع ما بيد الامام يحيى مما كان للدولة العثمانية من بلاد اليمن واستشارة أهل هذه البلاد كالحجاز في شكل الادارة التي يحبون ان تكون في بلادهم واختيار رؤسائها في ظل وحدته

(٣) اعطاء امارات الجزيرة الموجودة الموروثة حق الادارة الداخلية بشرط الخضوع لملك العرب العام واتباعه في السياسة الخارجية والعسكرية والادارة العامة

(٤) ان من يأبى الخضوع لما تقدم يعد خارجا عن أمر الله وحدود دينه فيقاتل قتالا دينيا حتى يرجع الى أمر الله (يعنى امره هو بما ذكر اذ لم يأمر الله بذلك) (٥) ان هذه الوحدة بهذه الصورة الدينية مبنية على مقررات النهضة المتضمنة لحماية الدولة البريطانية لجميع البلاد العربية

(٦) ان هذه السكيات الخمس عقيدة دينية للملك حسين يدين الله بها فلا يرجع هو ولا أولاده عنها ولولم تبق الاذاته وحياته لا تفقها في سبيل تنفيذها ولا يخفى ان هذا التصريح الرسمي يتضمن جعل هذه الامارات كلها في حالة حرب معه ، فعلى أي قوة يعتمد في هذا ؟ وهل هو مغرور في اتكاله على نجابة «الحسيات البريطانيين» هذه المرة كما الخدع من قبل ومن بعد على ما نقل عنه المغرورون بأقواله ، أم هو على ثقة من انجاز وعدها له ؟ أم هو متكل على بعض أهل شرق الاردن وسورية وفلسطين الرازحين تحت أوزار الوصاية البريطانية (المنار: ج ١) «٨» (المجلد الخامس والعشرون)

والفرنسية بحيث لا يملكون من أمرهم شيئاً فيملكوا أن يعطوه قوة عربية يقاتل بها أهل نجد واليمن وتهامة ويخضعون لوحدة العربية ، أو قوة دينية بمبايعتهم إياه بالخلافة تخضع بها أمراء جزيرة العرب الثلاثة لامره وهيه معتمدون ان تلك المبايعة جعلته امامهم الشرعي؟

لقد كان أنصار الملك حسين وأولاده من مأجورين ومغرورين يزعمون انه هو الزعيم الوحيد الذي وجه عنايته للوحدة العربية التي لا رجاء في حياة الامة العربية وحفظ استقلالها بدونها على حين يتقاتل الامام يحيى والسيد الادريسي على حدود بلادهما طمعا في ربح كل من الآخر — ويقا تل السلطان ابن سعود الامير ابن الرشيد فيضم بلاده الي امارته ويعتدي أحيانا على حدود الحجاز (قالوا) فاذا كان الملك حسين هو الساعي الى الاتفاق الذي يجمع كلمة الجميع فيجب على كل عربي مخلص لامته ان يشد أزره ويجاهد تحت لوائه ويفقر له ما الم أو يلم به من سيئة بازاء هذه الحسنة الكبرى التي هي ام الحسنات ، ويؤاخذ اولئك الامراء حتى على الهفوة ، لانها تؤيد أكبر الكبائر وهي الفرقة وكان أهل البصرة من واضعي أساس الجامعة العربية وغيرهم يقولون لهؤلاء إننا كنا ظننا كما ظننتم أن الرجل يريد جمع كلمة العرب على أساس قاعدتنا الممقولة التي أظهر هو وأولاده الموافقة لنا عليها ، وهي تخالف أهل البلاد المستقلة المسلحة على حفظ الاستقلال ، والتعاون على عمران البلاد ، وتأليف مجلس تحكيم لحل مسائل الخلاف ، والتوسل بهذه الوحدة الحلقية ، الى الوحدة التامة التي سبقتهم الى مثلها الشعوب القوية. ثم علمنا بالاختيار الدقيق له ، والاطلاع على أسس نهضته ، أنه انما يسعى

لقتل الامة العربية وهدم استقلالها بمساعدة الدولة البريطانية على ضمها الى امبراطوريتها المرة على أن تجعله ملكا على البلاد كلها تحت وصايتها وحمايتها (كما تقدم في الوثائق السابقة) ومن امتناعه المرة بعد المرة عن اجابة مادعاه اليه مؤسسو الجامعة العربية من عقد التحالف مع أمراء الجزيرة على قاعدتهم التي ذكرت آنفا وكان من أعوانهم لديه على ذلك ولداه عبد الله وفيصل والشواهد والوثائق والدلائل على هذا كثيرة اشرنا الى بعضها في أول الكلام على هذه الجناية ، ولم يبق للاستدلال بها حاجة ، فقد قطعت جبهة قول كل خطيب * أقر الخصم وارتفع النزاع *

كان الملك حسين في أول العهد بالثورة يظهر لمؤسسي الجامعة العربية ودعاة وحدتها موافقتهم على رأيهم ويرجيء اجابة دعوتهم ويسوف فيها حتى لا يرتابوا فيه ويعرفلوا عمله على حين كان يصرح لمن يعتقد أنهم يخدمونه في اتفاهه مع الانكايز على استعباد الامة العربية قائلا: من هؤلاء الكلاب حتى اتفق معهم؟ اليوم يوجد في الدنيا ابن سعود وغدا لا يكون في الدنيا ابن سعود ، اليوم يوجد في اليمن امام مطاع ، في تهامة ادريسي مملك وغدا لا يبقى في البلاد غير ملك واحد وإمام واحد — أو ما هذا مآله كما نقله المنار الصادق مرارا — وكان المأجورون والمغرورون يكابرون وينتقدون ، وقد انقطعت اليوم جميع الالسنه الخادعة والمخدوعة التي كانت تكثر الانظ في تولية الرجل زعامة العرب وتسميته بملك العرب والبلاد العربية ، على تلك القاعدة الكاذبة الريائية

وقد صرحت إحدى جرائد هذا الحزب بخطته في هذه الايام في

سياق بث الدعوة لزيارته لأطراف سورية — وهي الجريدة التي يعبر عنها في جريدته (القبلة) بقوله « لسان حال أقوامنا » وهي تصدر في القدس بحاله وما يفيضها عليه ولده الامير عبد الله ومال الدولة البريطانية التي صرح أحد رجالها بأنهم جعلوها « مقطم فلسطين » فقد نشر صاحبها مقالة افتتاحية في العدد ٤٦٥ الذي صدر في ٢١ جمادى الاولى موضوعها (القضية العربية — جزيرة العرب ركنها وقوتها) تكلم فيها على صلابة أهل الجزيرة وقوتهم، وضعف أهل سورية والعراق وسهولة تغلب خصوم القضية العربية عليهم دون أهل الجزيرة

ثم بين أن « في الجزيرة ثلاث قوات يجب إحلالها محلها اللاتق بها من رعاية العرب واهتمامهم هي قوة سلطان نجد وقوة أمام اليمن (قال الكاتب) وكل منهما ارنجاعية متأخرة ، وقوة الحجاز وما يتبع الحجاز من البلاد كالعراق والشرق (١) ثم صرح بأن الحجاز دون نجد واليمن قوة عسكرية (قال) ولكنه يفوقهما بطشا واستعدادا اذا ألحقنا به الشرق والعراق فمرب سورية والعراق وفلسطين يميلون بمصلحتهم وتربيتهم واخلاقهم وصلتهم لتأييد ملك الحجاز في سعيه وعمله »

ثم ذكر أن الجزيرة صارت بعد خروج الترك منها تحت رحمة الحكومات الثلاث ، وان حكومة نجد توسعت بازاحة اماره ابن الرشيد وحكومة اليمن توسعت في الجنوب حتى حضر موت ، وان حكومة الحجاز

(١) من المعلوم قطعيا أن العراق وشرق الاردن غير تابعين للحجاز في شيء من امير الحكومة فالمراد أنهما تتبعاته في قتال أهل نجد واليمن وتذليلهما وهذا إنما يكون اذا أمرت به الحكومة البريطانية فهل جاء وقته عندها ؟

واقفة موقف المعارضة لكل منهما ولكنها لا تستطيع أن تعمل شيئاً لحاجتها الى تكوين الاتحاد العربي من الحجاز والشرق والعراق (قال) « ففي نجد وحدة مكونة وفي اليمن كذلك ، وأما الوحدة الثالثة أو الاتحاد الثالث فلا يزال في دور التكوين ولا يعلم أحد متى يتم وكيف يكون (قال) » والذي نراه هو أن حكومات هذا الاتحاد ستقف موقفاً صعباً أمام حكومتي الجزيرة في اليمن ونجد فلا هي تستطيع التغلب عليهما وارجاعهما عن مطامعها الى الحق والصواب ولا يوافقها القبول بما تم لانه يساعد على اختلال التوازن في الجزيرة وايجاد عهد حروب ومشاغبات فيها . وكل حكومة عربية (مستقلة) تنشأ في سورية أو العراق ولا تتشكل على دولة من الدول الاوربية تظل ضعيفة مهددة في حياتها الداخلية ما بقيت نجد في قلق ثائرة على كل ما نسميه نحن نظاماً وبقية اليمن في حالتها الحاضرة » اهـ

هذا بيان صحيح لما يقصده الملك حسين من الوحدة العربية لضرب العرب بالعرب واخضاعهم للاستعمار الاوربي الذي يظل مهدداً في العراق وسورية مادامت نجد واليمن قويتين وهذا سبب تحييد صاحب هذه الجريدة له وهو خادم الاجانب ليس مسلماً فيغار على الحرمين الشريفين ولا من عرق عربي فيغار على العرب وقد خانهم وغشهم رجال من أشهر بيوتاتهم . وانما الذي نخشاه ان يتخذ بعض أهل بلادنا السورية باسم الوحدة العربية الذي يميلون اليه ويريدون منه غير ما يريد الملك حسين . اما وقد ظهر لهم ما يريد فلان ينال من احد ذي قيمة منهم تأييداً ولا تفويضاً ولا مبايعة

لنسحق قوة العرب « بالاتكال على دولة أجنبية »

لم يبق بعد هذا التصريح الرسمي مجال لحزب مذبذب يخدع الناس بقول الملك حسين باستقلال العرب والوحدة العربية ، بل أصبحت الامة العربية حزبين لا ثالث لهما : حزب الجامعة العربية الذي يسعى للوحدة العربية من طريق عقد التحالف والتأليف بين الامراء باقرار كل منهم في بلاده لوقاية البلاد من المطامع الاستعمارية الغربية والتمهيد للانحداد الاختياري مع التعاون الودي بين العرب وسائر الشعوب الشرقية ، والحزب الشريفني الاستعماري الذي يسعى لا رغام جميع أمراء العرب بالقوة الحربية على التبعية « لملك العرب » بتسليمه أزمة السياسة الخارجية والقوى العسكرية والادارة العامة ، في ظل السيادة والوصاية البريطانية

ومن المعلوم بالضرورة لجميع المشتغلين بالسياسة وأولي الإلمام بمجال البلاد العربية أن الملك حسين الذي وضع هذه الخطة من اليوم الاول الذي تصدى فيه لمسألة العربية لا يملك القوة التي يرغب بها أمراء جزيرة العرب عليها وأنه ليس أمامه قوة يعتمد عليها الا قوة الدولة البريطانية وأنه لاجل هذا جعل ما يسميه النهضة العربية مبنيا على أساس الخضوع للسيادة والوصاية البريطانية ، فلاجل هذا سميناهذا الحزب « الشريفني الاستعماري » ويصح أن يسمى البريطاني أي الذي يسعى من حيث يدري زعماءه ويجهل دهماؤه الى جعل الحجاز وسائر جزيرة العرب كالعراق وفلسطين وشرق الاردن تحت الوصاية البريطانية ، ويتبع ذلك بقاء سائر سورية تحت الوصاية الفرنسية أيضا لاتفاق الدولتين على ذلك وعلى تسميته استقلالا (له بقية)

تحديد سن الزواج بتشريع مانوي

صدر في أوائل هذا الشهر قانون مصري حددت فيه سن الزواج للذكر بثمانى عشرة سنة وللأنثى بست عشرة سنة ومنع فيها سماع القضاة أية دعوى زوجية تقل فيها سن أحد الزوجين عن هذا الحد مطلقاً أي وإن كانا بالغين رشيدين

وقد بني هذا التشريع على قول فقهاء الحنفية بجواز تخصيص القضاء في الزمان والمكان ونوع الأحكام بفتوى من مفتى الديار المصرية وشيخ الجامع الأزهر ، فاضطرب القطر المصري بهذا القانون أي اضطراب : أنكره جمهور فقهاء الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية فيما يظهر لنا من كلامهم ومن المقالات التي نشرت في الجرائد ، وحسنه وانتصر له الشيخ محمد الخضري بك فرد عليه بعضهم ، وقد سألنا كثير من الفضلاء عن رأينا فيه فبيننا لهم أهم ما فيه من المفاسد الراجحة ، وما قصد به من المصلحة المرجوحة ، وكون الحكومة العثمانية قد سبقت الحكومة المصرية الى مثل هذا التحديد منذ بضع سنين فوضعت في مشروع قانون سموه (قرار حقوق العائلة في النكاح المدني والطلاق) وصدرت ارادة السلطان محمد رشاد في ٨ المحرم سنة ١٣٣٦ بأن يعمل به على أن يكلف المجلس العمومى (أي المبعوثين والاعيان) جعله قانونا

وذكرت لهم أن ما وضعه العثمانيون خير مما وضعت الحكومة المصرية وأضمن للمصلحة وأبعد عن المفاسد الكثيرة التي يستلزمها القانون

المصري ومنها ما هو محرم بالنص والاجماع ، وذ كرت لهم بعض المسائل وضربت لهم الامثال

وقد تكرر الاقتراح علي بان أكتب ما أراه في ذلك فرأيت أن أبدأ بما وضعته الحكومة العثمانية وهو ما جاء في اللائحة التي جعلت مقدمة لمشروع القانون المذكور مدينة لاسباب الموجبة له وهذه ترجمته بالعربية:

﴿ أهلية النكاح ﴾

« يرى الامام أبو يوسف والامام محمد رحمهما الله أن الذكور والاناث اذا وصلوا الى الخامسة عشرة من سني حياتهم ولم تظهر عليهم آثار البلوغ يعدون بالغين حكما بناء على الغالب والشائع وتكون عقودهم معتبرة وكذلك الامام مالك والامام الشافعي والامام احمد رحمهم الله تعالى كلهم رأوا ذلك وقد بنيت المادتان ٩٨٦ و ٩٨٧ من المجلة على قول هؤلاء

« نعم أن الذين يبلغون الخامسة عشرة من سني حياتهم يكونون في الاكثر بالغين ، وقد يوجد فيهم من هم غير بالغين بالفعل ، أي إن قواهم البدنية لم تكمل بعد ، فجعل هؤلاء تابعين للاكثرية ومنحهم حقوقا لا يقدرون على تحملها يستلزم تحميلهم وظائف ومقابل تلك الحقوق تؤدي في العاقبة الى ضررهم . واذا علمنا أن الشرع الشريف مع أنه اعتبر الخامسة عشرة غاية البلوغ لم يستعمل في اعطاء الصغير ماله عند بلوغه بل منعه من التصرف فيه الى أن تظهر عليه علامات الرشد والساداد نعلم أنه يتأني في تحميل الصغير حقوقا ووظائف . والنكاح لا يقاس على المال لانه الرابطة تتكون الاسر التي هي أجزاء الجمعية البشرية . وكلما كانت الافراد التي تتألف منها الاسرة تقدر حقوقا وواجبات حق قدرها تكون الاسرة التي تتألف منها قوية ويكون ارتباطها مع الاسر الاخرى صميميا ومتينا فاعتبار الصغير بالغين حكما لمجرد إكمالهم الخامسة عشرة ومنحهم حق الزواج

يستفاد منه انه لم ينظر الى النكاح بالعناية اللائقة به .

والذي يستدعي مزيد الرحمة في هذه المسألة هو حالة البنات اذ من المعلوم أن الزوج والزوجة هما مشتركان في تأليف الاسر (البيوت) وادارتها ففي السن التي يكون الاطفال فيها معذورين باضاعة أوقاتهم باللعب في الاذقة تكون البنت في مثلها مشغولة بأداء وظيفة من أثقل الوظائف في نظر الجمعية البشرية وهي كوها والدة ومديرة أمور أسرة . وان صيرورة بنت مسكينة لم يكمل نموها البدني (أما) بضعف أعصابها الى آخر العمر ويكسبها عللا مختلفة ويكون الولد الذي تلده ضاروبا (ضعيفا هزيلا) مغلوبا المزاج العصبي وذلك من جملة اسباب تدلي العنصر الاسلامي على أن ابن عباس رضي الله عنهما وتابعيه يقولون إن سن البلوغ هي الثامنة عشرة كما أن بعض أجلة الفقهاء يذهبون الى أنها الثانية والعشرون بل يوجد بينهم من يقول إنها الخامسة والعشرون . والامام الاعظم رحمه الله قد اعتمد تمام الثامنة عشرة نهاية لسن البلوغ في الذكور وتمام السابعة عشرة نهاية لسن البلوغ في الاناث احتياطاً وتبعاً لابن عباس رضي الله عنهما ، لذلك قبل قول الامام المشار اليه هذا في النكاح ووضعت المادة الرابعة (١) على هذا الاساس منعا لهذه الاحوال التي هي من أعظم مصائب مما سكتنا . (وهذا نصها)

المادة ٤ — يشترط في أهلية النكاح أن يكون الخاطب في سن الثامنة عشرة فأكثر والمخطوبة في سن السابعة عشرة فأكثر .

وقد قبل قول الامام محمد رضي الله عنه باشتراط رضا الولي في نكاح المراهقة التي تدعى انها بالغة وتريد أن تزوج نفسها من آخر ، وعليق الاذن لها بالزواج على اجازة الولي ، وقوله باعطاء الحاكم حق النظر في تحمل المراهق والمراهقة المدين يريدان التزوج ويدعيان أنهما بالغان أو عدم تحملهما للزواج ، كما قرر ذلك

(١) المنار : رأينا أن نذكر المواد المتعلقة بموضوعنا عند ذكرها في أثناء هذه المقدمة لتفهم مقرونة بالمدارك الفقهية المستندة اليها

(المنار : ج ١) (٩) (المجلد الخامس والعشرون)

جميع الائمة رضوان الله عليهم، و بنيت المادتان الخامسة والسادسة على هذا الاساس (وهذا نصهما)

المادة ٥ — اذا ادعى المراهق الذي لم يتم الثامنة عشرة من عمره البلوغ فملاحا كم أن يأذن له بالزواج اذا كانت هيأته محتملة .

المادة ٦ — اذا ادعت المراهقة التي لم تتم السابعة عشرة من عمرها البلوغ فملاحا كم الشرعي أن يأذن لها بالزواج اذا كانت هيأتها أيضا محتملة ووليها اذن بذلك .

تزويج الصغير والصغيرة

ان الائمة الاربعة رضوان الله عليهم أجازوا لولي تزويج الصغير والصغيرة ولذلك كانت المعاملة حتى الآن جارية على هذا الوجه لكن تبدل الاحوال في زماننا قد اقتضى العمل بأصول أخرى في هذا الباب

إن أول وظيفة تترتب على الابوين في كل زمان وخاصة هذا الزمان الذي اشتد فيه التنارع في شؤون الحياة هي تعليمهم وتربيتهم وايصالهم الى حالة تكفل لهم الظفر في معترك الحياة وتمكينهم من تأليف أسرة منتظمة ولكن الآباء عندنا في الغالب يهتمون أمر تعليم أولادهم وتربيتهم ويخطبون لهم الزوجات وهم في المهد بقصد أن يسروا بهم أو يكسبوهم ميراثا وفي النتيجة يزوج اولئك النعساء قبل ان يروا شيئا من الدنيا وتكون اعراسهم أساس مصائبهم الآتية

إن أكثر البيوت التي يؤتمرها أمثال هؤلاء الاولاد الذين لم يدرسوا في مدرسة ولا تعلموا كلمة واحدة من أمور دينهم فضلا عن عدم تعلمهم قراءة لغتهم وكتابتها يحكم عليها بالتفريق من أول شهور الزفاف كالجنين الذي يولد ميتا . وهذا احد الاسباب في وهن أساس البيوت عندنا ، ولا يعرف مقدار الدعاوي المتولدة من مثل هذه الانسحة الا بالنظر في سجلات المحاكم الشرعية والرجوع

الى أبواب الكتب الفقهية وفصولها المتعلقة بتزويج الاب والجد صغيرهما وتزويج غير الاب والجد من الاولياء الصغير، وما اعطي للصغير والصغيرة من حق الخيار عند البلوغ اذا كان المزوج غير الاب والجد .

على ان ابن شبرمة وابا بكر الاصم رحمهما الله يقولان بأن الولاية على الصغار مبنية على منافعهم، وفي الاحوال التي لا يحتاج فيها اليها كقبول التبرعات مثلاً لا يكون لاحد فيها حق الولاية عليهم . وتزويجهم ليس فيه من فائدة لا طبعاً ولا شرعاً نظراً لعدم احتياجهم اليه ، لذلك لا يجوز تزويجهم قبل البلوغ من قبل احد البتة . وقالوا ان النكاح ليس بشيء مؤقت بل هو عقد يدوم مادامت الحياة فاذا جعل النكاح الذي يعقده اولياء الصغار نافذا عليهم فان آثاره وأحكامه تستمر بعد بلوغهم أيضاً في حين أنه لا يجوز لاحد أن يقوم بعمل يسلب منهم حرية التصرف بعد البلوغ . وحيث إن التجارب المؤلمة المستمرة منذ عصور قديمت قد أيدت قول الامامين المشار اليهما فتد قبل رأيهما في هذه المسألة ووضعت المادة السابعة على هذا الوجه (وهذا نصها)

المادة ٧ — لا يجوز لاحد أن يزوج الصغير الذي لم يتم الثانية عشرة من عمره ولا الصغيرة التي لم تتم التاسعة من عمرها

تزويج الكبيرة نفسها

إن الكبيرة قادرة على تزويج نفسها بناء على المذهب المختار وإنما للولي حق الاعتراض في أحوال محدودة . على أن إزالة أمثال تلك العوارض قبل النكاح أولى من فسخه بعد تسكين الأسرة باعتراض الولي وأوفق لمصلحة الطرفين . وفي المذهب المالكي أن الكبيرة اذا رفعت أمرها الى الحاكم تطالب بتزويج نفسها من آخر فليبه أن يتعرف حالها من الجيران ، واذا كان وليها موجوداً يأخذ رأيه في ذلك ، فاذا رأى أن الاعتراضات التي يوردها الولي غير واردة يعين وكيله لتزويج تلك البنت . وفي الحقيقة أن اخبار الولي واستطلاع رأيه على هذه الصورة

يدفع المحذور المذكور، ولذلك استحسن إخبار الولي عند مراجعة الكبير الحاكم لأجل الاذن ووضعت المادة الثامنة على هذا الأساس (وهذا نصها)

المادة ٨ — إذا راجعت الكبيرة التي لم تتم السابعة عشرة الحاكم بقصد الزواج بشخص يخبر الحاكم وإيها بذلك فإذا لم يعترض الولي أو كان اعترضه غير وارد يأذن لها بالزواج .

١ المنار) هذه ما قرره الحكومة العثمانية في المسألة كما تقدم في فاتحة هذا البحث ، وورد في الصحف أن حكومة أنقرة التركية عادت إلى البحث في هذا القانون وأبقت المواد التي ذكرناها على ما كانت عليه

وأما الحكومة المصرية فقد أصدرت ثلاث مواد قانونية حددت فيها سن الزواج بمثل الباعث الذي بعثت الحكومة العثمانية إلى تحديد لها ولكنها زادت على ذلك منع سماع أي دعوى تتعلق بالزوجية إذا كانت سن الزوجين دون ما حددته إلا بأمر خاص من الملك فكان هذا مثار القيل والقال والانكار من رجال الشرع كما تقدم ، وهما نحن أولاء ننشر نص هذه المواد ونص المذكرة التي وضعها بعض رجال المحاكم الشرعية في مدركها الشرعي ووافق عليه مفتي الديار المصرية وشيخ الجامع الأزهر . ثم نقفي على ذلك بما ينبغي بيانه في الموضوع :

﴿ نص قانون الزواج (رقم ٥٦) ﴾

الذي وضعته الحكومة المصرية

المادة الأولى — يضاف على المادة ١٠١ من القانون نمرة ٣١ سنة ١٩١٠
فقرة رابعة نصها :

« ولا تسمع دعوى الزوجية إذا كانت سن الزوجة تقل عن ست عشرة سنة وسن الزوج تقل عن ثماني عشرة سنة وقت العقد إلا بأمرنا »

المادة الثانية — يضاف على المادة ٣٦٦ من القانون سالف الذكر فقرة ثانية نصها :

« ولا يجوز مباشرة عقد الزواج ولا المصادقة على زواج مسند الى ما قبل العمل بهذا القانون ما لم تكن سن الزوجة ست عشرة سنة وسن الزوج ثمانى عشرة سنة وقت العقد »

المادة الثالثة - على وزير الحقاية تنفيذ هذا القانون ويسري العمل به بعد ثلاثين يوما من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية (*)

﴿ صورة المذكرة الملحقة بهذا القانون ﴾

مما اتفقت عليه كلمة علماء الفقه الاسلامي أن الصغير والصغيرة غير العاقلين اذا باشرا عقد الزواج فالعقد باطل لا يقبل الاجازة لا من وليهما ولا منهما بعد البلوغ . وهذا من بديهيات التشريع لان أي عقد سواء كان عقد زواج أم غيره يعتمد فهم المقصود منه فما لم يكن متوليه من أهل الفهم فهو عمل لغو وعيب كذلك مما اتفقت عليه علماء الحنفية أنه بعد بلوغ الصغير والصغيرة ليس لاحد ولاية اجبار عليهما في عقد الزواج لان البلوغ آية الرشد واستكمال العقل وقد كانت الولاية عليهما لضرورة قصورهما عن الاهتداء الى الصالح في شؤونهما وبالبلوغ زال هذا القصور فيزول ما كان لضرورته

وقد اختلف علماء الفقه الاسلامي في صحة عقدهما اذا بلغا سن التمييز قبل أن يبلغا الحلم فمنهم من يرى صحة العقد موقوفا نفاذه على اجازة الولي ومنهم من يرى بطلانه وعدم توقفه كما اذا عقدا غير مميزين . وقال بالاول علماء الحنفية وقال بالثاني علماء الشافعية

واختلفوا أيضا في صحة تولي الولي عقد زواجهما جبرا عليهما قبل البلوغ فمنهم من قال بصحته وعم في الولي الذي له هذا الحق فجعله العاصب بترتيب الارث بل زاد بعضهم باقي الاقارب ومنهم من قصره على الاب والجد ومنهم من قصره على الاب فقط . وبعضهم قال بعدم صحة تولي العقد جبرا عليهما من أي شخص كان مستدلا بقوله تعالى (وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح)

(*) نشر في عدد ١٢٣ منها الذي صدر في ١٩ جمادى الاولى (٢٧ دسمبر)

فجعل حد بلوغ النكاح هو ما به يصلح لتولي شؤون أمواله وهو ما اذا وصل الى سن البلوغ رشيداً — وبقوله صلى الله عليه وسلم « لا تنكح اليتيمة حتى تستأمر » واليتيمة هي القاصرة عن درجة البلوغ بدليل قوله عليه الصلاة والسلام « لا يتم بعد الحلم » فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن نكاح اليتيمة ومد النهر الى استثمارها ولا تصالح لان تستأمر الا بعد البلوغ فكأنه قال حتى تبلغ

والبلوغ امارات كثيرة أضبطها السن وأقصى الأقوال في تقديره أنه سن ثماني عشرة سنة وقد أخذ بهذا القول في الولاية المالية ولذا حددت سن الرشد فيه ببلوغ السن المذكورة

من هذا يعلم أن لبعض علماء الشريعة الاسلامية قولاً بأنه لا ولاية اجبار على الصغير والصغيرة لاحد في عقد الزواج وأن سن البلوغ أقصاه ثماني عشرة سنة ومن حيث إن عقد الزواج له من الاهمية في الحالة الاجتماعية منزلة عظيمة من جهة سعادة المعيشة المنزلية أو شقاؤها والعناية بالنسل أو إهماله وقد تطورت الحالة المتبعة بحيث أصبحت تتطلب المعيشة المنزلية استعداداً كبيراً لحسن القيام بها ولا يستأهل الزوج والزوجة لذلك غالباً قبل سن الرشد المالي فمن المصلحة الواضحة منع الزواج قبله لانه اذا كان لا يباح لهما قبل بلوغ سن الرشد المالي أن يتصرفا فيما قيمته دراهم معدودة مع أن الضرر المنظور محدود وغير ملازم للحياة فلأن لا يباح لهما التصرف في أنفسهما بعقد الزواج وآثاره ان خيراً وإن شراً قد لا تزول طول حياتهما أولى وأوجه

كذلك لما كان عقد الزواج يرجع الامر فيه أولاً الى الزوجين وهما اللذان يتأثران بنتائجه مباشرة فلما أن يكونا به سعيدين وإما أن يكونا به شقيين فإن الواجب أن يكون الخيار اليهما فيه ونراعى ارادتهما قبل كل ارادة وليس لارادة غيرهما الا حق النصيح والمشورة بحيث لا تعوقانها عما يريان المصلحة لهما فيه وكان من اللازم أن يناط سن الزواج بسن الرشد المالي بالنسبة لكل من الزوجين ولكن لما كانت بنية الاثني تستحكم وتقوى قبل استحكام بنية الصبي

وما يلزم لتأهل البنت لمعيشة الزوجية يتدارك في زمن أقل مما يلزم للصبي، كان من المناسب أن يناط سن زواج الانثى ببلوغ ست عشرة سنة والصبي ببلوغ ثماني عشرة سنة هذا الى أن المنصوص عليه شرعا ان لولي الامر ولاية تخصيص القضاء بالزمان والمكان والحادثة فله أن يولي القضاء في زمن معين دون غيره وفي مكان معين دون غيره وفي نوع من المسائل دون غيرها حتى لو قضى القاضي فيما لم يوكل أمره اليه كان قضاؤه باطلا . وله أيضا أن يأمر بسماع الدعوى فيما منع سماعها فيه وقد تدعو الضرورة الى ذلك

ومن حيث أن المصلحة واضحة فيما ذكر لما بيناه فلا مانع شرعا من أن يضاف على المادة ١٠١ من القانون نمرة ٣١ سنة ١٩١٠ فقرة رابعة نصها :

« ولا تسمع دعوى الزوجية اذا كانت سن الزوجة تقل عن ست عشرة سنة وسن الزوج تقل عن ثماني عشرة سنة وقت العقد الا بأمر منا »

و يضاف على المادة ٣٦٦ من القانون سالف الذكر فقرة ثانية نصها :

« ولا يجوز مباشرة عقد الزواج ولا المصادقة على زواج مسند الى ما قبل العمل بهذا القانون ما لم تكن سن الزوجة ست عشرة سنة وسن الزوج ثماني عشرة سنة وقت العقد » ومرفق بهذا مشروع التعديل المنوه عنه

عبد السلام علي	طه حبيب	عبد المجيد سليم
مفتش المحاكم	نائب محكمة بني سويف	نائب محكمة مصر
الشرعية	الشرعية	الشرعية

أوافق على أن مذهب الحنفية لا يمنع من ذلك لما نص عليه من أن القضاء يتخصص بالزمان والمكان والحادثة

عبد الرحمن قراعة

مفتي الديار المصرية

اطلعت على بعض كتب الحنفية فرأيت فيها ان لولي الامر تخصيص القضاء بالزمان والمكان والحادثة

محمد أبو الفضل

شيخ الجامع الازهر

(أطلب النقد في الجزء الآتي)

منشور في المهور

من المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى (في القدس)
الى حضرات القضاة والمفتين والخطباء والمدرسين ومأذوني عقود الانكحة
والمسلمين عامة في فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

(ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل
بينكم مودة ورحمة)

لما كان بقاء هذا العالم متوقفا على التناسل بالزواج الشرعي الذي يتكون منه
الاسرة والامم ، وتتقوى بفضلها أواصر المودة والقربى بين الناس ، وكانت الامم
التي لا تستن بسنته ، ولا تسير على منهاجه قليلة النسل ، معرضة لخطر الانحطاط
والاضمحلال ، كان من أقدس الواجبات تسهيل الزواج وتقريب سبله على الطالبيين
ورفع الموانع التي تحول دونه أو تقلل منه .

ولسنا نفيض في فوائد الزواج ، فقد أقره الشرع والعقل والطبع ، واجتمع
فيه من الفضائل ما لم يجتمع في غيره من أحكام الشرع . قال بعض الفقهاء « ليس
لنا عبادة شرعت من عهد آدم الى الان ثم تستمر الا النكاح والايمان » وجاء
في الحديث الشريف « لارهبانية في الاسلام — وأنزوج النساء فمن رغب عن سنتي
فليس مني »

وفي الزواج صون الزوجين عن الفاحشة ، وحفظ لهما من الرزوح نحت
اعباء نفقات المعيشة الطائلة ، بما يرزقهما الله من الذرية الصالحة
ولم تشأ حكمة الشارع ان تجعل هذا الامر الخطير صعب المنال لا يستطيعه
الا اولو القوة واليسار من الناس ، بل مهدت لمن يرغب فيه كل سبيل ، وجعلته

بحيث يستطيعه كل من الاغنياء والفقراء، اذ انهما لم تشترط فيه سوى الكفاءة ورضاء الطرفين، وكلمتين خفيفتين على اللسان يتبادلها الزوجان (١) من ايجاب وقبول، وقد رت له شيئاً يسيراً سمته مهراً، وجعلت أقله عشرة دراهم فضة معجلة أو مؤجلة، واجتازته بلا تسمية شيء تسهلاً على الطالبين، وتيسيراً للراغبين. فقد جاء في صحيح البخاري انه عليه الصلاة والسلام قال لمن يريد الزواج ولا يجد ما ينفق « النمس ولو خاتماً من حديد » وقال لآخر « زوجتكها بما معك من القرآن » وقال بعض الأئمة « ان ما يجوز أن يكون ثمناً في البيع يجوز أن يكون مهراً ». والاغراق في المهر مكروه بدليل ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يمن المرأة تسهيل أمرها، وقلة صداقها » (٢) وقال عروة وأنا أقول من عندي: ومن شؤمها تعسير أمرها، وكثرة صداقها. وقالت أيضاً رضي الله عنها أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل امرأة على زوجها قبل أن يعطيها شيئاً (٣) وفي صحيح ابن ماجه: انه عليه السلام تزوج عائشة رضي الله عنها على متاع بيت قيمته خمسون درهماً وانه أولم على صنية بسويق وتمر. وعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالتا: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نجهز فاطمة حتى ندخلها على علي فعمدنا الى البيت ففرشناه تراباً ليناً من أعراض البطحاء ثم حشونا مرفقتين ليفاً فنقشناه بأيدينا ثم أطعمنا تمرأ وزبيبا وسقينا ماء عذبا، وعمدنا الى عود فعرضناه في جانب البيت

(١) المنار: أي بأفسيهما أو بالنيابة فذهب ابني حنيفة جواز تولي المرأة تزويج نفسها. وجمهور السلف والخلف ان الولي هو الذي يزوج المرأة ومن لا ولي لها يزوجه السلطان أو نائبه ولا تولي هي العمد بنفسها وفي المسألة تفصيل آخر (٢) : الحديث رواه احمد والحاكم والبيهقي بلفظ « ان من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رجمها » (٣) رواه ابو داود وابن ماجه وقال ابو داود على سكوته عنه كالمندري ان خيشمة — راويه عن عائشة — لم يسمع من عائشة. ومن رجال سنده شريك وفيه مقال. ومعناه متفق عليه وهو جواز الدخول قبل اعطاء شيء من المهر اذا رضيت المرأة ولها ان تمتنع حتى تأخذ المأجل منه

ليلقي عليه الثوب ويعلق عليه السقاء فارأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة رضي الله عنها
وقال عمر رضي الله عنه لا تغالوا في صدق النساء فانه لو كانت مكرمة في الدنيا
أو تقوى عند الله كان أولاً كم واحقكم بها محمد صلى الله عليه وسلم
ولم يزل أمر الزواج من السهولة على ما وصفنا الى أن تبدلت الحال فأفرط
الناس في المهور ، وغلوا في النفقات ، ووقعوا في الاسراف الممقوت ، والتبذير
المنهي عنه ، فقلل الزواج والنسل ، وكثر الفجور والفحش ، وفسدت الاخلاق ،
وهنت الاجسام ، وضعفت العقول ، الى غير ذلك مما يسبب انحطاط الامة وتدهورها
في هاربة الشقاء والبؤس والعياذ بالله

وقد الفت هذا الامر نظر الحكومة العثمانية في الماضي ، ففكرت في سوء
حاقبة هذا الاسراف في المهر والجهاز وتوابعه ، والولائم المتخذة فيه ، واهتمت له
اهتماماً لا تقا به ، فبيّنت محاذيره وما ينجم عن توالي محنه وتتابع نكباته ، ورأت ان
اجتثاث جذور هذه العادة من بلادها أعظم واجب يكون فيه الخير ، فأصدرت
الاعلان المنشور في الجزء الاول من الدستور « صحيفة ٤٩٤ » ذكرت فيه
ما حاق بالناس من شر الاسراف والتبذير في المهور ، والولائم المتخذة في الاعراس
وحرمان الكثيرين رجالاً ونساء بسبب ذلك من الزواج ، وبقاء من تزوج
منهم رازحات تحت اعباء الديون ، واضطرار المحرومين منه الى الوقوع في الجنايات
الجسيمة ، وزجهم في أعماق السجون ، وارتكاب المتيات عار الفرار ، وغيره
مما مزق حجاب صونهم وعفافهم ، وجر الويلات على عائلاتهم ، وادام الامراض
الفتاكة فيهم ، ورعى الامة بالنقص في النفوس والثمرات — الى آخر ما جاء فيه
وقد قسمت الناس اربعة اقسام قدرت للفريق الاول « ١٠٠٠ » قرش
والثاني « ٥٠٠ » قرش والثالث « ١٠٠ » ولم تقدر للرابع شيئاً . واسهبت في
بيان وتحديد ما يجب اتخاذه من الاطعمة والاكسية وغيرها ، وقضت على كل من
لم ياتم بأحكام هذا الاعلان بالعقاب الزاجر ، والجزاء العادل . ولم يشغها مادم
من الحروب الاخيرة عن هذا الامر ، بل ظلت مثابرة في عملها ، وتنفيذ رغبتها ،
وسنت من عهد قريب قانوناً آخر منعت فيه التبذير والاسراف في الزواج

وتوابعه لاعمار بلادها ، وتكثير النسل واعداد الرجال ، وقسمت فيه الناس
ثلاثة أقسام ، وأمرت بأن لا يزيد الفريق الاول في المهر على « ٥٠٠٠ » قرش والثاني
على « ٢٥٠٠ » قرش والثالث على « ٥٠٠ » قرش ، ومنعت كل ما فيه اتلاف الاموال ،
وتيسير أمر الزواج - الى آخر ما جاء فيه من المنافع الحيوية المادية والمعنوية
ولما رأى المجلس الاسلامي الاعلى تفاقم هذا الامر وعدم وقوفه عند حد ،
وتحقق انه ان دام انهماك هؤلاء المبذرين الذين كانوا اخوان الشياطين في
جر الويلات على أفراد الامة مما يتدعونه ويتفنون به من بذل المهور الطائلة ،
وتوطيد دعائم هذه البدع السيئة ، ابتغاء الفخر الكاذب ، والزهو الباطل ،
تضمحل الامة وتسقط في أدنى دركات الانحطاط والشقاء . لذلك عقد النية على
تطبيق أحكام ذلك الاعلان ، فقرر تبليغ القضاة والمفتين الكرام وما ذوتي النكاح
بأن يطلعوا على ذلك المنشور والقانون المذكور ويتبعوا أحسن ما جاء فيهما
جهد المستطاع ، و بالصورة الممكنة ، وان يشكل في البلاد لجان من مفتيها
وقاضيا وأهل الدين والزعامة فيها ، لتكليف المدرسين والوعاظ والخطباء وأهل
الفضل حمل الناس على ما ذكر من الاعتدال في المهر ، والبعد عن الاسراف ،
وارشادهم الى تسهيل أمر الزواج ، وتخفيض المهور ، و بيان المنافع المتحققة من
ذلك ، وتعداد المضار والمفاسد الناجمة من عكسه ، الى آخر ما يفتحه الله عليهم
مما يسهل اتباع هذه السنة الحسنة والخير الاتم

والمجلس الاسلامي يرجو من الامة كلها ان تنظر في هذه القضية بعين الاعتبار والتدبر ،
وان تعمل على قمع مثل هذه البدع الممقوتة والمضرة في الدنيا والآخرة وان تسعى الى
الاصلاح ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، وفقنا الله لاتباع أوامره واجتناب نواهيه ،
وهدانا الله الى الصراط المستقيم (رئيس المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى)

محمد أمين الحسيني

(المنار) جم هذا المنشور في المطبعة منذ أشهر واضطررنا الى تأخير نشره

﴿ تقريظ المطبوعات الجديدة ﴾

(أساس البلاغة) لعلامة اللغة الشهير ، وامام البلاغة النحرير (محمود الزمخشري) أشهر من نار على علم ، ما زال العلماء يقتبسون من نوره منذ ظهر الى اليوم . وقد طبع في مصر مرتين طبعا غفلا من الضبط غير معتنى بتصحيحه ثم طبعته اخيرا ادارة دار الكتب المصرية بمطبعتها التي هي القسم الادبي من المطبعة الاميرية الشهيرة على ورق جيد بحروفها الجديدة الجميلة الخاصة بها — وعني بتصحيحه وضبط ما يخفى ضبطه على الدهماء بالشكل لجنة التصحيح فيها المؤلفة من أهل العلم والادب ، مستعينين على ذلك بنسخة علامة اللغة الاوحد في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي رحمه الله تعالى ، وجعلت نسخة القماش تجليداً حسناً ،

سر أهل العلم والادب وطلاب اللغة بهذه الطبعة الجميلة المتقنة وتقبلوها بقبول حسن وقرظها أصحاب الحرائد والمحلات وآثروا عليها ورغبوا فيها ، ولكنهم لم يبينوا موضوع الكتاب كما يجب الا من نقل ما قاله المصنف في خطبته ، وجعله أكثر من معاجم اللغة التي الفت لبيان معاني مفرداتها ، وظن بعضهم أن مزيته الوحيدة التفرقة بين الحقيقي والجازي منها ، والصواب أن الكتاب قد وضع لبيان الاستعمال الفصيح والاسلوب البليغ فيها ، وتصريف القول في أساليبها ومناحيها . ومنه الحقيقة والحاز والسكناية ، وهو قلما يفسر غريباً ، أو يشرح شاهداً ، لانه كتب للخوارج من أهل العلم والادب في عصر المؤلف رحمه الله تعالى أواخر القرن الخامس وأوائل السادس على أن هذه اللغة كانت قد دخلت في طور الضعف والتدلي وان كثرت التصنيفات في فنونها ، وما زالت تتدلى حتى صار يندر أن يوجد أحد من المشتغلين بها يفهم معاني صفحة واحدة من صفحات الأساس أو ما دون الصفحة من غير مراجعة معاجم اللغة للوقوف على معاني كثير من مفرداتها — فقل الانتفاع بالكتاب في زماننا لعسر المراجعة ولا سيما عند الحاجة للاستعمال ، لهذا كنت قد سميت الى طبعه ، واقتريت أن يفسر غريبه مع ضبطه ، وأن يزداد على مواده ما تشد الحاجة اليه من طرق الاستعمال التي تكثر في (لسان العرب) — وكذا (المصباح المنير) على اختصاره وخصوصيته . وكنت قبل ذلك بعشرين سنة أمني نفسي

بأن أجد سعة من الوقت أقوم فيه بهذا العمل وكانت الشواغل المألوفة منه
تزداد سنة بعد أخرى

يخيل إلي أن الذين يتوخون الانتفاع بهذا الكتاب فيما وضع له قليلون، وأنهم قلما
يعدون فئة الكتاب المتأقين، والادباء النقادين، وهو جدير بأن يوضع بين يدي كل
منشيء ومؤلف ومصصح ومرسل بهذه اللغة وكل طالب من طلاب الآداب
العربية، يرجع إليه كل منهم فيما يشتبه لديهم، ويتشابه عليهم، من أساليب الاستعمال،
وتعمدية الأفعال، ويأخذون عنه صوغ الجمل وأساليبها. ووضع المقررات في
مواضعها اللائقة بها، فهو الاستاذ المرشد إلى هذه المقاصد كلها، وما
أشد حاجة معلمي هذه اللغة ومتعلميها إليها

فثنى على إدارة دار الكتب المصرية الكبرى ونشكر لها عنايتها بطبعه
هذا الطبع الجميل، وضبطه هذا الضبط الدقيق، فالناظر فيه لا يكاد يقف
طرفه عند كلمة خفية، وقلما يعثر ذهنه بغلطة لغوية، كما ظهر لي مما راجعته فيه
صراراً اباحت لي أن أقول « قلما » وقد يكون ما عثرت به وهو قليل، مما
يحتمل الصحة أو التأويل، وأول كلمة عثرت بها في الجزء الأول قوله في
أواخر خطبة الكتاب « وحظي برس من علم البيان » ضبطت كلمة رس في الطبعتين
السابقتين بالسين المهملة، وفي الطبعة الجديدة بالمعجمة من رش الماء والمطر، ولأدري
أهي من خطأ المطبعة سها عنها المصححون أم ضبطت بالمعجمة في نسخة
الشنقيطي فاختاروها تبعاله وعهدي بهم غير مقلدين؟ والمتبار أن المعنى
بالمهملة أظهر بل هو المناسب للمقام وللجمعة التي قبل هذه؟ - الرس بالمهملة
والدرو معناها واحد كما صرح به في هذا الكتاب نفسه فقوله « وأصاب ذروا
من علم المعاني، وحظي برس من علم البيان » لا يختلف فيه معنى الجملة الأولى
عن الثانية، ولا يظهر فيه معنى الرش (بالمعجمة)، ولو تكلف له وجه لم
يجز ترجيحه على الرس

ومما يصح ذكره في هذا المقام ترجيح ضبط على آخر صحيح غير صريح
يظهر للتقاريء على ما تكرر في الكتاب من الجمع بين ضبطين في كثير من
الألفاظ. ومما رأيت من ذلك في أثناء كتابتي لهذا التقریظ - وسبق له أمثال
كلمة « خطف » ضبطت بفتح الطاء في الماضي وكسرها في المضارع من باب
ضرب، وهي لغة في هذا الفعل، وفيه لغة أخرى الكسر في الماضي والفتح

في المضارع من باب علم يعلم، وهي ما يسمعه الناس من حفاظ القرآن ويقرؤنه في المصاحف من قوله تعالى في سورة الصافات (الا من خطف الخطفة) وقوله في سورة الحج (فتخطفه الطير) وانما ذكرت هذا لتنبية من يراجع الكتاب لعدم اتخاذ ضبطه للكلمة حجة على تخطئة ضبط غيره من غير مراجعته، وثمن الجزئين معا مجلدان بالقماش خمسون قرشا صحيحا وهو ثمن بخس تجاه جودة الورق وجودة الطبع، ما كان ليرضى به احد يطبع الكتاب لاجل الاتجار به والربح منه، وادارة المكتبة المصرية الرسمية انما تبغى نشر العلم، لا طلب الربح. ﴿الدخيرة الاسلامية﴾ «مجلة دينية ادبية تصدر كل شهر مرة — لمنشئها احمد بن محمد السركتي الانصاري السوداني» تصدر في «ويلتفريدن جافا» من جزائر جافا (اوجاوه) الهولندية وقيمة الاشتراك فيها عن سنة في تلك الجزائر عشر روبيات وجنيه انكليزي ذهبي في غيرها

وصلت اليها الاجزاء الاولى من هذه المجلة في هذا الشهر - جمادى الاولى - (١) فنظرنا في فاتحة الجزء الاول منها فاذا هي تنبئنا انها اخت لمجلة لنا في خطتها الدينية، اذ ذكر اخواننا الفاضل منشئها ان الغرض منها بيان محاسن الدين، وشرح ما قد يشكل على ضعفاء طلبة العلم، وما قد يشقبه على من ليس له وقوف على حقائق الاسلام، وما قد يغض على الكثير من اسرار التزليل، مع تنبيه الغافل، وتنشيط العامل، واصلاح الفاسد، وسلوك خطة التيسير والتبشير، ومنه بيان الاحاديث المكذوبة والواهية المنشورة على السنن العوام وكتب القصاص والمنصوفة، ورد شبه المعاندين، وبيان محاسن الاسلام، وملاءمته لكل زمان ومكان، وحث المسلمين على الاخذ بأسباب الارتقاء ليكونوا حجة للاسلام ولا يكونوا حجة عايد كما هو شأنهم الغالب اليوم

وكل هذه المقاصد من بعض موضوعات المنار، التي يحتاج اليها في تلك البلاد الجاوية التي قل فيها العلم، وعم الجهل، وكثر الدجالون من المسلمين، والمهاجرون للاسلام من دعاة النصرانية، فعسى أن توفق لاتقان عملها، ويوفق المسلمون للاتقاع بها، ومن وسائل ذلك العمل بقوله تعالى (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) الآية

«١» كتب جل هذا الجزء في هذا الشهر ثم اضطررنا الى تاخيره الى ما بعده، وأخبرنا بعض ما كتب وجمع له

ملك الحجاز في اطراف سورية

كثر تساؤل الناس عن سبب زيارة ملك الحجاز لاطراف سورية في هذا الشتاء الشديد العواصف والبرد والثلج والبرد، والذي نراه استنتاجاً مما تقدمه وواطئاً عليه كل من ذكرناه له من الباحثين في سياسة البلاد العربية وغيرهم هو ما نجمله بالجمال الآتية

(١) ان مقتضى ماسماه السيد حسين بن علي «مقررات النهضة» التي هي اساس ثورته وحربه للدولة العثمانية مع الحلفاء هي أن تؤسس له الدولة البريطانية بقوتها وتحت حمايتها مملكة عربية تشغل جزيرة العرب وسورية كلها والعراق الا ما استثنى . ولكنه قضت وطرها منه ولم يقض وطره منها فظل يلح عليها بذلك من جهته والفلسطينيون يؤلفون الوفود ويرسلونها الى لندن للسمعي لالغاء عهد بلفور وتأليف حكومة عربية في فلسطين . يحتاج كل منهما بمقررات النهضة المذكورة (٢) حاولت الحكومة البريطانية إسكات السيد حسين والفلسطينيين بشيء يرضيهم مظهره الى أن يزول هذا الاضطراب السياسي والمالي وتستقر سلطتها العسكرية في البلاد العربية التي جعلتها تحت انتدابها من حدود مصر الى شط العرب وخليج فارس فلم توفق لذلك فان المعاهدة الاخيرة التي حملها اليه ناهي الاصيل فطار بها فرحاً وجعل يوم اعلانها عيداً للامة العربية بأسرها، قدر فضها الفلسطينيون . انكروها ولم يقدر على اقماعهم بها ولولا ماله من اليد البيضاء عند بعض زعمائهم وما يعلمه من حرص الانكليز على ارضائهم بشكل من أشكال الادارة مع بقاء الانتداب وعهد بلفور لا تقطعت الصلة بينه وبينهم بأيديهم أو بيده هو . ولكن ما ذكر الجأه الى الامساك عن التوقيع النهائي على المعاهدة او يرضى اهل فلسطين بها فأعرضت عنه الحكومة البريطانية ففهم أنها تعتقد أنه لم يبق له من النفوذ في البلاد العربية ما يمكنه من أداء أي خدمة لها تكافئه عليها فيما يأتي

(٣) علمت هذه الحكومة أن سلطان نجد قد وقف على دخائل سياستها العربية وتمهيداً لها السبل للتدخل في أحشاء جزيرة العرب مع الاحاطة بها من اطرافها فأنشأ يقاومها في ذلك ويقاوض فيه سائر زعماء العرب ما عدا خدمتها المتبجحين بالاحلاس لها وهم السيد حسين وأولاده حتى شتهر انه سمح لنوري باشا الشمال بالتقمع بمقاطعة (الجوف) التابعة لنجد بشرط منع الانكليز من جعلها طريقاً لمواصلاتها العسكرية

وغيرها بين سورية والعراق فاعتمد السيد حسين هذه الفرصة للاتفاق مع الانكليز على تمكينه من الاتفاق مع ولديه السيد عبد الله والسيد فيصل على جمع قوات البلاد التي يرأسون حكوماتها المناوأة ابن سعود وإضعافه باسم الوحدة العربية في مقابلة بذل تفوذه هولدي بعض رجال اللجنة التنفيذية مأوتمر فلسطين بالرضا بالانتداب البريطاني والامساك عن معارضته بشكل أطف من الشكل المبهم الذي رفضوه بالنص الاول للمعاهدة، وذلك بأن تسمى حكومة فلسطين وطنية ينتظم في سلكها بعض الزعماء وتعطى حق الانتظام في الوحدة العربية المبهمة في ضمن دائرة الانتداب البريطاني ويلطف تنفيذ عهد بلقور بألقاظ مرضية ، وتقييد موقت للهجرة الصهيونية ، لاجل هذا اتفق السيد حسين بن علي ألوف الجنيحات في التمهيد لهذه الزيارة بيت الدماية لها وسينفق أضعافها في أثناء مكثه في البلاد، ولاجله أكره أهل الحجاز على بذل ألوف الجنيحات لعمارة المسجد الأقصى على حين يتضور كثير من فقراء السادة الاشراف بمكة جوعاً وقد حرموا حقوقهم في وقف جدم أبي نمي حتى إننا علمنا من الثقات أن بعض نساءهم يتكفنن الناس في حنادس الظلمات وهن متنقيات

ولاجل هذا نجراً السيد حسين على التصريح بما كان يكتمه عن الجمهور من رأيه في الوحدة العربية وهو جعل جميع امراء الجزيرة تابعين له في السياسة الخارجية والعسكرية والادارة العامة ، ومن المعلوم المشهور ان كل واحد من ائمة الجزيرة الثلاثة يحبي وابن سعود والادريسي اقوى منه منفردا فكيف صرح بعداوتهم كلهم في وقت واحد ؟ كنا نقول منذ بضم سنين ان مراده من الوحدة العربية ان تكره الدولة البريطانية جميع قوى العرب له تحت حمايتها ، وكان الاغبياء في السياسة والمأجورون ينكرون ذلك علينا فماذا يقولون اليوم ؟ ومن الجلي أن ثروة السيد حسين الشخصية من ملك ووقف وما يبرزه من الحجاج لا يفي بمشار هذه التفقات التي يبذلها في عداوة سلطان نجد وحده والاستعداد لقتاله ، وكل ذي إمام بشؤون السياسة البريطانية الحجازية يعلم من ابن نجبيء هذه الاموال ، وسينجلي كل خفي للاغبياء الجاهلين ، ويظهر منتهى شوط الخادعين والمخدوعين ، الذين يملقون آمال أهل سورية وفلسطين بما يدعيه السيد حسين بن علي من العمل للوحدة العربية ، ورجو نيلها من وراء مفاوضته لدهاة الدولة البريطانية والسياسة الصهيونية . والمعاقبة للمتقين ولاعدان الاعلى الظالمين .



قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضربي « وضار » كسار الطريحي

٣٠ رجب ١٣٤٢ — ١٦ الحوت ١٣٠٣ هـ — ٦ فبراير ١٩٢٤

خطاب عام للمسلمين

— ٢ —

﴿ الجناية الثالثة : الظلم والاستبداد في الحرمين ﴾

ان استبداد الملك حسين وظلمه في الحجاز لا نعلم له نظيراً في حكومة وطنية من حكومات العالم في هذا العصر وإنما هو كحكم أشد المستعمرين للامم الضعيفة قسوة وطمعا في ابتزاز الاموال وإذلال الناس ، فأهل الحجاز في هذا العهد بائسون ذليلون ولا يتجرأ أحد منهم على الشكوى بقول ولا كتابة ، ونحن قد أمكننا الوقوف على كثير من الحقائق الآتية من بعض أهل البصرة والتحقيق من حجاج الموسم الاخير الذين لهم أصدقاء في الحجاز يثقون بهم ومما اختبروه بانفسهم على كثرة الجواسيس وحرص الملك على مراءات الحجاج ، وقد جاءتنا رسالة طويلة في وصف حالة الحجاز من أحد حجاج الموسم الماضي . جزائر الهند الشرقية فنلخص من هذا وذاك ما يتعلق بعرضنا بالايحاء ونجمله عدة اقسام

المظالم المالية

(١) كل ما يرد على مكة من الانعام ينتقي الملك كرائها وخيارها

لنفسه بواسطة سمسار له اسمه (ابراهيم) فيدفع ثمن الجمل الاعلى منها ٢٥ ريالاً مجيدياً (تساوي ١٢٠ قرشاً مصرياً) اذا كان الادنى يباع بخمسة وعشرين جنيهاً مصرياً — ويعطى ثمن الكبش الجيد بل الاجود ريالين مجيدين اذا كان الادنى منها يساوي عشرة ريالات

(٢) يأخذ مكساً على كل جمل ثلاثة ريالات مجيدية (٣٠ أو ٣٥ قرشاً مصرياً) وعلى كل ثور أو بقرة خمسين قرشاً مصرياً لانه لا يأخذ منها لنفسه كما يأخذ من الابل والغنم . هذا اذا كانت الابل والبقرة للعمل وأما اذا كانت للذبح فيأخذ عن كل رأس عشرة ريالات . ومن المعلوم أن الابل لا تذبح في الحجاز الا اذا هزات وتعدر الحمل عليها والسفر بها وان كان الحمل الهزيل الضعيف قلما يباع بأكثر من عشر ريالات وقد يباع بخمسة . ولكن الملك يأخذ عليه عشرة ريالات مهما يكن ثمنه الذي يبيع به فيضطر الجزار بذلك الى بيع لحمه غالياً وهو لا يأكله الا الفقراء فيكون الغبن عليهم

(٣) كل من يأتي مكة أو غيرها من بلاد الحجاز بشيء للبيع من خارجها ولو كان من البدو أو أهل القرى الحجازيين يجبر على أخذ ثمنه ريالات مجيدية وقروش عثمانية (مما يسمى في سورية متليك وفي الحجاز هلال) لان الذهب خاص بالملك ، وهذه السكة لا تروج عند الاعراب الذين يأتون بالماشية وغيرها الى مكة فيرغبون أن يشتروا بتمنها اقواناً أو أقمشة اعياهم ولكن الشراء من مكة محرم في شرع الملك الا برخصة من الديوان الهاشمي — ويمبر عنها بالفسح — وقد يتأخر صدور « الفسح » ولا سيما اذا كثرت طلبه حتى ينفق الغريب ما باع به (المنازع: ج ٢) (١٤) (المجلد الخامس والعشرون)

ويرجع الى عيه بغير شيء ولا سيما اذا كان ما باعه قليلا كالوقود والفاكهة (٤) يأخذ على كل صفيحة سمن خمسين قرشا مصريا ، وكان السمن الجيد يأتي من نجد وعسير فانقطع مجيئه من نجد وقل من عسير بسبب إجبار تجاره على أخذ ثمنه من النقد العثماني الذي لا يروج عندهم ، فصارت أقة السمن البحري الرديء المنغشوش تباع بثلاثة مجيديات وكانت الاقة من الجيد تباع بربع مجيدي الى نصف ريال اذا اشد الغلاء وأقة اللحم بريالين وكانت بقرشين - فاصبح أهل مكة في ضيق لم يعرفوا له نظير آالا في تلك الايام التي اتفق فيها سيدهم مع الانكايز على منع الاقوات عن الحجاز ليواتوه على الثورة

(٥) يأخذ عن كل بضاعة تأتي من البحر الى الحجاز ثلاثين في المائة من ثمنها الا الكماليات كالحرير فيأخذ منها خمسين في المائة وذلك بحسب أسعارها في سوق جده لا بحسب السعر الذي اشترت به ، وتترك الكلام في اقتراض الملا من تجار جدة ثلوف الجنيهات على أن توفي من المكوس التي تستحق عليهم ومطل ادارة المكس وتسويها لهم ، بعذر الحاجة الى المال ولا مشككي الا الى الله

(٦) أبطال جميع الافران التي للاهالي وفتح أفرانا لنفسه يعطيها الدقيق المختلط من عنده ويكره الناس على الشراء منها دون غيرها وهو يربح منها كل يوم أكثر من تسعين جنيها من مكة وجاء في رواية أخرى كتبها بعض الحجاج المصريين أنه يربح من أفرانه ثلاثمائة جنية في كل يوم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه » رواه البخاري في تاريخه وأبو داود وأشهر رواة التفسير المأثور من

حديث يعلى بن أمية . وفي لفظ من حديث ابن عمر مرفوعا « احتكار الطعام بمكة لحاد » رواه البيهقي في شعب الايمان . وروى سعيد بن منصور والبخاري في التاريخ أيضا وابن المنذر عن عمر بن الخطاب أنه قال : « احتكار الطعام بمكة الحد بظلم » روي عن ابن عباس أنه قال في تفسير الآية « تجارة الامير بمكة لحاد » فما بال المكوس ؟

(٧) جعل قيمة الجنيه سبعة ريالات مجيدية يفرم من يخالف ذلك بمبلغ من المال له ، لكنه يبيع الذهب للصيارف بالوف الجنيهات كل جنيه باثني عشر ريالاً ، ثم يجبرهم على إعطائه الجنيه بالسعر الرسمي وهو سبعة ريالات ، والتجار يرفعون الاثمان لتقرب من سعر الذهب . ومن فوائد الملك من ذلك أن من كان راتبه من رجال حكومته عشرة جنيهات يعطيه ٧٢ ريالاً قيمتها الحقيقية ستة جنيهات

(٨) ما يأخذه من الغرامات وينزله من العقاب على من يخالف السعر أو يعترض على اختلاف ما يأخذه هو ، يعطيه لاستئذنه إلا رأيه ، وقد جازى التجار على ذلك مراراً حتى بلغت الغرامة من جماعتهم من مائة جنيه إلى ثلاثمائة جنيه بل عاقب بعد الموسم خمسة من تجار مكة المحترمين بالجلد الشديد وكنس الشوارع لأن جواسيسه بلغوه عنهم أنهم قالوا ان سعر النقود العثمانية سينزل حتى مات أحدهم من شدة الضرب كما جاء في كتاب خاص من مكة لأحد التجار هنا

(٩) استأثر لنفسه بالغلال المصرية سنتين فلم يعط المستحقين شيئاً حتى مات بعض المستحقين لها من فقراء المدينة المنورة جوعاً ثم صار يعطي الأحياء نصف ما يستحقونه ويستأثر بمخصص الاموات كلها فلا

يعطي ورثتهم منها شيئاً ، ولعل هذا أحد أسباب امتناع الحكومة المصرية عن إعطائه مخصصات الاهالي لاجل أن يتولى توزيعها عليهم مستخدموها في التكتيتين المصريتين بكة المكرمة والمدينة المنورة

(١٠) استبد بوقف الشريف أبي نبي فلا يوزعه على المستحقين من ذريته حسب شرطه حتى قيل ان بعض الشريفات يخرجن في الليل متسولات يتكفن أيدي الناس في الشوارع !!

(١١) قد استعار من أغنياء مكة أثاث ورياشا وماعونا كثيراً للدار التي أنزل فيها السلطان وحيد الدين المخلوع وحاشيته ثم لما ذهب السلطان من مكة استأثر بهذه العواري النفيسة ولم يردّها الى أصحابها

(١٢) جمع ثلاثين الف جنيه من أهل الحجاز بالاكراه والاجبار ومن الحجاج بالاختيار لاعانة المسجد الاقصى ، وأرسل منها اثني عشر الف وخمسمائة جنيه ، وقد نشر في جريدة القبلة ما أخذ من كبار التجار والموظفين في الحكومة ومن الحجاج وأما ما أخذ من العوام وصغار التجار فلم ينشر فيها (١)

(١٣) ذهب الى مكة الشرفاء زامل وجعفر وعلي أولاد السيد ناصر أخي الملك فوضعهم الملك تحت المراقبة الشديدة والقهر وكان مرادهم الإقامة في مكة شهراً واحداً فآكرهم على الإقامة زهاء سنة ولما عادوا الى مصر أرسل الى وكيل أطيانه اسكندر بك طراد كشفاً فيه انه أنفق عليهم في مكة الف وثمانية وعشرين جنيهاً وكسوراً وأمره ان يطالب

أخاه الشريف ناصر بهذا المبلغ وينذره بامساكها من إيراد الوقف المشترك إذا لم يؤدها إليه نقدا

العقاب والاحكام

إنه يذيع في جريدته القبلية أن أحكامه كلها شرعية مستمدة من الكتاب والسنة — والواقع الذي يعرفه أهل الحجاز ومن أقام فيه زمنا يزيد على مدة الحج من غيرهم ولا سيما الذين استخدموا فيه أن أحكامه شخصية محضة لا يتقيد فيها بقيد من شرع ولا مشاورة ولا قانون، وهو وإن كفر الترك والمصريين بوضعهم للقانون الاساسي وغيره فقد وضع بعض القوانين وأمر بتنفيذها ومنها (قانون هيئة المعاملات العمومية) الذي أمر فيه بتشكيل لجنة بهذا الاسم تفصل في قضايا الاجارة والديون « والكشفيات ونحوها » مما هو من خصائص المحاكم بدون محاكمة شرعية وفيها احكام وضعها برأيه لم يرجع فيها الى دليل شرعي وسماها دستورا للعمل كما سماها قانونا . وقد أعطى بهذا القانون حق الاجتهاد لأعضاء اللجنة في كل فروع الاجارات غير الداخلة في المادة ٤٣ منه ولا حاجة بنا الى تفصيل ذلك بل المراد به التنبيه على أنه يحرم على اهل البلاد التركية والمصرية ما أباحه لنفسه من وضع القوانين وإن كان هو وجميع أعضاء حكومته دون أهل هاتين المملكتين علما بالشرع وبأصول القوانين وفروعها

قانون الطاغوت أبي نعي

وأدهى من هذا واعظم في رد الشرع ونبذه وراء الظهر، وتفضيل حكم الطاغوت على حكم القرآن المنزل من عند الله عز وجل، — حكمه

بقانون جده الامير ابي نبي في جميع مسائل الدماء بين البدو. ومن اصول موادهذا القانون ان دم شرفاء الحجاز مربع فاذا قتل احدهم يقتل به اربعة من خواص رجال القبيلة المتهمه بقتله. ولا شك في ان استحلال هذا كفر ورده عن الاسلام. وان امام المسلمين وخليفهم يجب عليه شرعا ان يقاتل من يتحاكمون ومن يحكمون بمثل هذا وغيره من اصول الجاهلية المقررة فيه، و مرجعها كلها الى ما يسمونه «السوالف» وهي الاحكام السابقة التي قبلها سلف المتحاكمين أي شيوخ قبيلتهم من قبلهم في مثل واقعة الدعوى، فلا حكام التي قبلها طواغيتهم هي التي يرضونها ويحكم لهم بها من يدعي أنه أحق الناس بخلافة النبوة وإقامة شرع الاسلام. ومن شاء أن يعرف منزلة هذا القانون من الكفر والنفاق فليراجع تفسيرنا لقوله تعالى من سورة النساء (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) الآيات وقد حدثنا الضابط نوري بك الكويري (من بني غازي) الذي كان في الجيش العربي المنظم الذي يساعد الحجازيين في حصار المدينة المنورة أن أحد البدو قتل ضابطا أو جنديا حضريا من الجيش المنظم واعترف بأنه قتلته عمدا. فطلب الضابط وغيرهم قتله قصاصا بمحاكمة عسكرية أو شرعية فامتنع قائدهم العام الشريف عبد الله ورفع الامر الى الملك فأمر بإرسال الضباط الذي طلبوا القصاص الى مصر بحيلة وإعلامهم بمد ذلك بطردهم من الجيش الهاشمي، وكذلك كان. ويعلم جماهير الناس في شرق الاردن وفلسطين ان عبيد الامير عبيد الله فوق الشرع والقانون في امارته البريطانية الحقيرة فلا يحاكمون ولا يعاقبون على فاحشة ولا منكر...

وأما ما نقلته جرادة قبله من أحكامه التي سمها إقامة لحدود الشرع وعملا بالمرآة فقد حذرنا الخبر من النقائص في الحجاز بأنه ليس فيها شيء موافق لحكم الشرع ولا كان شيء منها بمقتضى محاكمة شرعية فقد أمر بقطع يد رجل ورجله لأنه فر من سجنه الذي هو شر من سجن الحجاج وفعل مثل ذلك بمن ارتض على الخطيب في المدينة المنورة لأطرائه إياه في الخطبة وادعوا أن هذا عمل بقوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا) الآية وهي في البيعة الذين يؤلفون العصابات المسماة يقطعون بها الطرق ويفسدون النظام لا فيمن يفر من الظلم أو ينتقد بدعة من البدع كمدح الأحكام وإطرائهم في الخطب الدينية ولا سيما إذا كانوا من الظلمة وكتب الينا أن اللص الذي قطع يده في عرفه قد اتهمه بعض الناس بأنه سرق له بعض متاعه فبمجرد دعواه استحضرت المتهم وجيء بفأس قطعت به يده وكتب الينا أيضا أن العقاب في الحكومة الهاشمية لا يكاد يقع إلا على الضعفاء الذين لا ناصر لهم وأن جواسيس الملك إذا طعنوا له في شخص يتهمه بعضهم بأنه شرب الخمر فيؤتى به ويجلد بغير بينة ولا يسمع لا إنكاره .

واطلعنا في مذكرة الحاج مصري أنه يأمر الحاكم الشرعية بالذي يريد وانهما فشلت فيها شهادة الزور بالأكراه ، وأنه لا ينفذ من أحكامها إلا ما يريد وورد الإعلام الشرعي الذي تصدره بالحكم النهائي ، يمر بتجديد الدعوة لأجل الحكم فيها بما يأمر به ، ويقول أنه امام المسلمين والوارث لجده الشارع في التشريع . وقد فقهنا أنه إذا ما خالفه فله أن يفتي .

الكتاب والسنة وكنا سمعنا هذا من بعض من خدع في مكة عدد سنين ولكن الله تعالى لم يعط الرسول (ص) أن يغير أو يبدل شيئاً من القرآن وهو معصوم من فعل ذلك من تلقاء نفسه بدليل النص والاجماع . قال تعالى (« اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقراء غير هذا أو بدله . قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ، ان أتبع الا ما يوحى الي . اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم — ١٠ : ١٥) وقد منع الامام الشافعي نسخ القرآن بالسنة . طلقا وجوزوا الجمهور بالسنة المتواترة لان ثبوتها طعي كشبوته ، ولكنهم اجمعوا على أن ذلك لا يكون برأي الي (ص) واجتهاده بل بوحى من الله تعالى ، واستدلوا على الجواز بمفهوم قوله تعالى (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي)

وفي هذه المذكرة انه يتطوع يد السارق اذا كان من قبيلة ضعيفة فاذا كان من قبيلة قوية فلا يقطع ولا يسجن . وقد سرقت امرأة قرشية من بني مخزوم في عهد النبي (ص) وأهم أمرها قريشاً فقالوا من يكلم فيها رسول الله (ص) ومن يجترئ عليه إلا حبه أسامة بن زيد ؟ فكلمه أسامة فقال صلى الله عليه وسلم « يا أسامة اتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال « اءما هلك الذين كانوا من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » متفق عليه بل رواه الجماعة كلهم (له بقية)

(تنبيه) كتب هذا الخطاب منذ بضعة أشهر ليكون مقدمة لطالب الاصلاح في انجاز وأخر نشره رجاء أن يغير الملك سيرته بزيارته لا طراف سورية .

(كلمة في التعريف بمجموعة الحديث النجدية)

وتجديد السنة في بلاد الوهابية

(وهو ما وضعناه فاتحة لنسختها التي طبعناها حديثاً وفيها كلام في تصحيح المطبوعات ولا سيما تصحيح ما طبع عن نسخ غير صحيحة وكونه يتمذر معرفة الأصل في بعض المسائل ويشق العثور على بعضها بمراجعتها في مظانها حتى الأحاديث النبوية وخاصة أحاديث البخاري)

من المعلومات المسلمات عند كل مسلم أن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بيان لكتاب الله عز وجل وتفسير ومرح لهدايته وتفصيل لحكمه وأحكامه، وأنهم مستمدة منه، فانه جزاء الله عن البشر أفضل الجزاء قد عاش قبل النبوة أربعين سنة وهو أمي لم يؤثر عنه شيء من علوم القرآن الإلهية ولا الأدبية ولا الشرعية، ولا شيء من حكمه العقلية، ولا قواعد السنن الكونية والاجتماعية، وقد خاطبه الله تعالى في هذا المعنى بقوله (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وبقوله (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وقد عصمه الله تعالى من الخطأ في بيان دينه المودع في كتابه كما عصمه من الخطأ في تبليغه - وكل أحد غيره يخطئ في فهم الكتاب وفي بيان مافهم تارة ويصيب أخرى، وقد نقل المحدثون روايات من خطأ بعض الصحابة فغيرهم أولى هذا وإن تأثير حديثه وسنته صلى الله عليه وسلم في القلوب هو في الدرجة التالية لتأثير كلام الله عز وجل، ولهذا ضعفت هداية الدين في نفوس المسلمين منذ صاروا يستغنون عن القرآن والسنة بكتب المتكلمين والفقهاء، وإنما للعلماء أدلاء معلمون لا شارعون ولا مستقلون بالهداية، ولن يعود روح الدين إلى المسلمين، ولن يشرق نور الإسلام في قلوبهم، إلا بالعود إلى تلاوة القرآن بالتدبر، ومدارسة السنة بالتفقه والتأدب،

وقد كان مما استعمل الله تعالى به الشيخ محمد عبد الوهاب مجدد الدين في نجد وما حولها أن أحيا مدارسة السنة النبوية فيها للاهتمام بها، لا مجرد التبرك بألفاظها، ولا لأجل الاستقلال فيها دون ما كتب المحدثون والفقهاء في شرحها والاستنباط منها، بل نرى من هدام الله تعالى بدعوته وأنقذهم (المنار: ج ٢) (١٥) (المجلد الخامس والعشرون)

من الجاهلية التي عادت الى أكثر أهل جزيرة العرب مازالوا يحيون كتب فقه
 شيخ السنة الأكبر الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه مع خيار كتب التفسير
 والحديث لغير الحنابلة من علماء السنة فكانوا من أجدر المسلمين بلقب أهل السنة
 وقد انتدب امامهم وسلطانهم في هذا العصر السلطان عبدالعزیز بن عبدالرحمن
 فيصل آل سعود لتجديد طبعم هذه المجموعة النفيسة مع كتب أخرى أهمها تفسير
 الحافظ ابن كثير وابتداء طبعم كتب أخرى دينية من أعظمها وأجلها كتاب (المغني)
 في الفقه الاسلامي الذي فضله الإمام المجتهد عز الدين بن عبدالسلام هو وكتاب
 المحلى لابن حزم على جميع ما كتب المسلمون في الفقه ونقل عنه انه لم تطب نفسه
 للافتاء حتى حصل على نسخة من المغني - فهو يطبع الآن على نفقته مع كتاب
 الشرح الكبير ، على متن المقنع الشهير ، والمغني والمقنم كلاهما للشيخ العلامة
 موفق الدين أبي محمد عبدالله الشهير بابن قدامة المقدسي ، المتوفى سنة ٦٢٠ وهو
 الذي ينصرف اليه لقب «الشيخ» إذا أطلق في كتب الفقه الحنبلي التي ألقت بعده
 وأما الشرح الكبير فلابن أخيه وتلميذه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قدامة
 المتوفى سنة ٦٨٢ وهما من أوسع الكتب أحكاما وبيانا للمذاهب بأدلتها .

هذه المجموعة الحديثية مشتملة على تسعة كتب بينها في طرتها . فالاربعمون
 النووية من الاحاديث المختارة في أصول الاسلام وأسس قواعده أشهر من أن
 تعرف ، وعمدة الاحكام للحافظ المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ مشهورة مشروحة وهي
 مأخوذة من صحيح البخاري ومسلم - تعطي المطلع عليها علما اجماليا بأصح نصوص
 السنة لجيم أبواب الفقه . وذكرها في كشف الظنون عدة شروح لكبار العلماء ،
 وشرحها لشيخ الاسلام المحقق ابن دقيق العيد طبعم في الهند ويطبع الآن بمصر ،
 وكتب اليها صديقنا علامة العراق السيد محمود شكري الآكوسي انه اطلم على
 الجزء الاول من شرح شيخ الاسلام ابن تيمية للعمدة « فرأى فيه مالا عين
 رأت ولا اذن سمعت » ولم يبلغنا شيء عن هذا الشرح من غيره . وذكر صاحب
 كشف الظنون ان كتاب العمدة هذا ثلاثة مجلدات عن نظيره وان اوله « الحمد
 لله اتم الحمد وأكمله » وان الكلام فيه خمسة أقسام احدها الاحاديث وما عندنا
 هو تجريد الاحاديث فقط واوله « الحمد لله الملك الجبار » ونقل عن بعض شراحه
 ان عدداً أحاديثه خمسمائة ولعله عد ما في بعضها من اختلاف اللفاظ وتعدد الروايات
 أو وجد هذا في بعض نسخها . والا فقد احصيناها بالارقام حسب عد المصنف

لكل باب فبلغت ٤٠٩ ولكن وقع غلط في الأرقام في مواضع أولها صنفعة ١١٠ فينبغي أن يجعل أول رقم فيها ٤٨ ويصحح ما بعده بالتسلسل وأما كتب الشيخ محمد عبد الوهاب الأربعة فقد راعى في جمعها أحوج ما يحتاج إليه جماهير المسلمين من السنة مع تلقيهم أحكام العبادات والمعاملات من كتب الفقه — وهو أربعة أقسام : أحاديث الإيمان الاعتقادية ، وأصول الإسلام الكلية ، وكبائر الأثم والفواحش التي يجب تركها ، والآداب الشرعية التي يجب أو يستحب فعلها والتأدب بها . وكلها ملخصة من دواوين السنة المشهورة كالكتب الستة والمسند والموطأ وغيرها . ومنها ما ليس لدينا نسخ منه كالسنن الكبرى وشعب الإيمان للبيهقي وقد ترك رحمه الله تعالى بعض الأحاديث غير مخرجة . ولعل سبب ذلك أنه أراد أن يراجعها في غير الكتب التي نقلها منها ، ليبين جميع من خرجوها

وأما الرسالة السنية للإمام أحمد في الصلاة فهي على ما نعتقد لا يستغني مسلم عن الاستفادة منها ، قد جمعت في صفة الصلاة وآدابها الظاهرة والباطنة بين الأخبار النبوية والآثار النافعة عن الصحابة والتابعين ما كانت به سفر تفسير وحديث وفقه وأصوف شرعي . وقد رايت لها من التأثير في القلب ما لم أره لغيرها ، فأنا أنصح لكل مسلم أن يطالعها مراراً ، ولكل معلم وواعظ أن يقرأها لطلاب العلم وللمعواصم جميعاً

وأما كتاب الصلاة للمحقق ابن القيم فهو أشبه الكتب برسالة الإمام أحمد في مبناها ومعناها ومغزاها ، حتى كأنه شرح لها ، وتفصيل لجملها ، مع بسط مسائل أخرى استوفاه أو حققها ، وناهيك بوصفه لصلاة النبي (ص) واختلاف أحوالها من تطويل وتخفيف بالروايات المعتمدة ، وبيان أحكام الصلاة وأسرارها ، وندب أطلتها ومنافعها ، وتحقيق فرضية صلاة الجماعة ، ومسألة تكفير تارك الصلاة ومسألة الخلاف في وجوب قضاء ما ترك منها عمداً وعدمه . فهكذا لعمرى يكون اتباع الأئمة والافتداء بهم ، لا اتخاذهم شركاء لله تعالى في شرع الدين ، ولا قرناء لرسوله (ص) في العصمة في تبليغه وفهمه ، دع تقديم كلامهم على كلامهما ، واتباعهم بالتقليد المحض من دونهما ،

وأما كتابه القوابل الصيب فهو طرد لهذه المعاني والمغازي في جميع الأذكار والادعية المأثورة وتأثيرها في القلب ، والقرب بها من الرب ، جل ثناؤه ،

وتقدست أسماؤه، ومن فوائده بيان مراتب الناس في الصلاة، وصفات القلوب في الظلمة والنور، وبحث في نور العلم والايان عال مشرق مؤثرا لا يوجد في غيره مثله، أوردته في سياق الكلام على فوائده ذكر الله تعالى، ومنه تفسير المثل الذي ضرب في سورة النور (الله نور السموات والارض مثل نوره كشكاة فيها مصباح) الآية واستطرد من هذا المثل الى أمثال أخرى في القرآن مائبة ونارية كمثل سيلان الماء في الاودية، ونار الصائغ لاتخاذ الحلية والآنية—ومثل الصيب فيه الظلمات والرعد والبرق—وقد بلغ ما أوردته من فوائده الذكر ومزاياه وتأثيره في تغذية الايمان وصالح الاعمال ٧٩ فائدة^(١)

فهذه الكتب لا يقرأها ولا يسميها مؤمن الا يشعر بالايمان يربو وينمي في قلبه، وبمضمون قوله تعالى (ائن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فيزداد به من العبادة ويكثر فيها من ذكر الله تعالى — فقد كتب قدس امره روحه في الاذكار الماثورة ما لا يحسنه الا مثله * ومثل كثير في الانام قليل * فرضي الله تعالى عن جامعي هذه الاحاديث النبوية، ومبيني ما أودعته من الهداية الالهية، واثاب من جمعها والى بينها، ومن اتفق على طبعها، وسمى لتعميم نفعها، ومن تولى طبعها وتصحيحها، ومن يقرأها للاهتمام وللهداية بها وكنت اود لو اتيج لي ان اخذها بتخريج جميع ما اغفل تخريجها من احاديثها، وتعليق حواش وجيزة في تفسير جميع غريب لغتها، وبيان وجيز لكل ما يخفى او يشك من معانيها، وزيادة العناية بتصحيحها، كالنموذج الذي يراه قارئها في بعض حواشها. ولكن كثرة الشواغل والموانع، وقلة العون والمساعد، واستعجال السلطان بطبعها، قد حالت دون المراد من ذلك في هذه الطبعة، وعسى ان يوفقنا الله تعالى وإياه لذلك في الطبعة الثالثة

وان هذا العمل لشاق دونه الانشاء والتأليف المستقل، ولا يعرف صعوبته الا من ابتلي به. وانما يكون التصحيح سهلا اذا وجدت اصول صحيحة مضبوطة للمقابلة عليها، والاصل الذي طبعناعنه هذه المجموعة مطبوع في الهند طبعا كثير الغلط والتصحييف والتخريف كما كثر الكتب العربية المطبوعة في ذلك القطر، ولا سيما المطبوع منها على الحجر، وقد وجدنا لشرح الاربعين النووية ورسالة الامام أحمد

(١) وقع غلط مطبعي في عددها فجعل العدد الذي (في ص ٧٤٥) ٣٥٥ والصواب انه ٣٧ فيصح مع .

وكتاب الصلاة لابن القيم نسخا مطبوعة في مصر فانتفعنا بالمقابلة عليها على ان تصحيحها غير تام . وجعلنا اعتمادنا في تصحيح آخر كتاب العمدة مقابلته على النسخة المطبوعة مع الشرح في الهند، بعد ان كنا نعتمد أولا على مراجعة الصحيحين فقط. ولكن بعض هذه الاحاديث غير مبين مكانها فيهما، وبعضها معزو الى أحد الصحيحين وهو في غيره، ولا ندري سبب ذلك ، وقد بينا بعض ذلك في الحواشي . على ان المراجعة في صحيح البخاري في مكان من العمدة لا يعرفه الا من عالجها ، فان الحديث الواحد قد يوجد في عدة أبواب منه بألفاظ مختلفة فن وجد غلطا في حديث منها كان عليه أن يراجع جميع رواياته فيها ليكنه الجزم بالصواب، ومن لم يدقق النظر في اختلاف الروايات والرواة والالفاظ فربما جعل الصواب خطأ

مثال ذلك الحديث العاشر من كتاب صفة الصلاة في العمدة (صفحة ١٢٠) :
عن أبي قلابة — هو عبد الله بن يزيد الحضرمي البصري رضي الله عنه — قال :
جاءنا مالك بن الحويرث في مسجدنا هذا فقال : إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة :
أصلي كيف رأيت رسول الله (ص) يصلي ...

هكذا أورد الحديث صاحب العمدة ولم يعزه . ولما كلفت اثنين من اخواننا المشتغلين بعلم السنة قراءة هذه المجموعة بعد تمام طبعها لاستخراج ما يجدان فيها من خطأ الطبع وبيان صوابه رأى من قرأ للعمدة منهما ان هذا الحديث غير جلي فظن انه لا يخلو من غلط فطلق يبحث عنه في صحيح البخاري فوجده في (باب كيف يعتمد على الارض اذا قام من الركعة) بلفظ : جاءنا مالك بن الحويرث فصلى بنا في مسجدنا هذا فقال إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة ولكن أريد ان أريكم كيف رأيت النبي — وفي رواية رسول الله — صلى الله عليه وسلم يصلي الخ فجعل المصحح هذا صوابا لوضوحه وذلك خطأ لحفاء المراد منه. ولما قرأت جدول الخطأ والصواب بعد جمعه للطبع رجعت هذا التصحيح لان ما أورده صاحب العمدة رواية أخرى للبخاري أوردها في (باب من صلى بالناس وهو لا يريد الا ان يعلمهم صلاة النبي (ص) وسننه) فلمثل هذا الاختلاف في الروايات لا يجوز المصحح بأن كل ما رآه خفي المعنى محرف فيراجعها ، ولا بأن كل ما رآه جلي المعنى هو الصحيح من الروايتين أو الروايات، بل لا بد من النقل واستقصاء الروايات عند المراجعة وذلك

من العسر بمكان. فمن نرى الحفاظ وكبار المحدثين وشرح دواوين السنة ينسبون بعض الروايات أحيانا أو يغفلون ذكرها في مواضعها : فهذا الحافظ ابن حجر - وناهيك بسمة حفظه - قد ذكر في شرحه لحديث أبي قلابة باللفظ الذي أورده صاحب لمعة ان البخاري أورده في (باب الملك بين السجدين) أيضا مع انه رواه فيه باللفظ آخر ليس فيه مانحن بصده ولم يذكر انه أورده في ١ باب كيف يعتمد على الأرض...) الذي يوضح معنى الاول وكذلك القسطلاني لم يذكر سائر الابواب الثلاثة عند ذكر كل منها كمادته الغالبة . فمن هذا المثال يعلم القارئ لهذه المقدمة درجة عسر تصحيح الاحاديث النبوية المنقولة عن نسخة غير صحيحة والمحدثون لا يعتمدون بنسخة كتاب غير مروية عن المؤلف بالسند أو مقابلة على أصل صحيح

وقد كانت طريقة تصحيحنا لهذه المجموعة (كغيرها) أن مصصح المطبعة يقرأها مقابلة على أصلها فإذا رأى أن في الأصل خطأ لم يهتد إلى صوابه تركه لنا فإذا كان مما نعرف أصله بالقطع صححناه والا بحثنا عن مظان أصله في عدة كتب مما عندنا بقدر ما نجد من سعة الوقت حتى ربما انفقنا نصف النهار أو نصف الليل في تصحيح راسة أو نصف كراسة، وكنا نؤخر طبع الكراسة في بعض الأحيان عدة أيام لاجل ان نجد وقت فراغ لمراجعة بعض العبارات التي نجزم بوقوع الغلط فيها . وقد نكتب في الحاشية كلمة «يراجع» ونحيل على مصصح المطبعة فان لم يظفر بالأصل الصحيح يترك الكلام على ما هو عليه تارة ويعيده اليانارة . ولهذا نبطل في طبع ما ليس له أصل صحيح عندنا كأكثر كتب هذه المجموعة ولا سيما (الوايل الصيب) منها الذي لم نجد له أصلا ما في دار الكتب الكبرى ولا في غيرها . وقد كان شقيقنا السيد صالح رحمه الله تعالى يحمل أكثر اعباء المطبعة عنا . والمطابع التجارية لا تبالي بذلك مثلنا ، بل يكتفي أيها اشد اتقانا بأن يكون ما يطبعه كالأصل المطبوع عنه تقريبا . وبعضهم لا يصل إلى هذه الدرجة ومنها ما يتصرف اصحابها في التصحيح بأرائهم حتى اعترف بعضهم بأنه كان يزيد في الأصل أو ينقص منه وانه اذا وجد كلاما ساقطا أو خفيا لا يقرأ وضم بدله بحسب فهمه . وهذا زوير لا يصدر عن صاحب أمانة أو دين

ولعمري ان اتقان التصحيح لما يطبع عن أصل غير صحيح لا يتيسر الا لجماعة من العلماء الاخصائيين تتعاون عليه بمراجعة كل مسألة في مظانها، وهذا غير

موجود في شيء من مطابع هذه البلاد الا المطبعة الاميرية ومع هذا نرى في بعض مطبوعاتها غلطا كثيرا ، ولقد عهد اليها السلطان عبد العزيز آل سعود بطبع تفسير الحافظ ابن كثير فيما أمر بطبعه من الكتب كما تقدم ، ولم يجد له اصلا الا ما طبع في المطبعة الاميرية ونسخة خطية حديثة في دار الكتب الكبرى ولعلها هي التي طبع عنها فانهما سيان في كثرة الغلط حتى في الاحاديث المعزوة الى كتب السنة المعروفة واسماء رجال الحديث على ما فيهما من نقص أشير اليه بترك بياض يدل عليه ، مع كتابة « بياض في الاصل » في الحاشية وقلمنا قرأنا في هذا الكتاب تفسير آية ولم نجد فيه غلطا مما نعرفه من ذلك فكيف بما لا يعرف بالرواية والحفظ لكلام المؤلف نفسه . وقد توصلنا ببعض الوسائل الى تصحيحه على نسخة معتمدة من خزائن كتب الآستانة ولما يتم لنا ذلك ولعله يتم قريبا

هذا وانه لما كان غرض السلطان من طبع هذه المجموعة وأمثالها تعميم العلم في بلاده دون بلادنا طبعنا باذنه زيادة عما طلبه طائفة قليلة من النسخ لتعميم نعمها ، فاذا بعناها بثمان قليل بالنسبة الى أمثالها كان له شركة في أجرها ، هذا ولما نسمى منذ سنين الى استئجار دار واسعة لاجل توسيع مطبعة المنار وتأليف لجنة من أهل العلم لتصحيح مطبوعاتها وضبط النسخ التي تلقى اليها قبل الطبع بعمار ضتها على الاصول الصحيحة في دار الكتب الكبرى وخزانة كتب الجامع الازهر أوحيت توجد في غيرها من خزائن الكتب الخاصة بالخزانة الزكية والتميمورية والجمهرية والنورية^(١) فعمسى أن يهيء الله تعالى لنا ذلك ويوفقنا لكل ما توجهت اليه نفسنا من خدمة العلم والدين ، والله ولي المتقين ، والحمد لله رب العالمين

محمد رشيد رضا

صدر في جمادى الاولى سنة ١٣٤٢

(١) الاولى منسوبة لأحمد زكي باشا والثانية الى احمد تيمور باشا والثالثة الى جعفر ولي باشا والرابعة لنور الدين بك مصطفى

تزويج المسلم بغير المسلمة^(١)

يكاد يكون جواز تزوج المسلم بالكتائية من الامور المعلومة من الدين بالضرورة . ولا أظن أن أحدا من المسلمين يكابر فيه (٢) . وجل ما يقوله فقهاءنا في هذا الزواج أنه مكروه تنزيها أي لا تحريما . ومعنى ذلك أن الافضل للمسلم أن يتزوج بمسلمة : فإذا تزوج بكتائية وترك المسلمة ارتكب خلاف الاولى . ولكن لا يكون آثما أو مرتكباً حراما . وعلاوا الكراهة « بخوف أن يتخاق الولد بخلق أمه » والاخلق أثر من آثار الدين فيخشى على الولد أن يتأثر بمؤثرات دين غير دين أبيه

هذا ما يقال في المسألة من طريق التفقه . وأما ما يقال فيها من طريق الاجتماع ومباحث العمران فهو أن الشرع الاسلامي أباح لنا الزواج بالكتائيات توصلا الى نشر الاسلام . وحمل الكافة عليه . فان الاصل أن يحمل البشر على الحق ولو بالقوة . ولكن الشرع عذر أهل الكتاب بما أوتوه من روح الدين السماوي وإن كانوا شوهوا هذه الروح بما بدلوا وغيروا . والشرع اذا أمهل غير المسلمين ولم يقصرهم على الاسلام فهو لم يهملهم ، ولم يغفل أمرهم . بل هو يريد من المسلمين أن يعملوا على نشر الدين بينهم وعلى دعوتهم اليه بالتي هي أحسن ، والدعوة كما تكون بلسان المقال تكون بلسان الحال ، ولسان الحال أشد تأثيراً وأقرب منالا من لسان المقال ، والمراد من الدعوة الى الاسلام بلسان الحال أن يكون المسلمون على وضع اجتماعي راق يحمل معاشريهم من غير أبناء ملتهم على النظر في دينهم وحب التخلق بأخلاقهم ، والاهتداء بهديهم ، وهذا يكون بشيئين :

(١) العدل في حكومة الاسلام

(٢) حسن الاخلاق في أهل الاسلام

(١) للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي المصنف في المجمع العلمي بدمشق

(٢) قد منعه بعض المتقدمين والمتأخرين وهو مما شذ به عبد الله بن عمر

(رض) عن جمهور الصحابة

واننا معشر المسلمين لو حافظنا على هذين الامرين في تاريخنا الماضي لما بقي في بلادنا غيرنا بل كانوا أسلموا كلهم . ولقد بسطت هذا الموضوع يوماً أمام بعض عامة المسيحيين فرسم إشارة الصليب على وجهه وصدره وقال : نشكر الله يا سيدي إذ لم تعملوا باصول دينكم ! والا لما عبد المسيح في بلادكم

ومن جملة الطرق التي شرعها الاسلام لتكون دعوة اليه بلسان الحال — باحة تزوج المسلم بالكتابية : فان زواجه بها يوثق علائق المصاهرة والنسب بعدة عائلات كتابية . فاذا كان الصهر المسلم على ما يزبده الاسلام من كرم الاخلاق والتحلي بالفضائل ، فان ذلك يستدرج عائلة زوجته الى الاسلام بلطف ويستوهم من حيث لا يشعرون الى الاعجاب به ، والدخول فيه ، عدا اسلام الزوجة نفسها بما لزوجها المسلم من الساطة وحسن التلطف وقوة التأثير عايتها

وأما اليوم فان أخلاقنا وفشو الطلاق بيننا حمل الكتابيين على زيادة التمسك بدينهم ، وعلى النفرة منا ومن ديننا ، ولقد سألت مرة صديقاً لي من وجهاء المسيحيين هل يرضون أن يزوجوا بناتهم من شبان المسلمين المذهبيين ما دام هذا الزواج جائزاً في الشريعة الاسلامية؟ فقال: اننا لا نراه محظوراً من الوجهة الدينية (١) وانما نراه محظوراً من باب الاحتياط والتدبر ، وذلك خشية أن يطلق الزوج المسلم ابنتنا ، أو يتزوج بأخرى سواها فتعيش منعصة

ونعيد القول في الموضوع بشيء من الشرح والابضاح فنقول : يفهم من تضاعيف أقوال علمائنا أن التسامح مع أهل اللمة وتركهم أحراراً في دينهم إنما هو مؤقت ومنتظر فيه سنوح الفرص ، حتى اذا سنحت الفرصة حملوا على الاسلام لا بطريق الاكراه والقسر ، بل بطريق الدعوة اللينة ، والمجادلة بالتي هي أحسن والعدل في الحكومة ، والاخلاق الحسنة في المعاشرة

ومن هذه الطرق — الزواج ببناتهم ، وهذا الزواج يفيد في نشر الدين

(١) المنار : ان هذا القول غير صحيح فقائله إما أن يكون حاكياً عن فئة معينة غير مقيدة بتعليم الكنيسة وإما أن يكون جاهلاً أو مصابحاً على أنهم لا يزالون يزوجون المسلمين

(المنار : ج ٢) (١٦) (المجلد الخامس والعشرون)

وتكثير سواد أهله كما يفيد (الاسترقاق) في ذلك : اذ ليس الغرض من الاسترقاق مجرد استغلال الارقاء والانتفاع بخدمتهم كما ينتفع بالدابة ، وانما الغرض نفع الرقيق نفسه ، ونفع البشرية بنشر تعاليم الاسلام بين أبنائها : فاننا نأخذ الارقاء في الحرب أسرى ونؤديهم الى بيوتنا ونمزجهم بعائلاتنا كي يخلقوا بأخلاقنا ، ويدخلوا أخيراً في ديننا ، ويكثر بهم سواد أمتنا ، وربما كان نصف المسلمين (١) اليوم هم من سلالة أوائك الآباء الذين دخلوا الاسلام من طريق الرق ، فالرق في نظر العالم المسلم الاجتماعي ضرب من ضروب الاستعمار أو ما يسميه سواس هذا العصر (التجنس بالتأبعية)

وقد تنبه بعض ملوك الاسلاء الاقدمين الى وجوب الاستفادة من (الاسترقاق) بشكل آخر : فاتخذ من أسارى الحرب أو من صغارهم عسكرياً جراراً بعد أن كان يهذبهم ويعلمهم آداب الاسلام ، ويخصصهم لغنون القتال ، وهكذا فعل الخليفة (المنصور) العباسي في ارقاء الترك ، والسلطان (أورخان) العثماني في ارقاء الروم والصقالبة الذي سموا (أنكشارية)

قابحة الزوج بالكتايبات هو كابحة استرقاق أولاد المحاربين من حيث ان كلا منهما وسيلة لنشر الدين ، وتكثير سواد المسلمين ، ولكن قومي كانوا عن هذا غافلين : غفلوا في أزمتهم التاريخية الماضية — وقت أن كانت الغلبة لهم والقوة المادية والمعنوية في جانبهم — عن الانتفاع بهذا التشريع الحكيم أعني الزوج بالكتايبات (٢) ولو تزوجوا بهم وأحسنوا المعاملة ، وتمسكوا بآداب الشريعة ، وأطاعوا الله فيما نهى وأمر — لكان المسلمون أكثر سواداً وعدداً مما هم اليوم أضعافاً مضاعفة ، ولكانوا استفادوا من هذه الشريعة فائدة اجتماعية عمرانية ، كما استفادوا من شريعة الاسترقاق ، لكنهم — واخجلاله — لم يستفيدوا من شريعة (الزوج) بالكتايبات لا في الاول ولا في الآخر ، وأفسدوا شريعة (الاسترقاق) وغيرها عن وضعها السماوي ، فأصبحت تجارة قاسية ،

(١) المنار : هذه مبالغة عظيمة (٢) ان الاكثار منهم لم يكن ممكناً ولا مصلحة لانه يقتضي نايم الكثير من المسلمات وكفى ان السراري كن منهم في الغالب

ومعاملة وحشية ، يحبذ الشارع الاعظم عمل الساعين في منعها ، والضار بين على أيدي مروجيها

قلنا إن شريعة الزواج بالكتابيات كانت تفيدنا في الزمن السابق فائدة عظيمة ، ولكن هل تفيدنا اليوم لو عملنا بها ؟ ؟

أرى أن الفائدة غير مرجوة اليوم كما كانت مرجوة في السابق ، وذلك لانعكاس الحال في هذا العصر : فبعد أن كانت الغلبة لنا والقوة في جانبنا في العهد الماضي وكان يمكننا ونحن غالبون أن نؤثر في نفوس زوجاتنا الكتابيات وفي نفوس أهلهن فنجنبنهم البنا ونطويعهم في هيئة اجتماعنا — أصبحنا اليوم مغلوبين مقلدين للكتابيين سواء كانوا حربيين أو معاهدين أو ذميين : إذ أن الباموس الاجتماعي الاعظم هو أن يقلد المغلوب الغالب في أطواره ومخالف عاداته وكذا في تقاليده أحيانا وانما جعلت الكتابيين غالبين مع أن الكثرة لنا والحكومة^(١) متدينة بذلك — ذلك (٢) بما تيسر لهم من أسباب الرقي العلمي والاقتصادي والعائلي وبما توفر فيهم من تقليد الأوربيين في دينهم ومناحي عمرانهم وأساليب حياتهم والأوربيون هم الغالبون فمن يسبق إلى تحديهم يكون هو الغالب بالطبع وان زوجة أوربية أو ذمية إذا دخلت عائلة اسلامية تصرفت في أخلاقها و بدلت من طباعها وأفرغتها على طول الزمان في القالب الذي تريد وذلك لما عليه معظم الكتابيات من العلم والتربية والتحصيل والدراسة وما عليه معظم عائلاتنا ونساءنا من الجهل والغباوة وضعف الملكة والانصراف عن فهم معنى الحياة السعيدة خذاية بلدة من بلادنا فلا تكاد ترى فتاة مسلمة تحبذ القراءة والكتابة كما لا تكاد ترى فتاة كتابية تجهلها (٣)

(١) أنشئت هذه المقالة في عهد الحكومة العثمانية (الكاتب)

(٢) المنار : هذه مبالغة بل غلو كبير فاللواتي يحبذن القراءة والكتابة فينا واللواتي تجهلنها فيهم كثيرات جدا ولكن المتعلقات فيهن أكثر بالنسبة إلى عددن وعددها هذا واننا نعرف كثيرا من رجالنا في مصر وسورية تزوجن بنساء أوربيات فأسلمن وتبعن أزواجهن أو بقين على دينهن ولا نعرف واحدة ممنهن نصرت زوجها ولا تصرفت في أهل بيته كما تشاء. واني اذكر هذا الرأي لصديق الاستاذ الكاتب منذ كنا نطلب العلم في طرابلس الشام ومن العجيب انه بقي مصرا عليه بعد ان زار مصر واتسع اختباره

١٢٤ تعليق المنار على مسألة نكاح الكتابيات المنار : ج ٢ م ٢٥

لا ريب أن وجود الزوجات الكتابيات المتعلقات في العائلة المسلمة مفيد كوجود المعلم في المدرسة لكن تؤدي كثرته بالتدريج الى صيغ الامة الاسلامية بصيغة لا تتفق مع مصلحتها من حيث هي أمة مستقلة تريد أن تنشئ أبناءها على دينها وآدابها وتقاليدها

فالتزوج اليوم بالكتابيات موضع نظر، ومناط حذر، كوضع أبنائنا في مدارس الفرير والجزويت والاميركان ، فانهم يتعلمون ، ولكنهم عن التربية الاسلامية يتعدون ، وفي المهادي الأخرى قد يتدهورون

هذا ما نقوله لو كان لنا من أمر الزواميس الاجتماعية والسنن الكونية شيء أما الأمر ليس بيدنا ، وتحويل مجرى السنن غير داخل تحت قدرتنا ، فان هذه الزواميس حاكمة على الامم متحركة في أبنائها شاءوا أو أبوا، رضوا أو سخطوا، والارض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين ؟
المغربي

(المنار) ان مسألة تزوج المسلم بالكتابية وتزوج الكتابي بالمسلمة قد طال بحث الكتاب فيها بمصر في هذه الاثناء وقد أتى الكاتب فيها ببعض جديد مفيد أوجز فيه وهو منتقد من وجوه أشرنا الى بعضها في حواشي الصحائف ولاسعة عندنا في الوقت لتحقيق المسألة من جميع وجوهها ، وقد فتحت له زميلتنا «الهلال» بابا واسعا نشرت فيه آراء كثيرين من أشهر كتاب العصر البعثيين بعد ان استفتهم في مسائل معينة فيه وكنا ممن استفتتهم وحالات كثرة أعمالنا دون كتابة شيء لها وإنما نقول بالاجمال ان كان في تزوج بعض المصريين بالافرنجيات قائدة ما في نظام المعيشة فان فيه من الغوائل الممزاة والاجتماعية ما يفسد نظام الامة المصرية برمتها اذا كثر ويحول دون تجديد تكوينها تكوينا مستقلا لاذ بذبة فيه ولا اضطراب ، وما انكره على صديقنا المغربي إنما هو المبالغة في المسألة والا فقد قلنا في تحليل منع التزاوج بين المؤمنين والمشركين من سورة البقرة أن هذا الأمر يختلف باختلاف الأشخاص قرب مسلم مقلد بتزوج بكتابية عالمة فتفسد عليه تقاليده (ص ٣٦١ ج ٢ تفسير) وسنشرح المسألة في أول فرصة ان شاء الله تعالى

مسألة تحديد الزواج بقانون

﴿ ومسلك الحكومتين العثمانية والمصرية فيه ﴾

قد بينا في الجزء السابق نص ما وضعته الحكومة العثمانية منذ سنين من أحكام هذه المسألة في (قانون الاسرة — العائلة) وما يتيته من مداركها ووجه الحاجة اليها وأقوال الفقهاء المجتهدين فيها ، ثم ما وضعته الحكومة المصرية هذه السنة في ذلك ومما يستحق الذكر في هذا المقام أن بين المصريين وبين الترك ومن نشؤا في

مدارسهم من مسلمي الشعوب العثمانية المسلمة شبا ظهر أثره في الحكومتين المدارس المصرية في بلاد الفريقين إما افرنجية أو متفرنجة وأكثر المتعلمين فيها قد غلب على أرواحهم وعقولهم وأهوائهم وأذواقهم تشريع الافرنج ونظامهم وأديبهم وعاداتهم لانهم لا يتعلمون أصول الشريعة التي ينتمون اليها ولا الآداب الاسلامية التي كان عليها أسلافهم وبناء مجدهم ، ولان الذين لا يزالون يتدارسون العلوم الشرعية في بلادهم تسقط قيمتهم وقيمة ما يتعلمونه من أنفس الطبقات العليا فالوسطى عاما بعد عام بمجمودهم على التقليد الجاف لما يقول شيوخهم المتأخرون إنه المعتمد أو المقتى به في المذهب وان كان مخالفا لما عليه سائر الاثمة المجتهدين والعلماء الراشخين من اهل الملة - ومخالفا لنص صريح عن الشارع ايضا وانما يعتذرون عنه اذا احتج عليهم به بأنه لم يصح عند إمامهم وإن اتفق حفاظ الحديث ونقله السنة عليه - ومخالفا لمصلحة المسلمين العامة في معاشهم أو الدفاع عن أوطانهم — فبهذا صاروا حجة على أحكام الشريعة العادلة، وآداب القرآن والسنة الكاملة، وقتنة للمتفرنجين يصدونهم عن اصل الدين ويفرونهم به . وصارت الحكومتان تنشئ المدارس لتعليم نشء الامة كل ما هو أوربي بصنفته الاوربية حتى أصول التشريع وأنواع القوانين وتدخلها في أعمالها ومحاكمها العسكرية والجنائية والتجارية والمدنية ، وتتفصى من كل ما هو شرعي اسلامي بالتدريج وبضروب من التأويل والتلفيق مراعاة لتقاليد العامة ونفوذ شيوخ الفقه في أنفسهم حتى انتهتا في هذا الجيل الى جعل أحكام الزواج والطلاق وما يتعلق بهما من أحكام

١٢٦ مسلك الفقهاء وما يجب عليهم في التشريع الآن المنار: ج ٢ م ٢٥

النفقات والعدة وغيرها قانونا كسائر القوانين وقد بينا ما في هذا من الجناية على الشريعة من قبل (١) كما بينا مراراً أن شيوخ الفقه الجامدين على التقليد الجاف هم الذين الجؤا للحكومتين الى ما ذكر وانهم كانوا وما زالوا يابون في كل بلد أن يسيروا في تعليم الشريعة ودراساتها على الطريقة الاستقلالية فينظروا اليها في جهلها لا في كل مذهب على حدته بحيث يتعصب له فريق معين على سائر المذاهب ويقارنوا بين ما استنبطه المجتهدون وبقيموا بينها ميزان التعادل والترجيح الذي يتدارسون الفاظه لذاته كأنه منزل للتعبد كالقرآن اولاً لجل ان يستعين به اهل كل مذهب على ابطال غيره او توهينه

ثم انهم بعد هذا لا يقاومون الحكومة فيما يعتقدون انها خالفت الشرع فيه بل اكثرهم يسكت عنها ، وبعضهم يتأول لها ، وبعضهم يفتيها فتاوى مبهمه يتحرى فيها ان يكون ما قاله صحيحاً في نفسه ومرضياً عندها وان لم ينطبق على واقعة الفتوى وموضوعها وهم يعلمون انها تقنع به العامة بأنهم لم تفعل الا ما افتاها به اكبر علماء الدين ولو انهم سلكوا مسلك الاستقلال الصحيح والنظر الى جميع الائمة المجتهدين بعين واحدة وجعلوا من قواعد الترجيح بين آرائهم الاجتهادية اختياراً يسرها عملاً بالقاعدة القطعية الثابتة بنص القرآن كقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله عز وجل (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج * وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقوله صلى الله عليه وسلم « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » متفق عليه من حديث انس (رض) وفي رواية « وسكنوا » بدل « وبشروا » وورد من حديث ابي موسى بالتثنية اي ان النبي (ص) خاطبه هو ووماذ (رضي الله عنهما) بذلك حين ارسالهما عاملين الى اليمن وامرهما بالاتفاق وهو متفق عليه ايضا وقالت عائشة (رض) ما خير رسول الله (ص) بين امرين الا اخذ ايسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس عنه . وهو متفق عليه واللفظ لمسلم — لو سلكوا هذا المسلك مع بقاء طوائف من طلاب الشريعة يتوسعون في فقه كل مذهب — لا يمكنهم جعل التشريع الاسلامي فوق كل

(١) راجع ص ٤٠٤ م ٢٠ و ٤٢٢ م ٢٣

نشرهم وكان عليه مدار الاحكام في جميع البلاد الاسلامية ، وكان لهم مندوحة عن التأويل والاخذ بالاقوال الشاذة والتفصي بفتوى مبهمه يظنون انهم يسلمون بها من اقرار الحكومة على ما تخالف فيه الشريعة

نعم ، قد آن للعلماء أن يأخذوا بايمانهم جميع أمور التشريع ويبنوا ما هو قطعي لا مندوحة للمسلمين عنه وما هو دون ذلك مما يجب الاخذ فيه بما هو أيسر على الناس ما لم يكن معصية لله تعالى . وقد دخلوا الآن في طور جديد ليس فيه حاكم مستبد برهقهم أو يعاقبهم اذا أظهروا ما عندهم ولكن يجب أن يعلموا أنه يستحيل أن يلتزم البشر في هذا العصر تقليد عالم واحد فيما يعسر عليهم وينافي مصالحهم . وهام أولاء قد خرجوا عن هذا في الحكومتين ورجحوا على المذاهب الاربعة في جملتها قولا شاذا لاحد العلماء المتقدمين بحجة أنه هو الايسر والموافق للمصلحة العامة ولمصلحة من يتحكم الاولياء بتزويجهم صفاراً ، وما استخرجه للحكومتين من زوايا مسائل الخلاف الابعض هؤلاء الفقهاء فلماذا لا يأخذون الامر بمحملته في التشريع كله ؟

وقد علم القراء مما نشرناه في الجزء السابق أن مقررته الحكومة العثمانية في هذه المسألة أصح أحكاماً ، وما دعموه به أحسن بياناً ، ولا يرد عليه من الطعن ما يرد على مقررته الحكومة المصرية من تحريم ما أحل الله وأجمع عليه المسلمون كتزويج البالغين بالفعل قبل السن المعينة وعدم الاعتداد بشكاهما وما يترتب عليه من الاحكام الكثيرة وان ولد لهما ، وعدم سماع دعوى لاحدهما تتعاق بهذه القضية في حال حياة الآخر ولا بعد موته لا في الطلاق والنفقة ، ولا في الارث ولا في غير ذلك — وإباحتهما للمحرم بالاجماع من العقد على المتزوجة لرجل آخر بعد بلوغ السن المقررة — الى غير ذلك ، فالقانون العثماني اختار قولاً مشهوراً من أقوال أئمة الفقهاء في سن البلوغ وجعله مناط أهلية التعاقد في النكاح وغيره وجعل لمن يدعي البلوغ بالفعل قبله أن يستأذن الحاكم الشرعي في الزواج اذا أراد وحتم على الحاكم أن يأذن له إذا رأى أن بنيته تطيق ذلك ، فوقف عند حد منع الضرر والضرار الممنوعين بنص الشارع ، ولم يمنع من سماع أي دعوى تترتب على

نكاح لم يبلغ فيه أحد الزوجين تلك السن لما في ذلك من المفسد الكثيرة ، تضييع الحقوق الكبيرة . ومن ادعى أن كل زواج قبل السن المحددة في القانون فهو ضار كذبه الطب والحق الواقع ، ومن ادعى أنه لا ضرر في شيء منه فهو جاهل بالواقع أو مكابر ومن المغالطة أن يجعل الخلاف في هذا القانون دائرا بين منع زواج الصغير والصغيرة مطلقا وإباحته مطلقا فان بين الأمرين وسطا لم ينقل عن أحد من العلماء خلاف فيه وهو من بلغ بالفعل في سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة أو السابعة عشرة — وهو لا يصدق عليه وصف الصغير لغة ولا شرعا

لم يبالغنا أن أحدا من علماء الترك ولا غيرهم من العثمانيين أنكر على حكومتهم الأحكام التي جعلتها مواد قانونية لهذه المسألة ولكن جميع أهل البصيرة بالدين يطعنون في دين رؤساء تلك الحكومة الاتحادية ويحكمون بردتهم ويعتقدون أنهم يحاولون هدم هذه الشريعة الإلهية العادلة

وأما علماء مصر من مدرسي الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي ومدرسة دار العلوم والمحامين الشرعيين وغيرهم فقد تجرؤا في هذه المرة وانتقدوا هذا القانون من وجوه عديدة وأنكروا على واضعي نصه وعلى الشيوخ الكبارين — شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية — إجازته واقتصارهما على نقل قول الحنفية بجواز تخصيص القضاء — ومنهم من أطلق القول في الانكار وبالغ فيه ومنهم من عرف بعضا وأنكر بعضا ، وقد حوم بعضهم حول مسألة الاجتهاد وهل يدعيه واضعوه هذا القانون مطلقا أو مقيدا ؟ وألم آخر بمسألة جعل الشريعة قانونا وهو ما سبقنا إليه عند الأمر بتأليف اللجنة العلمية لوضع قانون الأحكام الشخصية — فبدأنا بإظهار انكارنا للشيخ محمد بن حنيت أكر أعضاء تلك اللجنة وثنيينا بوزير الحقانية ثم كتبنا ما كتبنا في المنار

ولما كانت هذه المسألة مفتاحا لمسائل سنئلوها من جنسها وتكون موضوع البحث والمناقشة في مجلس النواب المصري الذي سينعقد قريبا رأينا من المفيد أن ننشر أقوى ما اطلعنا عليه مما كتب في تأييد هذا القانون وفي نقده والانكار عليه ، ليحفظ أو يسهل الرجوع إليه ، والفريق الأول عندنا محصور في الشيخ محمد بك الخضري — وهذا نص ما كتبه ونشره في جريدة الاهرام :

تحديد سن الزواج

للاستاذ الشيخ محمد بك الخضرى من المفتشين للمدارس الأميرية (١)
فاجأ الجمهور مرسوم جلالة الملك بتحديد السن لزواج الصغير والصغيرة حتى
لو حصل الزواج قبل هذه السن لا تعترف به المحاكم الشرعية ولا تبني عليه شيئاً
من آثار الزوجية ولا يسمح لمن يباشرون عقود الزواج من المأذونين والقضاة أن
يحرروا عقد زواج بين اثنين لم يبلغ أحدهما السن التي قررها المرسوم لكل من
الزوجين. فاجأهم ذلك فكان مجالاً للاحاديث والسمرة، واستفتاء المستفتين، وانتقاد
المنتقدين، من علماء ومحامين، على صفحات الجرائد. وقد دعاني بعض من احب
الى أن اكتب على صفحات الاهرام الغراء ما يتضح به صريح هذا الامر الخطير قبل
أن تتشعب الآراء، وتكثر الظنون

زواج الصغير والصغيرة

مما كان موضوع خلاف بين فقهاء المسلمين عقد زواج الصغيرة والصغير فمنهم
من أجازوه ومنهم من منعه. أما الذين أجازوه فهم جمهور الفقهاء وهم بين مضيق
لداثرته وموسع لها ولهم في ذلك ثلاثة مذاهب.

(الاول) رأي الفقيه المقدم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله وهو الذي
توسع فيه توسعاً عظيماً حيث أجاز لكل ولي قرب أم بعد أن يتولى تزويج الصغيرة
والصغير إلا أنه ميز الأب والجد بامتياز وهو أن عقدتهما نافذ لا خيار فيه بعد أن يبلغ
ذلك الذي زج وهو صغير ذكر أو أنثى. أما ابن بشار وغيرهما من الأولياء من أخ
أو عم أو ابن عم فإنه يثبت فيه الخبر بعد البلوغ بشروط وقيد جعلت ذلك الحق في
الغالب عديم الجدوى وليس من غرضنا الآن أن نتوسع في شرح تلك القيود

(الثاني) رأي الفقيه المصري^(٢) الكبير محمد بن ادريس الشافعى وهو أنه لا

(١) منقولة عن جريدة الاهرام (٢) الذي علمه العلماء والمؤرخون نسبة الامام
الشافعى كالامام مالك الى الحجاز وقد نسبته الكتائب هنا الى مصر لانه هاجر اليها
وتوفي ودفن فيها رحمه الله تعالى

يزوج الصغير والبكر الصغيرة الا الاب او الجد وقيد حقهما في ذلك بقيود تحفظ للصغير والصغيرة بعض حقوقهما

(الثالث) رأي امام دارالمجرة مالك بن انس وهو انه لا يباشر هذا العقد الا الاب وحده في حياته ووصيه في التزوج بعد وفاته — احترام رحمه الله إرادة الاب حيا أو ميتا

وأما الذين منعوا تزويج الصغيرة والصغير قبل البلوغ فقليل من الفقهاء ذكر منهم صاحب المبسوط ابن شبرمة وأبا بكر بن الاصم والاول فقيه من كبار فقهاء الكوفة وكان قاضيا في عصر الامام أبي حنيفة رحمه الله وقد ساق صاحب المبسوط دليل هذا المذهب واضحا مع مخالفته لمذهبه كما هو شأن العلماء أئمة العلم ومرجع الهداية — قال — لقوله تعالى « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح » فلو جاز التزويج قبل البلوغ لم يكن لهذا فائدة — يلاحظ ان أئمة الفقهاء وكبار المفسرين قرروا أن كلمة النكاح لم تأت في القرآن الكريم الا بمعنى العقد ولان ثبوت الولاية على الصغير لحاجة المولى عليه حتى ان فيما لا يتحقق فيه الحاجة لا تثبت الولاية كالتبرعات — ولا حاجة بهما الى النكاح لان مقصود النكاح طبعيا هو قضاء الشهوة — وشرعا النسل — والصغير ينافي بهما

ثم هذا العقد يعقد للعمر ويلزمهما أحكامه بعد البلوغ فلا يكون لاحد أن يلزمهما ذلك اذ لا ولاية لاحد عليهما بعد البلوغ

هذا دليل المذهب المانع لزواج الصغيرة والصغير احتج عليه اصحابه بدليل منقول وهو اشارة الكتاب و بدليل راجع الى العلة التي شرعت من اجالها الولاية وهي حاجة الصغير فتى انتفت الحاجة انتفى علوها وهي هنا منتفية — و بدليل معقول وهو ما يترتب من الفساد على هذا العقد وهو إلزام الصغير بعد بلوغه امرأ لم يلتزمه لمن أجازوا تزويج الصغيرة والصغير — وهم جمهور الفقهاء — أدلة أخرى وليس القراء في حاجة الى أن نذكرها لهم لان الغرض ان نبين أن هناك مذهبا اسلاميا منع زواج الصغيرة والصغير وحتم الانتظار الى البلوغ. والذين رووا هذا المذهب هم علماءنا الذين نطمئن اليهم

يظهر أن الحكومة المصرية سمحت لنفسها منذ أزمان أنها إذا رأت في حكم من المذهب المعمول به ضرراً يلحق الجمهور أن تشير على جلالة الملك بتعديل هذا الحكم مستعينة بآراء الآخرين من الفقهاء سواء أكانوا من أرباب المذاهب المعروفة كما فعلت في الطلاق على الغائب ومسائل أخرى أم من غيرهم كما فعلت في هذه المسألة وعدم الاعتراض عليها فيما سبق شجعها على تحديد سن الزواج بعد أن علمت من أضرار تزويج الصغار ما علمت

وليس هناك مانع من التلفيق كما صرح به كبار رجال الاصول وفي مقدمتهم الكمال ابن الهمام أشهر الاصوليين من الحنفية

المنع وعدم سماع الدعوى

الحكومة متى تحققت من ضرر السير على حكم من الاحكام في المذهب المعمول به ليس في مقدورها أن تمنع من العمل على خلافه والدليل على ذلك أن المحاكم الشرعية تسير في أحكامها على الراجح من مذهب أبي حنيفة رحمه الله وهناك أقوال لأصحابه تخالف ذلك الراجح ومذاهب أخرى تخالفه كذلك فهل في مقدور الحكومة أن تمنع زواجا يعقد بين اثنين على مذهب الشافعي رحمه الله وتقول للزوجين تفرقا لان العقد بينكما ليس على الراجح من مذهب أبي حنيفة كلا ليس ذلك في مقدورها مادام الزوجان راضين انما الذي في مقدورها الا تعترف محاكمها بهذا العقد ولا بالأثار المترتبة عليه . هـ أن زوجا قال لزوجته مطلقا: أنت بائن وفي أثناء عدتها راجعها من غير عقد جديد فهل في وسع حكومة من حكومات العالم الاسلامي أن تقول للزوج الذي عاد الى معاشرته زوجته: لا تعد لان أبا حنيفة يعتبر هذا الطلاق بائنا ولا عودة الا بعقد جديد ؟ كلا ليس ذلك في وسع أحد وانما اذا تقديما للمحكمة لا تعتبرها زوجين واذا مات احدهما لا تورث الآخر منه لان الزوجية في نظر المحكمة قد انحلّت ولم تعد — فما رآه بعض المحامين من انه كان الاولى بالحكومة أن تضع عقوبة على من زوج ابنة أو ابنته في حال الصغر رأي لم ينضج اذ كيف يعتبر مجرما من اتبع مذهباً من مذاهب المسلمين في عمل من أعماله الشخصية ويجر إلى المحاكم المدنية لتحكم عليه بالعقوبة

إن هذا المرسوم الكريم قد دعا الى الابتعاد عن امر فيه ضرر عظيم — كانت هناك عقود تعقد لا لمصلحة الصغيرة والصغير بل لمصالح آخرين يريدون الاستفادة من تقييد احدا الزوجين بالآخر قبل ان تعرف ارادتهما او ارادة احدهما وكثير من المطلعين على احوال الناس يقولون ان عاقبة مثل هذا الزواج في الغالب تنكد على الزوجين جميعا واكثر من ذلك ان ذوي الخبرة من الاطباء قرروا لهذا الاجتماع اضرارا ليس شرحها بميسور على صفحات الجرائد وقد سمعت الكثير منها فأكثرت سماعه. ولا طريق الى تنفير الناس منه وابعادهم عنه الا ان يروا محاكمهم الشرعية تأبى ان تعترف به

اما الاعتراض على ذلك بما يوجد من تحريم حلال واحلال حرام فلا محل له مادامت هناك مذاهب مختلفة وكثير من العقود يعتبرها ابو حنيفة رحمه الله صحيحة ويعتبرها الشافعي باطلة. ولكن القاضي يحكم بالصحة ويحل الاجتماع فهل يقوم الشافعي ويقول المحكمة قد احللت ما جرم الله ؟ كلا بل متى حكم القاضي بأي مذهب ابيح له ان يقضي به كان حكمه قاضيا على كل خلاف وصارت الحادثة كأن فيها قول واحد اذا أباح ولي الامر لقاضيه ان يقضي بمذهب ابن شبرمة في زواج الصغيرة والصغير فقفى حتى يطلانه لم يعد هناك خلاف بين الفقهاء في بطلانه وهكذا الشأن في كل حكم لم يخالف كتابا ولا سنة ومع هذا فان المرسوم لم يكلف القاضي ان يحكم ببطلان الزواج وليته فعل فان الجادة خير من بنيات الطريق

ولا محل لقول كاتب في المقطم امس « فرأيت الشريعة برمتها لا تحظر ما منعه القانون الملحق ولا تمنع ما حرمت هاتان المادتان » فانه ان اراد بالشريعة بعض المذاهب الاسلامية كان قوله صحيحا وليست الشريعة مذهبا معينيا واذا اراد بالشريعة اجماع المسلمين على حل ما يريد المرسوم الامتناع منه خطأ صاحب الميسوط بما رواه واستدل عليه في الصفحة ٢١٢ من الجزء الرابع

ليس للجمهور المصري بعد ذلك الا ان يساعد حكومته التي ارادت به خير افيمنع من تلقاء نفسه عن عقد زواج احد طرفيه صغير او صغيرة محمد الخضرى

زواج الصغير والصغيرة

(رد للاستاذ الشيخ محمد بن حنيت أشهر علماء الازهر وفقهاء الحنفية)

ارسله الينا ونشر في بعض الجرائد اليومية قد بداه بمقدمة في حكم النكاح (التزوج) واختلاف العلماء فيه هل فرض او واجب او سنة على الاعيان او على الكفاية وكونه بصرف النظر عن الخلاف تعثر به الاحكام فيجب على من خاف على نفسه الزنا - وبعد هذه المقدمة قال :

قد اطلعنا في جريدة الاهرام عدد ١٤٢٣١ الصادر في يوم الاثنين ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ - ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٢ على مقال مذيّل بامضاء حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد الخضري ومذكرة مذيّلة بامضاء علماء من أفاضل العلماء وبعد أن ذكروا مذاهب جمهور العلماء في تزويج الصغير والصغيرة وان ذلك جائز على اختلاف بينهم فيمن يتولاه ذكروا بعد ذلك مذهب الذين منعوا من زواج الصغير والصغيرة وتزويجهما قبل البلوغ وان ذلك مذهب ابن شبرمة وأبي بكر الاصم وأن دليل هذا المذهب قوله تعالى (وابتلوا البتامة حتى اذا بلغوا النكاح) الى آخر ما ذكره من الأدلة. وأقول إني أعتقد أن من البعيد أن يكون ذلك النقل صحيحا وان نسبته في المبسوط لها ولذلك قال صاحب البدائع يحكي عن عثمان البتي وابن شبرمة أنهما قالا : ليس لهما أي اللاب والجد ولاية التزويج ولم يستدل لهما بتلك الآية بل استدل بالمعنى فقول صاحب البدائع يحكي دليل على ضعف النقل عن ابن شبرمة ومن معه وأن صاحب المبسوط وغيره ممن نقلوا هذا المذهب عن ذكروا إنما نقلوه لا بطلاله بقطع النظر عن صحة النقل وغدمه وأيضا يبعد كل البعد أن ابن شبرمة ومن ذكر معه يستدلون بهذه الآية على منع زواج الصغير والصغيرة وتزويجهما ويقولون أنه لو جاز لم يكن لهذا فائدة وذلك لان الآية إنما سيقّت لما يتعلق بأموال البتامة الصغار ولا دلالة فيها على منع تزويج الصغير والصغيرة لا بطريق العبارة ولا بطريق الإشارة ولا بطريق آخر من طرق الدلالات

والى كافة العلماء بيان ذلك فنقول : قال تعالى في أول سورة النساء (وآتوا اليتامى أموالهم) قال المفسرون جميعا فيما نعلم الخطاب للأوصياء والأولياء. والمراد بإيتاء الاموال إما تركها سالمة غير متعرض لها بسوء وإما الإيتاء بالفعل والمراد باليتامى إما معناه اللغوي فيشمل الكبار والصغار فهو حقيقة في ذلك وارد على أصل اللغة وإما مجاز باعتبار ما كان لان إيتاء المال بالفعل إنما يكون بعد البلوغ ثم قال تعالى في تلك السورة (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) قال المفسرون هذا رجوع الى بيان بقية الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى وتفصيل ما أجمل فيما سبق من شرط إيتائها وكيفيته إثر بيان الأحكام المتعلقة بالنفس أعني الزواج وبيان بعض الحقوق المتعلقة بالأجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطراداً اذ الخطاب كما يدل عليه كلام عكرمة للأولياء وصرح هو وابن جبير بأن المراد من السفهاء اليتامى ومن أموالكم أموالهم ثم قال عز من قائل بعد ذلك (وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم) الآية قال شيخ الاسلام (١) : ان هذا شروع في تعيين وقت تسليم أموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بإيتائها على الإطلاق والنهي عنه عند كون أصحابها سفهاء. وقال غيره: ان هذا رجوع الى بيان الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى لا شروع. وأيا كان فقد أطبق المفسرون على أن الابتلاء معناه الاختبار وعلى أن معنى الآية واختبروا. من عندكم من اليتامى بتتبع أحوالهم في الاهتداء الى ضبط الاموال وحسن التصرف فيها وجربوهم بما يليق بهم. غير أن أبا حنيفة قد اقتصر في الاختبار على الاهتداء الى ما ذكره زاد الشافعي على هذا الاهتداء الاهتداء الى الصلاح في الدين واتفق الامامان رضي الله عنهما على أن هذا الاختبار يكون قبل البلوغ وظاهر الآية يشهد لها لما تدل عليه (حتى) التي هي للغاية غير أنهما اختلفا في طريق الاختبار فقال أبو حنيفة : يكون ذلك باذن الولي أو الوصي لليتيم في أن يباشر البيع والشراء مثلاً وقال الشافعي : لا يكون بذلك بل يكون بدونه على حسب ما يليق بالحال بأن يمرنه على كيفية البيع والشراء حتى اذا جاء

(١) يعني ابو السعود العمادي رحمه الله تعالى

وقت البيع أو الشراء بأمره الولي أو الوصي وذلك لان الاذن في مباشرة البيع والشراء مثلاً يتوقف على دفع المال لليتيم ودفع المال اليه لا يكون الا بعد البلوغ وايناس الرشد والغرض الاختبار قبل ذلك ، وقال مالك الاختبار يكون بعد البلوغ . وقوله تعالى (حتى اذا بلغوا النكاح) بمعناه على ما اتفق عليه المفسرون حتى اذا بلغوا الحلم وحد البلوغ سواء كان ذلك بالحيض والاحتلام أو بالسن بالنظر الى الصغيرة أو بالسن أو الاحتلام بالنظر الى الصغير ويستوي في ذلك المعنى أن يكون لفظ النكاح في الآية بمعنى العقد أو بمعنى الوطء وان قال الحنفية أنه حقيقة في الوطء والشافعية انه حقيقة في العقد وقد جاء بمعنى الوطء في قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) الآية فلوجه للقول بأنه لم يجيء في القرآن الا بمعنى العقد وقالوا جميعاً إن معنى قوله تعالى (فان آستم منهم رشداً) الآية ان أحسستم أو تبينتم اهتداء الى ضبط الاموال وحسن التصرف أو الى ذلك ومصلحة في الدين على ما سبق من الخلاف فادفعوا الى اليتامى أموالهم عقب البلوغ بدون تأخير فحتى الابتداء وللغاية (واذا بلغوا النكاح) جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية فكان دفع الاموال معلقاً على شرطين الوصول الى حد البلوغ وايناس الرشد ، ولذلك قال الفخر الرازي لا شك أن المراد من ابتلاء اليتامى المأمور به ابتلاؤهم فيما يتعلق بمصالح حفظ المال وقد قال الله تعالى بعد ذلك الامر (فان آستم منهم رشداً) فيجب أن يكون المراد (فان آستم منهم رشداً) في ضبط مصالحهم فانه ان لم يكن المراد ذلك تفكك النظم ولم يبق للبعض تعاق بالبدن انتهى

اذا علمت هذا تعلم أن الآية لا دلالة فيها على منع تزويج الصغير والصغيرة قبل البلوغ حتى يقال انه لو جاز التزويج قبل البلوغ لم يكن لهذا فائدة وما هو الشيء الذي لا تكون له فائدة في هذه الآية اذا جاز التزويج قبل البلوغ ، قد علمت معناها الذي أطبق عليه المفسرون؟

على أن هذا المذهب بعد كونه غير مدون ولا أصحاب له يعتمد عليهم في النقل مصادم لصريح قوله تعالى (واللاتي يئسن من المحيض من نسائكم ان

ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن) قال صاحب المبسوط بين الله تعالى عدة الصغيرة وسبب العدة شرعاً هو النكاح وذلك دال على تصور زواج الصغيرة ومصادم أيضاً لقوله تعالى (وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) فان هذا القول انما يتحقق اذا كان زواج اليتيمة جائزا وقد أخرج البخاري ومسلم والنسائي والبيهقي في سننه عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت : يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها يشركها في مالها ويعجبها مالها وجهاً لها فيريد أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها فيعطيهما مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن ويبلغوا من أعلى سنتهن في الصداق وأمروا ان ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ، فالمراد من اليتامى المتزوج بهن والقرينة على ذلك الجواب فانه صريح فيه ، والربط يقتضيه ، والمراد من النساء غير اليتامى كما صرح به الحبراء رضي الله عنها بدلالة المعنى عليه ، وإشارة لفظ النساء اليه ، وقد روى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها مثل ما رواه البخاري ومسلم والنسائي والبيهقي عن عروة فهذا دليل على جواز تزويج اليتيمة

وقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت عمه حمزة من عمر بن أبي سلمة وهي صغيرة وقد تزوج قدامة بن مظعون بنت الزبير يوم ولدت وقال : ان مت فهي خير ورثتي وان عشت فهي بنت الزبير . وزوج ابن عمر بنتاً له صغيرة من عروة بن الزبير ، وزوج عروة بن الزبير بنت اخيه ابن اخته وهما صغيران ووهب رجل ابنته الصغيرة من عبد الله بن الحسن فأجاز ذلك علي رضي الله عنه وزوجت امرأة بن مسعود بنتاً لها صغيرة ابناً للمسيب بن نجبة فأجاز ذلك عبد الله

قال في المبسوط : ولكن أبا بكر الاصم لم يسمع هذه الاحاديث . ثم قال : والمعنى فيه أن النكاح من جملة المصالح وضماً في حق الذكور والاناث جميعاً وهو يشتمل على أغراض ومقاصد لا تتوفر الا بين الاكفاء والكفاء لا يتفق في كل وقت فكانت الحاجة ماسة الى اثبات الولاية للولي في صغرها لانه لو

انظر بلوغها لغات ذلك الكفء ولم يوجد مثله . ولما كان هذا العقد يعقد للعمر بتحقيق الحاجة الى ما هو من مقاصد هذا العقد فتجعل تلك الحاجة كالمصلحة في الحال باثبات الولاية للولي . انتهى

وبعد أن حكى صاحب البدائع أن لا خلاف في تزويج الاب والجد الابتيء يحكى عن عثمان البتي وابن شبرمة — بهذا اللفظ الذي يفيد ضعف النقل عنهما كما ذكرنا — استدلل للقول بجواز تزويج الاب والجد للصغير والصغيرة بقوله تعالى (وأنكحوا الايامى منكم) وقال: الايم اسم الاثني من بنات آدم عليه السلام كبيرة كانت أو صغيرة لازوج لها . وكامة من ان كانت للتبعيض يكون هذا خطابا للآباء وان كانت للجنس يكون خطابا للجنس المؤمنين ، وعموم الخطاب يتناول الاب والجد ، وأنكح الصديق رضي الله عنه عائشة وهي بنت ست سنين وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج علي ابنته أم كلثوم وهي صغيرة من عمر ابن الخطاب ، وزوج عبد الله بن عمر ابنته وهي صغيرة عروة بن الزبير — وبه تبين أن قولهما خرج مخالفا لاجماع الصحابة فكان مردودا . وأما قولهما أن حكم النكاح بقي بعد البلوغ فنعم ولكن بالنكاح السابق لا بالنكاح مبتدأ بعد البلوغ وهذا جائز كما في البيع فان لها ولاية بيع ما للصغير وان كان حراً البيع وهو الملك يبقى بعد البلوغ لما قلنا فكذا هذا . اهـ

وقال السكال في فتح القدير بعد أن استدلل على جواز زواج الصغير والصغيرة بقوله تعالى (واللاتي لم يحضن) : فبطل به منع ابن شبرمة وأبي بكر بن الاصم وتزويج أبي بكر عائشة رضي الله عنهما وهي بنت ست نص قريب من المتواتر . اهـ فكان هذا المذهب مذهباً باطلاً مردوداً مخالفاً لصريح الكتاب والسنة والاجماع فلا يجوز العمل به

سلمنا صحة النقل عن ذكرنا وأن المذهب مذهب صحيح يجوز العمل به لكن أصحاب المذكرة والاستاد الشيخ الخضري في مقاله لم يعملوا بهذا المذهب ولا بغيره من مذاهب علماء المسلمين وذلك لان ابن شبرمة وعثمان البتي وأبا بكر ابن الاصم إنما خالفوا على فرض صحة النقل عنهم في تزويج الصغير والصغيرة (المنار : ج ٢) (١٨) (المجلد الخامس والعشرون)

قبل بلوغهما لا بالحيض ولا بالاحتلام ولا بالسن ولا يوجد من علماء المسلمين قاطبة من يقول بأن بلوغ الصغير والصغيرة لا يكون إلا بالسن بل الاجماع من العلماء سلفا وخلفا الى يومنا هذا قائم على أن البلوغ في الصغيرة اما بالحبل أو بالحيض أو بالاحتلام. وفي الصغير اما بالاحبال أو بالاحتلام أو السن وأنه لا يصار الى اعتبار البلوغ بالسن الا اذا انعدم الحبل والحيض والاحتلام في الصغيرة، وانعدم الاحبال والاحتلام في الصغير. وأما اذا وجد شي مما ذكر في الصغير أو الصغيرة فقد بلغت هي وبلغ هو النكاح أي حد بلوغ الحلم وصارا مكافئين باجماع المسلمين فكان حصر بلوغ الصغير والصغيرة في كونه بالسن ودعوى انه أضبط أمانة للبلوغ كما جاء في المذكرة وفي مقال الاستاذ الشيخ الحضري يخالف لكتاب الله وسنة رسول الله واجماع المسلمين قال قرآن دال، والاجماع قائم على ان الصبي والصبية متى بلغا الحلم بأن حاضت الصبية أو احتلمت أو حبلت وكانت رشيدة وقت بلوغها وجب تسليم أموالها اليها بدون تأخير ولو كانت بنت نسم سنين. وكذلك الصبي اذا احتلم أو أحبل امرأته وتبين رشده وقت البلوغ وجب تسليم أمواله اليه ولو كانت سنه ثلثي عشرة سنة بدون تأخير ولا اعتبار بالسن في هاتين الحالتين. وأما اذا لم تحض الصبية ولم تحتلم ولم تحبل ولم يحتلم الصبي ولم يحبل امرأته كان بلوغهما حينئذ بالسن وهو خمس عشرة سنة عند الشافعي وأبي يوسف ومحمد وهي رواية عن أبي حنيفة وعليها الفتوى عند الحنفية كما ان العادة الفاشية ان الصبي والصبية يصلحان للزواج ونمراته في هذه المدة ولا يتأخران عنها

وشاع عن الامام الاعظم أن السن للصغير ثمان عشرة وللصبية سبع عشرة سنة وعلى كل حال فاعتبار السن أمانة للبلوغ وحدا له متأخر بالاجماع عن اعتبار الحيض والاحتلام حدا للبلوغ وأمانة له فلا يصار اليه الا عند عدمهما لا فرق في ذلك بين أن يزوج الانسان نفسه أو يزوجه وليه باذنه على اختلاف المذاهب في تفصيل ذلك وبين أن يملك التصرف في ماله ومتى بلغ بالسن على اختلاف المذاهب فان كان رشيداً وجب تسليم ماله اليه عقب بلوغه هذه السن وان كان سفياً وجب الحجر عليه على قول الشافعي وأبي يوسف ومحمد ومن

واقفهم ولا يحجر عليه عند أبي حنيفة بل يؤخر دفع ماله اليه الى أن تبلغ سنه
خمسا وعشرين سنة فان بلغ تلك السن سلم اليه ماله على كل حال
وأما ما أجاب به الاستاذ الفاضل الشيخ الحضري عن السؤال الرابع الذي
هو : ما الرأي فيمن يبلغ بعلامات البلوغ قبل هذه السن؟ بأنه لا يعلم تفصيلا
لمذهب ابن شبرمة في ذلك - فنقول له

إذا كنت لا تعلم تفصيلا لمذهب ابن شبرمة فيمن يبلغ بعلامات البلوغ قبل
هذه السن فلم يكن حد البلوغ معلوما عند ابن شبرمة فلا يعلم حد الصغير فيكون
مذهبه مجهولا عندنا فلا يجوز الأخذ به ومع ذلك فذهب ابن شبرمة وعثمان
البي وأبي بكر بن الاصبم لم يكن مدونا وليس له أصحاب نقلوه بطريق صحيح
وانما علمناه مما ذكره بعض علماء المذاهب الاخرى كصاحب المبسوط وصاحب
البدائع وصاحب الفتح وهؤلاء قد ذكروه مجملًا ومع ذلك فهؤلاء بمرحون
بأن هؤلاء العلماء الثلاثة لم يخالفوا الا في تزويج الصغير والصغيرة قبل البلوغ
وأطلقوا اعتماداً على ما هو متفق عليه بين الجميع من أن البلوغ كما يكون بالسن
يكون بغيرها قبل هذه السن على ما نطق به الكتاب والسنة وعبارة المبسوط قال:
بخلاف ما يقوله ابن شبرمة وأبو بكر الاصبم أنه لا يزوج الصغير والصغيرة حتى يأتيا
لقوله تعالى (حتى اذا بلغوا النكاح) اه فنكان المنع في هذا المذهب بغير البلوغ
بأي أمانة كانت كما هو المراد من قوله تعالى (حتى اذا بلغوا النكاح) على ما فصلناه
وقال في البدائع جملة الكلام فيه أنه لا خلاف في أن للاب والجد
ولاية النكاح الا شيء يحكى عن عثمان البي وابن شبرمة أنهما قالا ليس
لها ولاية التزويج واستدل لهما بأن حكم الزواج اذا ثبت لا يقتصر على حال الصغير
بل يدوم ويبقى الى ما بعد البلوغ الى آخر ما استدل به لهما مما هو صريح في أن
منعهما مقيد بحال الصغير . وأما بعد البلوغ فلا خلاف لاحد في جواز التزويج
والنزوج : وهل بمجرد عدم علم الاستاذ الشيخ الحضري بتفصيل هذا المذهب
فيمن يبلغ بعلامات البلوغ قبل هذه السن يثبت أن هناك خلافا ومذهبا في عدم
اعتبار علامات البلوغ في هذه السن وان لم ينقل العلماء خلافا في ذلك خصوصا

مع الاجماع على أن التكليف مرفوع عن الصبي حتى يحتلم وعن الصبية حتى تحيض وأما ما قاله في مقاله المنشور بجريدة الاهرام نمرة ٢٣٦ ١٤ في يوم السبت ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٣ من إن الاصوليين اشترطوا في العال التي تناط بها الاحكام ان تكون اوصافا ظاهرة منضبطة وعلامات البلوغ وان تكن منضبطة ليست بظاهرة الى آخر ما قال (١) - فنقول له ان علامات البلوغ ظاهرة منضبطة . منها الحيض والاختلام والحبل والاحبال وكما اعتبر الشارع هذه الامارات في البلوغ فقد اعتبر الحيض امارا في العدة في ذوات الحيض لانقضائها وتعرف براءة الرحم حتى على القول بأن عدة ذوات الحيض بالاظهار لان الاظهار التي تنقضي بها العدة انما تعرف بالحيض وكما اعتبر الشارع الحيض فيما ذكر قد اعتبره واعتبر الاختلام في توحه خطاب التكليف واجرى على كل بنت حاضت أو احتلمت وابن احتلم احكام البالغين المكلفين، فان كان لدى حضرة الاستاذ علم بأن في هذا خلافا فليد لنا على مذهب المخالف، وكذلك الشارع اعتبر الحبل علة لايقاف نصيب الحل في الميراث ولوجوب الحد على من حملت من الزنا على ان المثبت للحكم في مورد النص هو النص لا العال واما ما في دعوى الحيض من البلاء على الأزواج والزوجات فهذا منشؤه عدم التزام الشرع والعمل به على فرض ان الدعاوى تخالف الواقع قال تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كنّ يؤمنن بالله واليوم الآخر) وبالجمله فارتكاب مخالفة الحكم لا ينسخ الحكم

ومن هذا تلم انه لا معنى لقول اصحاب المذكرة « اتفق العلماء على بطلان العقد اذا باشره غير مميز » الخ بل هو لغو من القول وخروج عن الموضوع ولا علاقة له به لان الكلام ليس في مباشرة غير المميز عقد الزواج ولا في مباشرة المميز له ، وانما الكلام في مباشرة ولي الصغير والصغيرة تزويجهما حال الصغر بلا فرق بين مميز وغير مميز كما انه لا معنى لقول اصحاب المذكرة « اتفقت كلمة الحنفية أنه بعد البلوغ لا حبر لاحد في عقد الزواج » فانه خروج عن الموضوع ايضا (١) هذه مقالة ثانية للشيخ الخضري وضح بها مراده في المقالة الاولى رد على بعض المنكرين

لان الكلام ليس في الجبر وعدم الجبر على ان قبولهم فيها (لان البلوغ آية الرشد واستكمال العقل) يهدم جميع ما قصدوه من المقدمات التي ذكروها في المذكرة ويبطل ما يريدون ترويضه بناء عليها من جواز تحديد السن للزواج وذلك لانهم متى اعترفوا بأن البلوغ آية الرشد واستكمال العقل وكان البلوغ باجماع المسلمين كما يكون بالسن على التفصيل الذي قدمناه عند عدم الحيض والاحتلام للصبي وعدم الاحتلام للصبي يكون بالحيض والاحتلام متى بلغت تسع سنين والاحتلام للصبي اذا بلغ ثلثي عشرة سنة ولو لم يبلغ كل منهما السن التي حددوها لزواجه فكان تحديد السن بما حددوه للزواج مخالفا للكتاب والسنة والاجماع كما أن ما ذكروه بالمذكرة من اختلاف العلماء على فرض صحة الخلاف في جواز تزويج الصغير والصغيرة قبل البلوغ لا ينبغي عليه جواز تحديد السن التي حددوها للزواج لان الصغير او الصغيرة اذا بلغا بغير السن فقد بلغا الحلم وملاك تزويج نفسه إن كان ذكراً أو تزوج نفسها أو يزوجه وليها جبراً أو ندباً إن كانت انثى بكرًا أو ثيباً كما أن قول أصحاب المذكرة « ان من اللازم ان يناط سن الزواج بسن الرشد بالنسبة لكل من الزوجين الخ » قول باطل لان ذلك يقتضي أن هناك شرعا سنا للزواج وسنا للرشد بل ان الصبي والصبيبة متى بلغا الحلم بأي امارات البلوغ سواء كانت بامارة السن او بالامارات الاخرى التي تكون قبل السن ان كان رشيداً مهتدياً لضبط ماله سلم اليه ماله وان لم يكن كذلك بأن كان سفهياً يحجر عليه ولا يحجر على الخلاف السابق واما احداً البلوغ فلا فرق فيه بين الزواج وغيره واما استدلال الاستاذ الحضري واصحاب المذكرة لمذهب ابن شبرمة ومن معه بقوله صلى الله عليه وسلم (لا تنكح اليتيمة حتى تستأمر) وقوله عليه الصلاة والسلام « لا يُتِمُّ بعد الحلم » فهو استدلال لا يرضاه صاحب المذهب المذكور فان الحديث الاول يدل بمنطوقه على ان اليتيمة وهي التي لا أب لها لا تنكح حتى تستأمر على معنى حتى تبلغ وتستأذن كما يقول ذلك الشافعي أو أن المراد باليتيمة باعتبار ما كان كما يقول ذلك أبو حنيفة، ويدل بمفهوم المخالفة على أن الصغيرة التي لها أب يُنكحها أبوها، كما أن الحديث الثاني يدل بمنطوقه على أن اليتيم

ينتهي بعد الحلم ولو بالحيض أو بالاحتلام ولو لم تبلغ البنت ست عشرة سنة ولا الابن ثمانى عشر سنة. وقد ذكر صاحب المبسوط هذين الحديثين وجعلهما دليلاً للإمام الشافعي رضي الله عنه على مذهبه من أنه لا يجوز لغير الأب والجد تزويج الصغير والصغيرة وأما الأب والجد فلهما تزويجهما عملاً في ذلك بمنطوق الحديث ومفهومه المذكور، فكيف يمكن الاستدلال بهذين الحديثين لمذهب ابن عمر ومن معه وهم بمنعون تزويج الصغير والصغيرة مطلقاً ولا أدري من أين نقلوا الاستدلال بهذين الحديثين لمذهب المانعين تزويج الصغير والصغيرة وأما ما اشتمل عليه مقال الاستاذ الشيخ الحضري والمذكورة من التعاليل لهذا المذهب فليس شيء منها يصلح دليلاً وذلك لانحصار الدليل الشرعي في الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح وليس ما ذكره من العال واحد أمناً أما أنه ليس من الكتاب والسنة والاجماع فظاهر وأما أنه ليس بقياس فلاهم لم يذكروا الأصل المقيس عليه من الكتاب أو السنة أو الاجماع وعلى فرض أنه قياس صحيح فهو في مقابلة الكتاب والسنة والاجماع فلا يعول عليه ولا يلتفت اليه

وأما ما قالوه ترويحاً لتحديد سن الزواج من أن الزواج في الصغر يترتب عليه المفساد التي ذكروها ويضر بصحة الصغير والصغيرة فغير مسلم لأنه لم يقل أحد من المسلمين بأن الزواج فيه مفسدة لا في وقت الصغر ولا في وقت الكبر والاطباء يختلفون في أن الأفضل التبكير بالزواج أو التأخير واختلافهم يوجب الشك في أقوالهم على أنه لا يمكن لما قل أن يقول إن مجرد حصول عقد الزواج يحصل به ضرر لصحة الصغير أو الصغيرة وإنما الذي يتوهم أن يقال إنما هو في الوطء وأما العقد فلا يترتب عليه شيء أصلاً فلا وجه لتحديد السن له على أنه لا وجه للقول لترتب الفساد أو الضرر بالصحة إذا كانت الصغيرة تستهوى وبلغت السن التي تطبق فيه الوطء ولو لم تبلغ حد البلوغ في الشرع فإنه لو كان في ذلك أدنى مفسدة ما أمر الله به في كتابه، ورسوله في سنته وأجمعت الأمة على سنّيته أو إباحته (قل أنتم أعلم أم الله؟ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟)

مسألة تخصيص القضاء

وأما ما رتبته أصحاب المذكرة على تلك المقدمات التي أطالوا فيها بلا طائل من أن المنصوص عليه شرعا أن لولي الأمر ولاية تخصيص القضاء الخ ففضلا عن كون ذلك لا يتفرع على تلك المقدمات ولا ينبغي عليها ولا علاقة بينه وبينها لأن كون ولي الأمر يملك التخصيص معلوم للخاص والعام ومبينه على وجوه المصلحة التي تقتضيه على ما فصلناه بمحاضراتنا التي قرأناها بمدرسة الحقوق الملكية في أوائل ديسمبر سنة ١٩١٩ ونشرت بمجلة الأحكام الشرعية في ٢١ ديسمبر من تلك السنة في عدد ٣ وجرى على ذلك العمل وأصحاب المذكرة لم يبينوا فيها وجه المصلحة العامة التي اقتضت هذا التخصيص فانه ليس معنى التخصيص هو ما فهموه من أن ولي الأمر يمنع جميع قضاة عن أن ينظروا حادثة يخرجها عن اختصاصهم جميعا ولا ينصب لها قاضيا يفصل الخصومات فيها كما هو الشأن فيما قضت به المذكرة فان جميع حوادث الزواج الذي يقع قبل سن ست عشرة سنة للبنات أو ثمان عشرة سنة للبنين قد منع جميع قضاة مصر عن أن ينظروا فيها ، وقولهم في المادة الا بالأمر لا يعني شيئا ولا يقتضي نصب قاض بالفعل ينظر في تلك الحوادث. بل معنى تخصيص القضاء الذي تقتضيه المصلحة أن يقسم ولي الأمر جميع أملاكه إلى دوائر متعددة فيجمل لكل دائرة محكمة تحكم في قضايا القاطنين بها في حوادثهم ويقسم الحوادث كذلك بين قضاة تلك المحاكم فيجمل ما يخرج من اختصاص هذا القاضي داخل في اختصاص ذلك القاضي وعلى هذا لا يوجد مكان في المملكة أو حادثة لرعايا ولي الأمر الا ولها قاض يفصل فيها خصوصا اذا كانت تلك الحوادث في الحقوق المشتركة بين كونها حق الله سبحانه وكونها حق العبد كالزواج والطلاق أو الحقوق الخالصة لله تعالى فان للزواج بما فيه من حقوق أحد الزوجين على الآخر حق العباد ولما يترتب عليه من الحل والحرمة من حقوق الله تعالى كما أن الطلاق من حقوق العباد من وجه ومن حقوق الله من وجه آخر وذلك لان الشأن في الحقوق المشتركة أو الخالصة لله تعالى إنما هو للمعالم وولي الأمر فيجب أن يكون لما قاض يفصل فيها

أو يفصل فيها ولي الامر بنفسه

على أن التخصيص على فرض وجود المصلحة وان لم تظهر انما هو فيما أضيف على المادة ١٠١ من قانون سنة ١٩١٠ وأما ما أضيف على المادة ٣٦٦ من ذلك القانون من أنه (لا يجوز مباشرة عقد الزواج ولا المصادقة على الزواج المسند الى ما قبل العمل بهذا القانون) فليس من التخصيص في شيء بل هو نهي عن مباشرة عقد الزواج والمصادقة عليه مسنداً الى ما قبل العمل بذلك القانون لان كلا من المباشرة والمصادقة ليس من عمل القاضي بل إن الذي يباشر عقد الزواج أو يتصادق عليه إما الزوجان أو وكيلاهما ان كانا بالغين بالسن أو غيره أو ولياهما ان كانا قاصرين أو ولي القاصر ووكيل البالغ وأما المأذون فوظيفته تلقين صيغة العقد لمن يحتاج الى التلقين والكتابة في دفتر وتحويل ما فرخته الحكومة من الرسوم فعقد الزواج متى كان مستوفياً أركاناً وشروطه كان صحيحاً شرعاً حضر المأذون أو لم يحضر كتب أو لم يكتب ففضلاً عن كون عقد الزواج أدنى مراتبه السنوية المؤكدة أو الإباحة التي ندب الشارع الى فعلها فهو من الأمور الخاصة لا من الأمور العامة ولا يجوز النهي عنه كما لا يجوز نهى الإنسان عن بيع ملكه اذا كان عاقلاً بالغاً رشيداً ولم يحجر عليه لدين فضلاً عن ان تحديد سن الزواج والنهي عن مباشرة عقده قبل هذه السن المحددة يقتضي تحريم الحلال الذي ندب الشارع اليه وحض الناس اليه أو تحريم السنة المؤكدة وكلا الأمرين معصية باجماع المسلمين

اما قول حضرة الاستاذ الشيخ الحضري (اما الاعتراض على ذلك بما يوجد من تحريم جلال واحلال حرام فلا محل له ما دامت هناك مذاهب مختلفة) فنقول له يا حضرة الاستاذ ان الخلاف على فرض انه خلاف معتبر انما هو في الصغير والصغيرة قبل البلوغ واما بعد البلوغ ولو قبل بلوغ السن المحددة للصغير والصغيرة فليس هناك مذاهب مختلفة بل اجماع المسلمين وسنة سيد المرسلين كلها متفقة على ان الصغيرة اذا بلغت والعصي اذا بلغ الحلم بأي اشارة كانت كان كل منهما بالغاً شرعاً لا يخالف في زواجه احد من العلماء ولو لم تبلغ البنت ستة عشرة

المناز: ج ٢ م ٢٥ اقتضاء قانون من الزواج الحكم بالمحرم نصا واجماعا ١٤٥

سنة والابن ثمانى عشرة سنة. وقد صرح الفقهاء قاطبة بأن البنت اذا بلغت تسع سنين وادعت الحيض او الاحتلام تصدق في ذلك وكانت بالغة شرعا وكذا الابن اذا بلغ ثلثي عشرة سنة وادعى الاحتلام صدق في ذلك وكان بالغا شرعا وان وجدت احداً يخالف فيما قلنا فعليك البيان

فلو فرضنا ان البنت اذا تزوجت بعد البلوغ زواجا صحيحا شرعا ولم تبلغ تلك السن المحددة ليست تلك البنت تحل شرعا لهذا الزوج الذي تزوجها وتحرم على غيره ولا يحل لاحد غير هذا الزوج ان يتزوجها ما دامت في عصمته ووطؤها حلال لهذا الزوج حرام على غيره؟ فلو فرضنا أنها مكثت مع هذا الزوج مدة ثم ادعى آخر بعد أن بلغت سنهاست عشرة سنة أنه تزوجها بنكاح صحيح شرعي وادعاهما الاول كذلك اليس الحكم الشرعي يقتضي أن يحكم لاسبقهما تاريخا ولو كان زواجه بها قبل أن تبلغ السن المحددة؟ فاذن ماذا يصنع القاضي أيحكم بمقتضى الشرع للاول وقد كان زواجه بها قبل أن تبلغ السن المحددة المذكورة ويخالف ما ذهبه من ذلك التخصيص أو ذلك النهي وهو معزول بمقتضى ذلك التخصيص عن أن يحكم بالزواج قبل بلوغ هذه السن؟ أو يحكم للزوج الثاني وقد أمره الله أن يحكم للزوج الاول لا للثاني لان زواجه باطل بالاجماع؟ اليس في ذلك تحريم الحلال وإحلال الحرام؟ وما قلناه في البنت اذا بلغت تسع سنين وحاضت أو احتلمت وتزوجت يقال أيضا في الابن اذا بلغ ثلثي عشرة سنة واحتلم وتزوج وأحبيل زوجته ثم جاء آخر يدعى أن تلك الزوجة زوجته وكان المدعى تبلغ سنه ثمانى عشرة سنة والاول لم يبلغ تلك السن ولم تبلغ الزوجة أيضا سن ست عشرة سنة بل بلغت بغير السن فإذا يصنع القاضي أيحكم للسابق كما قضى به الشرع أم يحكم للثاني كما قضى به الرأي المخالف للشرع؟

اني أعنيق الله على ما أقول وكيل أنك وأصحاب المذكرة لا تقولون بجواز حكم القاضي للثاني بل بحوب الحكم للاول وانكم لا تخالفون في هذا ولا تستطيعون المخالفة فيه لما في المخالفة من مخالفة الكتاب والسنة والاجماع. ولا يسعني (المناز: ج ٢) (١٩) (المجلد الخامس والعشرون)

ازاء ما وقع الا أن اقول كما قال صاحب الروض من أئمة الشافعية
من قلد العلماء وأقدم أعذرا * وعلى الذي أفتى الخ الخ .
هذه نصيحتنا تقدمها لاولياء الامور وعامة المسلمين عسى الله أن يهدينا جميعا
الى سواء السبيل ويغفر لنا خطايانا وهو حسبنا ونعم الوكيل . محمد بن نخت
مقي الديار المصرية سابقا

(المنار) لما شرعت الجرائد اليومية في نشر هذه الرسالة كتب الشيخ محمد
الخضري بك مقالة ثانية لتوضيح المقالة الاولى والرد على بعض ما نشرته في
الرد عليه ولا سيما هذه الرسالة ، وقد تضمنت هذه الرسالة الرد على أقوى ما كتبه
ثم كتب صاحبها رسالة أخرى استوفى فيها الرد عليه من الجهة الفقهية ، وبقي في رسالته
الاخيرة مسائل أخرى مهمة تتعلق باجتهاد القضاة والحكام وهو يرى ويشايحه
بعض من كتب في المسألة أن الملوك ورؤساء الحكومات في هذا العصر مثل هذا
الحق في الاجتهاد وإلزام المسلمين العمل باجتهادهم في كل المعاملات حتى ما
يسمونه الاحكام الشخصية ، وأن طاعتهم تجب في ذلك . . . وفي هذه المسألة
بحث طويل ونحن نعتقد أن الشريعة لا حياة لها ولا بقاء لاحكامها في مثل مصر
والترك الا بالاجتهاد الصحيح ، وأما انحلال الحكومات للاجتهاد بغير ما لا يمكن
بدونه من العلم بالكتاب والسنة وأصول الفقه فهو مفسدة عظيمة في الدين والدنيا
وهنا مسألة أخرى اختصر فيها وأوجز كل من كتب في هذا الموضوع وهو
ما ادعى واضعوه من ذكرتي القانون من الترك والمصريين من الضرر العظيم في
زواج من لم يبلغ السن التي حددها فقد بالغوا فيها على اختلاف الفريةين في تحديد السن
وجعلها في أشد القطرين حراً — وهو المصري — أطول منها في أشدها برداً —
وهو التركي — مع العلم بأن البلوغ الطبيعي يكون أسرع في الاول وأبطأ في الثاني غالباً
وقد جعل الاستاذ الشيخ بنخت الضرر المدعى مشكوكا فيه بدليل اختلاف
الاطباء فيه وأشار الى أن العبرة فيه بقوة البنية وطاقتها الانثى البالغة في على احتمال
أعباء الحمل والولادة فهذا الضرر خاص بمن لا تطيق ذلك لا عام قرب بالغة
السن التي ذكروها لا تطيقه ورب غير بالغة ايها وهي تطيقه ، وقد راعى الترك

هذا في قانونهم ولا ندرى ما هم فاعلون في تنقيحه في هذا الطور الذي اشتد فيه التنازع الصريح بين الاسلام والغلو في التفرنج حتى ان كثير منهم يطالبون بحكومتهم بمنع تعدد الزوجات على علمهم بأن نساءهم أضعاف رجالهم، وأما الضرر الاقتصادي في حال عجز الصغير عن الكسب الذي يمكنه من النفقة التي يتوقف عليها تكوين الاسرة فالشرع الاسلامي يراعيه كما يراعي منع الضرر البدني ، فهو لا يشرع الزواج الا لقادر على النفقة بل التشريع الاسلامي مبني على منع كل ضرر يجنى به الانسان على نفسه أو على غيره وفي الحديث « لا ضرر ولا ضرار » رواه احمد وابن ماجه والقوانين الوضعية الاوربية تبيح لكل أحد أن يضر نفسه بالسكر والقمار والزنا وغير ذلك واذا كان مدمن هذه الموبقات صاحب زوج وأولاد فانه يجنى عليهم باقترافه إياها ما لا يذكر معه كل ما بالغوا فيه من زواج من دون السر التي حددوها ، ولا يزال كثير من الافرنج يبكرون بالزواج وقد قرأنا في هذه الايام مقالة في جريدة « السباسة » المصرية موضوعها تبكي اهل أمريكا بالزواج

وقد وفي هذا الموضوع حقه من الوجهة الطبية وغيرها الدكتور محمد توفيق صدق الطبيب العالم الكاتب الشهير (رحمه الله تعالى) في المحاضرات التي كان يلقيها في مدرسة دار الدعوة والارشاد ونشرت في المنار وطبعت على حداثها في جزئين ، ونشر هذا البحث في جريدة الاهرام ومما قاله ان السن القانونية للزواج في الشريعة الانجليزية ١٤ للذكور و ١٢ للاناث ، وتعتبر زواج الاطفال القاصرين صحيحا اذا لم يطعن أحد الزوجين في العقد عند بلوغ السن — وعزا ذلك الى ص ٥٦ من كتاب (أصول الطب الشرعي) لمؤلفيه جاي وفوير الانكليزيين . فليراجع البحث من شاء في المجلد ١٨ من المنار (ص ٣٦٦ م ١٨) أو في الجزء الاول من (دروس سن الكائنات ص ١٤٣)

وجملة القول ان القانون الذي هو محل بحثنا لم يثرو في وضعه من الوجهة الشرعية ولا من الوجهات الطبية والاجتماعية فيجب إلغاؤه وتأجيل مدالة سن الزواج الى أن ينظر مجلس نواب الامة في قانون الاحكام الشخصية وحينئذ نعود الى الموضوع فنوفيه حقه ان شاء الله تعالى

العبر التاريخية في أطوار المسألة المصرية

٣ *

قد بينا في مجلدات المنار ٢١-٢٣ أطوار المسألة المصرية منذ تألف الوفد المصري برئاسة سعد المطالبة باستقلال البلاد وكيف اجتمعت كلمة الأمة مع رجال الحكومة على تأييدهم سلباً وإيجاباً (١) حتى أثبتوا للحكومة البريطانية وهي خارجة من الحرب العظمى على رأس الدول الفائزة أنه يتعذر عليها إدارة الأمور في مصر بأيدي المصريين الساخطين عليها كما يتعذر عليها إدارتها بيدها هي بالاولى — وكيف بعد أن أرسلت لورد ملتر على رأس لجنة ليوقف على آرائهم وقاطعوه تلك المقاطعة الاجتماعية التي تجلت بها الوحدة في أكل مظاهرها لجأت الى السعي لتفريق كلمتهم اذ لا سبيل الى الفوز ودوام السيطرة عليهم بدون ذلك (٢) — وكيف وقع الشقاق في الوفد نفسه فكان بعض أعضائه مع عدلي باشا في طرف والباقيون مع سعد باشا في طرف آخر —

وكيف دبر في (لندن) نصب وزارة عدلي باشا وتأييد الوفد المصري لها ليسمح لرئيسه وسائر أعضائه بالعودة الى مصر فكان نصبها وإظهار الوفد الثقة بها على دخل خادع به كل من الفريقين الآخر حتى اذا ما عاد سعد باشا للاتصال بالأمة وتمكن عدلي باشا من تأليف وزارة رضية عنها الأمة — عاد الشقاق الى أشد مظاهره (٣) —

ولكنه تولى مفاوضة الحكومة البريطانية باسم الحكومة المصرية للاتفاق معها على حل القضية ففشل — لعلم الحكومة البريطانية بأن الأمة لا تؤيده وأنها لا تستطيع عملاً بعد أن صارت الى شرم مما كانت عليه قبل الاتحاد اذ لم يكن زعماءها متعاضدين ولا متحدين على عمل — من الاعمال فأفضى ذلك الى استقالة عدلي باشا وتعذر تأليف

(*) تابع لما في ص ٦٢ و ٢٢٦ م ٢٣ (١) ص ٢٧٤ م ٢١ (٢) ص ٥٤٠ م ٢١ «٣» ٣٩٧ والمقالة التاريخية الجامعة في ص ٤٩٦ - ٥٢٢ م ٢٢

وزارة أخرى من حزب العدلين لسخطهم الشديد من الحل الفظيع الذي عرضه
اللورد كرزون على عدلي باشا (١) فصاروا كالسعديين في الاحجام عن تأليف
وزارة تتولى العمل في ظل الحماية البريطانية

ثم كيف اضطرت الحكومة البريطانية بهذا الى نفي سعد باشا مع بعض أعضاء
الوفد الى جزيرة سيشل الصغيرة المنقطعة عن العالم في البحر المحيط الهندي وإلغائها
للعناية ، واعترافها بكون مصر دولة ذات سيادة ، مع الاحتفاظ بالمسائل
الاربعة المعلومة ، وكان ذلك اثر مذاكرة بين دار المندوب البريطاني السامي وعبد
الحق ثروت باشا رضي بهاهذا أن يتقلد الوزارة ويتولى وضع دستور للبلاد يتألف
بموجبه برلمان يفوض اليه تقرير أمر الاتفاق مع الدولة البريطانية في الامور المحتفظ بها
ولكن جمهور الامة قابل ذلك بغثور ونفور ، ولم يحفل بهذا الاستقلال المقيد
بالاربعة القيود ، الذي مهد له السبيل بنفي زعيم الشعب مع بعض رجاله ، وهو
حامل لوائه وزمر استقلاله ، واشتد ضغط الاحتلال بعد نواله (٢)

ظن الانكليز أنهم يرضون السواد الاعظم من المصريين وينالون مرادهم
من مصر والسودان بالاتفاق مع حكومة مصرية نياية زمامها بأيدي أصدقائهم
الذين يصفونهم بالمعتدين ، من حيث يقضون على الحياة القومية المصرية بابعاد
الزعيم الاكبر وبعض رجاله والتنكيل بمن يتصدى للمعارضة من الباقين منهم
بمساعدة الحكومة الوطنية — ولكن بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون

اشتد استياء الشعب وتهيجهم ، وتألفت للوفد لجنة أخرى مرحت بالمعارضة
ودعت البلاد الى مقاطعة الانكليز في كل معاملة تجارية أو شخصية ، فحكوا عليها أحكاما
شديدة ، حكوا بعد الاعتقال بالاعدام ، ثم استبدلوا به حكم السجن وتعزيم
الاموال ، وهو أن يدفع كل فرد من أفرادها خمسة آلاف جنيه للسلطة العسكرية
ثم تألفت لجنة ثالثة فحكوا على بعض أفرادها بالنفي الى بعض الواحات
المصرية وساموهم فيها سوء العذاب فتألفت لجنة رابعة

وظهر في أثناء ذلك الاعتداء على أشخاص الانكليز من الموظفين والجند

وغيرهم فكان يغتال الواحد منهم بعد الآخر في الشوارع العامة في وقت الظهيرة أو طرفي النهار أو ناشئة الليل . وقد أرق أهل القاهرة بتفتيش الحكومة المصرية لبيوتهم للبحث عن آثار يستدل بها على الجناية فكان رجال الشرطة يدمرون على أهل البيوت في الليل أو النهار ، وإن لم يكن فيها أحد من الرجال ، فيفتحون الخزائن والمصناديق ، ويقلبون الاثاث والرياش ، ويأخذون كل ما يجدون من القراطيس المكتوبة ، وقد يقلعون بلاط الحجرات رجاء أن يجدوا تحتها سلاحا ، وكانوا مع بعض الجند الانكليزي يستوقفون الناس في الطرقات ، رجالا أو ركبانا في أنواع المركبات ، ويفتشون ثيابهم وجيوبهم ، ولم يكن هذا ولا ذاك قاصرا على من كان موضع الظنة ، ومثار الشبهة ، بل كان كل أحد عرضة لهذه الاهانة . وليس من موضوعنا ذكر ما كان يلابس ذلك من الفساد ، ولم يكن هذا الارهاق كله ولا اعتقال من اعتقل بالتهمة بمانع من تكرار الاغتيال ، وإنما كانت تقم قنرات عند العناية ببيت العيون والرقباء وكثرة الحرس السيار — وقد حوكم كثير من المتهمين بالشبهات في المحكمة العسكرية فلم يثبت شيء من تلك الجنايات على أحد ، ولا كون شيء منها باغراء الوفد المصري أو جمعية سياسية أخرى كما زعم بعض الرعاع الذين تصدوا لشهادة الزور رجاء نيل المكافآت التي كانت تعد بها الحكومة وتنتشر وعودها في الجرائد وعلى الجدران وهي ألوف من الجنيئات سارت وزارة عبد الحالى ثروت باشا لطيتها في هذه المآزق القائمة بمجرأ نادرة كان فيها مهددا بالاغتيال وقد اعتدى عليه بالفعل فنجأ ، فتألفت لجنة من ثلاثين رجلا من أنصارها فوضعوا مشروع دستور للمملكة المصرية وطلفت عهد السبيل لا انتخاب غير السعديين بكل حزم وعزم .

وفي تلك الاثناء ألف حزب الاحرار المعتدلين وانتخب عدلي باشا رئيسا له فاكتب كثير من اغنياء البلاد للاشتراك بالحزب وجريدته (السياسة) فاجتمع له بنفوذ الحكومة عشرات الالوف من الجنيئات ، وصدرت الجريدة بشكل راق كل عدد منها (٨ ص) خص بعضها بالآداب وبعضها بالامور النسائية وبعضها بالزراعة أو بالتجارة ... ولكن جمهور الشعب عاذاها حتى كان يعد سراؤها وقراءتها من الذنوب المنافية

للوطنية . وكان الغرض من تأليف هذا الحزب السعي لجعل أكثر أعضاء النواب والشيوخ من رجاله وقد اغتيل رجالان من خيرة رجاله وكان الشعب لا يزال نافرأ من القصر السلطاني فالملكي منذ أعلنت الحماية وسمي أمير البلاد سلطاناً ثم سمي بالتصريح البريطاني الذي ألغيت فيه الحماية ملكاً، وأشيع أن سعد باشا غير مخلص للملك وما زال العدائيون يرجفون بهذا إلى عهد قريب، ولكن هذه القصة تقشعت بسعي محمد نسيم باشا ومن واثاه من رجال الوفد المصري — وتلا ذلك نفور الملك من وزارة عبد الخالق ثروت باشا فوكت عدة أزمات وزارية انتهت باستقالة هذه الوزارة ، وخلفتها وزارة محمد نسيم باشا فأثار ذلك سخط السياسة الانكليزية فكادت لها دار المندوب السامي حتى اضطرتها إلى الاستقالة باقتراح حذف اسم السودان من الدستور المصري وكان قد نص فيه أن ملك مصر هو ملك السودان وأن حكومة مصر هي التي تتولى ادارته وأبدت الاقتراح بتهديد عظيم ملجئ قوي به اعتقاد الجمهور أن الاستقلال الذي اعترف به الانكليز اسم على غير مسمى صحيح ، وأن الاستقلال الصحيح لا يمكن تحقيقه إلا على يد رئيس الأمة العبقري الاحوذى الشمرى (١) سعد زغلول باشا ، فكيف بمقل جعل إبعاده عن البلاد تمهيداً له ؟

وخلفت وزارة محمد نسيم باشا وزارة يحيى باشا ابراهيم فكان استسلاماً للانكليز وصددها بالأوامر السرية التي تصدر عن دار المندوب السامي شراً من كل استسلام سبق من الحكومات المصرية للسيطرة الانكليزية في عهد الحماية وأشد ما كان قبلها من وطأة الاحتلال ، حتى كادت تقضي على المالية المصرية وتجعل النهوض بأعباء الاستقلال متى تم متعذراً، وكان شر أعمالها قانون التضمينات الذي أجاز للسلطة الانكليزية كل ما فعلته في زمن الحرب من تقبيل وتغريم وتغريب وتخريب وتصرف فيما ملك الحكومة والأمة والاجانب في بلاد مصر بحيث لا تجوز

(١) العبقري النادر المثال من انسان وغيره وقد قيل في عمر (رض) لم أر عبقرى مثله . والاحوذى الذي يسوق الامور احسن مساق لعلمه بها والشمرى بتشديد المعجمة المكسورة والميم المشعر للامور المحرب ذو المضاء فيها

مطالبتها ولا مقاضاتها في شيء منها ، وكان هذا موقوفا على المفاوضات المؤجلة ، وكذا قانون المكافآت التي تعطى لمن يترك خدمة الحكومة المصرية من الانكليز فكانت تعطى الالوف الكثيرة من الجنيهات لمن يستقيلون من وظائفهم حتى التي تنوطها الوزارة بآخرين منهم أو تنوط بهم غيرها فقال الحكومة يذهب سدى ثم قيدت الوزارة هذه العطايا بقانون ليكون حقا ثابتا لا ينقض . وقد وفيت الجرائد الوطنية ذلك حقه من النقد

نتيجة الاطوار السابقة

علمت الحكومة البريطانية في عهد وزارة عبد الحاق ثروت باشا أن ماعدته تنتهي الجود على مصر من إلغاء الحماية، والاعتراف لها بالاستقلال والسيادة ، وما رآته من منتهى الشدة والحزم في إدارة أمر البلاد من قبل وزارة موالية لها، ومن شدة قسوة السلطة العسكرية البريطانية في التنقيب عن المعتدين على رجالها، — لم يرض الرأي العام المصري بل لم يزد الا تماديا في عداوتها، وجراة على اغتيال رجالها ، وان نفوذ الوفد المصري الممثل في شخص رئيسه الزعيم الاوحد لا يفلوه نفوذ ، فعادت الى وضع سياسة الحكمة في موضع تحكم السلطة العسكرية والعشيرة الاستعمارية — فطفتت تفرج عن المعتقلين من أعضاء الوفد وأمرت بنقل الزعيم من معقل جبل طارق الى حيث شاء من أوربة وكانت قد جاءت به من جزيرة (سيدشل) اليه مراعاة لصحته اذ خشيت أن يموت فيعتقد المصريون أنها قتله أو عرضته الموت عمدا — وكان قد سعى له بذلك بعض رجال الانكليز وفي مقدمتهم صديقه رئيس حزب العمال البريطاني الذي هو رئيس الوزارة الانكليزية اليوم — نقل من جبل طارق الى فرنسا فزاره فيها هذا الرئيس مرتين . ثم لما دنا موعد انتخاب أعضاء مجلس النواب المصري سمح له بالعودة الى مصر، حتى لا يقال إن الانتخاب لم يكن حرا وان المجلس النيابي الذي يقرر الاتفاق مع الدولة البريطانية لا يمثل الامة المصرية

عاد الزعيم الى وطنه والكثير من الناس يظنون أن حزب الاحرار المعتدلين قد انتظم أمره ، واشتد أزره ، وان الحزب الوطني قد نشط من الخمول الذي

كان قد عرض له ، وشرع بعد إلغاء الأحكام العرفية يحدد نفوذه ، وان الوفد المصري قد صار حزناً بامثالهما ، ولم يبق رئيسه زعيماً للامة بأسرها ، وان زعامته الحقيقية لا تعدو طلاب المدارس وجمهور المحامين ، وأما كبار الأغنياء والمتحليين بالرتب الفخمة واللقاب الضخمة ، وأكثر رجال الحكومة ، فهم عليه لا له ولا معه ، وان أكثر العالين معاقبة أركانهم بارادة العهد الذين هم آله في أيدي مأموري المراكز الذين يسيرهم المديرون كما تشاء وزارة الداخلية ، وان لعدلي باشا وقد صار مديراً للبنك العقاري نفوذاً كنفوذ الحكومة في نفس فريق كبير من الأغنياء ، وهم الذين رهنوا أطيافهم لهذا البنك فهم يرجون رضاه ، ويهابون شذاه

وكان جمهور رجال الانكليز في مصر يرون هذا الرأي ويعتقدون هذا الاعتقاد — فمما سمح الانكليز لسعد بالعودة الى مصر لا وهم يحسبون أن عودته تزيد الفرق والشقاق احتداماً ، ولا يكون هو الجواد السابق الذي يريح السبقة وكان جمهور المصريين استقايين في الرأي غير المتعيزين الى فئة ولا شخص يخشون من عاقبة الشقاق في هذا العهد ، فوق ما كان من سوء عاقبته من قبل ، يرون أن الخطأ المثل أن يبدأ الزعم الاكبر بدعوة خصومه الى الاتفاق والاتحاد ليكون (اللمان لمصري قو) متحدة أمام الدولة البريطانية القوية في كل شيء ، وهو لا يملك غير قوة الوحدة ، فلما لم يفعل نقموا منه ، وانطلقت أسنة بعضهم بعذله ومخطئته ، وتشاءوا من سوء المصير ، ولكن الشؤم والسعد ضدان لا يجتمعان ، وأما رأي سعد باشا ورجال الوفد فهو أن جمهور الامة الاعظم معهم فاذا هم أعلنوا له أنهم متفقون مع زعماء هذه الاحزاب بعد ان كانوا هم الذين أحدثوا الشقاق في الوفد وصدعوا بناء وحدة الامة . وان انتخبهم أعضاء لمجلس النواب كانتخاب رجال الوفد ومن يرشعه سواء — فأنهم يناولون بنفوذ الوفد ورئيس الامة كثيراً من الأعضاء ، ويحسبون أو يدعون بعد ذلك أنهم انما نالوا ذلك بنفوذهم والثقة بأحزابهم ، ويقعون الشقاق في مجلس الامة كما أوقعوه في وفدها من قبل ، تكون هي القضية على الامة ، لان هذا المجلس هو الممثل الرسمي لها الذي لا يمكن أن يكابر فيه الانكليز كما كابروا في تمثيل الوفد ، إذ ادعوا أنه حزب (المنازل ج ٢) (٢٠) (المجلد الخامس والعشرون)

لا قوة له الا تلايد المدارس الاغرر . وقد أجمع الناس على أن الشقاق الذي حصل في الوفد وفرق الكلمة كان أضر مامنيته به الامة ، ولكن وجد شيء من الخلاف فيمن تلقى عليهم التهمة ، فيذغي أن يجمعوا أيضا على أن تلافي ذلك الشقاق وما ترتب عليه من ارهاق البلاد بالتكيل والتغريب والتعذيب وسفك الدماء ومصادرة الاموال لا علاج له الا تأليف مجلس النواب من المتفقين في المشرب السياسي وعلى الزعيم السياسي ، وهو لا يرجي ممن وصل بينهم الخلاف والشقاق الى الحد المعروف بين الوفديين وبين العدليين ومن شايعهم من جماعة الحزب الوطني .

واذا كان الامر كذلك فالمعقول أن يجتهد كل فريق أن ينال في الانتخاب الا كثرة العظمى التي تمكنه من حل القضية المصرية بما يرى أنه هو الذي تطلبه الامة التي تمنحه ثقته .

وقد جرى الانتخاب على هذه القاعدة فتبارى كل فريق في السعي لانتخاب رجاله الذين رشحهم في الطعن في خصمه بالنشر في الجرائد ، وبالقائه الخطب في المحافل ، وكانت حرية كل منهم تامة لم تعارضها احكومة ولا الامة ، ولكن جميع أهل الفضل ولا سيما المستقلين في الرأي كانوا متألمين من القذع بهجر قول والتمادي في المطاعن الشخصية . وقد قال سعد باشا كلمة في خطبه له أراد أن تكون فصل الخطاب ، وهي : « لهم السباب ، ولنا مقاعد النواب »

تم الانتخاب في القطر كله وأعلنت الحكومة ندمته فكانت الا كثرة الساحقة في جانب الوفد المصري ، وظهر ان مجلس النواب سعي وأي سعي ، فان بعض الاعضاء الذين لم يرشحهم الوفد - وقليل ما هم - كانوا يذهبون الى سعد باشا مهتمين له بفوزه ، معترفين برياسته وزعامته ، ثم اتفق جمهورهم على إقامة حفلة له يجمعوا نفقتها بالاكتتاب من أنفسهم ، فحضرها ٢٠٠ ونخلف عنها ١٠ اعتذر بعضهم ، وقد ألقى عليهم خطبة تاريخية أودعها مجل برنامج السياسي لمجلسهم فصفقوا لها وأجمعوا عليها ، وعدوها كبرنامج سياسي شبه رسمي لمجلس الامة ، وقد صرح فيها بأنه لم يبق لوزارة يحيى باشا ابراهيم مندوحة عن الاستقالة

فلم تلبث هي أن ستقالت وتلاها طالب الملك لسعد باشا ومذاكرته مشافهة في تأليف الوزارة بمعد بحث طويل سبق للوفد في المسألة وتقريره قبول الرئيس للوزارة فقبل وهذا نص الوثائق الرسمية للوزارة السعدية

وزارة سعد باشا زغلول

أمر ملكي رقم ١٤ لسنة ١٩٢٤

عزيزي سعد زغلول باشا

لما كانت آمالنا ورجائنا متجهة دائما نحو سعادة شعبنا العزيز ورفاهته، وبما أن بلادنا تستقل الآن عهدا جديدا من أسمى أمانينا أن تبلغ فيه ما نرجوه لها من رفعة الشأن وسمو المكانة، ولما أتم عليه من الصدق والولاء، وما تحققتنا فيه من عظيم الخبرة والحكمة وسداد الرأي في تصريف الأمور، وبما لنا فيكم من الثقة التامة - قد اقتضت ارادتنا توجيه مسند رئاسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرياسة الجليلة لمهتكم

وأصدرنا أمرنا هذا للدولة في تأليف الوزارة وعرض مشروع هذا التأليف علينا لصدور مرسومنا إلي به ونسأل الله جللت قدرته أن يجعل التوفيق رائدنا فيما يعود على بلادنا بالخير والسعادة انه سميع مجيب (فؤاد)

صدر بسراي عابدين في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٢ - في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٤

﴿ بيان الوزارة واسماء الوزراء ﴾

هذا هو البيان الذي قدمه سعد باشا زغلول لجلالة الملك

مولاي صاحب الجلالة :

ان الرعاية السامية التي قابلت بها جلالتم تفة الامة ونوابها بشخصي الضعيف توجب علي والبلاد داخلة في نظام نيابي يقضي باحترام ارادتها وارتكاز

حكومتها على ثقة وكلاهما ألا أتضح عن مسؤولية الحكم التي طالما نهيتها في ظروف أخرى ، وأن أشكل الوزارة التي شاءت جلالتكم تكليفني بتشكيلها من غير أن يعتبر قبولي لتحمل أعبائها اعترافاً بأية حالة أو حق استنكره الوفد المصري الذي لا أزال متشرفاً برياسته

ان لانتخابات لاءضاء مجلس النواب أظهرت بكل جلاء اجماع الامة على تمسكهم بادي لوفداني ترمي الى ضرورة تمتع البلاد بحقها الطبيعي في الاستقلال الحقيقي لمصر والسودان مع احترام المصالح لاجنبية التي لا تتعارض مع هذا الاستقلال كما ظهرت شدة ميلها لعفو عن المحكوم عليهم سياسيا ونفورها من كثير من التهديدات والقهائن التي صارت بدايقاف الجمعية التشريعية ونقصت من حقوق البلاد وحدت من حرية أفرادها وشكواها من سوء التصرفات المالية والادارية ، ومن عدم لاهتمام بتعليمها ، وحفظ الامن ، وتحسين الاحوال الصحية والاقتصادية ، غير ذلك من وسائل التمدد والعمران . فكان حقا على الوزارة التي هي وليدة تلك لانتخابات وهدأ مسئولا منها أن توجه عنايتها الى هذه المسائل الاله فالمهم منها ، وتحرص أكر همها في البحث عن أحكم الطرق وأقربها الى تحقيق رغبات الامة فيها ، وازالة أسباب الشكوى منها ، وتلاي ما هناك من الاضرار مع تحديد المسئوليات عنها ، وتعيين المسئولين فيها . وكل ذلك لا يتم على الوجه المرغوب لالمساعدة البرلمان . ولهذا يكون م أو واجبات هذه الوزارة لاهتمام باعداد ما يلزم لانهقاده في القريب العاحل وتحضير ما يحتاج الامر اليه من المواد والمعلومات لتكبنه من القيام بمهمته خطيرة الشأن

ولقد لبثت الامة زمانا طويلا وهي تنظر الى الحكومة نظر الطير للصائد ، لالجيش للقائد ، وترى فيها خصما قدراً يدبر الكيد لها ، لا وكيلا أميناً يسعى لخيرها وتولد عن هذا الشعور سوء تفاهم أثر تأثيرا سلبيا في ادارة البلاد وأعاق كثيرا من تقدمها ، فكان على الوزارة الجديدة أن تعمل على استبدال سوء هذا الظن بحسن الثقة في الحكومة (١) وباقتناع الكافة بأنها ليست الا قسما من الامة تخصص لقيادتها ، والدفاع (١) المراد أن يكون حسن الثقة بالحكومة بدلا من سوء الظن بجرى التعبير على العرف الغالب في هذا العصر في مادة الاستبدال والتبديل وهو عكس الثابت في اللغة

عنها ، وتدير شؤونها بحسب ما يقتضيه صالحها العام . ولذلك يلزمها أن تعمل ما في
 ونسبها لتقليل أسباب النزاع بين الافراد و بين العائلات واحلال الوئام محل الخصام
 بين جميع السكان على اختلاف أجناسهم وأديانهم كما يلزمها أن تبث الروح الدستورية
 في جميع المصالح ، وتعود الكل على احترام الدستور والخضوع لاحكامه وذلك إنما
 يكون بالقوة الحسنة وعدم السماح لاي كان بالاستخفاف بها والاخلال بما تقتضيه
 هذا هو بر وجرا . وزارني وضعت طقما لما أراه وتريده الامة شاعرا كل
 الشعور بان القيام بتنفيذه ليس من الهبات الميقات خصوصاً مع ضعف قوتي واعتلال
 صحتي ودخول البلاد تحت نظام حرمت منه زمنا طويلا . ولكنني أعتمد في نجاحه على
 عناية الله وعطف جلالته وتأييد ابرلمان ومعاونة الموظفين وجميع أهل البلاد ونزلائها
 فأرجو اذا صادف استحسن جلالكم أن يصدر المرسوم السامي بتشكيل
 الوزارة على الوجه الآتي :

للرئاسة ووزارة الداخلية

سعد زغلول باشا

لوزارة المعارف

محمد سعيد باشا

لوزارة المالية

محمد توفيق نسيم باشا

لوزارة الاوقاف

أحمد مظلوم باشا

لوزارة الحربية والبحرية

حسن حسيب باشا

لوزارة الزراعة

فتح الله بركات باشا

لوزارة الاشغال

مرقص بك حنا

لوزارة المواصلات

مصطفى النحاس بك

لوزارة الخارجية

واصف بطرس غالى فندي

لوزارة الحفانية

محمد نجيب القرايلى افندي

وأدعو الله أن يطيل في أيامكم ويمد في غلالكم حتى تنال البلاد في عهدكم
 كل ما تتمناه من التقدم والارتقاء

سعد زغلول

واني على الدوام شاكر نعمتكم وخادم سدتكم

وقد صدر أمر المرسوم الملكي باعتماد هذا البيان والتشكيل الذي فيه للوزارة بتاريخ

وأصبح سعد باشا زغلول رئيس هذه الامة ورئيس حكومتها ، وكان فضل الله عليه بهذا عظيما ، وما يجب عليه من الشكر عظيما ، وانما الشكر على هذا الفضل بتحري إقامة ميزان الحق والعدل ، ومراعاة المصلحة العامة بدون محاباة أحد من جماعة أو فرد ، وان كان من أفراد الوفد ، الا أن يكون المرجع له على مساوويه زيادة الثقة باخلاصه ومبادئه ، وأرى أنه قد آن لسعد باشا أن يري العالم بأعماله أنه الاب الحكيم الرحيم لهذا الشعب ، وان من عقه من أبنائه لم يقطعه من شجرة نسيبه ، بل يكون أحرض على عودته الى البر من حمله على التماذي في العقوق ، وأن يترفع عن الانتقام لنفسه ويتأسي ما استطاع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين ظفر بزعماء قومه ودخل عليهم عاصمتهم أم القرى فاتحا ، بعد أن كانوا يسيرون اليه الجيوش لقتاله في داء هجرته ، باغرا أبي سفيان عدوه وعدو عشيرته ، وقد قال يوشع « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » (رواه مسلم)

ويجب على كل مخاص الماده من خصوص سعد والوفد أن يؤيد ما استطاع هذه الحكومة ورئيسها ، ولا يدع سبيلا لاساءة ظننا فيه ، ولا يشترط في ذلك عصمتها من الخطأ ، ولا قدرتها على كل عمل ، ولا يجهل ما يقترح عليها من اصلاح ، وسيلة المماحزة والارهاق ، وجملة ما أريده من الساخطين والمعارضين الذين يعتقدون أنهم مخلصون في معارضتهم أن يجتهدوا في محاسبة أنفسهم وتمحيض نيتهم في كل معارضة وكل انتقاد فاز السخط يري النفس الاشياء بغير لونها ، ويجليها لها في غير ورتها ، وأماسي النية ومتبع الهوى ، قال نصيح له بهذا سدي واني أرى وأنا مستقل الرأي ، بسعد عن الهوى والتعيز الى أي حزب — أن الفرصة التي سنحت لمصر بهذه الوزارة ومكانتها من الامة الممثلة في (برلمانتها) ومن ملكها ، وبصيرورة الوزارة البريطانية الى حزب العمال وما بين رئيس وزارتنا ورئيس وزارتها من التعارف والثقة — أرى ان هذه الفرصة أمثل الفرص وأقرب الوسائل الممكنة لحل عقدة التنازع بين مصر وبريطانية أو اليأس من وصول هذه البلاد الى حقها بالاساليب السياسية ، ولا بد حينئذ من إفشاء الفشل الى ثورة عامة طامة لا يعلم مبدأها ومنتهاها وعاقبتها الا الله تعالى

في آياتها الظفرون اذ والافروز بظفركم ، وأياها المداخرون . الساخطون صححوا
نياتكم وحاسبوا أنفسكم ، افسحوا لهذه الحكومة في مجال عمل يفسح الله لسكنا
ونأملوا قوله تعالى (بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى عاذيره)

تقرير المطبوعات

﴿ الوفاق ﴾ جريدة أسبوعية سياسية اجتماعية أدبية أنشئت في (بين زورغ
— جاوه) مديرتها المسئول « محمد بن محمد سعيد الفتة » رقد جاء في فاتحة العدد
الاول منها ان : الغاية من هذا السلاط الودية : توطيد دلائل الجماعة والوفاق
ونشر احة ثق وبحث التعارف والنعارن البر والتقوى مؤزرة محبة جامعة
الاسلامية الهندية (ور سائر ما يصل ايما من أعددها مباحث في شؤون العالم
الاسلامي و بيان ما جاء عليه ملك الحجار السيد حسين بن علي مفصلا تفصيلا
وقيمة الاشتراك فيها عشر رويات في جزائر جاوه الهندية الشرقية وخمس عشرة
(أي جنبه انكليزي) في سائر البلاد فتتمنى لها التوفيق والرواج

﴿ حضرموت ﴾ « جريدة أسبوعية وطنية تبحث في السياسة والاجتماع
صاحبها ومديرها المسئول السيد عيد وس المشهور ورئيس محررها السيد محمد
ابن هاشم — تصدر في جزيرة سربايا (جاوه) الغرض الاول احض الحضرميين
الكثيرين في جزائر جاوه على العناية بأمر وطنهم « حضرموت » والسعي لعمارة
واصلاح شؤونها كما صرح به في فاتحة عددها الاول على أنها لا مندوحة لها عن
جعل حال الاسلام في جاوه ثم في غيرها في الدورية الاولى من مباحثها — وهو
ما نراه في كل عدد منها في هذا الزمن الذي تساعد فيه الحكومة الهولندية دعاة
النصرانية على هدم الاسلام فيها ، فنسأل الله تعالى أن يقرن سعيها بالتوفيق
وينفع البلاد والعباد بها ، وأنه ليسرنا ظهورها وظهور رفيقها الوفاق والذخيرة
في هذه البلاد في هذا الوقت ونتمنى ان يجدد جهالي العرب في جاوه هذه سلفهم
الصالح الذين نشروا الاسلام في تلك البلاد فيتمتعوا من حفظه وتجديده بم

تقتضيه حالة العصر

(الشرق والغرب) جريدة أسبوعية مصورة تصدر في مدينة (سنغافور)
اسنارو (من) (الارجننتين) رئيسة تحريرها الادبية السورية الشهيرة ابية هاشم
منشئة مجلة (فتاة الشرق) التي لا تزال تصدر باسمها في مصر ومديرها العام
ملحم افندي خير الله ، وموضعهما يعرف من اسمها ، هي تؤيد النهضة العربية
الادبية ، يسرنا أن عرف نخوتنا السوريين لهذه الاديب البارة قدرها ، وشدوا
أزرها ، وما زلنا نرى في كل عدد منها أسماء كثيرين يشتركون فيها لانفسهم
واغيرهم ويدفعون قيمة الاشتراك سلفاً عن سنة أو أكثر

(الدعوة الى انتقاد المنار والمواد المتأخرة لدينا)

إننا نذكر قراء المنار من أهل العلم الديني وأولي الرأي في مصالح لامة بما
الغزنا الدعوة اليه في فاتحة كل مجلد من الكتابة البنا بما يرونه منتقداً في المنار
لخالقته للحق أول المصلحة العامة لا عانتنا على هذه الخدمة وقياماً بما شرعه الله تعالى
من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد ضاق الجزء الاول من هذه الدعوة
اذ عرض لنا في أثناء كتابه فاتحته أن ننشر فيها ما يناسب الحالة الحاضرة من
مقصودتنا وكنا تركنا لها كراسة واحدة وطعننا ما بعدها ، فضاقت الكراسة عن
كل ما أردنا نشره من المقصورة وعن الدعوة الى الانتقاد . كما ضاق ذلك الجزء
ثم هذا عن نشر ما كتبناه من انتقاد سابق علينا من الشيخ عبد الظاهر ، ومن
صاحب مجلة السعادة ، وعن ترجمة صديقنا الشيخ مهدي أستاذ الادب المشهور
رحمه الله تعالى ، وغير ذلك من المواد التي جمعت حروفها ، وموعدنا بها الجزء
الثالث ان شاء الله تعالى

(ملاحظة) في ص ٩٧ س ٢٤ سقطت كلمة (على) من قوله تعالى (ختم
الله على قلوبهم) الآية



قال عليه الصلاة والسلام ان الاسلام صرى « وما » كذا الطريق

٢٩ شعبان ١٣٤٢ — ١٤ الحبل ١٣٠٣ هـ ش — ٤ مارس ١٩٢٤

فتاوى المثار

﴿ التبشير والمبشرون في نظر المسلمين ﴾

- (س ٢ - ٨) من القس المحترم الفرد نيلسن الدانيمركي بدمشق
- ١ - هل بحسب المسلم كل تبشير مسيحي للمسلمين مفسد وغير لائق مهما كان منصفاً وبعيداً عن الطعن
 - ٢ - هل بحسب المسلم على حد سوى المسيحي الغيور في دينه والمريد نشره لغيره والمسيحي الذي لا يعمل بدينه في حياته ولا لاجله عند غيره
 - ٣ - أليس من واجبات كل متنور أن يعرف الكتاب المقدس الذي أسس عليه تمدن الغرب (قابل الحديث : اطلبوا العلم ولو في الصين)
 - ٤ - ألا يستحق التبشير بالكتاب المقدس شكر كل انسان إما لانه يعرف الانسان فوائد لم يحصل عليها قبل أو لانه يجعل الانسان بعد التأمل بتدقيق يفضل كتابه الخاص
 - ٥ - أليس عصرنا الحاضر في كل دين عصر الاجتهاد فيطلب من أصحاب الدين أن يتمسكوا به ليس لانهم هكذا وجدوا آباءهم لكن لانهم تدققوا فوجدوا الدين ناقماً لانفسهم وللهيئة الاجتماعية أكثر من أي شيء في الدنيا
 - ٦ - من هو أحسن الذي يتمسك بدين من الاديان بعد الاقتناع ويطبق حياته عليه أم الذي يبقى في دين آباءه بدون اعتقاد داخلي وبدون أن يطبق حياته على أعلى مبادئ الدين وأشرفها

﴿ الجواب ﴾

عبارة هذه الاسئلة ضعيفة لضعف عربية صاحبها ونجيب عن الاول والثاني جواباً واحداً لا شترا كهما في المعنى فنقول : إن المسلم يميز بقدر ما أوتي من العقل والعلم بين التبشير النزيه الخالي من الطعن والتبشير البذيء المبني عليه ، ويميز بين

المسيحي الغيور في دينه العامل به وبين من اتخذ تجارة كأكثر المبشرين الذين عرفنا حالهم، ومن جعله سياسة كالذين رباهم هؤلاء المبشرون على التعصب وعداوة المخالف لدينهم من أبناء وطنهم فصار الدين جنسية سياسية لهم فهم لا يعملون بأوامره بالفضائل ولا بنواهيه عن الرذائل، وإنما حظهم منه مقاومة المخالف، ولا يحقر المسلم بطبيعة دينه شيئا من الأشياء كاحتقاره للنفاق وأهله. وأما كون كل تبشير يوجهه النصراني إلى المسلمين مفسد أو غير لائق فهو ما أثبت الاختبار إلى الآن وإن لم يكن من الضروريات المنطقية في حد نفسه — وأعني بهذا الاختبار سيرة جماعات المبشرين العامة ولكن يوجد أفراد يدعون إلى دينهم باظهار ما فيه من الفضائل والدفاع عما يرد على عقائده وأصوله من الاعتراضات، بما أوتوه من معرفة، مع مراعاة النزاهة، واجتناب كل ما يؤذي المناظر، وقد عاشرت بعضهم في طرابلس الشام أيام طلبي للعلم وجرت بيني وبينهم مناظرات كثيرة في بضع سنين لم يشك أحد منا صاحبه في شيء بل كنا نحترمهم لا دابهم وعدم انجاسهم بدينهم، وإن كانوا يأخذون الرواتب من بعض جمعيات التبشير.

ومن أضر أعمال المبشرين في مدارسهم حتى الاميركانية منها وهي أنزهاها أنهم يشككون الطلاب المسلمين في دينهم ولا يقنعونهم بالنصرانية فيخرج الكثيرون منهم ملحدين أو منافقين، وكذا طلاب النصراني وغيرهم، وهذا افساد عظيم لا يخفى على ذكاء السائل المحترم بل يوافق رأيه كما يؤخذ من سؤاليه ٥ و ٦ ودع خدمة هذه المدارس ومثلها مستشفياتهم لمطامع السياسة الاستعمارية حتى قال لورد سالسبوري الوزير الانكليزي المشهور إن مدارس المبشرين أول خطوة من خطوات الاستعمار لأن أول تأثيرها أحداث الشقاق في الامة التي تنشأ فيها فينقسم بعضهم على بعض باختلاف الافكار والشك في الاعتقاد، أي فيتمكن الاجنبي من ضرب بعضهم ببعض، وينتهي ذلك بتمكن المستعمرين من نواصيهم وسلب استقلالهم واذلالهم وسلب ثروتهم

وأما الجواب عن السؤال الثالث ففيه تفصيل لا يتسم لبسطه باب الفتوى فلنخص الكلام فيه بأن مجموعة الاسفار التاريخية الدينية التي تسمى « الكتاب

المقدس» هي من الكتب التي ينبغي المشتغلين بالتاريخ وبعلم الممل والنحل وأمثالهم أن يطلعوا عليها ولكن لا يجب على كل متتور أن يعرفها . ودعوى بناء تمدن الغرب عليها ممنوعة على إطلاقها ، وباطلة بالصفة التي يدعيها المبشرون في هذه الأيام لاستمالة المفتونين بالمدنية الأوروبية الى النصرانية بها ، فقوانين الغرب أبعد شرائع الأمم عن شريعة التوراة ، الا في القسوة على الضعفاء المغلوبين ، وآداب أهله أبعد من آداب جميع شعوب البشر عن آداب الانجيل من كل وجه ، فمدنية الأمم الغربية مادية شهوانية قوامها الكبرياء والتعالي وعبادة المال والطمع والرياء والاسراف في الزينة والشهوات ، فأين هي من أصول آداب الانجيل المبنية على التواضع والزهد والابثار والصدق ونبد الزينة واحتقار الشهوات ؟ ؟ ؟ وقد فصلنا ذلك مرارا كثيرة في المنار . وأما العلوم والفنون وشكل الحكومات المقيدة فلم تكن آثارا من آثار انتشار تلك المجموعة في بلاد الغرب بل كانت من آثار العرب والاسلام إذ من المسلمات التي لا جدال فيها ان تأثير الدين في الأمم يكون على أشده وأكمله في أول العهد بالاهتداء به وبعد أن يأخذ مداه غايه حده من النماء يضعف بالتدريج ، وقد مكث الغرب عدة قرون بعد انتشار النصرانية فيه ولم يظهر فيه شيء من مبادئ هذه العلوم والفنون ، واستقلال الفكر والسلطة المقيدة ، بل كان هذا مما انتقل الى أوربة من الاندلس العربية الاسلامية ، ومما حمله غزاة الحروب الصليبية اليها من سورية ومصر الاسلاميتين . ولا يحفل القس الفاضل مالاقي الدعاة الى ذلك في أوربة من اضطهاد حملة تلك المجموعة المقدسة وحمايتها من الظلم والاضطهاد في محاكم التفتيش وغيرها . ولو اقتبس الغرب من الشرق دين العرب كما اقتبس علمهم وحكمتهم لجمعت مدنيته بين الكمال في الدين والدنيا ولم تكن مادية محضة كما هي الآن

وأما الجواب عن السؤال الرابع : فهو أن التبشير بهذا الكتاب ليس نعمة على كل فرد من أفراد البشر حتى يجب شكره على كل فرد منهم ، وإنما الشكر على النعم ، بل نقول انه كان نقمة ومصيبة على جميع أهل البلاد التي نعرفها بما أحدث من الشقاق والتعادي بين أهلها وفاقا لما قرر في المورد ساسبورري، وان جميع

أهل العلم والبصيرة من أهل البلاد السورية التي يقيم فيها السائل يعلمون اليوم حق العلم أنه ما أفسد ذات بينهم وفرق كلمة طوائفهم وحرّمهم نعمة الرابطة الوطنية التي تفتخر بها البلاد العربية إلا مدارس المبشرين ونزعاتهم وقد صرح بهذا أشهر كتابهم وخطبائهم وأهل الرأي فيهم من المسلمين والنصارى جميعاً، ومن المتفق عليه بين هؤلاء العارفين بشؤون البلاد الدينية والاجتماعية أن التدين بالنصرانية كان أقوى وأصدق بين أهلها قبل هؤلاء المبشرين، والتمصب الذميمة كان أضعف، وإن كانوا لا ينكرون أن المعرفة بالديانة كانت أقل، ولا يعرف لهم أثراً في تنصير أناس ارتقوا بتنصيرهم أيام فصاروا خيراً مما عليه أهل دينهم فضيلة وأدباً وعبادة لله عز وجل، دعى ما يمتدحه المسلمون من بطلان كل عبادة مشوبة بالشرك نعم إن هذه المدارس نفعت البلاد بما بثته فيها من العلوم والفنون العملية ولا سيما الطب والزراعة والتجارة، وهذه نعم تشكر وامكناها ليست من التبشير في شيء، وإن الذين حذقوها في هذه المدارس أبعد عن تعاليم الكتاب المقدس في عقائده وأحكامه ممن لم يدخل فيها

وما علل السائل المحترم به وجوب هذا الشكر من كون هذا التبشير يعرف الإنسان فوئد لم يحصل عليها من قبل أو يجعله بعد التأمل الدقيق يفضل كتابه الخامس - ففيه بحث ونظر من حيث كونه ليس من لوازم هذا التبشير الخاصة به فإن كل ما يتعلمه الإنسان يفيد ما لم يعلمه من قبل، ويقل من يدرس هذا الكتاب بسبب التبشير وبدلالة المبشرين دراسة استقلال تهديه إلى تفضيل كتابه عليه، على أن كل مسلم عرف حقيقة الإسلام ثم درس هذا الكتاب يزداد به علماً بتفضيل القرآن على جميع الكتب وكونه مهيمناً عليها وحكمه هو الحكم الفصل فيها، وهؤلاء قليلون وأنا منهم، وهذا الكتاب الجامع لما عندهم منها من جملة الكتب التي أضعها بجاني دائماً الكثرة مراجعتي لها

وأما الجواب عن السؤال الخامس: فنقول فيه إن القرآن أوجب الاجتهاد والاستقلال في فهم الدين والاستدلال الذي ينتج اليقين في كل زمن وكل عصر، وإن الحاجة إلى هذه الهداية في هذا عصر أشد لا تتشاور التعليم الاستقلالي وحرية

الفكر فيه ، فصار التقليد فيه أضر مما كان في العصور التي قبله ، وآيات القرآن في ذم التقليد واتباع الآباء والاجداد صريحة لا تحتمل التأويل ، ولكنها لم تمنع أدياء العلم الدجالين من تحريم الاجتهاد وضم الاستقلال ، ولو لا رواج دعوة هؤلاء الدجالين واغترار كثير من العوام لهم لكان المسلمون على أحسن حال ، ولما صاروا حجة على الاسلام ينفرون الناس عنه بجهلهم وصدودهم عنه لسترجالهم حتى صاروا يحرمون العلم بالدين نفسه وهو المسمى عندهم بالاجتهاد الذي أوجبه الله ويوجبون الجهل وهو التقليد الذي حرمه الله تعالى .

وأما الجواب عن السؤال السادس فنجيب عنه بما يصححه فنقول : إن المنتحل للدين لا يكون صادقا في انتسابه إليه الا اذا كان موقنا بصحته مدعنا لأحكامه اذعانا نفسيا عمليا بأداء عباداته وترك محارمه والتزام سائر أحكامه وآدابه الا ما يعرض للبشر عادة من بعض المخالفات التي يستغفرون الله منها ويتوبون إليه ، وأما مجرد اللقب الموروث فلا قيمة له ، والاعتقاد اليقيني هو المعبر عنه بالايان ، والاذعان النفسي العملي هو المعبر عنه بالاسلام ، هذا اذا قوبل أحدهما بالآخر والا فالؤمن والمسلم يصدقان على شيء واحد . وقد بينا هذه المسائل في . واضع كثيرة من المنار بالتفصيل والدلائل

ومن القواعد المقررة عند علماء العقائد الاسلامية أن دين الاسلام ليس فيه شيء يحكم العقل باستحالته ، وان المسلم لا يكاف أن يعتقد ما هو محال عقلا ، وانه ان وجد في الشريعة ما يعارض القطعي حسا أو عقلا وجب تأويله بما يجمع بين العقل والنقل ، لان الله تعالى يقول (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) والقاعدة عند غيرنا بخلاف ذلك وهي أنه يجب الايمان ولو بالمحال وان كان بديهيا كالجمع بين النقيضين أو الضدين المساويين للنقيضين كالتوحيد الحقيقي والتثايلث الحقيقي أي كرن الاله واحدا حقيقة وغير واحد حقيقة — فالمسلم الذي يتبع ما يوجبه عليه دينه من العلم الصحيح به والاخذ باليقين في عقائده لا يخشى أن تؤثر في نفسه دعوة دين آخر ، وقد بينا في الرد على دعاة النصرانية بمصر منذ بضع سنين أن المسلم لا يمكن أن يصير نصرانيا لان الاسلام نصرانية وزيادة كما قال السيد

المنار : ج ٣ م ٢٥ كمال الدين الالهى بالاسلام على سنة الارتقاء ١٩٣

جمال الدين الافغانى أولان من وصل الى السكمال فى أمر لا يختار أن يستبدل به ما دونه — كما نقول نحن . وقد بين الله تعالى فى كتابه المعجز للبشر من وجوه كثيرة أنه قد أكل دينه الذى بعث به رسله على لسان خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليةم أجمعين فقال (اليوم أكملت لكم دينكم وأنعمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وهذا يوافق سنته تعالى فى النشوء والارتقاء

على أن كتب من قبله من الرسل لم تحفظ كلها كما حفظ كتابه ، وسنتهم وتواريخهم لم تحفظ كما حفظت سنته وتاريخه ، فهذا المسيح عليه السلام ليس فى هذه الاناجيل الاربعة التى اعتمدتها الكنيسة من الاناجيل الكثيرة الا الشىء القليل من تاريخه ، وهى غير منقولة بالاسانيد المتصلة ، وقد وقع الخلاف فى تواريخ كتابتها وفى اللغة التى كتبت بها وفى بعض أشخاص كاتبها كما صرحوا به فى تواريخ الكنيسة وفى معاجمهم العلمية الكبرى (دوائر المعارف)

ونحن انما نذكر هذه المسئلة هنا على سبيل الاستطراد وغرضنا منه أن المسلم العارف بدينه المتلقى له بالدلائل كما أمر لا يخاف أن يزداد بتبشير المبشرين الا ثباتاً ويقيناً فيه ، ولكن هؤلاء المبشرين يثبون دعوتهم فى العوام الذين لا يعرفون من الاسلام الا بعض الاحكام التقليدية وفى التلاميذ المبتدئين فى طلب العلوم والفنون ، وقد تمر السنين على هذا ولا يوجد واحد فى الالف من هؤلاء الجاهلين بأكثر حقائق الاسلام من عوام وتلاميذ يتنصر ، ولكن يكون كثيرون منهم ملاحدة معطلة أو مشككة « لأدريين » والسائل المحترم يرى أن هؤلاء شر من المتدين بأي دين من الاديان التى تنهى عن الشر وتأمّر بالخير وهو مصيب فى ذلك

وليعلم القس المحترم أن من أصول ديننا الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله (لا نفرق بين أحد من رسله) وأنه تعالى بعث فى جميع الامم القديمة رسلاً هاديين مرشدين الى توحيدهِ وعبادته ، وفعل الخير وترك الشر ، وان أمر هدايتهم جرى على سنة الارتقاء بالندرج لاختلاف استعداد البشر كما قلنا آنفاً ، حتى اذا

(المنار : ج ٣) (٢٥) (المجلد الخامس والعشرون)

كمل ذلك الاستعداد ختم الله النبوة بمحمد عليه وعلى سائر اخوانه النبيين صلوات الله وسلامه ، وأن ما جاء به مكملاً لما سبق به ، وإن من معجزاته انه جاء بالخلاصة الصحيحة الفضلى لما كان عليه أشهر الرسل القريبي العهد به الذين حفظ من دينهم ما لم يحفظ من تعاليم من قبلهم ، ولا سيما موسى وعيسى عليهما السلام ، على كونه أمياً لم يطالع على شيء من الكتب مطبقاً قال تعالى (وما كنت تعلمون قبله — أي القرآن — من كتاب ولا تحطه يمينك إذا لارتاب المبطون) فلا يسع عاقلاً منصفاً عرف دينه أن يؤمن بغيره ولا يؤمن به . والذي نعهده من هؤلاء المبشرين انهم ينظرون في الاسلام بقصد العثور على شيء فيه قابل للطعن فيه ولو بالتمحل ، لا بقصد معرفة حقيقة دينه ، ولا المقايسة بينه وبين غيره بالانصاف

ولقد كان من المحب عندي أن أرى هذا المبشر — السائل المحترم — يكتب بأسلوب واثق بما يرمى اليه كلامه ، ولما عرفنا منهم من هو كذلك وإنما تدل كتابته أشدهم مبالغة في التبشير وتفضيلاً لما عندهم على ما عند غيرهم على أنهم يكتبون ما لا يعتقدون ، ويقولون الكذب وهم يعلمون ، ويحرفون الكلم عن مواضعه كما فعل سلفهم الاولون ، والله يعلم ما يسرون وما يعلنون . ف هؤلاء لا يحترمون عندنا ، وأما من دعا الى دينه عن عقيدة هو مذعن لها ومخلص فيها فكل عاقل يحترمه ، وقابل ما هم

﴿ تسكين كلمات الاذان وجواب الاقامة وبدء السلام وردده ﴾

(س ٩ — ١٢) من الشيخ محمد عبد الظاهر برمى الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة أستاذنا العلامة السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) صدر من بعض السبكية انكار على من لم يجب المقيم ولم يصل على النبي (ص) عقب الاقامة كالاذان ولم يأتوا بدليل ، وقد رأينا فيه حديث أبي

أمامة عند أبي داود ولكنه لم يصح اذ به راو مجهول

(٢) وأنكروا وصل المؤذن بين تكبيرتين من تكبيرات الاذان كما يفعل المؤذنون اليوم، ويقولون السنة الفصل بين كل تكبيرة وأخرى وإفرادها بلوقف على كل واحدة ولا يجوز قطعا تحريك آخر التكبيرة الاولى لوصولها بالنازية، ولم نعنر لهذا على دليل صريح.
(٣) وقالوا : لا سلام على الجالسين في درس علم فان العلم أولى وأعرض فعارضناهم بأن الامر عام والتخصيص لا دليل عليه وقد سلموا على الرسول (ص) وهو في الصلاة فرد بالاشارة

(٤) وقالوا لا كلام على الوضوء وزعموا أن رجلا سلم على النبي (ص) وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى أتم الوضوء ولم نعلم صحة هذا الحديث ولم يعلموا هم أيضا فهل عند سيدنا الاستاذ شيء ثابت في السنة على هذا كله ؟ نرجوا فادتنا به لاجل العمل به والسلم الاجز والثواب على هداية السائل وارشاد الخيران والسلام
اجابة الاقامة كالاذان

(ج) لم يفتخر تلاميذ الاستاذ الشيخ محمود خطاب السبكي شيئا من هذه المسائل أي لم بأنوا بها من عند أنفسهم بل نقلوها عن الفقهاء ، فأما استحباب اجابة المؤذن في الاقامة كالاذان فقد استدلوا عليه بحديث أبي أمامة ولم يروا ضعفه مانعا من العمل به في مسألة من فضائل الاعمال على قاعدتهم المعروفة . ولو قالوا إن سماع النداء في الاحاديث الصحاح الواردة في ذلك يشمل الاقامة لانها نداء كالأذان لم يكن بعيداً وفي الحديث المتفق عليه « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » رواه الجماعة من حديث عبد الله بن مغفل واتفق العلماء على أن المراد بالأذانين فيه الاذان والاقامة ، وكون هذا من باب التغليب لا ينافي ما قلناه من عدم البعد والا كان نصا في المسألة

تسكين كلمات الاذان

وأما الجواب عن الثاني فهو أن المسألة أصلا من وجهين (أحدهما) ما نقل عن السلف في ذلك ففي كتابي المنى والشرح الكبير المقنع من كتب الخنابلة (التي تتحرى نقل أقوال الصحابة والتابعين وعلماء الامصار المجتهدين وأداتها)

١٩٦ السلام على المشتغل بالعلم والمتواضع الممار : ج ٣ م ٢٥

أن عبد الله بن بطة قال إنه في الاذان والاقامة لا يصل الكلام بعضه ببعض معربا بل جزما ، وحكاة ابن الاعرابي عن أهل اللغة . وروي عن ابراهيم النخعي أنه قال : شيئان مجزومان كانوا لا يعرفونهما : الاذان والاقامة . قال صاحب المغني وصاحب الشرح الكبير : وهذا اشارة الى جماعتهم . أي الصحابة فان ابراهيم من أشهر علماء التابعين اه وهذا حجة لهم

(والثاني) - وهو معارض لهم - ان حديث عمر بن الخطاب (رض) في اجابة المؤذن يدل على الوقوف عند كل كلمة (أي جملة) من كلمات الاذان الا التكبير فانه يقف عند كل تكبيرتين فقد قال (ص) «اذ قال المؤذن : الله اكبر الله اكبر ، فقال أحدكم الله اكبر الله اكبر ، ثم قال أشهد أن لا اله الا الله - قال - أشهد أن لا اله الا الله الخ ففيه أنه جعل الوقوف على تكبيرتين في أول الاذان وآخره ، بخلاف سائر الجمل المكررة مثني مثني فقد وقف على كل واحدة منها ورتب الجواب عليها - ومن المعلوم أن الوقوف في لغة العرب يكون بالسكون والوصل بالتحريك - فظاهر الحديث يوافق ما عليه المؤذنون اليوم في أمصار الاسلام من الجمع بين كل تكبيرتين ، وهو يقتضي أن تحرك كلمة اكبر بالرفع في الاولى على القاعدة العامة في هذه اللغة وهو التحريك في أثناء الكلام . ولكن بعض المؤذنين يصلون أكثر كلمات الاقامة فيقفون بعد التكبيرات الاربع والشهادتين كاتيهما والخيعلتين كاتيهما - لانهم يحذرون في الاقامة فلا يمدون كلماتها الممدودة ولا يمدونها ، وكذا يرتلون كالاذان وهو المنقول فهو لا ينبغي الانكار عليهم وكذا من يصل التكبيرتين الاولىين بالآخرين فيقف عند الرابعة

السلام على المشتغل بالعلم

وأما الجواب عن الثالث وهو عدم السلام على الجالسين في دروس العلم فلا نص فيه عن الشارع ولكنه منقول عن بعض الفقهاء وله نظائر كقاريء القرآن بالندب والملي في الحج قلوا لا يسلم عليهما لئلا يشغلهما عما هما فيه ، وقالوا إنه اذا سلم عليهما وجب عليهما الرد . فأمر الرد أعظم من البدء فقد قالوا إن الاجماع قد انعقد على أن ابتداء السلام سنة وان رده فرض وهو ظاهر آية (واذا حييتم

المنار . ج ٣ م ٢٥ الكلام على الوضوء والسلام على المتوضي ١٩٧
بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها (ولا يترك الواجب الا بدليل قوي فمن ترك
السلام على المشتغل بالعلم والعبادة لظنه أنه يتأذى بصرفه به عما شغل ذهنه وقلبه
فله وجه وجيه فان السلام للنجاب والنواد فاذا كان في حالة تنافي ذلك تركه ولا
يعد تاركا لسنة الاستفادة من عموم الامر بإفشاء السلام لانه معارض في مثل هذه
الصورة بما هو ثابت ومقطوع به من تحريم الايذاء ومنع الضرر والضرار المحقق
وكرامة ما كان مظنة له - وقد صرح بعضهم بأن السلام غير المشروع لا يستحق
جوابا ونرى تمة بحثه في الجواب الآتي وهو:

الكلام على الوضوء والسلام على المتوضي

وأما الجواب عن الرابع فهو ان الحديث الذي ذكره هو ما رواه ابن جرير
عن البراء بن عازب أنه سلم على النبي (ص) وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من
الوضوء مد يده اليه وصافحه ، ونذكر بهذه المناسبة ما يتعلق بمحظورات السلام
وأوسعها ما جمعه في هذا الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في شرح كتابه (غذاء
الالباب لشرح منظومة الآداب) في التنبيهات المتعلقة بالسلام قال : يكره السلام
على جماعة منهم المتوضي ومن في الحمام ومن يأكل أو يقايل وعلى تال وذاكر
وملب ومحدث وخطيب واعظ وعلى مستمع لهم ومقرر فقه ومدرس وباحث في
علم ومؤذن ومقيم ومن على حاجته ومستمع بأهله أو مشتغل بالقضاء ونحوهم فمن
سلم في حالة لا يستحب فيها السلام لم يستحق جوابا وقد نظمهم الخلوئي وزاد
عليهم جماعة فقال :

رد السلام واجب الا على	من في الصلاة أو بأكل شغلا
أو شرب أو قراءة أو أدعية	أو ذكر أو في خطبة أو نلبيه
أو في قضاء حاجة الانسان	أو في اقامة أو الاذان
أو سلم الطفل أو السكران	أو شابة يخشى بها افتتان
أو فاسق أو ناعس أو نائم	أو حالة الجماع أو تحاكم
أو كان في الحمام أو مجنونا	فهي اثنتان قبلها عشرونا

ورد النص في بعض هذه والبقية بالقياس على المنصوص واذا اتفنى الوجوب

١٩٨ الاحوال التي يحظر فيها السلام ولا يجب الرد . المنار . ج ٣ م ٢٥

بقي الاستحباب أو الاباحة ، نعم في مواضع يكره الرد أيضا كالذي على حاجته
والعل مثله من مع أهله . ويحرم أن يرد وهو في الصلاة لفظا وتبطل به ويكره
إشارة قدمها في الرعاية . وقيل لا كراهة للعموم ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لم
ينكر على من سلم عليه من أصحابه وهو في الصحيحين ولأنه صلى الله عليه وسلم
رد على ابن عمر إشارة وعلى صهيب كما روى الامام أحمد والترمذي وصححه .
وان رد عليه بعد السلام فحسن لوروده في حديث ابن مسعود وان اقي طائفة
فخص بعضهم بالسلام كره . وكره السلام على امرأة أجنبية غير عجوز وبرزة فان
سلمت شابة على رجل رده عليها وان سلم لم ترد عليه . قال ابن الجوزي المرأة لا
تسلم على الرجال أصلا وروى من الحلية عن الزهري عن عطاء الخراساني يرفعه
« ليس للنساء سلام ولا عليهن سلام » وكره الامام السلام على الشواب دون الكبيرة
وقال شيخ الاسلام لا ينبغي أن يسلم على من لا يصلي ولا يجيب دعوته اه
وانذ كر ما اطلعنا عليه في كتب السنة مما يصلح دليلا لما أورده أيضا
أوقياس عليه أو معارضه فنقول : روى أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم أن رجلا
— هو المهاجر بن قنفذ — سلم على النبي (ص) وهو يقول فلم يرد عليه ثم قال له
« اذا رأيتني على مثل هذه الحالة فلا تسلم علي فانك ان فعلت ذلك لم أرد عليك »
وفي بعض الروايات أنه رد عليه بعد أن تمسح ، وفي أخرى بعد أن توضأ ،
وتعليل عدم الرد بأنه كان على غير طهارة

وروى الشافعي في سننه والبيهقي في المعرفة والخطيب عن ابن عمر أن
رجلا مر على رسول الله (ص) وهو يقول فسلم عليه فرد عليه وقال « انما حماني
على الرد عليك مخافة أن تذهب الى قومك فتقول اني سلمت على النبي (ص)
فلم يرد علي . فاذا رأيتني على هذه الحالة فلا تسلمن فانك ان سلمت لم أرد عليك »
وروى ابن جرير عن أبي جهم أنه سلم على النبي (ص) وهو يقول فلم يرد عليه
حتى فرغ ثم جاء الى حائط فتييم ثم رد عليه السلام . وروى عن ابن عمر مثله
مرفوعا فيمن سلم عليه وهو مقبل من الغائط .

، أما حديث « ليس للنساء سلام ولا عليهن سلام » الذي احتج به السفاريني

فقد أشار السيوطي في الجامع الصغير الى ضعفه وهو من مراسيل عطاء الخراساني وهو مدلس لا يحتاج بمراسيله من يحتاج بالمراسيل فكيف بمن لا يحتاج بها كالجهور ومنهم الشافعية وهو معارض لاحاديث صحيحة

عقد البخاري في صحيحه البخاري بابا في مشروعية «تسليم الرجال على النساء والنساء على الرجال» قال الحافظ ابن حجر في شرح ترجمة الباب من الفتح : أشار بهذه الترجمة الى رد ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن يحيى بن أبي كثير : بلغني أنه يكره أن يسلم الرجال على النساء والنساء على الرجال . وهو مقطوع أو معضل . والمراد بجوازه أن يكون عند أمن الفتنة . وذ كر في الباب حديثين يؤخذ منهما الجواز . وورد فيه حديث ليس على شرطه وهو حديث أسماء بنت يزيد : مر علينا النبي (ص) في نسوة فسلم علينا حسنه الترمذي اه

ثم ذكر الحافظ حديث واثلة عند أبي نعيم في عمل اليوم والليلة مرفوعا «يسلم الرجال على النساء ولا يسلم النساء على الرجال» قال : وسنده واه ، ومن حديث عمرو بن حريث مثله موقوفا وسنده جيد ، وثبت في مسلم من حديث أم هانئ : أتيت النبي (ص) وهو يغتسل فسلمت عليه اه

أقول تسليم الرجال على النساء يوافق آداب الافرنج ومقلديهم في هذا الزمن . وأما حديثنا الباب في البخاري فأحدهما حديث سهل بن سعد الساعدي (رض) أنه كان لهم عجوز تطبخ كل يوم جمعة أصول السلق بدقيق الشعير وكانوا اذا صلوا الجمعة ينصرفون فيسلمون عليها فتقدمه اليهم فيفرحون به . والثاني تبليغ النبي (ص) عائشة سلام جبريل فترد عليه السلام ، وكان يجيء بصورة رجل وحديث أم هانئ ، حجة على من منع السلام على من في اللحم ، وفي الصحيحين وغيرهما أن النبي (ص) كان يسلم على الصبيان وعقد البخاري له بابا الرد على من قال لا يشرع كالحسن البصري . وقيده الفقهاء بما قيدوا به السلام على المرأة التي يخشى الافتتان بها . وأما الفاسق فاحتج الجهور في ترك السلام والرد عليه بمنع النبي (ص) الناس من الكلام عن المتخلفين في غزوة تبوك . . .

سكة الحديد الحجازية

(استولت السلطة الفرنسية في سورية على ما فيها من سكة الحديد الحجازية التي هي وقف اسلامي خاص بالبلاد المقدسة : استولت على ادارتها وأدواتها وأموالها ، وجعلتها تابعة لشركة الخط الحديدي الفرنسي بين الشام وحماه . وقد كتب اليها كاتب سوري من أعلم الناس بتاريخ هذه السكة المقالة الآتية في سبب انشائها وإثبات وقفيتها ، وبيان حالها واغتصاب السلطة الفرنسية لها . وهذا نصها)

ان الدولة العثمانية لما رأت ان المسلمين الساكنين في ممالكها والمتفرقين في أنحاء كورة الارض كمسلمي تونس والجزائر وفاس في الغرب ومسلمي الهند والافغان وايران والصين وسائر المشرق يأتون من كل فج عميق في كل سنة لاداء فريضة الحج وزيارة حرم الرسول المصطفى (ص) وقبره الشريفين ورأت ما يعانيه أولئك الحجاج من بعد المسافة وتحمل مشاق الطريق المملوء بالمصاعب والمتاعب وركوب متون الابل لقطع تلك الصحاري الشاسعة — ارتأت (١) أن تمد سكة حديدية تمتد من حيفا ومن دمشق الى المدينة المنورة . وقد كان لهذا الاثر الجليل مقصداً : (الاول) اجابة إلحاح مسلمي الارض على مقام الخلافة في ذلك الوقت بهذا العمل لئلا يتمكنوا من أداء فريضة الحج وسنة الزيارة بسرعة تامة وراحة واطمئنان على أموالهم ، اذ يوجد فيهم الشيخ العاجز والطفل الصغير والنساء المخدرات وغيرهم من ذوي المعاذير كالأعرج والاعمى والمقعّد (الثاني) تأمين سلطة الخليفة على الحرمين الشريفين ، إذ كانت كل خليفة من خلفاء المسلمين يلقب بخادم الحرمين الشريفين ، ويفتخرهو بأن يتولى هذه الخدمة اما بنفسه أو بواسطة من ينوب عنه ابتغاء مرضاة الله تعالى ، واذ كان هذا العمل العظيم يحتاج الى نفقات طائلة وافرة لا يمكن أن يقوم بها فرد من أفراد المسلمين بل ينبغي أن تقوم به الدولة نفسها ، تقرر بعد الاستشارة والمذاكرة ما يأتي

« ١ » المنار : الحق ان السلطان عبد الحميد هو الذي ارتأى هذا الرأي ونفذه بقوة ارادته وعلو همته وثقة العالم الاسلامي به كما بينا ذلك في المنار في ذلك العهد

(١) تشكلت لجنة عامة لهذا المشروع أوفدت من قبلها الوعاظ المرشدين الى جميع الاقطار الآهلة بالمسلمين لحثهم على جمع الاعانات له ، فأجيبته الدعوة في كل قطر اسلامي . وكانت اللجنة العليا تنشر مقدار الاعانات وأسماء أصحابها في الجرائد التركية والعربية وغيرها من صحف العالم . وقد وضعت الدولة العثمانية لتنشيط هذا العمل (مديريات) انواط من الذهب والفضة ، وسمتها باسم اعانة السكة الحجازية و يوجد كثير منها عند المتبرعين ، كما انها أحدثت أوراق طوابع خاصة سُميت بالطوابع الحجازية لكي تلتصق على كل ورقة من الاوراق الرسمية لمعاملات الدلالة على كل سند وعقد ينظم بين عاقدين ، لافرق بينه وبين الطوابع المختصة بالديون العامة ، ولا تزال هذه الطوابع الى يومنا هذا تلتصق ويؤخذ رسمها على جميع الاوراق والمستندات التي ترفع الى المقامات الرسمية في تركيا وفي المقاطعات التي انفصلت عنها في أثر الحرب وتقرر انسلاخها عنها بموجب معاهدة لوزان الاخيرة

(٢) قبل وقوع الحرب الاخيرة حصل اعتراض من سفراء الدول الاجنبية على إصاق طوابع الاعانة الحجازية على الاوراق التي تتقدم من طرف رعايا الاجانب ، وكان من حجة اعتراضهم ان هذه الطوابع وضعت لاعانة دينية اسلامية فلا يجب على الاجانب دفعها ، وبناء على هذا الاعتراض قررت حكومة الاسنانة وقتئذ ان إصاق الطوابع الحجازية على الاوراق المتعاقمة بالاجانب أمر اختياري لا اجباري ، وباغت جميع ولاياتها هذا القرار وهذه التبليغات لا تزال محفوظة الدوائر في الرسمية .

(٣) في ١٨ أغسطس سنة ١٣٣٠ (الموافق سنة ١٩٢١) صدر قانون بالحقاق السكة الحجازية بنظارة الاوقاف بناء على كونها من الاوقاف الاسلامية الموقوفة على الحرمين الشريفين ، وفيه ان ريعها يصرف قسم منه على تأمين دوام عمارتها ، والقسم الآخر يصرف على الخيرات والتحسينات في سبيل استكمال استراحة حجاج بيت الله الحرام ، وتأمين راحتهم في حلهم وترحالهم

ومن المعلوم ان الوقف في عرف الشرع عبارة عن حبس العين الموقوفة على

٢٠٢ استيلاء السلطة الفرنسية على السكة الحجازية المنار. ج ٣ ص ٢٥٣

وجه تَعُود به منفعتها الى ما وقفت له منه وتبقى ثابتة لا تملك ولا يتصرف فيها ببيع ولا رهن ولا هبة ولا غير ذلك مما يخل بغرض الوقف ، وينافي نص الشارع . فلا وقف الصحيحة الماثلة لوقف السكة الحجازية لاتباع ولا تشري ولا يجوز هبتها لاحد ، وان اكل فرد من أفراد الامة الاسلامية بعيداً كان أو قريباً حق الانتفاع بها في الحج والزيارة ، وما يتبعهما من تجارة ، وحق المدافعة عنها اذا اعتدى عليها ، وليس الوقف خاصاً بالشرع الاسلامي فعند سائر المال أوقف دينية وخيرية مصونة من كل اعتداء ومحترمة عند سائر أهل الأديان .

(٤) كانت الحكومة الافرنسية في أثناء عقد قرضها الكبير لتر كياسنة ١٩١٤ طلبت جعل الخط الحجازي تحت ادارتها من قبيل الكفالة والضمان لذلك المال أو بعضه ، فردت الحكومة التركية هذا الطلب الشاذ رداً قطعياً بحجة كون الخط وقفاً شرعياً لا يجوز لها التصرف فيه بذلك على ما كان من احتياجها الشديد الى النقص في ذلك الوقت (٥) - كان الخليفة عند انشاء هذا الخط هو الناظر عليه بما له من حق

الولاية العامة في الشرع الاسلامي لا بصفة أخرى

بعد هذه البيانات نقول :

إن السلطة الافرنسية في سورية لم تراع حق وقفية هذا الخط ورجوب جعله في يد المسلمين الموقوف على منفعتهم الدينية ، فاستولت عليه في آخر شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٢٤ وجعلته تابعاً لشركة سكة حديد الشام وحماه وتمديداتها الفرنسية بموجب مقالة عقدتها معها مباشرة بغير استشارة أحد من متولي ادارة الوقف ولم تشأ السلطة الافرنسية المذكورة نشر تلك الاتفاقية لما تعلم هي من اجحافها العظيم بمصالح الخط ، بل أبقته سراً مكتوماً بينها وبين الشركة المذكورة ، ولكن تيسر لبعض المنقبين أن يعلم من أحد كبار أموري هذه الشركة ان حصتها هي بنسبة ستين بالمائة من أصل ريم (واردات) الخط ، ولها فوق ذلك امتيازات أخرى من التصرف فيه كاستعمال قاطراته وشاحناته (عربات النقل) على خطها بلامقابل ولا بدل . ولم يسمع ولم ير في زمن من الأزمان ولا في مكان من الامكنة ذات القوانين والنظام عقد اتفاقية جائرة ظالمة بهذه الدرجة المدهشة

لاتألف مع شرع ولا منطق ولا قانون

على ان شركة سكة حديد الشام وحماه وتمديداتها لم تتمكن من تاريخ تأسيسها قبل ثلاثين سنة تقريبا حتى الآن من تحسين شئون ادارتها وتلافي عجزها المالي السنوي المستمر وهي تستوفي أعشار حص وحماه لسد عجزها خصوصا فيما يتعلق بخطط رفاق - حاب ، اذ الكفالة الكيلومترية بموجب صك امتيازها لان تكون الحاصلات غير الصافية ثلاثة عشر ألف وستمائة فرنك عن كل كيلو متر في السنة علاوة على كون مقدار هذه الحاصلات زهيدا جدا بالنسبة الى الخطوط الحديدية لم تتمكن الشركة المذكورة من الوصول اليه والحصول عليه وأما حاصلات ادارة السكة الحجازية التي نزعتها السلطة الفرنسية من يد ادارتها التي لم يكن يوجد بين رجالها أحدا ما من الاجانب فلم تنقص عن ثمانية وعشرين ألف فرنك في السنة عن كل كيلو متر من السنين الاربع الاخيرة ، وهي قد تمكنت من أن توفر مبلغا تقديريا قدره (٤٧٥٥٢٢) ليرة لاجل استعماله في ترميم أقسام الخط الخربة ما بين معان والمدينة المنورة ولكن الشركة الفرنسية استولت على هذا المبلغ أيضا وعلى جميع مافي مخزن الادارة الكبير من الادوات التي تبلغ أثمانها مائتين وعشرين ألف ليرة أخرى ، وعلى جميع القاطرات والشاحنات والعربات بما فيها والقسم الذي تم اصلاحه وترميمه المعد لاستئناف العمل وتأمين السير والسفر للحجاج الكرام حتى المدينة المنورة كما كان متبعيا قبل الحرب .

نفذت السلطة الفرنسية في سورية هذه المعاملة المجحفة خلافا للشرع الشريف ولنص المادة (٦٠) الستين من معاهدة لوزان ولاحكام المواد السادسة والناسعة من صك الانتداب على سورية التي تقضي باحترام الاوقاف وعدم التجاوز عليها والتدخل في شئونها . فهذا الاعتداء يمد اعتداء على الشرع الاسلامي نفسه وعلى المصالح الاسلامية الخاصة بالمسلمين ، وقد تبعه الاعتداء على جماعة كثيرة من المسلمين ، فان الشركة المذكورة قد بادرت من أول العهد باستيلائها على الخط الحجازي في سورية باخراج مائتين وواحد وأربعين مأمورا

ومستخدما فيه فقضت بذلك على مائتين واحد و أربعين عائلة ، واستخدمت من عندها من يقوم مقامهم ممن ليس له مثل ما لهم من الخبرة والتمرن على العمل لانهم شبوا في خدمة الخط الحجازي وتدريبوا وتمرنوا فيه منذ سنين طويلة وكانوا مدنيين للاستخدام فوراً على ما يتجدد من أقسامه ويوجد من فروعهم ، تأمينا لدوام سير الاعمال ، ومنعاً لتأخير السفر الى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام. ان حركة السلطة الفرنسية الواقعة هي عبارة عن ضربة متوجهة الى قلب الاسلام. وكان يجب عليهم أن تساعد على توحيد فروع الخط مع ادارته ، وتشكيل لجنة اسلامية لمراقبة سير أعماله بموجب قرار لوزان المؤرخ في ٢٧ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٣ خدمة المقصد الجليل الذي أسس لاجله ولادامة حياته ، ولكنها لم تفعل هذا ولم تترك الخط لادارته الاسلامية المنظمة بل شأت أن تقضي عليه وأن تجعله للفرنسيين لا للمسلمين

ان تجزئة خط الحديد الحجازي جناية عليه لا يجوز التسامح فيها البتة ، لان بعض أقسامه يضمن بقاء البعض الآخر ، اذ منها ذوالزبح الدائم وبعضها الاربع فيه في معظم السنة ، وانما نرى بعض أقسامه المثمرة كتقسم حيفا بيد سلطة غربية غير مسلمة أيضا ، فهي تجني الثمار منه وتصرفها في غير ما وقف عليه الخط وما أنشئ لاجله ، وبذلك يبقى القسم الجنوبي الكبير الممتد الى المدينة المنورة في منطقة الحجاز خرابا لا يقوم بالمقصد السامي الذي أسس لاجله وهو نقل الحجاج الكرام الى مدينة الرسول وتقريرهم من بيت الله الحرام لعدم كفاية حاصلاته لتسديد ما يحتاج اليه من النفقات ، فاننا نرى في آخر احصاء للخط الحجازي قبل الحرب (وهو احصاء سنة ١٩١٣) ان واردات الخط الكبير كانت (١٩١٣٧٤) ليرة عثمانية ذهبية ، وان نفقاته بلغت (٢٢١٤٣٠) ليرة فيكون النقص (٣٠٠٥٦) ليرة ، ولكن واردات قسم حيفا كانت في السنة المذكورة (٩٢٤٢١) ليرة ونفقاته (٢٩٥٩٩) ليرة فتكون الزيادة (٦٢٨٢٤)

فيتضح من ذلك ان قسم حيفا أيضا لازم غير مفارق للخط الكبير وانه بدونه لا يمكن تأمين السير والسفر على هذا الخط المقدس بسبب المعجز البالغ

المنار : ج ٣ م ٢٥ اتفاق فيصل مع فرنسا على سورية ٢٠٥

(٣٠٠٥٦) ليرة ، يضاف الى ذلك أيضا انه اذا بقي قسم حيفا منفصلا عن الفرع الكبير على اتصاله بالبحر فان تعليمات الفحم التي تقدر بـ (١٨٠٠٠) طن ستنتقل بأجرتها على هذا القسم وتبلغ مصاريفها (١٤٥٠٠) ليرة تقريبا يعني ان الخط الجنوبي الكبير يخسر لذلك سنويا (٤٤٥٥٦) ليرة وهذا الحال يكون قاضيا على حياته مما لا يرضاه العدل النزيه والوجدان الطاهر .

(المنار) : يجب على العالم الاسلامي أن يرفع صوته بالاحتجاج على ما فعلته السلطة الفرنسية في سورية من الاستيلاء على السكة الحجازية ، وسنبين هذا في جزء ثان ان شاء الله تعالى



الوثائق الرسمية ، في المسألة العربية

١

الاتفاق بين الامير فيصل والدولة الفرنسية على الانتداب في سورية
نشرت الحكومة الفرنسية بياناً عن المسألة العربية جاء فيه نص الاتفاق الذي عقده
بينها وبين الامير فيصل في أواخر سنة ١٩١٩ وهو الذي حمه فيصل الى سورية
في شهر فبراير سنة ١٩٢٠ ليأخذ من زعماء الامة تفويضا بعقده نهائياً وقد بينا ما
كان من أمر خيئته فيه من قبل وهذه ترجمة الاتفاق
باريس في ٩ يناير (كانون) الاول سنة ١٩١٩

المادة ١ - تؤيد حكومة الجمهورية الفرنسية اعترافها بحق الشعوب السورية في حكومة ذاتية
المادة ٢ - تتعهد الحكومة الفرنسية ببذل مشاركتها بكل صفة للامة السورية
و ضمان استقلالها ضد كل تعد في الحدود التي سيُعترف لها بها مؤتمر الصلح
المادة ٣ - يعترف صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن الامة السورية
المستقلة لا يمكنها أن تستغني الآن عن مشاورة ومساعدة « مندوب » يرشدها
في ادارتها الى الوقت الذي تقدر فيه على ادارة شؤونها بنفسها . ويقبل باسم
الشعوب السورية أن يفوض الى فرنسا هذا الانتداب

المادة ٤ - يتعهد صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن يطلب من

الحكومة الفرنسية - من هذه الحكومة وحدها - المستشارين اللازمين لتنظيم الادارات الملكية والعدلية والنافعة والمعارف وكل الفروع التي يتبين النفع من انشائها باتفاق مشترك بقصد النظام والتقدم

ويكون للحكومة الفرنسية حق الاولوية في المشروعات الصناعية والقروض المحلية وتحترم أساس القانون الشرعي في مسألة الاوقاف

المادة ٥ - تسهيلات لتسيير الضمان المعطى من فرنسا للامة السورية يطلب صاحب السمو الملكي الامير فيصل حالا من الحكومة الجمهورية رجالا - ضباطا - مدربين لتنظيم الدرك والشرطة .

المادة ٦ - يقيم صاحب السمو الملكي الامير فيصل في باريس بجانب ناظر الخارجية معتمدا مفوضاً موكلاً يتتبع المسائل الخارجية التي تهم الامة السورية ويفوض الى الممثلين السياسيين والقناصل الفرنسيين في الخارج تمثيل المصالح الخارجية للدولة السورية ، ويصدر للقناصل توكيلاً منه بالمسائل السورية

المادة ٧ - يكون لبنان مستقلاً تحت الوصاية الافرنسية في الحدود التي يخصصها له مؤتمر السلم

المادة ٨ - سيبقى هذا الاتفاق الحاضر الذي تعين به القواعد العمومية مكتوماً بين الطرفين الى حين إمضاء الاتفاق القطعي المفصل « ويدون عند رجوع الامير فيصل من سورية » ويتبلغ هذا الاتفاق الى مؤتمر الصلح في الوقت الملائم

(٢)

(تعديل هذه الوثيقة)

باريس في ١٦ يناير (كانون الاول) ١٩١٩

بناء على التصريح الافرنسي - الانكليزي بتاريخ ٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ من جهة وبناء على المباديء العامة المختصة بتحرير الشعوب وبالمشاركة الودية المعلنة من قبل مؤتمر السلم من جهة أخرى تؤكد الحكومة الجمهورية الافرنسية اعترافها بالحق اللاهين الناطقين باللغة العربية والقاطنين في أرض سورية من كافة المذاهب أن يتحدوا ليحكموا أنفسهم بأنفسهم بصفة لهم أمة مستقلة

يعترف صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن الهاين السوريين لا يستطيعون في الوقت الحاضر لاختلال النظام الاجتماعي الناشئ عن الاضطهاد التركي، والخصائر المحدثه أثناء الحرب أن يحقوا اوحدهم وينظموا ادارة الامة دون مشورة ولا معاونة من أمة مشاركة على أن تسجل تلك المشاركة Cooperation من قبل جمعية الامم عند ابرامها فعلا وباسم الشعب السوري يطلب هذه المهمة من فرنسا

١ — تتعهد الحكومة الفرنسية بأن تمنح للامة السورية مساعدتها على شؤونها، بجميع أنواعها وأن تضمن استقلالها ضد كل تجاوز ضمن الحدود التي سيعترف بها مؤتمر السلم وفي تعيين هذه الحدود ستبذل الحكومة الفرنسية جهدها لتقرير التعديلات العادلة من حيث الجنسية واللغة العربية

٢ — يتعهد صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن يطلب من الحكومة الجمهورية الفرنسية — هذه الحكومة وتوحيدها - المستشارين والمدرسين والمأمورين الفنيين اللازمين لتنظيم جميع الادارات الملكية والعسكرية وهؤلاء المستشارون والاختصاصيون يستمدون تفويضهم وسلطتهم التنفيذية من الامة السورية يشترك المستشار المالي في اعداد ميزانية المخرج والدخل لاقامة أساس التنظيم المالي الذي تبنى عليه قواعد ادارة الدولة (السورية) الجديدة، وهو الذي ينفذ بالاجبار جميع نفقات الادارات المختلفة وله أن يبحث عن حصة سورية من الديون العمومية العثمانية وستكون السكك الحديدية المعطى امتيازها من خصائص مستشار (النافعة) وفي أثر انعقاد الاتفاق الحاضر تمنح الحكومة الفرنسية مساعدتها لاجل تنظيم الدرك والشرطة والجيش

يعترف صاحب السمو الملكي الامير فيصل للحكومة الفرنسية بحق الاولوية التامة في المشروعات والقروض المحلقة الا ضد الوطنيين الذين يعملون لانفسهم ولا يعيرون أسماءهم لرأس مال أجنبي

٣ — يقيم صاحب السمو الملكي الامير فيصل في باريس لدى ناظر الامور الخارجية مفوضاً ينتدبه سكرتيره للامور الخارجية يعهد اليه النظر في المسائل الخارجية التي تهم الامة السورية .

ويعهد الى ممثلي فرنسا السياسيين وقناصلها في الخارج بتمثيل مصالح دولة سورية الخارجية يكون المفوض السوري الذي يقيم في باريس مندوبون تابعون لامره في لندن ورومة وواشنطن ضمن نطاق السفارة الفرنسية ووظيفةهم رؤية المسائل المختصة بأحوال السوريين الشخصية

وسيعهد للقناصل الفرنسيين بمهمة القنصلية السورية

٤ — يعترف صاحب السمو الملكي الامير فيصل باستقلال لبنان تحت الوصاية الفرنسية وبالحدود التي سيعينها له مؤتمر السلم

٥ — يتعهد صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن يتعاون مع فرنسا على تنظيم حكومة لدروز حوران في داخل الدولة السورية تكون متمتعة بأوسع شكل من الاستقلال الاداري يلتزم مع وحدة الدولة

٦ — تتعهد الامة السورية بأن تبذل جميع قواها في المساعدة التامة لفرنسة في كل فرصة امتنانا من العهد الذي عتدته مع المندوب العالي الافرنسي ممثل الدولة المساعدة اقامة عادية في حلب ليكون بهذه الصلرة على مقربة من كيليكييا وهي منطقة الحدود التي تجتمع فيها عادة الجنود الحامية، ويكون لرئيس الدولة السورية والمندوب العالي الافرنسي مشتي في بيروت التي ستتمتع بادارة بلدية مختارة يبقى هذا العهد الذي تضبط به المبادئ العمومية مكتوما بين الفريقين الى اعضاء الاتفاق القطامي المفصل الذي سيحرر عند رجوع صاحب السمو الملكي الامير فيصل الى فرنسا وسيمرض في الوقت الموافق على مؤتمر السلم اه

(المنار) هذا هو الاستقلال الذي كانت جرائد الدعاية البريطانية تبشر به السوريين مع سائر العرب وفي مقدمتها جريدة القبلة وجريدة الكوكب وجريدة المقطم هذا هو الاستقلال الذي كان فيصل يحلف الالمان المغلظة في خطبه ومحادثاته بانه لا يقبله الا تاما ناجزا مطلقا من قيود الحماية والوصاية وكل تدخل اجنبي والا كان بريثا من دم محمد ومن نسب محمد «صلى الله عليه وسلم» وكان يطالب من وجهاء السوريين واحزابهم ومن المؤتمر السوري أن يقوضوه في سياستهم الداخلية والخارجية بالشرط ولا قيد وكادوا يخذعون ولو فعلوا لسجل على بلادهم حمل العبودية ولكنه حاب أولا وآخرا والله اخذ، ولا ندري ما تكون عاقبة امره فيما عاهد عليه الإنسكان في العراق من تقسّد الامة بامضاء صك عبوديتها وبع استقلالها

أثارة من تاريخ الزلازل وعلم الارض

لمحمد الرشدي بك آل الحجازي من أركان الحرب

(كتب بمناسبة تلك الزلازل الشديدة التي انتابت المدن الكبرى في بلاد اليابان، فخربت العمران، وقتلت مئات الالوف من السكان، وسارت أخبار أهوالها الركبان، وقد جمعت المقالة للمجلد السابق ومرت سنة كاملة ولم يمكن نشرها، وانما ننشرها الآن للعبء بها والتذكير بحفارة هذه الدنيا وعمرانها، والترغيب في العمل للأخرة التي يندرج في هذا العصر من يذكر بها. قال الكاتب)

رمى الحدثان أهل اليابان بمأساة سمدوا لهاسودا، وقرحوا أعيا وخدوداء، ولا عجب، فان الخطب الذي لحق بهم من أقسى الارزاء التي أصابت الانسانية من غايان مراحل الارض التي اتخذ الناس مسكنهم منها، واعتمدوا في معاشهم عليها ولكن الانسان جبل على النسيان، فمن ذا الذي يذكر زلازل مسبني التي أودت بما يزيد عن مائتي الف نفس وزلازل صقلية التي خربت مرارا مدنها وقراها ونخص بالاشارة منها تلك التي خربت في عام ١٦٩٣ وحده أربعاً وخمسين مدينة وثلاثمائة قرية وقتلت ستين ألف نسمة فكأنما قيل لاهل تلك الجزيرة الجهنمية لدوا للموت وابنوا للخراب فكأنكمو يصير الى تراب

ولكن ليس بسير الامور الى الزوال بالسنة الطبيعية المطردة، بل فجأة وغيلة بغدر الطبيعة وحسن ظن الناس بدنيهم دار الردى وقرارة الاكدار

ومن ذا الذي فكر قبل مصيبة (طوكيو ويوكوهاما) وغيرها من مدن اليابان وقراها أو بين وقوعها وبين حدوث الثور الاخير لبركان ائنة في صقلية في أن ليسابونه (أو ليشبوننة) عاصمة البرتغال منها أصابتها مثل هذه الارزاء مرارا، وانها في شهر نوفمبر من عام ١٧٥٥ رجتها الزلازل رجعة شعر بها في مقدار جزء من اثني عشر جزءاً من سطح الكرة الارضية، وصيرتها أطلالا تدفن تحت ترابها وأحجارها وخشبها وحديدتها اكثر من ستين ألف شخص

(المنار: ج ٣) (٢٧) (المجلد الخامس والعشرون)

نعم ، لا يذكر الا القليل من أهل التاريخ- الذين مهمتهم أن يحفظوا ذكرى الحوادث - تلك الكوارث التي اتت بالانسانية في عام ٧٩ قبل الميلاد حيث زلزلت الارض زلزالها وأخرجت أثقالها في ساحل نابولي وما اكتشفه فقوضت أعراش بومبئي وهر كولا نوم وأطغت عليهما سيلان من المواد الذائبة التي انظمتها بركان لم تطفئ الايام الى الآن جمر صدره - وهو بركان فيزوف- وما أصاب منها أرجاء البحر المتوسط في عامي ١٩ و ٥٢٦ بعد المسيح حيث قضت في كل مرة على نحو مائة وعشرين أو مائة وخمسين الفا من البشر وما كان لهم من أموال وأنعام ، وفي مدينة نابولي نفسها التي رجت أرضها عام ١٦٣٨ رجة قضت على ما فوق ثلاثين الفا من الانفس ، وجزيرة جامايكا التي اهتزت اهتزازا كفى لازالة مدينة وأهلها من عالم الاحياء ، اذ محت مدينة بور رويال وأمانت أكثر من ثلاثة آلاف نفس من أهلها ، وفي ايام وكالاس حيث دمرت المدينتان وفارق ثمانية عشر (الفا) من السكان الحياة فيهما ، وفي المارتينيك حيث صارت مدينة سان بيير الى ما صارت اليه بور رويال .

لا يذكر سوى المؤرخين ذلك وغيره مثل طغيان الماء على الارض في مدينة « جالفستون » بسبب حركة الزلازل التي دمرت المدينة كلها وحكمت طوفان السيل فيها ، وما لحق بالانسانية قبله وبعده من الجوائح والمصائب .

بل سينسى أهل اليابان أنفسهم ما لحق بجزائرهم في أوائل هذا الشهر ، كما نسوا ما حل بهم من قبله ، وسينسى أهل مسيني ما أصابهم من ائنة وزلازل مسيني وصقلية وأهل ايطالية ما أصاب أنحاءهم الجنوبية ، كما سينسى أهالي الدر ما نال منهم طغيان النيل في هذا العام .

ولولا ذلك لما سكن أحد نابولي وليشبونه ومسيني وأراضي صقلية وجزائر اليابان والاقيانوسية وغيرها ، ولما انحدرت ايطالية نابولي أهم مرقأ لها ، ولما شنت الامم الحروب بعضها على بعض مع أنه لم يخرج أمة مرة من حرب ولو ظافرة إلا وأسفت على ما ضاع من النفوس والاموال ، وفضلت الرغبة الى نعيم السلام ، الذي هيهات أن تسمح به الايام

ولكن أين يذهبون اذا أرادوا السكنى في جهة لا زلازل تحركها ؟
 أن شرقي آسية ووسطها وجنوبها وجزائر الاقياوسية ووسط أفريقيا وشمالها
 وجنوبها ووسط أوربة وجنوبها وغربها أراض صلبة هي من أكثر الاراضي
 تأثرا بالزلازل وفيها كثير من البراكين لا تزال تلفظ اليعوم وسيول المواد الذائبة
 والنار ، كما أن أميركة من أراضي أمير الويلس (برنس اوف ويلس) واسلانده
 (أو آيلند) - اذا اعتبرنا اسلانده من اميريكة (- وهو على رأينا أصبح من
 اعتبارها من أوربة) - شمالا الى رأس القرن (كاب هورن) في أراضي النار
 جنوبا بلاد أوجدتها سلسلة براكين قد تكون سبب زوالها بعد أن كانت
 سبب وجودها .

ولقد أصابت اليابان قبل الآن من هذا القبيل مصائب كثيرة أخصها مصيبة
 زلازل عامي ١٨٩١ و ١٨٩٦ وأكرم منها مصيبة ١٨٥٥ التي دمرت توكيو
 وكانت وقتئذ تدعى « ييدو » ، كما أن زلازل كراكاتا التي لم تقتصر على رج
 ما على القشرة الارضية من جزائر الاقياوسية وجنوب الصين والصين الهندية
 وسيام الهند ، بل وصلت تموجات الارتجاج الى جنوب أفريقيا ، بل الى جنوب
 اميريكة أيضا بل الى ما وراء رأس القرن غر .

وكذلك الهند التي أصابها ارتجاج عقب زلازل طوكيو ويوكوهامة هذه
 الاخيرة هزتها كلها زلازل عام ١٨٦١ هزة عنيفة وكذلك أواسط آسية رأت من
 الزلازل ونشأتها كثيرا مما يروع ويفزع ، وخصوصا زلازل ارجاء بحيرة البيكال
 التي طرأت في عام ١٨٨٨ . ولقد ذكرنا زلازل ايشبونة في عام ١٧٥٥ وقد
 اهتزت لرجاتها ارجاء الجزيرة (أو شبه الجزيرة !) الاميرية - أي البورتغال
 وأسبانية وإفراصة وسويسرة وجزء من شمالي إيطاليا وجزء من غربي المانية
 وشمالها وجنوبي السويد وجنوبي التروج وغربيها وجزء من شماليها وأراضي
 الدانمارك وهولاندة و (بلجيكة) وجزيرتي انكلترا وايرلاندة كلها .

ولم تكن اميريكة الشمالية ولا اميريكة الجنوبية بأبعد حظا ، فقد أصابت
 الاولى زلازل كثيرة نخص بالذكر منها زلازل ١٨٧٥ التي رجت شرقيها ، وزلازل

١٨٩٥ التي رجت وسطها ، وزلازل ١٨١١ و ١٧١١ التي رجت كل أراضي جنوبي
أميركة الشمالية و بعض أراضي شمالي أميركة الجنوبية وما بينهما من جزائر
الانتيل . وأما الثانية - أي أميركة الجنوبية - فقد أصابها في شمالها ووسطها وجنوبها
الغربي والشرقي مادونته سجلات التاريخ ، وقاطر عالم الأرض ، وخصوصاً زلازل ١٨١٥
التي أصابت الشيلي ، وزلازل ١٨٩٥ التي عمت الشيلي وقسم كبيراً من الجمهورية
الفضية (الارجتين) والاوروجواي والباراجواي وبوليفيا ، وجزءاً من البرازيل
فهل سلمت أراضي الشرق العربية - ونعني بها ما جاور مصر - من
تلك الزلازل ؟ لا ، بل تناوبتها الزلازل حيناً بعد حين ، نخص بالذكر منها تلك
التي لم تمر عليها ثلاث وخمسون سنة كاملة ، وهي زلازل عام ١٨٧٠ التي شملت
مصر وقسم كبيراً من سودانها وطرابلس الغرب وتونس غرباً ، وقسم كبيراً من
بلاد العرب وسورية والناضول والبلقان وجنوبي إيطاليا .

وأما أراضي الجزائر والمغرب الأقصى فهي جبلية بركانية في أكثر مساحتها
ومن المعلوم أن أفريقية كانت متصلة بأوربة - وعلى الاخص في جهة المغرب
الأقصى وما فصلتهما سوى الزلازل التي مزقت الفشرة الأرضية البارزة عند مقرب
المحيط الأطلسي والبحر المتوسط واعتشت بينهما بحر الزقاق أو ممر جبل طارق .

وإذا لم يسجل التاريخ زلازل في صحراء أفريقية الكبرى ولا في غربها ووسطها وجنوبها
فليس ذلك لانه لم تحدث هناك زلازل - بل لان الطوارق وأهالي السودان والكونغو
والهوتانتوتيين وغيرهم لم يسجلوا ما لحق بهم منها ولم يقيسوا مدى تموجاته بآلات قياس
الزلازل ... بل لم يرتقوا الى تدوين أمثال هذه الاحداث الكونية في توارخ بلادهم
لقد درس علماء الأرض والباحثون منهم في الزلازل خاصة هذه الشؤون
واستعملوا ما يستخدمون من آلات رصد الزلازل كالبندول الافقي وآلة مقياس
الزلازل وغيرهما ، فوجدوا انه لا يوجد مقدار شهر من الأرض خلوا من الاهتزاز
الذي قد يشد يوماً فيكون زلزلة تميد بها الدور والقلاع والجبال ... ولا تترك
من البروج المشيدة الا الاطلال ...

فأين يقطن الناس المساكين ليأمنوا أن تخسف بهم الأرض ؟ ؟ ؟

لعمري ان آمن أنواع المساكن ضرراً هي الاهرام لمن أراد سكنى قصور
الاحجار وما بني بالبتون على نمط مخازن الدخائر في القلاع وأخفا وأسامها الخيام
التي يقطنها البدو آمنين أن تسقط عليهم السقوف والجدران. . . فهل تعود المدنية
بعد إزدهارها ورفاهتها ، الى ما كانت الانسانية عليه في بداوتها وتقصها ؟ . . .
لقد كان اليابانيون ولا يزال بعضهم الى الآن يبنون دورهم بقصب الخبث
جاءلين جدرانها من الورق . . . كما كان أهل الآستانة يبنون مساكنهم بالخشب
ثم هؤلاء وأولئك اتبعوا حركة « المدنية » الحديثة في البناء بالاحجار والبتون
والحديد ، ومنهم من فكر في اتباع الطريقة الحمقاء أو طريقة وضع الرمح فوق كل
اعتبار آخر - وهي الطريقة الاميريكية الفظيعة التي تشيد بها منازل ذات طباق
تعد بالعشرات . . . فاذا ارتجت الارض تداعت جدران هذه الابراج المشيدة
وسقط سكانها من أعلى عليهم الى أسفل سافلين تحت الانقاض وفيما بينها !
ان هذه الحماقة في التقليد نراها هنا في آلمانية أيضا . . . فان كثيراً من
الشركات اغتنمت حلول الحكم الجمهوري الذي ترك الاعنة لكل النزعات . . . في
محل الحكم القيصري الذي كان يحرم على الناس أن يعملوا دورهم ، فاخذت في بناء
الدور الشاهقة التي تريد بها أن تضارع « المحتكات بالسحب » الاميريكية . .
ويعلم الله متى يعاقب البانون والساكنون على هذا الخطأ الفظيع ، نسأل الله
السلامة لنا وللناس من عواقب حماقتهم واندفاعهم وراء الربح بغير ترو ولا تفكير !

تسجيل مرصد الزلازل في أنحاء العالم آلافاً من الزلازل في كل عام ، ولا
يفهم الناس أنهم يعيشون ويبنون قصورهم على قمة بركان اذا كان لم ينفجر اليوم
فقد ينفجر غداً أو كما قال أحد الناس في ابان الثورة الافرنسية « إنهم يرقصون
فوق وعاء أو (برميل) بارود » !

إن هذه الارض التي يظنها الناس ساكنة لها في « بدنها » حركة دائمة ، وكيف
تستقر قشرة رقيقة على نواة غليظة من الجمر ؟ وما البحر بآمن من الارض فانه على
زلازل أنوائه وأمواجه ، له زلازل من تحت كالأرض

فتى تعقل الا انسانية وتتخذ لنفسها الحيلة من خطري معرضة لفي كل طرفة عين؟
فايرجع الناس الى ما كانت عليه مبانيهم من البساطة والصغر ، واذا كان
العالم قد أفادهم ، فليتخذوا وسائل لمنع سقوط السقوف والجدران ، والوقاية من
الحريق الذي كان يلتهم أخشاب الاسنانة وورق اليابان

ان مصيبة اليابان على فداحة ضحاياها من الانفس والاموال ، لا يقف مدى
خطبها لدى مظهر من جسامه الرزء . بل إنها اكبر بكثير من كل مصيبة حلت
بتلك الارض الجهنمية . فانها ضربت « اقتصاد » اليابان من زراعة وصناعة
وتجارة ضربة تكاد تكون قاضية عليه اذا لم يبدل في إصلاح ما أفسدت فوق
ما استطاع من الجهد الانساني ، واذا لم تمد لها الامم الاخرى يد المعاونة والمساعدة،
ومتى تعيد اليابان بناء مصانعها ومتاجرها ومزارعها التي قوضتها الزلزلة واعمت النار
ثارها؟ ... ومتى تعيد دور علومها وأما كن فنونها، وتستعوض عن قضت عليه هذه
الكارثة من رجال العلم والسياسة والاقتصاد ؟

نعم إنه لا يجوز اليأس مادامت في اليابان أم تلد (والامهات يلدن كثيرا في
اليابان - ويفاخرن أمم العالم بكثرة من يلدن) وليكن مما لا يجوز للشك أن يتطرق
اليه، هو أن خطب اليابان أعظم خطب رآته أمم الانسانية بمد خطب عاد وعمود .

﴿ المنار ﴾ بعد كتابة هذه المقالة وقبل نشرها نقلت صحف العالم عن أحد
علماء الفلك في انكلترا أنه بعد الدراسة والبحث في اسباب الزلازل عشرين سنة
قامت عنده دلائل اقنعتته بأن هذه الارض ستخرب في سنة كذا - وذات سنة قريبة
نسبتها الآن - بزلزلة تعم الغرب والشرق فتطحن بها البحار على اليابسة ... الخ
وقد صار الناس يمارون بامثال هذه النذرا المحددة لوعدهم خراب الارض وهلاك
عالمها أو قيام الساعة لتعدد الذين تنبؤوا بها وظهر كذبهم وكان الناس يصدقونها
في القرون الوسطى حتى كانوا يتوبون الى الله ويتركون المعاصي ويكثرزون الصدقات
استعدادا للقاء الله تعالى وقد وقف الالوف من أهل اوربة املاكهم ولكنه ائس في
اثر مزعم من هذه المزاعم . - ولكن أقوال علماء الفلك والزلازل في خراب العالم
مبنية على اصول علمية اذا لم تبلغ فروعا درجة القطع وتحديد الزمن فلا يستطيع أحد
أن ينكر اصولها وامكان وقوع ما أخبر به هذا العالم الانكازي في وقت ما وقد صرح
كتاب الله تعالى بأن الساعة زلزلة عظيمة تنهزمها ولكنه قال (لا تأتكم الا بغتة)

الشيخ محمد مهدي

فجع القطر المصري في الشهر الماضي فجأة وفاة أخينا وصديقنا الكريم ، وولينا
الحكيم ، الاستاذ محمد مهدي بك وكيل مدرسة القضاء الشرعي والمدرس في القسم
العالي منها فكانت وفاته زلزالاً عظيماً ، ورزاً أليماً ، وخطباً جسيماً ، شعر بشدة وقعه
عارفو فضله من العلماء والادباء ولا سيما الذين تخرجوا به أو تلقوا عنه في المدارس
الاميرية الابتدائية والثانوية فالعالية — وآخرها دار العلوم والجامعة المصرية
ومدرسة القضاء الشرعي — ، والذين عاثروه وحظوا بنصيب من آدابه النفسية
واللسانية — فقد كان . حمه الله تعالى نادر المثل ومنقطع النظير في مجموعة أخلاقه
وفضائله ومعرفة وآدابه . اني اذكر . ترحمته بعض ما سمعت ورأيت منه
وما رويت عنه بالاجاز وأختص ما كان من أمره في حزب الإصلاح ومريدي
الاستاذ الامام :

هو من عرق ألباني جاور في الازهر سنين ، وتخرج في مدرسة دار العلوم .
وكان ممن تلقوا عن الاستاذ الشيخ حسن الطويل أحد أفراد علماء الازهر في هذا
العصر في استقلال الفكر وسعة الاطلاع والجرأة على مخالفة الجماهير في الرأي ، وكان
تلاميذه في الدرجة الثانية بعد تلاميذ الاستاذ الامام الذين دخلوا هذه المدرسة في
أول العهد بتأسيسها ، وأعني درجات الاستعداد للإصلاح . ولهذا كانوا أشد
خروجياً رغبة في الانصال بالامام في قيامه بالنهضة الاخيرة وأكثروا استفادة
منه . ولا غرو فقد كان الشيخ حسن الطويل صديقاً للشيخ محمد عبده وأستاذاً
له في الازهر قبل مجيء السيد جمال الدين الى هذه البلاد ، جمع بينهما الميل الى
العلوم العقلية والبحث عن غير ما يقرأ في الازهر ، وكانا أول من لقي السيد
وسمع منه مباحث في تفسير بعض آيات القرآن الحكيم لم يطرق آذانها مثلها
جذبت اليه ثانيهما فانقطع عن كل شيوخه وانفرد بصحبته وكان الوارث الأكبر له
كان الجامدون من أهل الازهر لا يستطيعون فتح أبصارهم في نور حكمة

الاستاذ الامام وعلمه الاستقلالي وآرائه الاصلاحية بل كان بعضهم كالأعمى وبعضهم كالأعمى تجاه ذلك النور . وكان تلاميذ الطويل يصرفون أبصارهم اليه اذا صرفت أبصار غيرهم عنه ، وربما طرفت عين أحدهم عند النظرة الاولى ، ولكنه لا يلبث أن يعيدها مرة بعد أخرى ، حتى تقوى على ادراك ذلك النور وإدراك الحقائق به ، وكذلك وقع للمهدي

حدثني فقيدنا الكريم بأول عهده بمعرفة الاستاذ قال : ذهبت مع صديق لي الى دار سعد بك زغلول في (الظاهر) ليلة فوجدت عنده الشيخ محمد عبده وقاسم بك أمين وآخرين ، وكانوا يتكلمون في سوء حال المسلمين وما ينتقد عليهم من أمور دينهم ودنياهم ، فرأيت أنهم مخطئون في بعض ما يقولون ، وقد أردت أن أجول معهم فيما رأيته خطأ من أقولهم وما يقرره الشيخ فيوافقونه عليه فألفيتني عاجزا عن الرد عليهم وضقت بهم ذرعا فرأيت من الدهاء أن أورطهم فيما يظن به خطأ رأيهم للناس فقلت للاستاذ بعد جولة قصيرة معه : اذا كان المسلمون بحيث تذكرون فما بالك لا تبينون لهم ضلالهم وتدلونهم على المخرج منه بماتلات تنشرونها في الجرائد ؟ - وكنت أذكر به ليكتب فيتصدى للرد عليه من هم أقدر مني على ذلك - فقال الاستاذ : قد صدرت هنا جريدة جديدة لأجل هذه المباحث فيحسن بك أن تقرأها ؟ وذكر (المنار) . . .

كان هذا القول سبب اشتراك الفقيد في المنار منذ السنة الاولى وتلا ذلك تعارفنا وتآلفنا ، وكان في أول العهد به يجادلني في بعض مباحث المنار التي يرى فيها نظرا أو خطأ ، وكانت طريقته في المداخلة أو المناظرة أنه يحفظ لنفسه خط الرجعة غالبا فلا يظهر رأيه بصيغة الجزم ، حتى اذا ظهر له أنه مخطئ لم يشق عليه أن يعترف بالحق ، وكان هذا دأبه طول عمره ، وكان يسر بالفالج والاحسان والاصابة وبدل به فيبتسم وتبرق أساريره فاذا جراه جليسه وشاركه في تبسمه ضحك فاذا اشار كه فيه أطل وأغرب ، وكان يكتب اذا أخطأ قتره قد نخاوص وقطب وقد حمد الله تعالى صحبتي وحمدت صحبتته ، ولما اقترحت على الاستاذ الامام عقد مجالس خاصة يتلقى عنه فيها الحكمة العالية بعض خواص المستنيرين

من أساتذة المدارس وغيرهم كان الشيخ مهدي أول من ذكرت له منهم فقال لي إن هذا من الجامدين ، قلت لا بل هو مستقل الفكر ، حريص على حقائق العلم . وكان سبب هذا الظن فيه سمره تلك الليلة معهم في دار سعد باشا زغلول — ثم كان من أحظى الإخوان عند الامام رحمهما الله تعالى

كان الفقيه بمحضر معنا دروس الاستاذ الامام في الازهر : رسالة التوحيد والتفسير والمنطق والبلاغة ، ولما خرجنا من الدرس الاول من دروس كتاب أسرار البلاغة قال لي : اننا في هذه الليلة قد اكتشفنا معنى علم البيان . وكان يحضر الدروس أو المجالس العالية الخاصة التي كان الاستاذ يلقينا على هيئة مختارة في دار أحمد بك تيمور (هو أحمد باشا تيمور عضو مجلس الشيوخ) في شارع درب سعادة ، ثم في داره هو بعين شمس — فبهذا كان الفقيه من خواص مریدی الاستاذ الامام الذين وردوا حوضه وشربوا نهلا وعلا ، وأشربوا آراءه الاصلاحية فنشروها قولاً وفعلًا ، الا أنه لم يكن يتحري الدعاية لها ، ولم يكن يجهر بنضال الخصوم دونه ودونها ، بل كان يوردها في الاكثر من تلقاء نفسه ويجادل فيها على طريقته التي بينها آنفاً وكذلك كان شأنه في آراء المنار ، كان معجبا بها ومظاهرا لي عليها ، وكان يقول لي اننا نرى في كل جزء من المنار شيئا جديدا ما كنا نعلمه ، وكان يحب نشر ذلك والدفاع عنه بما بينا من أسلوبه وطريقته . فاذا تصدى له بعض خصوم الاستاذ الامام أو خصوم المنار منكرا ومجادلا تحرى في الدفاع أن يكون محايدا لا ضلع له معناه الا أن يكون المنكر من تلاميذه أو ممن هم كتلاميذه في توقيره واحترام رأيه ، فقد يصرح حينئذ بالانتصار والثناء ، وكان يرى ان هذا الأسلوب وهذه الطريقة أقرب وسائل الاقتناع ، وهو الذي كان يخبرني بهذا عن نفسه ، وكنت أرى ان هذا من الضعف الناشئ عن نحماسه أسباب الانتقاد عليه والتخطئة له ، فانه لم يكن يطبق هذا ، فكان البون بيننا في هذه الخليفة واسعا ،

وكان بعض إخوانه يتهمة بحب الانفراد ولو تشبعا . قال لي أستاذ في الذروة منهم علمنا واستقلالا ومراحة : فاجأنا أخونا فلان بآراء جديدة ومباحث طريقة يلقينا عليها (المنار : ج ٣) (٢٨) (المجلد الخامس والعشرون)

في سامرنا لم تكن نعهد ما، ونحن أعلم الناس به، فكنا نجادله فيها ولم نعرف مصدرها حتى اشتركتنا في المنار (وكان اشترك هذا الاستاذ في أثناء السنة الثانية) وعندي من النظر في إطلاق هذه التهمة ان الانسان اذا قنع بشيء وتمكن من نفسه صار رأيا له ومذهبا، وصار يتحدث به من عند نفسه، فهي التي تلقى على لسانه وتعمل على قلبه، ماله في غفلة عن مصدره، وتكثر هذه الغفلة اذا طال العهد على تلقي ذلك الشيء ولا سيما اذا كان من المسائل التي تتكرر بالاساليب المتخلفة لاجل الاقتناع بها وتعميم نشرها، دع ما كان من توارد الخواطر، ووقع حافر في إثر حافر تلك المباحث الإصلاحية التي كانت جديدة في اول العهد بظهور المنار هي ما أشرنا اليه في فاتحته وشرحناه بالتدرج في المقالات للسلسلة والمتفرقة كمقالات منكرات المولد ومقالات الإصلاح الاسلامي التي انجينا فيها على رؤساء الدين والدنيا من الخلفاء والملوك والمتكلمين والفقهاء والمنصوفة وأهمها مسألة التقليد وتفرق المذاهب. ولما عزمنا على بسط هذا البحث واقامة الحجج عليه ووصف العلاج لتفريق الكلمة على المجمع عليه في الاسلام وجعل المسائل الخلافية في الدين كامثالها في اللغة والعلوم والفنون البشرية لا تقتضي تفرقا ولا عداوة ولا طمنا في المخالف — كاشفت العقيد بذلك فنصح لي بان لا اصرح بذلك لئلا تقوم قيامة الشيوخ على المنار، فقلت له سأكتب ذلك بصفة مناظرة بين مصلح وقلد — وافتتح باب الرد عليها لمن شاء. وقد نفذت ذلك في المجلدين الثالث والرابع وجمعت تلك المقالات في كتاب (محاورات المصالح والمقائد) التي طبعت في كتاب مستقل كان له في عالم الاسلامي تأثير عظيم . ولقد كنت ارجو عند انشاء المنار ان اجد من هؤلاء الدار بنين في مصر حزبا كبيرا يشد ازري في عملي فلم اجد الا افرادا كالفقيد ابراهيم واوفاهم واوصاهم فجزاه الله خير الجزاء . وقد كان من حبه لي ان سمى نجله الوحيد باسمي فاسأله ان يجعله خير خلف له

وجملة القول في نشأة العقيد لادبية الإصلاحية أنه كان من خيرة الذين تخرجوا في دار العلوم وأرقام تجميعها وأحسنهم تعلما، ومن وسط المستعدين للإصلاح، وأوائل المئة التي اتصلت بالاستاذ الامام في عهدنا فأشربت طريقته

المعتدلة في الاصلاح ومذهبه الوسط الجامع بين هداية الدين على منهاج السلف الصالح وتجديد حضارة الامة بما يقتضيه ترقى العلوم الكونية والفنون الحديثة ، ومن أكبر الآيات على ذلك تربيته وتعليمه لكريمته (أسماء) فقد رباها تربية اسلامية قاضية وعلمها تعليما عصريا راقيا . وكان من شجاعته الادبية ان أرسلها الى انكلترا لاتمام تعلمها واثقا بدورها وأدبها ، فحقق الله ظنه فيها وهي الآن ناظرة لمدرسة من مدارس البنات الاميرية تديرها أحسن إدارة .

ومسألة المرأة أهم مسائل تجديد الحضارة في الشرق والمذاهب فيها ثلاثة : مذهب ملاحدة المتفرنجين وهو جعلها كالمرأة الافرنجية حتى في الخلاعة والرقص مع الرجال نصف عارية ومعاقرة الراح معهم وما وراء ذلك من وقاحة وإباحة ، ومذهب الجامدين وهو أن تكون جاهلة مظلومة مستضعفة ، ومذهب حزب الاصلاح والتجديد المعتدل وهو أن تربي البنات على التدين والفضيلة والعفاف والتقوى وتعلم القراءة والكتابة باغة أمها وملتمها وامور الدين وكل ما تحتاج اليه للقيام بتكوين الاسرة ونظامها من امور الصحة وتربية الاطفال وتدير المنزل الخ وأن لا يحرم المستعدات منهن للعلوم العالية منها ولا سيما الطب وآكده ما يختص منه بالنساء وإدارة مدارس البنات والملاجيء الخيرية للنساء ، وكل ما تمس اليه حاجة الامة

حسبك يا قارئ المنازع في الاتفاق أن تعرف مما ذكرنا ان الفقييد كان من مر يدي الاستاذ الامام أي من الحزب الاسلامي المعتدل الذي لا يرجي بدونه صلاح حال المسلمين وارتقاؤهم المدني والاجتماعي والسياسي مع نقائهم مسلمين كما شهد بذلك بعض أقطاب السياسة من الاوربيين أولي العلم والاختبار لامور الشرق الذين وصفوه بالحزب الوسط بين جمود السواد الاكبر وبين غلاة المتفرنجين . صرح اللورد كرومر بهذا في تأييده للاستاذ الامام في تقريره عن مصر سنة ١٩٠٥ وسبقه الى ذلك مراسل جريدة الطان الفرنسية بتونس

بعد هذا أنقل اليك ما كتبه أحد تلاميذ الفقييد من دعاة التفرنج أنصار الجديد أعداء القديم فيه من هذه الجهة

رأي تلميذ له فيه

كتب الدكتور طه حسين مقالا فيه نشره في جريدة السياسة وهو أحد كتابها ذكر فيه ان الاستاذ المهدي كان له تأثير عظيم في أنفس تلاميذه الكثيرين وأنهم كانوا يحبونه حبا شديدا وان منهم كثيرا من كبار المعلمين والقضاة والمحامين من شبوخ مصر وشباتها ثم قال :

« ولقد أريد أن أترك منه في هذه الكلمة صورة قريبة من الصدق، أريد أن أكون مؤرخا لا مداحا ولا راثيا، وأشعر بأن عمل المؤرخ في مثل هذا المقام ليس بالشيء السهل

» لم يكن الشيخ محمد مهدي من أنصار القديم ولكنه لم يكن من أنصار الجديد، وإنما كان وسطا بين هاتين الطائفتين ، كان يزدرى أنصار القديم ويغلو بعض الشيء في ازدرائهم، وكان يراهم خطرا على الرقي العقلي وعلى الحياة الصالحة ، كما أنه لم يكن يحب الغلاة من أنصار الجديد بل كان يتبرم بهم كثيرا ويبراهم خطرا على الحياة الاجتماعية والدينية بنوع خاص . كان شديد الإعجاب بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وبعض تلاميذه ، بل كان إعجابه هذا لا حد له، وكان سببا من أسباب قصوره عن إدراك الحياة الجديدة ، فكان يخيل إليه أن المثل الأعلى من الرقي العقلي ومن الحرية العقلية انما هو ما وصل اليه الشيخ محمد عبده، وان الذين ينحرفون عن طريق الاستاذ الشيخ محمد عبده الى ناحية الجمود كالذين ينحرفون عن طريقه الى ناحية التقدم خطرون على الحياة الاجتماعية والدينية والعقلية . أولئك يؤخرونها والتأخر شر ، وهؤلاء يثبون بها والوثوب خطر . ثم كان الاستاذ الشيخ مهدي يمثل جيلا خاصا من الاساتذة والادباء هو أقرب الآن الى أن ينتهي ويترك مكانه لجيل من الشبان يخالفه المخالفة كلها . كان قد أدرك ذلك العصر الذي لم تكن فيه حياتنا العقلية والادبية راقية ولا مرضية، وكان من الذين ظهر فيهم الرقي الجديد فكان معجبا بهذا الرقي مفتونا به ، وحفظ هذا الى آخر أيامه، فكان يرى نفسه خيرا من غيره ، وكان لا يتكلف الاحتياط في اخفاء ذلك أو الاقتصاد فيه ، وكان أصدقاؤه وتلاميذه الذين يحبونه ويميلون اليه يسمعون

منه ذلك راضين بل متفكرين، كانوا يسمون له ويستعيدونه، فاذا انصرف عنهم الاستاذ أعادوا ماسمعوامنه وضحكوا لضحك نخريه وازدراء بل ضحك عطف وحب» اه
(المنار) هذا قول صريح من الدكتور طه حسين في رأيه ورأي أمثاله من غلاة التفريج في حزب الاستاذ الامام الذي بينا أساسه آنفا واذا كان الدكتور طه يمد الفاسق الخليع أبا نواس من المصلحين في عصره ، فلا غرو ان يعد الاستاذ الشيخ محمد مهدي ممن يضحك منهم في هذا العصر ، ومن آرائهم في الاعجاب بالشيخ محمد عبده ومبادئه في الجمع بين هداية الدين والترقي لدنوي. واننا نود من الدكتور وشبان حزبه أن يبينوا لنا بمثل هذه الصراحة وجه تفضيل جيل الشبان الجديد على جيل المعتدلين المصلحين؟ وهل منه ان السيدة أسماء كريمة المهدي التي تربأ بشرفها ودينها أن تتعلم الرقص مع الرجال الذي شرحته لنا السياسة من عهد قريب تعد من نساء العهد القديم الذي يدعون الى القصاص عليه؟ أم تعد كأبيها ممن يضحك منهم ويعطف عليهم لانهم تعبن في اقتباس العلوم المصرية ولم يقدرن أن يصلن بها الى « الرقي الجديد » فوجب عليهم أن يتركز مكانهم لابتات الجيل الجديد اللواتي يرقصن مع الرجال الاجانب والوطنيين في مصر الجديدة وشارع عماد الدين كما يرقص أخواتهن التركيات في مراقص غلطة وبيرا مع رجال الروم والافرنج باغواء ملاحدة المتفريجين هنالك ؟

ان شأن غلاة التفريج في مصر اعجيب، وأعجب منه تفضيل مثل الدكتور طه المدرس في الجامعة المصرية والمحرف في جريدة السياسة هؤلاء الغلاة على المعتدلين الذين يرشدون الامة الى كل نافع ويزجرونها عن كل ضار من قديم وجديد
ان هؤلاء الغلاة في التفريج اشد افسادا لاممهم من الجامدين على كل جديد فهم الذين يبددون ثروتها في الفسق والفجور ، وهم الذين يفسدون أخلاقها وآدابها وأعراضها ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من مقوماتها ومشخصاتها فان كانوا على شيء من العقل والفضيلة فليبينه لنا الدكتور طه وأمثاله لقيم له ميزان المناظرة ، ونحكم فيه مصلحة الامة
(لترجمة بقية)

باب الانتقاد على المنار*

(تحريم المسلمات على غير المسلمين)

النص الاصولي القطعي والنص اللغوي — الوصف الذي يتخذ علماء وعنوانا على أمة أو أهل ملة والوصف الذي يطلق بمعنى قيام الحدث بالموصوف والفعل المسند الى القوم أو الأمة — إنكاح المشركين المؤمنات محرم بالنص القطعي وإنكاح غيرهم من الكفار محرم بنصوص لغوية لا اصولية قطعية وبأجماع المذاهب والقياس

قد عرض في أثناء إصدارنا لاجزاء المجلد الرابع والعشرين أحداث سياسية واجتماعية اسلامية شغلتنا عن إتمام عدة أبواب من أبواب المباحث التي كنا دخلنا فيها كالرحلتين السوريتين والاوربية ومنها ما كتب اليها من الانتقاد على المنار وأهمه ما كتبه اليها الشيخ محمد عبد الظاهر من خواص اخواننا في الدين وأولادنا في العلم انتقاداً على قولنا في مقالة (مدنية القوانين) التي نشرت في ج ٢٣ م ٢٣ من أن النص القطعي في القرآن إنما ورد بالنهي عن نكاح المشركات وإنكاح المشركين وبجمل نكاح المحصنات من أهل الكتاب ولم يصرح بتحريم إنكاحهم — وإن التحقيق أن المشركين والمشركات في آية البقرة خاص بالعرب منهم — أعني قوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) الآية — فهو يرى أن عنوانات (المشركين) فيها وفي غيرها يعم جميع أهل الملل غير المسلمين ومن الدلائل على هذا عنده اسناد القرآن الشرك الى أهل الكتاب في قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله — الى قوله — سبحانه وتعالى عما يشركون) كما نزه نفسه عن شرك مشركي العرب بمثل هذه الجملة في سورة المائدة — وإن الوعيد على الشرك المطلق يشملهم — وأن كونهم صنفاً مستقلاً لا ينافي دخولهم في الجنس العام وإن ابن جرير ذكر وروى عن قتادة أن لفظ المشركين في آية (ولا تنكحوا المشركين) يشمل أهل الكتاب ولم يذكر مخالفاً « فعدم ذكره مخالفاً دالاً على الاجماع » !!

كان أخونا المذكور كتب اليها انتقاده هذا مختصراً فكتبنا اليه كتابة

(* كتب هذا الباب للجزء الاول ثم اضطررنا الى تأخيرها الى الثالث

تبعثه على المراجعة والبحث في بعض المسائل كمعنى النص الاصولي القطعي المراد والفرق بين عنوان المشرلين واسناد فعل الشرك الى أهل الكتاب وغير ذلك لانه يعنى بعلم الاثر دون علم الاصول وغيره من كتب المعقول — وهذا دأبنا مع إخواننا — فبحث كثيراً ثم كتب اليينا مقالا طويلا يبلغ ٨ صفحات مزج فيه المسائل ، وخلط الدلائل ، وشتم على علماء الاصول ، وجعل التحاكم اليهم تحكما الى أهل الطاغوت ، وابطالاً لكلام الله عز وجل ، برأهم الله تعالى من ذلك ، ومن جهل شيئاً عاداه ، وكنا نريد أن ننشره ونتكلم على مسائله وأدلتها وما فيها وان كان أكثره لا يفيد جمهور القراء بل يكرهه أكثرهم لانه مناقشات لفظية واصطلاحية في شأن فهم باحث أخطأ في فهمه واستدلالة — ولذلك طال الزمان ولم نجد الفرصة وخشينا أن يطول الزمان على ذلك في المستقبل أيضاً فرجعنا أن نكتب ما نرى فيه الفائدة العامة في المسألة وهو :

(١) ان النص الاصولي الذي نعنيه هو عند أهلنا ما يحتمل معنى واحداً لا يحتمل غيره حقيقة ولا مجازاً ولا كناية — وهو انما يشترط في أصول الدين التي يطلب فيها القطع ويعمد جاحداً خارجاً من الملة فلا يقبل له عذر بالتأويل ، وأما الاحكام العملية فيكتفى فيها بالنصوص اللغوية من منطوق ظاهر ومفهوم موافق ، وفي المفهوم المخالف لخلاف المشهور في الاصول وهو ان أمانينة ينفيه والجمهور يثبتون ما عدا مفهوم اللقب منه ، فاستعظام صاحبنا لنفي نص اصولي قطعي في حكم شرعي عملي من الامور الشخصية — استعظام لما ليس بعظيم في نفسه ، فان أهل السنة يذكرون في العقائد السمعية مسائل ليس فيها نص قطعي بل يثبتونها بظواهر النصوص اللغوية كميزان الاعمال يوم القيامة ولا يعدون من يتأولها خارجاً عن الملة فالاحكام العملية أولى بذلك اذ لم يشترط القطع العقلي في إثباتها أحد من المسلمين — فإضاعة الوقت وكثرة الجدل في محاولة اثبات هذه المسألة بنص قطعي اصولي لا يحتمل التأويل لا حاجة اليهما فحسبنا الظواهر واتفاق المذاهب الاسلامية على هذا الحكم ، الا اذا كان المنتقد يرى أن للمسلمين مصلحة راجحة في تكفير من يتأول شيئاً من أمثال هذه الظواهر أو ينكر دلالة مثل هذا الاجماع متأولاً لا مكاراً ولا معانداً . ونحن نحرص على اتقاء الجزم باخراج أحد المسلمين من ملة الاسلام ما استطعنا

(٢) الفرق بين الوصف الذي يتخذ علماء وعنواناً على طائفة او شخص

وبين الوصف أو المصدر أو الفعل الذي يراد به قيام المعنى بالموصوف - ظاهر ،
 ولكل منهما موقع في الكلام. مثال ذلك ان الكفر والشرك والفسق والظلم وما
 شتق منها قد أطلقت في الكتاب والسنة بحسب معانيها اللغوية على الكفار
 إطلاق المترادفات، وقوبلت بالايان والاسلام مقابلة المتضادات، وإطلاقا يشمل
 بعض منافقي المسلمين الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم وبعض من صبح إيمانهم ولكن
 بمعنى قول العلماء « كفر دون كفر، وشرك دون شرك » أي لا بالمعنى المقابل
 للاسلام والايان، وقديين ذلك المفسرون ومراح الصحيحين وغيرهما من كتب
 السنة وسبق لنا الامام به مرارا آخرها البحث المستفيض الذي نقلناه عن كتاب
 الصلاة للمحقق ابن القيم (ص ٦٧٣ ج ٢٤ م ٩) واصطلاح علماء الشرع على تخصيص
 لفظي الكفر والشرك بما يقابل الاسلام ولفظي الفسق والظلم بما يقابل الصلاح والعدل
 والمثل المخالفة للاسلام كثيرة ومن المخالفين له من ليس لهم ملة ينتمون
 اليها كمنكري الألوهية . فاذا صبح أن يسمى كل من ليس بمسلم كافرا اصطلاحا
 كان لهذه التسمية وجه في اللغة — . وان كان الاصطلاح الغالب عند أهل
 هذا العصر ان لفظ الكافر لا يطلق الا على المعطل الجاحد لكل الاديان —
 ولا مشاحة في الاصطلاح — ولكن لا وجه في اللغة لتسمية كل من ليس
 بمسلم مشركا، فان من غير المسلمين المعطل الجاحد، ومنهم الموحّد الذي توحّده
 أرسخ وأصح من توحيد الكثير من طائفة المسلمين الجاهلين بحقائق الاسلام،
 وما أكثرهم في هذا الزمان

ان الفلاسفة الالهيّين ومن يعرفون في أهل أوربة بالعقلين وجملة اليهود
 والآريوسيين من النصارى المتقدمين وأكثرتصارى هذا العصر الذين تعلموا
 تعليما راقيا ولم يقرقروا من الدين - كل هؤلاء وطوائف غيرهم من العلماء المستقلين
 في العلم والدين موحّدون ليس في عقولهم شيء من الشرك بالله بالمعنى المعروف
 في القرآن : سألت عجوزا إفرنسية كانت جارة لنا: مالي أراك لا تذهبن الى
 الكنيسة يوم الاحد؟ الست متدينة؟ قالت بلى وانى اصلي لله في بيتي وما
 الكنيسة ورجالها الا جماعة احتيال على المال والجاه والله يعلم بصلاحي حيث
 كنت . قلت وما تقولين في السيد المسيح عليه السلام؟ أهو إله أم لا؟ قالت
 الاله واحد وامسيح مثل نبي — أي هو نبي او من قبيل الانبياء، وقالت
 ان أكثر المتدينين المتعلمين عندهم يعتقدون اعتقادها، ومنه ان لا احد من

لأنبياء ولا القديسين يقدر على فهم أو ضرا أو أي عمل مخالف لسان الكون والتوحيد هو أصل دين جميع الرسل عليهم السلام وما طراً على أهل الكتاب من الشرك هو عين الذي طراً على كثير من المسلمين الذين لم يتأقوا التوحيد الخالص تلقياً صحيحاً من أهل العلم والبصيرة في الدين، وهو لم يكن مستغرقاً لجميع أفرادهم حتى ما أسنده الله تعالى إليهم في القرآن فهو كإسناده إلى اليهود قتل الأنبياء عليهم السلام بغير حق ودوناً وقع من بعضهم ووجهه في اللغة معروف مبين في التفسير وقد قال الله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقال (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) ثم قال بعد ذكر كفرهم وقتلهم الأنبياء (ليسوا سواء، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر) الآيات — قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير أمة قائمة: على أمر الله لم تنزع عنه وتركه كما تركه الآخرون وضيعوه اهـ ولم يقل مثل هذا في المشركين

لأجل هذا جعل الله تعالى لفظ المشركين لقباً أو علماً لمن كان الشرك قاعدة دينهم والوصف العام لجماعتهم وجعل العلم لليهود والنصارى «أهل الكتاب» وما أسنده إليهم أو وصفهم به من الشرك فلما كان عرضاً طارئاً لم يجعله علماً ولا لقباً ولا وصفاً عاماً يطلق عليهم في كل حال أو يعزى عن غيرهم من أهل الملل بل هو من قبيل ما بيناه في أول هذه المسألة ومن إطلاق ما صدر من البعض على الكل كقتل الأنبياء وأكل السحت مثال ذلك قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم — إلى قوله — سبحانه وتعالى عما يشركون) فسر النبي (ص) هذا الشرك بقوله «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه» رواه مخرجو التفسير المأثور والترمذي والطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في سننه من حديث هدي بن حاتم ورواه أكثرهم عن حذيفة أيضاً .. وهذا النوع من الشرك طراً على المسلمين أيضاً فكثير منهم — ان لم نقل أن أكثر المتأخرين منهم — يستحلون ما أحل لهم رؤسائهم الذين في رؤسائهم شيوخ الطريق الجاهلون — ويحرمون ما حرموه عليهم رؤسائهم الذين لا يعدون الفقهاء خروجاً من أمة إلا إذا كان في أمر يجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة. وهذه الآية (المنار: ج ٣) (٢٩) (المجلد الخامس والعشرون)

اقوى ما استدلل به المنتقد على كون أهل الكتاب من المشركين - وقد وردت بعد قوله تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله) ومن المعلوم أن هذا القول قد يطابق عندهم اطلاقاً مجازياً لا يعد من الشرك في شيء كقوله تعالى حكاية عنهم (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) وقد ورد في التفسير المأثور وغيره أن من قال من اليهود : عزير ابن الله - بعضهم وروي أنه واحد منهم اسمه فنحاص فهو من باب اسناد ما كان من البعض الى الجنس أو القوم وهو كثير كما تقدم آنفاً

وجملة القول أن أهل الكتاب قد فشا فيهم الشرك وهو ليس من أصل دينهم ولا طاماً فيهم بل جميع أهل الملل القديمة كالجوس والبوذية كانوا أهل كتاب وأتباع رسل ثم طرأ عليهم الشرك والوثنية بالتأويل ولم يعد يعرف لكتبتهم أصل لطول العهد ، وأما اليهود والنصارى فقد دل القرآن على أن كتبهم لم تذهب كلها بل أوتوا نصيباً منها ونسوا آخر - وما بقي لهم طرأ عليه التحريف فلذلك ميزهم عن سائر أهل الملل بتسميتهم (أهل الكتاب) وهو يعطيهم هذا اللقب في مقابلة المشركين تمييزاً لهم كما ميزهم بأحكام خاصة بهم من دون مشركي العرب وغيرهم - والمنتقد يعترف بهذا للآيات الصريحة فيه ولكنه يجعله كاللغو الذي لا يترتب عليه حكم ولا يراد به بيان حقيقة ولا يصح أن يستدل به على أنهم لا يعدون من جنس المشركين عند إطلاق كلمة المشركين على الجنس المعين من أهل الملل - وهو مخطيء في هذا

فعلى هذه التفرقة بين الأمرين نقول في قوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن) الآية - إما أن يراد بالمشركين والمشركات فيه معنى اسم الفاعل وهو من اتصف بالشرك بالفعل وأما أن يراد أهل الملة الذين أطلق عليهم في كتاب الله لقب المشركين - فإن أريد به الأول فهو لا يشمل إلا من كان مشركاً بالفعل ، ويخرج من مفهومه من لم يكن كذلك من بقايا الخنفاء الموحدين الذين كانوا يهزؤون بالاصنام وعبدها من جاهلية العرب والموحدون من سائر الأمم - وهو ظاهر البطلان ولم يقل به أحد - فتعين أن يراد به من جعل لفظ المشركين علماً لهم ولقباً يميزون به من غيرهم ولذلك جعل غاية النهي دخولهم في أهل الايمان المراد بهم المسلمون - والظاهر بناء على ما تقدم أن المشركين بهذا المعنى هم أهل الاوثان الذين لا يعرف لدينهم أصل من كتاب منزل كاليهود والنصارى

ولا شبهة كتاب بحيث يكون لدينهم لقب خاص كالمجوس على قول الجمهور (وقال بعضهم انهم كانوا اهل كتاب) ولذلك خصوا بلقب مميز في مقابلة المشركين وغيرهم بقوله تعالى في سورة الحج (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا - ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) وانما ذكر المشركون في هذه الآية دون آية البقرة التي ذكر فيها بقية الاصناف لان سياق آية الحج لبيان الحساب والجزاء المطلق وهو عام، وسياق آية البقرة لبيان اجر من اقام اصول دينه الصحيحة وانتفاء الخوف والحزن عنهم يوم القيامة اذ كانت كلها اصولا صحيحة. والشركون لا يشاركون هذه الاصناف فيها وهي قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خرف عليهم ولا هم يحزنون)

واذا امكن المراء في ان يكون هذا هو الظاهر المتبادر من لقب المشركين والمشركات فلا يمكن المراء في انه ليس نصا اصوليا قطعيا فيما عدا المسلمين من اهل الكتاب وغيرهم، والقول باتحاد الحكم وتحريم النكاح اهل الكتاب لا يقتضي ذلك لجواز ان يكون قد ثبت بدليل آخر - فهذا الوصف ليس نصا لغويا ولا شرعيا في ذلك، بدليل ما بيناه من معناه اللغوي ومن استعماله في الكتاب العزيز، ومثله في كتب السنة كثير، ومنه بعض ما نقله المنتقد من صحيح البخاري كقوله (باب اذا اسلمت المشركة او النصرانية) الخ فالعطف يقتضي المغاربة - وهذا هو اصطلاح الشرع في اللقب وجعله عنوانا على اهل الملة - فكيف يقال إنه نص اصولي قطعي في كل كافر لا يحتمل غير ذلك لغة ولا عرفا ولو بطريق التجوز وغيره من طرق التأويل؟ هذا لا يمكن ان يقوله احد يفهم معنى النص القطعي. ولا يحتاج اليه من ذهب الى عموم الحكم في آية البقرة فقد يكون كلامهم من باب التفسير بالمراد، وما نقل عن ابن عمر من تأوله الآية وتحريمه للكتايبات لم يوافقه عليه أحد من الصحابة فهو شاذوله لنظر عنهم (رض) وما هم بمعصومين، وإنما الحجة اجماعهم على امر ديني، ويقرب منه ما ثبت عن جمهورهم ولا عبرة بشذوذ الافراد لقول ابن مسعود (رض) إن المعوذتين ليستا من القرآن مثلاً

نعم إننا نعترف بأننا اخطأنا فيما عزوناه الى قتادة من القول بأنه خص

المشركين والمشرقات في آية البقرة يؤثني العرب فأن. الذي روي عنه أنه قال في المشرقات « يعني مشركات العرب اللائي ليس لهم كتب يقرأه » ولم يقل مثله في المشركين — ولكن التفرقة بين مشلول « المشرقات » ومدلول المشركين في آية واحدة تحكم وعدم نقله عنه لا يدل على أنه يقول بالتفرقة — ومسألة الحكم ليست موضوعنا هنا بل لا خلاف فيها بيننا وبين المتقدم

ولم يكن قتادة هو الذي قال هذا وحده ففي الدر المنثور عن سعيد بن جبير في تفسير « ولا تنكحوا المشرقات » الآية — قال يعني أهل الاوثان وعن مجاهد: نساء أهل مكة من المشركين : وعن حماد قال سألت ابراهيم (يعني النخعي) عن تزويج اليهودية والنصرانية فقال لا بأس ، قلت أليس الله يقول (ولا تنكحوا المشرقات حتى يؤمن)؟ قال إنما ذاك المجوسيات وأهل الاوثان وقال أبو بكر الجصاص من أئمة الحنفية في القرن الرابع في كتابه أحكام القرآن ما نصه : « وقوله تعالى (ولا تنكحوا المشرقات حتى يؤمن) غير موجب لتحريم الكتابيات من وجهين — أحدهما — ان ظاهر لفظ المشرقات يتناول عبدة الاوثان منهم عند الاطلاق ولا يدخل فيه أهل الكتاب إلا بدلالة ، ألا ترى الى قوله (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم : وقال (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) (المشركين منفكين) ففرق بينهم في اللفظ وظاهره يقتضي أن المعطوف غير المعطوف عليه إلا أن تقوم الدلالة على شمول الاسم للجميم » اهـ وقد قالوا مثل هذا في عهد المشركين والامر بعموم قتالهم في أول سورة براءة وأنه نزل في مشركي العرب ولا يشمل أهل الكتاب

وجملة القول ان « لقب مشركين » لا يصح اطلاقه على جميع الكفار لغة ولا شرعا وأن الفرق بين المشركين وأهل الكتاب عظيم جداً : أصول الدين الالهي الاجمالية ثلاثة الايمان بالله والايمان باليوم الآخر والعمل الصالح على الوجه المشروع ابتغاء مرضاة الله وثوابه ، كما في آية البقرة ويدخل في التفصيل الايمان بالملائكة والكتب الالهية والرسل (عليهم السلام) ودار الثواب ودار العقاب . وأهل الكتاب يؤمنون بهذه الاصول كلها بالاجمال ، وأما المشركون فلا يؤمنون بشيء من تلك الاصول ومن آمن منهم بالله أشرك معه غيره من خلقه فجعل له انداداً يزعمون أن من تقرب اليهم يشفعون له عنده فيقضي لهم حاجتهم لا جلهم .

وأما ما دخل على تشر من أسرار الكتاب من مثل هذا الشرك وغيره مما ينافي هداية الرسل فقد دخل على المسلمين مثله وسدق عليهم قوله (ص) « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا في جحر ضب لسلكتموه » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري وغيره بالفاظ متفقة في المعنى وهذا لفظ البخاري عنه . وإنما تفضلهم بأن كتابنا قد حفظ بلفظه ونقل باللسان والكتابة تواترا وبأن سنة نبينا (ص) ضبطت ونقلت بالاسانيد المتصلة ، فالرجوع الى أصل الدين يمكن في كل وقت . والاسلام حجة عليهم فمن كفر به بعد بلوغ الدعوة بشرطها لا يعتد بإيمانه بغيره ، كما أننا نكفر من جحد نبوة موسى وعيسى عليهما السلام ولا نعتد باسلامه

لهذا الفرق العظيم بين أهل الكتاب والمشركين خص الله تعالى على أهل الكتاب ببعض الاحكام كاكل طعامهم وصحة ذبائحهم والتزوج منهم وفي هذا وذلك من اسباب المودة معهم ما هو معروف بالبداهة والتجربة ، وبما بينه الله تعالى من سنته في الزواج بقوله (ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقال في بعض العاملين بدينهم منهم (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) وأقرهم على دينهم حتى أن بعض الصحابة كانوا قبل الاسلام اعطوا اطفالهم ليهود بنى النضير ليربواهم فلم يكتب الله عليهم الجلاء أرادوا أن يستردوا ولثك الاولاد وكانوا قد كبروا وتهودوا فانزل الله تعالى في ذلك الوقت (لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي) فأمرهم النبي (ص) أن يخرجوهم ، فمن اختار اليهودية جلا مع اليهود ومن اختار الاسلام بقي مع المسلمين ، ولم يعامل المشركين بشيء من هذا ، بل قال (ص) في بيان العداوة بينهم وبين المسلمين والبعد الشاسع الذي لا يستقيم معه معايشرة « أنا بريء من كل مسلم يقم بين اظهر المشركين » قالوا يا رسول الله ولم ؟ قال « لا تراءى ناراهما » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جرير بن عبد الله (رض) ورجال اعناده ثقات ولكنهم صححوا ارساله ورواه الطبراني موصولا . وفي معناه أحاديث أخرى (له بقية)

زيارة ملك الحجاز لشرق الاردن

﴿ مقدماتها وأسبابها ونتيجتها ﴾

كان الشريف حسين ولا يزال يعني نفسه بملك عظيم تؤسسه له الدولة البريطانية جزاء له على ثورته العربية وموالاته لها في قتال الترك بأن تجعله خليفة المسلمين ومالكاً على البلاد العربية المؤلفة من جزيرة العرب كلها والعراق وسورية وفلسطين وتمده بالمال والسلاح لتطيد سلطانه في هذه البلاد تحت حمايتها وبمساعدة رجالها. وكان يعتقد أن حلفاء أقوى من الحلف الألماني ولذلك لم يقبل ما عرضته عليه الدولة العثمانية من الاستقلال ضمن المانية. وكان يهمنها بكل فتح في البلاد العربية : القدس وبغداد ودمشق ! ولذلك سمى نفسه ملك العرب وبعد احتلال سورية اعتقد أن أحلامه جاءت تأويلها، وكان يشتهي أن يزور البلاد السورية بعد تطيد سلطانه فيها، وتكرر وعده لانس من أهلها بذلك وفي جريدته (القبلة) حتى إنه صرح بأن سيزور كل بلد وقرية فيها، أي ليراه جميع أفراد رعيتيه، ويتمتعوا ببهاء جلاله وعزته.

أقلت ملك سورية من قبضة وهمه (أولا) بقرار المؤتمر السوري العام الذي أعلن فيه استقلال جميع البلاد السورية دون الحجاز وغيره (وثانياً) بتنفيذ انكثرة وفرنسة لما كانتا قد اتفقتا عليه من اقتسام بلاد الحضارة العربية سورية والعراق بينهما، ورأى أن ملكه لم يتجاوز إمارة الحجاز التي كانت له من قبل الدولة العثمانية على أنها منقوصة الاطراف غير تامة الحدود على ما يدعي — فكان المعقول أن يتناسى ذلك الوعد أو الوعود ويتحول عنها.

ولكن الرجل يحيا حياته السياسية بشيئين (أحدهما) نفسي وهو الألماني واللاهام (وثانيهما) عملي وهو الدعاية (البور بغندة) التي لم يحذق من شؤون سياسة هذا العصر غيرها، وهو قد أوتي غريزة الثبات والاصرار التي هي أعظم الغرائز مساعدة لصاحبها على النجاح إذا هو طلب الامور بأسبابها، وأتاه من أبوابها

أصر على تسمية نفسه بملك العرب وأمكنه بالدعاية أن يحمل بعض أصحاب الجرائد في سورية وغيرهم أن يتبعوا جريده (القبلة) في تحليته بهذا اللقب و بلبق المقد ، وان كان الحق الواقع المشاهد أنه لم ينل بلبق ملك العرب تصرفا ولا سيادة على شبر من أرض العرب لم يكن تحت سيادته قبله ، وأنه لم ينقذ بلدا من بلاد العرب ولا قرية من سيادة أجنبية ولا مهلكة ، فان كان أحد يسمى انتقال البلاد السورية والعراقية بمساعدته من سيادة الدولة العثمانية المؤلفة من الترك والعرب وغيرهم الى سيادة انكلترا وفرنسة إنقاذا فلا أنقذه الله من الذل في الدنيا ولا من العذاب في الآخرة ، على أن هذا الابسال (١) الذي سماه إنقاذا لم يقع الا بترجيح دولة الولايات المتحدة لاحدى كفتي الحرب على الاخرى لا بترجيحه ، ولكن هذه الحقائق لا تمنع الملك حسينا من التلذذ باللقبين كما رآهما في جريده (القبلة) وفي بعض الجرائد المأجورة أو المغرورة

وهناك دعوى أخرى ظاهرة البطلان كظهور كذب اللقبين الضخمين الفخمين ولكنه فاز بتكرار الدعاية واصطناع بعض الجرائد من غش كثير من الناس فيها حتى صاروا يصدقونها كما يصدق الغافلون الاعلانات التجارية التي تنشر في الجرائد. زمنا طويلا ولا يبحثون عن مصدرها ليعلموا أنها شهادة من صاحب الدعوى لنفسه .

تلك دعوى قيامه بأمر الوحدة العربية بجمع كلمة العرب وتوحيد قوام وترقية شؤونهم ، والامر بالضد ، فهو هو المفرق لكلمة العرب والمحدث للشقاق بينه وبينهم ، فانه بتوهم كونه ملاكاً للعرب وثبوت هذا الخيال في مخه تخيل أيضا أن الوحدة العربية انما تكون أو ستكون بقبول أمراء جزيرة العرب وأثمتها لسيادته السياسية والعسكرية عليهم طرعا أو كرها وتحكيمه في شكل ادارة البلاد ونزع ما شاء منها من أيدي من شاء ايولي عليه من شاء حتى حمله الخيال على مخاطبتهم بذلك كتابة ، فضحكوا ساخرين . وطالما بينا هذا في المنار وفي غيره من الصحف ولكن

(١) أبسله أسلمه للهلاك ومنه قوله تعالى : (وذكر به أن تبسل نفسك بما كسبت ليس لها من دون الله من ولي ولا شفيع) الآية وفيها ما فهم من العبرة

بياننا لم يحل دون تأثير دعايته المفضلة الدائمة حتي إنه صرح في جريدته (القبلة)
تصريحاً رسمياً بما صدق أقوالنا الماضية لما سأله رئيس مؤتمر الجزيرة الذي هو من
أبواق دعايته عن مراده بالوحدة ، ونشرنا تصريحه في المنار والاهرام فقرأه
الكثيرون في البلاد السورية كما قرأه آخرون في الجزء الذي صدر من جريدة القبلة
في ٦ ربيع الآخر من هذه السنة ، ولم يكن هذا ولا ذاك بصارف المخدوعين
بالدعاية السابقة من طلاب الوحدة العربية أن يظنوا أنه يسعى لها ، وأن يوجهوا
وجوههم إليه فيها

فهذه الوقائع زادت الملك حسيناً إيماناً وتسلماً بأن الدعاية (البوربغنده)
تقلب الحقائق فتجعل الحق باطلاً والباطل حقاً عند الجماهير من الناس ، بل هي
كالمسحر تخيل إلى المسحور أنه يرى بعينه ما لا حقيقة له في الخارج .
على أنه خاب مرة في دعايته ولم يلبث أن تدارك خطيئة وجعلها نسياناً منسياً
عند كثير من السوريين وخاصة الفلسطينيين منهم

ذلك بأن الدولة البريطانية اخذت أن تعقد معه معاهدة تثبت بها اعترافه
بانتدابها على فلسطين وما تريد أن يكون لها من الحقوق في الحجاز والتصرف في
شؤون الحجاج وتقطع بها لسانه وألسنة الفلسطينيين دون الاحتجاج عليها بما سبق
لها معه من اتفاق ووعود . وقد طالت المراجعة بينها وبينه في ذلك ، حتى إذا
ما أرسل الدكتور ناجي الاصيل الموصلي إلى لندن للبحث معها في صيغة هذه
المعاهدة في العام الماضي قامت قيامة لدعاية حوله وامطرت شركة روتر الانكليزية
على البلاد العربية وغيرها برقيات خادعة فيما ينظر من الوحدة العربية واستقلال
العرب بسعي الاصيل . . وكانت الجرائد العربية في مصر وسورية والعراق تنشر
هذه البرقيات وتعلق بعضها عليها من الشروح ما يكبر شبح الوهم ، وكان بعضها
ينشر مقالات مستقلة في ذلك ، ولما عاد الاصيل إلى مكة يحمل نص المعاهدة كان
له من الحفاوة فيها ما كان ، وتلى نص المعاهدة المترجم بالعربية في حفلة رسمية فخمة
واطاعت المدافع وصدرت الارادة الهاشمية بحمل ذلك اليوم عيداً رسمياً للامة
العربية بأسرها . . . ثم ماذا كان ؟ ظهرت الفضيحة لعيان ورفض أهل فلسطين

ما يتعلق بهم منها ، واضطر الملك الى عدم الامضاء النهائي عليها
بعد هذه الفضيحة استأنف الملك دعاية جديدة في المسألة الفلسطينية قدم
بين يديها مساعدة لاهل فلسطين بما جمعه من الاعانة القهرية اهمارة الحرم الاقصى
من اهل الحجاز والاختيارية من الحجاج ، وسمح لوفد منهم بالطعن في وعد بلفور في
الحجاز ، فوضعت خطة جديدة لبث الدعاية له في سورية وفلسطين يقوم بها تقرر
ممن كان بمكة من حجاج البلاد مع صنائه فيها تكون تمهيدا لزيارته لاطراف سورية
لاجل ان يتقرر في هذه الزيارة مع زعماء البلاد امر الوحدة العربية (١١) وما يتعلق
بها من المسألة الفلسطينية . . . بل وجد له دعاة من حجاج المصريين مدحونه
ويدافعون عنه ايضا

ولا ندري هل كوشف أحد من الدعاة الذين كانوا في مكة بمسألة المبايعة
بالخلافة أم لا ؟ . ويجزم بعض اذكاء المصريين أن الانكليز كانوا قد اتفقوا
مع عصمت باشا علي إلغاء الخلافة التركية في زمن لا يتأخر عن أول سنة الترك
الجديدة (مارس) . وأحبوا أن تكون زيارة ملك الحجاز لاطراف سورية قبل
ذلك الوقت ، وأن يظل هنالك الى أن تلغى الخلافة التركية فيجمل ذلك
سببا لتأسيس الخلافة العربية — كما انهم قرروا أن تجتمع جمعية العراق التأسيسية
لتنظر في المعاهدة العراقية البريطانية التي أمضاها الملك فيصل والسير برمي
كوكس المندوب البريطاني السامي في العراق في الوقت الذي يجتمع فيه المؤتمر
البريطاني التركي لحل مشكلة الموصل ووضع الحدود بين العراق والناضول ليخوفوا
العراقيين بالتفريط بولاية الموصل اذا هم رفضوا المعاهدة التي تضع جميع العراق
لاولادة الموصل وحدها .

مهما يكن من الامر في هذا وذاك ، فالدعاية لتشريف الملك قد بثت
قبل مجيئه ، وفي أثناء وجوده ، حتى وصلت هيئتها في الحالين الى ما عرضت
شبهاتها وأمانيتها علي ، واقترح علي أن أكون من الزائرين له ، وسئلت عما اشترطه
في ذلك ، وقع احذق من كلمتي في ذلك بأن اسكت عنه ، ولو رينا تظهر نتيجة
مايرجى منه ، وزعموا انه قد اتعظ واعتبر بأغلاطه السابقة . وقال بعضهم : ان
(المنار : ج ٣) (٣٠) (المجلد الخامس والعشرون)

الانكابر قد غيروا سياستهم معه ، وانهم سيمنحون البلاد ما يرضيها على يده ، اذا رأوا ان الامة تؤيده ، (قالوا) فلا تكن من اسباب حرمانها من ذلك . فقلت اني سأصبر في هذه المرة كما صبرت فيما قبلها حين بثت للدعاية لسعي النجبي الاصيل ، وانا لا ارجو لهذه الامة خيرا على يده ، ولا آمن عايبا من شر عمله ، فتجربة المجرب تحصيل حاصل ، بل عبث يتنزه عنه العاقل و « المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين » وانما اسكت لاقيم الحجة بعد الحجة عليكم ، واعلم بان بذل جهدي في تأييده اذا كذب ظني وصدق ظنكم ، وان ظل يؤذيني هو واولاده وحليفاتهم ، فأنا أعمل لامتي لا لهم ... هكذا كانت الدعاية تنشر ، وكان من حسن حظ دعائها أن وقع تنازع بين فراسة والترك حمل من في سورية من الفرنسيين على الانغماس عن هؤلاء الدعاة لضعاف ما كان قوي من نفوذهم ، فنجحوا وأرهموا أكثر أهل البلاد النافلين بأن السمادة للعرب ستتم بتشريف ملكهم الى ضواحي سورية

تحرك الركب الهاشمي — كما يقولون — متنقلا في البلاد الحجازية الى أن وصل الى شرق الاردن ، وهو يقابل في كل مكان بالحفاوة والتكريم والدعوات والخطب والقصائد ، وجراند مسامي سورية تملق في فضاء الخيال ، وتصور فيه ما تصور من الاماني لا الآمال ، وأرسلت المكاتبين الى شرقي الاردن ليحصوا لها ما يكون هنالك من عظمة (ملك العرب ومقدمهم) وما يقرره المؤتمر العربي الذي زعموا أن سيحققه من وفود الاحزاب وزعماء البلاد ، تنجيها للوعود التي بشرهم بها الدعاة وقد أعد الوجاء ولجان الاحزاب المتخلعة عدتهم للقاء الملك وعرض مطالبهم القومية على مسامعه ، بناء على ما صدر به الوعد من أنه يريد أن يعمل في هذه المرة لشورى (خلافا لعاداته) وكان أحسن ما قرروه — لوصادف محله — أن يتفقوا على برنامج عام لمصلحة العرب العامة يكتبونه ويوقعه مندوبون من كل حزب ويرفعونه اليه — وأن يكون ما يعرضه بعضهم من الاقتراحات الموضوعية الخالية ، غير معارض لهذه المطالب العامة — وقد فعلوا — ومن ثم انزعاج أن يتكاثفوا متفقين بما يشكرون من سوء سيرة نجله الأمير عبد الله في قبائل وأغصان المنفعة والمصالح الوطنية العربية ، والمؤيدة للسلطة الأجنبية . وقد فعلوا بما أخبرنا لرواة عنهم — ثم كان ماذا ؟ ...

كان أن شغلت جرائد سورية وفلسطين عدة أشهر بأخبار الوفود ووصف الاحتفالات والسمط (أو السماطات) ونشر القصائد والوعود وحكايات الاقوال والمفاخر الهاشمية ، حتى اذا ازدوجت الخيالات بالواهمات ، ولقحت بالاماني المستعذبات ، جاءها المخاض بسقوط الخلافة التركية ، فأجهضت فوضعت الخلافة العربية ، فالتقطها « ملك العرب الخيالي » سقطاً لم يستهل ، ومضغة لم تكتمل ، معتقدا ان الدعاية (ابوربغدة) تتم خلقها ، وتنفع الروح فيها ، كما فعلت بمنصب « ملك البلاد العربية » قبلها (؟؟) ويكفي في هذه الحياة عنده أن يثبت لها دعاية جديدة بين حجاج الآفاق ، ويستعين بها في الجزيرة على بث الشقاق ، وأن تقول جريدة القبلة بمكة ، وجريدة الشرق العربي الرسمية في عمان ، وجرائد الطبل والزمر واسان العرب بفلسطين ، وجريدة الحقيقة ببيروت ، وأمثالهن من جرائد سورية والعراق : ان صاحب الجلالة الهاشمية ، هو خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين ، وملك العرب أجمعين ؟ بل يقدر الملك حسين ودعائه ان يسأجروا في مصر وغيرها امثال هذه الجرائد لذلك

حمل الرجل اللقب وانقلب الى بلده مسروراً ، وظل الامير عبدالله حيث كان ، بالرغم من أنوف السكان والجيران ، وصارت إمارته شراً مما كانت وأبعد عن الاستقلال ، واشتد ضغط الفرنسيين على المسلمين الذين بايعوه ، فاعتقل افراد من الوجهاً واخرج آخرون ، وفر دعائه اصحاب جريدة الحقيقة هاربين من بيروت ، وازدادت المسألة العربية بعدا عن الوحدة بفشل مؤتمر الكويت الذي كان سببه اقتراحات (منقذ العرب ومؤسس وحدتهم) واقتراحات ولده الامير عبد الله التي أملاها الغرور بالانكسار على الانكسار في تمليكهم لنجد وغيرها من الجزيرة ، وما كان لهذا الشقاق من سبب ، الا الغرور بلقب ملك العرب ، فكيف وقد ضم لقب الخليفة الاعظم وأمير المؤمنين ، الى لقب ملك العرب أجمعين ؟ دع الغرور بلقب الشريف ، الذي يدعي هو ودعائه أنه هو المؤهل للملك والخلافة ولكن له ولاولاده دون سائر شرفاء الامة !!

إننا لنقول والحزن يملأ قلوبنا : ان الترك قد فضحوا العالم الاسلامي بما

فعلوا بخلافتهم شرا مما فصح به الملك حسين بمبايعته الاولى والثانية ؟
اذ ظهر للافرنج أن مبايعة الملايين لرجل بالخلافة ليس الا كلاما لغوا لا يترتب
عليه عمل يذكر، وقد أدرك الانكليز ذلك قبل غيرهم فلم يبالوا بمبايعة الجماهير
من مسلمي مصر والهند لخليفة تركي، ولا مبايعة أهل فلسطين لخليفة عربي، وقد عد
العقلاء منهم ومن غيرهم اهتمام فرنسة بمبايعة مسلمي سورية رعوثة وخفة من رجالها
هنالك، ولو كانت انكلترة تعتقد أن هذه البيعات حقيقية، يترتب عليها ما في كتب
الشرع من الاحكام الشرعية، ابذات كل نفوذها في ابطالها، ولما تجرأ الملك حسين
حينئذ على التصدي لها، فان أول ما يترتب عليها قتاله اياها في فلسطين لاخراجها منها،
وهي الآن ترجو أن تنتفع من الخلافة الحجازية حتى بتوطيد نفوذها فيها، على ان
يكون للخليفة وأولاده شركة في ذلك

ولما طفت السلطة الفرنسية في سورية تعارض مسلميها في المبايعة لحسين والدعاء
له في خطبة الجمعة احتجوا عليها بأنها تمنعهم من حريتهم الدينية المحضة وذلك أنهم
عالمون بأنهم لم يكونوا بهذه المبايعة تابعين له في السياسة ولا الادارة ولا الحرب
ولا القضاء. ونحن نزيد على ذلك أنهم غير تابعين له في صلاتهم ولا صيامهم ولا زكاتهم،
حتى ما هو من شأن الخليفة من ذلك كتعيين الائمة والخطباء للصلاة واخذ مال الزكاة.
واما الدعاء للخلفاء في خطبة الجمعة فليس من أركانها ولا من شروط صحتها، فلم يبق لفرنسة
عذر في معارضة القوم في مبايعتهم، ولا في الدعاء له في خطبتهم، وما تكرهه
من قوة نفوذه الروحي بذلك فالمعارضة لهم أشد تأثيرا في زيادته

ومما يؤيد قولنا في رأي مسلمي سورية في الخلافة انها أمر ديني لا علاقة له
بالسياسة ما يقوله ويكتبه بعض المصريين في ذلك بعد ان كان من مبايعتهم لعبد المجيد
أفندي ما كان، ثم من اقتراح بعضهم دعوته للاقامة بمصر، فأنصاره يعدون معارضة
الحكومة المصرية لهم في الدعوة له اضطهادا للحرية الدينية، ولو كانوا يفهمون معناها
الشرعي ويريدونه لعلوا ان عملهم يقتضي اسقاط الحكومة المصرية وجعلها تابعة
لعبد المجيد أفندي !!! وهل هذا الا أساس السياسة الذي تبني عليه جميع أركانها ؟
انتي مضطرا الى اظهار الحق عربا نا في هذه المسألة كما فعلت في مسائل كثيرة

ولم اخف في الله لومة لائم ، حتى ان شيخنا الاستاذ الامام كان اول من وصفتي بهذا و تنقده علي في بعض المسائل وما ابرزته عربانا في مسألة الا بعد ان عرضته مزينا بالحلي والحلل ، فلم يعرفه ممن عرضته عليهم احد ، فأقول :

انه لا خوف على ساطة فرنسة في سورية من مبايعة هذا الرجل الا اذا استعمله الانكليز في مقاومتها ، مادام الفرنسيين متكافين مع الانكليز فيما اعتدوا به علينا باسم الانتداب فلا خوف منه ، فان تحرش هو واولاده بهم ، فانما يفعلون ذلك لجر نفوسهم يريدونه منهم ، ولا يجهل الفرنسيين انهم يبيعون العرب والاسلام بلقب ملك او سلطان ، وقد جربوا فيصلا من قبل عبد الله في ذلك ورأوا تجربة الانكليز من قباهم . على اننا نحمد الله تعالى ان بغض هذا الاسرة التي رزئت بها الامة العربية الى الفرنسيين فلم يقبلوا ابقاء فيصل في سورية لاختضاعها لهم وفاء باتفاقه مع كليم منصو بعد اسقاطهم لحكومتها الاستقلالية ، وتوطين نفسه على أن يبقى ملكا في ظل الانتداب الذي قبله أولا وآخر ، ثم لم يقبلوا استخدام أخيه عبد الله بمثل ذلك وقد بذل شرفه وكرامته في السعي له ، نحمد الله على ذلك لان اكثر مسلمي سورية لا يزالون يخدعون بالذب شريف ، ولم يطل خداع الشيعة في العراق به كما طال خداعهم . ولو كان سائر المسلمين كذلك لوجب على عقلاء طلاب الاصلاح واعادة مجد الاسلام ان يقرروا حرمان كل من يحمل هذا اللقب من كل رئاسة في هذه الامة ، ولا سيما اذا كان مفتونا به كشرفاء مكة ، أقول هذا وانا شريف مقابل أما والله لو كنت اعلم انه يرجي منهم اخراج فرنسة من سورية على ان تكون مستقلة دون نفوذ اجنبي آخر ولو تابعة للحجاز لبذلت كل ما استطعت في تأييدهم ومساعدتهم على ذلك بدلا من مجاهدتهم على تمكين نفوذ الاجانب فيها وفي غيرها ، فاني اعلم أن ملك الحجاز لا يستطيع أن يستبد في سورية ، ولا أن يحول دون حريتها والله لو كنت اعلم انهم يستطيعون جعل جزيرة العرب وغيرها مملكة واحدة خاضعة لهم وحدهم بدون نفوذ اجنبي لتمنيت نجاحهم على ما اعلم من ظلمهم واستبدادهم ، لا اعتقادي انهم لا يستطيعون الاستبداد بهذه الامة بعد جمع كاملها وتوحيد حكومتها ، وان المصلحة في ذلك أرجح من المفسدة في كثرة الحكومات المتعادية

ثم والله لو كنت اعلم انه يرجي من حسين جمع كلمة المسلمين كلهم او اكثرهم او عدة شعوب منهم باسم الخلافة على الحق، بالاصلاح لو ددت تقمصه اياها، ولو نهض بها كما يجب ابذلت وسعي في تأييده، وان كنت اعلم انه فاقد لساثر شروطها. وحسبي هذا منها لو حصل ولكنني استقدأ بالخشي ضرره، ولا يرجي نفعه. وقد بينت هذا بالبراهين الكثيرة ولم اره اجاب عن شيء منها في جريدته جوابا معقولا ولا غير معقول، ولا اجاب عنها أحد من أنصاره، وانما سبونني تبعاله وشتموني، وادعوا اني ناقضت نفسي بأن مدحته ثم ذمته، وأيدته ثم خذلته، وان لي هوى في ذلك، وليس هذا من الرد على براهيني بشيء. فان صح قولهم الاول فما هو من التناقض المنطقي الذي يبطل به الدليل، لان من شروط اتحاد الزمان والموضوع وغير ذلك من «الوحدات الثمان». وان صح الثاني فحسابي فيه على الله تعالى ويبقى عليهم أن يطلوا براهيني في الطعن في سياسته وبيان ضررها. وكثير ما قلت ان كلمتي من أنصاره ولا أزال أقول أقنعوني ببطلان ما أثبتته ولكم علي أن أرجع عنه وأخطي نفسي، فلا يقدرُوا، كما عاهدتهم بأن أنصرهم اذا هم رجعوا الى الصواب الذي قام عليه البرهان عندي وعند جميع من أعرفه من العقلاء حتى ممن يرجون الخير منهم أو يدعونه لهم، ولا أريد على ذلك جزاء ولا شكورا

انا قرأنا ما فيه العبرة من أحداث التاريخ ولا سيما تاريخ الاستعمار للبلاد الشرقية عامة والاسلامية خاصة ورأينا كيف ضرب المستعمرون بعض أمرائها وملوكها ببعض، وهكذا يفعلون اليوم في جزيرة العرب، وأخشى ان تكون هذه الخلافة الباطلة من شر آلائهم في ذلك فيجب علي أن أنكر هذا المنكر العظيم ويحرم علي أن أسكت عنه، لكيلا أكون شريكاً لهم في اثمه

ان الدولة البريطانية لم تسعهن بأمر (الملك حسين) في السنين الاخيرة الا لانها رأت انه لم يبق له شيء من النفوذ يمكن أن تستفيد منه، وهي الدولة العربية في التجارة بالسياسة، وكان أول غرض له من زيارة أطراف سورية وما بذله في سبيلها ان يربها نفوذه فيها، وتستأنف العمل معه وأرضاء بعد هذه المباينة، فان الخلافة بضاعة ثمينة قد طغقت تجريب نفوذ اسمها في الشافعية من أهل نهاية اليمن وحضرموت

بعد أن فشلت فيما كانت تسعى إليه منذ هدنة الحرب العظمى من عقد اتفاق مع لامام يحيى حميد الدين يجعل له من الحقوق والامتيازات في بلاده المستقلة ما يكون بابا للتدخل في شؤونها ، والبحث باستقلالها ، فخاب سعيها ، وعاد مندوبها (الكولونيل جاكوب) من روضة صنعاء بخفي حنين ، وسنعود الى هذه المسألة بعد تمحيص ما جاءنا من أخبارها

وغير ضنا الآن أن نشبت أن اخواننا في فلسطين وسورية قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، ولم يصنعوا الى نصيحة الناصح الأمين اتخذوا بالدعاية الحجازية ، فبايعوا حسين بالخلافة بدون أن يقيدوه بقيود ما يصلح به ما أفسده من قبل ، كما ذكرناهم في المقال الذي نشرناه في الاهرام

بل اعطوه سلاحا يزيد قوة في عداوة جيرانه ائمة الجزيرة العربية المستقلين المسلحين ، وهي الدعوة الى الشقاق والفتن باسم امير المؤمنين . فالحكم الشرعي ان من صحت إمامته وجبت طاعته في قتال من شذ عن جماعته المفروض انهم اهل الحل والعقد في الامة واولو الامر منها ، فاذا امكنه بالدعاية والدنانير الاذكياء ان يجعل هذا الهزل جداء ، وهذا الباطل حقا ، وسجز بعض العلماء الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم أن يظهروا الحق للناس — فلا يخشى ان يقضي بخلافته الباطلة ، على ما للعرب من هذه القوة الباقية ، فيتغلغل الاجانب فيما بقي من الجزيرة المقدسة الى احاطوا بها بمساعدته ومساعدة ولديه عبد الله وفيصل من الشام والشرق ، كما يحيط بها البحر من الجنوب والغرب ؟ فالاخواننا هؤلاء لا يفكرون ، يرون العبر بأبصارهم ولا يعتبرون اما كان يجب عليهم أن يتروا في درس هذه المسألة ، وأن يقترحوا على الرجل اقتراحات يجعلون تنفيذها شرطا مقدما على عقد البيعة ، ان قنعوا بعد التروي بهرجيح مبايعته ؟ بلى واهم ما كان يجب عليهم اخذ الميثاق عليه فيه وانتظار تنفيذه الامور الالائية : (١) نيل الحماية البريطانية التي تقيد بها فيما يسميه مقررات النهضة ، وعدم تقييد البلاد بمعاهدة أخرى تجعل لاجانب نفرا في البلاد

(٢) الاعتراف بالحالة الحاضرة في إمارات بلاد العرب وإلغاء ما صرح به لرئيس مؤتمر الجزيرة من عقده العزم على جعل جميع إمارات الجزيرة من مجدوالين

وتهاية تابعة للحكومة ملك العرب في السياسة الخارجية والعسكرية والادارة العامة .. الخ
(٣) السعي لعقد محالفة بين هذه الامارات كلها يتقرر فيها اتفاق الجميع على الدفاع عن جزيرة العرب واتعاون فيما بينهم على عمرانها ، وعقد مجلس تحكمهم للفصل في كل نزاع يقع بينهم ، وتفصيل ذلك باتفاق هو قومه الجميع وقد سبق لنا تفصيله
(٤) السعي لجعل بلاد الحجاز قطر سلام وحياد لا يعادي ولا يعادى ولا يقاتل ولا يقاتل ، وأن تعترف بذلك الدول الاسلامية وغيرها

(٥) وضع نظام للخلافة يعلم كل مطاع عليه أن الخليفة لا يمكنه أن يستبد في عمل من الاعمال وانه يرجى أن ينفذ لعقلاء الامة وحكامها ما يطالبون لها من الاصلاح ، وغير ذلك مما ذكرناه به في كتاب (الخلافة) ولا محل للخوض فيه هنا وانهم سيقروا في باب الفتوى من (ج ٤) ان مبايعة هذا الرجل بالامامة العظمى باطلة شرعاً من بضعة وجوه ، وانها على بطلانها شرعاً ، ضارة قطعاً ، وإن اكبر عار وخزي على امة ان توجد فيها كل هذه المملكات ولا يتصدى احد لانكارها والتحذير منها ، ولا يحسب من احد اننا علمنا الاجانب ، ما كتبنا ما لم يكونوا يعلمون ، وباليات الذي يظنون ذلك يعلمون ما يعلمه الاجانب من أحكام الخلافة وأحوال المسلمين فيها . اننا علمنا أن الانكليز قد استكتبوا في سنة ١٩١٤ كثيراً من علماء الاقطار الاسلامية هذه الاحكام والفوا لجنة أو لجاناً لدرسها وقد اطاعت مرة على نصوص فيها كتبها لهم بعض كبار علماء الازهر ولا أدري من طلب لهم ذلك

هذا واننا نطالب من يزعم ان ما كتبنا من الخطأ من الجهة الشرعية أو الجهة السياسية الدائرة على مصالحة العرب والمسلمين أن يبين لنا ذلك بإبطال أدلتنا وإقامة أدلة أخرى على صحة خلافة الرجل وعلى فائدها وكونها غير معارضة بمفسدة تقدم عليها فان فيمن يابعوه افراداً من أصدقائنا وغيرهم نجدهم ونحترمهم ، إما لعلمهم واخلاقهم ، وإما لوطنيتهم ، وليكننا نقول إنهم قد اخطأوا في مبايعة حسين كما أخطأ أمثالهم من علماء مصر في مبايعة عبد المجيد ، أو في القول بصحة خلافته ووجوب طاعته على أهل مصر وغيرهم ، ونحن مستعدون لمناظرة الفريقين ، في موضوع الفتوى التي بينا فيها بطلان البيعتين ، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)



قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضوى « ومارا » كمارا الطريفة

٣٠ رمضان ١٣٤٢ — ١٤ الثور ١٣٣٠ هـ ش — ٤ مايو ١٩٢٤

فتاوى المنار

الخلافة والخليفة الامام الحق في هذه الايام

(من ١٣ - ١٦) من صاحب الامضاء في حمص (سوربة)

حضرة الاستاذ الفاضل صاحب المنار الشيخ العلامة محمد رشيد رضا وفقه الله ، وأتمعه بنقواه

ان ثقتنا بدرجةكم العلمية العالية ، واعتقادنا باحاطتكم الكاملة لقواعد الشريعة المحمدية، دعيتنا ان نوجه لحضرتكم الاسئلة الآتية ، آملين الاجابة عليها بسرعة ، دون احتراز من ملامة ، أو اكتراث لغاية ، بل لانقاذ المسلمين من الضلالة، وازالة الفتن، وتنوير البصائر، وأجركم وحسابكم على الله :

١ — هل للخليفة عبد المجيد اليوم - في هذه الحالة - من بيعة له في أعناق المسلمين . أسباب بقائها أو زوالها مفصلاً ؟

٢ — هل تصح إمامة المسلمين الملك حسين - وهو والاسلام في هذه الحالة ؟ أسباب صحتها أو عدم صحتها مفصلاً ؟

٣ — من هم اليوم أهل الحل والعقد في جميع الاقطار الاسلامية المستقلة أو غيرها الذين في استطاعتهم نصرة وارشاد من أرادوا مبايعته ، والذين يعدون حائزي الشروط لان يكونوا « أولي الامر »

٤ — من هو الامام المسلمين (اذا لم تصح الخلافة لعبد المجيد والحسين)

١ « ص ٨٤٦ من الطبعة الثانية للمجلد الاول من المنار

(المنار : ج ٤) (٣٣) (المجلد الخامس والعشرون)

الذي يجب أن يعرفه كل مسلم — أينما يجتمع أهل الحل والعقد ، أو يعقد مؤتمر إسلامي لثبت في الخلافة — لئلا تموت الناس ميتة جاهلية .

محمد فوزي القواقجي

خلافة عبد المجيد التركي

١ — الجواب عن السؤال الاول هو أن عبد المجيد افندي المسؤول عنه لم تنمقد له خلافة فيسئل عن بقائها أو زوالها. ذلك بأنهم يبايعه أهل الحل والعقد من أهل بلاده بالخلافة الإسلامية التي هي الامارة العليا ورئاسة الحكومة في أمورها الدينية والدنيوية من سياسية وحرية وقضائية وإدارية ، بل أسسوا حكومة جمهورية جعلوا لها رئيسا آخر ، وجعلوا هذه الحكومة مدنية غير دينية ، أي ليست مقيدة بأحكام الشرع الإسلامي ، ولا مراسموا عبد المجيد افندي المشار اليه خليفة بعد إقراره إياهم على حكومتهم الجديدة ، وصرحوا بأنهم أرجؤا بيان معنى هذه الخلافة الجديدة التي ليس لها أدنى علاقة بحكومتهم ، وأذيع عنهم أنهم سيشاررون بعض كبراء الشعوب الإسلامية في ذلك لجعله خليفة للجميع بمعنى ديني أو روحاني جديد منهم أي كخلفاء مشايخ طرق المنصوفة ، وكان كثير من أهل الرأي يرون أن هذه التسمية مؤقتة لا مراما . ثم ظهر السر في ذلك وهو أنه لما تم لهم الأمر ورأوا أن جمهوريتهم قد توطدت أركانها ألغوا هذه الخلافة أيضا وطردها المسمى بالخليفة من بلادهم مع جميع أهل بيته والأسرة العثمانية بأسرها وإذا كان الذين انفردوا بالشوكة فصاروا بها أهل الحل والعقد في الترك لم يبايعوا عبد المجيد افندي بالخلافة الشرعية فهو لم يكن خليفة فيهم ، ولو بايعوه بها لرضوا أن يكون هو رئيس حكومتهم سواء سميت جمهورية أم لا ، وأن تكون حكومتهم مقيدة بنصوص الشرع القطعية المجمع عليها ، والأحكام الاجتهادية التي ثبتت عند الخليفة وأهل الشورى في حكومته دون غيرها من آراء المجتهدين ، ولما جاز أن يجعلوا حق التشريع فيها للمجلس الوطني بلا شرط ولا قيد كما نصوا عليه في قانونها الاساسي . على أن خلافته تكون فيهم خلافة تغاب ولا تكون هي الامامة الحقيقية التي تجب طاعة صاحبها بأنه خليفة الرسول (ص) والامام الحق لجميع المسلمين . إذ

بشروط في الامام الحق شروط أخرى أجمع عليها أهل السنة كالنسب القرشي الذي يماري فيه اليوم بعض الجاهلين، وبعض الذين يحكمون أهواء السياسة في الدين، وعبد المجيد افندي غير مستجمع لهذه الشروط كالقرشية والعلم الاجتهادي والعدالة الشرعية التي ينافيها رضاه بالحكومة اللادينية — وفيها ما خلافا لبعض الحنفية — وكذا عنايته بالتصوير والعزف على الآلات الوترية عند جمهور فقهاء المسلمين . على أنه من أفضل أسرته وغيرها سيرة وسريرة وتدينا ورغبة في خدمة المسلمين كما نقل اليها الثقات الذين عرفوه . دع كون أهل المال والعقد في الترك ليسوا أهل الحل والعقد في سائر الشعوب الاسلامية المستقلة كعرب الجزيرة وغيرهم ، ودع كون بيعتهم مسبوقة ببيعة غيرها أقرب الى الشرع منها كما تراه في الجواب عن السؤال الثاني

وأمابيعة من بايع عبد المجيد افندي من مسلمي مصر والهند وأفريقية فهي باطلة لا يثبت بها شيء لانهم ليسوا أهل الحل والعقد في بلادهم الذين يترتب على بيعتهم نفوذ أحكام من بايعوه فيها ، ولم تكن بيعتهم تابعة لبيعة أهل الحل والعقد في بلاده هو ولا في غيرها لتكون مؤكدة لها ، وانما تنعقد البيعة شرعا بمبايعة أهل الحل والعقد من أهل الاختيار الذين بينا شروطهم وما يعتبر فيهم في كتابنا (الخلافة أو الامامة العظمى) كما بينا فيه شروط الخليفة وما تنعقد به البيعة وما يجب بها على المبايع والمبايعين له

واعلم ان الحكم الشرعي في خلافة التغلب كالحلافة العثمانية السابقة ان الطاعة فيها للخليفة انما تجب على من هو متغلب عليهم بشوكتهم دون غيرهم من المسلمين ، وانما ذلك لدفع الفوضى فهو ضرورة تقدر بقدرها ، وانه اذا وجد في بلاد أخرى خلافة صحيحة ودعا الامام الحق فيها هذا الخليفة المتغلب وقومه لطاعته وجب عليهم ذلك ، فان أبوا وجب عليه قتالهم ان قدر ، ووجب على كل من دعاه الى ذلك من المسلمين أن يقاتلهم معه أي تحت لوائه

وقد صرح شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث الثاني من كتاب الاحكام من صحيح البخاري بأن الذين اتحلوا منصب الخلافة من غير

قريش بشوكة التغلب حكمهم حكم البغاة أي قطاع الطريق الذين يخرجون عن طاعة الامام الحق

خلافة حسين العربي المكي

وأما السؤال الثاني فصحته كما يفهم بالقرينة لضعف عبارته العربية : هل تصح إمامة الملك حسين المسلمين ؟ أو هل تصح توليتهم إياه اماماً عليهم ؟ وهو يريد بذلك مبايعة بعض أهل فلسطين وسورية والحجاز والعراق له والجواب عنه ان هذه المبايعة لا تجعله اماماً للمسلمين فهي بيعة غير صحيحة وبيان ذلك من وجوه

(الوجه الاول) أنه يوجد بجوار بلاده امام آخر قد ولي الامامة قبله بسنين كثيرة في اليمن وهو قرشي علوي مستجمع للشروط الشرعية التي يفقدها هو كالعالم والعدالة والشوكة كما يعلم مما يأتي . ومن المعلوم ان النبي (ص) أمر بقتل من يبايع بالخلافة مع وجود امام آخر بويع قبله والحديث في ذلك مشهور رواه مسلم في صحيحه فان قيل ان امام اليمن زبيدي غير سني - أجيب من قبل جماعته (اولاً) بأنه من أهل العلم الاجتهادي ولا يبايع علماء الزيدية انفسهم أحداً الا اذا ثبت عندهم اجتهاده

(وثانياً) بأن علماء السنة اشترطوا في الامام الاسلام ولم يشترطوا مذهبا معيناً ، بل اشترطوا الاجتهاد في الدين ينافي اشتراط المذهب ، وأما ما يسمونه البدع وخاصة ما كان منها محل النظر والاجتهاد كاختلاف المذاهب فلا يعدون مخالفة السنة فيه بالأول مانعاً من صحة الخلافة كما في شرح البخاري للحافظ ابن حجر واستدل على هذا بأن كبار أئمة السنة كالامام احمد لم يقولوا ببطلان خلافة المأمون والمعتصم اللذين حملا الناس على القول بخناق القرآن ، وربما بدل على ذلك أو يشير اليه حديث حذيفة في الخير الذي بخالطه الدخن وسبأني في جواب السؤال الرابع

(وثالثاً) ان حسين بن علي ليس من علماء أهل السنة المجتهدين ولا المقلدين لاحد مذاهبهم عملاً وحكماً كما يعلم مما يأتي ، وان كان قد نشأ في قوم يسمون

سنية وحنفية وشافعية فذلك لا يقتضي ان يكون ما نزلنا لمذهب الحنفية أو الامام الشافعي ، وسنبين هذا بالاجمال هنا ، وقد بيناه بالتفصيل مراراً آخرها الخطاب الذي توجه في شأنه الى العالم الاسلامي وينشر في المنار تباعاً ، ومما فيه أنه يحكم بين الناس في الحضر برأيه وهواه، وبين البدو بقانون أبي نبي الخالف لنصوص القرآن واجماع المسلمين

(فان قيل) ان امامة يحيى محصورة في بلاده ولم يعترف بها غير أهلها (فالجواب) ان امامة حسين محصورة كذلك بل درن ذلك ففي اليمن من أهل الحل والدقد ما ليس في الحجاز وهم أكثر عدداً ، وأشد بأساً وشوكة من أهل الحجاز (ومن أهل سورية وفلسطين ان فرضنا أن لا نعرفهم تأثيراً شرعياً) بدليل ان الدولة العثمانية قاتلتهم عدة قرون ولم تقدر على ازالة امامتهم . فيحيى يرجع على حسين من وجوه وحيثه عليه بمبايسته بالامامة قبله قائمة ، (وللكلام فيها بقية تأتي في جواب السؤال الرابع) . وهذا يعلم خطأ الذين بايعوا حسيناً بدعوى أن الخلافة التركية قد سقطت وأصبح منصب الخلافة معطلاً وأنه يجب التعجيل باقامة إمام المسلمين لئلا يصدق على من يتأخر عن ذلك حديث « من مات وليس في عنقه بيعة لام مات ميتة جاهلية » فقد غشوا الناس بهذا القول ، كما غشواهم بأنه لا يوجد أحد مستجمع لشروط الامام غير هذا الرجل ويعلم هذا بما يأتي :

(الوجه الثاني) إن الملك حسيناً فاقد للعلم الشرعي اجتهداً وتقليداً كما يعلم بالقطع من مكتوباته الرسمية وغير الرسمية قائماً مشتملة على الاغلاط اللغوية الفاحشة في المفردات والجل والاسلوب ، وفهم الكتاب والسنة وكتب أئمة العقائد والفقهاء يتوقف على اتقان اللغة العربية - ومشملة على تحريف فظيع للآيات والاحاديث ، وعلى تفسيرها بالرأي بل الهوى ، وعلى أحكام باطلة لا دليل عليها ، وأحاديث موضوعة لا أصل لها ، وقد أوردنا في مواضع متعددة من المنار بعض ذلك ، فاذا وجد من أدعياء العلم المتحيزين اليه من ينكر علينا ذلك فالتنا نجهمه في كتاب نطبعه على حديثه ونطالبهم بالرد عليه ان استطاعوا

(الوجه الثالث) أنه فاقد للعلم بالسياسة العامة وشؤون الدول والامم التي

صارت تتوقف في هذا الزمان على علم واسع، وهو مع ذلك ينفرد بمقدد الاتفاقات مع الدول فيقع فيما يضيغ به حقوق المسلمين ومصالحهم كما يعلم بالقطع من الاتفاق مع الانكليز على ما يسميه « مقررات النهضة » وفيها التصريح بجعل البلاد العربية وفي مقدمتها الحرمان الشرقيان تحت حماية دولة أجنبية غير مسلمة تجتهد في إزالة ملك الاسلام وشرعه من الارض . وقد نشرنا هذه المقررات مرارا و بينا مفسدها ، ومثلها المعاهدة الاخيرة المبنية على اساسها التي كان أعلن قبولها بادىء بد- في أول شوال من السنة الماضية - ١٣٤١ - ولكن كان من توفيق الله تعالى ان علم بكل مضمونها أهل فلسطين وغيرهم فانتقدوها وصرحوا برفض ما يتعلق بهم منها ، و بينا نحن وغيرنا سائر مفسدها ، فاضطر الملك حسين الى الامتناع من امضاها النهائي بعد ان أمضاها الامضاء المبدئي وأمر باتخاذ يوم اعلانها عيداً رسمياً للامة العربية . وقد أرسل قبل سفره الى شرق الاردن خطاباً الى الامة الانكليزية اعترف فيه بموالاته حكومتها - خلافاً لنص القرآن - وبأنه أضع بذلك استقلال من تبعه في ذلك من الامة العربية ونشر هذا الخطاب في الجرائد العربية واشتهر

(الوجه الرابع) فقدده للعدالة من شروط الخلافة والدلائل على ذلك كثيرة جداً من أهمها استبداده الذي لا يكابر فيه أحد يعرف حاله، وظلمه الذي نذكر منه منعه لشرفاء قومه الذين كانوا في الامانة وغيرهم من الرجوع الى بلدهم واستيلائه على أموالهم من أملاكهم وأوقافهم وعدم اعطائهم شيئاً منها ، وناهيك بما ذكرناه آنفاً من حكمه بما يخالف كتاب الله واجماع المسلمين . ومن أشهر أعماله الاستبدادية ضربه الضرائب على الحجاج ، وظلمه لاهل الحرمين الشريفين (ومنه) حرمانهم من مئات الآلاف من الدرام والقلال التي كانت ترسلها اليهم الحكومة المصرية في كل عام ، وقد رأينا ما دافع به عنه بعض المأجورين والمنافقين في العام الماضي ، وملخصه أنه ملك للحجاز ومالك له وله أن يمنع من دخوله ولولا داء فريضة الحج من شاء ويأذن لمن شاء (وقد صرح بهذا ولده الامير عبد الله ونشر في الجرائد) وان يشترط ما شاء على من شاء من الحجاج كنتم ركب الحج المصري من وضع أدويته وأدواته

الصحة في جدة ومكة وغير ذلك، مع أن المعلوم من الدين بالضرورة أنه ليس لاحد أن يشترط على مؤدي ركن من أركان الاسلام شروطا أو يضع عليه ضريبة ولو جاز هذا في أداء الحج لجاز في أداء الصلاة فاذا لا يجوز له أن يتحكم في حرية الحجاج بشيء الا اذا ارتكب أحد ذنبا يعاقب عليه الشرع، فله أن يحاكمه وينفذ ما يحكم به عليه بالعدل. وأما استصحاب الحجاج للأطباء والادوية والعقاقير واستخدامهم للمطوفين أو غيرهم من أهل البلاد في أعمال مشروعة بالتراضي — فليس له ان يمنع أحدا منها

(الوجهان الخامس والسادس) فقد للشركة والقوة المالية والجندية اللتين يتوقف عليهما حفظ البلاد وحماية الثغور والجهاد المشروع، وجعله البلاد تحت حماية الدولة البريطانية بنص مقررات النهضة، وقد رفع استقالته المرة بعد المرة الى الحكومة الانكليزية وطلب منها أن تولي غيره على الحجاز وتختار له ولاولاده مكانا يقيمون فيه، ونشر هذا في جريدته (القبلة) ونقلناه عنها في المنار صرارا، ولو لم يكن له الا هذه الخزية لكفت مانعا من جواز خلافته، فان المراد من الخلافة اعزاز الاسلام والمسلمين بالاستقلال والحرية الشرعية، لا جعلهم أذلة تحت سلطان دولة غير اسلامية

(الوجه السابع) إن الذين بايعوه لبسوا أهلا لان يبايعوا كما أنه هو ليس أهلا لان يبايع، اما حضر الحجاز منهم فهم تحت سيطرته وقهره فلبسوا أحرارا ولا مختارين، وليس لهم صفة أهل الحل والعقد كما يعلم مما بيناه مفصلا في كتاب (الخلافة — أو الامامة العظمى) وأما من بايعه من أهل سورية وفلسطين والعراق فهم تحت سيطرة دولتين أجنبيتين قويتين لا يملكون من أمرهم طاعة حاكم آخر وإنما المبايعة على السمع والطاعة في الجهاد وأموال الزكاة واقامة الحدود وغير ذلك من الاحكام، فلا الملك حسين يستطيع أن يقيم شيئا من هذه الاحكام في هذه البلاد ولا أهلها قادرون على اعطائه هذه الاستطاعة، ولا على طاعته اذا هو امر بشيء منها. والمبايعة في عقد الخلافة كالمبايعة في عقد البيعة بل هذا هو الاصل وذلك وما في معناه مأخوذ منه، قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين

أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة — الى ان قال — فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) ولا تتحقق المبايعة في هذا ولا ذاك الا اذا كان كل من المتبايعين اهلا للقيام بنصيبه من العقد — كأهلية الخليفة لاقامة احكام الله تعالى كما انزلها بما له من صفتي العلم والعدالة ، واهليته لتنفيذها بماله من القوة والشوكة — واهلية المتبايعين لقبول احكامه وطاعته فيها واعانتة عليها — ومثال ذلك في بيع الاعيان ملك البائع لما يبيعه وقدرته على تسليمه ، وقدرته المشتري على اداء الثمن — ومن المعلوم بالضرورة لكل من الملك حسين ومن بايعوه في شونة شرق الاردن كما بايع ساقهم في هذه البلاد مروان بن الحكم — ان كلا منهما عاجز عما توجبه عليه البيعة ، فمثلهما كمثل من قال لا خير بعتك هذا الطائر في الفضاء ، بهذا القمر الذي يلوح في السماء . فقال قيات

على انني اعلم ان اكثرهم لا يعرف معنى الخلافة ولا معنى المبايعة ولا ما توجبه عليهم وان من يعرف ذلك منهم لم يقصدوه بمبايعتهم حتى فيما يستطيعونه منه كان ينفروا الى قتال سلطان نجد او امام اليمن اذا استنفرهم خليفتهم ولم تمنعهم الدولة المسيطرة على بلادهم من القتال معه . والدليل على ذلك ان هذه البلاد كلها كانت قد بايعته من قبل وكان أهل سورية وفلسطين يظنون عقب احتلال ولده الامير فيصل للبلاد مع جيوش الحلفاء أنه تنفيذ لما كانوا يعدونهم به في زمن الحرب ، من أن الشريف يحارب لاستقلالهم وانه هو ملكهم فلماذا بايعوه ، وخطبوا باسمه في طول البلاد وعرضها ، ولما انعقد المؤتمر السوري لتقرير استقلال البلاد واعلانه لم يجعل له شيئا من الامر فيها لا بلقب الخليفة ولا غيره ، وقد استنجد ولده فيصل بملك سورية للحرب النجديين مرة فقررت وزارة هاشم بك الاتامي رفض الطلب . وانما سمعت بالتطوع لمن شاء من السوريين باختياره على نفقة الحجاز ولو كانوا بايعوا على علم وعزم لربطوا سورية بالحجاز في ذلك العهد ، ولكانوا أجدر بالنجاح يومئذ منهم اليوم .

ما بايع القوم أولا ولا ثانيا لهذا . وانما بايع بعضهم لهوى او منفعة شخصية ، وبعضهم لشكابة الدولة الاجنبية المسيطرة . ولا سيما الذين صدقوا قول دعاة

الرجل انه هو القادر وحده على انقاذهم من هذه السيطرة ، وبائع بعضهم لتصديق من قال له ان هذه المبايعة فرض عليه لا يترتب عليها غرم ولا تخلو من غنم ، وانه اذا امتنع منها ومات من ليلته مات ميتة جاهلية وكان من اهل النار ، وقد يوجد في هؤلاء العوام الخالصين من اذا دعي مثل هذه الدعوة الى القتال مع الخليفة استجاب على غير علم ولا هدى

وهناك اناس آخرون بايعوا لغرض سياسي عام او خاص : اما الخاص فهو غرض من ظن من اهل فلسطين ان تقوية رابطتهم بملك الحجاز بالخلافة يحمله على مساعدتهم ولو فيما يفضي الى الدولة البريطانية ، او بمنعه ان يعقد معاهدة معها يوافقها فيها على الحالة الحاضرة وهي حالة الانتداب المرتبط بوعده بلفور بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود الصهيونيين ، وقد كان رضي بالمعاهدة المشتملة على هذا واعلانها رسمياً بمكة في اول شوال من السنة الماضية ثم اضطر الى طلب تعديلها كما تقدم آنفاً واما الغرض العام فهو ما اراده اولو العصبية العربية من إعادة الخلافة الرسمية العمامة الى العرب وقد ظنوا ان الفرصة قد سنحت لهم بما فعل الترك . واكثر اهل البصيرة والمعرفة والاخلاص من هؤلاء يعلمون أن هذا الرجل ليس اهلاً للخلافة ولا لملك ، ولكنهم يقولون ان مركزه البارز في الحجاز جعله مرجعاً على غيره من العرب وهو شيخ كبير اذا لم ينتفع العرب بهذا المركز في حال حياته لما نعلم من صفاته ، فلا يمنع ذلك من انتفاعهم به بعد وفاته ، ومهما يطل اجله الشخصي فهو قصير في جانب اجل الامة ، وقد خاطبني بعضهم بهذا قولاً وكتابة . ولكن المبايعة لاجل العصبية باطلة ، والعصبية محرمة ، والاحاديث فيها معروفة في الصحاح والسنن ، وهي تضر العرب بتنفيذ الاعاجم منهم وهم في غنى عنها بجعل الشارع الامامة في قريش ، وما على قريش وغيرهم الا أن يرشحوا من أفضل رجالات قريش من تقوم الحجة على قدرتهم على النهوض بهذا الامر وأما إصاقه برجل بمقتله أكثر مسلمي الارض ، ويرمونه بأقبح الطعن كخيانة العرب والاسلام واضاعة ملكهم - كما اعترف به في خطابه الاخير للشعب البريطاني - فهو أكبر العقبات في سبيل إعادة هذا الحق الى أهله

حفظ هؤلاء السياسيون شيئا وغابت عنهم اشياء لا محل لبيانها هنا ، وانما نقول ان إعطاء لقب الخلافة لهذا الرجل سيكون اضر على الامة العربية عامة من إعطائه لقب ملك العرب ومن جعله زعيما للامة العربية من قبل بما يزيد هذه الامة تفرقا وعداوة وضعضعا في أنفسها ، وكراهة واحتقارا من جميع الشعوب الاسلامية الذين ارادوا ان يجعلوه إماما لها ، وخليفة مطاعا أو محترما عندها ، ومن ثم يزيد نفوذ الاجانب قوة فيها ، ردسائسهم توغلا في بلادها ، وهو قد بدأ يث السائس في شافعية اليمن العليا والسفلى لايقاع الفتن بينهم وبين الامام يحيى وابقاد نار الحرب ، إذ بانهم دعائه بأنه سيدنقذهم من سلطان هذا الامام الزيدي ، ويقيم لهم حكما شافعين من اهل مذهبهم يكونون تابعين له ومستمدين للسلطة منه ، وهذا يوافق ما صرح به لرئيس مؤتمر الجزيرة بمكة ونشر في جريدة القبلة في أوائل ربيع الآخر من هذه السنة - أعني أنه لا بد من اعطاء أهل هذه البلاد من اليمن ما يطلبون من شكل الحكومة الداخلية لتتأهية لملك العرب ا ا ا وان من اعجب العجائب واغرب القرائب ان يوجد رجل عربي يحب امته ويعمل لها باخلاص يزيد في غرور هذا الرجل وبجرائته على الماضي في سياسته العربية بعد ان صرح في جريدته القبلة تصر بحارسيا بأنها قائمة على أساس عداوته لجميع أمراء الجزيرة اصحاب القوة والبأس فيها ، مع العلم بأنه أضعف من كل واحد منهم ، وانه لا اتكال له ولا اعتماد في هذه العداوة الا على قوة الاجنبي الطامع في استئلال جميع العرب والسيطرة على جميع بلادهم ، وانه لا وسيلة لهذا الاجنبي الى غرضه الا هذا الشقاق الذي يعتمد فيه على هذا الملك وأولاده ، ولذلك جعل واحدا منهم مائكا في العراق ليقنع أهله بعقد مخالفة اليهودية والاسترقاق لأهله ، والتصرف في أرضه - ويطمع الآخرون أن يصيروا ملوكا في سورية وفلسطين واليمن ونجد تحت ظل هذا الاجنبي وحماية ، وهذا ما يبعونه من الوحدة العربية أمثل هذا يعطى لقب الخلافة ليتخذ آلة الدعاية المروجة لهذه السياسة ؟ أمثل هذا تتحد الامة العربية وتستعيد مجد الخلافة وتعيد بها مجد العرب ؟ ألا ان الامة العربية لم تصب بمصيبة اشد ضررا واعظم خطرا عليها من هذا الرجل

وأولاده ، وأنه لا أحد من أشياعهم أجدر باللوم على مبايعته وموالاته من اخواننا الفلسطينيين والسوريين الذين كنت أجل كثير من أذكياهم وأولي الخبرة والاطلاع منهم أن يظلوا منقادين بالدعاية الكاذبة الخاطئة الى هؤلاء الافراد ، بعد أن افترض أمرهم فعرقه كل حاضر وباد ، ولم أر أحدا منهم استطاع أن يدافع عنهم بكلمة حق ، وكان يجب على من يظنون منهم انه يمكن استصلاحهم والانتفاع منهم — وقد خاطبنا بعضهم بذلك قولا وكتابة — أن يحفظوا بمبايعة كبيرهم بالخلافة (التي هي منتهى أمانيه وأول ما خاطب به أوليائه الانكليز قبل الاتفاق معهم) ليمهدوا لها بنظام معقول وضمن يوثق به ، فماذا أبقوا بأيديهم ، بعد أن أعطوه حق الولاية الشرعية عليهم ، ان كانوا يعدون بيمينهم له صحيحة ؟ وسيثبت هو الدعاية بأنه لا معنى لها الا وجوب طاعته في كل مستطاع يأمر به بلا شرط ولا قيد ولا نظام ولا قانون ، إنا لله وإنا اليه راجعون (الوجه الثامن) حرصه على السلطة وتهالكه على لقب خليفة وملك حتى إنه اعتمد فيه على مولاة دولة غير مسلمة كما ثبت من المكاتبات الرسمية بينه وبينها التي انتهت بقبوله لحايتها كما أشرنا اليه في هذه الفتوى وفصلنا بالوثائق الرسمية في عدة أجزاء من المنار

وما كان بدعيه من التعفف وعدم الرغبة في الخلافة يوجد في قوله وأفعله ومنشوراته وأقواله المطبوعة في جريدته ما يناقضه أو يعارضه . وذلك شأنه في جميع أقواله وأعماله كالوحدة العربية وغيرها : صرح بأن الخلافة قد ماتت ، وصرح بأنه لا يقبل أن يبايع بها الا اذا أجمع المسلمون على اختياره لها ، وكان يسمى لها هو وأولاده قبل ذلك وفي أثباته ، ثم قبل المبايعة من بعض أهل فلسطين وشرقي الاردن وسورية المستعبدين الاجانب بشؤونهم ، وقد كان أهل هذه البلاد بايعوه في عهد وجود ولده فيصل في سورية ، وصرح أهل مكة في مبايعته بأنهم قد كانوا بايعوه من قبل وهم يبايعونه الآن تجديداً وتوكيداً . وقد نشرت هذا المعنى جريدته القبلة ، وأين الاجماع من المسلمين وما ثم شيء جديد وأما الدليل على أن طالب الولاية والحريص عليها لا يولى فأحاديث منها

قوله صلى الله عليه وسلم لرجلين طلبا منه ان يؤمرهما « انا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سألناه ولا أحدا حرص عليه » رواه الشيخان في الصحيحين واللفظ لمسلم ، وفي رواية للامام احمد « ان اخونكم عندنا من يطلبه » وقد ورد أنه (ص) لم يستعن بأحد من الرجلين حتى مات . وحكمة ذلك ومدركه أن حب الملك والرياسة هو أكبر أسباب الفتن التي سفكت فيها الدماء أنهارا ومزقت الامة شر ممزق وأفسدت عليها أمر دينها ودنياها وجعلتها أمما رشحها بمتعادية ، والله يقول : (ان هذه أمتكم أمة واحدة) وهي التي أخضعت أمثال هؤلاء الامراء للاجانب في الاجيال الاخيرة وكانوا أولياء وأنصارا لهم على سلب سيادة الاسلام عن بلادهم وغير بلادهم . وقد آن المسلمين أن يقيموا شرعهم باختيار أهل الحل والعقد لائمتهم بنظام تضمن فيه حريتهم وحرية الامة ، وتلتزم فيه أحكام الشرع وحكمه ، وان لم يمكن تنفيذه الا بعد زمن طويل ، وهذا أهم ما يطلب من المؤتمر الاسلامي المقترح .

٣ - أهل الحل والعقد

وأما الجواب عن السؤال الثالث وهو تعريف أهل الحل والعقد في هذا العصر الخ فنجيب عنه بما يتعلق بالمقام فنقول : إن من عرف المراد من كلمتي الحل والعقد في اللغة يعرف أهلها ، وكذلك كلمة الامر : الحل والعقد عبارة عن التصرف في الامور العامة . والامر هو الشأن والمراد به شأن الامة العام من سياستها وادارة مصالحها ونظام أحكامها ، ويؤخذ هذا من تعريف الكلمة بالالف واللام ، وهو المراد من قوله تعالى (وشاورهم في الامر) وقوله (وأمرهم شورى بينهم) وقوله (ولو ردة الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلم الذين يستنبطونه منهم) والضمير في قوله ردة يرجع الى أمر الامن والخوف وخاصة في حال الحرب ، فأولو الامر هم أصحاب الرأي والمكانة الذين نشق بهم الامة وتعمل على تدبيرهم وتبقيهم فيه . وكانوا موجودين مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان يستشيرهم في كل شيء ليس فيه وحى من الله تعالى ويعمل برأي من اتضح له صواب رأيه منهم ، كما عمل برأي الحباب بن المنذر في غزوة أحد لما راجعه في المكان الذي أمر (ص)

بنزولهم فيه - ويعمل برأي الأكثرين وان لم يره صوابا كما وقع في مسألة الخروج من المدينة في غزوة أحد وكان مخالفاً لرأيه ورأي بعض كبار الصحابة كأي بكر (رض) ولكن الاستشارة في أحد كانت للامة لا للزعماء المعبر عنهم بأولي الامر وأهل الحل والعقد فقط . والامة هي صاحبة الشأن والسلطة في أمرها العام بنص آية الشورى ولما كان من المتعذر أن يقوم جميع أفرادها أو أكثرهم بالامور العامة من حربية وسياسية وقضائية وإدارية كان المشروع المعقول أن ينوب عنها من يكونون محل ثقتها من الافراد الممتازين فيها بالعلم والتجارب والاستقامة فيكونوا هم أرباب الحل والعقد فيها الذين يختارون لها الرئيس (ال خليفة أو الامام) المنفذ لشريعته ويؤيدونه بالرأي والعمل فيكون منهم أهل الشورى والوزراء والقواد والقضاة وغيرهم . وقد بينا ذلك بالتفصيل في المبحث الثالث « من ينصب الامام ويعزله » والمبحث الرابع « سلطة الامة ومعنى الجماعة » والمبحث الخامس « شروط أهل الاختيار للخليفة » من كتابنا (الخلافة أو الامامة العظمى) ثم عقدنا المبحث التاسع عشر (وطبع ١٧ غلطاً) (لأهل الحل والعقد في هذا الزمان ، وما يجب عليهم في أمر الامة والامام) وقد صرحنا فيه بأن أهل الحل والعقد قلما يوجدون في غير الامم الحرة الا أفراداً يكون لهم هذا الوصف بالقوة لا بالفعل

والقول الفصل في النازلة التي هي موضوع الفتوى والشغل الشاغل لأكثر المسلمين اليوم هو أن أهل الحل والعقد بالفعل في العالم الاسلامي الآن هم رؤساء الحكومات الاسلامية المستقلة وأركان دولتهم وأصحاب الزعامة الذين يوجدون في بعضها دون بعض ، وتوجد الشروط الشرعية في بعضهم دون بعض ، وهم على ما هم اذا بايعوا رجلاً بالخلافة ، وعاهدوه على السمع والطاعة ، وكان مستجماً للشروط الشرعية المجمع عليها عند أهل السنة والجماعة ، صار هو الامام الحق الذي يجب طاعته على كل مسلم في الحق والمعروف ، وان لم يكن كذلك وجبت طاعته على البلاد التي بايعه أو لو الامر والحل والعقد فيها دون غيرهم .

في مصر الملك فؤاد ووزرائه وكبار العلماء وأعضاء مجلسي النواب والشيوخ

وفي الافغان الامير امان الله خان وأركان دراته ، وفي الترك أعضاء المجلس الوطني الكبير ، وفي جزيرة العرب أمراؤها وأئمتها المعروفون : امام اليمن وسلطان نجد وملك الحجاز وأمير تهامة ، ولدى كل من هؤلاء زعماء وعلماء اذا لم يوافقوه على البيعة لا تنفذ الاحكام في بلادهم فهم من أهل الحل والعقد فيها ، الا ملك الحجاز فهو المستبد المطلق الذي ليس لاحد من مدن بلاده معه أمر ولا رأي . وأما القبائل فأهل الحل والعقد فيهم شيوخهم واكثرهم غير خاضعين له

٤ — إمام المسلمين الذي يجب معرفته اليوم

وأما السؤال الرابع وهو تعيين الامام الذي يجب أن يعرفه كل مسلم موقفاً الخ فنقول في جوابه :

— أولاً — ان السؤال يشعر بأن السائل يعتقد أنه لا بد من وجود إمام المسلمين بالفعل في كل وقت يجب عليهم معرفته والاعتراف بإمامته وان لم يكن له فيهم أمر ولا نهى الى أن يقوموا بنصب الامام الحق باختيار المؤتمر الاسلامي العام الذي يجب اتباعه على جميع المسلمين . وفي هذا مباحث لا تتسع لسطها هذه الفتوى (منها) هل يجوز خلو الارض من إمام يقيم الحق والعدل في جماعة من المسلمين ؟ في الاحاديث الصحيحة أنه لا تزال طائفة من هذه الامة ظاهرين على الحق يقاتلون عليه لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله . والظاهر أنهم الامام وجماعته ، وقيل ان المعنى أعم مما ذكر . وحديث الصحيحين « لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان » وهذا لفظ مسلم — يدل على ذلك ان عد خبراً . والظاهر انه انشاء حكم أي يجب ذلك .

وفي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان (رض) قال : كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت : يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « نعم » قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال « نعم وفيه دخن » (١) قلت : وما دخنه ؟ قال « قوم يهدون بغير هدي

(١) الدخن بوزن جبل الغش والفساد واصله لون في الدابة غير لونها يشبه الدخان

تعرف منهم وتذكر» قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال « نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » قلت : يا رسول الله صفهم لنا قال « هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » قلت : يا رسول الله فما تأمرني ان أدركني ذلك ؟ قال « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » وهذا محل الشاهد ، واللفظ للبخاري في كتاب الفتن من صحيحه ، وهو يدل على جواز خلو الارض من الامام والجماعة ، الا أن يقال انه ذكر على سبيل الفرض والاحتمال العقلي

أما الشر الاول في هذا الحديث فهو الفتن التي نجمت في خلافة عثمان واشتدت في خلافة علي . وأما الخير الذي عده فهو الرجوع الى السنة والجماعة ونبذ البدع في خلافة عمر بن عبد العزيز ومن بعده من الامويين والعباسيين ما كان المسلمون على امام واحد . والدخن الذي في هذا العهد ما دخل على بعض الخلفاء من الفسق وعلى بعضهم البدع الاجتهادية ، فكان منهم ما يعرفه الشرع وما ينكره . وأما الدعاة على أبواب جهنم ، فهم الذين فرقوا الكلمة وتمعدوا صدع وحدة الامة والامامة بتعدد السلطة ، اتباعا لمصيبات المذاهب والاجناس ، فكان منهم القرامطة وغيرهم من الباطنية (الزنادقة) الذين يدعون الى الايمان بالائمة المعصومين ، ويؤولون النصوص القطعية حتى في أركان الاسلام وأصول الدين ، ومنهم المبتدعة فيما دون الكفر ، ووصفه (ص) إياهم بقوله « من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » قبل معناه من العرب ، وقيل من بني آدم ، ويؤيده جمع الالسنه ، وليس للعرب الا لسان واحد ، وهو صريح أو كالصريح في عصبية الاجناس اللغوية التي شنها الفرس وتبعهم فيها الترك وغيرهم

— وثانيا — مذهب أهل السنة والجماعة في الامامة أنها من أمور الاسلام العملية لا الاعتقادية فليس الواجب على كل مسلم في كل زمن أن يعتقد بوجود إمام وأن يعرفه بالعيان أو بالوصف والاسم حتى يخرج من الاثم لانه اعتقاد مطلوب لذاته . وإنما يجب على المسلمين في جماعتهم أن ينصبوا لهم إماما يكون رئيسا لاولي الامر وأهل الحل والعقد في إقامة أمور دينهم ونظام حكومتهم وحفظ بيضتهم .

فان تعدد الحكم في المسلمين ووجد الامام الحق والجماعة اولو الامر وجب على المسلم أن يعتزل سائر الفرق وحكوماتها ، ويلزم الامام والجماعة ولو بالهجرة اليهم . فان تعددوا وجب الوفاء الاول وقتل من يبايع بعده كما أمر النبي (ص) وقيدوه بما اذا لم يندفع الا بالقتل . وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كما هلك نبي خلفه نبي ، وانه لا نبي بعدي ، وستكون خلفاء فتكثر » قالوا فماتنا . رنا ؟ قال « فوا بيعة الاول فالاول » الحديث وان لم يوجد فيهم الامام الحق والجماعة الذين يقيمون الحق والعدل بشرع الله وجب على الفرد اعتزالهم جميعهم ان استطاع والا أطاع المتغلب على بلاده في غير معصية الله . وعلى مجموع الامة أن يسعوا لا يجاهدوا الا كانوا آمنين . والمطالب بذلك أهل الحل والعقد منهم ، فان فقدوا رجب على سواد الامة السعي لا يجادهم ، وبمحصل ذلك بوضع نظام كنظام الاحزاب والجمعيات في هذا العصر يخنارون بها زعماء من أمثل أهل العلم والرأي والاستقامة ويعضدونهم بشروط يحصل بها المقصود .

(وثالثا) اذا كان غرض السائل أن يعلم هل يوجد امام المسلمين في أي بقعة من بقاع الارض ، ليطمئن قلبه بأن الامة الاسلامية كلها غير آئمة كلها ، وان لم يعترف غير أهل بلاده بامامته — فقد علم أن في اليمن اماما ، وقد ذكرنا في كتاب الخلافة أن في نجد إماما حنبليا ، وفي تهامة إماما شافعيا ، وكل من الثلاثة مبايع قبل حسين الذي في مكة ، والكنه هو أبرع وأحذق منهم في بث الدعاية لنفسه ومقامه في مكة المكرمة يساعده على ذلك ، فهو يجتهد في تكثير أفراد مبايعيه من الحجاج وغيرهم وينشر ذلك في جريدته (القبلة) وربما يعبر فيها عن مبايعة فرد أو أفراد من عامة السوق في بلدة بمبايعة البلدة أو القطر التي هي فيه ، وهذا ضرب من ضروب اللذة والجاه وهو ما أنشأ جريدة القبلة الا لاجل إطراء نفسه فيها ووصفه بملك العرب ومنقذهم وامام المسلمين وخليفةتهم . . . وأكثر ما يندشرف فيها من ذلك فهو الذي يكتبه أو يأمر بكتابته ، فخلافته المسلمين كما كنه للعرب سيظلال حيث هما من الحجاز وجريدة القبلة الى أن يقوم العرب مع الرأي الاسلامي العام ، بما يجب عليهم لمهد الاسلام ، وبلد الله الحرام ، وعسى أن يكون قريبا

الانقلاب الديني السياسي

في الجمهورية التركية

(الدسائس الاوربية، في الدولة العثمانية، تأثير التعليم الاوربي والمدارس في حل المسألة الشرقية . طلاب الاصلاح للدولة مقلدون . مدحت باشا وعصيته ، جمعية الاتحاد والترقي ، الكاليون . إلغاء الخلافة العثمانية وطرد الخليفة الوهمي وعشيرته من البلاد التركية واستصفاء اموالهم . إلغاء نظارة الامور الشرعية ، إلغاء وزارة الاوقاف ، إلغاء المدارس الدينية . جعل التعليم بجميع انواعه لنظارة المعارف التركية .
عنه المسلمين واضطرابهم)

(تمهيد ومقدمات)

ما زالت الدسائس الاوربية تتغلغل في مدارس الدولة العثمانية فتفسد الافكار الدينية التي خولت هذه الدولة انتحال مقام الخلافة الاسلامية ، وتفسد المقومات الاجتماعية وتقطع الروابط السياسية التي كانت بها هذه الدولة سلطنة (امبراطورية) اسلامية عظيمة يخضع لها كثير من الشعوب المختلفة في الانساب واللغات والاديان والاقاليم — ما زالت كذلك حتى صارت مصداقا لقول بعض عقلاء الاوربيين : ان المدارس الثانوية قد عملت في حل المسألة الشرقية ما عجز عن مثله جميع سفراء الدول في الآستانة .

بدأ ساسة أوربية وأساتذتها ينفثون سم العصبيتين الدينية والجنسية في الشعوب الاوربية المسيحية العثمانية كاليونان والصرب والرومان والبلغار حتى نهضوا بهما الى طلب استقلال بلادهم وساعدتهم الدول الاوربية على ذلك حتى نالوه ، ثم طفقوا ينفثون هذا السم في أرواح سائر الشعوب العثمانية عامة ، وعصبة الجنس واللغة في شعب الترك خاصة ، حتى صار المتعلمون من هؤلاء أشد كراهة للسلطنة العثمانية من الروم والارمن فيها ، فعنفق بعض هؤلاء الترك الذين لقبوا أنفسهم (المنار : ج ٤) (٣٥) (المجلد الخامس ، والعشرون)

بالأحرار يسعون لاسقاط هذه الدولة العظيمة لينبوا من أنقاضها دولة تركية محضة يكرهون جميع أهلها على قبول الجنسية التركية وما تعذر تريكة منها يحملون بلادها مستعمرة للترك، ولم يكتفوا ببقاء السلطنة كلها والرضا بما لهم من الامتياز فيها بكون لغتهم هي الرسمية لها وشعبهم هو الشعب الممتاز فيهما بلغته وبمحصر الملك والخلافة في بيت من بيوته وبجعل العاصمة في بلاده

فتن المتفرنجون من الترك بتقليد الاوربيين في نظم حكوماتهم وقوانينها وفي أزيائهم وعاداتهم في مجامعهم وأكلهم وشربهم ولبسهم وفجروا على ذلك جيلا بعد جيل وهم يزدادون ضعفا وفقرا كلما أوغلوا فيه، لان التقليد الاعى لا يأتي بخير وإنما ترتقى الامم بالعلم الاستقلالي مع البصيرة والروية في وضع كل شيء في موضعه بقدر الحاجة اليه مع مراعاة استعداد الامة ومقوماتها، واتقاء ضرر التحول والاقلا ب فيها . ومن غريب هذا التقليد أن أنفع ما أخذته الدولة عن أوربة به وهو النظام العسكري ظلت عالة على الاوربيين فيه الى هذا اليوم فلم تكن مستقلة دونهم بعلم ولا عمل ولا صناعة مما يتعلق به

وكانوا كلما فشلوا وخابوا في تجربة من تجارب التفرنج يحسبون أن سبب ذلك من رسوخ الاستبداد في سلاطينهم، المؤيد بتقديس منصب الخلافة لهم بمقتضى تعاليم دينهم ، لا من جهلهم هم في أخذ النافع وترك الضار ، وضلالهم في ظنهم أن الاسلام يؤيد الاستبداد ، فجزموا بأن التفرنج المطلوب لهم لا يتم الا بترك التقيد بالاسلام في حكومتهم، وأن الاسرة السلطانية العثمانية قد رسخت في الاسلام وما فيه من رياسة الخلافة حتى صار يتعذر سلبها منه والاستعانة بأفرادها على سلب سائر الشعب التركي منه - فقرروا اسقاط الدولة ، والقضاء على هذه الاسرة يقول الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وهذه قاعدة اجتماعية لا يختلف فيها عاقلان ، ومن فروعها ما أفاده قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وهي قاعدة أخرى ولكنها أخص من الاولى التي تشمل النعم والنقم ، والرغائب والمصائب . وهما يطردان في الامم دون الافراد ، فقد تمس الفرد نعمة أو تصيبه مصيبة بغير سعي منه ولا كسب

لسبب هذه أو تلك، بأن يرث مالا من قريب، أو يقع عليه ظلم من معتد أثيم. وأما الأمم فلا تتغير أحوالها من خير أو شر إلا بعمل منها ناشيء عن تغير ما في نفس السواد الأعظم من أفرادها من العقائد والافكار والملكات والوجدانات التي هي مصادر أفعالها سواء كان هذا التغير بالاستقلال أو باتباع الدهماء للزعماء والكبراء من رؤساء الدنيا والدين .

وقد كان الذين شعروا بحاجة الدولة العثمانية الى الاصلاح في القرن (الثالث عشر الهجري) المماضي يجهلون أولا هذه القاعدة الاجتماعية فلم يبحثوا عن علل الضعف وأسباب الفساد كالجهل والخلل والرشوة، وعن علاجها اللاتق بها في أنفس الأمة أولا وبالذات وفي نظام الدولة ثانياً وبالتبع لحال الأمة، بل حصروا وجهة نظرهم في مظاهر قوة الافرنج الحادثة بعد ضعف، وفي اعراض ضعف دولتهم الطاريء بعد قوة، فاستنبطوا من هذا النظر في المظاهر والاعراض أن الدولة تتوى وتعتز بتقايد الافرنج في قوانين حكوماتهم ونظمها ومظاهر حياتها، ولكن لم يراعوا ما في ذلك من الموافقة لمقوماتها ومشخصاتهم من عقائد وتقاليد وآداب وأخلاق وعادات موروثة ومكتسبة بالهرمية والتعالم، ولم يفتنوا لما بينهم وبين الافرنج من الاختلاف والفروق في ذلك، ولا تأملوا في الاطوار التي تتقل فيها الافرنج من حال الى حال، ولا قدروا ما يحيط بدولتهم من الامور السياسية وغيرها، وكذلك شأن المقلد، وناهيك بمقلد يسترشد برأي أعدائه من حيث لا يدري

وكان من معلولات هذا الجهل أن كل مانع يعرض لهؤلاء المتصدين للاصلاح يظنون أنه من أسباب الفساد ويحاولون ازالته وإن كان من مقومات الأمة التي لم تكن هي إياها إلا به — فكان مثاهم كمثل من رأى حلة على امرأة مبهمة القوام فاشترى مثلها لامرأته الضخمة فلما تعذر عليها لبسها رأى أن لا سعادة له ولها الا بتريق بدننها باذابة لحمه وشحمه ليتمكنها لبسها، فإن لم يمكن وجب إلقاء الحلة عليها وإن لم تلبسها لبسا .

هذا مثل من كان مخلصاً في محاربة اصلاح هذه الدولة من رجالها لما له فيها من عرق راسخ أو دين ثابت، وكأي من متصد لذلك وهو يبني الافساد،

لانه دخيل فيها وهو من أعدائها الذين تربوا في مدارسها التقليدية . وكم نخرج في هذه المدارس من عدو للدولة دسه فيها قومه الاعداء ثم تعاهدوه وسعوا الى ترقيته في المناصب الملكية والعسكرية بالرشوة والشفاعات حتي صار من كبار رجالها الذين يسعون في خرابها بما في أيديهم من أزمة أمورها

مدحت باشا والانكليز

كان مدحت باشا من هؤلاء الخالصين المقلدين المحدثين . قال حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني فيه وفي رجاله من مقال له عنوانه (الشرق والشرقيون) ضرب فيه الامثال بجهل حكومات الهند وايران والافغان وبخاري والقوقاس والعثمانيين والمصريين الذي كان سبباً لضرب الافرنج المستعمرين بعضهم ببعض للاستيلاء على ممالكهم — ما نصه :

« وان مدحت باشا وأعووانه لو نظروا بعين بصيرتهم الى أركان سلطنتهم المتداعية الى السقوط ، وشعروا بهداية عقولهم ان دعائم حكومتهم كادت تنهد بما ألم بها من المصائب ، وعلموا بتدبرهم ان البلايا تترصد لهم من جوانبهم — لما تقحموا غروراً وضلالة في خلع السلطان عبد العزيز وقتله وقتما تتقرب الاعداء سقطاتهم ، وتفتنهم هفواتهم ، ولكنهم اعتمداً على واهي آرائهم ، واغتراراً بدسائس الحكومة الانكليزية قد جلبوا الهلاك على أممتهم ويظنون أنهم هم المصلحون »

وقد كان من رأي مدحت باشا يومئذ الفصل بين الدولة والخلافة وكلم الشريف عبد المطلب في جعله خليفة في مكة تأييداً للدولة في السياسة الخارجية ومحياً بقوتها فأبى واحتج بأن مصلحة الدولة والعرب تأبى ذلك ، ولما طفق بشرح رأيه قال له مدحت باشا : شريف افندي ! نحن جئنا بك لنعرض عليك أمراً لا انطلب رأيك فيه ، واذا أبيت ، فنفضل بالرجوع من حيث أتيت

وكان الشريف عبد المطلب أعقل شرفاء مكة ، ولم ينل أحد منهم مثل

منزلاته عند رجال الدولة ، وهو لم يكشف الساطان بهذه المسألة ، ولكن السلطان عبد الحميد كان منذ نزل بعمره عبد العزيز ثم بأخيه مراد ما نزل يذكي العيون ويصطنع الجواسيس لاخباره بما يدبر رجال الدولة ، وصار أقدر الناس وأحذقهم في ذلك بعد توليه أمر السلطنة ، فعلم ان « الجون ترك » يكيدون له ولا سرته كاهافاج في مطاردتهم ، فكان له من مكابدتهم في الداخل ، ومكايدة الدول من الخارج ، ما صرفه عن اصلاح الدولة ، واضطره الى الاسراف واتباع الوسوس التي يشيرها في خياله مرتزقة الجواسيس وصنائع الاعداء منهم ، حتى صار كل مخلص للدولة من أهلهما يتحنى زواله ، ويعتقد أن جميع أنصاره في بلاد الدولة منافقون أو مأجورون ، وجميع أنصاره في الاقطار الاخرى جاهلون ، أو مغلوبون على أمرهم بين آلام من استغلال الاجنبي لهم ، وآمال في الدولة الاسلامية المستقلة يكرهون أن ينقصها البحث في عيوبها عليهم

مقاصد الانكليز من الترك والعرب والاسلام

وكان عطف الدولة البريطانية على « الجون ترك » ومساعدتها لهم من دلائل استخدامهم اياهم في سياستها من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون ، ولكن سياستها العثمانية كانت موضع الخلاف ومشار الشبهات ، فكان بعض رجال الدولة يرون هذه الدولة صديقة لدولتهم بما كانت تعارض روسيا في محاولة فتح القسطنطينية والاستيلاء على زقاق البوسفور والدرديل ، وبما كانت تقاوم محمد علي باشا الكبير واحفاده في تأسيس مملكة عربية جديدة في مصر ، ثم تبين ان هذه السياسة كانت مبنية على القواعد الآتية

(١) يجب أن تكون الدولة العثمانية في الارض كأهل جهنم : لا تموت فيها ولا تنحيا - لا تموت لئلا تحل الروسية محلها من الآستانة ، فهو على حد المثل « لاحبا في علي ولكن بغضا في معاوية » ولا تنحيا لئلا يمتاز بها المسلمون فيحول ذلك دون مطامعها في استعباد من بقي منهم ، وتتعلق آمال مسلمي الهند بالتمرد من رقهم . وقد هدمت هذه القاعدة بالاتفاق البريطاني الروسي على التوازن في الشرق والبدء باقتسام ايران بجعلها منطقتي نفوذ لهما ، ثم بالاتفاق معها ومع فرنسا سنة ١٩١٢

على تقسيم الدولة بينهم

(٢) التوسل باظهارها المساعدة لهذه الدولة الى اصطناع كثير من رجالها والاستعانة باللاحدة منهم على افساد أمر الخلافة عليها، وبالمتدينين على جعل الخليفة عضدا لها، قبل قضاء الملاحدة عليها. وقد ثبت عندنا ان ساسة الانكليز قالوا : ان قوة الاسلام في الشرق لا يمكن القضاء عليها الا بتولي ملاحدة الترك لأمور دولتهم، وانها لما كانت تعطف عليهم في كل زمان ومكان، حتى إنها لم تقطع آمالها منهم بتحيز من تحيز من زعمائهم الى الالمان، ولكنها بعد الحرب طمعت تصطنع بعض الرجال المتدينين لان زعماء المتفرنجين صاروا مع أعدائها عليها.

(٣) التوسل بسيادة هذه الدولة على مصر والحجاز وسائر البلاد العربية الى احباط كل سعي لتأسيس دولة عربية جديدة في مصر أو غيرها

(٤) انتهاز الفرص من وراء كل ما ذكر الى الاستيلاء على مصر والعراق فجزيرة العرب، وقد تم لها جل ما كانت تنويه وتقصد قصده حتى القضاء على خلافة الترك فقد تعددت الروايات بانهم هم الذين أقنعوا الكماليين بالاقدام على الغايتها نقف عند هذا الحد من التمهيد للانقلاب ونعود الى بيان جهل الذين تصدوا لاصلاح الدولة وما فعلوه فنقول :

الطور الاستقلالي للانقلاب التركي

ما زالت الحال في متفرنجية الترك على ما ذكرنا من التقليد الصوري حتى نبئت فيهم نابتة تلقوا عن أساتذتهم من الافرنج ما جهلوه من قبلهم، وهوان تغيير حال الدولة، لا يتم ولا يثبت الا بتغيير حال الامة، وان الواجب عليهم أن يجعلوا هذه الدولة تركية محضة لا بلغتها فقط، فان كون لغة الدولة العثمانية هي التركية لم يجعلها تركية محضة، بل هي بعد بضعة قرون من تكونيتها مشتركة بين الترك والعرب والكرد والالبان والروم والارمن والجركس وغيرهم، وقد جعل لهم الدستور من الحقوق فيها ما لم يكن لهم. وانما تكون الدولة تركية محضة اذا كانت أمتها تركية محضة، وانما تكون كذلك اذا كانت سائر مقوماتها تركية، وهي التشريع والتهديب والتقاليد التاريخية، وهذه المقومات في الدولة العثمانية عربية محضة لانها مستمدة

من الدين الاسلامي - فتوجهت وجوه هذه النابتة التي تكوّن من أمة تركية جديدة لا تستمد تشريعها ولا تهذيبها ولا تارة ايدها من الاسلام، ولكن لا بأس عندها باستمداده من الافرنج، وطفقت تبث الدعاية لذلك في مدارس الدولة وأكثر طلابها من الترك، وفي الجيش أيضا. وألفوا في ذلك الكتب، ونظموا القصائد والناشيد وكانوا في عهد السلطان عبد الحميد يتحامون الدعوة الصريحة الى ترك الاسلام والطعن فيه، الا فيما بنشرونه في أوربة وغيرها من البلاد، حتى اذا زالت دولته، وورثت جمعية الاتحاد والترقي نفوذها، ظهرت الدعاية الصريحة ودخل الانقلاب في طور عملي عاجل

جمعية الاتحاد والترقي

لما ظهر السلطان عبد الحميد بمدحت باشا وكبار حزبه وداس دستوره واستبد بجميع أمور الدولة وتفرق طلاب الانقلاب في بلاد أوربة وغيرها انحصروهم في اسقاطه واعادة القانون الاساسي، ولما أدبيل لهم منه باعادة الدستور وانتخب النواب لمجلس المبعوثين ورأوا كثرة نواب الغرب وغيرهم فيه ورأوا من معارضتهم فيه ما أثبت لهم ان الدولة ليست تركية محضة، وان جعل المجلس آلة في أيديهم لتصرف فيها كما يشاؤون ليس الخطاب السهل - لما رأوا ذلك عزموا على تنفيذ مقاصدهم بقوة الجيش التي قضوا بها على سلطة عبد الحميد الراسخة، وكان من أحرم ما هو معروف وقد شرحنا ما يتعلق منه بالاسلام في مجلدات المنار السابقة

ألفوا الجمعيات واللجان فنشرت الكتب الطاعنة في الاسلام الداعية الى استبدال الرابطة التورانية بالاسلامية، ولكنهم كانوا يخافون عاقبة تنفيذ مقاصدهم حتى اذا تهوؤوا في الحرب الاوربية الكبرى مع ائتلف الجرماني-ولاحت لهم مخايل النصر في أوائل العهد بالحرب شرعوا في التنفيذ، أعني انهم شرعوا في إذابة بدن هذه العجوز العفصاج الشرقية، ايلبسوها ثوب تلك المذهب الغربية. كانت عاقبة إصلاح مدحت باشا ورجاله فقد الدولة لبعض من ممالكها، وتأليف دول منها في أوربة يهددون بمساعدة بعض الدول الكبرى حياتها

وكانت عاقبة إصلاح جمعية الاتحاد والترقي فقد الدولة اسائر ممالكها في أوربة وأفريقية وآسية، بل الى سقوط هذه السلطنة (الامبراطورية) العظيمة وزوالها، وكاد الشعب التركي ان يفقد كل سلطة في عقر داره من الاناضول والآستانة وما جاورها من بقية الروملي وهو القطعة المعروفة بترقية الشرقية، ولكن الله سلم قضت الاقدار الربانية بوقوع الشقاق والتنازع بين دول الحلفاء الذين مزقوا هذه الدولة (بمعاهدة سيفر) شرمزق حتى صار بعضهم يساعد الترك على اليونان الذين توغلوا في بلاد الاناضول وجاسوا خلالها مخربين مدمرين محرقين هاتكين الاعراض، تجاه مساعدة الآخرين لليونان، — وبما سخر الله دولة الروس الباشفية لمساعدة الترك أيضا — وبما ارتفع من الصباح في وجه الدولة البريطانية المتصدية للاجهاز على الدولة من صباح مسلمي الهند وهندوسها وتهديدها بالخروج عليها — هذه الاقدار وغيرها مكنت الترك المستبسين، من النصر على اليونان المهوكين، تم من عقد صالح شريف مع دول الاحلاف

تقرر في معاهدة الصلح بلوزان استقلال ما بقي للترك مما أشرنا اليه، وإلغاء الامتيازات الاجنبية منه، وكان على رأس هؤلاء الغزاة من الترك قائد باسل حازم اسمه مصطفى كمال باشا ألف عصبة من الضباط الموافقين له في الرأي ومن غيرهم من كبراء المجلس الوطني الذي تولى إدارة البلاد في اثناء الحرب الدفاعية فأطلق على هؤلاء اسم «الكاليين»

الكاليون

الكاليون هم الاتحاديون لافرق بينهما في المقصد ولا في الوسائل وإنما كانوا ينسبون الى معنى فصاروا ينسبون الى جثة أو شخص، وهذه النسبة تنافي ما يتبجحون به من القضاء على نفوذ الاشخاص وسلطانهم واحلال سلطة الامة محلها، فما تغير شيء الا التسمية التي صارت مسموعة عند الامة بما جنته الجمعية عليها — والا رؤساء الزعماء، واما العاملون بنفوذ الرؤساء في الانقلاب الديني والاجتماعي فهم هم، وكون كل عمل يعملونه في الحكومة والامة بالاعتماد على قوة الجيش فهو هو. وحل اسم حزب الشعب محل اسم جمعية الاتحاد والترقي، واسم

مصطفى كمال باشا وعصمت باشا وغيرها محل اسم طلعت باشا وجمال باشا والدكتور ناظم وغيرهم .

بل اقول قد كنا نظن ان الكمالين ربما يكونون اقل من الاتحاديين جرأة على التغيير والتبديل المراد بهذا الشعب الذي اتى من طاعته العمياء رؤسائه، لما كان للاتحاديين من سوء الخاتمة ، فاذا هم شدد منهم جرأة ، وسبب الجرأة في الفريقين واحدة وهي القبض على أعنة الساطة بالقوة العسكرية ، وقد تم هذا للاتحاديين في عهد الحرب وهو آخر العهد بهم ، ولكن الكمالين نالوه في أول العهد بسلطتهم ولا نعلم متى يكون آخرها

سهل عليهم اسقاط نفوذ السلطان محمد وحيد الدين عقب تحرير البلاد بالانتصار على اليونان ، لانه كان مقاوما لهم باجتهد منه اخطأ فيه واحبطه عليه ظفرهم وخذلانه ، كما أشرنا اليه في تعليقا على الوثائق الرسمية لهذه المقاومة وتمثلنا بقول الشاعر .

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولا تم المخطيء الهبل
وكانوا كلما ازدادوا تمكنا من السلطة ينفذون من برنامجهم شيئا — أعني برنامج غلاة المتفرنجين الذي اشرنا اليه في صدر هذا المقال — بعد تمهيد قليل ، وإلباس الباطل ثوبا يشبه الحق بضرب من التأويل ، فكانوا يرون ان الشعب التركي يرضى ويستكين في الداخل ، والعالم الاسلامي يهمل وبكبر من الخارج ، فجروا في الميدان الى آخر الشوط أو الى مقربة منه . فان وراء إبطال تعاليم الدين بلغته ترجمة القرآن المجيد وإلزام الترك بالتعبد بالقرآن التركي الذي ينشئه بعض رجالهم ، وترك القرآن العربي المنزل من عند الله تعالى على خاتم رسله محمد النبي العربي بلسان عربي مبين . وما يتبع ذلك من الكفر والضلال .

كانت الخطوة الاولى لالغاء الخلافة أن وضعوا قانون الدولة الاساسي في أول سنة ١٣٢١ الميلادية وصرحوا في المادة الاولى منه بأن « السيادة للشعب ، بلا قيد ولا شرط » وفي المادة الثانية باجتماع القوة التنفيذية والقوة
(المنار : ج ٤) (٣٦) (المجلد الخامس والعشرون)

التشريعية في الجمعية الوطنية الكبرى « فلم يبحث معهم أحد : ألا يجب أن تكون السيادة والسلطة التشريعية مقيدتين بالشريعة الإسلامية التي يدين بها الشعب صاحب السلطة ربه ، ويمتد أنها مناط سعادة الدنيا والآخرة ؟

أولا يجب أن يكون بعض أعضاء الجمعية — على الأقل — عارفين بأصول هذه الشريعة وفروعها بملقبها عن أهلها فيشترط ذلك في قانونها ؟ ؟

ربما يكون الناس قد استغنوا عن هذا السؤال بما في المادة السابعة من أن تنفيذ الأحكام التشريعية خاص بالجمعية الوطنية كسائر القوانين وتعديلها ، ومن أن الأحكام الفقهية والحقوقية الواقعة لمعاملات الناس وحاجيات الزمان والمكان والآداب تتخذ أساسا لوضع القوانين والظلم . . . وإن كان هذا يحتاج إلى البحث فيه كالذي سبقه . ولكن هذه السلطة المطلقة للجمعية تقتضي إلغاء الخلافة وإن لم تذكر في ذلك القانون البنية فلم لم يسأل عنها أحد ؟

و كانت الخطوة الثانية أنهم قبل مضي سنتين على وضع هذا القانون وضعوا قرارا في الجمعية الوطنية ونشره في أول نوفمبر سنة ١٩٢٣ من التاريخ الميلادي صرحوا فيه بتأييد ذلك القانون وبأنه قد ترتب عليه أن الشعب التركي يعتبر أن الحكومة التي في الأستانة المستندة على السيادة الشخصية قدرات وانتقلت إلى التاريخ انتقالا ابديا من يوم ٦ مارس سنة ١٩٢٠ — وأن الخلافة في آل عثمان فتتخذ الجمعية الوطنية لها من آل هذا البيت ارشدهم وأصلحهم علما وأخلاقا . والدولة التركية سناد مقام الخلافة .

وقد تلقى جماهير المسلمة في البلاد التركية وغيرها هذا العمل بالقبول ولم ينتقده إلا أفراد منهم كما بيناه في المنار (ج ١٠ م ٢٣) بل زعم بعضهم أنه إحياء للخلافة الراشدين ، وتجديد لمجد الدين (!!) حتى فسره أعلم الناس بمعناه من أساطين السكاليين ، إذ كان واقترح الأول له مع جماعة من أصحابه في الجمعية الوطنية وهو الدكتور رضا نور . ثلث فانه بعد أيام من وضع القرار أمر بالآستانة في طريقة إلى لوزان إذ كان منصرفا مع بعض من أعضاء مؤتمر الصلح ، فسأله أحد محرري المصحف أسئلت في الموضوع أجاب ، في جوابه ، وما قاله :

« من الخنائق الثابتة أن الامة التركية لا تعيش

في داخل دائرة امتزج فيها الدين بالدنيا »

ثم صرحت الحكومة بفصل الدولة من الدين ، وجعل الحكومة بمعزل من الخلافة ، وسموا عبد المجيد أفندي بن السلطان عبد العزيز خليفة ثم أقاموا له حفلة سموها حفلة المبايعة بأن مرّ أمامه الكبراء والوجهاء والعلماء مسلمين ، وذهب الى صلاة الجمعة باحتفال جميل ، ولكن لم يقل له أحد : يايمتك على السمع والطاعة ، ولا على السنة والجماعة ، اذ لا أمر له فيطاع ، بل قرروا التصريح بجعل حكومتهم جمهورية وبفصل الخلافة منها ، فهنا خليفة رئيسها مصطفى كمال باشا بها ، مقرا له عليها ، داعيا لهم بالتوفيق فيها ، ولم يسم خليفة الا بعد اقراره ورضاه بأبطال مسمى الخلافة وتخليته بلفظها ، وماذا فعل غيره من المسلمين ؟

ضجت أكثر البلاد الاسلامية لهذه المبايعة : التهابل والتكبير ، والفرح والسرور ، ونجاوت أسلاك البرق من أقطار العالم الاسلامي بثبثة (الغازي مصطفى كمال باشا بطل الاسلام) بأحيائه لسنة الخلفاء الراشدين في إقامة كل من الدولة والخلافة على أساس الشوري ، وبالمبايعة لعبد المجيد أفندي بالخلافة الكبرى والامامة العظمى ، وتلقيه بأمر المؤمنين ، وخليفة رسول رب العالمين ، وبالسلطان الاعظم ، وبحمامي الحرمين الشريفين . وكان أسرع الناس الى هذه التهاني . وأشدها مبالغة فيها مسلمو الهند وفي مقدمتهم أعضاء جمعية الخلافة ، وجمعية العلماء ، ومسلمو مصر وجمهوريات الرأية فيها كالعلماء وأساتيد المدارس والمحامين الشرعيين والقانونيين وفي مقدمتهم علماء الدين في الأزهر والمعاهد الملحقة به في الاسكندرية وطنطا وأسيوط وغيرها ، اللهم ماعدا الرؤساء الرسميين كشيخ الجامع الأزهر رئيس هذه المعاهد كلها ومفتي الديار المصرية ومن تبعهم . وربما كان في الساكتين من كان سبب سكوتهم العلم بإعلان هذه المبايعة وكونها من العبث والاستهزاء بالاسلام وأهله ، ولكن لم نسمع لاحد منهم صوتا بذلك ، وقد كلمت شيخ الأزهر في الامر وسأله السعي لمنع العلماء من هذه المبايعة

الباطلة فلم يجب ، وأردت مخاطبة الملك بذلك وبسوء عاقبته فلم يسمح لي
رئيس الامناء بذلك

نعم كتب في بعض الجرائد شي من الانكار على ذلك ، بعضه بقلمنا أو
بإعاز منا ، وهو غير ما كتبنا في المنار ثم في جريدة الاهرام بامضاتنا ، وبعضه
بامضاء مستعار وأقله بامضاء صريح

كان الكتاب الذين خاضوا في المسألة أزواجا أربعة

(١) الذين يقولون ان هذه البيعة صحيحة شرعا ، وان اشتراط الحكومة
التركية على الخليفة أن لا يكون له في الدولة أمر ولا نهى فاسد ، ويجب على تلك
الحكومة طاعته ، سمعت هذا القول من بعض الازهرين وقيل لي : ان الذين
بايعوه يرون ذلك ولا جله بايعوا .

(٢) الذين يقولون ان البيعة صحيحة وان الخليفة لا يجب أن يكون صاحب
نفوذ ولا أمر ولا نهى بدليل ما فعله سلف هؤلاء الترك الذين غلبوا الدولة العباسية
على أمرها ، بقوة الجند الذي اعتر به بعض خلفائها ، فسلبوا منها السلطة والنفوذ ،
وكانوا يكرهون الخليفة على ما يطالبونه ، واذا غضبوا عليه يقتلونه ، وقد بلغ من
أمر الخليفة في مصر في بعض الاوقات أن صار يعيش من النذير والهبات ،
وأكثر هؤلاء من الجاهلين بأحكام الشرع ، ولكن أبدى الشيخ محمد الخضري
بك المفتش في وزارة المعارف فزعم أنه يكفي في صحة الخلافة أن يكون الخليفة
إماما في صلاة الجماعة ، ولم يدرك عبد المجيد أفندي لم يعط هذه الامامة أيضا .

(٣) الذين يقولون : ان ما فعلته الحكومة التركية من الفصل بين الدين
والدولة هو الصواب الموافق لما جرى عليه أحرار الأوربيين من الفصل بين
الكنيسة والحكومة ، ومن هؤلاء من صرحوا بوجوب تصريح تلك الحكومة بأنه
لا دين لها البتة .

(٤) الذين يقولون ان هذا العمل باطل ، وان هذه البيعة باطلة ، وان
الخلافة بهذا المعنى كخلافة مشايخ الطرق وهي مبتدعة ليست من الاسلام في شيء
فالفرق الاول أي حكومة أنقره وهو لا يدري من أمرها ولا من أمر العالم

شيئا ، وأكثر أفرادهم لم يكونوا يعرفون أحكام الخلافة الشرعية معرفة تامة وإن كانوا معممين ، ومن عرفها منهم فهو لا يعرف وجه انطباقها على النوازل والفريق الثاني أيدها بغير علم أيضا وإنما قصارى احتجاجها أن سلفها من الترك جنوا على الخلافة العباسية مثل جنائنها على الخلافة العثمانية ، وهي أولى منهم بذلك ، وهذا رأي مصطفى كمال وحزبه كما يعلم من خطبته التي جعلها مقدمة لهذا العمل ، وعلى هذه القاعدة تباح كل جريمة وقاحشة ومنكر في العالم لأنه وجد في المتقدمين من فعله ، ولا سيما القتل . فإن أحد أولاد آدم قتل أخاه بغيا وعدوانا فسُن القتل لكل قادر عليه ، ولكن الباءت هؤلاء على هذه الأقوال هو هوى السياسة الذي يفسد كل شيء دخل فيه

والفريق الثالث — أيدها وهو يعلم كنه ما عملت ويوافقها عليه لأنه غير متدين ويكره أن تكون الحكومة مقيدة بدين أو منسوبة إليه ، لا يخاف في ذلك عدلا ولا انكاراً

والفريق الرابع — هو الذي خطأها على علم بما فعلت ، وعلى علم بأحكام الشرع ومصالح المسلمين العامة ، ولعله لم يصل إلى حكومة أنقرة إلا أسماء معدودة من أفراد هذا الفريق لقلة من كتب في الجرائد منهم ولم يكتب أحد فيه ما كتبنا فقد بلغت مقالاتنا في المنار وحده أن صارت مصنفنا حافلاً ، فلم ندع للذين على رأينا مجالاً واسعاً للكتابة فيه ، ولا فهم ولله الحمد كثيرون

إلغاء الخلافة والمصالح الإسلامية الكبرى من الدولة

لهذا كله اعتقد هؤلاء الكماليون أن العالم الإسلامي يؤيدهم في كل ما يمدحون إماماً عن جهل وإما عن هوى وخضوع لسلطة القوي ، وأن الفرصة سانحة لأنما تنفذ برنامجهم باستسلام شعبيهم الفقير المنهوك لهم ، وتأييد العالم الاسلام إياهم ، إلا من شذ من الأفراد الذين لا تحبظ العمل معارضتهم ، بل أقول أنهم أصبحوا لا يبالون بالعالم الاسلامي رضي أم سخط إذا كان رضاه أو سخطه لا يؤثر في الشعب التركي تأثيراً يحمله على معارضة الحكومة . وقد مرحوا بعدم مبالاةهم به مطلقاً

يقول بعض علماء الاجتماع والباحثين في أخلاق الأمم والشعوب ان الترك اذا ظفروا بطروا ، واذا غلبوا وخذلوا استكانوا واستخذوا ، فاذا ربحوا في الحرب يخسرون في الصلح

فعلى هذا لا يكثر على السكاليين وقد ربحوا في هذه المرة في الحرب والصلح مما أن يشفقوا عجباً وغروراً ، وأن يطمع زعيمهم أن يفعل في الخلافة الاسلامية فوق ما فعله نابليون الاول في البابوية ، وأن يحدث في الشعب التركي أكبر مما أحدثه بطرس الأكبر أو لينين وتروتسكي في الأمة الروسية ، منتزاً الفرصة السانحة باضطراب الشرق والغرب من دوار الحرب ، مقتراً بظهور أفراد تمكنوا بقوة العزيمة أن يتصرفوا بارادتهم في أرقى أمم الغرب ، آمناء من كل مقاومة من الداخل ، محتقراً كل معارضة من الخارج - بعد أن اغتيل أحد أعضاء الجمعية الوطنية اغتيالاً خفياً ، لاظهاره الانكار على ما تقرر من فصل الخلافة من الدولة - وبعد أن قضى على الحركة التي ظهرت في الآستانة تجاه الخلافة الاسمية ، بنصب محاكم الاستقلال المنوحة حق الحكم بالقتل على كل معارض للجمهورية ، فسبق اليها أكبر أصحاب الصعف ومحريها وغيرهم من قادة الافكار كاطفي بك نقيب المحامين - وبعد أن اتهم أحد أركان الدولة الجديدة ورئيس وزارتها السابق رؤوف بك بالخيانة ، لزيارته الخليفة عند إمامه بالآستانة ، فنوقش الحساب لدى اخوانه من أعضاء الشعب في الجمعية الوطنية ، حتى آل أمره الى مغادرة البلاد الى أوربة بصفة اختيارية

بعد هذا كله جمع حزب الشعب أعوانه وأنصاره للخطوة الثالثة ، فأجمعوا أمرهم وهم يمحرون ، ووضعوا قرارهم وهم يأثمرون ، وأعلنوا إلغاء الخلافة وطرد الخليفة وعشيرته من المملكة ، وإلغاء المصالح والاركان الكبرى للدين وهي التعليم الديني والمحاكم الشرعية والاقواف الاسلامية

قد مهد مصطفى كمال باشا للفصل بين الحكومة الجمهورية والخلافة الاسلامية بخطبة كتبها له الاستاذ سيد بك الازيري الذي هو وكيل (وزير) العدلية (الحقانية) في حكومة اليوم ، كما مهدوا لإلغاء الخلافة بكتاب (خلافت وحاكميت

(عليه) الذي لفق له سيد بك هذا ونشروه في بلاد الترك وغيرها من الاقطار الاسلامية على نفقة الحكومة التي طبعت له ولم تكتب عليه اسم المؤلف وتولت توزيعه (إدارة الاستخبارات التركية في انقره)

وسيد بك هذا رجل عليم اللسان جريء الجنان ذكي الذهن اشتغل أولا بالعلوم الدينية ثم تعلم علم الحقوق وصار محاميا في المحاكم العدلية ونزع العمامة ثم انتخب مبعوثا، واتفق أن التقيت به في الباخرة (اسماعيلية) من بواخر الشركة المخديوية عند ما جرت بنا من ميناء أزمير في رحلتي الى الآستانة سنة ١٩٢٣ وكنت كلما رأيته في الآستانة يسألني عما تم في مشروع الدعوة والارشاد مظهرا الاهتمام به والرغبة في تنفيذه . ثم بلغني أن الاتحاديين استعملوه في وضع ما يريدون من الصيغ والتوجيهات والتأويلات لما يريدون التصرف فيه من أمور الشرع الاسلامي وأنه هو الذي وضع لهم (قانون العائلة) كما أنه هو الذي نقحه للكشاليين وقد رددت على خطبة مصطفى كمال باشا عند نشرها في أواخر المجلد الثالث والـ عشرين (ج ١٠ ص ٧٧٢ — ٧٨٥) ثم رددت على كتاب (خلافت وحاكيت مليه) في المجلد الرابع والعشرين (ص ٦٩٢) وسأعود الى رد شبهات اخرى لهم في الخلافة وفي مسائل التعاليم الدينية والمحاكم الشرعية والاقواق

ليس سيد بك وحده هو الذي يعمل للكشاليين ما كان يعمل الاتحاديين بل أوى اليهم سائر دعاة الانقلاب الديني ودعاة تحويل الترك عن القواعد الاسلامية الى القواعد التورانية والافرنجية كضياء كوك آلب صاحب ديوان الشعر الذي سموه « قرآن الترك » وأحمد أغايف ويوسف أقشورا وآغا أوغلي أحمد وحمد الله صبيحي وكذا جلال نوري ، فهم الآن يتولون ادارة رضى الانقلاب الديني والاجتماعي ، في انقره ولهم من المكانة والحرية في الطعن في الاسلام والصد عن سبيل الله وابتغائها عوجا فوق ما كان لهم في عهد الاتحاديين

وقلما يعرف لاحد من هؤلاء المفسدين نسب صحيح وعرق راسخ في الترك ولكن نعلم أن منهم من قد فنه البلاد الروسية الى عاصمة الترك لاجل هذه الاعمال، وكل من قال للترك إني منكم يعدونه منهم اذا كان يتكلم بلغتهم ، وإنما عني زعماء

الاتحاديين فالكمايين بما أشرنا اليه من عمل هؤلاء لاجل سلّ الشعب التركي من الاسلام ليكون الانقلاب بتغيير الامة ما في نفسها فيدوم فأنهم علموا أن ما وجد بقوة خارجية يزول بقوة مثلها معارضة لها وقافا لما بيناه في المقدمة التمهيدية ، وأما مراعاة شعور العالم الاسلامي فلا قيمة لها عند هؤلاء بل يظهر لنا أنهم وازنوا بين ما لهم من الفائدة السياسية والمادية من عطف العالم الاسلامي عليهم مع تقيدهم بالاسلام والخلافة التي تمثل حكومته أو هدايته وبين فوائد الانطلاق من هذا القيد فترجح عندهم هذا الانطلاق ، وقد خطأهم في هذا الترجيح العالم الاسلامي والعالم الاوربي كما علم مما نقلته البرقيات وصحف الاخبار من آراء العالمين في إلغاء الخلافة ، واننا ننشر نموذجاً منها الاستدلال والاعتبار

(تأثير الانقلاب التركي في العالمين)

لقد رجفت في الترك الراجفة ، وتبعها الرادفة ، فاذا قلوب أهل الشرق واجفة ، وأبصارهم خاشعة ، يقولون أننا لمردودون في الحافرة ؛ ذهبت خلافة النبوة ، فانقطع سلك الجامعة الاسلامية ، وستبدها الحكومات الضعيفة أو المحمية بددا ، ويفرقون بها المسلمين طرائن قدداً ،
واذا عيون أهل العرب شاخصة ، وأذهانهم حائرة ، يتساءلون عن النبا العظيم ، متمعجين من تهوك الترك المغرورين ، مراقبين لما يكون من أمرهم وأمر المسلمين

لم تبق جريد من جرائد الشرق والغرب للمسلمين أو الكتائبين أو الوثنيين الا وقد استكبرت هذا الخطب جدا ، وعدته أمراً إدا ، وان سر أقواماً وساء آخرين ، ولكن كان أغرب أنباءه أنه أحدث هزة في جميع العالم الا في البلاد التركية التي فيها حدث وعنها صدر ، وهذا دليل على إحداثة بقوة الجندية ، وعلى فقد الحرية من البلاد التركية ، كما يدها آتفاً ، فنسبته الى الشعب التركي باطلة ، إذ لا يعقل أن يتجرد شعب من الشعوب في أيام أو أعوام معدودات مما رشح في نفسه مدة بضم قرون من عقائد ونظم وأحكام وحكام ، توارثت اجلاها الاجيال بعد الاجيال

ان زعماء هذا الانقلاب يعترفون بأن أدنى شعوب أوربة أرقى من الشعب

التركي في علوم الحقوق وملكات الحكم الديني والسياسي وفي الحرية بأنواعها ولذلك يريدون بكل ما عملوا ويعملون للحصول بالاوربيين في ذلك وفي ثمراته — ولا يزال أكثر هذه الشعوب عدداً ، وأرقاها أحكاماً ونظماً ، وأرسخها في الديمقراطية قدماً ، راضية بأن يكون رئيس حكومتها عاهلاً ومملوكاً ، وأن يكون حامي الإيمان ورئيس الكنيسة فيها ، كالشعب الانكليزي وكذا الشعب الالماني الذي تافه في العلوم والفنون ، وانما جمهوريته الحادثة عرض من اعراض الخذلان في الحرب ، تحافظ عليه الدول الظافرة المسيطرة على هذا الشعب ، ولم تكن هذه الدولة ولا تلك كدولة آل عثمان فيما كان لها من النفوذ الديني والنيوي ، لو كانت ذات امة تحسن الانتفاع بهذا النفوذ ، وتقيده بما شرعه الاسلام من الشورى وسيطرة اهل الحل والمقد

ليس من موضوعنا الاطالة في هذه المسألة ولا تنكر ان الحكم الاسلامي اقرب الى الجمهورية منه الى الملكية المطلقة ، وانما موضوعنا تأثير الانقلاب التركي في العالم ، واننا نذكر هنا بعض الشواهد على تأثيره في مصر ، ونرجي الشواهد على تأثيره وآراء غير المصريين فيه الى جزء آخر

رأي المصريين في الانقلاب التركي

ارسل افراد كثيرون وجماعات كثيرة رقيات الى مصطفى كمال باشا يصفونه فيها بضد ما كانوا وصفوه عند الصدمة الاولى التي لم يفقهوا المراد منها ، فقد وصفوه الآن بالكفر والاحاد ، وعداوة الاسلام ، والظلم والطغيان ، وقد نصح له بعضهم بوجوب الرجوع عن غيه وضلاله ، وهدده آخرون بما هو جدير بأن يضحك منه ، وكتب كثيرون مقالات في جميع الصحف تختار منها هنا بعض ما كتبه اشد كتاب المصريين المشهورين تأييداً للترك ومبالغة في الدعوة اليهم والدفاع عنهم : الاستاذ الشيخ عبد العزيز شاوليش — وقد صار اوسعهم بهم علماً — والاستاذ امين بك الراقمي ، والاستاذ محمد شاكر

رأي الشيخ شاوليش في كمال والكالبيين والاتحاديين

مما كتبه في جريدة الاخبار ثلاث مقالات عنوانها (القنبلة الكمالية) افتتح المقالة الاولى وقد نشرت في عدد الاخبار الذي صدر في ٣ رجب الموافق ٦ مارث بوصف ما ناله مصطفى كمال باشا من الشهرة والعظمة الاسلامية (المنازع : ج ٤) (٣٧) (المجلد الخامس والعشرون)

والعسكرية والسياسية بحيث لو مات او اعتزل شؤون الدولة بعد ختام مؤتمر الصلح لكان له مقام لا يبلغه زعيم في التاريخ - وهذا رأي قد شاركه الشيخ فيه كثير من المفكرين ثم قال ما نصه :

« لقد كان يمكن أن يكتب مصطفى كمال في مسألة الخلافة بالنحو الوسط الذي كان قائما لعهد جلالة الخليفة عبد المجيد ذلك الحل الذي منع الخليفة من التدخل و الاتصال بأمر الدولة التركية السياسي والذي لم يحدث من الخليفة ولا من أسرة البيت العثماني ما يدعو الى تغييره بله محوه »

خرج الخاقان السابق وحيد الدين على النحو المعروف فكتب الغازي الى ولي العهد عبد المجيد خان يقترح بيعته بالخلافة على شريطة ألا يس شؤون الدولة السياسية فلم يلبث عبد المجيد ان قبل البيعة على هذا الشرط وظل صادق الوعد موفيا لعده . حتى لقد أكد الخليفة لي ذات يوم انه قطع على نفسه ألا يفكر في شيء من أمور تركيا وان كل همه أن ينقطع لخدمة الاسلام . ولقد أعرب لي عن ضرورة إيجاد مجلس للخلافة تمثل فيه الشعوب الاسلامية ليتمكن بذلك من اصلاح شؤون المسلمين وترقيتهم ومحاربة البدع والخرافات والضلالات التي وجدت سبيلها بينهم ، واذهبت ربحهم كان يذكر جلالة الخليفة ذلك وهو مطمئن القلب لا يحلم بما كمن له وراء أكمام انقرة فالخليفة كما علم بقينا لم يدر بخلفه أن يكيد للجمهورية ولا أن يشخص بعصره الى التدخل في شيء من امورها . ولكن أبي الله الحكمة يعلمها الا أن يتقدم الغازي بما قرره اليوم فيصيب كبد الاسلام بتلك القنبلة القتالة ويزلزل صرخ الوحدة الاسلامية ذلك الزلزال الشديد لقد طمىح الغازي ذات يوم أن يكون الخليفة كما علمت عند هبوطي انقرة فلم يمنعه من ذلك سوى خشيته ان يحدث اضطراب داخلي يهدد المملكة قبل تمام الصلح لما يعلمه من فرط تعاق الامة التركية بالبيت العثماني وبالخلافة الاسلامية فهل تبدلت اليوم ميول الامة التركية وعواطفها أزاء خليفة بها والبيت الذي أورثها هذا الملك العظيم ؟ ان الغازي يعلم فيما اعتقد ان خطوته التي خطاها مخوفة بالاطار في الداخل . وهذا يفسر لنا ما نشرته التلغرافات العمومية بخصوصية ، من أنه قرر ترك كثير محاكم الاستقلال ومنحها حتى الحكم بالقتل وامتدادها حتى فوق ضفتي البسفور . ولكن هل يعني حذر من قدر ؟ ان الامة التركية فيما أعلم

أمة مسلمة ومحاربة . وإذا اعتمد الغازي على بعض اللادينيين ممن حوله فإن في الضباط من لا يزالون يعتصمون بالاسلام وينقشون على (قلايقهم) كلمة «ياغازي يا شهيد» (١) ان الذين يزبنون لمصطفى مافعل إنما هم فئة التتار التي دستها روسيا القيصرية بين الترك لا لغرض سوى القضاء عليهم ، وافساد أمرهم ، وقطع ما يصلحهم بالمسلمين ذلك النفر من التتار لم يترتب تربية اسلامية قط ولا أثر للروح الاسلامية في أفئدتهم ولكنهم مسلمون منبثا وروسيون روحا

جاء هؤلاء المفسدون الى الاستانة قبل الدستور العثماني فزينوا الاتحاديين مسألة العنصرية والتباعد عن الاسلام

وسوسوا للاتحاديين ان سبب تألب أوروبا على تركيا إنما هو الاسلام وقيام الخلافة فيها . ثم أخذوا يزبنون لهم أن تعتبر غير البلاد التركية من الامبراطورية العثمانية مستعمرات محكومة ، وأن يكون للعنصر التركي وحده حق الحكم غير مشارك . ساقوهم الى الطورانية ، وزبنوا لهم ان ذلك يمكنهم من ضم عشرات الملايين من الاتراك القاطنين في آذربيجان والتركستان اليهم

كما استدرجهم الى محاربة اللغة العربية بعد اذ صارت نحو ٧٠ ٪ من اللغة العثمانية والى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، مع ان اللغة التركية لم تكتب فيما نعلم بغير الحروف العربية منذ دخل الترك في الاسلام

لم يقف وسواس تلك الطائفة وإفسادها الامة العثمانية عند هذا الحد بل خاضوا في الشريرة ومسألة المرأة وجروا الترك على الفساد واعلان الاحاد ولما لها من شعة الاطلاع والدرس استطاعت أن تسوق ذوي الرأي من الترك وجلهم قليل التحصيل محدود الدراسة لم تشقه التربية ولم تنضجها التجارب ولم تفقهه بأمر

(١) المنازل : يا في التركية كما العربية ، والغازي المجاهد الذي يظهر في القتال في سبيل الله . والمعنى أطلب اما شرف لقب الغازي وإما شرف الشهيد وثوابه ، وهذا ما خوذ من أمر الله تعالى لنبيه « ص » أن يخاطب الكفار بقوله : « قل تبصرون بنا إلا إلهي الحسنين » أي الخصلتين والعاقتين اللتين تفضلان كل ما سواهما وهما النصر والشهادة - والقلب كمة توضع على الرأس

الدين أو التاريخ مدرسة ولا كتاب

واقعد كادت تنجح تلك الفئة الضالة في زمن الاتحاديين لولا وجود المرحومين البرنس سعيد حليم وأنور باشا فان امتلاء قلوب هذين الرجلين بالاسلام ووفرة محصولها التاريخي وقيمتها أن سلافة تركية لا تتحقق الا بارتباطها بالعالم الاسلامي وأن عظمتها لا تقرم الا على دعائم الخلافة كل ذلك حمل هذين الرجلين العظميين على القيام في وجه أولئك الهادمين، ومن هذا حذوهم من الترك الغافلين، ولكن ذهب الناس وبقي النسب - فقد حرمت المملكة العثمانية المصالحين المفكرين

وخلا الجول ذلك انفر من القطار المارقين، فما لبثوا أن بطشوا بيد مصطفى بطشهم بالاسلام وتركية جميع (ثم قال بعد كلام في تعظيم وقع الخطب وخطره على المسلمين) «امائر تركية فقد ماتت بها انقرة ميذاً هدم أركان عظمتها وهبط بها في الدول السياسية الى مادون منزلة بلغاريا . فلقد كانت معدودة من الامبراطوريات لا بواقعة سقاريا ولا بخرائب أنقره ولكن بقيام مقام الخلافة في ربوعها - ذلك المقام الذي ملك الترك القلوب والابصار من ثمانية ملايين من المسلمين - ذلك المقام الذي جعل مسلمي الارض يدخلون في الامبراطورية التركية ويدعون سلماً وغير مسلميها لاستلحاق ممالكهم راغبين، فلم يكن يجد هؤلاء في آسيا وافريقيا الشمالية ما يضطرون الى امتشاق الحسام وسوق الفياق بل كانوا يدعون الى دخولها كما يدعى الاخ الى منزل أخيه، ولو لا ما كان لبعض أمراء تلك البلاد من المقاومات التي لم تؤيدها شعوبهم، ما وجد الترك في صدر دولتهم ببركة الخلافة عقبة ماني نشر رواق ساطانهم على تلك الممالك

فقدت تركية اليوم ذلك المنام (مقام الخلافة) ففقدت بتمده تلك الرابطة القدسية التي كانت سياجاً لها في أخرج أوقاتها فهل نستطيع جمهورية مصطفى كمال اليوم وهي ذات خمسة ملايين من النفوس أن تحمي نفسها أمام مطامع الطامعين بعد اذ حرمت عطف العالم الاسلامي « اهـ

ثم ختم المقال بتهديد الكماليين بانفسال الكرد عنهم وتآلب العنصر التركي عليهم - وتهديد تركية بالتردي في الخثرة التي حفرها لها ساداتها وكبرائها

القبيلة

رواية الشيخ شاويش عن مصطفى كمال

ومما قاله في المقالة الثانية التي نشرت في الاخبار بتاريخ ٣ شعبان الموافق ٩ مارس « هبطت أرض أنقرة في السابع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٢ وبعد بضعة أيام ذهبت مع صديق لي من الوزراء الى دار المجلس الوطني الكبير لزيارة مصطفى كمال باشا وقد كنت عاهدت نفسي ألا أتكلم معه في أمر الخلافة لما اتصل بي من نيته نجاه البيت الشاهاني قبل ذلك بأيام أي يوم هبطت مدينة أزمير ولكن لم نكد نأخذ مجلسنا في حضرته حتى استقبلني بهذا السؤال . ما رأيك يا فلان في أمر الخلافة وفصلها عن سياسة الدولة ؟ فاستقلته الجواب معتذراً بأن في المجلس الوطني الكبير من العلماء وذوي الرأي ما يقنونه عن رأيي ولكنه أصر علي ألا أن أبسط له ما لدي من الرأي ولقد علمت من بعد أنه ما كان يريد من استفتائي الوقوف على ما حُف به ذلك الأمر الخطير من المحاذير والاضطراب العلم بما جاء في الشريعة من أحكام الخلافة والخلفاء ولكن كان كل همه أن يسهر غرري ويعرف مجرى فكري ولذلك ألح علي سؤالي وأبي ألا أن أصرح برأيي . فلما لم أجد بدا من القول أجبت أنه « ليس في الاسلام خلافة بلا قوة كما انه ليس في الاسلام خلافة مستبدة » أجبته بهذه العبارة الوجيزة وكنت أرجو أن يجد فيها من المعاني والمغازي ما يصدفه عن الاسترسال في المسألة ولكنه عاد فسألني : اذن هم تفسر ما فعله عبد الحميد وغيره من الخلفاء العثمانيين والام تعزو ما أصابوا به الدولة من النكبات والارزاء ؟ أليس أولئك الخلفاء هم الذين كانوا مصدر شقائنا و بلائنا ؟ أوليسوا هم الذين ساقونا الى تلك الحرب الطاحنة وضاعفوا مصابنا بما أصدروا من فتوى الجهاد وأمثالها ؟ فلما فرغ من أسئلته هذه قلت ان الخلفاء الذين قاموا في السنوات الدستورية لم تطلق أيديهم في تدبير البلاد ولا كانوا مستبدين بأمرهم بل كانت تجري الامور في المملكة لا يحيطون بها علما . وكلنا يعلم كيف تقرر اعلان الجهاد وكيف كانت حادثة البحر الاسود التي انتهت باعلان الحرب وكيف جرد المرحوم السلطان محمد الخامس من القوة حتى لقد

رأينا الدكتور ناظم بك احد اركان الاتحاديين يذهب الى سراي الخليفة عام ١٩١٦ لينقص اعطية من فيها من الرجال والنساء ويفرض لهم من الرزق مثل ما كانوا يفرضون للعامة والافاقيين، علي انه اذا كان لهؤلاء الخلفاء في زمن الدستور شيء من الامتيازات القانونية، فمماذلك الا ليكون الدستور جوامهم خلفاء على الاصول الرومانية، لا خلفاء وفق الشريعة الاسلامية :

« فلما بلغت هذه العبارة تخرجت عينا الباشا واخذه ما يأخذ المستفسر العجول من الحركات المضطربة وسألني متخازراً وكيف ذلك ؟ »

« قلت ذلك ان الاسلام انكر الفروق الطائفية وامتياز الطبقات والافراد بعضها عن بعض في الاحكام والتكاليف الشرعية بل اقام سائر العوالم البشرية في مستوى من تكاليفه تتحاذى فيه الاقدام والرؤس فلا يمتاز في احكام دين الاسلام وجل عن امرأة ولا امير عن سوقة ولا فقيه عن غيره بل كلهم خاضعون للقانون السماوي » ليس بأمانيك ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به . ولا يمجده له (١) من دون الله وايا ولا نصيرا » بذلك سوى الاسلام بين الرعاة والرعايا في سائر الاحكام والتكاليف فففى بمجازاة من يعتدون حدود الله بلا تفرقة ولا تفاوت، فاذا اصاب امير او سلطان او خليفة اى فرد بأذى كان عليه من الجزاء مثل ما على غيره من عامة الناس، سواء كان ذلك الاذى عدواناً على نفس او جارحة او عرض او مال . فليس في دين الاسلام فوق الشرائع والاحكام امير ولا خليفة ولا سلطان، واسكن تركية التي قلدت أوربا اقتبست من القوانين الرومانية قاعدة ان الخلفاء فوق القانون والشرائع فأصبح الخلفاء بهذا خلفاء رومانيين لا خلفاء اسلاميين، ولوعتل رجال النهضة الدستورية اذ ذلك لادركوا ذلك الفرق البعيد بين دين يقول (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) ويقول (ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) ويقول « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وبين شرائع قامت في اقوام كانت تعبد الملوك والبراطرة وتعددهم مصدر الاشراع والحكم فرفعتهم الى مستوى الاله الحق الذي هو وحده يحكم لامتقبح لحكمه

« ١٦ » وفي جريدة الاخبار « ولن تجمده » وهو غلط

أوجب دين الاسلام طاعة اولي الامر ولكن على شريطة الا بأمرها بما يخالف اوامر الخالق، ثم ابان اننا انه اذا وقع تنازع بين الراعي والرعية وجب ان يتحاكموا الى كتاب الله وسنة رسوله فلم يبح لاحد منهما بلغ سلطانه وصولته ان يحكم الناس بما تهواه نفسه وتستطيعه شهوته حتى لقد اجاز للناس الخروج على غير العدول الذين لا يقفون عند حدود الله من السلاطين والامراء مبيحاً لولي الامر مقاتلتهم بل وقتلهم . ولقد قتلت طائفة من المسلمين اجتهاداً منهم الخليفة عثمان بن عفان ومنزلة من الدين وبلاؤه في نصرة الرسول ما نعلم . وكذلك ألزم الناس علي بن ابي طالب ان يقبل التحكيم عند ما رفعت المصاحف على اسنة الرماح وطلب خصومه التحاكم الى كتاب الله فلم يسمعه وهو يعلم ان ذلك خدعة منهم دبروها لبلوغ حاجاتهم ، لم يسمعه الا ان ينزل على ما طلبوا من الرجوع الى كتاب الله ليفصل فيما شجر بينهم ولم يغمه ان كان خليفة الرسول وزوج ابنته وصاحب الحق في ذلك المقام

«وبينا نحن كذلك دخل علينا احد النواب فقال يا حضرة الباشا ان اعضاء المجلس قد اختلفوا أمن قيام يقرأ تلغراف الخليفة الذي ارسله بقبول بيعته ام من جلوس ؟ فسأله الباشا وكم القائلون بالقيام ؟ قال النواب فوق الثمانين ، فما لبث مصطفى ان اقبل علي وقد قطب غضباً يسألني : احكومة شعب هذه التي تريد قراءة تلغراف الخليفة من قيام ؟ فأجيبته «انه ليس في الشريعة يا حضرة الغازي ما يوجب القيام ولا يمنعه وانما يرجع في امثال هذه الحالة الى ما يجري به العرف والعادة

في الناس . وهنا احس مصطفى بآشا عين ما احسست اننا لا نتفق اصلاً فهم

بالوقوف ايذاناً بالانصراف فخرجت من عنده وانا اذكر ما قصه علي صدقي لي

في براين خلال الحرب الكبرى ايام كان مصطفى باشا ياورا لولي العهد اذ ذاك

وحيد الدين افندي إذ قال له ان الاتحاديين دعوني ذات يوم للدفاع عن جبهة

العراق فأجبتهم الى ذلك وكنت اضمر ان استقل بالعراق اذا ما امكنوني من

السلاح والاموال الكافية قال ولستكنهم فيما اظن شعروا بذلك يوم عرضت

عليهم مطالبى فانهم بعد اذ تدبروها أعرضوا عن تعييني في ذلك الميدان واستبدلوا بي غيري . فهم الغايزي مما دار بيننا كنه رأي وفكري واسكنه لم يكتف بذلك فامروا عزالى فرقه في المجلس ان تدعوني ذات يوم للاستفتاء رسميا فجاءني كتاب من أحد أعضاء هذه الفرقة جلال نوري بك لا كون يمر كزهافي يوم ٢ يناير سنة ١٩٢٣ وهناك جرى ما سأقصه على العالم الاسلامي فيما يلي مما يتبين منه جلليا ان سبب شقاء الترك وتأخرهم لم يكن دين الاسلام ولا قيام الخلافة في ديارهم كما يزين لهم النصارى والواغلون ويتوهمه الرهط المارقون ، ولكنها الامراض الاجتماعية والجهالة الفاشية الفاعلة فيهم ما تعجز عنه الاوبئة القتالة مما سنأني بعد على شيء من تفضيله عبد العزيز جاويش (المنار) انما بدأنا بايراد بعض ما كتبه هذا الاستاذ لثلاث (١) أنه كتب عن علم وخبرة لانه عاشر كبار الاتحاديين وخدمهم بضع سنين في طاصمة الدولة خدمة سياسية ثم خدم الكماليين وأحاط خبراً بنشأتهم وكنهه حالهم (٢) إنه غير متهم في انتقاد هؤلاء ولا أولئك لان كلا منهما أكرم مثواه وقلده أصحالا عظيمة كان يأخذ عليها راتباً كبيراً (٣) العبرة بما كان من الخلاف بيننا وبينه في الاتحاديين في المسألتين الاسلامية والجنسية فاننا قد سبقناه الى معرفة كنهه حالهم وما يكيدون للاسلام وما يسيئون به الى الامة العربية المشاركة لهم في الجنسية العثمانية السياسية وكتبنا في ذلك منتقدين وناصحين فأنكر ذلك علينا الاستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش وأساء فينا الظن بقدر ما كان يحسنه في الاتحاديين ورد علينا وطعن فينا بل كان خصما لكل العرب المستأئين من معاملة الاتحاديين وعونا لهؤلاء عليهم ثم ظهر له أنهم شر مما كنا نقول فيهم وأكبر وجوه العبرة في هذه المسألة ما نبهت عليه من قبل وهو أننا معشر العرب أو المسلمين أو الشرقيين لا نزال بعداء عن العمل المنظم المشترك إذ لا يكاد أحد منا يهتم بأن يبني عمله في خدمة أمتة على اختبار من سبقه من قومه في تمحيص بعض الامور بل يعمل كل متصدل للعمل عملا مستأنفا فاذا دنا على هذا فلا يمكن أن نتقن عملا ولا أن نرتقي فيه إذ لا يمكن لكل فرد منا أن يحيط علماً واختباراً بكل شيء بنفسه ، ولو استفاد المصريون والهنود من اختبارنا السابق واختبار الشيخ شاويش اللاحق لما رأيتهم اليوم يطمعون في تحويل مصطفى كمال عن رأيه في الخلافة والدين والدولة .

ما هذه العاصفة الهوجاء

(أول مقالة للاستاذ الشيخ محمد شاكر في الانقلاب نشرها في المقطم)

خليفة يخلع ، وخلافة تلغى ، وأموال تصادر ، وأوقاف تضم الى أملاك الدولة ، وتعليم ديني يمحى ، ومحاكم شرعية تغلق ، وأسرة عثمانية تطرد من آفاق البلاد ، وتحرم حتى من جنسيتها التركية ، فما هذه العاصفة الهوجاء ؟ عاصفة الجنون التي تهب على العالم في مشارق الارض ومغاربها من عاصمة الجمهورية التركية بقرارات الجمعية الوطنية في انقره كما تقول جريدة الجورنال الباريسية رحم الله زمانا كنا نعطف فيه على هذه الفئة إبان تمردنا على السلطنة العثمانية وهي تجالذ مجالدة الإبطال لطرد الأعداء من الأناضول ، وزحزحة الحلفاء عن دار الخلافة . والله يشهد أن الذي حدا بنا الى العطف على هؤلاء المتمردين إنما هو الإشفاق على الخلافة العظمى أن تمتد اليها يد المهانة والاستذلال . وهي البقية الباقية من مجد الاسلام وعهد النبوة الاولى . وهي العزاء الوحيد الذي كئنا نتمزى به في نكبات الايام وصروف الليالي (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) عاصفة جنون هذه التصرفات التي بها دمر المجلس الوطني في عاصمة الجمهورية التركية مجد السلطنة العثمانية حتى جردها من تاج الخلافة العظمى وقد احتملته رؤس العظماء من آل عثمان اكثر من أربعة قرون

عاصفة جنون هذه التصرفات التي ألغى بها المجلس الوطني نظاما كان ولا يزال من مقومات العالم الاسلامي في تكوينه الحيوي . وأنى هؤلاء المتمردين على النظام الديني أن يقطعوا من مقومات الحياة الاسلامية نظام الخلافة فيقرروا الغاءه حقا ان التمرد اذا انتهى بالبطولة استحال الى العبث بكل نظام يعترضه في طريقه . فلا بطلان من المتمردين ينقلبون مدمرين اذا لم تقلم أظفارهم هيمنة الامم والشعوب بقوتها القاهرة . وسوف يرى هؤلاء المدمرون من المتمردين كيف تقلم الامم الاسلامية أظفارهم ، وكيف يرتدون على أعقابهم خاسرين أمام العالم (المجلد الخامس والعشرون) (٣٨)

الاسلامي حتى من الشعب التركي نفسه (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون)

عجيب أمر هؤلاء الذين تسللوا في جنح الظلام الى كهوف الااضول وظلوا يهتفون باسم الاسلام حتى حازوا فخر النصر كيف ارتدوا على أديبارهم بحاربون الاسلام بأسوأ أداة ملكتها أيديهم في أعز عزيز على العالم الاسلامي وهو نظام الخلافة ما كانت الخلافة يوما ما نظاما قوميا تنقاذفه أيدي المتسلطين في الجميات الوطنية حتى يتسنى لزعماء الجمهورية التركية أن يقرروا إلغائه

انما الخلافة نظام ديني عام لا يحل لرجل يؤمن بالله ورسوله أن يتخلى عن الاندماج في دائرته المرنة . كذلك كان نظام الخلافة منذ توليها أمير المؤمنين أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وهو أول خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن تقلدها بالبيعة العامة أمير المؤمنين عبد المجيد بن عبد العزيز (فن نكت فأنما ينكت على نفسه . ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)

ماذا تركته حكومة الجمهورية التركية من التقاليد الاسلامية لم تنقضه رأساً على عقب بعد خلع الخليفة والنفاء الخلافة وهي تضم أوقاف المسلمين الى أملاك الدولة . وتقرر النفاء المحاكم الشرعية واغلاق معاهد التعليم الديني . وتضع للنظام العائلي قانوناً يهدم أصول الشريعة الاسلامية في كثير من أحكامه . وبذهب بتلك الفضائل والآداب التي أفاضها الاسلام على المستمسكين بعروته الوثقى والمستعصمين في حوز صيانتهم الحصين (من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يضلل فان نجد له وليا مرشدا) عاصفة جنون هذه التي هبت على العالم الاسلامي من عاصمة الجمهورية التركية في نظامه الدولي ، ونظامه الحكومي ، ونظامه العائلي . ولكنها ستنتشع بتوفيق الله وحكمة عظماء الاسلام وقادته المحنكين في مشارق الارض ومغاربها (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) محمد شاكر وكيل الجامع الازهر سابقاً

(كلمة الاستاذ أمين بك الرافعي)

(من مقالة له في جريدة الاخبار بتاريخ ٢٩ رجب الماضي)

يعمل السكاليون بسرعة على تنفيذ قرارهم الطائش بالغاء الخلافة وعزل الخليفة، وقد استعملوا في اقوالهم عبارات تدل على غرورهم وجهلهم بعاقبة ما ارتكبوه ضد الاسلام والمسلمين فعصمت باشا يزعم في خطبته التي نقلت اليها التلغرافات خلاصتها ونشرناها في باب التلغرافات : ان العالم الاسلامي لم يصادق تركيا إلا لأنها قوية !! لالانها دولة الخلافة!! فهل بعد ذلك جهل وغرور ؟ !

وقد ذهبوا الى جلاله الخليفة في ساعة متأخرة من الليل وأمره بالجلوس فوق العرش وبعد أن تلوا عليه قرار الزل أنزلوه وساروا به في سيارة الى الحدود، ومنها الى سويسرا، فعلوا به ذلك في جنح الظلام لأنهم يعلمون أنهم يرتكبون جريمة شنيعة ومن اجل ذلك تراهم ايضا يعقدون محاكم التفتيش في جميع انحاء البلاد ويحولونها سلطة الحكم بالاعدام ليملاؤا النفوس ارهابا حتى لا تثور على قرارهم ولكن هل مثل هذه التدابير الارهابية تحول دون اظهار الاستياء العام من فعلتهم القبيحة ؟

وهذه المناسبة لا نرى بدا من توجيه نظر علمائنا الافاضل الى ضرورة قيامهم بواجبهم الديني في هذه الحادثة الخطيرة فقد سبق لهم ان اعلنوا بيعتهم لجلالة الخليفة. ولما كانت البيعة قائمة بالرغم من قرار اولئك الملحدين الخارجين على الاسلام فيجب على العلماء ان يعلنوا ذلك في اجتماع كبير يعقدونه و يهرقون بقراراته الى حكومة انقرة لتعلم ان العالم الاسلامي ساخط على اعمالها المنكرة كما نرجو من علمائنا ان يدعوا لجلالة الخليفة للحضور الى مصر لعيش واسرته في بلد اسلامي و يكون متصلا بالمسلمين في مشارق الارض ومغاربها لان فكرة ابعاده الى سويسرا لا يقصد منها سوى الحيلولة بينه وبين المسلمين

وبالجملة فان على علماء المسلمين في الظرف العصيب الذي يجتازه الاسلام الآن فروضا مقدسة يجب عليهم ان يقوموا بها بلا توان ولا تردد لدرء الخطر الذي يهدد الاسلام والمسلمين

أمين الرافعي

رسالة ملك الحجاز

الى الامة البريطانية

لما أراد ملك الحجاز زيارة شرقي الاردن من اطراف البلاد السورية قدم بين رحلته هذه الرسالة متوها أن يكون حاملا للحكومة الانكليزية على العطف عليه بما يتقرب به الى أهل فلسطين وينال موافقتهم على المعاهدة العربية ، فجاءت هذه الرسالة حجة لنا عليه وعلى أنصاره ، ولو كانوا منصفين أو مخلصين لقلنا * أقر الخصم وارتفع النزاع * ولكن كم أقر الخصم قبل هذا بما كان حجة لنا في سائر ما انتقدنا عليه ولم يرتفع النزاع بيننا وبين الغارين والمغرورين من أنصاره . وأما المخلصون فهم يرجعون إلينا أن بعد آن (والعاقبة للمتقين) وقد نشرت الرسالة في جرائد لندن فرد عليها (اللورد رجلان) بمقالة شديدة اللاهجة في إهانة ملك الحجاز وأولاده الملوك والامراء خلاصتها أنهم كانوا أجراء للدولة البريطانية ووقفهم أجورهم بأكثر مما يستحقه عملهم اذ جعلت حسيونا ملكا للحجاز وفيصلا ملكا في العراق وعبدالله أميرا في شرق الاردن ... واننا ننقل ترجمة الرسالة بالعربية عن المقطم وهذا نصها :

تلغراف خصوصي المقطم

لندن الاثنين في ٣١ ديسمبر الساعة ٩ صباحا

تلقت الصحف الكبرى بلندن نداء بالانكليزية من جلالة ملك الحجاز وجه فيه الخطاب الى الامة البريطانية وقد أرسلت نسخ منه الى أعضاء مجلس الاعيان وغيرهم من الكبراء وأصحاب الكلمة النافذة فرأيت أن أرسل اليكم صورته كما تلقيناه وهو :

الى الامة البريطانية الكريمة

من الحسين بن علي

بناء على ما اشتهر به الشعب البريطاني الكريم من الثبات والنزاهة وهي الصفات المعروفة لي شخصياً رأيت أن أعرض على ضميره الصادق وحكمه السليم آرائي في الحيف الذي أصاب قومي العرب في بلدانهم المختلفة لقد لبيت دعوة حكومة جلالة الملك لاني كنت أعتقد أن في دعوتها منافع مادية وأدبية متبادلة وهواةتماد أعترف بأن الحكومة البريطانية كانت تشاطرني اياه ولم تكن لتليقي هذه الدعوة تناقضاً مع شيء من العواطف القومية أو الدينية بدليل ما جاء في منشورائي الرسمية العديدة فنقضت مع شعبي بعد نيل ضمانات تضمن مصالحهم ومستقبلهم وخضعت معهم غمار القتال جنباً الى جنب وكنت وطيد الايقان بأننا نحارب في جانب شرف الامة البريطانية كلها لا بجانب أفراد تفصم العرى التي تربطنا زوالهم ، ومثل لعيني شرف الامة البريطانية وشهامتها وعظمتها فأقرمت على خوض القتال وأنا ممثلي ثقة في حين كانت فيه كفة الخصم راجحة في كوت الامارة والقتال والردنيل وجميع ساحات الحرب في أوروبا وواصلت اشترائي وشعبي الى النهاية والى أن تقشعت السحب السوداء الملبدة التي كانت تنذر بحرب دينية في الشرق تكون بعيدة المدى والعواقب ، وضربت المثل الاعلى للعالم في سعة الصدر والتسامح والدفاع عن المبادئ السامية ، فابى العرب دعوتي في العراق وفلسطين وسورية ، وكان يدي وثائق السياسة المسئولين وتصريحاتهم الرسمية والخصوصية التي قالوا بها على رؤوس الاشهاد ، وكأها مجمع على أن العرب سيفوزون بوحدتهم واستقلالهم مكافأة على ولائهم ، وان مصائبهم ومحنتهم ستزول. وقد وضعوا أقصى ثقتهم وآمالهم بعد الله في شرف الامة البريطانية . ومما يشهد بذلك ويثبتة أيضاً أنهم أبوا صلحاً منفرداً يعقد مع العدو الذي عرض عليهم أن ينيلهم استقلالهم ، وقطع لهم المواثيق الرسمية والضمانات المؤكدة ، وذلك لان العدو أخذ يشعر بتأثير الصدمة الشديدة الادبي والمادي من

جاء قتال العرب في جانب بريطانيا العظمى وحلفائها
وكان من نتائج هذا الولاء والوفاء تلغراف رسمي ورد من وزير الخارجية
البريطانية يؤكّد به وحدة العرب واستقلالهم وتصميم الحلفاء على تحقيقهما وأنه
يسمحون أن يعتقدوا صالحا إلا إذا نص في شروطه الأساسية على حرية شعوبنا
واستقلال بلدانهم ، وقد أرسل هذا التلغراف باسم حكومة جلالة الملك البريطانية
وأبلغنيّه المعتمد البريطاني في جدة يوم ٨ فبراير ١٩١٨
فلهذه الأسباب ألفت نظر الأمة البريطانية الى ما حل بحلفائها العرب الذين
لا يزالون يعدون أنفسهم حلفاءها على قلة ما في العالم من الحلفاء المقيمين اليوم
فقد مزقت وحدتهم وقطعت أوصالها ، وتفككت بلدانهم وصارت محتلة ، وأخذ
العالم الاسلامي خاصة والسواد الأعظم من قومي برمياني بتهمة أتي بعث بلدانهم
لبريطانيا العظمى وحلفائها وهي تهمة تكفي لتطيخ كرامة بيتي ونسويد تاريخه ،
وصمة لا يصبر عليها حتي الذين تجردوا من كل معاني الشرف وكرم الشيم (١)
ولا أعرف أن العرب ارتكبوا ما يستحقون أن يعاملوا لاجله هذه المعاملة الا
ثقتهم المطلقة ببريطانيا العظمى ووقاؤهم لها ان صح أن يعد هذا جناحة حقيقة (٢)
فالعرب المدفوعون بأخر شرارة في جوانحهم من الوفاء لحليفهم العظيمة ،
وبما فطر عليه جنسهم من عرفان الجليل والوفاء بالعهود ، يرغبون الي أن أبلغ
الشعب البريطاني أنهم لا يبنون بهذه الاقوال أن يباهوا بفعالهم أو يمتنوا بمساعدتهم
أو ينكروا على بريطانيا العظمى حقها في ضمان مصالح شعبها أو يعارضوا في صدق
وطنية الأمة البريطانية ، ولكنهم يرون من الانصاف أن لا تنحصر هذه الصفات
فيها بل أن تكون في سواها أيضا ، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف « حب
الوطن من الايمان » (٣) فالعرب والحالة هذه حائرون كيف يوفقون بين وطنيتهم
ووفائهم وولائهم لحلفائهم

المنار : « ١ » حكم الشيخ على نفسه « ٢ » لاشك انها من اقبح الجنايات « ٣ »
هذا ليس بحديث قال الحافظ السيحاوي في المقاصد الحسنة : لم أقف عليه ومعناه صحيح

ولهذا أرغب في أن أصف في رسالتي هذه دهشتي وحالتهم الحاضرة للشعب البريطاني الكريم لئلا يقع عليهم لوم ما اذا توسلوا بوسائل أخرى الى درء هذا الذل العظيم الذي يسود تاريخهم المجيد غير مكترئين للعواقب مهما كانت والا انطبق عليهم بحق المثل القائل « فر من الموت وفي الموت وقع » وهذه أبسط تهمة يلصقها بهم أعداؤهم اذ يحق لهم أن يخاطبواهم بقولهم « لو بقيتم كما كنتم قبل الانجوت من جميع هذه البلايا والرزايا »

أما الحجاز فقد كان متمتعاً بامتيازاته واستقلاله في الماضي ويستحيل الصبر على موقف الامة العربية في عبون العالم الاسلامي والشرق عامة وفي عبونهم أنفسهم وفي مراة تاريخهم وأن ينظر اليهم كخونة ظالمين . إن هذا الموقف الشائن مما يستحيل قبوله والتسليم به

ولست في ما أقول منذراً، ولكنني مذكر فقد كانت شهرة بريطانيا العظمى أساس عظمتها في الشرق وهذه الشهرة أعظم نفوذاً من أساطيلها العظيمة وجيوشها الجرارة ، فهي في حاجة عظيمة الى تجديد مكانتها. أقول ذلك بصراحة العربي واخلاصه وعلى بريطانيا العظمى أن تبدأ بمعاملة العرب الذين حالفوها ووالوها الى يومنا هذا مع كل ما طرأ من الطواريء من اليوم الذي كانت فيه الحرب حقيقة بادية للعيان الى أن صارت خفية مستورة . ولا أطيل الكلام في هذا الصدد ولكني ارجو أن تشرع الامة البريطانية في أن تلتقي عن عاتقها جميع هذه الاعباء ، وان تنصف العرب حلفاءها الاوفياء ، وخير لها أن يكون لها حليف متحد قوي مستقل ، من ان يكون هذا الحليف ممزقا مقطوع الاوصال ذليلاً كما هي حالة العرب الآن ، ولا يعلم الا الله الى اين يسوقهم قنوطهم بعدما طغح الكيل أقول ما تقدم مدفوعاً اليه بمامل الاخلاص والوفاء لما علي من العهود والواجبات البلاط الهاشمي بمكة في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٣ .

(المنار) ان هذا الخطاب يشرح للناس كنه عقل السيد حسين المكي ومبلغه من العلم والسياسة فهو صريح في أنه قد أسس سياسته في نصر الانكاز على الترك على شفا جرف هار من تخيل ما يسميه « الحسيات النجيبة البريطانية »

وتوهم أن الانكليز يعاملون الناس بمقتضى الحس والشعور بالوفاء والنجدة والكرم والايتار على انفسهم والوفاء بوعودهم وعهودهم مضاعفة. وجميع ذوي الامام بشؤون العالم في الشرق والغرب يعلمون أن السياسة ليس فيها عواطف ولا فضائل ولا تقرب الى الله تعالى باسداء المعروف الى الناس - وأن الانكليز خاصة ابعد البشر عن بناء أي عمل من اعمالهم على اشعور والعواطف وانهم تجار ماديون قليلوالتأثر والشعور ولذلك لقبوا في كل العالم باصحاب الدم البارد - وانهم ابعد خلق الله تعالى عن الوفاء فيما لا يعدونه من مصلحتهم التي يفتدون بها مصالح الخلق كله ولكنهم لبراعتهم في الرياء الفريسي كما يصفهم أهل اوروبا يدعون الوفاء بتأويل مايقم منهم من الغدر والاخلاف ، كتأويل معاوية وعمر بن العاص لقتل صمار ، وقد قال فيهم امام السياسة الاوربية ودهقانها في عصره (البرنس بسمارك) إذ الانكليز ابرع الامم في التفصي من المعاهدات بالتأويل . ونقول نحن ان هذا شأنهم مع الدول العظمى وأما الضعفاء فانهم لا يهتمون بتأويل غدرهم واخلافهم معهم ،

ولنا من سياستهم في مصر والسودان دلائل من الادلة القطعية على ذلك ولكن هذا الرجل لا يعرف من تاريخ مصر المجاورة له دع تاريخ الهند وغيرها من البلاد التي ابتليت بالانكليز اعترف الزعيم العربي بهذا الاساس الخيالي لسياسته وانه لم يبال برمي امته بالخيانة لثنته بهذه الخيالات وانه مصر على ذلك الى الآن ، فهل يجوز أن يتخذ مثل هذا زعيما لشعب أو أمة وخليفة للرسول الاعظم على امته وهو يخالف كتاب الله وسنته في كل خطوة من خطوات سياسته ؟

سيقول الجاهلون بالتاريخ الحديث والسذج الذين لا يتفكرون في عواقب احتلال الاجانب لاصب البلاد العربية ، والطامعين في الاستيلاء على ما بقي منها وهو مركز القوة الدفاعية ، مابل صاحب المنار يوالي الطعن في الملك حسين واولاده دون غيرهم ؟ ... ونقول لهؤلاء ؟ أن الامر اعظم مما وصلت اليه عقولكم ، وان خطر هؤلاء على امتكم ابعدهما تصورته افكاركم ، فانظروا وتفكروا ، ثم انظروا وتفكروا ، ثم انظروا وتفكروا

خطاب عام للمسلمين

- ٣ -

وجاء في الرسالة المطولة التي اشرنا اليها من قبل ما يأتي :

(الحدود) سمع مولانا المنقذ بان امام اليمن يحكم بالشرع المنيف
ويقيم الحدود فعمل شر المنكر ليذكر فشكل من ساء حظه امسكه المنقذ
بتهمة سرقة يأمر بقطع يده أو يده ورجله اعتباطا وبدون محاكمة ولا
مراعاة لشروط الحد من حرز أو عدالة للشهود والأمر بدرء الحدود
بالشبهات واليك اشارة الى التنفيذ الفظيع

(التنفيذ) تأخذ الزبانية هذا التعس فيضمون العضو المأمور ببتره
على خشبة ويمسكون المسكين كما يمسك المصفور للذبح ويقوم على رأسه
احدهم شاهرا سيفه ممسكا له بكلا يديه فيهوي به الى ذلك العضو فان
اصاب مفصلا أبانه وذلك من رحمة الله بالمسكين ولكن الغالب انه
يصيب محلا آخر فوق المفصل او دونه فتتشم العضام ولا ينقطع
العضو الا بعد ضربات عديدة يذوق ذلك المنكود الحظ منها الموت
الزؤام مرارا عديدة ، ولذلك لا يسلم من الموت ممن قطعهم ذلك القاطع
الا نحو العشر ، ولا بد أن يقلقوا بصياحهم أهل الحارة التي يكونون
فيها . أفهذا حكم الشرع المنيف ؟ حاشى لله الف الف مرة . ان الشرائع
كلها السماوية والوضعية تتبرأ من هذه الوحشية السبعية الابليسسية
فانا لله وانا اليه راجعون . أي جناية على الدين ، وأي ازدراء به شر
من هذا ؟ ان أكبر أعدائنا لا يقدر أن يذمنا وينفر عن ديننا بمثل
ما يصنعه « سيدنا وسيد الجميع » ؟ ؟

السجن الهاشمي

أخبرنا الثقات من المكين ان هذا السجن شر من سجن الحجاج
ففيه ضروب من التعذيب لم يبق لاقلمها وجود في منشوريا ولا غيرها -
بل هنالك سجنان (أحدهما) سجن المجرمين العاديين وهو بناء كان مخازن
للغلال ذات رواق فبني الرواق وجعل له باب أو بابان وهو مع المخازن
لا يسع مئة رجل ولكن له رحبة أو حوشا تسع مئة أو أكثر ، وهو
ليس لها سقف يقيهاجرة الحرا المحرقة في الصيف وبرد الليل في الشتاء
والمسجونون فيه خمسمائة أو يزيدون

(وثانيهما) القبو وما ادراك ما القبو وهو سجن الذين ينزل عليهم
الغضب الهاشمي كالاستاذ العلامة الشهير الشيخ أبو بكر خوقير علامة
الحنابلة ومفتيهم الذي كان يتهمة بانه وهابي — وهو قبو مظلم تحت دار
الامارة له منفذ ودرج بل درك للنزول الى اسفله وارضه رطبة عفنة
كثيرة الحشرات والغازات السامة قلما يعيش أحد فيه عدة أيام وليس
له نوافذ غير مدخله فلا يدخله نور الشمس المطهر ولا الهواء المنقي للهواء
من الابخرة السامة وليس فيه مرحاض ولا مكان للطهارة

ومن ضروب الفظاعة المشتملة على عدة محرمات ان زبانيته
يسلكون الآحاد والعشرات من المسجونين في سلسلة واحدة من
الحديد آناء الليل والنهار فكلما ذهب واحد لقضاء حاجته جرهم كلهم
معه . ويؤيد هذا ما كتبه ذلك العالم الفاضل من جزائر الهند الشرقية
في مذكرته المذكورة آنفا وهو :

« ومما اختصت به مكة صانها الله تعالى دون سائر الارض ان العقوبات

تجري فيها بمنتهى الوحشية استبداداً ولو رأى احد المنصفين السجن بمكة لبكى الدم حناناً على من أوقعه نحس الطالم فيه فان أكثره لا سقف له بقي من تلك الشمس المحرقة نهاراً والبرد القارس في ايامه ليلاً وهو محل قذر للغاية وضيق لا يتسع لا أكثر من ٧٠ شخصاً وقد حشروا فيه نحو الف انسان والحكومة لا تعطيهم طعاماً وكثير منهم يموتون جوعاً وقل اسبوع لا تحدث فيه حوادث من هذا القبيل ومن ارسل له اهله قوتاً تخاطفه عليه الجياع هذا ان سلم من حراس السجن فان لهم حتماً اطاييه ومن مات يلقى بين من هم هناك نحو يومين حتى تفوح رائحته لشدة الحرارة وكثرة التحلل من الجيفة بسببها وذلك حتى يحصل الاذن من الذات المقدسة بالدفن وليس لمن في السجن محل للفصل ولا لهم بيت للراحة الا محلاً واحداً يؤمه الف شخص ...

ومن رحمة سيدنا المنقذ انه يطوق بعض رعاياه المحكوم عليهم بالسجن بأطواق من الحديد ويملق فيها من القل ما تنوء بحمله العصبة اولو القوة وينظم الخمسة الى العشرة في سلسلة واحدة الى ما أخاف ان لا يصدقني القارىء ان ذكرته من الفلكة الهاشمية والقبو وما ضاهى ذلك مما لم يتفطن له الحجاج ولا يبرون ولا نمرود ولا وسوس لهم به ابليس فليبحث عن هذا من يحب معرفة الحقيقة « اه وفيه خطأ بتقدير ما يسم السجن وعدد المسجونين والصواب ما قلناه ومسألة القل لم تبلغنا عن غيره

ظلمه للاشراف

اختارت الدولة العثمانية بطنيين من بطون شرفاء مكة لامارتها تولى واحداً من هؤلاء مرة ، وواحداً من الآخرين مرة - فأوقعت به التعادي والتنافس بينهما ، وأغرتهما باحتكار الجاه والرفاهة دون سائر الشرفاء الذين أصبحوا في دركة من الجهل والفقر ، تحول دون كل مطمع في نباهة الذكر . وكان الملك حسين من أشد من ولي الامارة بغضا في البطن الآخر ، ولا سيما آل الشريف عبد المطلب الشهير ، فهو يتصرف في أملاكهم وأوقافهم كما يشاء . وقد أشرنا الى ذلك في الشاهد

العاشر من شواهد المظالم المالية في الحجاز

وقد كان نفر من كبار هؤلاء الشرفاء يقيمون في الآستانة مكرمين منعمين بما تجريه الدولة العثمانية عليهم من الرواتب الكافية وقد منعتهم دولة الجمهورية من ذلك فأمسوا في أسوأ حال وتعذر عليهم السكنى في الآستانة وفي غيرها ولم يعد يسمهم الا وطنهم (مكة) ولهم فيه أملاك وأوقاف، ولكن رئيس اسرتهم وملك العرب ومنقذهم، لا يأذن لهم بالعودة الى بلدهم، ولا يرسل اليهم شيئاً من حقوقهم، على ان الذين يعيشون هنالك في أسوأ حال كما أشرنا الى ذلك في الشاهد (١٠) شواهد الجناية الثالثة وهم أحق من سائر العرب بما يدعيه من انقاذهم واسعادهم، ومن لا يصل رحمه ولا يغار على شرف أهله فكيف يصدق بدعوى الغيرة على غيرهم؟

وقد ختم ذلك العالم الجنوبي مذكرته بوصف حالهم وهذا نص ما كتبه :

«ولو اردت ان اكتب ماعرفته من فضائح جرك جدة لاضجرت القارىء ولكنى اختتم مقالي بالاشارة الى حالة اشراف الحجاز الذي ينتمي اليهم مولانا المنقذ فانهم في احط الحالات ديناً ومعاشاً وكل ذلك سببه الآن افعال هذا المنقذ فان سلفه قد تعمد وحتم بقاء سائر الاشراف الاقربته الادنين على شر حالات البداوة جهالة وقذارة وغباوة وبعداً عن العلم والمعارف لئلا يشاركوه في امور الامارة، وليتسنى له الاختصاص بالظلم ليشبع نفسه الامارة، وقد زاد «منقذنا» على هذا بأن عهد الى مكاسبهم فوضع عليهم اتاوات ثقيلة ثم فرض مناصفة ما تنتجه زروعهم من قصب وحشيش بحمارونه ويسامونه بحجانه الاصطبل الهاشمي وما بقي لهم يدفعون عليه اتاوة دخولية تستغرق جل الثمن وقد كانوا يكسبون من كراء جبالهم اما الآن فقد مر بك ما يختص بالجيب او الجراب العلي الشأن وذلك مما يؤخذ من كرى الجمال اكثره فلا يبقى لصاحب

البعير الا ما يكفي اكل الجمل بشرط انه هو وعياله يجوعون او يقتل الجمل
جوعا ليدسد رمقه ورمق عياله ولذلك صار الجمالة يستجدون الحجاج في محلات
الامن وينهبونهم في خارجها اذ لم يبق لهم الا تلقيهم بعير الجمال برؤسهم اذ
يسوقونها والكرى الصافي « لسيدهم وسيد الجميع »

ويكفي ان اقول ان الاشراف عدد عديد وجلهم امي ومن يكتب ويقرأ
منهم فكتاباتهم ضعيفة كالمعبرانية ، ولا ارى الباحث يجد منهم من يخرج
عن حكم الامية ان انصف فضلا عن ان يجد منهم طالما او طارفا بأحوال الوقت ،
وقد عرفت بعض الاشراف وخضت معه فحاول ارسال اولاده الى مصر
ليتعلموا فتمهم من ذلك (مولانا المنقذ) وقال ان اعلى مدارس الدنيا تلك
الكتاتيب القذرة التي يقيمها بمكة لذر الرماد * هكذا وهكذا والا فلا لا *

الجنائيت الرابعة

معاملته للحجاج وسلب أموالهم

نحمد الله تعالى أن وفقنا لقول الصدق ، والتهام الحق ، ومنه أن
صرحنا مرارا بما ثبت عندنا من عناية الملك حسين بأمر الحجاج ما استطاع
مع مراعاة غاية الدقة واللطف فيما يناله منهم من المنفعة. وسبب هذا ظاهر
وهو أن جاهه وكرامته وثروته رهينة بتسهيل الحج وارضاء الحجاج ،
ولكن تسمية نفسه بملك العرب وسعيه الدائم لصدق التسمية اقتضيا منعه
أهل نجد من ارسال ركب للحج - كما أن سخط مسلمي الهند عليه وطعنهم
في سياسته البريطانية حملاه على ايداء حجاجهم كما روته مجلة الجامعة
الهندية المشهورة وغيرها - وحاجته الى الدراهم الكثيرة لجعل الحجاز
دولة عسكرية مستعدة لاختضاع الامارات المجاورة له في نجد واليمن
وتهامة وجعلها تابعة له (كما علم من كلامه في الوحدة العربية الذي نقلناه
في الوثيقة الخامسة) حملته على زيادة ما يأخذه على نقل الحجاج من مكان

الى آخره ، وعلى فرض ضرائب جديدة عليهم لا نحل له شرعا وهي أنواع :

الضرائب على الحجاج

(١) قد فرض على كل حاج ضريبة لا يؤذن له بدخول الحجاز الا اذا اداها لعماله وعند النزول في ثغر جدة أو غيره الا أن يكون قد دفعها لو كبله في القطر المصري ووقع له على جواز السفر باستيفائها منه وهذه الضريبة جنية انكايزي على من يجيء من الجنوب كاهل الهند وجاوه وغيرهم ونصف جنية على من يجيء من الشمال كمصر وغيرها أو تزيد فهو يجبي منها مئآت الالوف من الجنيهات في كل سنة

(٢) قد فرض على كل حاج ضريبة أخرى برسم الحجر الصحي ولها شروط مخصوصة مدونة باوراق رسمية

(٣) قد فرض عليهم ضريبة ناشئة يؤديها كل خارج من جدة قبل خروجه باسم الشهادة الطبية وقدرها ريالان مجيديان أو ٣٠ قرشا مصريا صحيحا ، ويعطى بها ورقة رسمية

هذه الضرائب تعد في حكم الشرع من أكل أموال الناس بالباطل المنهي عنه بنص القرآن ، وأخذها من الحجاج يعد من الاحاد في الحرم بالظلم وهي أولى بذلك مما ورد في الاحاديث المرفوعة والموقوفة في تفسير (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) كالاحتكار وتجارة الامير وقد تقدم — وتعد أيضا من الصد عن المسجد الحرام فان من الفقهاء من لا يستطيع دفعها على أن بعض الفقهاء قالوا بسقوط الحج عن تصادر أمواله بسببه ولاجل انتفاع الملك من هذه الضرائب أسس محجرا صحيحا يكره

الحجاج على الدخول فيه ولا يمتد بدخولهم قبله في الحجر المصري في الطور من جهة الشمال والحجر البريطاني في قران من جهة الجنوب مع العلم بأنه عاجز عن اتقان محجره كاتقانهما . هذا اذا فرضنا أنه فوض أمر محجره الى أطباء ثقات ولم يكن له رأي ولا أمر في أعمالهم الفنية المحضة ، أما اذا كان الحجر يدار برأيه فهناك البلاء المبين ، اذ يخشى أن يمنع بعض الادوية المتفق عليها بين الاطباء ويستبدل بها بعض محربات أو ماء زمزم الذي صرح في جريدته القبلة بأنه شفاء من كل داء وان كان مشوبا بقدر المصابين بالهيضة البوائية وأمثالها من الامراض التي أجمع أطباء هذا العصر من مسلمي جميع الشعوب ومن غيرهم على أنها معدية، وان أسباب العدوى فيها ثابتة بالتجربة وبالمشاهدة بالمناظر المكبرة

ثم إنه لاجل هذه المنافع المالية بينه وبين الدولة البريطانية قد وضعا لها مواد في مشروع المعاهدة البريطانية الحجازية أو العربية ليقاسما المنفعة على ما في هذا العمل من التضييق على الحجاج وتنفيرهم من الحج ، وقد بينا في تعليقنا على هذه المواد ما فيها من الضرر على الحجاج والدلالة على كون الحجاز تحت سيادة الانكليز

أجور نقل الحجاج

(١) جعل أجرة الجمل بين الحرمين الشريفين أربعة عشر جنيتها انكليزيا وريالين مجيديين يأخذونه نصفها أو أكثرها والباقي لصاحب الجمل ولسائقه ولمن يتبعهما في خدمة الحجاج كالمطوف . وهو يساوم أصحاب الجمال فمن كان منهم بليداً جباناً يأخذ منه أكثر مما يأخذه من الجريء المحادل

وهو يأخذ على كل جمل ينقل الحجاج من جدة الى مكة والعكس ومن مكة الى عرفة والعكس نصف جنيه مصري أو أكثر - فهو بهذا يأخذ من كل حاج جنبيين من هذا الباب وحده وذلك انه جعل اجرة الجمل جنبيها يأخذ صاحبه ربه في الغالب والباقي للملك ، وان من الحجاج من يحتاج كل واحد منهم الى جمل خاص لا جمل حمل زاده ومتاعه فان حجاج جاوه يحملون كل ما يحتاجون اليه من الزاد من بلادهم . والحجاج جاوه معاملة خاصة وذلك ان لهم بمكة مطوفين يسمون مشايخ الجاوه وهم يتولون خدمتهم في مسكنهم وتنقلهم وكان الشريف أو الملك قد جعل لهم على كل حاج ثلاثة جنيهات ونصف انكليزية يأخذ منها لنفسه جنبيها واحداً وقد سمح لهم منذ سنتين بأخذ اربعة جنيهات ونصف من كل حاج على أن يكون له اثنين منها . وقد بلغ حجاجهم في الموسم الماضي ٣٥ الفا

ولولا مقاسته لاصحاب الجمال لا يمكنه جعل أجور نقل الحجاج رخيصة جدا ، ولكن هذه شنشنة قديمة له ولسلفه وما هي بالجديدة

الامن في الحجاز

هو والحق يقال يعني بحفظ الأمن في المنطقة التي ينفذ حكمه فيها من جدة الى مكة الى عرفات ولكن لا تفوذله ولا سلطان على الاعراب بين الحرمين الشريفين ، وانما الوسيلة لتأمين الطرق هنالك واحسدة وهي بذل مبالغ معينة من المال لهم بدلا مما كانوا يأخذونه من الدولة العثمانية والحكومة المصرية

وقد كان الشريف وعدمهم عند دعوتهم الى الثورة والخروج معه على الدولة بأنه يعطيهم تلك المخصصات مضاعفة . وكانت الاموال

الانكليزية في مدة الحرب تغدق عليه إغداقا فكان يفيض عليهم منها ويرضيهم، ثم أعطى قليلا وأكدى — أي منع الباقي — وهم يعلمون أنه أخذ باسم ثورتهم عشرات الملايين من تلك الجنيهاً، وأنه ما زال يأخذ الاموال من الحكومة المصرية، وأنه يأخذ أكثر أجور نقل الحجاج بغير حق، فلم يجدوا بدا من مطالبة الحجاج ببعض نصيبهم من ذلك وبيان سببه لهم. وقد بلغنا أنهم كانوا في الموسم الاخير (سنة ١٣٤١) يعطون الحجاج سندات بما أخذوا منهم ويحولونهم به على الملك حسين ليدفعه لهم من الاموال المستحقة لهم عنده بحسب الاتفاق معه المبني على التعامل السابق، وهم يرون أن أخذ المال منهم كآخذ منه، إذ كان من الواجب عليه المحافظة على أموال الحجاج وأنفسهم وضمان ما يؤخذ منهم — وهو قد أعلن في جريدته أنه يعطي ذلك ولكنه أوعز الى المطوفين بأن ينصحوا لمن أخذ منهم المال بأن يتغنفوا عن تكليف الملك دفعه فكان نصيبهم مقبولا

كان الزوار في الموسم الماضي يدفعون لكل قبيلة ما تطلبه منهم وأقله ريالان مجيديان وهو ما كان يأخذه بنو عوف الذين لم يكن لهم مرتبات على الدولة وأما أصحاب المرتبات الرسمية كقبائل الاحامدة فقد كانوا يأخذون من كل حاج من ٢٠ — ٢٥ ريالا مجيديا ومن حجاج إيران خاصة ستين ريالا مجيديا وقد كان من جملة الزائرات الاميرة الافغانية زوجة الامير عبد الرحمن خان جد أمير الافغان لهذا العهد، وقد أوقفها الاحامدة في الطريق أياما حتى اقتداها جلاله الملك المنقذ حامي الحرمين الشريفين بالفني جنييه وخمسمائة جنييه أرسلها اليهم من مكة. ولا بد أن تكون الاميرة قد أعادتها اليه مع الهدايا الالائقة

هذا ما كنا كتبناه منذ بضعة أشهر مما جاءنا عن موسم سنة ١٣٤١
وتريثنا في نشره ، وقد حدث في أثناء العام انتحاله لمنصب الخلافة فصار
خطره أشد ، والسمي لتلافيه أوجب ، ونبين ذلك بالاجمال فنقول :
(له بقية)

باب الانتقاد على المنار

تحريم المسئلة على الكتابي

بقية مافي ص ٢٢٢ من ج ٣ م ٢٥

دين الله على السنة ورسوله واحد وما الاسلام إلا اصلاح وتكميل للشريعة
الموسوية الشديدة الوطأة الخاصة بشعب واحد في تاريخ خاص وتكميل للآداب
المسيحية الشديدة المبالغة في الفضيلة لما كان عليه الروم واليهود من المبالغة في الطمع
والشهوات ، فأجدر باهل الكتاب اذا عرفوا الاسلام حق المعرفة بمعاملته
إياهم بالعدل والحرية والالفة ، أن يعرفوا بفهمهم له انه هو دين انبيائهم الذي
نسوا حفظا منه وحرفوا شيئا منه ، وان الله تعالى اكمله لهم بحسب سنته تعالى
في الترقى الانساني كما بشروهم به ، ففي الانجيل ان المسيح عليه السلام صرح بأنه
لا يستطيع ان يقول لهم كل شيء لعدم استعدادهم وعدم حرية حكومتهم ،
ولكن سيأتي بعده روح الحق الذي يقول لهم كل شيء أي لظهوره في امة حرة
ولاعداد الله الامم كلها لاستقلال الفكر ، وكذلك فعل غير المتعصبين الموثقين
بالتقليد ، وقد آمن بهذه المعاملة ألوف الالوف من المستقلين الذين قال الله تعالى
فيهم (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يحبونه مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) الآية ، ولو أن المسلمين
يدعون اليه في شعوب الافرنج دعوة صحيحة تؤيدها افعالهم واخلاقهم لدخل
الناس فيه افواجا الشدة الحاجة الى الدين المعقول الذي يتفق مع العمران في هذا العصر
بعد ظهور مفسد النعالم المادية ولقوة استقلال أفكار تلك الشعوب الغربية
ولو اعطي مشركو العرب هذه الحرية وعوملوا هذه المعاملة لبقيت عبادة

الاصنام سائدة في جزيرة العرب كلها ، وفي مكة نفسها . ونتيجة ما شرحناه ان التسوية بين المشركين واهل الكتاب باطلة لاتصح بحال ، ويترتب عليه ان ما ورد في المشركين من النصوص لايجري على اهل الكتاب بذلك النص بل يحتاج اجراؤه عليهم الى دليل آخر

وما نقل مخالفنا لهذا التحقيق من بعض الآثار أو اقوال العلماء فهو إما خاص باناس باعيانهم أو ناسا هل في اطلاق الخاص على العام فيما يرى المطلق له أن الحكم في العام والخاص واحد ، وقد يكون مخطئاً في ذلك وقد يكون مصيباً حكم الزوجية مع اختلاف الدار والدين

بقي ادعاء المنتقد ان آية الممتحنة (فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) نص أصولي في المسألة وهي قد نزلت عقب صلح الحديبية في النساء المؤمنات اللاتي هاجرن من بلاد الشرك الى دار الاسلام والهجرة وطلبهن أزواجهن ، نهى الله تعالى عن إرجاعهن الى الكفار في دار الشرك عملاً بما اشترطوه في الصلح من إرجاع من يجيء النبي (ص) منهم مسلماً تخصيصاً لعموم الشرط بجعله للرجال المحاربين ، وسورة الممتحنة نزلت بعد سورة البقرة التي حرمت المؤمنات على المشركين فهي في واقعة معينة مع المشركين سبق فيها نص قطعي فبنيت عليه فالمراد بالكفار فيها المشركون بدليل نزولها في واقعة معهم وسبق بيان حكم الله تعالى في تحريم مناكحتهم بعد ان كانت مباحة قبل نزول التحريم في المدينة والاصل في وقائم الاعيان أنها لا عموم لها فان تسامحنا وقلنا بجواز صومها فلا يمكن أن نقول إنه نص أصولي قطعي والاحتمال قائم وقد صرح المفسرون بنزولها في المشركين خاصة وهو مروي عن مجاهد كما في صحيح البخاري . وقد اختلف الفقهاء في الموجب لفرقة المرأة من زوجها في مثل هذه الحالة هل هو اسلامها أو هجرتها ؟ فقال أبو حنيفة ومن وافقه هو اختلاف الدارين اذ لم يكن النبي (ص) يفرق بين المرأة التي تسلم وبين زوجها المشرك في الدار الواحدة كمكة وقد أطل الامام الجصاص الحنفي في ترجيح هذا القول في تفسير الآية من كتابه أحكام القرآن . وقال الجمهور ان الموجب لذلك الايمان ، قال ابن العربي بعد ذكر هذا الحكم في كتابه أحكام القرآن : (المسألة التاسعة) (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتينكموهن أجورهن) يعني اذا أسلمن وانقضت عدتهن لما ثبت من تحريم نكاح المشركة والمعتدة فعاد جواز النكاح الى حالة الايمان ضرورة

(المسألة العاشرة) قوله (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) هذا بيان

لامتناع نكاح المشركة من جملة الكوافر وهو تفسيره والمراد به قال أهل التفسير أمر الله تعالى من كان له زوجة مشركة أن يطلقها وقد كان الكفار يتزوجون المسلمات والمسلمون يتزوجون الكافرات ثم نسخ الله ذلك في هذه الآية وغيرها. اهـ المراد منه

فهذا المفسر المحقق القائل بأن علة التحريم إيمان المرأة يقول ان الآية خاصة بنكاح المشركة من جملة الكوافر ومثله قول البيضاوي في تفسير (ولا تمسكوا بعصم الكوافر قال «والمراد نهى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات» والاول أصرح في التخصيص. وكل منهما يؤيد قولنا إن كلمة الكفار والكوافر لا عموم لها هنا وإنما هي خاصة بأهل الشرك من الكفار فإن ساغ لنا أن نردها هذا القول فلا يمكن أن نعلل الرد بأن العموم فيها نص أصولي لا يحتمل غير هذا المعنى. ويؤيد هذا ما قرره المنتقد من الروايات في الاستدلال على تحريم المسلمة على الكتابي بالسنة فكانت حجة عليه لاله وهي

(١) ما رواه البخاري عن ابن عمر من تحريم النصرانية وتعليقه بأنها مشركة وقد تقدم أنه أثر شاذ يخالف لأجماع الصحابة ونص آية المائدة، وقد صرح بهذا القسطلاني وغيره من شراح البخاري وذكروا في رده أيضاً أن بعض السلف قالوا إن المراد بالمشركات في آية البقرة عبدة الاوثان - وقول من قال من العلماء إن الذين قالوا من اليهود والنصارى العزيز ابن الله والمسيح ابن الله طائفتان منهما لا كلهم - فهل يدخل عند المنتقد في مفهوم السنة رأي شاذ لصحابي أجمع للسلف والخلف من أهل السنة على رفضه وغلظه في تأوله الآية له ؟؟

(٢) ما رواه البخاري في باب (نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن) عن ابن عباس قال: كان المشركون على منزلتين من رسول الله (ص) والمؤمنين - كانوا مشركي أهل حرب يقاتلهم ويقاتلونهم، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونهم. . . (قال المنتقد) فلم يذكر ابن عباس قسماً ثالثاً للمشركين فدل على أن أهل الكتاب منهم ونقول إن ابن عباس لم يذكر قسماً ثالثاً لأن أهل الكتاب ليسوا من صنف المشركين وإلا لجمعهم ثلاثة أقسام الثالث أهل الذمة الذين أقرهم (ص) على دينهم وعقد بينهم وبين من يجاوره منهم اتفاقاً معروفاً في كتب الحديث والسير فلمراجعة في الهدى النبوي ليعلم الفرق بين معاملته لهم ومعاملته للمشركين

(٣) ما ذكره البخاري عن ابن عباس تعليقا لا مسندا كما توهم المنتقد في (باب اذا اسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي) وهو حجة عليه بمطاف النصرانية على المشركة فان لمطاف يقتضي المغايرة

واما المسألة أو المسائل التي أورد البخاري هذه الآثار فيها فهي ما تقدم آنفا في الكلام على آية الممتحنة من الخلاف في المسألة اذا هاجرت من دار الحرب الى دار الاسلام هل ينقطع نكاحها اذا كانت متزوجة حالا أو بعد انقضاء العدة أو يستمر الى ما بعد ذلك بحيث اذا أسلم زوجها وهاجر تحمل له بالنكاح الاول ؟ وهل الا تقطاع باختلاف دار الحرب أم باختلاف الدين ؟ ويتبعها ما هو أهم منها وهو الحكم في اسلام المرأة قبل زوجها ولو في دار الاسلام ومذهب البخاري في هذا الباب موافق لما نقله عن عطاء ومجاهد من كون انقطاع النكاح باختلاف الدين . وهو قد نقل في هذا الباب عن مجاهد أن آية الممتحنة نزات في العهد الذي كان بين النبي (ص) ومشركي مكة — ولم ينقل المنتقد هذه الجملة عنه (! !) ومن أهم ما ورد في السنة في أصل المسألة ما رواه احمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس أن النبي (ص) رد ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع بالنكاح الاول بعد سنتين وفي رواية ست سنين من اسلامها ولم يحدث عقد جديد ولا صداقا — قيل إن رواية ست سنين هي ما بين اسلامها و اسلامه ورواية سنتين ما بين نزول آية التحريم و اسلامه ، وبمحتمل أن يكون مرادهم بآية التحريم آية البقرة وهي لا تنافي قول أهل السبر انه اسلم قبل صلح الحديبية . والنحقيق في حكم المسألة كما قال ابن القيم أن الكافرة اذا اسلمت وبقي زوجها كافرا يكون نكاحها موقوفا الى انقضاء العدة فان انقضت ولم يسلم كان لها أن تزوج فان احبت انتظاره واسلم بعد انقضائها كانت زوجته بالمقد الاول وأما ما ذكر في هذه الآثار من تحريم المسلمة على الكتابي فليس من نصوص الكتاب ولا من نصوص السنة ، فهو ليس من موضوع انتقاده علينا إذ لسنا نحمل المسلمة للكتابي ، ولو كان لإثبات تحريمها عليه مقصودا على هذه الآثار لكان في غاية الضعف

أدلة تحريم المسلمة على الكتابي

قلنا في تفسيرنا لقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) ما نصه :
وأما الكتابيات فقد جاء في سورة المائدة أنهم حل لنا رسكت هناك
عن تزويج الكتابي بالمسلمة وقالوا — ورضيه الاستاذ الامام — إنه على

أصل المنع وأيدوه بالسنة والاجماع . ولكن قد يقال ان الاصل الاباحة في جميع لجاء النص بتحريم المشركين والمشركات تغليظاً لامر الشرك ، وبحل الكتابيات تألماً لاهل الكتاب ليروا حسن معاملتنا وسهولة شريعتنا ، وهذا إنما يظهر بالتزوج منهم لان الرجل هو صاحب الولاية والسلطة على المرأة فاذا هو احسن معاملتها كان ذلك دليلاً على أن ما هو عليه من الدين ، يدعو الى الحق والى طريق مستقيم ، واما تزويجهم بالمؤمنات فلا تظهر فيه هذه الفائدة لان المرأة اسيرة الرجل ولا سيما في ملل ليس للنساء فيها من الحقوق مثل ما اعطاهن الاسلام — فقد يصح ان يكون هذا هو المراد من النصين في السورتين . واذا قامت بعد ذلك ادلة من السنة او الاجماع او من التعليل الآتي لمنع مناكحة اهل الشرك على تحريم تزويج الكتابي بالمسلمة فلها حكمها لا محلاً بالاصل او نص الكتاب بل محلاً بهذه الادلة اهـ (ص ٣٥٥ ج ٢ تفسير) وتقول الآن اما كونه غير عمل بالاصل فلان المسلمين كانوا يتزوجون بالمشركات قبل نزول الآية — واما كونه غير عمل بالنص فالمراد به القطعي وهو موضع الخلاف وقد بينا وجهه ودفعنا الشبهات عنه . واما التعليل الذي قلنا انه يؤيد السنة والاجماع في تحريم المسلمة على الكتابي فهو قوله تعالى (اولئك يدعون الى النار) وقد بينا في تفسير الآية انه يتحقق في تزويج الكتابي بالمسلمة دون تزويج المسلم بالكتابية فراجع في محله (ص ٣٥٩ منه) ويجوز أن يستدل على ذلك بقوله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) وهو ليس نصاً قطعياً في المسألة لا ظاهراً فيها ولكنه دليل صحيح يثبت الحكم مع عدم معارضته بنص اقوى منه .

واذا كان المنتقد لا يرضيه من الادلة على حظر تزويج المسلمة للكتابي السنة المتبعة واجماع الامة والقياس الجلي المأخوذ من العلة المنصوصة في القرآن وان شئت قلت وغوى القرآن وبعض الظواهر العامة — بل يطلب عليه نصاً اصولياً لا يحتمل التأويل فهذا التزام لم يلتزمه أحد من السلف ولا من الخلف في شيء من أحكام الدين العملية ، فهذه هيئة الصلاة التي هي عماد الدين لم ترد في نصوص القرآن القطعية ولا غير القطعية فأين النص فيه على ان الصلوات خمس واحدة منها ركعتان وواحدة ثلاث ركعات والبواقي رباعيات؟ واين النص فيه على توحيد الركوع وتثنية السجود؟ وانما ثبتت هذه الاركان بالسنة والاجماع . والفقهاء متفقون على

ان احكام الفروع تثبت بالادلة الظنية ، ومرادهم بالفروع ما يتعلق بالعمل من عبادات ومعاملات لا ما فهمه المنتقد ، وقد زاد هذا الرد على ما قدرنا فحسب أن يكون مقنعا له ، ووفقنا الله تعالى وإياه لاتباع الحق في كل حال .

﴿ موقف العالم الاسلامي مع الجمهورية التركية ﴾

ان كل ما قرر في الجمعية الوطنية للجمهورية التركية من إلغاء الخلافة والمحاكم الشرعية والتعليم الديني والاقواف قدحف في أثناء المناقشة بتأويلات وتمويهات مما لفقه سيد بك وامثاله لاقناع المتدينين من اعضائها أو إلزامهم بالحجة بأنه لا ينقض شيئا من عرى الاسلام ولا يهدم شيئا من أركانه وانما هو اصلاح لحال الامة التركية اذا لم يوافق لصوص الشرع فانه يوافق مقاصده والظاهر أنهم تحروا في انتخاب الاعضاء أن لا يكون فيهم أحد من علماء الشرع الاعلام، الجامعين بين قوة الايمان وطلاقة اللسان وجراءة الجنان، اذ لم ينقل اليئا عن أحد منهم دفاع يدل على ذلك

ولما كانت هذه التأويلات الخادعة مضلة للمسلم الجاهل، وشبهة للمنافق الضال، ومزلة للمحب الغال، وجب علينا أن نقندها، ونبين الحق الصراح فيها، كما فندنا بدعة الخلافة الروحانية التي بدؤا خطتهم بها، ونحن لا نكفر شخصا معينا الا بكفر بواح باجماع اهل الحق ، وانما نبين الاحكام ونترك تطبيقها الى القارىء ورأينا أنه يجب على العالم الاسلامي أن يزداد عظما على الشعب التركي وعناية بأمره ودفاع عنه، وأن لا يقصر في الدفاع عن حكومته أيضا فيما تختلف فيه مع الاجانب، وليكن من أكبر الجنايات عليه وعلى الاسلام أن يتأولوا لهذه الحكومة ويواتوها في أي عمل من الاعمال التي تضعف الدين أو الشرع في هذه الامة بل من أكبر المحرمات ان يسكتوا لها عن شيء من ذلك كما كان يفعل أكثرهم من قبل في الدفاع عن السلطان عبد الحميد ثم عن الاتحاديين الذين تغلبوا عليه وخلصوه فكانوا شرا منه، وقد خلفهم السكاليون فكان الافتقان بهم أشد منه بمن قبلهم، ولم يلبثوا أن هتكوا الستر فانقلب العالم الاسلامي كله عليهم، وبعد ان أشبعوهم طمنا ولعنا وتكفيرا عاد بعضهم الى نوط الآمال بهم ، والتأول لهم ، والرضى منهم بأسماء يسمونها ما أنزل الله بها من سلطان

هذا النوع من المحبة والعطف الذي جرى عليه الكثيرون من مسلمي الهند ومصر وتونس قد أضر الترك ولم ينفعهم ، وهو هو الذي أنطق عصمت

باشا بأن العالم الاسلامي لم يكن يعطف على الدولة التركية ويظهرها لانها دولة الخلافة بل لانها قوية ، وقد أنكر عليه الكثيرون هذه الكلمة وعدوها من الغرور ، وهو فيها معذور أي معذور ، فان العالم الاسلامي لم يكن يشعر بخلافة العثمانيين في وقت من الاوقات كما يشعر بها في عهد السلطان عبد الحميد ، ولم يلقب أحد بالخليفة في الجرائد والقصاصات غيره أو مثله ، ثم أسقطته جمعية ماسونية إلحادية ونصبت بعده آخر لم تجعل له أمراً ولا نهياً ، فلم تر من العالم الاسلامي الا مدحاً وإعجاباً ، ثم جاءت شيعة السكالية فجعلت الحكومة جمهورية ، وأزالت سلطة الخلافة من الدولة ، ولكنها سخرت من هذا العالم الاسلامي بتسمية خليفة أخذت عليه اليهود والموائيق بأن لا يكون خليفة فرضي ، فصفق لها الجماهير ، وقالوا إن هذه إلامخلافة الراشدين !!

ومن العجيب ان بعض المتحكيين بالسياسة من المسلمين لا يزالون يحدون كل ما تفعله بشرط ان تحافظ على بعض الالفاظ الاسلامية محافظة رسمية كأن نسمي الحكومة الجمهورية التي تعطي جمعيتها الوطنية حق التشريع والتنفيذ بلا شرط ولا قيد «حكومة الخلافة» - وتسمي إلغاء المحاكم الشرعية توحيداً للقضاء ، وإبطال المدارس الدينية تنظيماً للمعارف . . . ولا يعقل لهذا سبب الا الاعتزاز بالقوة ولو وهمياً ، ومن هؤلاء السياسيين من يفهم الحقائق ولكنهم كانوا قد ألقوا انفسهم في ورطة ثم راوا انفسهم عاجزين عن الخروج منها بغير التأويل لمصطفى كمال وشيعته كل ما يفعل الا إلغاء كلمة «خلافة» !!!

(تصحيح او تنقيح)

عند جم ما نشر من التفسير في هذا الجزء وما قبله وطبعه على حديثه صححنا ونقحنا بعض عباراته وقد تكرر ولا يزال يتكرر مثل هذا فلا نضعه في تصحيح اغلاط المنار وقد اعدنا النظر في فتوى الخلافة فصححنا ونقحنا فيها ما يأتي :

حذف في السطر ١٣ ص ٢٦٠ عبارة «من قبل جماعة» لان هذه الاجوبة يقولها كل احد وحذف من س ٢١ و ٢٢ منها جملة : وربما يدل الخ ووضع بدلها : وقد استدل الحافظ بامامة اليمانيين على بقاء الامامة في قريش الى عصره وكانوا زيدية فيراجع في شرح حديث «لا يزال هذا الامر في قريش . . .» من شرحه للبخاري وحذف من س ٢٤ ص ٢٦٤ «اولا ولا ثانيا لهذا» ووضع بدلها «لاجل السمع والطاعة» فيحسن بكل قارئ ان يصحح نسخته بما ذكر

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ

المحكمة

١٣١٥

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّقُونَ مِنْهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
وَأُولَئِكَ هُمُ أُولَ الْأَلْبَابِ

قال عليه الصلاة والسلام انه لا سلام ضوى « ومارا » كمارا الطريقه

٢٩ ذي القعدة ١٣٤٢ — ١٠ الجوزاء ١٣٠٣ — ٢ يوليه ١٩٢٤

فتاوى المنار

(الدعاء للميت في الصلاة واستغفار المؤمنين لمن سبقهم بالآيمان)

واستغفار الرسول (ص) للنائبين ولبفسه ولغيره من المؤمنين

(ص ١٧ - ٢٠) من صاحب الامضاء في وتفريلين (جاوه)

حضرة الفاضل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أقدم اليكم السؤال الآتي أرجو منكم الجواب ولكم الاجر والثواب
ما قولكم في الدعاء على الميت (؟) في التكبيرة الثالثة والرابعة من الصلاة على
الميت ؟ وفي قوله تعالى : (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالآيمان) ؟
وفي قوله تعالى (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ
ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)
سؤالي مخصوص في استغفار الرسول لهم ؟

وفي قوله تعالى : (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات)
أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لنفسه ولايته مع انه
مغفور له : أما ذلك ليستنوا به ويقتدوا به ؟

أفتونا مأجورين — والسلام

انشروا الجواب على صفحات مناركم الغراء
الجواب

الدعاء للميت في تكبيرات الصلاة عليه

(ج) أما الدعاء للميت — لا عليه — في التكبيرة الثالثة والرابعة فهو
مشروع فقد روى العافى في مسنده عن أبي أسمة بن سهل انه أخبره رجل من
أصحاب النبي (ص) أن السنة في الصلاة على الجنائز ان يكبر الامام ثم يقرأ بفاتحة

الكتاب بعد التكبيرة الاولى سرا في نفسه ثم يصلي على النبي (ص) ويخلص الدعاء للجنة اذ في التكبيرات ولا يقرأ في شيء ممن ثم يسلم سرا في نفسه. وأخرج نحوه الحاكم من وجه آخر وأخرجه ايضا النسائي وعبد الرزاق قال الحافظ في فتح الباري واسناده صحيح وليس فيه قوله بعد التكبيرة الاولى ولا قوله ثم يسلم سرا في نفسه

الاستغفار للسابقين الاولين

واما قوله تعالى (ربنا اغفر لنا) الخ فلم يذكر السائل وجه السؤال عنه وهذا الآية قد جاءت بعد آيتين في وصف المهاجرين والانصار رضي الله تعالى عنهم ويعلم المراد منها بايرادها فذكر الثلاث من سورة المشروهي : (الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبرؤا للدار والايان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأرائك هم المفلحون * والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم *)

جعل الله تعالى المؤمنين ثلاث درجات (الاولى) المهاجرون وهم السابقون الى الايمان والنهوض بنصر الرسول (ص) على نشر دعوته ومعاداة اهلهم واقوامهم في هذه السبيل سبيل الله عز وجل على ضعفهم وقوة قوتهم (الثانية) الانصار الذين أظهر الله تعالى هذا الدين وأيده بهم (الثالثة) الذين جاؤا من بعدهم وهم سائر المؤمنين وصفهم الله تعالى بهذا القول الدال على علمهم بنضل السابقين الاولين عليهم وقدرهم قدرهم حبهم والدعاء لهم ، وهو يتناول سائر مؤمني ذلك العصر من الصحابة وغيرهم كمن آمن في عصره (ص) ولم يره ويشتمل من بعدهم ان شاء الله تعالى بمشاركتهم في وصفهم المذكور انفا وقيل هو خاص بهؤلاء روى الحاكم وصححه وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص (رض) انه قال : الناس على ثلاث منازل قد مضت منزلتان وبقيت منزلة فأحسن ما أنتم كأنتون عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت — ثم قرأ الآيات الثلاث

وروي ابن مردويه عن ابن عمر انه سمع رجلا يتناول بعض المهاجرين فقراً عليه (لا فتراً المهاجرين) — الآية — ثم قال هؤلاء المهاجرون فمنهم أنت ؟ قال لا . ثم قرأ عليه (والذين تبوءوا الدار والايمان) — الآية — ثم قال هؤلاء الانصار أفأنت منهم ؟ قال لا . ثم قرأ عليه (والذين جاؤا) الآية وقال : من هؤلاء أنت ؟ قال أرجو ، قال لا . ليس من هؤلاء من بسب هؤلاء . وفي رواية أخرى عنه انه بلغه ان رجلاً يسب عثمان فدعا فاقعده بين يديه فقراً عليه هذه الآيات كما تقدم فقال الرجل بعد الأخيرة : أرجو ان أكون منهم — فقال ابن عمر لا والله ما يكون منهم من يتناولهم ويكون في قلبه الغل عليهم . ووصفه تعالى لاهل الدرجة الثالثة من المؤمنين بذلك شهادة لمن كانوا في عهد نزول الآيات بذلك وارشاد لمن بعدهم أو أمر بان يكونوا كذلك ليدخلوا في هذه الخظيرة الايمانية الشريفة . وقد قال الضحاك أمروا بالاستغفار لهم وقد علم ما أحدثوا — يعني ما أخطأ به بعضهم في عهد الفتنة اهـ . وذلك ان هؤلاء أحوج الى الاستغفار لهم ، والمؤمن الصادق في الايمان يحب ان يغفر الله تعالى لآخوانه المؤمنين اذا أذنبوا كما يحب ان يغفر له ولأولاده ولاخوته اذا أذنبوا ولا ينطوي على الغل والحقد عليهم ولا يقطع اخوتهم وقد قال (ص) « لا يؤمن احدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه » رواه احمد والشيخان وأصحاب السنن ما عدا أباداود عن أنس (رض)

وروي عن بعض السلف ومنهم الامام مالك ان هذه الآية في النابيين ومن بعدهم واسندل بها مالك على ان من سب الصحابة فلا حق له في الفى فان الآية نزلت في قسمة الفى . وجملة القول ان من شأن المؤمنين التحاب والتواد والرافة والرحمة (اشداء على الكفار رحماء بينهم) ومنه نصيحة من حضر والاستغفار لمن غفر ، ومن رأيت يحمل عليهم الغل ويذكرهم بالسوء فهو منافق

استغفار الرسول لمن تاب من المنافقين

وأما استغفار الرسول (ص) لمن ذكر في الآية فلم يبين السائل مراده منه أيضاً ، وهو في نفسه ليس محل اشكال فالاستغفار دعاء وهو مطلوب شرعاً ودعاء الرسول فالامثل من المؤمنين الصالحين ارجى للقبول ولعل وجهه المطلوب بيان

٣٥٠ استغفار الرسول لقبول توبة المنافقين المنار : ج ٥ م ٢٥

حكمة ضم استغفاره (ص) الى هؤلاء التائبين المشار اليهم في الآية وكونه لم يكتف في توبتهم باستغفارهم كسائر المذنبين وقد سبق لنا بيان هذه النكتة والحكمة في تفسير الآية من سورة النساء ونمهد له هنا بان نقول :

(أولا) ان الذين نزلت فيهم هذه الآية هم الذين قال تعالى فيهم قبلها (٥٩ : ٤) الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به (الخ (وثانيا) ان هؤلاء كانوا من المنافقين وكانت رغبتهم عن التحاكم الى رسول الله (ص) وإيثارهم التحاكم الى الطاغوت اظهاراً للكفر والعصيان فكان لابد في قبول توبتهم من اعتداد الرسول (ص) بها وحكمه بصحتها واستغفاره لهم بأن يقبلها الله تعالى منهم لتظل احكام الاسلام جارية عليهم وليست كالمعاصي الشخصية التي يكره الشرع اظهارها ويكتفي من صاحبها بتوبته في خاصة نفسه . وقد كان بعض المنافقين يطالبون استغفار الرسول (ص) في امثال هذه الذنوب المتعلقة بالمصالح العامة ومنه قوله تعالى (سيقول لك المخافون من الاعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بالسنة هم ما ليس في قلوبهم) وربما دعي بعضهم الى ذلك ارشادا له واختبارا لايمانه فأبى (واذا قبل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو رأيتهم يصدون وهم مستكبرون)

بعد هذا التمهيد نقل ما كتبناه في تفسير الآية (من ص ٢٣٤ ج ٥ تفسير) وهو :
وانما قرن استغفارهم الذي هو عنوان توبتهم باستغفار الرسول (ص) لان ذنبهم هذا لم يكن ظلماً لانفسهم فقط لم يتعد منه شيء الى الرسول فيكفي فيه توبتهم بل تعدى الى اذاء الرسول من حيث انه رسول له وحده الحق في الحكم بين المؤمنين به ، فكان لابد في توبتهم وندمهم على ما صدر منهم أن يظهروا ذلك للرسول ايصفح عنهم فيما اعتدوا به على حقه ، وادعوا الله تعالى ان يغفر لهم اعراضهم عن حكمة ، ومن هذا البيان تعرف نكتة وضع الاسم الظاهر موضع الضمير اذ قال « واغفر لهم الرسول » ولم يقل « واغتفرت لهم » فان التوبة عن المعاصي المتعلقة بحقوق الناس لا تكون مقبولة ولا صحيحة الا بعد استرضاء

صاحب الحق . وجل بعض المفسرين نكتة وضع الظاهر موضع الضمير اجلال
منصب الرسالة والايذان بقبول استغفار صاحب هذا المنصب الشريف وعدم
رد شفاعته والظاهر ما قلناه ، والمصعب هو هو في شرفه وعلوه ، ولكن الله لا
يعفو المنافقين اذا لم يتوبوا وان استغفر لهم الرسول لان الله تعالى قال له فيهم
« استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » والآية
ناطقة بأن التوبة الصحيحة تكون مقبولة حتما اذا كانت شرائطها ، وظاهر الآية
ان منها ان تكون عقب الذنب كما يدل الشرط والعطف بالفاء وهو بمعنى « ثم
يتوبون من قريب » وتقدم تفسيره . وذكر الاستاذ الامام أنه تعالى سمى ترك
طاعة الرسول ظلما للانفس أى افسادا لمصلحتها لان الرسول هاد الى مصالحة
الناس في دنياهم وآخرتهم ، وهذا الظلم يشمل الاعتداء والبغي والتحاكم الى
الطاغوت وغير ذلك . والاستغفار هو الاقبال على الله وعزم التائب على اجتناب
الذنب وعدم العود اليه مع الصدق والاخلاص لله في ذلك . واما الاستغفار
باللسان عقب الذنب من دون هذا التوجه القلبي فليس استغفارا حقيقيا .

أقول يعنى ان ما اعتاده الناس من تحريك اللسان بلفظ « استغفر الله » لا
يعد طلبا للمغفرة لان الطالب الحقيقي ينشأ عن الشعور بالحاجة الى المطلوب فلا
بد ان يشعر القلب أولا بالالم المعصية وسوء مبعثها ، وبالحاجة الى التزكي من دنسها ،
ولا يكون هذا الا بما ذكر الاستاذ من التوجه القلبي الى الله بالصدق والاخلاص
والعزم القوي على اجتناب سبب هذا الدنس والمعصية ، وكيف يكون متألما
من القدر الحسي من آفة وعرض بدنه له اذا طلب غسله باللسان ، وهو لا يترك
الالتياث به ولا يدنو من الماء ؟

وقال في استغفار الرسول انكم تعلمون أن مشاركة الناس بعضهم لبعض في الدعاء
مسنونة وان من سنته تعالى ان يتقبل من الجماعة بأسرع مما يتقبل من الواحد ، فدعاء
الجماعة أرجى الاجابة وان كان كل داع موعودا بالاستجابة . وحقيقة الدعاء
اظهار العبودية والخضوع له تعالى ، والاجابة التي وعدها هي الاثابة وحسن
الجزاء فمقي اخلاص لداعي اجاب الله دعاءه سواء كان باعطائه ما طلب أو بغير

ذلك من الأجر والثواب ، وأما كانت المشاركة في الدعاء أرجى للقبول لأن الداعين الكثيرين لشخص يؤدون هذه العبادة بسببه أي إن ذنبه يكون هو السبب في شهورهم واحساسهم بهم بالحاجة إلى الله تعالى والخضوع له والاتحاد المرضي عنده فكان حاجته حاجتهم بهم . فإذا كان الرسول (ص) هو الداعي والمستغفر لائلك التائبين من ظلمهم لأنفسهم مع استغفارهم هم فذلك من اشتراك قلبه الشريف مع قلوبهم بالحاجة إلى تطهير الله لهم من دنس الذنب وطلب النجاة من عقوبته ونأهيك بقرب الرسول (ص) من ربه ، والرجاء في استجابة دعائه ، وأما اشتراط ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم فمعناه إن توبتهم لا تتحقق إلا إذا رضي عنهم رضاه كاملاً بحيث يشعر قلبه الرحيم بالموثنيين بحاجتهم إلى المنفرة لصحة توبتهم وإخلاصهم فذنبهم ذلك لا يغفر إلا بضم استغفاره (ص) لي استغفارهم وليس كل ذنب كذلك بل يكتفى في سائر الذنوب بنوبة العبد الذنب حيث كان والإخلاص لله تعالى اهـ

استغفار الرسول لذنبه

وأما استغفار الرسول (ص) لذنبه فإلهاماً فيه أقوال منها ما ذكر السائل وسبب الاشكال الذي أثار ذلك أن الأنبياء معصومون من المصايب وهي قاعدة قطعية يجب تأويل ما عارضها ، وظنوا أن منها أمر الله لخاتم رسله (ص) بالاستغفار لذنبه وليس منها في الحقيقة فإن الذنب أعم من المعصية كما حققناه في مواضع من التفسير وغيره فهو عبارة عما تكون له تبعاً أو عاقبة تستوخم أو تضر أو تنافي المصلحة وقال المحقق الراغب في مفردات القرآن : والذنب في الأصل الأخذ بذنب (بالتحريك) الشيء يقال ذنبته - أصبت ذنبه ، ويستعمل في كل فعل تستوخم عقباه اعتباراً بذنب الشيء ولهذا يسمى الذنب تبعاً اعتباراً لما يحصل من عاقبته اهـ فالذنب قد يكون قولاً وقد يكون عملاً بدنياً أو نفسياً وقد يكون أمراً سلبياً كترك ما ينبغي ، والتقصير فيما يضر التقصير فيه في المعاش أو المماد ، وهو أعم من المعصية فإنها خاصة بمخالفة ما أمر الله تعالى به أو نهى عنه ، وترى جميع الناطقين بالعربية يستعملون الذنب في هذا المعنى العام فيقول أحدهم لمن أساء

اليه أو قصر في شيء من حقوقه العرفية كحقوق القرابة والصدقة اني مذنب أو مستترف بذنبي فلا تؤاخذني . والانبيا عليهم السلام معصومون من عصيان الله تعالى فيما شرعه لهم أمن مروني ، وليسوا معصومون من كل عمل أو ترك قد تكون له عاقبة غير حسنة اذ لم يعلموا ذلك بل هذا من الاجتهاد الذي يجوز عليهم فيه الخطأ بمقتضى الطبيعة البشرية وانما قال العلماء ان الله تعالى يبين لهم هذا النوع من الخطأ اذا وقع ولا يقرهم عليه

ويؤيد هذا ما ورد في الكتاب العزيز من معاتبه الله تعالى خاتم رسله على أمثال هذه الذنوب وأمره بالاستغفار منها كقوله تعالى في سورة النساء (١٠٤:٤) إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ولا تكن للخائنين خصيما (١٠٥) واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيم (١٠٦) ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما) — الآيات — وسببها قضية أراد بعض المنافقين فيها أن ينجذعوا النبي (ص) ليحكم على يهودي بريء بالسرقة انتصارا لبعض المسلمين وكاد (ص) يصدقهم ويحكم على اليهودي وكان هذا هو الظاهر من الدعوى ومال قلبه (ص) اليه لان المسلمين كان يغلب عليهم الصدق واليهود بالعكس ، وكان المنافقون اكذب الكاذبين ، فنزلت الآيات مبينة له الحق في القضية ومنها اذنه (ص) لبعض المنافقين في التخلف عن الخروج معه الى غزوة تبوك حين استأذنوه في ذلك وكان وجه اجتهاده صلى الله عليه وآله وسلم صحيحا من وجه أيده القرآن بعد ذلك بقوله (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) الآية ولكن كانت المصلحة الراجحة أو أرجح المصلحتين أن لا يأذن لهم فعاتبه الله تعالى وبين له ذلك بقوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم ؟ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ومثل ذلك اجتهاده (ص) في فداء أسرى بدر الموافق لاجتهاد أبي بكر الصديق (رض) وكان العتاب عليه أشد وهو قوله تعالى (ما كان انبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض — الى قوله — لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)

وهذا الوجه لا ينافي بحكمة اقتداء الامة به (ص) وأن لا يدعي احد مهما تكن درجته في المعرفة والصلاح أنه لا ذنب له يستغفر الله منه - ولا قول من خرج المسألة على قولهم : حسنات الابرار سيئات المقرين . فان ما عد من ذنوب النبي (ص) لم يكن الا اجتهدا في إفاة الدين بحسب ما وصل اليه علمه وعلم الله تعالى فوق كل علوم خلقه ، فهو في نفسه حسنة له عليها أجر الاجتهاد ، وباعتبار آخر ذنب لا مصيبة ، وحسبنا هذا هنا فقد تكرر بسط المسألة في المنار

اسئلة في الهبة والميراث

من صاحب الامضاء — في كلوغ بنكوك نوى (سيام)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا للواحد الخلاق ، وصلاة وسلاما على سيدنا محمد أفضل الخلق على الاطلاق ، وعلى آله وصحبه أئمة أعلام الهدى في الانحاء والآفاق .

وبعد فيا حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا المحترم أرشدنا الله برشدك ، وأسعدك في الدارين ، ودمت مصباح النيرين ، وعلوت معالي الفرقدين ، آمين آمين سلام الله عليكم ورحمته وبركاته !

ولاي ! إني أنشرف أن أرفع لمسامع فضيلتكم أمرا أرجو أن تبينوا لي حكم الله تعالى فيه وهو ما يأتي :

(١) كان حضرة والدي العزيز رحمه الله تعالى قبل وفاته الى رحمة الله تعالى وهب من ملكه قطعة الارض هبة شرعية بلا عوض وهو صحيح عقلا وجسدا فذهب معي الى مصلحة الملك (Title deeds Department) طلبا من بعض موظفي هذه المصلحة أن يكتبوا اسمي على ملك الملكية (حجة الملك) لتحويل الملك فيها وجمלוه مكنوبا فيها وهم شاهدون على ذلك . وذلك بامضاء اسم والدي المرحوم واسمى فيها بتمام الايجاب والقبول لدى الشهود الموظفين في تلك المصلحة وهم متدينون بدين البودا !

(٢) ثم وهب لحضرة والدي المحترمة (زوجته الاولى) داره المبنية على

قطعة الارض المذكورة هبة شرعية بلا عوض وهو سليم العقل والجسم . وذلك بأن والدي المرحوم كتب لوالدتي العزيزة كتابا أمضى فيه اسمه على أنه قد جعل داره المذكورة مملوكة لوالدتي المحترمة بتمام الرضاء والايجاب والقبول ولكن لا شاهد على ذلك .

(٣) وقد اتفق والداي الكريمان علي شراء قطعة الارض من المزارع (Farm Yards) برأس مالها الذي قد استعاراه من الدير ويقضيان بما يستفيدانه من أجرات هذه المزرعة فالى الآن لم يتخلصا بينهما (كذا)

فلما توفي والدي الى رحمة تعالى حكم بعض علماء بلادى بأن قطعة الارض والدار الموهوبتين لانفسى ولوالدتي المحترمة لا تصح هبتهما وأن المزرعة لا تصح أن تملكها والدتي ولا يصح أن يقسم نصفها لحضرتها قبل أن تكون واقعة في الميراث بل تكون هذه الاشياء ثلاثة (أى قطعة الارض والدار والمزرعة) كلها مما تركه حضرة ولدي من ميراثه فيضمونها إلى تركته ليقسمها الزوجتية الاولى والثانية ولجميع أولاده من جهتهما .

فلذلك - يا سيدي الاسناذ المحلص - أحرر هذا راجيا من فيض علومكم وملككم من فضل فضيلتكم أن تشرفوني بالجواب الشافي والبيان الكافي فيما يأتي:

(١) هل تصح هبة قطعة الارض والدار للتبن وهبهما لي ولحضرة والدتي أم لا؟

(ب) هل تصح أن تكون قطعة الارض ملكا لي أم لا ؟

(ج) هل تصح أن تكون الدار مملوكة لوالدتي أم لا ؟

(د) هل تصح أن تكون قطعة الارض والدار مما تركه والدي أم لا ؟

(هـ) هل يصح أن نحصل والدتي على نصف الملك في المزرعة أم لا ؟

(و) هل تصح أن يقسم نصفها لحضرتها أم لا ؟

(ز) هل تصح أن تكون المزرعة كلها ميراثا أم لا ؟

فهل تسمعون لي بذلك فلكم مني خالص الشكر ومن الله جزيل الاجر والثواب

وأستسمحكم العفو عما زل قلبي من الخطأ والنسيان وسوء العبارة التي قد

تكون في كتابي هذا لاني مع صغري لفي دراستي للغة العرب

وختاماً أرجو سيدي المفضل أن يتفضل حضرتة بقبول عاطر سلامي
وفائق احترامي وإخلاصي

ولكم التخاص بالشرق الاقصى

محمد علي الكريمي

(ج) ان السؤال مجمل ولم يذكر السائل فيه ما بنى عليه بعض علماء بلده
إبطال الهبة والشركة في شراء الارض المذكورة ليعلم أصواب هو أم خطأ؟ وهل
هو مبني على الدليل أم على أحد المذاهب المتبعة في تلك البلاد؟ - فالهبة الموارث
في حال الصحة صحيحة وهي تنعقد باليجاب والقبول، ولكن يشترط في الموهوب
له أن يكون أهلاً للقبول والقبض بصحة تصرفه فهل كان السائل كذلك أم لا؟ .
ويقول أكثر العلماء : إن الهبة تتم بالقبض فهل قبض كل من السائل ووالدته ما
وهبه لهما والده وتصرفا فيه أم لا؟ . وجملة القول : ان بيان الحق في هذه المسائل
يتوقف على الاطلاع على صورة الحكم الذي حكم به بعض علماء بلاد السائل
والوقوف على أدلته ولا سيما الارض التي اشتراها الزوجان بمال اقترضاه وهما
يؤدبانها مما يستغلانه من الارض . ولبت شعري هل يعني بالحكم معناه القضائي
أم يريد به الفتوى وبيان حكم الشرع في هذه الوقائع؟ وإذا كان هذا حكماً قضائياً
فمن الذي نصب هذا العالم قاضياً؟ أحكومة البلاد الوثنية أم المسلمون أنفسهم؟
وما فائدة استفتائه إيانا ان كان حكم ذلك العالم نافذاً؟ . وهل المسلمون هنالك
يلتزمون العمل بفتوى علماءهم اختياراً أم تلزمهم الحكومة إياها إلزاماً؟ . أم لا
يعملون إلا بما يعتدرون أنه صواب منها؟ نرجو السائل أن يبين لنا ذلك وكل ما يتعلق
بهذه المسائل، وان كان لذلك العالم فتوى مكتوبة فيما ذكر فإيرسل إلينا صورتها
بحر وفاء، هذا اذا كان لبياننا الحكم الصحيح فائدة له، والا فهو مخير، وقد طال العهد
عندنا على هذه الاسئلة فمضى على وصولها إلينا بضعة أشهر ولم نجد فراغاً نكتب إليه
فيه بذلك

اهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفي الاولياء وأصنافهم والدعاوي فيهم)

لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس سره

تمة لما في الجزء ٧ م ٢٤ (ص ٥٠٨)

﴿ فصل ﴾ وليس في أولياء الله المتقين بل ولا انبياء الله ولا المرسلين من كان غائب الجسد دائما عن أبصار الناس بل هذا من جنس قول القائل بأن عليا في السحاب وان محمد بن الحنفية في جبال رضوى ، وان محمد بن الحسن في سرداب سامرا ، وان الحاكم في جبل مصر ، وان الابدال رجال الغيب في جبل لبنان . فكل هذا ونحوه من قول أهل الافك والبهتان ، نعم قد تخرق العادة في حق الشخص فيغيب تارة عن أبصار الناس اما لدفع عدو عنه وإما لغير ذلك . وأما أنه يكون هكذا طول عمره فباطل ، نعم يكون نور قلبه وهدى قواده ومافيه من أسرار الله وأمانته وأنواره ومعرفة غيبات الناس ، ويكون صلاحه وولايته غيبا عن أكثر الناس ، فهذا هو الواقع . وأسرار الحق بينه وبين أوليائه وأكثر الناس لا يعلمون

﴿ فصل ﴾ وقد بينا عن بطلان اسم الغوث مطلقا واندرج في ذلك غوث العرب والمجسم ومكة والغوث السابع ، وكذلك لفظ خاتم الاولياء لفظ باطل لا أصل له ، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي ، وقد انتحل طائفة كل منهم يدعي انه خاتم الاولياء كابن حمويه وابن العربي وغيرها وكل منهم يدعي انه أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الوجوه الى غير ذلك من الكفر والبهتان وكل طمعا في رئاسة خاتم الانبياء

وقد غلطوا فان خاتم الانبياء إنما كان أنصاهم للدلالة الدالة على ذلك ، وليس كذلك الاولياء فان أفضل اولياء هذه الامة السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وخير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم . وخاتم

الاولياء في الحقيقة هو آخر مؤمن تقي يكون من الناس . ، وليس ذلك بخير الاولياء ولا أفضلهم بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر ثم عمر اللذان ما طلعت الشمس وما غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما

(فصل) وأما هؤلاء القلندرية المحلقين المسمى فمن أهل الضلالة والجهالة وأكثرهم كافرون بالله ورسوله لا يرون وجوب الصلاة والصيام ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، بل كثير منهم أكفر من اليهود والنصارى وهم ليسوا من أهل الملة ولا من أهل السنة ، وقد يكون فيهم من هو مسلم لكن مبتدع ضال أو فاسق فاجر . ومن قال ان قلندر كان موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب واقتربى بل قد قبل أصل هذا الصنف أنهم كانوا قوما من نساك الفرس يدورون على ما فيه راحة قلوبهم بعد اداء الفرائض واجتناب المحرمات ، هكذا فسرهم الشيخ أبو حنص السهرودي في عوارفه . ثم إنهم بعد ذلك تركوا الواجبات وفعلوا المحرمات بمنزلة الملامية الذين كانوا يخفون حسناتهم ويظهرون ما لا يغان بصاحبه الصلاح من زى الاغنياء ولبس العمامة ، فهذا قريب وصاحبه مأجور على نيته ، ثم حدث قوم فدخلوا في أمور مكروهة في الشريعة ثم زاد الامر ففعل قوم المحرمات من الفواحش والمنكرات ، وترك الفرائض والواجبات ، وزعموا ان ذلك دخول منهم في الملاميات . ولقد صدقوا في استحقاقهم اللوم والندم والعقاب من الله في الدنيا والآخرة . وتجب عقوبتهم جميعهم ومنعهم من هذا الشعار الملعون كما يجب ذلك في كل معين ببدعة أو فجور وليس ذلك مختصا بهم بل كل من كان من المنسكة والمتقبة والمتعبدة والمتفكرة والمتزهدة والمتكلمة والفلسفة ومن واقفهم من الملوك والاعنياء والكتاب والحساب والاطباء وأهل الديوان والعامية خارجا عن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله باطنا وظاهرا مثل من يعتقد ان شيخه يرزقه وينصره أو يهديه أو يغيثه ، أو كان يعبد شيخه ويدعوه ويسجد له ، أو كان يفضل على النبي صلى الله عليه وسلم تفضيلا مطلقا أو مقيدا في شيء من الفضل الذي يقرب الى الله تعالى ، أو كان يرى انه هو وشيخه مستغن عن متابعة الرسول ، فكل

هؤلاء كفار ان اظهروا ، ومنافقون ان ابطوا ، وهؤلاء الاجناس وان كانوا قد كثروا في هذه الازمان ، فقللة دعاة العلم والايمان ، وفقر آثار الرسالة في أكثر البلدان ، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى وكثير منهم لم يبلغهم ذلك . وفي أوقات العترات وأمكة العترات يثاب الرجل على ما معه من الايمان القليل ويقضي الله فيه لمن لم يقم الحجة عليه ما لا يغفر به لمن قمت الحجة عليه كما في الحديث المعروف «يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا صياما ولا حجابا ولا عمرة الا الشيخ الكبير والمعجوز الكبيرة ويقولون ادركنا آباءنا وهم يقولون لا إله الا الله» فقبل لحذيفة بن اليمان ما تغنى عنهم لا إله الا الله ؟ فقال تنجيهم من النار تنجيهم من النار تنجيهم من النار وأصل ذلك ان المقالة التي هي كفر بالكتاب أو السنة أو الاجماع يقال هي كفر قولاً يطلق كما دل على ذلك الدليل الشرعي فان الايمان من الاحكام المتأقاة عن الله ورسوله ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم . ولا يجب ان يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنفي موانعه ، مثل من قال ان الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالاسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة ، أو سمع كلاماً (١) أنكره ولم يعتقد انه من القرآن ولا انه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان بعض السلف ينكر اشياء حتى يثبت عنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قالها وكما كان الصحابة يشكون في اشياء مثل رؤية الله وغير ذلك حتى يسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ومثل الذي قال اذا أنا مت فاسحقوني وذروني في البئر املئوا من الله ونحو ذلك فان هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال الله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقد عفا الله لهذه الامة عن الخطا والنسيان وقد اشبعنا الكلام في القواعد التي في هذا الجواب في أما كتبها والفتوى لا تحتمل البسط أكثر من هذا

(فصل) وأما النذر للقبور أو لسكان القبور أو العاكفين على القبور سواء كانت قبور الانبياء أو الصالحين فهو نذر حرام باطل يشبه النذر للوثان

(١) اعلمه سقط من هنا وصف لهذا بأنه « من كلام الله أو رسوله (ص)

سواء كان نذر زيت أو شمع أو غير ذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم «لعن الله زوارت القبور والمنخذين عليها المساجد والسرج» (١) وقال «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا (٢) وقال «ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك» (٣) وقال «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد من بعدي» (٤)

وقد اتفق ائمة الدين على انه لا يشرع بناء المساجد على القبور، ولا أن تعلق عليها الستور، ولا ان ينذر لها النذور، ولا ان يرضع عندها الذهب والفضة. بل حكم هذه الاموال ان تصرف في مصالح المسلمين اذا لم يكن لها مستحق معين. ويجب هدم كل مسجد بني على قبر كائن من كان الميت فان ذلك من اكبر اسباب عبادة الاوثان كما قال تعالى (وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ردا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا) وقال طائفة من السلف هذه أسماء قوم صالحين لما مانوا عكف على قبورهم ثم عبدوهم. ومن نذر لها نذرا لم يجز له الوفاء لما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «من نذر ان يطعم الله فليطعمه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه» وعليه كفارة يمين (٥) ولما روى عنه انه قال «لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين» (٦)

ومن العلماء من لا يوجب عليه الا الاستغفار والتوبة. ومن الحسن ان يصرف مآذنه في نظيره من المشروع مثل أن يصرف الدهن الى تنوير المساجد والنفقة

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث ابن عباس بلفظ زائرات وسنده صحيح، و«لعن الله زوارت القبور» حديث آخر صحيح أيضا (٢) رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة وفي بعض الروايات تعليل آخر لهذا اللعن غير تحذير المسلمين عن اتخاذ القبور مساجد وهو قولها: ولولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجدا

(٣) هذه جملة من حديث آخر لها في هذا الموضوع عند مسلم وهنالك الفاظ أخرى بمعنى واحد وصرحت بانه (ص) قال ذلك في مرضه الاخير قبل وفاته بخمسة ايام (٤) رواه مالك في الموطا (٥) رواه احمد والبخاري وأصحاب السنن الاربعة عن عائشة (٦) رواه احمد وأصحاب السنن عنها أيضا وهو صحيح

الى صالحة قراء المؤمنين وان كانوا من اقارب الشيخ ونحو ذلك . وهذا المالك
عام في قبر نفيسة ومن هو أكبر من نفيسة من الصحابة مثل قبر طاحه والزبير
وغيرهما بالبصرة وقبر سلمان الفارسي وغيره بالعراق والمشاهد المنسوبة الى علي
رضي الله عنه والحسين وموسى وجعفر وقبر مثل معروف الكرخي واحمد بن
حنبل وغيرهم رضي الله عنهم

ومن اعتقد ان بالنذر لما نفعا أو أضرأ ما فهو ضال جاهل . فقد ثبت في
الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال « انه لا يأتي بخير
وانما يـ تمخرج به من البخيل » (١) وفي رواية « انما يلقي ابن آدم الى القدر » فاذا
كان هذا في نذر الطاعة فكيف في نذر المعصية فيعتقدون انها باب الخواتج الى
الله وانما تكشف الضر وتفتح الرزق وتحفظ مضر فهذا كافر مشرك يجب قتله
وكذلك من اعتقد ذلك في غيرها كثنا من كان (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا *
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا
في الارض وما لهم فيها من شرك ، وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة
عنده الا ان أذن له * الله الذي خالق السموات والارض وما بينهما في سنة أيام
ثم استوى على العرش ، ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون *
وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون * وإله ما في
السموات والارض وله الدين واصبا ، أفغير الله تتقون * وما بكم من نعمة فمن
الله ، ثم اذا مسكم الضر قاله تجأرون * ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم
بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناكم فتمتعوا ففسدوا فتلذون)

والقرآن من أوله الى آخره وجميع المکتب والرسائل انما بعثوا بأن يعبد الله

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمر
الا الترمذي ومن حديث أبي هريرة الا أبا داود - وفي رواية « أنه لا يرد شئ »
بدل لا يأتي بخير

وحده لا شريك له ، وأن لا يجعلوا مع الله إلها آخر . رآله من يألهه القلب عبادة واستعانة وإجلالا وإكراما وخرفا ورجاء كما هو حال الشركيين في آلهتهم ، وإن اعتقد المشرك أن ما يألهه مخلوق مصنوع كما قال المشركون يقولون في تلبيتهم : لبیک لا شریک لک ، الا شریکاً هو یتک ، تملکک ومملکک ، وقال النبی صلی الله علیه وسلم لحصین الخزاعي « یا حصین کم تعبد » قال أعبد سبعة آلهة ، ستة في الارض وواحد في السماء . قال « فمن ذا الذي تعبد لرغبتك ورهبتك » قال : الذي في السماء قال « یا حصین فاسلم حتی أعلمک کلمات ینفعک الله بهن » فلما أسلم قال « قل اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي »

(فصل) وأما من زعم أن الملائكة والأنبياء تحضر مسماع المكاء والتصدي (١) محبة له ورغبة فيه فهم كاذب مفترون ، بل إنما تحضره الشياطين وهي تنزل عليهم وتنفع فيهم كما روى الطبراني وغيره عن ابن عباس مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم « أن الشيطان قال : يارب اجعل لي بيتا قال : بيتك الحمام قال : اجعل لي قرآنا قال : قرآنك الشعر ، قل : اجعل لي مؤذنا قال : مؤذنك المزمار » وقد قال تعالى في كتابه مخاطبا للشيطان (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) وقد فسر ذلك طائفة من السلف بصوت غناء وهو شامل له ولغيره من الاصوات المستفزة لأصحابها عن سبيل الله . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنما نهيت عن صوتين أحقهما فاجر من صوت طائر رابع ومزامير الشيطان ، وصوت لطم خدود وشدق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية ذات المكاء والتصدي » وكيف يذر الشيطان عليهم حتى يتواجدوا إلى جنب الشيطاني حتى إن بعضهم صار يرقص فوق رؤس الحاضرين . ورأى بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد حمله حتى رقص به فلما صرخ قال : هرب شيطانه وسقط ذلك الرجل

وهذه الامور لها أسرار غريبة فائقة للشهادة إلا أن البصائر الايمانية والمشاهد

(١) المكاء بالضم هو صغير الطائر والتصدي الصوت الذي يجري مجرى الصدي وهو ما يرجع عن غيره بالانعكاس وفسر بالتصديق قال تعالى في الجاهلية (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدي)

الايقانية، ولكن من اتبع ما جاءت به الشريعة، وأعرض عن السبل المبتدعة، فقد حصل له الهدى وخير لدنيا والآخرة، وإن لم يعرف حقائيق الأمور، بمنزلة من سلك السبيل الى مكة خلف الدليل الهادي فإنه يصل الى مقصوده ويجد الزاد والماء في موطنه، وإن لم يعرف كيف يحصل ذلك وسببه، ومن سلك خلف غير الدليل الهادي كان ضالا عن الطريق، فلما أن هلك، وإما أن يشقى مدة ثم يعود الى الطريق، والدليل الهادي هو الرسول الذي بعثه الله الى الناس بشيرا نذيرا، يودعيها الى الله بأذنه وهاديا الى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ملك السموات والأرض. وأثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلي مثل الازباد والارعاد والصرخات المنكرة ونحو ذلك، يبهتون في نفوسهم من نوران مراد الشيطان بحسب الصوت، إما وجد في الهوى مذموم، وإما غضب وعدوان على من هو مظلوم، وإما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم، الى غير ذلك من الآثار الشيطانية التي تعتمري أهل الأجماع على شرب الخمر اذا سكروا بها فان السكر بالاصوات انطربة قد تصير من جنس الاسكار بالاثربة المطربة فتصدعهم عن ذكر الله وعن الصلاة، وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن وفهم معانيه واتباعه، فيصيرون مضارعين الذين يشتركون في الحديث ليضلوا عن سبيل الله، ويقع بينهم المدارة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضا بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل العائن من أصابه بعينه، ولهذا قال من قال من العلماء: ان هؤلاء يجب عليهم القود أو الدية اذا عرف أنهم قتلوا بالاحوال الشيطانية الفاسدة لانهم ظالمون وهم انما يغتبطون بما ينفذونه من موادهم المحرمة كما يغتبط الظلمة المسلطون ومن هذا الجنس حال خفراء الكافرين والمبتدئين والظالمين فانهم قد يكون لهم زهد وعبادة وهمة كما يكون المشركين وأهل الكتاب، وكما كان للخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قلوبهم أحرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة » وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون

لهم ملكة ظاهرة فان سلطان الباطن معناه السلطان الظاهر ولا يكون من اولياء الله الا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون . وما فعلوه من الاعانة على الظلم فهم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب وباب القدرة والتمكن باطنا وظاهرا ليس مستلزما لولاية الله تعالى بل قد يكون ولي الله متمكنا ذا سلطان وقد يكون مستضعفا الى ان ينصره الله ، وقد يكون عدو الله مستضعفا وقد يكون سلطانا الى ان ينقم الله منه ، فخفاء التتار في الباطن من جنس التتار في الظاهر ، هؤلاء في العباد ، بمنزلة هؤلاء في لاجناد . وأما الغلبة فان الله قد يدل الكافرين على المؤمنين نارة كما يدل المؤمنين على الكافرين ، كما كان يكون لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع عدوهم ، لكن العاقبة للمتقين . فان الله يقول (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) واذا كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظها عليهم كان ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم اما لتفريطهم في اداء الواجبات باطنا وظاهرا . واما العدو وانهم يتعدى الحدود باطنا وظاهرا ، قال الله تعالى (ان الذين تولوا منكم يوم النقي الجمعان انا استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقال تعالى (اولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم) وقد قال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز * الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور)

﴿ فصل ﴾ وأما هذه المشاهد المشهورة فمنها ما هو كذب قطعا مثل المشهد الذي بظاهر دمشق المضاف الى أبي بن كعب والمشهد الذي في ظاهرها المضاف الى أويس القرني والمشهد الذي في سفح لبنان المضاف الى نوح عليه السلام والمشهد الذي بمصر المضاف الى الحسين — الى غير ذلك من المشاهد التي يطول شرحها بالشام والعراق ومصر وسائر الامصار حتى قال طائفة من العلماء منهم عبد العزيز الكنتاني كل هذه القبور المضافة الى الانبياء لا يصح فيها الاقبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اثبت غيره قبر الخليل عليه السلام ايضا ، واما مشهد علي فعامة العلماء على انه ليس قبره بل قد قيل انه قبر المغيرة بن شعبه وذلك انه انا

ظهر بعد نحو ثلثمائة سنة من موت علي في اماره بني بويه. وذكروا ان أصل ذلك حكاية بالغتهم عن الرشيد انه أتى الى ذلك المكان وجعل يعتذر الى من فيه مما جرى بينه وبين ذرية علي . وبمثل هذه الحكاية لا يقوم شيء فالرشيد أيضا لا علم له بذلك ولعل هذه الحكاية إن صحت عنه فقد قيل له ذلك كما قيل لغيره

وجهور أهل المعرفة يقولون ان عليا إنما دفن في قصر الامارة أو قريبا منه وهذا هو السنة ، فان حمل ميت من الكوفة الى مكان بعيد ليس فيه فضيلة أمر غير مشروع فلا يظن بأكل علي رضي الله عنهم أنهم فعلوا به ذلك . ولا يظن أيضا ان ذلك خفي على أهل بيته والمسلمين ثلاثمائة سنة حتى أظهره قوم من الاعاجم الجهال ذوي الاهواء ، وكذلك قبر معاوية الذي بظاهر دمشق قد قيل انه ليس قبر معارفة وان قبره بمحاطة مسجد دمشق الذي يقال انه قبرهود . وأصل ذلك ان عامة هذه القبور والمشاهد مضطرب مختلف لا يكاد

يوقف منه على علم الا في قليل منها بعد بحث شديد وهذا لان معرفتها وبناء المساجد عليها ليس من شريعة الاسلام ، ولا ذلك من حكم الذكر الذي تكفل الله بحفظه حيث قال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) بل قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عما يفعله المبتدعون عندها مثل قوله الذي رواد مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وقال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقد اتفق ائمة الاسلام على انه لا يشرع بناء هذه المشاهد التي على القبور ولا يشرع اتخاذها مساجد ، ولا تشرع الصلاة عندها ، ولا يشرع قصدها لاجل التعبد عندها بصلاة واعتكاف أو استغاثة وابتهاال ونحو ذلك ، وكرهوا الصلاة عندها ، ثم كثير منهم قال : الصلاة باطلة لاجل النهي عنها

وانما السنة اذا زار قبر مسلم ميت اما نبي أو رجل صالح أو غيرها ان يسلم عليه ويدعو له بمنزلة الصلاة على جازته كما جمع الله بين هذين حيث يقول في المنافقين « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » فكان

دليل الخطاب ان المؤمنين يصلى عليهم ويقام على قبورهم ، وفي السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم ، كان اذا دفن الميت من أصحابه يقوم على قبره ثم يقول « سلوا له التثبيت فانه الاكن يستل »

وفي الصحيح انه كان يعلم أصحابه ان يقولوا اذا زاروا القبور « السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم »

واما دين الله تعالى تعظيم بيوت الله وحده اشرك له وهي المساجد التي تشرع فيها الصلوات جماعة وغير جماعة والاشتكاك وسائر الببائ البدنية والقلبية من القراءة والذكر والدعاء قال تعالى (وانا ساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (قل أمر ربي بالقسط وقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقال تعالى (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) وقال تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك ان يكونوا من المتقين) وقال تعالى (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخفون يوما تتقلب فيه القلوب والا بصار » ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) فهذا دين المسلمين الذين يعبدون الله مخلص له الدين

وأما اتخاذ القبور أوثانا فهو من دين المشركين ، الذي نهى عنه سيد المرسلين ، والله تعالى يصلح حال جميع المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا كما هو أهله

(تمت الرسالة)

(طبعت عن نسخة كتبت في بغداد بقلم محمد صالح المصطفى الوتار)

فيها شيء من الغلط والتحريف

عفا الله عنا وعنهم

الخلافة والمؤتمر الاسلامي

قرار كبار العلماء الرسميين في القاهرة

بلاغ رسمي للصحف

في يوم الثلاثاء ١٩ شعبان ١٣٤٢ - ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤ اجتمعت
بالادارة العامة للمعاهد الدينية هيئة علمية دينية كبرى تحت رئاسة حضرة صاحب
الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ اجامع الازهر الشريف ورئيس المعاهد الدينية
العلمية الاسلامية وبعضوية اصحاب الفضيلة رئيس المحكمة العليا الشرعية ومفتي
الديار المصرية ووكيل الجامع الازهر ومدير المعاهد الدينية والسكرتير العام لمجلس
الازهر الاعلى والمعاهد الدينية وشيوخ المعاهد الدينية الكبرى ومشايخ الاقسام
بالجامع الازهر والكثير من هيئة كبار العلماء (١) وغيرهم من العلماء والمفتشين
بالمعاهد الدينية للمداولة في شؤون الخلافة الاسلامية وقر قرارهم بعد بحث طويل
على ما يأتي :

١ - كثر تحدث الناس في أمر الخلافة بعد خروج الامير عبد المجيد من
الاستانة واهتم المسلمون بالبحث والتذكير فيما يجب عليهم عمله قايما بما يفرضه
عليهم دينهم الحنيف : لذلك رأينا أن نعلن رأينا في خلافة الامير عبد المجيد
وفيما يجب على المسلمين اتباعه الآن وفيما بعد

٢ - الخلافة - وتسمى الامامة - رئاسة عامة في الدين والدنيا قوامها
النظر في مصالح الملة وتدير الامة . والامام نائب عن صاحب الشريعة صلى الله
عليه وسلم في حماية الدين وتنفيذ أحكامه وفي تدبير شؤون الخلق الدنيوية على
مقتضى النظر الشرعي

٣ - الامام يصير إماما بالبيعة من أهل أهل البيت أو استخلاف إمام

(١) هيئة كبار العلماء جماعة رسمية منهم معدودون يلقبون هذا اللقب بنص
قانون الازهر ولهم رواتب معينة من الحكومة

قبله ولا بد مع هذا من نفاذ حكمه في رعيته خوفا من قهره وسلطانه فان بايع الناس الامام ولم ينفذ حكمه فيهم لمجزه عن قهرهم أو استخلفه امام قبله ولم ينفذ حكمه في الرعية لمجزه لا يصير إماما بالبيعة أو الاستخلاف

وتستفاد الامامة أيضا بطريق التغلب وحده فاذا تغلب شخص على الخليفة واغتصب مكانه انزل الازل . وقد يوجد انتغاب مع البيعة أو الاستخلاف كما حصل لاكثر الخلفاء في العصور الماضية وهذا كله مستفاد صراحة من نصوص السادة الخنفية

٤ — ولما كان الامام صاحب التصرف التام في شؤون الرعية وجب أن تكون جميع الولايات مستمدة منه وصادرة عنه كولاية الوزراء وكولاية أمراء الاقاليم وولاية القضاء وولاية نقباء الجيوش وحماة الثغور

٥ - وينحل عقد الامامة بما يزول به المقصود منها كأسره بحيث لا يرجى خلاصه وعجزه عن تدبير مصالح الملة الامامة . ومتى وجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين وانتكاس أمور الدين جاز للامة خلعه مالم يؤد ذلك الى فتنة ، فان أدى اليها احتمل أخف الضررين

٦ — رضي المسلمون . الذين كانوا يدينون لخلافة الامير وحيد الدين عن خلعه الأسباب التي علموها عنه واعتقدوا أنها مبررة للخلع ثم قدم الانراك للخلافة الامير عبد المجيد معلنين فصل السطة جميعها عن الخليفة ووكلوا أمرها الى مجلسهم الوطني وجعلوا الامير عبد المجيد خليفة روحيا فقط

٧ — وقد أحدث الانراك بعملهم هذا بدعة ما كان يعرفها المسلمون من قبل ثم أضافوا اليها بدعة أخرى وهي إلغاء مقام الخلافة

٨ — لم تكن خلافة الامير عبد المجيد والحالة هذه خلافة شرعية فان الدين الاسلامي لا يعرف الخليفة بهذا المعنى الذي حدد له ورضيه ولم تكن بيعة المسلمين له بيعة صحيحة شرعا

٩ — واذا غضضنا النظر عن هذا وقلنا إن البيعة صحت له فانه لم يتم له نفوذ الحكم الذي هو شرط شرعي لتحقيق معنى الخلافة

١٠ — وأذا فرض أنه تم له وصف الخلافة بمعناها الشرعي فقد أنحل عنه ذلك الوصف بعجزه حقيقة عن القيام بتدبير أمور الدين والدنيا وعجزه عن الإقامة في بلده ومملكته وعن حماية نفسه وأسرته بعد أن تم للاتراك تغلبهم عليه

١١ — والنتيجة لهذا كله أنه ليس الامير عبد المجيد بيعة في أعناق المسلمين لزوال المقصود من الامامة شرعاً ، وأنه ليس من الحكمة ولا مما يلائم شرف الاسلام والمسلمين أن ينادوا ببقاء بيعة في أعناقهم لشخص لا يملك الإقامة في بلده ولا يملكون هم تمكينه منها

١٢ — ولما كان مركز الخلافة في نظر الدين الاسلامي ونظر جميع المسلمين له من الاهمية مالا يعدله شيء آخر لما يترتب عليه من اعلاء شأن الدين وأهله ومن توحيد جامعة المسلمين وربطهم برباط قوي متين وجب على المسلمين أن يفكروا في نظام الخلافة وفي وضع أسسه على قواعد تتفق مع أحكام الدين الاسلامي ولا تتجافى مع النظم الاسلامية التي رضوها المسلمون نظماً لحكمهم

١٣ — غير أن الضجة التي أحدثها الاتراك بالغاء مقام الخلافة والتغاب على الامير عبد المجيد جملة العالم الاسلامي في اضطراب لا يتمكن المسلمون معه من البت في هذه النظم وتكوين رأي ناضج فيها وفيمن يصح أن يختار خليفة لهم لا بعد الهدوء وبعد الامعان والروية وبعد معرفة وجهات النظر في مختلف الجهات

١٤ — لهذه الاسباب نرى أنه لا بد من عقد مؤتمر ديني اسلامي يدعى اليه ممثلو جميع الامم الاسلامية للبحث فيمن يجب أن تسند اليه الخلافة الاسلامية ويكون بمدينة القاهرة تحت رئاسة شيخ الاسلام بالديار المصرية وذلك نظراً لمكانة مصر الممتازة بين الامم الاسلامية وأن يكون عقد المؤتمر في شهر شعبان سنة ١٣٤٣ هـ (مارس سنة ١٩٢٥ م)

١٥ — ولا بد لنا من اعلان الشكر لكل من أبدى غيرة دينية اسلامية في امر الخلافة وأظهر اهتماماً بهذا الواجب

١٦ — ونعلن أيضاً شكرنا للامم التي تدبر بأديان أخرى غير الدين الاسلامي وللدول تلك الامم على ما أظهرته الى الآن من ابتعادهم عن التدخل

في شئون الخلافة الاسلامية ، ونرجو منهم أن يلاحظوا أن مسألة الخلافة مسألة اسلامية محضة لا يجوز أن تتعدى دائرتها ، ولا أن يهتم بها أحد من غير أهلها . والعالم الاسلامي جميعه يريد أن يعيش بسلام مع الامم الاخرى وأن يحافظ على قواعد دينه الحقة ونظمه البريئه بطبعها من العدوان

١٧ - هذا ما رأينا من الواجب الديني علينا اذاعته الى العالم الاسلامي في مختلف البقاع والى الامم الاخرى ليكون الجميع على بينة من الامر
القاهرة في ١٩ شعبان سنة ١٣٤٢ و (٢٥ مارس سنة ١٩٢٤)
(وبلي ذلك الامضاءات)

موافقة علماء الاسكندرية على قرار علماء الازهر

(اجتمع جمهور علماء معهد الاسكندرية ووضعو البيان التالي بعد ان كثر القول في مخالفتهم لعلماء الازهر)

« نحن علماء معهد اسكندرية نظرنا في القرار الذي وضعه أصحاب الفضيلة العلماء الذين اجتمعوا في الادارة العامة للمعاهد برئاسة صاحب الفضيلة مولانا شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد الدينية فوجدناه مشتملا على مرضيين (أحدهما) الحكم الشرعي في خلافة الامير عبد المجيد (وثانيهما) لزوم عقد مؤتمر اسلامي عام للنظر فيمن تسند اليه الخلافة بعد ما تنحى الاتراك عنها

« أما الاول فقد راجعنا بشأنه قرارات الجمعية الوطنية بأنقره واطلعنا على قرارها الصادر بتاريخ ١ نوفمبر سنة ١٩٢٢ المندرج بجريدة المقطم الصادر بتاريخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٢ القاضي بسحب السطة بنوعها التشريعية والتنفيذية من الخليفة وجعلها حقا خاصا بالجمعية المذكورة وجعل الخلافة في آل عثمان وجعل حماية الخلافة راجعة للجمعية والذي يقضي بتجريد الخليفة من كل اشتراك أو تدخل في تدبير شئون الرعية وحراسة المسلمين بما يقتضيه النظر الشرعي في مصالحهم . واطلعنا أيضا على قرار الجمعية المذكورة الصادر في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٢ المندرج بجريدة الاهرام عدد ١٣٩١٧ الصادر في ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٢ القاضي بخلع الامير وحيد

الدين وتولية الامير عبد المجيد خليفة مع مراعاة الاصول المرعية في قرار أول نوفمبر السالف الذكر . واطلعنا على صورة التلغراف الصادر من الامير عبد المجيد الى رئاسة مجلس الامة الكبير المنشور بجريدة المقطم عدد ١٠٢٦٢ الصادر بتاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٢ ردا على التلغراف الصادر من مجلس الامة الكبير بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٢ الذي جاء فيه : ان الامة قد احتفظت لنفسها بالسيادة في تركيا بلا قيد ولا شرط طبقا لاحكام دستورها الذي يوحد بين القوتين التشريعية والتنفيذية ويجمعهما في مجلس الامة الكبير شاكرا المجلس على انتخابه لمقام الخلافة مع تجريده عن السلطتين التشريعية والتنفيذية . وحيث ان انتخابه لمقام الخلافة كان على شرط انه ليس له من الامر شيء ، وقد أقرم على ذلك وشكرهم عليه فقد تبين انه وقع انتخابه لوظيفة لم يبق فيها لعمال الخلافة الشرعية شيء فلا تعد البيعة التي حصلت من المسلمين له بيعة بالخلافة

« نعم إن المسلمين ما كانوا في غفلة عن هذا حينما بايعوه ولكن دعاهم الى البيعة بل الى الاسراع بها ذلك الظرف العصيب والمحنة التي تبهمت للمسلمين إذ ذاك بنزاع وحيد الدين على ظهر مركب أجنبي مناديا بأنه لا يزل خليفة المسلمين فلم يشك أحد في أنه بعد أيام سيكون في الهند مثالا بهذا اللقب . وهذا مما يفت في عضد الاسلام وأهله ويحدث صدعا خطرا في بناء الهيئة الاسلامية ، ثم في الوقت نفسه انتهات الطلبات على كبار حكام الترك لتعيين امتيازات الخليفة الجديد لتحقيق مبدأ الخلافة في حدود الشورى ، فكانت أجوبتهم متحدة بأن الخليفة الآن محصور بجيوش الحلفاء بالاستئانة فلا نأمن أن يتخذوا مقام الخلافة سلاحا للenskاية بالترك وبعد جلاء الجيوش تعين له الامتيازات ، فهذا طمأن المسلمين على أنها ستكون خلافة شرعية وان تجريدها مؤقت وذلك ما أوجب سرعهم في البيعة حتى يقطعوا السبل في وجه القادر بالمسلمين وحيد الدين

« وحيث ان الامير عبد المجيد بويع في هذه الظروف وليس له من رئاسة المسلمين شيء ، ولم يحقق الاتراك وعدهم بشأنه للمسلمين بل شردوه من بلادهم - فانا نوافق على القرار القاضي بأنه لا بيعة له في رقاب المسلمين ، وان مقام الخلافة الآن خالي

لا يشغله إمام . وأما (الثاني) وهو لزوم الدعوة للمؤتمر الإسلامي العام فإننا نجده كل التحديد لأن الحالة التي أصبح فيها المسلمون توجب عليهم شرعا التذرع بجميع الوسائل النافعة لخلوصهم من هذه الورطة الشديدة التي وقعوا فيها وإس إمامهم منها إلا عقد مؤتمر إسلامي عام يعالج حل هذه المعضلة وكشف هذه البلية والله سبحانه يتولى المسلمين بعنايته ويوفقهم لجمع السكاسة على مابه سعادتهم في الدنيا والآخرة اهـ

وضع هذا البيان أصحاب الفضيلة علماء الاسكندرية في ٢٧ رمضان الماضي (٢ ابريل) وقدموه ممضيا منهم الى شيخه الاسكندرية ، وأرسله مراسل جريد الاهرام في الاسكندرية اليها في ١٩ ابريل فنشرته على الناس

﴿ تأثير قرار كبار العلماء ، وفوضى العلم والدين في هذه الديار ﴾

لما أذاعت الجرائد تسمية منح حكومة انقرة لعبد المجيد افندي نجل السلطان عبد المجيد لقب خليفة لموافقة اياها على الفصل بين الدين والدولة وبين الخلافة والحكومة . بادر كثير من علماء الازهر وعلماء سائر المعاهد الدينية التابعة له الى مبايعة عبد المجيد بالخلافة الاسلامية النبوية ونشروا نصوص مبايعتهم في الصحف اليومية كغيرهم من الطبقات التي لا تعرف أحكام الامامة الاسلامية وشروطها بل اغتربهم أكثر الذين بايعوا واتبعهم

وإننا على علمنا بان مبايعتهم هذه لغو لا يترتب عليها حكم ولا تجعل الرجل خليفة مطلقا ولا إماما متبعا في الدولة التركية ولا في غيرها بالاولى ، لأنهم ليسوا أهل الحل والعقد هنالك ولا هنا ، - إننا على علمنا بهذا نألمنا لوقوع هذه المبايعة ضنا بكرامة علماء مصر ان يصدر عن الجماعات الكثيرة العدد منهم مبايعة باطلة شرعا ، ولما يترتب على ذلك من تأييد جماعة انقرة العابثين بهذا المقام الاعلى في الائمة الاسلامية ، وقد عجبنا أشد العجب من اقدامهم على هذا العمل ولم نجد له الا أحد تعليين لا مانع من اجتماعهم - للبعض : الغفلة المطلقة عن أحكام الخلافة ونسيانها لعدم وضعها موضع البحث والعمل - أو الجريان في تيار

السياسة ومجاعة الدوام فيها . وإنا لنكره لهم كلا منها ونود تكريمهما وتنزيههما عنه ، وإنما اخطر بياننا التعليل الاول ما كان وقع لنا مع عالمين من أذكي علماء الازهر أحدهما من قضاة الشرع والآخر من المدرسين كانا قد زارانا قبل حادثة الخلافة بسنين فكان من شعجون الحديث بيننا ان ذكرت مسألة الخلافة وشرط النسب القرشي فيها فقال الشيخان ان مذهبنا الحنفي لا يشترط هذا الشرط - قلت لا خلاف في هذه المسألة بين مذاهب أهل السنة الاربعة ولا غيرهم بل هي اجماعية عندهم فأنكر ذلك فجثتهم بالنص عليه من شرح البخاري والمواقف والمقاصد وغيرها ، وقد بينا مسائل الخلافة مفصلة تفصيلا ونشرناها في المنار وكلمنا بعض الازهرين في خطتهم وأقما لهم الحجج على بطلان ما فعلوه فأصروا عليه

ثم بطشت انقره بطشتها الكبرى فأنت خلافتها أصلا وفرعا ، وطردت صاحب لقب الخلافة من بلادها وسائر الاسرة السلطانية فرادى وجما ، ولكن علماءنا المبايعين ثبتوا على بيعتهم وزعموا ان عبد المجيد افدي المنفي في سويسرة من بلاد اورية لا يزال كما لقبوه هم وأمثالهم من غير قومه : إمام المسلمين ، وخليفة رسول رب العالمين ، وان بيعته لا تزال في الاعتق ، وطاعته واجبة على الشعوب والافراد ، ونصرتة على حكومة بلاده محبة ولو بالقتال ، فعدنا الى الكتابة في المسألة ونشرنا بعض المقالات في جريدة الاهرام ، ورغبنا الى شيخ الازهر في تلافي هذه الفوضى وحفظ كرامة العلماء .

ثم اجتمع كبار العلماء تحت رياسته عند وجود الباعث ووضعوا قرارهم ونشروه في الصحف اليومية كلها وأيدهم فيه كبار علماء الاسكندرية ، واعتذر هؤلاء عن مبايعة جمهور العلماء بما هو صريح تعليلنا الثاني وهو اعتذار يصدق في بعض اوائلك المبايعين دون بعض ، ويؤيد هذا ما حدث بعد ، وهو انكار الكثيرين منهم لقرار كبار العلماء ، ثم أن هؤلاء ألفوا لجنة المؤتمر ودعوا اليها بعض أولئك المصريين فرجعوا عن رأيهم وقولهم . وأصر آخرون وأنشؤا ينشرون المقالات في الجرائد في الرد على القرار ، وشايهم على ذلك آخرون من سائر الطبقات ، ولا سيما الذين سبقوا الى تأليف لجنة أو لجان لاجل المؤتمر المقترح

سأنا هذه الفوضى وساءنا تصدي بعض الأزهريين أنفسهم الرد على
شيوخهم وكبار معدم حتى بالباطل ، وبالحروج عن الأدب اللائق ، حتى إننا
كنافي أواخر رمضان شرعنا في كتابة مقالة في تأييد كبار العلماء والدفاع عنهم من
غير أدنى طعن في غيرهم فأمسكنا عن إتمامها قرفاً من هذه الفوضى التي أحدثتها
حرية النشر في البلاد . ومن يضلل الله فما له من هاد

عالم العراق * ورحلة أهل الآفاق

السيد محمود شكري الألوسي

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً
ينتزع من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ
الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » متفق عليه من
حديث عبد الله بن عمرو « رض »

وقد قبض الله تعالى اليه في الرابع من شهر شوال الماضي عالم العراق ،
ورحلة أهل الآفاق ، ناصر السنة ، قادم البدعة ، محيي هدي السلف ، حافظ
فنون الخلف ، علامة المنقول ، دراكة المعقول ، دائرة المعارف الاسلامية ،
نبراس الامة العربية ، حجة العترة النبوية ، عميد الاسرة الألوسية ، صديقنا
وأخانا في الله عز وجل السيد محمود شكري الألوسي قدس الله روحه

كان رحمه الله تعالى إماماً يقتدي به في علمه وصحله وهديه وآدابه وفضائله
وقف جميع حياته على علوم الاسلام وفنون اللغة العربية في هذا العصر الذي
قل فيه الاشتغال بالعلم والأدب في تلك البلاد بين أهل السنة ، وكاد ينحصر
في الشيعة ، فبعد ان كانت بغداد في عهد العباسيين عاصمة العلوم والفنون في
الأرض ، وكانت المدرسة النظامية فيها أول مدرسة جامعة في العالم ، ثم بعد ان
كان يوجد فيها في كل عصر افراد نابغون كجد الفقيه صاحب روح المعاني رحمه
الله تعالى « استقبلنا هذا القرن الرابع عشر للهجرة من أوله في الاشتغال بالعلم
وصار لنا بنشر المنار وبالسياحة علم واختبار بأحوال الاقطار الاسلامية فلم
نسمع للعلوم العربية والدينية على مذهب السنة صوتاً الا من هذا الرجل ، لهذا لقبناه
في مكتوباتنا له بعالم العراق ، كما لقبنا المرحوم جمال الدين القاسمي بعالم الشام

انما العالم من كان مستقلا في فهمه للعلم واستدلاله على مسائله وقدمات العلم الحلي المنتج في بلاد الاسلام بالتقليد رويداً رويداً حتى صار وجود العالم (المستقل) نادراً ، وصار اذا وجد متهما في دينه من أهل الحشور والجمود من اصحاب المعامم المكورة والاردان المكبرة ، والاذيال المجررة

إن التعليم في المدارس الدينية الاسلامية كله تقليدي فاذا رأيت طالما مستقلا فاعلم أنه لا فضل لمدرسته ولا شيوخها في ذلك بل سببه استمداد خاص فيه قارنه إرشاد مرشد من غير العلماء الرسميين في الغالب — أو اطلاع على بعض المصنفات التي ترشد الى العلم الصحيح فنقحه فأثمر وأنتج ، وحسب فقيدنا الكريم أنه كان في أثناء طلب العلم براجم تفسير جده أو يطالع كتاب استاذه وعمره (جلاء المينين) فهما يرشدانه الى ترك التزام ماقرره أفراد من العلماء لتسميتهم علماء مذهبه ونيز كل ما أثر عن غيرهم من علماء الملة وان وضع دليلهم لأنهم أئمة مذاهب أخرى أو منسوبون اليها وما يدرينا لعل همه السيد خير الدين كان يرشده الى الاستدلال والاستقلال ولو في الاصول ، وان كان كوالده صاحب التفسير ياتزمان التقليد في الفروع ، فهما تكن حالهما في التدريس والفتوي فقد كانا غريبين في عصرهما لما اوتيا من سعة الاطلاع وعدم الجمود على المؤلف عند الاشياخ ، دع التعصب القديم للمذهب .

والذي يظهر لنا أن الاستاذ رحمه الله لم يعن بالدعوة الى الاستقلال وترك التقليد وتربية اشء جديد يقوم بذلك على ما كان عليه من الشجاعة وعدم المبالاة بالدنيا وأهلها ، ولو عني بهذا لكان له به شغل عن شرح فاتحة كتاب المطول للسعد وأمثالها ، ولعل عذره أنه لم يجد في بغداد طلابا مستمدين ولذلك لم تر له غير تلميذ واحد يرجي أن يكون خلفا صالحا له في التدريس والتصنيف وإحياء موات الكتب النافعة بالتنقيب عنها واستنساخها والسعي لطبعها ، وفي غير ذلك من فضائله ، ألا هو الاستاذ الشيخ محمد بهجت الآثري —

فقد عهد الفقيد اليه بمكاتبتنا بالنيابة عنه لما تناوبته الامراض في السنين الاخيرة فرأينا من مكتوباته خير مثال لمكتوبات استاذه في اللفظ والمعنى ، وفي الخط أيضا ، فخطه نخطه كأنه هو ، ولو لا آمالنا بهذا لكان حزننا على فقيدنا العزيز مضاعفا أضعافا كثيرة ، وهو الذي تفضل علينا بترجمته المفصلة الآتية ، فنبدأ بنشرها ثم نقفي عليها ببعض الفوائد في جزء آخر ان شاء الله تعالى

ترجمة الفقيد

هو العالم الكبير ، التقي الورع الزاهد ، تذكرة السلف ، وحجة الله على الخلف ، الامام السيد محمود شكري ، بن العالم الصوفي السيد عبد الله بهاء الدين ابن امام القرن الثالث عشر أبي الشاء السيد محمود شهاب الدين صاحب تفسير (روح المعاني) ابن السيد عبد الله رئيس المدرسين في بغداد ومدرس المدرسة العظمى في جامع الامام أبي حنيفة ، ابن السيد محمود الخطيب الالوسي البغدادي ، وينتهي نسبه الى الامام الحسين رضي الله عنه .

ولد ببغداد في (١٩ رمضان سنة ١٢٧٣ هـ) . في بيت عريق في الحسب والنسب ، ضليع في العلم والادب ، ينسب الى ألوس (بالقصر على الاصح) وهي قرية على الفرات ، قرب عانات نبغ فيها قديما كثير من الفضلاء كمحمد بن حصن بن خالد ، والمؤيد الشاعر المتوفي سنة ٥٥٧ هـ الذي اهتمه المقتني لامر الله بمالاة السلطان ومكاتبته فأمر بحبسه في خبر ليس هذا محله

وقد فر اليها أحد أجداده من وجه هولاكو عند ما دم ببغداد وقتك بأهلها ، ومنذ نحو ثلثمائة سنة رجع أبناؤه الى بغداد ولبثوا فيها وبنوا لهم بمجدهم واجتهادهم مجداً رفيعاً * يبلى الزمان وحسنه يتجدد *

نشأ رحمه الله في حجر والده كما ينشأ ربيب العز والمجد ، وتلقى عنه القراءة ومبادئ النحو والصرف والحساب وأتقن عليه الخط فاشتهر وهو صغير بأجاده وكان يعتني بتربيته وتهذيبه لما يتوسم فيه من أمارات

النباهة والذكاء، ثم بعد وفاة أبيه لازم عمه العلامة السيد نعمان الألوسي وأكب على المطالعة وعكف على اكتساب العلم وأكمل دروسه على سائر علماء بغداد فأتقن علوم الأدب والفقه والحديث والتفسير والهيئة والحكمة الطبيعية واللاهوتية ومنطق اليونان والجبر وغير ذلك، وتعلم من اللغات الفارسية والتركية. وألف وهو ابن عشرين عاماً وكان كتاب (شرح الشفاء) باكورة مؤلفاته. ودرس في بادئ أمره في بيته ثم انتقل إلى مدرسة (جامع المدلية) ثم أسند إليه تدريس مدرسة (السيد سلطان علي) وتدرّس المدرسة الداودية (الحيدر خانة) وأخيراً أحيل إليه تدريس (مدرسة مرجان) فترك تدريس (السيد سلطان علي) لأحد أبناء أسرته اكتفاء بمدرسة مرجان والحيدرية، وقد تخرج به كثيرون اشتهروا بالعلم أو الأدب كابن عمه شيخنا العالم الأديب الكبير المغفور له السيد علي هلاء الدين الألوسي، ومروفي الرصافي الشاعر المشهور. وأخذ اسمه ينتشر وشهرته تتعظم يوماً بعد يوم بدروسه التي يلقاها على تلامذته الكثيرين، ومؤلفاته التي تنمّيها أنامله وتدبجه براعته العسالة، ولا سيما كتابه (بلوغ الأرب في لسان العرب) الذي ألفه تلبية لنداء لجنة اللسان الشرقية المنعقدة في (استوقلم) بدعوة (اسكار الثاني) ملك أسوج وزوج. فقد اقترحت هذه اللجنة منذ نحو أربعين عاماً على علماء الشرق والغرب تأليف كتاب يعرب عن أحوال العرب قبل الإسلام ويستوعب بيان ما كانوا عليه في جاهليتهم من العوائد والأحكام وغير ذلك فأجاب هذا الاقتراح كثير من علماء الشرق والغرب ومن بينهم المترجم وعرض كل منهم مؤلفه على تلكم اللجنة ولدى السبر

أدركت ان أجمعها مادة ، وأوسعها جادة ، وأغزرها فائدة ، وأجزلها عائدة ،
وأزيدها إيضاحا ، وأقربها مراعاة للشروط التي ألزمتها اللجنة من يريد
الخوض في عباب هذا البحث - هو كتاب (بلوغ الأرب) فاستحق
الكتاب التقريظ والاطراء كفاً ، مؤلفه دون سواه بالوسام الذهبي والجائزة
وقد بعث إليه (الكونت كرلودي لندبرج) قنصل أسوج وزوج
العام في مصر ووكيلها السياسي (برساتين) فيما أعلم أتى بهما عليه وشكر
له عنايته ووعده بطبع كتابه تخليداً لما أثره في خزائن الآداب ، وقد
نشرت احدهما في أواخر الكتاب والثانية في جريدة (الزوراء) التي
كانت تصدر في بغداد

هنالك - بعد ما طبع الكتاب ونشر اسم الفائز في ذلك المضمار
البعيد المدى - كتبت الصحف والمجلات السيارة في الشرق والغرب
الفصول الضافية الذلول في تقرّظ الكتاب وإطراء مؤلفه النابغة الذي
نشأ في بيئة منحطة علما وأدبا فسبق بجده واجتهاده كل من حبر وكتب ،
من أبناء البلاد المتقدمة في مضمار العلم والآداب ، فطار صيته في الآفاق ،
وعرف فضله الخاص والعام حتى يكاد لم يبق أحد لم يسمع باسمه . وتعرف
به كثير من أفاضل المستشرقين واستفادوا من فضله وسعة اطلاعه فخص
منهم بالذكر العلامة مرغليوث الانجليزي صاحب المؤلفات الكثيرة
وصديقنا الجليل البارع لويز ماسنيون الفرنسي

وقد عرف الأمراء والولاة فضله فقرّبوه منهم وعرضوا عليه مناصب
في الحكومة سامية فزهد فيها ورغب عنها لا انصرافه بكماليته الى العلم
ومقتته الاشتغال في المناصب والتزلف من الحكام وكل ما يصده عن

خدمة العلم والادب حتى إنه رغب عن لذات الدنيا ولم يتزوج قط .
ولما جاء الوزير سري باشا التركي واليا على بغداد أدناه منه كثيرا دون
غيره من علماء بغداد واستفاد من محاضراته الادبية ومحاوراته العلمية ،
ثم اقترح عليه بالخام بأن يتولى ادارة جريدة (الزوراء) وهي أول جريدة
أنشئت في بغداد أنشأها الوزير مدحت باشا الشهير . وأن ينشئ فيها
القسم العربي فلما لم يجد منه بدا لباه ، وأجاب نداء ، فتولى شؤونها
وكتب فيها بعض المقالات الادبية ونشر قسما من بلوغ الارب وأعمل
حركة أدبية في ذلك الجو الساكن القائم ذلك اليوم بما كان يعرضه فيها
من الاسئلة في شتى العلوم على علماء البلد

وقد كان عصر الفقيده الذي تلقى فيه العلم عصر تقليد وجمود على
الراث البالي : يتلقى الطالب ما يقرؤه في كتب الاعاجم المؤلفة في عصور
التاخر والتقهقر بالتسليم ، وياخذ بما يتلقفه من مشايخه بالقبول من غير
نقد أو تمحيص ، ويعرض عليه حرصا يجره الى تكفير كل من يخالفه
غالبا ، فاستمر الفقيده على هذه الطريقة العوجاء متأثرا بها حتى برقت له
بارقة اليقين ، وقد تجاوزت سنه الثلاثين ، فهدته بنورها الخلاب الى
الحجة البيضاء التي لا يضل سالكها ، وكسر أغلال التعصب وفك ربة
الجمود من عنقه ، وأطلق طائر فكره من قفص التقليد الاعمى الى فضاء
التساهل والتيسير ، والتبشير دون التنفير ، وطفق ياخذ بالكتاب والسنة ،
وبما يوافقهما من كلام سلف الامة من غير تحيز لشيعة أو مذهب ،
فصدع بعد أن رسخت قدماء بالاخذ بالدليل - بالحق . وشن غارات
شعواء على الخرافات المتغلغلة في النفوس والتقاليد الذميمة بمؤلفاته العديدة ،

تلك المؤلفات التي زعزعت أسس الباطل ، وأحدثت بين حين وآخر
انقلاباً عظيماً في الأفكار ، ككتاب المنحة الإلهية وغاية الأمان والسيوف
المشرقة وصب العذاب وفتح المنان وغيرها ،

ودعا المقلدين الجامدين إلى الهدى وترك ما وجدوا عليه آباءهم ،
فشالت نعماتهم وصبوا عليه جام التشنيع في المجالس ، وبرزوه بالوهابية
وهي كلمة يعظم وقعها على الهمج والرعاع ، وناصروه العداء ، غير أنهم لم
يجدوا لأنفسهم عليه سبيلاً إلى أن كانت سنة ١٣٢٠ فسمعوا به إلى والي
بغداد وهو يومئذ عبد الوهاب باشا وكان من الحشوية المضالين يناصب
كل من يدعو إلى الإصلاح ، المتوقف عليه الفلاح والنجاح ، فاتخذ بعض
التدابير السيئة وكتب لعبد الحميد ولاي الهدى يخبرهما (بأن الفقيد له تأثير
كبير على نفوس العراقيين لمنزلة العلمية الكبرى وأنه أخذ ينشر مبادئ
الوهابيين ويؤسس مذهباً جديداً مخالفاً لمذهب أهل السنة ! ! وإن دعوته
أخذت بالانتشار في سائر أنحاء العراق ، فمن الخطر العظيم إذا ظل الرجل ينشر
دعوته ومبادئه » ! فجاء الأمر من عبد الحميد بنفيه ونفي كل من ينتمي إليه
فنفى هو وابن عمه السيد ثابت الآلوسي والحاج حمد العسافي من التجار
الصالحين إلى الأناضول وما كادوا يصلون الموصل حتى قام رؤساؤها لهذا
الظلم وقعدوا فكتبوا لعبد الحميد يكذبون ما نسب للفقيد ويطلبون إليه
لرجاءه ومن معه إلى وطنهم فقبل شهادتهم فيه وأمر بارجاعهم بعد أن قضوا
في الموصل الحداثة شهرين لا قوا فيهما من حفاوة أهلها الكرام ما يعجز عن
بيانها اللسان ، ويكل دزن سطار البنان فعادوا إلى بن غائبين ، وعاد الشامتون
نادمين على ما فرطوا في جنب الشيخ قارعين سن الندم على ما عملوا

أكب رحمه الله بعد عودته على التدريس والتأليف والذشر وخدمة العلم الصحيح بكل ما يصل اليه جهده الى أن كانت سنة ١٣٣٠ هـ فادناه الوالي (وهو يومئذ جمال باشا) منه ، فكان يشارره في الامر ، وياخذ منه الراي السديد في الحادثات ، ثم اتفق أن ناصب الوالي بعض أعداء الفقيه من وجهاء بغداد فقضاه عن منصبه (وهو عضوية مجلس الإدارة) فعرضه على الفقيه فزهد فيه فالح عليه الا القبول فلما لم يجد منه بد قبله وبقي فيه مدة من الزمن كان فيها نصير الحق وحليف الانصاف ، وسار كما هي شيمته سيرة مرضية ، وأخذ بضيق المظلومين ولم يمكن منهم الظالمين ، الى أن كانت السنة الاولى من سني الحرب العامة فندبته الحكومة للذهاب الى صاحب نجد في أمر سياسي خطير ليس هذا محل ذكره فرحل اليه عن طريق سورية فالحجاز فنجد واجتمع به فاکرم تزله واحتفى به حفاوة عظيمة لعظم منزلته العلمية وكبير تأثيره ففاوضه الفقيه في الامر الذي جاءه به من قبل الحكومة العثمانية ثم رجع أدراجه وتفقد معاهد العلم وخزائن الكتب الحافلة بالانوار الجليلة النادرة في سورية والحجاز ونجد واجتمع به أكابر علماء هانيك الاقطار فاستفادوا منه علما جما وأدبا غضا . وهنالك عندما وصل الى الشام عائدا بخفي حنين ظن الناقون عليه أنهم وجدوا لهم سبيلا لا يذاته فاغروا به جمال باشا السفاح الذي استدنى الفقيه منه يوم كان واليا على بغداد ، زاعمين - وبئس الزعم ما زعموا - أنه هو الذي متن (١) صاحب نجد على الحكومة فلم يصغ اليهم لما يهدفه من الصدق مع الحكومة والحرص على جمع كلمة المسلمين

(١) يقال متن فلان الشيء أي صلبه وقساه

ثم عاد رحمه الله بعد أن نجا من كيد الجاهلين الى بغداد وعاد الى سيرته الاولى ودرس وألف وأفتى حتى سقط بغداد بيد الانجليز فعرضوا عليه القضاء وغيره فزهد فيه وامتنع عن التدخل معهم ، ثم عرض عليه زمن تشكيل الحكومة العربية المؤقتة الافتاء فرياسة مجلس التمييز الشرعي فالقضاء فالشيخة الاسلامية وغيرها فرفض كل وظيفة غير خدمة العلم الصحيح ونشره باخلاص وصدق بين أفراد الامة تدريسا وتصنيفا . وانتخب أخيرا عضوا لمجلس المعارف كما انتخبه المجمع العلمي العربي الزاهر في دمشق عضوا شرف . ولم يزل يخدم العلم والادب باخلاص وشأنه يزداد يوما فيوما علوا ورفعة حتى توفاه الله (يوم الخميس ٤ شوال سنة ١٣٤٢ هـ)

وقد كان رحمه اماما في معرفة مذهب السلف ، يأخذ بالدليل دون التقليد ، شديد الانكار على الحشويين لا يعرف المحاباة ولا المداجاة ؛ يقول للمصيب : أصبت ، وللمخطيء : أخطأت ، وللصادق : صدقت ، وللكاذب : كذبت

وكان مستجما للفضائل عظيم التواضع كثير الحياء غص الادب أبي النفس عزيز الجانب أريحا لطيف المعشر ساعة الرضى . يقتبس منه المجلس النادرة أثر الشاردة ولا يمله بل يود لو أنه يصاحبه الدهر ، يورد النكتة في حديثه فيطرب لها السامع ولا يكاد ينساها

وكان قوي الشكيمة شديد الغضب سريع الرضى طاهر القلب لا يفتر لحظة عن التفكير في مستقبل الاسلام واهله وقد بالغ في ذلك حتى أدى به الى تمب خاطر ونحول الجسم . وكان مهيبا وقورا ولا اتذكر

اني ملأت عيني يوما .

وكان بعيدا عن التأني في الأكل والملبس والاغترار بالمظهر
الكاذب ، وإن رأيته — لولا ما عليه من نور النبوة — ليحسبه من سائر
الناس لعدم اعتنائه بنفسه ولكن لسان حاله يقول نحو ما قاله الامام
الشافعي نفسه :

علي ثياب لو يباع جميعها بفلس لكان الفلس منهم أكثر
وفيه نفس لو تباع بمثلها نفوس الوري كانت أعز وأكبر
وقد خدم رحمه الله العلم والادب خدمة قل من تسنى له مثامها
ومؤلفاته الكثيرة في شتى الابواب شاهد عدل على ما أقول واليك أسماؤه

﴿ مصنفات الفقيد ﴾

(مرتبة على الحروف)

(١) اتحاف الامجاد في ما يصح به الاستشهاد : رسالة صغيرة
فرغ من تأليفها في ٢١ صفر سنة ١٣٠١ هـ .

(٢) الاجوبة المرضية عن الاسئلة المنطقية : في « ٤٢ صفحة »
فرغ منه في ١٣ صفر سنة ١٣٤٠ هـ .

(٣) اخبار بغداد ، في ثلاثة اجزاء

(الاولى) في « بيان حال بغداد » ومحالها وقصورها وقراها المجاورة
لها ووصف مبانيها وما آل اليه « امرها على سبيل الاجمال ولم يستوعب
الكلام على ما جرى عليها في عنفوان شبابها وايام هرمها » وهو في
نحو ١٥ كراسة

(الثاني) في تراجم العلماء والادباء الذين اشتهروا في القرن الثالث عشر في بغداد . وقد سماه « المسك الاذفر » وهو في ٤٥٠ صفحة بقطع الربع (الثالث) في وصف مساجد بغداد وتاريخ بنائها الخ . في نحو ١٤٠ صفحة (٤) اخبار الوالد : جزء لطيف في ترجمة ابيه . (٥) ازالة الظماء بما ورد في الماء : في نحو كراسة . (٦) الاسرار الالهية شرح القصيدة الرفاعية : طبع بمصر سنة ١٣٠٥ هـ وهو من مؤلفاته في نشاته الاولى ا

(٧) امثال العوام في مدينة دار السلام : مجموع ما يدور على السنة العوام من الامثال المشهورة — نقل اللفظ العامي من غير تغيير وربما غيره الى ما يقاربه التعبير تحاشيا عن بعض الالفاظ العجمية ... رتبته على حروف الهجاء ، وهو في نحو ٨٠ صفحة .

(٨) الآية الكبرى ، على ضلال النبهاني رأيت الصغرى : كتاب جدلي في نحو (٥٠ صفحة) فرغ من تأليفه سنة ١٣٣٠ هـ

(٩) بدائع الانشاء : في جزئين (١) مجموع رسائل والده في (٠٠) صفحة . (٢) مجموع مكائباته ادباء العصر في (٣٤٠) صفحة .

(١٠) بلوغ الارب في احوال العرب : طبع في بغداد سنة ١٣١٨ هـ في ثلاثه مجلدات ويطبع اليوم في مصر مصححاً ومشروحاً بقلم كاتب السطور . وكان قد نقل بعضه الشاعر البليغ عبد الحميد الشاوي الحميري - الى التركية واسماه « منتهى الطلب في ترجمة بلوغ الارب » ونشر طرفاً منه في جريدة (الزوراء)

(١١) بنان البيان : متن صغير في علم البيان

(١٢) تاريخ نجد: طبعت مقدمته في إحدى المجلات البغدادية وفقد باقيه
(١٣) تجريد السنان في الذب عن أبي حنيفة النعمان : رد على بعض
غلاة الشافعية في نحو مائتي صفحة بالقطع الكبير وهو كتاب جليل يشتمل
على مطالب في الفقه مهمة فرغ منه في أواخر شعبان سنة ١٣٠٦ هـ

(١٤) ترجمة رسالة للقوشجي : في ٧ كراسات ولم أره ولعله فقد
(١٥) الجواب عما استبهم، من الأسئلة المتعلقة بحروف المعجم :
جواب عن أسئلة السيوطي السبعة التي لم يجب عنها أحد في زمانه فرغ
منه في ١٥ رمضان سنة ١٣١٩ هـ وهو في ٤٠ صفحة

(١٦) الجوهر الثمين، في بيان حقيقة التضمين : في ٥٠ صفحة
(١٧) الدر اليتيم، في شمائل ذي الخلق العظيم : لم يتمه
(١٨) الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية : في نحو ٤٠ صفحة
فرغ منه في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣١٧ هـ

(١٩) رسالة في كيفية استخراج القياس : أظنها فقدت
(٢٠) رياض الناظرين، في مراسلات المماصرين : في نحو ٥٦٠ صفحة
(٢١) الروضة الغناء، شرح دعاء انشاء : هو باكورة مؤلفاته ألفه
سنة ١٢٩٤ هـ

(٢٢) سمادة الدارين، في شرح حديث الثقلين : هو رسالة في
الرد على الرافضة باللغة الفارسية للشيخ عبد العزيز الملقب بعلام حلیم ابن
الشاہ ولي الله احمد بن عبد الرحيم الدهلوي الفاروقي مصنف حجة الله
الباغة، وقد عربها المترجم وضم اليها بعض الفوائد المتعلقة بهذا الحديث

ورتبها على مقدمة ومقصد وخاتمة. فرغ منه في شهر رمضان سنة ١٣٣٦ هـ
وهو في ٤٠ صفحة

(٢٣) السيوف المشرقة ، مختصر الصواعق المحرقة ، للشيخ محمد
الشهير بخواجه نصر الله الهندي : رد على الرافضة في ٣٠٠ صفحة بالقطع
الكبير فرغ منه سنة ١٣٠٣ هـ

(٢٤) شرح أرجوزة تأكيذ الالوان : نشر في مجلة المجمع العلمي
العربي في دمشق (م ١ ص ٧٦)

(٢٥) شرح خطبة المطول : لم أراه

(٢٦) شرح منظومة عمود النسب : في نحو ١٠٠٠ صفحة وقد
وصفناه في مجلة المجمع العربي (م ٣ ص ١٠٥)

(٢٧) شرح القصيدة الشاوية : في نحو ٨٠ صفحة والقصيدة
للاديب الكبير احمد بك الشاوي الحميري رحمه الله في مدح الشارح
(٢٨) شرح منظومة الشيخ حسن بن العطار في الوضع أحد
الفنون العربية

(٢٩) صب العذاب ، على من سب الاصحاب : رد على أرجوزة
لبعض الرافضة من سكان كربلاء ، في مئة صفحة وصفحتين . فرغ منه في
١١ جمادى الاولى سنة ١٣٠٤ هـ

(٣٠) الضرائر ، فيما يسوغ للشاعر دون النثر : كتاب جليل
كنت قد شرحته في أوائل ملازمتي له وعانيت بنشره . وطبع في المطبعة
السلفية بمصر سنة ١٣٤٠ هـ

(٣١) عقد الدرر شرح مختصر نخبة الفكر : في مصطلح الحديث

والمتن للشيخ عبد الوهاب بركات الشافعي الاحمدي

(٣٢) عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها

بعضهم : رسالة لطيفة نشرتها في ممتاز جريدة العراق لعامها الخامس

(٣٣) غاية الاماني ، في الرد على النبهاني . كتاب اصلاحي جدلي

في سفرين كبيرين رد بهما على ما جاء به الشيخ يوسف النبهاني من الآراء

السخيفة والنقول الواهية في جواز الاستغانة والاستعانة بغير الله تعالى

وما تجاز به دائرة الادب في سب كبار أئمة الدين كالامام ابن تيمية

والامام ابن قيم الجوزية من المتقدمين والامام السيد صديق حسن خان

والمصالح السيد نعمان الاكوسي وأبيه أبي الثناء من المتأخرين الخ وقد

طبع في مصر بمطبعة كردستان العلمية

(٣٤) فتح المنان ، تنمة منهاج التأسيس رد صلح الاخوان : كتاب

اصلاحي جدلي رده على بعض متصوفة بغداد . طبع في الهند سنة

١٣٠٩ على نفقة الامير الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني

(٣٥) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للامام محمد بن

عبد الوهاب

(٣٦) القول الانفع ، في الردع عن زيارة المدفع (١) : في كراسة ولم أراه

(٣٧) كتاب ما اشتمل عليه حروف المعجم ، من الدقائق والحقائق

والحكم . في ١١٥ صفحة

(٣٨) كتاب ما دل عليه القرآن ، مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة

(١) مدفع من مدافع الايرانيين يعرف (بطوب أبي خرامسة) تزوره

النساء وتوقد له الشموع وتعلق عليه التمام والاحجار

البرهان. في ١٠٠ صفحة وقد فرغ من إملائه علي في ٦ شوال سنة ١٣٣٩ هـ
(٣٩) كشف الحجاب، عن الشهاب في الحكم والآداب. للقضاعي
لم أره ولمعله فقد

(٤٠) كنز السعادة، في شرح كامي الشهادة. في ٥٤ صفحة وقد
فرغ منه في ٦ ج ٢ سنة ١١٩٨ هـ

(٤١) لعب العرب . رسالة لطيفة « اقتطفها من لسان العرب »
أثناء مطالعته له عام ١٣٢٦ هـ

(٤٢) اللؤلؤ المنشور، وحلي الصدور، مجموع مكاتيب والده وجدته
في نحو ١٧٠ صفحة

(٤٣) مختصر الضرائر، فيما يسوغ للشاعر دون الناثر (*)

(٤٤) مختصر مسند الشهاب للقضاعي

(٤٥) المسفر عن الميسر

(٤٦) المفروض، في علم العروض اقتطفه من لسان العرب أثناء مطالعته له

(٤٧) المنحة الالهية تلخيص ترجمة التحفة الاثني عشرية . رد على

الرافضة طبع في الهند في ٢٠٠ صفحة بقطع كبير

(٤٨) منتهى العرفان والنقل والمحض، في ربط بعض الآي ببعض،

شرع فيه في أوائل الماضي فوافته المنية قبل إتمامه

(٤٩) كتاب النحت في ١٣ صفحة

وله مجموعات ومؤلفات أخرى فقدت أثناء نفيه منها (٥٠) كتاب جليل

في بيان سرقات اليازجي في مقاماته (مجمع البحرين) وقد وجدت منه

(*) المنار من الغريب ان يختصر المؤلف كتابه الضرائر ويشرحه تلميذه وقد

كان الاصل معنيا عن الشرح، وليكنها شنشنة مصنفينا في القرون الوسطى

بعض الاوراق واعلي أثر عليه بجملته
 هذا ما أردت كتابته بإيجاز وتفصيل ترجمته وأحواله وأطواره
 وآرائه وغير ذلك في كتابنا « ذكرى الامام الالوسي » الذي شرعنا
 في تأليفه

بغداد : محمد بهجت الاثري
 (المنار) نشكر للاستاذ الاثري عنايته بتتبع آثار الفقيه وبيان فضله
 وسنقف على ترجمته ببعض الفوائد في جزء آخر ان شاء الله تعالى

غلط مهم في التفسير

بعد طبع التفسير في هذا الجزء من المنار نظرنا فيه قبل طبعه ثانية لجزء
 التفسير المستقل فأنقينا فيه غلطاً مطبعياً ومعنوياً فأما المعنوي فهو قولنا
 بعد كلمة من السطر ١٨ من ص ٣٢٢ : ولكنه سكت عن موسى — الى آخر
 السطر ١٩

كان هذا الاستنباط خطأ منا فطننا له فأنقناه واستبدلنا به في نسخة
 التفسير ما نصه :

وفي سورة المؤمن (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه : إني
 أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) وهو يدل على أنه كان
 لديه من يدافع عن موسى ممن آمن به سرا ومن كان يحبه وان لم يؤمن به
 فقد قال تعالى له (وألقيت عليك محبة مني) وفيه تصريح بما كان له في أنفس
 المصريين من المحبة والاحترام ، وقد حكى الله تعالى لنا دفاع واحد ممن آمن
 به فقال (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن
 يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ وان يك كاذباً فمليه كذبه ،
 وإن يك صادقا يصبكم الذي يمدكم ، إن الله لا يهدي من هو مسرف مرتاب)
 فأما العبارة التي أنقيناها فيجب على مقتني المنار ترميمها (شطبها) وأما
 هذه الزيادة فيحسن أن يكتب تجاه العبارة المرجحة من الحاشية (نراجع ص ٣٨٩)

انتحال السيد حسين أمير مكة للخلافة

إننا لم نر في كل ما علمناه من عبر التاريخ أدل على الحكمة النبوية في منع طلاب الولاية منها وعدم توليتهم شيئاً من أمور الناس كالمبرة التي رأيناها في السيد حسين المكي وأولاده

رأينا أناساً تعدى الجانب على بلادهم وغلبوهم على السلطان فيها فسادوا على إدارتها ليشركوهم في التمتع بنصيب من أموالها ولذة الحكم الصوري فيها، ولكننا لا نعرف في التاريخ القديم ولا الحديث رجلاً وضع بسوء اجتهاده ومحض اختياره خطة لجعل أمته وملته وبلاده تحت سيادة دولة أجنبية مخالفة له في الدين والجنس واللغة والاشتراع والآداب — لاجل أن يكون تحت ظل حمايتها متممكاً هو وأولاده بألقاب الإمارة والملك كما فعل حسين المكي بمقررات نهضته المخزية الخاسرة

وأغرب من ذلك وأخزى أنه قد أسرف هو وأولاده في التبجح بنسبهم وادعاء انحصار حق الملك والإمارة والامامة فيهم دون من هم أصح وأصرح منهم نسباً وأكرم حساباً بما لهم من شرف النسب من شرف الوراثة النبوية بالعلم والعمل ثم أنه على هذا الاسراف يسعى لنيل خلافة النبوة بنفوذ أعدى أعداء النبي صلى الله عليه وسلم في أمته وملته وقومه وشرعه ولغته

أما (مقررات النهضة) فقد وضعها بنفسه واختياره بدون مشاورة أحد من العرب أو غيرهم من المسلمين حتى أن ولده فيصلا قد صرح واذن بنشر تصريحه بأنه لم يطلع على هذه المقررات إلا بعد ذهابه إلى لندن عقب هدنة الحرب وهو الذي نشرها في جريدة المقييد بدمشق

وقد جاء في أول المادة الأولى منها « تتمهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة »... وفي أول الثانية « تتمهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخله كانت في داخلية أو سلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الأعداء أو من حسد بعض الأمراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام حين اندفاعه وهذه المساعدات في

القيادات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية « اهـ بنصه ومعناه الصريح أن الانكليز يظنون محتاجين للبلاد العربية التي عهد اليهم ايجاد حكومتها وحاسين لها إلى أن يصير عند حسين أو خلفه أسطول كأسطولهم وجيوش يقهر بها أعداء أمراء العرب !! وقد كان وضعه لهذه المقررات إثر مراسلات بينه وبين المعتمد البريطاني بمصر أفترته فيها الحكومة البريطانية على انتحال الخلافة كما صرح به السير هنري مكماهون في الكتاب الذي أرسله إليه في ١٩ شوال سنة ١٣٣٢ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥ وهذا نص عبارته العربية بالحرف (من ص ٦١٦ ج ٨ م ٢٣ المنار)

« فنحن نؤكد لكم أقوال نخامة اللورد كيتشنر التي وصلت إلى سيادتكم عن يد (علي افندي) وهي التي كان موضعها بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند إعلانها ، واننا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى رحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة « !!!

اعتقد هذا الرجل منذ وصل إليه هذا الكتاب أنه لم يبق بينه وبين منصب الخلافة إلا أن يخرج الترك من الخجاز أو من مكة وما حولها فأن ترحيب ملك الانكليز باسترادها كاف بعد ذلك لنيلها وكان قد تقرر أن يبايع بها في موسم الحج الذي أخرج الترك في أيامه من مكة وجدة والطائف ولكن الله سلم وكان من فضله تعالى على كاتب هذا أنه كان سبباً لصرفه عن تلك المبايعة كما بيناه في المنار مراراً ، وهو لم يقبل نصحناله بترك مسألة الخلافة إلى ما بعد الحرب الا لا نأأقنعناه بأن العالم الاسلامي كله ساخط عليه وكاره لثورته ويرجو انتصار الدولة العثمانية مع حلفائها والعاقبة مجهولة وبأن فشل انتحاله للخلافة معلوم بالقطم . على أنه كان مطمئناً بما يتحناه من انكسار الدولة لأنه يعتقد ان الدولة البريطانية لا تغلب ، فانتظر وأعلن في بعض منشوراته الرسمية ترك مسألة الخلافة إلى العالم الاسلامي ثم صرح مراراً بأنه لا يقبل منصب الخلافة الا اذا أجم المسلمون على تقليده إياه ، ونقل عنه هذا الخبر من الجرائد كما أنه صرح مراراً تصريحاً نقلته عنه جريدته (القبلة) بأن

الخلافة قد ماتت وصارت الى رحمة الله تعالى ، وذلك شأنه ودأبه في الاثيان بالنقائص ، والكلام المتعارض ، وقد يعتمد بعض هذا لاجل أن يحتج لدى كل قوم من المختلفين في الرأي بما يراه مقبولا عندهم ، أو لدفع بعض التهم ، كما يكتب ويقول كثيرا انه لا يطعم في ملك ولا جاء ولا مال وانما يريد الخدمة العامة ، وانه مستعد لمبايعة كل من يرضاه المسلمون للخلافة ولكن أعماله وكذا اقواله تنقض هذا كله وآخره انتحاله للخلافة الآن

على إنه كان منذ ذلك العهد يسمى للخلافة سعيها ، ويبث الدعاة لها ، وأول من عرفناه منهم (رضا افندي الصبان الدمشقي) الذي كان يتردد في أثناء الحرب بين سورية ومكة ، وقد أطلعنا مرة على (ورقة مبايعة) فيها أسماء كثير من أهل الشام ودطانا الى إمضائها مع بعض وجهاء السوريين الذين كانوا هنا فأبينا شرعا وطبعاً ، وقال لنا بعض فضلاء أهل دمشق الذين اطلعوا على تلك الورقة إن بعض الاسماء التي فيها قد مات أصحابها وبعضها لا مسجبات لها ، وأثرها أسماء بعض العوام الذين لا يفهمون معنى المبايعة ولا يعتمدون من كتابة أسمائهم أو اذن الامي منهم بكتابة اسمه بأدنى استماله

ولما دخل الامير فيصل سورية مع الفاتحين من الحلفاء اعتقد أهلها أن البلاد السورية بل العربية كلها قد استقامت وخلصت السيادة عليها لانيه إنجازاً لما وعدت به على السنة دعاء الحجاز والانكاز ونصوص جرائد كالمقبلة في مكة والكوكب في مصر ونصوص المنشورات الهاشمية والمنشورات المهمة التي كان الانكاز يطرؤها على جميع البلاد العربية في زمن الحرب — وكانت الثقة بصدق الانكاز يومئذ لا تقل عن الثقة بصدقهم الان — لهذا دعا فيصل ورجاله المسلمين الى مبايعة والده بالخلافة فلبوا الدعوة مسرعين يقلد بعضهم بعضاً ، وقما كان يوجد أحد منهم يشك في كون الملك حسين حل محل السلطان العثماني في البلاد العربية فصار يسمى ملكاً وخليفة وكان خطباء المساجد يذكرون اسمه في دعاء الخطبة ويلقبونه بأمر المؤمنين ويذكرون بعده اسم الامير فيصل ، وكان السيد حسين نفسه يعتقد ذلك ايضاً حتى أنه أصدر أمره مرة بهبة بعض المباني الاميرية في الشام لاجل أن يتخذ مدرسة — ولكن لم ينفذ — وكان يصدر ارادته بتوجيه الرتب العسكرية وترقية الضباط: حدثني ياسين باشا الهاشمي أن الامير فيصلاً بلغه مرة نص ارادة هاشمية بنقل بعض الضباط

الى رتب فوق رتبهم فرد عليه بما معناه ان هذا إفساد للنظام العسكري لا يمكن تنفيذه (قال) ولكم أنتم أن تعطوهم من الالقب والرواتب المالية ما شئتم على شرط ان لا يعدوا احد طوره ولا لقبه ولا راتبه عندي في الجيش الا بمقتضى القانون العسكري

ذلك — واننى لما امكنتنى زيارة سورية بعد الهدنة وكانت فرنسا قد استولت على سواحلها من حدود فلسطين الى حدود الاناضول كان مسلمو سواحل ولاية بيروت يمتقدون انها ستكون ذمم البلاد الداخلية لإمارة واحدة يتولاها فيصل من قبل والده « ملك العرب وخليفة المسلمين » بمساعدة الدولة البريطانية !! غروراً بشهادة فيصل الذي كان يقول لهم يجب أن تربوا أولادكم على حب الانكليز !! وكان من النادر ان ترى فيها من يفهم كنه اتفاق هذه الدولة مع فرنسا على اقتسام البلاد العراقية والسورية وعزم انكلترا وحدها على سلب استقلال جزيرة العرب نفسها واستعباد أهلها

وكان أذكىاء الناس يستغربون ما نبينه لهم من الحقائق عن الحجازيين والبريطانيين — وهو ما لو سمعوه من غيرنا لمتذبذبه وعادوه — وكان بعضهم يناشدنا أن لا نذيم عن الشريف ما يبطل الثقة به لئلا يشمت النصارى بالمسلمين !! ولكن لم تمض بضعة أشهر حتى عرف المتمرسون بالسياسة كثيراً من الحقائق ظهر أثرها في قرار المؤتمر السوري للعام الذي أعلن به استقلال البلاد ووحدتها فانه لم يجعل الحكومة الحجاز ولا لملك الحجاز أدنى شأن في سورية لا باسم الخلافة ولا باسم السيادة ولا باسم الاتحاد ، فكان وقع ذلك الاستقلال كالصاعقة على الملك حسين وغضب على الملك فيصل غضبة مضرية عرفها جميع الناس ، على أن فيصلاً لم يكن يقدر على أن يجعل لبيه من الامر شيئاً لو أراد ذلك وهو لم يكن يريد لأنه أعلم الناس بأن سلطة والده لا تطيقها الحجارة الصم ، على أنه لم يستطع إقناع اخواننا بقبول ما سموه « العلم العربي » الا بعد عناء عظيم فقبلوه على شرط زيادة نجم فيه تفرقة بينه وبين علم الحجاز ولما تمكن الامير عبد الله من أرض شرق الاردن ليصد الانكليز تعدي العرب على فلسطين ويؤمن لهم اختراق قلب صحراء العرب الى العراق طفق يبت الدعاية فيها وفي فلسطين وسائر سورية للخلافة والده وصرح بذلك لمراسل جريدة اللواء المصري وغيره في الاسكندرية إذ مر بها مسافراً الى انكلترا

« المنار : ج ٥ » « ٤٠ » « المجلد الخامس والعشرون »

وفرنسة . . . وقد بلغت دمايته ما كان مجالاً للسخرية والانتقاد الأدبي إذ وضع فوق باب مسجد قرية صمان طاحمة شرق الاردن عند ترميمه حجراً نقش فيه أبياتاً نظمها له قاضي قضائه الشيخ سعيد الكرمي قال فيها :

حسين بن عون من بني مجد عدنان فاضحى امير المؤمنين بلا ثاني
احاد له عرش الخلافة بعد ما ثوت زمناً بالنصب في آل عثمان

فمعجب الادباء كيف خفيت على القاضي والامير وشاعره الشريفي وغيرهم النكتة التي في البيت الاول (امير بلا ثاني) ولها حكاية مشهورة مع بعض الشعراء ثم كثر الدعاة لذلك توطئة لقدم الملك حسين الى اطراف البلاد السورية ولا سيما في موسم الحج الماضي (اي سنة ١٣٤٢) كما اشرنا اليه في المقال الذي عقدناه لزيارته هذه واسبابها ونتيجتها ونشرناه في الجزء الثالث من هذا المجلد وفلنا فيه : ان التخيلات ازدوجت بالواهات ، ولقحت بالاماني المستعذبات ، حتى جاءها المخاض بسقوط الخلافة التركية ، اجهضت فولدت الخلافة العربية ، فالتقطها (ملك العرب الخيالي) سقطاً لم يستهل ، ومضغة لم تكتمل ، معتقداً ان الدعاية تم خلقها ، وتنفخ الروح فيها ، كما فعلت بمنصب (ملك البلاد العربية قبلها) !! الخ

(كيف كانت مبايعة السيد حسين المكي في شونة شرق الاردن)

بعد ان مهد الدعاة السبل اولاً في القدس الشريف مع رجال الوفد الفلسطيني المرتبطين بالملك بالمساعدات المالية والسياسية وهم الذين تولوا جمع الوفود من فلسطين ثم في سائر سورية ، وبعد اعداد حكومة شرق الاردن وسائل الاحتفال لاجل البيعة ، بدأ البيعة اهل شرق الاردن ووفد المؤتمر الفلسطيني وخالفه كثير من اهل البلاد وجمعياتها واحزابها وتلا ذلك ارسال برقيات الدعاة الى مدن سورية المشهورة وغيرها بأن اهل الحل والعقد في فلسطين وسائر البلاد العربية وغيرها قد بايعوا فلاناً ، فكانت كل برقية تصل الى بلد توهم أهلها ان هذه البيعة عامة اشترك فيها ممثلو جميع شعوب العالم الاسلامي وقد ساعدتهم وكالة البرقيات الفلسطينية على هذه الدعاية . حتى كان في تلك البرقيات ان الخليفة التركي عبد المجيد ومسلمي مصر والهند قد بايعوا وهم ابعد الخلق عن هذه المبايعة

نموذج من برقيات الدعاية

جاء في جريدة (الجزيرة) الفلسطينية ما نصه :
تلقينا يوم ١٠ الجاري آذار (مارس) من القدس التلغراف الآتي :
بايعت وفود فلسطين جلالة الحسين بالخلافة . « يونس الخطيب »
وتلقينا يوم ١١ الجاري من شونة عمان التلغراف الآتي :
اليوم بايع مندوبو فلسطين وقضاها وأهل الحل والعقد جلالة الملك حسين
بالخلافة في مقره بالشونة بحفلة بالغة منتهى الجلال . البطارقة ورؤساء الأديان (١١)
ومراسلو الصحف ومشايخ العشائر كانوا حاضرين - أمير إحدى مقاطعات
الهند شجاع الملك وحاشيته بايعة وشهدت الحفلة ، الحماس شديد ، والسرور
عام ، والمظاهرات على ساق وقدم - سورية بايعت وخطب باسم جلالتهم في
الجامع الأموي . (١) « المظفر »

(الخليفة السابق يبايع الخليفة العربي)

. روت وكالة البرقيات الفلسطينية انه شاع ان الخليفة السابق عبد المجيد
أرسل برقية الى الملك حسين يبايعه فيها بالخلافة باسم آل عثمان

مبايعة الهند

وروت ان الهنود أرسلوا برقية الى الملك حسين يبايعونه فيها بالخلافة

ومن البرقيات التي نشرتها الجرائد السورية والفلسطينية ما ننقله عن
مراسل جريدة المقتبس الدمشقية في عمان وهي التي أرسلها اليها في ١٣ شعبان -
٢٠ آذار (مارس) مع « منشور العودة » وهذا نصه :

(بيعة الهند) وردت على جلالة الملك برقية من الهند تفيد بمبايعة (١) الهند
لجلالته وهم يذكرون جلالته بلزوم تأسيس مجلس شوري عام من جميع الاقطار
الاسلامية مركزه للنظر في شؤون الاسلام بصورة عامة . كما أن برقية وردت
على جلالته من الوفد الفلسطيني الموجود في الهند تفيد بمبايعة الاهالي لجلالة

المنار : ظاهر هذا ان سورية بايعت قبل فلسطين غيا با ١٦ مارس يوافق ٥ شعبان
وسترى ما كتب في مبايعة بيروت في غرة شعبان

أمير المؤمنين ، وعند انعقاد المؤتمر الاول في الهند يدعون بالخلافة لصاحب الجلالة بدون ريب « اه

وهاتان البرقيتان من أغرب الاكاذيب الصريحة التي أحاطت بهذا الرجل ولا سيما في مبايعته فأهل الهند أشد المسلمين كرهاً له وطعنًا فيه وإنكاراً على خلافته . ولكن صبح أنه هنأه وبايعه رجلاان من زهاء تسعين مليون مسلم في الهند احدهما يسمى الشيخ عبد الحى الاكهنوي من شيوخ الجمود والحشو والثاني احد انصار الانكليز في بمبي وهو وأعوانه لا يمتنعون عن التعبير عن ذلك بأهل الهند ورأيانا لذلك نظائر في التعبير عن اهل مصر وغيرها، اذهناه وبايعه رجل واحدا من المعروفين فيها . وقد اذاعت جريدة القبلة تلك البرقيات الكاذبة واغرب ما جاء فيها ما يأتي :

(نمرذج من برقيات جريدة القبلة غير السرية)

ورد في آخر الصفحة الرابعة من عدد جريدة القبلة الذي صدر بمكة في ٣٠ رجب متضمناً مبايعة الحجاز ثلاث برقيات من (شونة عمان) نص الاولى « أصبح في حكم المقرر إلغاء الخلافة وإخراج الخليفة وكافة الاسرة العثمانية من تركيا وربعاً أعلن هذا بعد غد فالرأي تعجيل العرب بمبايعة ملكهم الحسين بن علي بها بمجرد اعلان مصطفى كمال لذلك » ومضمون الثانية أن مجلس أنقرة قد قرر ما أشير اليه في الاولى وهذا نص الثالثة :

﴿ ترشيح المقطم أمير الحجاز بالمبايعة وشهادته بأهلية حسين للخلافة ﴾
« أمر مدير البوليس باخراج الخليفة والاسرة . الصحف اليوم طاغية بالسخط والآراء في الموضوع . صرحت المقطم بأن (الملك حسين) خير كفاء للخلافة مستجمع لشروطها »

﴿ مقدمة مبايعة وفد مؤتمر فلسطين ونص المبايعة ﴾

اجتماع الوفود في القدس للظرف في أمر الخلافة^(١)

« اجتمع في القدس وفود المدن الفلسطينية ، خلا طهرية وبئر السبع ، يلمذا كرة في أمر الخلافة ، وقد امتنع وفد نابلس عن الاشتراك في المذاكرة لان

(١) ننقل ما يأتي عن جريدة الجزيرة ونشر في سائر جرائد سورية وفلسطين

النابلسيين يرون: إما عقد مؤتمر فلسطيني إسلامي للنظر في هذا الأمر أو انتظار ما تفعله بقية الاقطار الاسلامية ، ولكن بوجود أهل الحل من كل مدينة (١) تم انعقاد المؤتمر الذي يقولون عنه فلم يبق من داع للتأخير ، بيد انهم أصرروا على رأيهم ، على ان معظم أهل نابلس يريدون مبايعة جلالة الملك حسين وانما هم يستحسنون التربص في الامر . أما رأي سائر الوفود فهو مبايعة الملك حسين بالخلافة بعدمفاوضته في بعض الشؤون التي تهتم فلسطين والامة العربية والعالم الاسلامي وقد عقد الوفود الجلسة الاولى في الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين برئاسة الحاج امين افندي الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، وانتخب السيد شكري افندي التاجي كاتباً لضبط مقررات الجلسة ، فشرح سماحة الرئيس الغاية من الاجتماع وما آتت اليه الخلافة وانه لا يجوز بقاؤها عاطلة وطلب الى الوفود المجتمعة أن تنظر في الامر ، فقال بعضهم : اننا جميعاً نؤيد فكرة مبايعة جلالة الحسين ، ولكن يجب أن نتفق وإياه على شروط البيعة . وسأل آخر عما اذا كان يحق لنا انتخاب الخليفة باجتماعنا هذا مع اننا جزء صغير من العالم الاسلامي ؟ فأجيب بأن أمامنا ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب باختياره ستة من خيرة الصحابة لانتخاب خليفة بعد وفاته ، وذلك خير منهج تنهج عليه الامة (١) وقد أقر المجتمعون هذا الرأي ، ثم دار البحث حول اشتراك وفد نابلس في الجلسة ووجوب جمع الرأي الفلسطيني في الامر وعدم تفرقه ، وأخيراً تقرر تأجيل الجلسة الى الساعة الثانية بعد الظهر

(١) المنار: قد جهل الذي أجاب هذا الجواب ان اولئك الستة كانوا أعظم زعماء قريش المرشحين للخلافة بحيث لا تخالفهم غيرهم اذا اتفقوا وتفرق الكافة اذا اختلفوا. وقد وصفهم عمر بن رسول الله (ص) مات وهو راض عنهم. ومن المعلوم انه بشرهم بالجنة فصارمة طوعا لهم بها. فهل لا واثك النفر من فلسطين هذه المنزلة في العالم الاسلامي؟ وكيف يدعون الحل والعقد في الامة الاسلامية أوفي بلادهم وهم مستعبدون فيها الاجنبي؟ ولم يتبعهم جميع أهل بلادهم في مبايعتهم كما تبع الستة جميع المسلمين

(الجلسة الثانية)

افتتحت الجلسة الثانية الساعة الثالثة بعد الظهر في دار المجلس الاسلامي الاعلى فأعرب سماحة رئيس المجلس عن أسفه لأن أهل نابلس ومفوضيهم، صرون بكل أسف على عدم الاشتراك عالم يعقد مؤتمر إسلامي غير هذا ، فطلبت الهيئة البت في أمر البيعة فوافق الجميع عليها واقترح شكري افندي التاجي مندوب الرملة أن يكلف جلالة الملك تأليف مجلس من ثلاثين مندوبا من الاقطار الاسلامية يستشيرهم في أمور المسلمين فأيد رأيه سليم افندي عبد الرحمن ورفيق بك التميمي ، وهنا بين الشيخ محيي الدين افندي الملاح عدم جواز البيعة بشروط فأجابه فضيلة مفتي عكا الشيخ عبد الله افندي الجزار : إن الآية الكريمة (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يقتربنه بين أيديهن وأرجلهن ولا يصينكن في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم) هي من قبيل نص الشروط في البيعة فإذا أمر الله النبي بذلك في المبايعة فلماذا نحيد نحن عنها ؟ .

وهنا طلب البعض عدم وضع قيد أو شرط في المبايعة ثم اتفق الرأي على أن توضع شروط في مصلحة الامة ووضعت صيغة المبايعة وهذا نصها :

﴿ نص صيغة المبايعة التي قررت في القدس ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

«نحن مفتي وقضاة وعلماء واشراف ووفود البلاد الفلسطينية أهل الحل والعقد (١)

بايعنا صاحب الجلالة الهاشمية ملك العرب الحسين بن علي بن عون الهاشمي بالخلافة الاسلامية على ان يكون الامر شورى كما أمر الله تعالى ، وعلى أن لا يجري ما يخالف المصلحة العامة للمسلمين ، وأن لا يكون البت في أمر البلاد الفلسطينية

(١) أهل الحل والعقد هم الذين اذ بايعوا أحدا نفذت أحكامه فهل تنفذ أحكام حسين في فلسطين بمبايعة من ادعوا هذه الدعوى ؟ دع العالم الاسلامي كله

وفي شكل حكومتها ورأسها الا برأي أهلها (ومن نكت فاعلم ان نكت على نفسه
ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)
ثم يلي ذلك أسماء الموقعين ، ولكثرة المواد لم نستطع سردها
(البيعة في دمشق) (١)

« أرسل بعض أفاضل دمشق وادبائها وتجارها البرقية الآتية :
عمان : أمير المؤمنين وخليفة المسلمين الحسين بن علي نصره الله وأبقاه
« نحني جلالكم بتحية الخلافة ونبايعكم البيعة الشرعية على السمع والطاعة
عاقدين على ناصيتكم القراء الآمال بمعزة الاسلام ومجد العرب
عثمان الشراياتي . الحاج ياسين دياب . سعيد الباني . محمد علي دياب .
شكري الشربجي . عبد الغني العسلي . موفق الحسيبي . محمد صائب العظم .
درويش البكري . شفيق دياب . عبد القادر راضي . زكي الركابي . فهمي قزما
احمد المنجد . محمد سعيد عبيد . اكرم الركابي . حمدي الشندر . توفيق القباني
محمد الامام . وجيه المالكي . نسيب شهاب . منير العيطة . اديب الصفدي . ثابت
القباني . عبد الوهاب أبو السعود . عبد الوهاب مغربية . حسام الدين الكزبري .
احسان العابد . ياسين الخانجي . رشدي الدقر . جميل الموره لي . فوزي الدقر .
« واتصل بالصحف ان وفدا كبيرا يتألف من علماء دمشق ومفكرها يبرحها
قريبا الى عمان بحمل مضبطة موقعة من العلماء والاعيان وهيئات الطبقات
الاجتماعية لمبايعة جلالته وتقديم التهاني باسم السوريين لعودة الامامة الكبرى
الى أصحابها » اه (٢)

(صورة بيعة مسلمي بيروت وملحقاتها)

بسم الله الرحمن الرحيم

(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث

(١) منقولة عن جريدة المقتبس الدمشقية (٢) هذا الخبر لم يتحقق

فانما ينسكت على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)
 هذه بيعة رضوان تشهدها الجماعة ، ويشهد عليها الرحمن ، ويلزم طائرها
 العنق ، بيعة شريفة بها السلامة في الدين والدنيا مضمونة
 ولما أصبح مقام الخلافة شاغراً بسبب طرد الخليفة وعجزه عن القيام بالامر
 ولما كان نصب الامام واجباً على الامة

وحيث لم يكن في البيت القرشي ولا في الاقطار الاسلامية من تسلم اليه أمة محمد صلى
 الله عليه وسلم مقاليد أمورها الا وهو (كذا) من انحصر فيه اسنحقا وميراث أجداده
 الاطهار المجتمع فيه شروط الامامة والقائم بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته
 سيدنا ومولانا عبد الله ووليه (الحسين بن علي) أمير المؤمنين أيده الله تعالى ببقائه الدين ،
 وكتب له النصر الى يوم الدين ، وأعاد بعده أيام الخلفاء الراشدين ، والائمة المجتهدين
 وحيث قد صحت امامته وانعقدت له البيعة من أهل الحل والعقد والعلماء
 وذوي الرأي والعقل في كثير من الاقطار الاسلامية

وحيث أصبحت طاعته واجبة للحديث الشريف (من خرج عن الطاعة
 وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية) فاننا نحن مسلمي بيروت نبايع جلالته على ان
 يهتم بمصالح الاسلام ويقدم الفتوى امامه ، ويقرن عليها أحكامه (كذا) ويتبع الشرع
 الشريف ويقف عنده ويوقف الناس ، وان جلالته يشهد وخليفته (كذا) على انه
 لا يريد سوى وجه الله (كذا) ولا يحايي أحد في دين ولا يحامي عن أحد في حق (كذا)
 وان يسير بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بيعة صحيحة شرعية انه قد
 عليها الاجماع ووصل بها الحق الى مستحقه ان شاء الله تعالى »

بيروت في غرة شعبان المعظم سنة ١٣٤٢

(المنار) هذه الصيغة منقولة عن جريدة الحقيقة البيروتية التي كانت أشد الصحف
 اسرافاً في الدعاية لهؤلاء الحجازيين وعلمنا ان المفتي وكبار العلماء وأكثر الفضلاء لم
 يوقعوها بغير توقيع . وهي أشد الصيغ خطأً وكذباً ولا سيما الجيئات فكلها
 كذب كما سنبينه . وسنذكر في الجزء التالي ببيعة مبايعة سورية وصفة المبايعة
 في الحجاز ثم نعلق على المسألة مانين به الحق ان شاء الله تعالى



قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضوى « وضار » كسار الطريحي

٣٠ صفر سنة ١٣٤٣ — الميزان ١٣٠٤ هـ ٢٩ سبتمبر ١٩٢٤

فتاوى المنار

﴿ الوصية المذورة ، باسم المدينة المنورة ﴾

(ص ٢١) من صاحب الامضاء في (ميت غمر)

سيدي الاستاذ الجليل محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار حرسه الله

تحية الله وسلامه اليك وبعد :

الدين الاسلامي الذي جاء فاصلا بين الحق والباطل ، وعلم الناس ان هناك
إله لا يطلع أحدا على غيبه ، وانه لا يظلم مثقال ذرة ، الدين الاسلامي الذي
أقنذ الناس من جاهليتها الاولى ، وأبطل الخرافات والاعتقادات الباطلة ، دين
هدى لمن يريد ان يهتدي ، دين توحيد لمن يريد ان يوحد رباً واحداً ،
دين وجهة واحدة لمن يريد ان يولي وجهه شطره . إلا أن الناس الذين يدينون
به وينتسبون اليه لم يحافظوا عليه ولم يحترموا تعاليمه

وبذلك حقت علينا كلمة العذاب لان أكثر المسلمين لا يعقلون

سيدي : أكتب اليك هذا وأنا في ذهول مستمر وحزن دائم لما وصلت
اليه حالة المسلمين ، حتى أصبحت حياتنا الدينية والدينية تشبه الكفار من كل
الوجوه . وان المنشور المرسل طي هذا الكتاب لا كبر دليل على صدق هذا القول
حتى لا ينال بأننا نكتب على غير حق ، فهل يصح يفضيلة الاستاذ لامة دينها
الاسلام ، وكتابها القرآن ، ان يوزع بينها هذا المنشور ويلصق على أبواب
بيوت العبادة ؟ فبإسم الاسلام الذي رقت حياتك على خدمته والمحافظة عليه ،
وبإسم العلم الذي أخذت منه قسطاً وافراً ، وبحق مالك علينا من فضل بمباحثك
الدينية القيمة ، التي كثيراً ما هدت ضالا وعلمت جاهلا ، ان تبين لنا صحة هذا
المنشور وأصل مصدره والغاية التي يرمي اليها ناشره ، وذلك يكون بنشر الرد بجريدة
الاهرام حتى يطلع الناس عليها ، ويقفوا على حقيقةها ، ولك من الله حسن الجزاء ،
ومن الناس أجمل الثناء ، وأنا لذلك لمنتظرون ، والله المستول الذي بيده المصير
أن يتولاك برعايته . واقبل احترام واخلاص مسلم معجب بعلمك ودينك .

ميت غمري ٢٧ مارس سنة ١٩٢٤ الخضر زكي محمد عبد الله

معاون سابخانة ميت غمر وأمين مخزن البلدية

وهذا نص الوصية المزورة المرسلة مع هذا السؤال

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين على القوم الكافرين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الانبياء

والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ هذه وصية من المدينة المنورة ﴾

عن الشيخ أحمد خادم حرم النبي الشريف قال : كنت ساهرا ليلة الجمعة أتلو القرآن وبعد تلاوته قرأت أسماء الله الحسنى فلما فرغت من ذلك نهيت للنوم فأخذتني سنة من النوم فرأيت الطلعة الهية رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أظهر الآيات القرآنية والأحكام الشرعية رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال لي يا شيخ أحمد قلت لبيك يا رسول الله ويا أكرم خلق الله. فقال لي أبا خجلان من أعمال الناس القبيحة وإن أقدر أن أقابل ربي ولا الملائكة، ووقف على قدم لأنه مات من الجمعة إلى الجمعة مائة وستون ألفا على غير الإسلام وواحد مات على الإسلام فنعوذ بالله من شر ذلك وصار غنيهم لا يرحم فقيرهم وأصبح كل شخص لا يسأل إلا عن نفسه وقد ارتكبوا المعاصي والكبائر والزنا وأنقصوا المكيال والميزان وكثرت المعاصي وأكاد الربا وشربوا الخمر وتركوا الصلاة ومنعوا الزكاة فهذه الوصية لأجل أن يتعظوا لاني في شدة التعب من أجهام فأخبرهم يا شيخ أحمد قبل أن ينزل بهم العذاب من ربهم -م- العزيز الجبار وتغلق أبواب الرحمة ، فنعوذ بالله من شر هذا القرن وأهله لأنهم عن طريق الحق ضالون ، وبالله تعالى يشركون، وبالدين الخفيف ينكرون، وبأديانهم الباطلة يعبدون، وإن الساعة قد قربت وفي سنة ١٣٤٠ هجرية تخرج النساء من غير إذن أزواجهن وفي سنة ١٣٥٠ هجرية تظهر علامة في السماء مثل بيض الدجاج وهي علامة القيامة وفي سنة ١٣٧٠ هجرية تغيب الشمس ثلاثة أيام بلياليها وبعد ذلك تشرق من المغرب وتغلق أبواب التوبة وفي سنة ١٣٨٠ هجرية يرفع القرآن العظيم من صدور الرجال، ويظهر المسيح الدجال، وتتفان النساء والرجال، ويعود الإسلام كما كان خرابا . فأخبرهم يا شيخ أحمد بهذه الوصية وعرفهم بأنها منقولة « بقلم القدرة من اللوح المحفوظ »

ومن يكتبها ويرسلها من بلد إلى بلد أو من محل إلى محل كتب الله له قصر في الجنة ومن لا يكتبها ولا يرسلها حرمت عليه شفاعتي يوم القيامة، ومن لا يعرف (المنار ج ٦) « ٥٣ » « المجلد الخامس والعشرون »

أن يكتبها بأمر كاتبها بكتابتها بثلاثة دراهم، ومن كتبها وكان فقيرا أغناه الله، أو كان مديونا قضى الله دينه عنه، أو عليه ذنب غفر الله له ولوالديه ببركة هذه الوصية، ومن يكتبها عن عباد الله اسود وجهه في الدنيا والآخرة

وقال الشيخ أحمد والله العظيم ثلاثا إن هذه حقيقة وإن كنت كاذبا أخرج من الدنيا على غير الإسلام. ومن يصدق بها ينجو من عذاب النار ومن كذب بها كفر وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (مؤمن مصدق)
(جواب المنار) جاءنا هذا السؤال فقدمنا عليه في النشر والجواب أسئلة أخرى جاءت قبله، ثم أطلعنا قلم انتحري في جريدة الاهرام على كتاب يقترح فيه مرسله نشر هذه الوصية في الاهرام ومطالبة العلماء ببيان ما يجب في شأنها— فتذكرنا أننا قد سألنا عنها هذه الوصية

هذه الوصية فرية ملفقة سبقها أمثال لها كثيرة وكما معزوة الى اسم الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف أو خادم الحجرة النبوية الطاهرة، وأذكر أنني رأيت أول وصية منها بين أوراق لوالدي من زهاء أربعين سنة أو أكثر فصدقناها واهتممت بأمرها وكان ذلك قبل طلي للعلم بل في أول العهد بالقراءة. ومنذ عشرين سنة أرسل الى أمين افندي السرجاني الصائم المشهور بمهر وصية أخرى منها وسألني عن رأيي فيها فنشرتها في باب الفتوى من المجلد السابع (غرة شعبان سنة ١٣٢٢) وأجبت عنها بما سأعيده لها، ثم أرسلت الى نسخة أخرى من السويس بعد سنة ونصف من نشر تلك الفتوى فاعتذرت عن نشرها في فتاوي (ج ٣ م ٩ الذي نشر في ربيع الأول سنة ١٣٢٤)

والظاهر أن الذين يلقون هذه الوصايا من الجهال يظنون أنه ربما يكون انشرها تأثير عظيم في المسلمين، وأنهم يقصدون النفع ويستحلون في التوصل اليه تعتمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم كما كان يفعل بعض الوضاعين لأحاديث الترغيب والترهيب، مع علم أولئك بقوله (ص) «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» فانه روي متواترا في الكتب الستة وغيرها من المسانيد والمعاجم عن عشرات من الصحابة. ثم ينسخها بعض العوام حيث لا مطابع

ويطعنونها في مثل هذه البلاد لتصديقهم بما في آخرها من الوعد والوعيد ، ومن المعجب ان الذين يجددون تلفيق الوصية لا يتركون اسم الشيخ احمد كانه خالد في الحرم النبوي الشريف وكأنه أعطي خدمة الحجرة الطاهرة خالدة تالدة لا تؤثر فيها احداث الزمان ولا مرور السنين ولا تغير الحكومات . ويلوح في ذاكرتي أن بعض زوار المدينة سأل عن الشيخ أحمد هذا منذ سنين كثيرة فلم يجد في الحرم النبوي من يعرفه

ومن دلائل كذب هذه الوصايا أسلوبها العاصي على ان الوصية الجديدة دون ما سبقها في المصاحف والاصطلاحات العامية (ومنها) وهو أقواها زعم مختلفها ان النبي (ص) صار محبوبا عن ربه وعن الملائكة بسبب ذنوب الناس . وهذه أعظم العقوبات التي توعد الله تعالى بها الفجار الكفار بقوله (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فجميع ما نراه على المسلمين من المعاصي هو دون الكذب على الرسول باصل الوصية والكذب على الله بزعمه انه عاقب أفضل رسله بذنوب غيره كما يعاقب الكفار في الآخرة وهو مغفور له بنص القرآن ، على انه لا يعاقب أحد من الخلق بذنوب غيره بالنص أيضا . ومن جهله تعبيره عن التجلي الرباني بالمقابلة كما يعبر أهل هذا العصر عن لقاء بعض الناس لبعض . وقوله : وفي سنة ١٣٤٠ تخرج النساء من غير اذن أزواجهن يدل على ان الوصية لفقت قبل هذا التاريخ ولما وصلنا اليه لم نر شيئا لم يكن قبله فقد كان كثير من النساء يخرجن قبله بدون اذن أزواجهن ولم يخرج فيه جيهن ولا فيما بعده فنقول انه مصداق للجهالة . وما ذكر قبله من المعاصي فهو قديم أيضا ولكنه يزداد بلا شك كما انه قد تجدد من علم السنة ومحاربة البدع والدعوة الى الاصلاح الديني والتوفيق بينه وبين الحضارة والقوة ما لم يكن . وقاعدة هؤلاء المصلحين ان الله تعالى قد اكمل دينه فلا يزيد في الامور الدينية المحضة شيئا لم يرد في الكتاب او السنة الثابتة او اجماع الصدر الاول ، وأن اسعد السعداء من عبد الله تعالى كما عبدوه ، فعلا وتركا حسب الامر والنهي وأن في الكتاب والسنة هدي السلف الاول غني عن كل ما رواها في النصيح والارشاد ، والزجر عن الفساد ، فمن كان مخلصا في نصيح المسلمين ، فليعضد

هؤلاء المصلحين، فهو خير له من اختراع الرؤى الباطلة، والوصايا السخيفة المذورة التي صار يقل في العوام من يصدقها، وجميع الخواص يلعنون مزورها . واننا نذكر هنا ما احببنا به السائل عن هذه سنة ١٣٢٢ إتماماً للفائدة - وكانت تلك في منتهى السخف لفظاً ومعنى - وهذا نصه :

اننا نتذكر أننا رأينا مثل هذه الوصية منذ كنا نتعلم الخط والتهجي الى الآن مرارا كثيرة وكأها معزوة كمنه الى رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية . والوصية مكذوبة قطعاً لا يختلف في ذلك أحد شئ رائحة العلم والدين، وإنما يصدقها البلاء من العوام الاميين ، ولا شك ان الواضع لها من العوام الذين لم يتعلموا اللغة العربية ولذلك وضها بمباراة عامية سخيفة لا حاجة الى بيان أغلاطها بالتفصيل . فهذا الاحق المفترى ينسب هذا الكلام السخيف الى أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء صلى الله عليه وآله وسلم ويزعم أنه وجدته بجانب الحجرة النبوية مكتوباً بخط أخضر يريد أن النبي الامي هو الذي كتبه ثم يتجراً بعد هذا على تكفير من أنكره . فهذه المصيبة أعظم من جميع المصائب التي يقول أنها فشت في الامة وهي الكذب على الرسول عليه الصلاة والسلام وتكفير علماء أمته والعارفين بدينه فان كل واحد منهم يكذب واضع هذه الوصية بها وقد قلل المحدثون ان قوله (ص) : من كذب عليّ معتمداً فليتبوأ مقعده من النار» قد نقل بالتواتر ولا شك ان واضع هذه الوصية متعمداً يكذبها ولا ندري أهناك رجل يسمى الشيخ أحمد أم لا

وأما تهاون المسلمين في دينهم وتركهم الفرائض والسنن وانهم ما هم في المصائب فهو مشاهد وآثار ذلك فيهم مشاعرة فقد صاروا وراء جميع الامم بعد ان كانوا بدينهم فوق جميع الامم « ولما ذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » الا ان يتوبوا . ولا حاجة لمن يريد نصيحتهم بالكذب على الرسول ووضع الرؤى التي لا يجب على من رآها ان يعتمد عليها شرعاً بل لا يجوز له ذلك الا اذا كان ما رآه موافقاً للشرع فالكتاب والسنة الثابتة بين أيدينا وهما مملوآن بالعظات والعبر والآيات والنذر . اهـ

خطاب عام للمسلمين

في شأن الحجاز

(٤)

مفسد الطاغوت بعد ادعائه للخلافة

ذكرنا في الفصول السابقة بعض الحقائق عن سلب الملك حسين أموال أهل الحجاز والحجاج والظلم في الحرم وفقد الأمن بين الحرمين التي جاءتنا من أخبار موسم الحج (سنة ١٣٤١) وقلنا إنه قد صرح في أثناء السنة الماضية قبل موسمها بأنه حاله لمنصب الخلافة فصار خطره أشد، والسعي لتلافيه أوجب، وذلك أن الرجل كلما كبرت مطامعه وتنفج وانتفخ في مظاهره يزداد احتياجه إلى النقود ولا مستغل له إلا الحجاج وأهل الحرمين، لأن الإنكيز منهوه ما كانوا يعطون، ولا بد من مورد غزير يقوم بنفقات الجمع بين عظمة الملك وتخفخته، واخضاع أمراء العرب المنكرين لامبراطوريته وخلافته، ونشر دعاية الخلافة ومقاومة خصومها في الشرق والغرب إلى أن تستقر وتكون مستغلا جديداً وما هي المستقرة أو يهلك العرب والمسلمون، فخصومه في الملك والسلطان أمراء جزيرة العرب المستقلون، وكل واحد منهم يفوقه قوة وإدارة وعدلاً، وخصومه في الخلافة الشعوب الإسلامية ماعدا بعض أهل فلسطين وسورية والعراق من المنتقمين بماله، والراجلين لنواله، أو الخدوعين بدعايته ودعاية رجاله، أو المتلذذين بنكايه فراسة،

والخائفين من شماتة جيرانهم من النصارى الذين عادوا ولده فيصل في تلك الايام، التي كان المسلمون فيها سكارى بمخمرة الاوهام، أو عائشين في غمرة من اضغاث الاحلام، على ان هؤلاء الانصار يقلون عاما بعد عام، لان جنائياته ظهرت للخواص والعوام، وطفقت تتبرأ منه الجماعات والاحزاب كالأفراد.

كان هذا الرجل المفتون باللقاب الضخمة والمظاهر الفخمة أميراً للحجاز وكان بدو البلاد كحضرها يخضعون له، ويخشون بأسه، ويقبلون حكمه لعلهم بأن وراءه دولة يرجى برها، ويخشى ضررها، وقد صلي نار الحرب العامة باسم العرب وهو لم يعمل ولا يعمل ولن يعمل إلا لنفسه وولده، ولم يكن إلا متجراً بالعرب وبلاد العرب، وبدين الاسلام أيضاً كما ظهر، واتضح لغير العميان المنكوسين من البشر، استبد بالامر وحده على جهله وعجزه، فأضاع الفرصة التي سنحت لاستقلال العرب واتساع ملكه، ولم ينل شيئاً من مطامعه الواسعة لنفسه، بل لم يبق له من اماره الحجاز الا هذه المدن والقرى المكدودة على الاصابع وأما القبائل القوية فليس له عليها من سلطان

ولكن افتتاحه بمظمة الملك ونخابة الالقاب وغروره بالوعود الشيطانية، والاماني فيما يسميه « الحسيات النجيبة للمظمة البريطانية » جراه على تسمية نفسه ملك العرب وصاحب البلاد العربية، وصار يتمتع نفسه بما تصبو اليه من عظمة الملك السورية، فحدث اوسمة ورتبا متعددة تصدر جريدته « القبلة » آونة بعد آونة وفي صدرها إما عنوان (توجهات) الذي كان يعهد في الجرائد العثمانية الحميدية، وتحت: وجهه

وسام النهضة أو وسام الاستقلال الملي الشأن الى فلان ووجه ... الى ...
ولما نبأ من انباء القصر العالي ومن تشرف بتقبيل اغتابه حتى ان أولاده
يقبلون فيما يكتبون اليه الاعتاب ، ويعبر أحدهم عن نفسه بخادم تراب
الاقدام (١٤) ولم يدع سيئة من سيئات عبدالحميد إلا وتقلدها حتى اذكاه
الجواسيس على رجال حكومته وأولاده ، دع غيرهم من الناس الذين قد
يعنر بعدهم اعداء له لانه لهم عدو مبين . وقد حمله ادعاؤه هذا الملك
وافقتانه به الى ما تقدم بيان من مصارحة جميع امراء جزيرة العرب بالعداوة
وانذارهم اسقاط اماراتهم وضمها الى ملك البلاد العربية كلها

كان هذا بعض شأنه ، على ضعفه وعجزه ، وخيبة آماله في « العظمة
البريطانية وحسياتها النجبية » - الا ان يقال - ولا يعوز الدليل من قال :
انه لا يقنط من رحمتها ، ولا ييأس من روحها ، فانه تبرأ من رحمة الله ان
كان يقبل بقرار الدول كلها أضعاف ماتعطيه هي ان لم يكن بواسطتها ،
- فماذا ينتظر من غروره وطمعه وعنجهيته وكبريائه وقد ادعى الخلافة
العربية ، وطلق ينشر في جريدته الكاذبة الخاطئة دعاوى مبايعة جميع
الشعوب الاسلامية ، « لصاحب الجلالة الهاشمية ، امير المؤمنين ، وخليفة
رسول العالمين ، المنقذ الاعظم » كقولها (مبايعة أهل مصر - مبايعة بلاد
جاوه . مبايعة بلاد السودان) الخ ؟

ألا انه لا ينتظر منه بعد هذا الاسراف في الظلم والاحاد في الحرمين
الشريفين ، وتثقيل الغرامات على الحجاج ، وبث الفساد السياسي في سائر
بلاد العرب ، وتمكين النفوذ الاجنبي فيها ، ومقاومة الاصلاح ونشر
الخرافات في العالم الاسلامي كله

وقد أخرنا أمام هذا الخطاب في العام الماضي لنقف على ما يكون له من التأثير في عمله بعد لقاء أنصاره وأصحاب الآمال فيه بزيارته لشرق الأردن ثم بعد تنحله لمنصب الخلافة ، حتى تكون النتيجة من خطابنا هذا بعد استيفاء المقدمات ، فجاءتنا اخبار موسم الحج الاخير (سنة ١٣٤٢) بشر مما نشرنا خلاصته في أوائل هذا الخطاب من الاصرار على ما تقدم او الزيادة عليه ، وشرها قطعه للماء عين زبيدة في يوم عرفة لاجل أن يبيم اعوانه الماء المدخر باغلي الاثمان واتفق ان كان حر الصيف شديداً حتى في البلاد المعتدلة ، فكان موقف عرفة كموقف الحساب يوم القيامة ، شغلت شدة الحر وشدة الظم أكثر الناس عن أداء العبادة براحة وحضور قلب ، ومات ألوف من الناس في عرفات وفي الطريق بينها وبين مزدلفة فنى فسكه ، اخبرنا الكثيرون من الحجاج بذلك ، ونشره بعضهم في الجرائد وقالوا ان قربة الماء قد صارت تباع بعشرين قرشا وثلاثين قرشا في الغالب واشتراها بعض الاغنياء باكثر من ذلك

ومن الشواهد على الافساد السياسي ما نقله الجرائد من ارسال دعائه الى عدن وبلاد الشافعية من تهامة اليمن ليأخذوا له البيعة ويخضعوا الناس بأن خايقة المسلمين وملك العرب سيجعل امرهم بأيديهم وحكامهم من أهل مذهبهم ، وادارتهم كما يرغبون ويقترحون ، وهذا موافق لتفسيره الرسمي للوحدة العربية الذي بيناه في الوثيقة الخامسة المتعلقة بالجناية الثانية من هذا الخطاب

وقد ثبتنا في نشر هذه المفسدة فكتبنا الى اليمن بالسؤال عن ذلك فجاءنا نبأ رسمي لا شك فيه بتأييد الخبر

ومن الشواهد على مقاومة الاصلاح ونشر الخرافات وتحكيم الجهل في العلم والدين ما قرأناه في انباء الحجاز من جريدة المقتبس الدمشقية من تصدي الخليفة (خليفة الشيطان) لاستخدام مجلس شورى الخلافة الذي استحدثه لمنع انتشار الكتب والرسائل التي اشتهرت في بلاد جاوه من قبل الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا، كما منع من قبل ذلك كتب شيخى الاسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرها من الكتب القديمة التي لا توافق هواه، ولا نقول رأيه أو فهمه اذ هو عامي لا رأي له ولا فهم في علم ولا دين ثم أخبرنا أحد علماء الازهر الذين حجوا في الموسم الاخير انه علم من الثقات في الحجاز ان حسيناً كلف بعض علماء حكومته ومجلس شورى خلافته كتابة فتوى يطعنون فيها بالشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا صاحب المنار تبعاً لتهم دونها لهم في الاسئلة الذي كلفهم الجواب عنها، فكتبوا له ما لا يرضيه تمام الرضا لان ما يرضيه يغضب الله تعالى - واتقوا شره بأن كتبوا لانهم لم يطلعوا على شيء من كتب الشيخين المذكورين مشتملة على ما ذكر في الاستفتاء - هذا ملخص الخبر بالمعنى

علاوة

﴿ من روايات الحجاج في ظلم حسين ، في الحرمين الشريفين ﴾
عهدنا الى أحد علماء الازهر الذين ذهبوا الى الحجاز في الموسم الاخير أن يستقصي لنا أعمال هذا الطائفة وذكروا له بعض الثقات الذين يعرفون هذه الحقائق ولا يبخلون بها على من يثقون بأمانته ، ويأمنون شر سمائته ، فجاءنا بمسائل كثيرة. ثم جاءنا بيان آخر من بعض سكان المدينة المنورة الذين حضروا موسم الحج الاخير أيضاً - فنلخص البيانين لاطلاع العالم الاسلامي عليهما ،
« المنار . ج ٦ » « ٥٤ » « المجلد الخامس والعشرون »

ودعوته الى القيام بما يجب عليه من العمل لمهد الاسلام، وحرّم الله تعالى وحرّم
رسوله عليه الصلاة والسلام، وخدمة للنار يخ الخاص والعام

ملخص ما جاء به العالم الازهري من مكة

(١) صدرت أوامر الملك حسين بمنع مشترى الاعشاب قبل أخذ ما يلزم
لحيواناته فتجاسر احد التكارنة واشترى فقبض عليه وسجنه عاماً واحداً
وقال انه سجنه بمقتضى الوجه الشرعي من الكتاب والسنة فاستفتى ابو
المسجون المقتين الاربعة بمكة فافتوه انه لا يستحق الحبس شرعاً فاطلع
الملك عليها فغضب وقال انه يخالف الشرع ولا يطلقه من الحبس وصار
يكرر قوله: أشهد اني اخالف الشرع في أحكامي

(٢) في شعبان سنة ١٣٤٢ اشتكت فتاة امرأة من موالى الشناقطة
أحد موالى العربان بانه اغتصبها بعد ان تهددها بالقتل في طريق الرصفة
وهو حى الملك الذي لا يدخله سوى جماله وأي حيوان يدخله يصادر—وقد
وصفت الفتاة المتهمة فقبض الملك على غيره من المفضوب عليهم فقطع يده ورجله
من خلاف من غير ان تراه الفتاة وتشهد انه هو الجاني وهذا حكم الشرع
(٣) جعل رسماً على كل حمل وحمار وبغل يجيء من جدة الى مكة نصف

جنيه انكليزي وريالين مجيديين ومن مكة الى عرفات نصف جنيه انكليزي
ومن مكة الى المدينة ثلاثة جنيهات جنيتها برسم الحكومة والخزينة الخاصة
(٤) لاجل جمع الاعانات من الحجاج وضع في مجاري عين زبيدة
أكياساً من الرمل فوق عرفة بقليل وذلك قبل يوم عرفة فلم يأت وقت
الظهور حتى نضب الماء من حياض عرفة ونشأ عن ذلك عطش شديد
جداً مات بسببه خاق كثير من الفقراء ولما ظهر سره امتنع عن جمع

الاعانة وعلى ذلك أدلة (منها) ان الماء كان فوق عرفة طافيا في الآبار على وجه الارض حتي كان من أخبر بذلك من العرب يملأ بيديه من غير دلو ولا رشاء (ومنها) اننا عند نزولنا الى منزله وجدنا الماء فيها كثيرا وما كان غلاء ماء منى الا من توهم الناس ان الماء مقطوع مما جرى لهم بعرفة . ولكن الذي كان يشاهد الآبار بنفسه وهي تجيش بالماء الغزير يعلم الحقيقة (ومنها) انه قبل خروج الناس الى عرفة بأيام طلب من مطوفي الجاه والمهتدون جمع حجاجهم له في الحرم ليكلّمهم في أمر مهم . ثم قال للمطوفين تدرّون هذا الأمر ؟ فقالوا لا . فقال لاجل جمع اعانة لتصلح عين زبيدة

(٥) طريقته في جمع الاعانة للعين أن ما زاد على عشرين جنيها يوضع في صندوقه الخاص وما نقص عنها في صندوق العين وإذا احتاجت العين للتعمير لا يعطيها شيئا وإذا طلب من صندوقه للحاجة يفض ، وحصل ذلك مرة فغضب وحاسب أمين الصندوق وعطل أعمال لجنة العين أحد عشر شهرا . وبعض الحجاج لجهل أو غفلة أو حب رياء وظهور يدفعون له مباشرة ما يتبرعون به فيكون خالصا له والمعروف منه لا يقل عن ٥٠٠ جنيه (٦) عند مبايعته بالخلافة في عمان وصلت منه برقية لقاضي القضاة

بمكة بأنه إذا امتنع أحد عن البيعة يقتل رميا بالرصاص

(٧) لما وصلت الكسوة من مصر أغرى بعضهم ان يحضروا له بعض المصريين ليقولوا له انه بلغهم انه يريد رد الكسوة وانه سيكسو الكعبة من عنده كما كساها في العام الماضي وان يسترحموا جلالتهم ويرجوه عدم ردها ، يلحوا عليه في ذلك فيقبل رجاءهم . وأظهر للناس انه في غنى عن كسوة مصر ولولا إلحاح المصريين لم يقبلها . والكسوة التي جاء بها

في العام الماضي ثمنها ٣٠٠ جنيه وهي من الصوف القيلان وكانت عند
مادخلنا مكة باهتة وشكلها في غاية السكابة

(٨) كان حول المسجد الحرام مiazza من أوقاف سلاطين مصر
والأتراك فهدمها وجعل محلهاد كاكين ملكاله وصار الناس يبولون في الشوارع
ويتوضئون على أبواب المسجد الحرام ورأيت بعيني ناسا كثيرافعلون ذلك
(٩) أمرأن لا يتجاوز الحمل ٢٠ أقة والجل يستطيع حمل ٧٠ فأكثر
فصارأكثرالحجاج يضطر لترك كثيرمن حاجاته في جدة، وهو يدعي انه
فعل ذلك شفقة على الجمال، والحق انه أراد كثرتهالاجل المال . ومن جراء
ذلك تعطل في العام الماضي عدد غير قليل عن الحج وفاتهم يوم عرفة وهم
بجدة ينتظرون عودة الجمال التي رحلت بهذه الاحمال الخفيفة

(١٠) انه يأخذ من اصحاب الخيام المعدة للاجرة ما يحتاج اليه لا كرام
ضيوف منصبي الملك والخلافة بغير اجرة (وذكر الكاتب حكاية طويالة سمعها
من رجل كردي فقير كلفه الملك الخليفة الاتيان بخمس خيام فاعتذر بفقره
وغربته فوضعه في سجنه الذي سماه هذا المسكين جهنم ووصف مافيه من
السلاسل والاغلال... ثم اقتاده بعض الموسرين باستئجار الخيام المطالوبة
له ولكن لما آن وقت ارجاعها بعد عرفة ارجعوا ثلاثا واغتصبوا اثنتين
(١١) اذا حكمت المحكمة الشرعية حكما وصدق عليه قاضي القضاة
والتدقيقات الشرعية ووسط المحكوم عليه واسطة أو رشوة أو نفاقا أو
أو تجسسا أو اطراء انعكست القضية واصبح المحكوم عليه محكوما له .
وهذا الباب مفتوح للجميع وبعد قليل يصل الآخر الى ماوصل اليه
المحكوم عليه فتنعكس القضية مرة ثانية وبعد مدة تنقلب اخرى وهلم جرا

(١٢) القاضي لا يحكم الا بامر الملك، و حجته انه هو الذي ولاه فكيف يحكم بغير امره واستحسانه . واذا شهد شاهد فتزكيته أن يكون مخلصا لسيدهم وبذلك يكون اعدل الناس ويقوم مقام اثنين واكثر

(١٣) كان على سوارى المسجد الحرام كتابات من قبل سلاطين مصر وتركية وغيرهما بابطال المكوس بمكة والمدينة فطمس الكتابة بالجير ولكنها لا تزال ظاهرة الاثر

(١٤) اذا اراد اغتصاب قطعة ارض من صاحبها تذرع بالطرق العامة وانه يريد أن يفتح طريقا أو يوسعه فيكره صاحب العقار على تركها له في مقابل شيء لا يذكر ثم يأخذ الملك منها قطعة صغيرة للطريق والباقي يبنيه لنفسه بيوتا ودكاكين، وبهذه الطريقة صار له عقار كثير جدا وإنما يأخذ ذلك باسمه بناء على فتوى من القضاة بأن التملك للحكومة لا يصح لانها هيئة وانما يصح لشخص بعينه

(١٥) اذا اضطر أحد الاعيان من شدة تضيقه عليهم الى عرض بعض الحلي والجواهر للبيع فللشريف دلال مخصوص لا يمكن أن يباع شيء من ذلك حتى يعرض عليه وهو يأخذها بالنسب الاثنان لحساب سيده بعد أن يحذر الدلائل من المساومة فيها والمزايدة

(١٦) اذا ورد رقيق يأخذ لنفسه الوصائف والعلمان الحسان بالنسب فمن فاذا تظلم النخاس يقال له هذه عشور الحكومة التي تحافظ عليك من قناصل الدول ومرارا طلب قنصل الانكايز تسليم النخاسين من رعاياهم ورعايا الحكومة الايطالية فلم تسلمهم الحكومة

(١٧) كان له دار في المسعى جعلها مدرسة بعد أن جمع لها اعانات

كثيرة وسلب الاوقاف من اهلها وحبسها على المدرسة وشرط لها شروطا تجعل المدرسة في أي وقت عرضة للاغلاق وطرده المدرسين والطلبة، ويرجع بناءها للملك الخاص بوجره وزاد ان ضم هذه الاوقاف الكثيرة الى ماله - أو أوقافه - أيضا

(١٨) أسس شركة تجارية سماها (الشركة الوطنية) رئيسها أحد صناعه يدعى عبدالوهاب قزاز ولا مال لهذه الشركة وإنما رأس مالها ما تأخذه من التجار من البضائع بالطريقة الآتية: اذا وصلت البضائع الى الجمرك فللملك عمال هناك يعرفون البضائع الراجعة فيحجزونها على اسم الشركة وترسل الى مكة في أول قافلة وتمنع البضائع الاخرى من الخروج حتى تباع هذه كلها وبعد ذلك يسمح للبضائع الاخرى بالخروج الى مكة، والبضائع التي أخذتها الشركة هي من اموال التجار ولكن لا يدفع ثمنها اليهم الا بعد بيعها بأشهر ونادر جداً أن يدفع الثمن كله، وهذه الشركة تخلط الزيت مع السمك والماء مع الغاز وتطفف الكيل والميزان وقد صار الآن رأس مالها عظيماً وهي ملك خالص للشريف لا شريك له فيها

(١٩) يقول دائماً (جوع كلبك يتبعك) فلذلك تراهم دائماً ضد التجار ويسمى في معاكستهم وفي كل شهرين أو ثلاثة يزهد رسم الجمرك والغرامات عظيمة والبضائع متراكمة بدون بيع لانه لا يسمح لهم الا بالكاسد بعد أن يبيع هو ما انتقام من بضائعهم، وان دام هذا الحال على التجار فما قبضتهم الا فلاس حتماً وكذلك يضيق على العربان أولاً في بيع ما يجلبونه الى مكة من غنم وغيرها ، فلا ياذن لهم أن يبيعوها الا بالسعر الذي يسمح لهم به ، ولا يسمح لهم بشراء الطعام الا بمقادير قليلة جداً ، فمن طلب ارزاً

أو دقيقا لا يعطى الا الربع ومن طلب ثوب قماش لا يسمح له الا بالربع حتى اصبح العربان في ضيق شديد وضنك من العيش حتى قال بعضهم: انه بمنعنا طعنا الذي تأخذه بدراهما حتى صرنا نهرب من الضيوف لاننا لا نجد ما نطعمهم بعد أن كنا في كل ليلة نذبح الخرفان ونطبخها بالارز وثانيا في أجور جمالهم للحجاج والقوافل لاجل سمسرتهم كما تقدم وقصده من كل ذلك جعل جميع الناس فقراء حتى يتبعوه ويجند منهم من يشاء بمرتب عشرة ريالات مجيدة ليقاتل بهم ابن السعود والامام يحيى والادريسي

(٢٠) سبب منع العربان للحجاج من زيارة المدينة المنورة الا بجمل يأخذونه منهم أنه كان لقبائل حرب منذ القدم مرتبات من الدول الاسلامية وآخرها الدولة العثمانية (٤٠) الف جنيه سنويا في مقابل امن الطرق وحفر الآبار واحضار الخطب والماء للحجاج في الطريق ومحطاتها ولما ظهر الشريف على الدولة العثمانية كان يعطيهم اياها للاستعانة بهم على فتح المدينة بعد حصارها فلما فتحت المدينة بالهدنة قطع تلك المرتبات وصار العربان من حرب وغيرهم يتعرضون للحجاج في طريق المدينة يأخذون من كل شخص جنيهين فاكثر وفي كل سنة يكون عدد الزائرين (٣٠) الف جمل أو يزيدون ثم ما اكتفى بقطع المرتبات بل صار يجعل اجرة الجمل من مكة أو جدة الى المدينة (١٦) جنيهها يأخذ منها (٦) لنفسه وللحكومة واحد وللمقدم والمطوف والرهينة (واحد) وللقائم مقام القصر الشريف محسن (واحد) وللوسائط (واحد) فيبقى للجبال خمسة فتضرر العربان من هذه الحالة وطلبوا منه الانصاف فامتنع وامتنعوا هم ايضا من حمل الحجاج وذهبوا بجمالهم الى ديارهم فارسل لهم الوسائط

تسترضيهم فرجعوا وشرطوا شروطا منها منع السخرة على جهالهم وعدم تكليفهم بالذهاب بها الى مواقع الحرب جهة ابها عسير والطائف وعدم شراء جهالهم من المزاد واعطائهم المعاشات من رجب سنة ١٣٤٢ الى آخر سنة ١٣٤٢ مبلغ (١٨) جنيه مقدما وجعل كراء الجمل الصافي بيدهم (٨) ولنيرهم (٨) واذا وقع على القافلة تدفهم يقاتلون المتعدي الى آخر قطرة من دمائهم خلافا لما كان سابقا من عدم القتال، خاف لهم بالوفاء ولكنه لم يف واعطاهم من الثمانية عشر الف جنيه التي جنيهه فامتنعوا عن قبولها وخرجوا من مكة غضابا ولما وصلت القافلة الى رابغ أرجعوها الى مكة بدون زيارة وقد مكثت القوافل في رابغ عشرة أيام لان بعض الجمال هربوا بجهالهم الى منازلهم التي حول المدينة وأما من كانت منازلهم حول جدة ومكة فقد عادوا بالحجاج وقد ارسلت الحكومة بواخرها الى ينبع ونقلت الحجاج على حسابها بزعمها مع انها كانت أخذت رسم الجمل (٨) جنيهات وزادت رسم الجمال الى مكة مجيديا ولما رجعت القوافل بهم خرج وقابلهم من الزاهر والشهدا راكبا حصانه وقد سبقه بساعتين محسن راكبا السيارة فلما سمع الجمال صوت السيارة ايقنوا انه يريد اذاهم فقطعوا اربطة الاحمال وقلبوا الشقادف بمن فيها فممنهم من جرح وممنهم من كسرت يده أو رجله والقليل منهم سلموا ودخلوا مكة على حالة ميكية هذا قليل من كثير من المظالم الواقعة على الحجاج والاهالي لها بقية

إبطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

لشيخ الاسلام تقي الدين احمد ابن تيمية رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس احمد بن تيمية رضي الله تعالى عنه عن كراس وجد بخط بعض الثقات قد ذكر فيها كلام جماعة من الناس فما فيه

(قال) بعض السلف : ان الله تعالى لطيف ذاته فسمها حقاً ، وكثفها فسمها خلقاً ، قال الشيخ نجم الدين بن اسراييل : ان الله ظهر في الاشياء حقيقة واحتجب بها مجازاً ، فمن كان من أهل الحق والجمع شهدا مظاهرها ومجالي ، ومن كان من أهل المجاز والفرق شهدا ستوراً وحجبا .
(قال) وقال في قصيدة له :

لقد حق لي رفض الوجود واهله وقد علت كفاي جمعا بموجدي
ثم بعد مدة غير البيت بقوله * لقد حق لي عشق الوجود واهله *
فسأله عن ذلك فقال : مقام البداية أن يرى الاكوان حجبا فيرفضها ، ثم يراها مظاهرا ومجالي فيحقق له العشق لها ، كما قال بعضهم :

أقبل ارضا سار فيها رجاها فكيف بدار دار فيها تماها

(قال) وقال ابن عربي عقيب انشاد بيتي أبي نواس

رق الزجاج وراقت الخمر فتشاكلا فتشابه الامر

فكأنما خسر ولا قدح وكأنما قدح ولا خسر
لبس صورة العالم فظاهره خلقه ، وباطنه حقه . وقال بعض السلف
عين ماترى ، ذات لاترى ، وذات لاترى ، عين ماترى ، الله فقط والكثرة
وهم . قال الشيخ قطب الدين ابن سبعين : ربِّ مالك ، وعبد هالك ،
وانتم ذلك ، الله فقط والكثرة وهم

للشيخ محي الدين ابن عربي
يا صورة انس سرها معنائي ما خلقت للامر ترى لولائي
شدناك فأنشأناك خلقاً بشراً تشهدنا في أكمل الاشياء
وطلب بعض أولاد المشايخ للحرمايرى من والده الحجج (١) فقال له
الشيخ طف يا بني بيت ما فارقه الله طرفه عين

(وقال) . قيل عن رابعة إنها حجت فقالت هذا الصنم المعبود في
الارض وإنه ما وجه الله ولا خلا منه . وفيه للحلاج
سبحان من أظهر ناسوته سر سناء لاهوته الثاقب
ثم بدا مستتراً ظاهراً في صورة الاكل والشارب
قال وله

عقد الخلائق في الآله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه
وله أيضاً

بيني وبينك إني تراحمي فارفع بحقك إني من البين
(قال) وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي الحلبي المتتول بهذه
البقية (٢) التي طلب الحلاج رفعها تصرف الاغيار في دمه . وكذلك قال

(١) كذا والعبارة غير ظاهرة فلعلها محرفة (٢) لعلها الانية

السلف : الحلاج نصف رجل وذلك أنه لم ترفع له الانية بالمعنى فرفعت له صورة . قالوا لمحيي الدين بن العربي

والله ماهي الا حيرة ظهرت وبني حلفت وان المقسم الله
وقال فيه : المنقول عن عيسى عليه السلام أنه قال . ان الله تبارك
وتعالى اشتاق أن يرى ذاته المقدسة فخاق من نوره آدم عليه السلام
وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها ، واني أنا ذلك النور وادم المرآة .
قال ابن الفارض في قصيدته (نظم السلوك) :

وشاهد اذا استجلبت نفسك من ترى بغير مرآة في المرآة الصقيلة
أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر اليك بها عند انعكاس الاشعة
(قال) وقال ابن اميراثيل : الامر أمران . أمر بواسطة وأمر
بغير واسطة . فالامر الذي بالوسائط قبله من شاء الله وورده من شاء الله
تعالى ، والامر بغير واسطة لا يمكن خلافه ، وهو قوله تعالى (انما أمره
اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فقال له فقير ان الله تعالى قال لا آدم
بلا واسطة لا تقرب الشجرة فقرب وأكل ، فقال صدقت وذلك أن
آدم انسان كامل . وكذلك قال شيخنا علي الحريري : آدم صفي الله
تعالى كان توحيده ظاهراً وباطناً فقال فكان قوله تعالى « لا تأكل »
ظاهراً ، وكان أمره « كل » باطناً ، فأكل فكذلك قوله تعالى . وابلليس كان
توحيده ظاهراً ، فأمر بالسجود لا آدم فرآه غيراً فلم يسجد فغير الله عليه
وقال (اخرج منها) الآية

(قال) وقال شخص لسيدي حسن ياسيدي اذا كان الله يقول
لنبيه (ليس لك من الامر شيء) ايش نكون نحن ؟ فقال سيدي ليس

الامر كما تظن ، قوله (ليس لك من الامر شيء) أيش غير الاثبات للنبي
صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى *
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)
وفيه لا وُحد الدين الكرماني

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين
غيره

لا تحسب بالصلاة والصوم تنال قربا وودنوا من جمال وجلال
فارق ظلم الطبع تكن متحداً بالله والا كل دعواك محال
غيره للحلاج

إذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
يشاهد حقا حين يشهده الهوى بأن صلاة العارفين من الكفر
للشيخ نجم الدين بن اسرائيل
الكون يناديك أما تسمعي من ألف أشتاتي ومن فرقي
أنظر لتزاني منظرا معتبرا ما في سوى وجود من أوجدني
وله

ذرات وجود هي للحق شهود أن ليس لموجود سوى الخلق وجود
والكون وان تكثرت عدته منه الى علاه يبدو ويعود
وله

برئت اليك من قولي وفعلي ومن ذاتي براءة مستحيل
وما أنا في طراز الكون شيء لاني مثل ظل مستحيل
للغفيف التماساني

أُحِنَ إِلَيْهِ وَهُوَ قَلْبِي وَهَلْ بُرَى سِوَايَ أَخُو وَجَدِي مَحَنَ لِقَلْبِهِ
وَيَحْبِبُ طَرَفِي عَنْهُ أَذْهُوَ نَظَرِي وَمَا بُعْدُهُ إِلَّا لِإِفْرَاطِ قَرَبِهِ
قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : التَّوْحِيدُ لَا لِسَانَ لَهُ وَلَا لِسَنَةَ كَلَامًا لِسَانَهُ .
(وَفِيهِ) لَا يَعْرِفُ التَّوْحِيدَ إِلَّا الْوَاحِدُ ، وَلَا تَصِحُّ الْعِبَارَةُ عَنْ
التَّوْحِيدِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَعْبُرُ عَنْهُ إِلَّا بِغَيْرٍ ، وَمَنْ أَثَبَتَ غَيْرًا فَلَا تَوْحِيدَ لَهُ
(وَفِيهِ) سَمِعْتُ مِنَ الشَّيْخِ مُحَمَّدَ بْنَ بَشَرِ النَّوَاوِيِّ أَنَّهُ وَرَدَ سَيِّدَنَا
الشَّيْخَ عَلِيَّ الْحَرِيرِيَّ إِلَى جَامِعِ نَوَى قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ جَنَّتْ فَقَبَلَتْ الْأَرْضَ
بَيْنَ يَدَيْهِ وَجَلَسَتْ فَقَالَ يَا بَنِيَّ وَقَفْتُ مَدَّةً مَعَ الْمَحَبَّةِ فَوَجَدْتُهَا غَيْرَ الْمَقْصُودِ
لَاَنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ غَيْرٍ لَغَيْرٍ وَغَيْرُ مَا نُمُّ ، ثُمَّ وَقَفْتُ مَدَّةً مَعَ التَّوْحِيدِ
فَوَجَدْتُهُ كَذَلِكَ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عِبَادٍ لِرَبٍّ ، لَوْ أَنَّ نِصْفَ
النَّاسِ مَا رَأَوْا عِبَادًا وَلَا مَعْبُودًا

(وَفِيهِ) سَمِعْتُ مِنَ الشَّيْخِ نَجْمِ الدِّينِ بْنِ إِسْرَائِيلَ مِمَّا أُسْرِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ
سَمِعَ مِنْ شَيْخِنَا الشَّيْخِ عَلِيَّ الْحَرِيرِيَّ فِي الدَّامِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ قَالَ يَا نَجْمُ
رَأَيْتَ لَهَا تِي الْفَوْقَانِيَّةِ فَوْقَ السَّمَوَاتِ وَحُنْكَ تَحْتَ الْأَرْضِينَ ، وَنَطَقَ
لِسَانِي بِلَفْظَةٍ لَوْ سَمِعْتُ مِنْي مَا وَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ دُمِي قَطْرَةً . فَلَمَّا كَانَ
بَعْدَ ذَلِكَ بِمَدَّةٍ . قَالَ شَخْصٌ فِي حَضْرَةِ سَيِّدِي الشَّيْخِ حَسَنِ بْنِ الْحَرِيرِيَّ
يَا سَيِّدِي حَسَنُ أَمَّا خَلَقَ اللَّهُ أَقْلَ عَقْلًا مِمَّنْ ادَّعَى أَنَّهُ إِلَهٌ . مِثْلُ فِرْعَوْنَ
وَنَمْرُودَ وَأَمْثَلِهِمَا . فَقُلْتُ أَنَا هَذِهِ الْمَقَالَةُ مَا يَقُولُهَا إِلَّا أَجْهَلُ خَلْقِ اللَّهِ أَوْ
أَعْرَفُ خَلْقِ اللَّهِ . فَقَالَ صَدَقْتَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ سَمِعْتُ مِنْ جَدِّكَ يَقُولُ
رَأَيْتَ كَذَا وَكَذَا . فَذَكَرَ مَا رَوَى نَجْمُ الدِّينِ عَنِ الشَّيْخِ
(وَفِيهِ) قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : مَنْ كَانَ عَيْنَ الْحِجَابِ عَلَى نَفْسِهِ فَلَا

حاجب ولا محبوب

(والمطلوب من السادة العلماء) ان يبينوا لنا هذه الاقوال وهل هي حق او باطل ؟ وما يعرف به معناها وما يبين انها حق او باطل وهل الواجب انكارها ؟ او اقرارها ؟ او التسليم لمن قالها ؟ وهل لها وجه سائق ؟ وما حكم من اعتقد معناها . اما مع المعرفة بحقيقتها ، واما مع التأويل المجمل لمن قالها والمتكلمون ارادوا لها معنى صحيحا يوافق العقل والنقل ويمكن تأويل ما يشكل منها وخلفا على ذلك المعنى ؟ وهل الواجب بيان معناها وكشف مغزاها ، اذا كان هنالك ناس يؤمنون بها ، ولا يعرفون حقيقتها ؟ أم ينبغي السكوت عن ذلك وترك الناس يعظمونها ويؤمنون بها مع عدم العلم بمعناها ؟

(فأجاب شيخ الاسلام) أبو العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية
قدس الله روحه ونور ضريحه :

الحمد لله رب العالمين . هذه الاقوال المذكورة تشتمل على اصليين باطلين مخالفين لدين المسلمين واليهود والنصارى مخالفتهما للمعقول والمنقول (أحدهما) الحلول والاتحاد وما يقارب ذلك كالقول بوحدة الوجود كالذين يقولون ان الوجود واحد فالوجود الواجب للخالق هو الوجود الممكن للمخلوق ، كما يقول ذلك أهل الوحدة كابن عربي وصاحبه القونوي وابن سبعين وابن الفارض صاحب القصيدة التائية (نظم السلوك) وعامر البوصيري السيواسي الذي له قصيدة تناظر قصيدة ابن الفارض

والتلمساني الذي شرح مواقف النغري (١) وله شرح الاسماء الحسنى على طريقة هؤلاء وسعيد الفرغاني الذي شرح قصيدة ابن الفارض والششتري صاحب الارحال الذي هو تلميذ ابن سبعين وعبد الله البلباني وابن أبي منصور المصري صاحب (فك الازرار ، عن اعناق الاسرار) وامثالهم ثم من هؤلاء من يفرق بين الوجود والثبوت كما يقوله ابن عربي ويزعم أن الاعدان ثابتة في العدم غنية عن الله في انفسها ، ووجود الحق هو وجودها ، والخالق مفتقر الى الاعدان في ظهور وجودها ، وهي مفتقرة اليه في حصول وجودها الذي هو نفس وجوده ، وقوله مركب من قول من قال المعلوم شيء وقول من يقول وجود المخلوق هو وجود الخالق . ويقول فالوجود المخلوق هو الوجود الخالق ، والوجود الخالق هو الوجود المخلوق ، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع وفيهم من يفرق بين الاطلاق والتعيين كما يقوله القونوي ونحوه فيقولون ان الواجب هو الوجود المطلق لا بشرط . وهذا لا يوجد مطلقا الا في الازمان فما هو كلي في الازمان لا يكون في الاعدان الا معينا ، وان قيل ان المطلق جزء من المعنى لزم أن يكون وجود الخالق جزءا من وجود المخلوقات ، والجزء لا يبدع الجميع ويخلقه ، فلا يكون الخالق موجودا

ومن قال ان الباري هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق كما يقوله

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الجبار بن الحسن النغري الصوفي المتوفى سنة ٣٥٤ والتلمساني شارحه عفيف الدين سليمان بن علي الصوفي الشاعر صاحب الديوان المشهور توفي سنة ٦٩٠

٤٤٠ تناقض أهل الوحدة وتصحيحهم للشرك المنار. ج ٦ م ٢٥

ابن سينا وأتباعه فقله أشد فساداً فإن المطلق بشرط الإطلاق لا يكون إلا في الأذهان لا الأعيان ، فقول هؤلاء بموافقة من هؤلاء الذين يلزمهم التعطيل شر من قول الذين يشبهون أهل الحلول

وآخرون يحملون الوجود الواجب والوجود الممكن بمنزلة المادة والصورة يقولها (١) المتفلسفة أو قريب من ذلك كما يقوله ابن سبئين وأمثاله

وهؤلاء أقوالهم فيها تناقض وفساد ، وهي لا تخرج عن وحدة الوجود أو الحلول أو الاتحاد وهم يقولون بالحلول المطلق والوحدة المطلقة والاتحاد المطلق ، بخلاف من يقول بالمعنى كالنصارى والغالية من الشيعة الذين يقولون بالاهية علي أو الحاكم أو الخلاج أو يونس القبني أو غير هؤلاء ممن ادعيت فيه الاهية ، فإن هؤلاء قد يقولون بالحلول المقيد الخاص ، وأولئك يقولون بالإطلاق والتعميم ، ولهذا يقولون النصارى إنما كان خطأهم للتخصيص ، وكذلك يقولون عن المشركين عباد الأصنام إنما كان خطأهم لأنهم اقتصروا على عبادة بعض المظاهر دون بعض ، وهم يجوزون الشرك وعبادة الأصنام مطلقاً على وجه الإطلاق والعموم ، ولا ريب أن في قول هؤلاء من الكفر والضلال ما هو أعظم من اليهود والنصارى ، وهذا المذهب كثير في كثير من المتأخرين وكان طوائف من الجهمية يقولونه . وكلام ابن عربي في (فصوص الحكم) وغيره (٢) وكلام ابن سبئين وصاحبه الششتري وقصيدة ابن الفارض (نظم السلوك) وقصيدة عامر البصري وكلام العفيف التلمساني وعبد الله البلبالي والصدر القونوي وكثير

(١) لعل أصله التي يقولها الخ « ٢ » قوله وكلام ابن عربي مبتدأ خبره مع ما عطف عليه قوله بعد : وهو مبني على هذا المذهب

من شعر ابن اسرائيل وما ينقل عن شيخه الحريري ، وكذلك يوجد نحو منه في كلام كثير من الناس غير هؤلاء هو مبني على هذا المذهب مذهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكثير من أهل السلوك الذين لا يعتقدون هذا المذهب يسمعون شعر ابن الفارض وغيره فلا يعرفون أن مقصوده هذا المذهب ، فان هذا الباب وقع فيه من الاشتباه والضلال ، ما حير كثيراً من الرجال

وأصل ضلال هؤلاء أنهم لم يعرفوا مباينة الله سبحانه للمخلوقات وعلوه عليها ، وعلموا أنه موجود فظنوا أن وجوده لا يخرج عن وجودها ، بمنزلة من رأى شمع الشمس فظن أنه الشمس نفسها

ولما ظهرت الجهمية المنكرة لمباينة الله وعلوه على خلقه افترق الناس في هذا الباب على أربعة أقوال . فالسلف والأئمة يقولون : إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه (١) كما دل على ذلك الكتاب والسنة

(١) هذه الكلمة المأثورة بالروايات الصحيحة المسندة الى أئمة السلف قد جمعت في صفات الله تعالى بين قبول نصوص الكتاب والسنة وبين التنزيه المطلق الذي اراده الجهمية والمعتزلة وبعض نظار الاشعرية بتأويل النصوص بالتحكم والتكلف المؤدي الى تعطيلها ووجملها كالافوحتي لا يذكرونها في عقائدهم ويسمون من يذكرها على اطلاقها مشبهاً - فمباينة الله تعالى لخلقه ابلغ ما يقال في تنزيهه عن مشابهمهم في شأن ما من شؤون الربوبية والالوهية أو مشابهمه لهم في شأن ما من شؤون المخلوقين ، فعلموه تعالى على خلقه واستواؤه على عرشه فوق جميع سماواته لا يقتضي ميم ما ذكر من المباينة أن يكون محصوراً أو محدوداً أو متحيزاً ، إنما علوه سبحانه علو مباينة لها لا كعلو بعضها على بعض ، فان هذا امر إضافي لاحقة بقوله في نفسه ، يعترف بهذا جميع الفلاسفة وعلماء المعقول في كل زمان

« المنار : ج ٦ » « ٥٦ » « المجلد الخامس والعشرون »

وإجماع سلف الأمة . وكما علم العار والمباينة بالمعقول الصريح الموافق للمعقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه في إقرارهم به وقصدهم لإياه سبحانه وتعالى

والقول الثاني : قول معطلة الجهمية وثقاتهم وهم الذين يقولون لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مبين له ولا محايث له، فينفون الوصفين المتقابلين الذين لا يخلو موجود عن أحدهما كما يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم

والقول الثالث : قول حلولية الجهمية الذين يقولون أنه بذاته في كل مكان كما تقول ذلك النجارية أتباع حسين النجار وغيرهم من الجهمية وهؤلاء القائلون بالحلول والانحاد من جنس هؤلاء فان الحلول أغلب على عبادة الجهمية وصوفيتهم وعامتهم، والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم كما قيل : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء، وذلك لان العبادة تتضمن القصد والطلب والارادة والمحبة وهذا لا يتعاق بمعدوم . فان القلب يتطلب موجوداً فاذا لم يطلب ما فوق العالم طلب ما هو فيه

وأما الكلام واللم والنظر فيتملق بموجود ومعدوم. فاذا كان أهل الكلام والنظر يصفون الرب بصفات السلب والنفي التي لا يوصف بها الا المعدوم لم يكن مجرد العلم والكلام ينافي عدم المعلوم المذكور بخلاف القصد والارادة والعبادة فانه ينافي عدم المعبود . ولهذا تجد الواحد من هؤلاء عند نظره وبحشه يميل الى النفي وعند عبادته وتصوفه يميل الى الحلول واذا قيل هذا ينافي ذلك. قال ذاته مقتضى عقلي ونظري، وهذا مقتضى

ذوقي ومعرفتي . ومعلوم أن الذوق والوجدان لم يكن موافقا للعقل والنظر وإلا لزم فسادهما أو فساد أحدهما

والقول الرابع : قول من يقول إن الله بذاته فوق العالم وهو بذاته في كل مكان . وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف كابني معاذ وأمثاله . وقد ذكر الأشعري في (المقالات) هذا عن طوائف ويوجد في كلام السالمية كابني طالب المكي وأتباعه مثل أبي الحسب ابن برجان وأمثاله ما يشير إلى نحو من هذا كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا وفي الجملة فالقول بالحلول أو ما يناسبه وقع فيه كثير من مستأخري الصوفية . ولهذا كان أئمة القوم يحذرون منه كما في قول الجنيد لما سئل عن التوحيد فقال : التوحيد أفراد المحدث عن القدم ، فبين أن التوحيد أن تميز بين القديم والمحدث . وقد أنكر عليه ذلك ابن عربي صاحب القصص وادعى أن الجنيد وأمثاله ماتوا وما عرفوا التوحيد ، لما أثبتوا الفرق بين العبد والرب ، بناء على دعواه أن التوحيد ليس فيه فرق بين الرب والعبد ، وزعم أنه لا يميز بين القديم والمحدث إلا من يكون ليس بقديم ولا محدث . وهذا جهل فان المعرفة بأن هذا ليس ذاك والتمييز بين هذا وذاك لا يقتضي أن يكون العارف المميز بين الشئيين ليس هو أحد الشئيين بل الإنسان يعلم أنه ليس هو ذلك الإنسان الآخر مع أنه أحدهما فكيف لا يعلم أنه غير ربه وإن كان هو أحدهما ؟

من الخرافات الى الحقيقة (*) (١٠)

ان الأئمة في نظر طائفة (الامامية) يأتون على هذا الترتيب : (١) سيدنا علي (٢) الحسن (٣) الحسين (٤) علي زين العابدين (٥) محمد الباقر بن زين العابدين (٦) جعفر الصادق بن محمد الباقر (٧) موسى الكاظم بن جعفر الصادق (٨) علي الرضا بن موسى (٩) محمد بن علي النقي (١٠) علي بن النقي (١١) حسن بن علي الزكي (١٢) محمد بن حسن العسكري يعتقد الاماميون أن الامام الثاني عشر وهو محمد بن حسن العسكري حيّ الى اليوم (وهو الامام المهدى المنتظر عندم) ومن مطالعة مؤلفاتهم يرى الانسان عقائد غريبة مثل قولهم : غيبة صغرى ، وغيبة كبرى

الغيبة الصغرى : يزعمون أنه كان في عام ٢٦٦ هجرية في زمان المعتمد العباسي مناسبات وعلاقات بين الامام وصلحاء الامة . وكان بينهما سفراء ووكلاء ودام هذا ٧٣ سنة

الغيبة الكبرى : ابتدأت في خلافة الرازي بن المعتدر وانقطعت بعد ذلك المناسبات بين الأئمة والامة وكان أول وكيل للامام عند الخلفاء (عثمان ابن سعيد العمري الاسدي) ثم انتقلت هذه السفارة بأمر الامام الى ابنه أبي جعفر — وظل هذا وكلاء عن الامام خمسين سنة : ثم انتقلت الى أبي القاسم حسين بن روح بن أبي بحر النوبختي . وبوفاته انتقلت وكالة الامام الى (أبي الحسن علي بن محمد السميري) وعند ما مرض هذا مرض الموت سأله الشيعة لمن يجب توجيه الوكالة فاعطاهم مكتوباً زعم أنه أخذه من الامام المخفي هذه صورته :
« بسم الله الرحمن الرحيم . يا علي بن محمد السميري عظم الله أجر اخوانك فيك ، فانت ميت ، ما بيني وبينك ستة أيام — فاجمع امرك ولا تعرض الى أحد فيقوم مقامك . وبعد وفاتك قد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور بعد إلا باذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الامد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الارض

(*) تابع لما سبق من الكتاب المترجم عن التركية (راجع ص ٣٨٨ م ٢٤)

جوراً . وسيأتي من شيعتي من يدعى المشاهدة ، ومن يدعى المشاهدة قبل خروج السفينائي والصبيحة فهو كذاب مفتر فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وبهذا المكتوب يدعى الاماميون أن الغيبة الصغرى قد انتهت ، وأن الامام اختفى ، وأن الغيبة الكبرى قد ابتدأت

ان هذه العقائد ليست من الاسلامية في شيء ، وهي إيرانية بحجة ان الامام الثاني عشر توفي عام ٢٦٠ في زمان الخليفة العباسي المعتمد وما رآه هؤلاء الاكارم من الاذى حقيقة يحرق القواد ، ان والد حسن جلب بأمر الخليفة المتوكل من المدينة الى (سر من رأى) وحبس هناك وظل في السجن حتى مات . وهكذا عومل حسن ، وحينما حبس الامام حسن خرج ابنه البالغ من العمر خمس سنين ليفتش على أبيه . ثم دخل في مغارة - أو سرداب - ولم يخرج منها وظل الامامية يذهبون مدة طويلة يوميا لباب المغارة ينتظرون خروج الامام منها . كما ذكر ابن خلدون

ان الامامية لم يكتفوا بتصديق الاوهام وادخالها بين قواعد الدين ، بل اخترعوا احاديث ماله اصل وقدموها للعوام كصحيحة تأميننا لمنافعهم وتهويلها لبساطة الدين ، الاحاديث التي تبحث عن فضائل الطعام والتي قيل فيها ان كذا وكذا من طعام أهل الجنة وامثال ذلك من الخرافات جميعها من ظلفيات الاماميين . (١)

ان هذه الاحاديث الموضوعة تجاوزت الحد وأضررت بالمسلمين اضراراً اقتصادية ايضاً . مثلاً : ماذا تظن باصل الاستمداد من الاموات ؟ وبجمع الامانات لهم ؟ رجل كسلان لا يقدر ان يحسن عملا يرى في المنام قبراً لا يعلم احد ما في داخله (٢) فيتخذ ذريعة للعيشة بدون تعب ، يعلق هناك قنديلاً ، ويرفم على اطرافه حائطاً « ٣ » ثم يكتب لوحاً بأن زيارته تشفي الامراض وتقضي الديون . ثم يضم جملة توافق هواه ويسميها حديثاً . ويكتبها بخط جلي ويلقها في محل مرتقم . عندئذ يصدق البله ويهرعون الزيارة وللأمانة ولتقديم النذور ؟؟؟؟

(١) هذا من تحامل المؤلف فوضاع الاحاديث من غيرهم كثيرون (٢) قد يكون ما فيه حمار أو كلب وقد يكون خالاً - ولذلك وقائع معروفة في بلاد مصر وغيرها (٣) نسي المؤلف بناء القبة فوقه

فهذا الحال اضر بالمسلمين اضراً عظيمة - اولها مخالفة حكم الدين وثانيها إغراء الناس بالمطل والاحتيال وثالثها تعطيل قسم عظيم من الثروة العمومية ورابعها أنه يسوق الناس للاوهام ويبعدهم عن الجزم بأن (ليس للانسان إلا ماسمى) فالمعمدة في الرزق الكسب من طريق الاسباب ، لا ما اعطاه الاموات أما أن الاوان أيها المسلمون لنبذ هذه الخرافات ؟ أليس قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ابلغ من جسيم هذه الترهات ؟

فرقة الكاملية

من الشيعة من غالى وزعم أن كل من لم يبايع علياً رضي الله عنه عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر حتى إن علياً نفسه لم يسلم من اتهامهم منهم الكاملية رجل اسمه أبو كامل كان يقول بالتناسخ وهذه خلاصة تعاليمه : « الامامة نور تنتقل من شخص الى آخر . ويتجلى هذا النور في شخص بشكل النبوة وفي آخر بشكل الامامة . وفي بعض الاحايين ينقلب نور الامامة الى نور النبوة » هذه اصول خرافاته . يراها الاوربي ويظن بنا الظنون « ١ »

فرقة البيانية

هؤلاء يقولون بتجسد الله . « سبحانه وتعالى » رئيسهم رجل اسمه (بيان بن سمعان التميمي) . وهذه خلاصة مذهبه : ان الله بصورة الانسان . ولا أحد يبقى غيره « ٢ » وان روحه تلت أول الامر في علي ابن أبي طالب . ثم انتقلت الى ابنه محمد بن الحنفية ثم الى أبي هاشم وأخيراً الى بيان بن سمعان . أي اليه نفسه . (بيان) هذا كان يزعم اتحاد الاله بشخص علي عجباً من أين اتيت هذه الخرافات الى ديننا الحنيف ؟ أنت من إيران واليونان ومن النصاري لأن زعم بيان بنصف ألوهية علي هو عين اعتقاد الايرانيين في (ميترا) والنصاري في عيسى .

(١) هذه الفرقة وامثالها من الغلاة يسوا من فرق المسلمين وقد انقرض اثرهم (٢) وقع غلط في اسم صاحب هذه النحلة ونسبته فهو بيان التميمي بباء فياء لا « بنان » بالنون ومن كما كان في الاصل وهو الفسائلين بالتناسخ . وان الرب رجل من نور يعني فلا يبقى الا وجهه .

فرقة المليائية

أسسها علياء بن ذراع الاسدي . وكان هذا يزعم بأن علياء هو الله . وكان يزعم أن محمداً (ص) بعث من قبل على

فرقة المغيرية

رئيسها المغيرة بن سعيد العجلي . كان يبالغ أكثر من بيان بما يبين شكله تعالى وحدوده . وهذه نظريته : ان الله انسان من نور وعلى رأسه تاج نوراني . وعند ما أراد أن يخلق البشر تسكلم بأسمه الاعظم . وعند ما بلغه صل الناس السيء غضب وعرق . وحصل من عرقه بحران أحدهما مالح والآخر حلو . وكان البحر الاول مظلماً والثاني نورانياً . ثم نظر للبحر النوراني فرأي ظله . فأخذ منه شيئاً وخلق الشمس والقمر « ٢٥ » . ثم قال لا يجوز أن يشاركني في الألوهية أحد ، وأعدم باقي الظل . ثم خلق المؤمنين من البحر الحلو والكافرين من البحر المالح . اهـ

لا أشك في أن دماغ الانسان مجهد عند ما يتصور ان أوربيا يقرأ هذه الترهات باسم طائفة اسلامية . وأظن أن القرد يفكر احسن من ذلك . وهذه النظرية أيضا إيرانية لان الإيرانيين كانوا يعتقدون مثل ذلك . وهو وصف الله بما كان يصف الفرس (هرمز) معبودهم ولقد وصف البحار . انما كان الفرس يسمونه (آهرمان)

كان الإيرانيون يعتقدون بأن خالق كل شيء هو (هرمز) ثم قال هرمز لوردشت بلغ الناس أن كل شيء يلهم على وجه الارض هو مقتبس من نوري . ولا يوجد في الكون أبهى من ذلك النور . خلقت الجنة والملائكة وكل شيء حسن من هذا النور . وخلقت جهنم وجميع الشرور من بحر الظلمة . فيظهر أن المغيرة أراد أن يقلد (هرمز) ولكنه لم يحسن التقليد أيضا .

فرقة المنصورية

مؤسسها أبو منصور العجلي . ظهر هذا في زمان عبد الملك الاموي . وادعى الإمامة . فاجتمع حوله خلق كثير . وشغل الامة وقتاً بما لا يفيد . (١) لا ذكر شيئاً عن هذه الفرقة (٢) وفي كتاب الفرق بين الفرق أن ظله طار فانزع منه عينيه وخلق منهما الشمس والقمر وافني باقيه —

وهذه نحلته قال: صعدت الى السماء ورأيت الله ووضع يده على رأسي وقال لي انزل الى الارض وبلغ الناس أوامري
وهذه خرافة مأخوذة من الكلدانية والمصرية ولكنها صبغت بصبغة اسلامية . ياللاسف

فرقة الجناحية

رئيسها عبد الله بن معاوية . زعم أن روح الله انتقلت الى الانبياء ثم الى الائمة ثم حل جميع الحرمات وقسم نظريته الاول مأخوذ من عقيدة قدماء المصريين بالتناسخ وقسم نظريته الثاني أخذه من نظرية (مزدك) الايراني
فرقة الخطائية

أسسها أبو الخطاب محمد بن زينب الاسدي . هذا كان يقول بذبوة الائمة وبالوهيتهم . وكان يدعي بأنه أفضل من على نفسه .
فرقة المشامية

مؤسسها هشام بن سالم الجواليقي . ونظرية هذه الفرقة : لله جسد طوله وعرضه وعمقه متساوية ، وهو سبعة اشبار . يشبه الاجسام وجامع للاوصاف الحسية ، وهو جالس على العرش بالتماس . لا يعرف الاشياء إلا بعد ظهورها وقبل ظهورها لا يعرف عنها شيئاً) . اهذه نظرية هشام بن سالم الحكيم . وأما نظرية هشام بن سالم فهي :

« زعمه » ان الله بصورة الانسان وله يد ورجل واذن وعين وفم . ونصفه الاعلى مجوف . ولكنه ليس لحماً ودماً .

إن هذه النظريات التي تضحك القروء كانت قصدية لاشغل المسلمين عن الاشياء النافعة ولقد نالوا ما يغفون وأسفاه !!!

فرقة اليونانية

مؤسسها يونس بن عبد الرحمن القمي زعم أن الله جالس على العرش والملائكة تجره من مكان الى آخر . ثم يقول : مع أن الملائكة تجر عرش الله فهو اقوى منهم كلهم .

فرقة المفوضة

يزعم هؤلاء أن الله بعد أن خالق محمداً (ص) فوض اليه خلق كل شيء .
فالخلق هو محمد . وبعضهم ينسب خلقه العالم الى علي
ان هذا ليس من الاسلام بشيء . بل هو نصرانية بثوب اسلامي .

فرقة المشبهة

اشهر اركان هذه الفرقة احمد الهيجمي . زعم هذا بأن الله جسم . يلامس
ويصافح وحتى يعانق من يريد من أهل الدنيا .

ومنهم عبد الله بن محمد بن كرام أسس شعبة لهذه الفرقة وسماها (المشبهة
الكرامية) . وقال ان العرش هو قطر الالوهية . ؟

أرأيت أيها القاريء المحترم ماذا كان يشتغل اجدادنا ؟ اتظن أن هناك
سبب اقوى مما ذكر أدى لتأخرنا وضعفنا ؟ أظن أن هناك سبب لتشوش
افكارنا وتردد اعمالنا غير هذه النظريات المخلة المختلة

لاتفل أيها القاريء اللبيب هذا شيء مضي . وهو من بقايا القرون القديمة
ان آثاره لحد اليوم حاكمة علينا . لماذا يقتل الاتراك واليدين في اليمن ؟ لماذا
اتفق الادريسي مع النصاري ؟ لماذا يقتل الاتراك بالدروز ؟ لماذا يشتغل
المسلمون حتى اليوم في ترهات كهذه والاوربي يشتغل بالبخار والحديد ؟
كل هذا لان الاسلامية أضاعت شيئاً مهما من نبالتها الاصلية واصبحت اعجوبة
ممزوجة بالخرافات . والامر من كل هذا أن العوام اصبحوا خاضعين للخرافات
اكثر من الحقائق . وكل من حاول ارجاع المسلمين الى دينهم الصافي يحكم عليه بضمف
الاعتقاد !! وهؤلاء المساكين لا يدرون انهم يدينون بخرافات اليونان ويران .
ثم ان لبشري النصاري تأثيراً عظيماً في اكمال ما غاب عن ذهن مؤسس الفرق
المبعوث عنها . نعم اولئك كانوا يبتدعون بدعات جديدة وهؤلاء يأتون
من طريق منحأهم ما يرمون اليه التشكيك بامر الدين . واغرب أمرهم انهم فيما
يريدون افئاع الذي يحدونه ساذجا بامر ما يتكلمون على الاديان كلها ويجرحون
قواعد الاسلامية والنصرانية معا ليحسن السامع الظن بهم وينالون مأربهم
« المنار : ج ٦ » « ٥٧ » « المجلد الخامس والعشرون »

المسألة العربية في طور جديد

دخلت المسألة العربية في طور جديد بخروج حكومة نجد من عزلتها وتعرفها الى العالم الاسلامي والشعوب العربية ، ومديدها القوية الى مساعدة البلاد العربية على الاستقلال المطلق الذي عبثت به خيانة امراء الحجاز ، والالتقاء بدلوها بين دلاء الشعوب الاسلامية في مسألة الخلافة ، وقد صدر بذلك أول بلاغ عام من عاصمة نجد بامضاء نجل سلطانها ارسل الى اشهر الصحف في العالم الاسلامي في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٢ وهذا نصه :

للحقيقة وللتاريخ

بعد العنوان

نرجو من جنابكم ان تفتحوا صدر جريدتكم للكلمة التالية خدمة للتاريخ نشرت جريدة المقطم بتاريخ ٢١ جمادى الثانية ١٣٤٢ - ٢٧ يناير ١٩٢٤ مقالا بعنوان حديث (ملك الحجاز) وقد اطلعنا في بعض الجرائد السوية والمراقبة على احاديث وتصريحات تكاد تتفق مع هذا الحديث . ان هذه الاحاديث قد تضمنت أشياء عن سلطان نجد وموقفه في القضية العربية والاتحاد العربي تخالف الحقيقة والتاريخ واننا لنأسف ان يتجرأ المسؤولون على الاختلاق على الاحياء .

ان سعى سلطان نجد في الحرب العالمية وبعد الحرب العالمية لبناء الوحدة العربية فأرسل الكتب العديدة والرسائل لابن الرشيد وملك الحجاز وأمير عسير والكويت ولكن ملك الحجاز من بين أمراء العرب قابل الدعوة بالاستهزاء بل سعى لنقض بنياتها بما كان يسعره من نيران القتل والفساد في عسير وغيرها وكتبه المرسلة منه الى آل عائض والرشيد محفوظة لدينا . وماذا يقولون في الكتب التي أرسلها سلطان نجد مع مساعدين سويلم الى ملك الحجاز وأولاده ؟ تلك الكتب نشرت في الصحف في حينها والتي نشرت جريدة المقطم لا تبطن تلك الكتب بما تنطوي عليه جوانح سلطان نجد وميله الشريف الى التصافح مع جيرانه والاتحاد معهم . هل علموا أن ملك الحجاز لم يسمح لأولاده باجابه سلطان نجد

وهو (أي ملك الحجاز) قد تخطى حدود الآلية بأن جعل جوابه لآكل السمود كافة لا للجالس على عرش نجد. هل هذه الأعمال مما تقرب زمن الاتحاد العربي؟ وهل يمثل هذه السياسة تجتذب قلوب أمراء العرب؟

يصرح ملك الحجاز أنه خاطب سلطان نجد بأنه مستعد للتنازل عن عرشه ونسليم زمام الأمر إن استطاع أن يقود العرب إلى طريق النجاة والسلامة، وهذا أمر لا أساس له بالمرة بل الواقع يخالفه تمام المخالفة. نعم إن ملك الحجاز قد صرح أمام بعض الجماهير يمثل هذه التصريحات للنموذج على البسطاء. إن ملك الحجاز يحاول أن يتولى الزعامة غير المقيدة في جزيرة العرب كلها، ليستذل أمراء العرب ويقتطع بلادهم ويتدخل في شؤونهم الداخلية، وهذا لا يمكن أن يوافقه عليه أحد، وإن مكاتبات ملك الحجاز إلى أهل القصيم وحشمهم على نقض ولائهم لسلطانهم لدليل بين على ما يخفيه وينوبه لسلطان نجد وبلاده.

أن تحت يدنا من الكتب والرسائل التي وجدت في تربة وخرمة وعسير ما يفيد أن ملك الحجاز وولده عبد الله لا يسعون إلا لشهواتهم ومصالحهم ولو أدى ذلك إلى هدم بناء العرب ولكنتنا نملك عن نشرها الآن فإن سمح لنا ملك الحجاز بنشرها نشرناها. وهناك يعلم العالم الإسلامي والعربي تلك الجنايات والفسائس التي يقوم بها أولئك القوم الذين اتخذوا الصياح وقلب الحقائق ديدنا لهم، وسيعلمون أي الفريقين يجني على أمته العربية ووحدها، وأبهم سبب هذا الانقسام وألقى النفرة بين الأمراء وأشعل نيران الفتنة والحروب بينهم، نعم سيعلمون أن سلطان نجد لم يكن في جميع مواقفه إلا مدافعاً عن نفسه وبلاده وشرفه، وأنه كان ولا يزال راغباً من صميم فؤاده في إنشاء الوحدة العربية على أساس يجعل للعرب قوة ومكانة تليق بتاريخهم المجيد.

٢٥ رجب ١٣٤٢ (فيصل بن عبد العزيز بن سعود)

(المنازل) نشر هذا البلاغ في جرائد مصر وسورية سائر الاقطار العربية والاعجمية ولم تنشره في الوقت الذي نشرته فيه اكتفاء بها وكان له تأثير حسن وعلقت عليه الجرائد الحرة تعليقا مقرونا بالغاؤل والرجاء في دخول قوة نجد في السياسة العربية

٥٢ رأي مسلمي ايران في ثلوث الحجاز وابن سعود المنار: ج ٦ م ٢٥

العامه . وانا ننشر هنا تعليق جريدة (اتحاد الاسلام) التي تصدر في طهران عاصمة لدولة الایرانية لقلّة اطلاع الناس عابها فأرأى صحيفة جديدة تنطق بلسان محبي الجامعة الإسلامية ، وهذا نص تعليقها على البلاغ عقب نشره
رأي مسلمي ايران في ثلوث الحجاز وصاحب نجد

هذا المكتوب بعرب عن دسائس ملك الحجاز لامراء العرب وسعيه بتفريق السكينة العربية ، وما هي بأول فارورة كسرت في الاسلام ، ولا تلك بأول جناية هذا الانسان الشرير على أمته ، فان كل ما يعرفه المسلمون عن ملك الحجاز دسائس وحيل وجنایات يقفوا بعضها بعضا

بنی عرشا موهوما للملكية وانما أقام بنيانه على أساس الخداع والنفاق وشق عصا الطاعة حتى اسال الى جوانبه أنهارا من دماء المسلمين الذين كانوا امرابطين في الثغور لحفظ الحرمین من عادية اعداء الاسلام . ولم يزل يدس هو وأولاده الدسائس المسلمين ، لا يرمون في مؤمن إلا ولا ذمة . كل ذلك في منفعة الانكليز وغاية ما يقنمهم من دنياهم وآخرتهم أن يقال لاحدهم ملك الحجاز وآخر ملك العراق والثالث ملك الاردن ، وان لم يكن لهذه الالفاظ معنى ولا مصداق ، اذ لا حكم ولا أمر ولا نهی ولا حول لهم ولا قوة وليس لاحدهم من السلطان مقدار ما لاحد مأموري الانكليز الذين يسعى ملك الحجاز وأولاده في تثبيت سلطانهم على المسلمين ، وإحكام طوق العبودية لهم في رقاب المؤمنين كل ذلك ليقال لاحدهم ملك وهذه اللفظة أصبحت في البلاد التي يوجد فيها هؤلاء الاشرار مرادفة لفظ خادم الانكليز

وبكفي من دسائس الانكليز ما عمله فيصل ابن ملك الحجاز (١١) في العراق فانه بايع رئيس العراقيين آية الله الخالصي على ان يسعى في سبيل استقلال العراق وقطع نفوذ الانكليز فاذا لم يستطع مضى من حيث أتى ، وبايعه العراقيون على ذلك وماتت له البيعة حتى نكثها وأخذ يسعى لهدم استقلال العراق وتثبيت نفوذ الانكليز فيه بنفي العراقيين وحبسهم وقتلهم بأيدي الانكليز ، حتى انه مد يد العدوان الى آية الله الخالصي نفسه ونفاه من العراق الى الحجاز ولولا جميل

مساعي الدولة الايرانية لبقى فيه منفيا الى الآن ، ولكنها اتخذت جميع الوسائل لمحبيته الى ايران وهو فيها الآن لا يسمح له بالرجوع الى العراق . لماذا ؟ لانه يطالب باستقلال العراق ، وفيصل يسعى ضده ، وكفى من دسائسه ان الانكليز يسعون لقتل المسلمين ونهب أموالهم وهتك أعراضهم بيد الاشوريين وفيصل ساعدهم القوي في ذلك تثبتنا المعاهدة العراقية الانكليزية . وهذه حادثة كركوك الاخيرة تذيب قلب كل مسلم يسمع ان الاشوريين الذين امدتهم الانكليز بالسلاح خربوا المدينة بقتل رجالها ونهب أموالها حتي انهم كانوا يهجمون على الحنمات فيبقرون بطون نساء المسلمات فيها . وما كان من فيصل الا أنه عاون الاشوريين لما هاجت القبائل لرد عاديتهم ارضاء لاساداته الانكليز

يشكو آل السعود من دسائس ملك الحجاز في العسير ونحن نعلم من جنایاتهم أكثر من ذلك والمسلمون قاطبة يعلمون ان أعدائهم ابوجهل القرن الرابع عشر وأولاده ، ولكن هذه حقيقة يجب ان يعلمها آل السعود وكل مسلم وهي ان ملك الحجاز وأولاده آله صماء بيد الانكليز ، وكل ما رآه العالم العربي والاسلامي من دسائسهم ما كان الا أمراً وتدبيراً من الانكليز أجروه على أيدي هؤلاء الاجلاف ، فاذا أراد آل السعود التخلص من تلك الدسائس فعليهم أن ينضموا الى غير الانكليز ليستطيعوا تشكيل وحدة عربية وإنهاض المسلمين في جزيرة العرب

وربما يجيب آل السعود بانهم يتقاضون من الانكليز في كل سنة مئتين ألف ليرة ولا يمكنهم صرف النظر عنها فحينئذ نقول لهم ان هذا المبلغ يعطي لآبادة العرب وهو ثمن بخس ازاء تلك البضاعة الثمينة ، ولا يخدعن آل السعود بذلك فان الانكليز يجرون على أساس التفريق في سياستهم فاذا أعطوا شيئاً من المال الى آل السعود فما ذلك الا تبرير وخداع يتظاهرون بسببه بصداقتهم لهم ومن جهة أخرى يغفرون بهم مسيئة الحجاز وأولاده ، وهكذا يصنعون في جميع العالم يمدون كل متخاصمين ليطول الخصام ويدوم الدمار حتي يفنى القرى بقان . هذه

مدنية الانكليز فلماذا يتخذع لما ملوك الشرق؟ (١)

إن ملك الحجاز وأولاده قد تمحضوا لعبودية الانكليز فلا يتوقن ملوك نجد اصلاحهم اذ قد استحوذ عليهم الشيطان (الانكليز) فانساهم ذكر الله . وان المسلمين في شرق الارض وغربها قد علموا خيانتهم فلا تؤثر تصرفاتهم على المسلمين الا زيادة نفرة وسوء ظن فلا يهتم بتصرفات أولئك الدجالين ملوك نجد ولكن اذا أراد آل السعود قيادة العرب فعليهم ان يناطوا الانكليز ويتخذوا سياسة العطف والحنان تجاه العرب كافة ويحذروا كل الحذر من التنبص الديني تجاه طوائف المسلمين فار ذلك أقوى باعث على ابتعاد المسلمين عن ملوك نجد .

وجه ملك نجد حملة الى العراق سنة ١٣٤٠ هجرية بقيادة فيصل الدويش (٢) ولو انه كان يستعمل العطف والحنان وترك لجميع طوائف المسلمين حريتهم الدينية لما عاقبه عائق عن الاستيلاء على العراق ولا عاقبة على ذلك شدة نفرة العراقيين من الانكليز وخادمهم فيصل ابن ملك الحجاز، ولكن فيصل الدويش استعمل من القوة والشدة ازاء قبيلة البدور على ضفاف الفرات ما أجبر العراقيين كافة على المقارعة التي تمت بنفع الانكليز وفيصل وضرر عامة المسلمين . فعلى آل السعود ان يبدلوا تلك السياسة بسياسة البنى (كذاواها بالين) والعطف التي كانت شعار أئمة المسلمين، ونحن نؤكد لهم انهم يستطيعون ان يقودوا العرب كافة فانهم نافرون من سياسة ملك الحجاز وخداعه .

بقيت لنا كلمة نوجهها الى بعض البلاد العربية التي نسمع عن بعض أهلها انهم بايعوا مسيحة الحجاز بالخلافة ، ونحن نعلم ان بعض السوريين لشدة حنقهم على

(١) المنار . ان سلطان نجد قد رفض الاعانة التي كان يقدمها الانكليز له ثمنا لترك العراق وشأنه وذلك من خريف السنة الماضية ١٩٢٣ فليقر اخواننا الغيوريون في ايران وغيرها عينا ولولا ذلك لما تصدوا الآن لتدمير عرش حسين الصوري

(٢) كان سبب تلك الحملة دسائس الحجازيين وعدوانهم كما علم بعد ونشر في الجرائد

لمنار: ج ٢٥ م ٦ رأي حكومة نجد في الوحدة العربية والحجازيين ٤٥٥

الفرنساويين يريدون الانتقام منهم لبيعة خادم الانكليز ولكن ذلك لا يبرر هذه البيعة النعسة فان عداوة الفرنساويين لا توجب ان يقدم المسلمون على اهانة مقدساتهم ومحو ديانتهم ببيعة ضليل خان المسلمين وجني على العرب جنائيات سياسية ولم يكفه ذلك حتى أقدم على جنائيات دينية باسم الخلافة ، فكانه آلى على نفسه ان لا يبقى المسلمين ديناً ولا وطناً الا امتلاك الانكليز زمامه .
أرى السوريون أن عملهم هذا كان انتقاماً من الفرنساويين ؟ كلا ! فانه انتقام من المسلمين قبل الفرنساويين .

صح الله عقول الشبيبة السورية وبصرها بواجبها الدينى والوطنى .
(انتهى من عدد اتحاد الاسلام الرابع الذي صدر في طهران في
ذي القعدة سنة ١٣٤٣)

بلاغ آخر من عاصمة نجد

الى العالم الاسلامي والشعب العربي
(ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)

منذ بضع سنين قام نفر من إخواننا يطالبون باستقلال العرب وينادون بوجوب اتحاد امراء العرب فشكرنا سعيهم، وحمدنا عملهم، وسألنا الله أن يحسن قصدهم ويرشدهم الى خير العرب . عرضنا عليهم مساعدتنا على أن نضع حداً لمطامع الاجانب . ومقدار مداخلتهم في بلاد العرب فأبوا الا أن يتفردوا بهذا العمل الخطير ويأخذوا على عاتقهم مسئولية ويحوزوا هم وحدهم فخر تحرير بلاد العرب، فقلنا انجح الله استقلال العرب أيا كان المحرر والمنقذ، ولكن ما كاد السيف يوضع في غمده حتى رأينا الاستقلال والتحرير وصاية وانتداباً، وحتى رأينا شباب العرب وحرارهم يقادون الى السجون ويحلون عن بلادهم ويمنعون من الإقامة في ديارهم. فهل الاستقلال ان يصبح العرب غرباء في بلادهم ومرافق الحياة في يد غيرهم ؟ ولولا ان الحجاز يمس شعور المسلمين احتلاله لرأينا الانتداب قد ضرب عليه .

٤٥٦ رأي حكومة نجد في الوحدة العربية والحجازيين المنار: ج ٦ م ١٥٥

ظننا ان القوم بعد هذه الكوارث يفيقون من نومهم، و يشوبون الى رشدهم، فيمتصمون بحبل الله المتين ويستعينون باخوانهم لا نقاذ البلاد العربية وتحريرها من كل مغتصب، ولكن القوم مازالوا في طغيانهم يعمهون، ماحرك شعورهم احتلال بلاد العرب، وما ألم نفوسهم مايعانيه اخوانهم العرب، ولكن استولى عليهم الهام وفقدوا الراحة حينما رأوا جارتهم نجد قوية مستقلة لم تنفذ اليها مطامع المستعمرين، فتآمروا يادؤبا، ويكدرونا صفو راحتنا، فهل هذا هو التحرير؟ وهل تعد هذه الاعمال من وسائل الاستقلال؟

أيها الشعب العربي الكريم

ان نجداً قد حافظت على استقلالها في جاهليتها واسلامها، ولم يدنس ارضها قدم اجنبي مغتصب، وسنبقى محافظة على حقها ان شاء الله ماقي في شعبها عرق يذبض ان نجداً تعد يدها لكل من يريد خير العرب ويسعى لاستقلال العرب وتساعد كل من ينمض لتحرير العرب واتحاد العرب

ان نجداً ترعب بكل عربي ابي، وتعد ارضها ووطنا لكل عربي سوري أو عراقي أو حجازي أو مصري. ان نجد لا تطمع في امتلاك ارض خارجة عن حدودها الطبيعية، ولكنها لا تقبل الا ان تستقل بلاد العرب كلها مستقلة لا صهيحها لا يكون لغير ابنائها سلطان عليها

الخلافة

ليست الخلافة من الوظائف الروحية التي يقصد بها مجرد التبرك ولكنها وظيفة سامية لجميع المسلمين حق النظر فيها فلايس لجماعة او شعب حق البت فيها بدون أخذ رأي باقي الشعوب لاخرى، ولذلك انكرنا على الحسين بن علي عجلته والخط من شأنها بقبوله هذا المنصب الذي لا يابق له، ولذي حق البت فيه راجع الى جميع الشعوب الاسلامية

ان أهل نجد يوافقون اخوانهم أهل مصر والهند في وجوب عرض هذه المسألة على مؤتمر يمثل الشعوب الاسلامية تمثيلاً صحيحاً، وهناك بسند هذا المنصب الى الكنف الذي يستطيع ان يضمن حقوق المسلمين ويبحث فيهم روح

الحياة والنشاط ويربطهم برباط الاخوة الذي كاد ينحل . وهنالا يسعني الا ان
أشكر اخواننا مسلمي الهند الحاملين علم الجهاد لاستقلال جزيرة العرب وحفظ
الخلافة من عبث العابثين (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من
لذلك رحمة)

فيصل بن عبد العزيز السعود

الرياض ٢٨ شوال سنة ١٣٤٢

مؤتمر الشورى

(بشأن الحجاز في عاصمة نجد)

ورد في كتاب من الرياض الى البحرين وارسل منها الى جريدة الاخبار بمصر
في أول شهر القعدة سنة ١٣٤٢ اجتمع في قصر الامام عبد الرحمن والد
سلطان نجد جمع من العلماء والاعيان ورؤساء الاجناد فمن العلماء الشيخ سعد بن
عتيق والشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ سليمان بن سحيان والشيخ عبدالعزيز بن
عبد اللطيف والشيخ صالح بن عبد العزيز والشيخ عبد الله بن حسن . ومن رؤساء
الاجناد والامراء سلطان بن مجاهد بن حميد زعيم برقان عتيبه وأمير هجرة غطف (١)
وعبد الرحمن بن ربيعان أمير هجرة الداهية (٢) ورئيس الروقة من عتيبة وفيصل
الدريش أمير الارطارية ورئيس مطير وحزام بن هزاع بن عمر وفيصل بن حشر
ومعيطي بن عبود وهذال بن سعيدان رؤساء قبائل قحطان وحجاب بن نهيت
وهندي الذويبي وعبد المحسن العزم وعبد العزيز بن مضيان رؤساء حرب وقد
حضر الاجتماع غيرهم ممن لم نقف على أسمائهم

افتتح الاجتماع الامام عبد الرحمن موجها كلامه الى العلماء والاخوان فقال:

(١) المنار : ان الذين يتدينون من الاعراب بدعوة النجديين يلتقون شرائع
الاسلام أولا ثم يحملون على تعلم القراءة والكتابة وعلى ترك البداوة بالهجرة من
البادية الى المدن والقرى عملا بسنة صدر الاسلام ويسعون كل قبيلة أو جماعة
وحيث يقيم هجره وقد يكون كله أم بعضه من بنائها «٢» لعلها محرفة عن اللهناء

اقد جاءني كتب عديدة من الاخوان يطلبون الغزو والحج وهذه الكتب قد أرسلتها في حينها الى ولدنا عبد العزيز حفظه الله وها هو اليوم أمامكم فاسألوه عن كل ما يبدو لكم

السلطان عبد العزيز . ان جميع ما كتبتموه قد وصل الي ، وان شكاياتكم كلها من تعدي بعض المعتدين قد أحطت بها علماء ، واني لم أحل دون غرضكم من الغزو الا حقنا لدمائكم ودماء الامة العربية العريضة ، على ان كل شيء له نهاية والصبر له عند لا يتجاوز ، والامور مرهونة بأرقامها ، والفرص لا تنها في كل وقت سلطان بن محجاد : أيها الامام ، إننا نريد الحج لا محالة ولا نستطيع ان نصبر على ترك ركن من أركان الاسلام مع قدرتنا عليه . إن مكة ليست ملكا لاحد ولا يحق لاحد ان يمنع مسلما أو يصد مؤمنا عن أداء فريضة الحج . إننا نريد أن نخرج ، فان منعنا شريف مكة دخلا مكة بالقوة وان لم يصدنا عن سبيل الله أو يالحق بنا أذى فنحن نخرج ولا شأن لنا به ، واذا كنتم ترون من المصلحة تأخير فريضة الحج فلا بد من غزو الحجاز وتخليص البيت من سيطرة طاغية مكة الذي أرقق المباد وضرب من المكوس والرسوم على قاصدي بيته ما تبرأ منه الشريعة الطاهرة .

السلطان عبد العزيز : إن مسألة الحج هي من أهم المسائل التي يرجع الفصل فيها الى علماءنا حفظهم الله وها هم حاضرون فليتكلموا ونحن نسمع خطابهم الشيخ سعد بن عتيق : إن الحج من أركان الاسلام ومسلمون نجد والحمد لله يستطيعون ان يؤدوا هذا الركن على الوجه الاثم بالرضا أو القوة ولكن من الاصول الشرعية النظر الى المصالح أو المفايد فالامر الذي قد يؤدي الى ضرر أو مفسدة يدفع فمل هنالك من مفسدة أو مفسدة قد تنتج من الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب الى بيت الله ؟ ذلك ما نريد ان نقف عليه من الواقفين على الولاية السلطان عبد العزيز : أيها العلماء والاخوان لقد سمعيت من مدة طويلة في بسط السلام والامان داخل الجزيرة فنحن لا نود ان نحارب مريسلنا ولا نمنع عن مصافاة من يضافينا . لقد أحببت ان نعيش مع أشرف الحجاز كما يعيش

الجيران الى المودة والمحبة ولكن شريف مكة كما تعلمون يسعى دائما لبث الدسائس وإلقاء بذور الخلاف بين عشائرناء، ولكنه كان دائما يوء بالخسران، والله لا يترك الحق يصرعه الباطل . ان شريف مكة قد ورث من أسلافه بغضكم فهو لا يفتأ يطمعن في طريقكم السوي وسيرتكم المحمدية، ولا يألو جهدا في الاقتراء عاينسا والطمعن على علمائنا ولكن أهل الحق لا يفرهم من ناوأهم، ولينصرنهم الله ما نصر وادينه، وظاهرنا شريعتهم

ان شريف مكة لم يكنه ادعاؤه الزعامة على العرب مع أنه أضعفهم بل قام يلقب نفسه بامارة المؤمنين مع انه يعلم ان الاقطار الاسلامية كلها تبغضه، وان علماءكم قد أرسلوا التفكرافات الى مصر والهند ينكرون عليه هذه الدعوى التي لا نراه كفوأ لها، ولا بد من وضع حد لا كاذبيه وافساداته

أما الحج هذه السنة فلا أراه من مصلحتكم . أنا لا أقبل أن تهجوا وبكم شيء من الضعف أو يلحق بكم نوع من الاذى والضرر واني على يقين ان أخذ مكة والمدينة لا يحتاج الى أكبر مجهود ولكن مكة ليست لنا وحدنا بل هي للمسلمين كافة، ومادمنالم نضع خطة بالاشتراك مع المسلمين فاننا لا أجهز لكم الاستيلاء على احدى المدن المقدسة

أن شريف مكة قد لا يمنكم من الدخول الى مكة ولكن الرجل لا يعدم وسائل الشر فقد يدس من يتحرش بكم لتحدث فتنة في مكة في موسم الحج وفيه المسلمون من كل جنس واني أكاد أجزم ان هذه خير فرصة له ليهبج علينا العالم الاسلامي الذي أخذ يفهمنا ويقرب منا وتقترب منه، واعلموا ان الامر لا يطول فاصبروا ان الله مع الصابرين

عندئذ قال العلماء بصوت واحد انه لا حرج عليكم من تأخير الفريضة هذا العام، ما دام ان اداءها قد يؤدي الى فتنة في بلد الله الحرام

فيصل الدويش : لقد وردت الي كنب كثيرة من عشائر مطير الفارة في العراق تطلب العفو والامان اترجع الى أماكنها

أحد العلماء : أن هؤلاء الاشقياء قد خرجوا علي ولي أمرهم وعاثوا في

٤٦٠ تأثير صوت نجب، في العالم الاسلامي ولا سيما الهند المنار: ج ٦ م ٢٥

الارض فسادا، ولكن بما أنهم قد ندموا على فعلتهم، وثابوا الى رشد، فالعفو خير وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ولكن أرى ان الواجب يقضي بأنهم يردون ما نهبوا وما سلبوا الى أهلهم

رؤساء عتبية : اذا كان الحجاز معاديا لنا ولا يبتغي الا إلحاق الأذى بنا فلم لا تبيعوا لنا غزو عشائره التي لا تزال خاضعة
سلطان نجد والعلماء : ان هذه أشهر حرم اتركوا الغزو فيها حتى تمضي
فاذا مضت فلا بد من النظر الى ما فيه المصلحة
ثم انفض الاجتماع وسافر كل زعيم الى هجرته ليخبر قومه بما وقع من
البحث وما حدث من النتائج في المفاوضات اه

(تأثير صوت نجد في العالم الاسلامي ولا سيما الهند)

لقد كان الخطaban الاذان وجهها نجل سلطان نجد الى العرب والعالم الاسلامي كالرياح التي تهب قبل المطر بشرى بين يدي رحمة الرب الرحيم، ثم كان قرار مؤتمر الشورى — هذا — كالسحاب الثقيل ذات الرعد والبرق، فما عثم الغيث ان ايبق، والغوث ان انسق
سرّ أهل الرأي والبصيرة من الشعب العربي وسائر الشعوب الاسلامية بهذا الطور الجديد لا تقاذ جزيرة العرب وشاعر الاسلام من طاغوت الحجاز واوليائه الاجانب، وقد رجعنا مدى جريدة اتحاد الاسلام الايرانية لصوت نجد الاول، فألقى السمع لصدى صوت جمعية الخلافة في الهند الاول والاخر :

(كتاب جمعية الخلافة الى سلطان نجد)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وبعد ان مسلمي الهند، امرأهم وعلماءهم وتجارهم وجههم طبقاً بهم قد راقبوا من كثب مجرى أموركم وأقوالكم الصادرة من فؤادكم فتتحقق لديهم ان في قلب

شبه جزيرة العرب ملة اسلامية، وشهامة قحطانية، ونهضة عربية، ولا سيما عندما انضمتم الى الوحدة العربية، وجاهرتكم بحمايتهم، وانكم ساعدون انصرتهم وكذلك أثبت غيرتكم الاسلامية، وصفتكم العبقريّة، ان تروا الجامعة الاسلامية لا فيادة لها وتجنحوا للسكون ! فتقدمتم الى العام الاسلامي معانين ومصرحين أنكم مع العلماء اتأييد الشرع منضمون ، وفي المؤتمر الاسلامي العتيد داخلون ولحماية الخلافة مع ملوك الاسلام وامرائهم وقوادهم مدفعون ؟ فلا يسم علماء الهند الا أن يرفعوا أيديهم الى قبلة الدعاء في السماء داعين المولى عز وجل ان يكال أعمالكم بالنجاح ، وبإهم بكم الاسلام والعرب سهل الفلاح ، انه محبوب الدعاء

كيف لا وقد زاد فرح وجبور مسلمي الهند عند ما تحقروا اخلاصكم وبطولاتكم لاهياء الجامعاتين العربية والاسلامية . وها ان مسلمي الهند يدعون الآمال الطوال على غيرتكم وفطنتكم في تشييد بناء الاتحاد العربي لتستطيعوا ان تقفوا بوجه كل أجنبي يقصد شبه جزيرتكم أمدمكم الله بنصره، وحرسكم بعنايته، وجعلكم الله مصباحا لا تقاذ اخوانكم العرب من الذل والعار، اللذين دهامهم وخيا على بلادهم بجهل الحسين بن علي وأولاده ضروب السياسة (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) واملئ لهم ان كيدي متين)

قرأنا خطابكم في صحيفة الاخبار الفراء الصادرة في ٦ محرم سنة ١٣٤٣ الذي أقيمتوه في غرة ذي القعدة في مؤتمر رياض عاصمتكم فالفينا خطابكم مملوا بحكمة وأخلاقا وسياسة . قل ان توجد هذه المقدرة بامثالكم

ولقد طلب القواد منكم ان تغزوا مكة وتستخلصوها من الحسين، فاببتم ان تحتلوا بلدا مقدسا قبل الاتفاق على احلاله مع جميع المسلمين، واعتبرتم ان البلاد المقدسة للمسلمين عامة ولا تجرون عملا قبل مشاورتهم في الامر، فهذا برهان صادق على اتباعكم سبيل الشريعة السمحة، بنفس مرضية، ودمقراطية اسلامية والهند ترى التريث ضروريا ريثما يرد الحسين على الجواب الذي ارسلته

اليه قبل تاريخه بعشرة أيام، فإذا انقاد للانضمام الى الخلف العربي ووقع معكم ومع جيرانه محالفات دفاعية هجومية ضد كل عدو أجنبي، فلاحاجة لسفك الدماء ولا ضرورة تسبغ احتلال بلاده . كما قال الله تعالى (وكفى الله المؤمنين القتال)
وعسى الله ان يهديه الى الطريق القويم بعد ان خانه حلفاؤه ، وتسارط على الممالك العربية أهل وداده . انا لله وانا اليه راجعون

واذا رفض الحسين اقتراحاتنا جميعها فترى مهاجمته واحتلال بلاده لازمين كي يستطاع ان توحد كلمة العرب في شبه جزيرتهم ويكون الخلف العربي متينا وشوكة الجامعة الاسلامية قوية . هذا (أي الهجوم عليه) لا نجهزه حتى يصلنا الجواب منه . أو يذهب خمسة عشر يوما عن ميعاد ورود الجواب . لان الحق قال في كتابه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)

ومسلمو الهند يسرهم ان تنظم حكومة نجد ادارتهم وداخليتها وترسل سفراءها الى جميع الدول وتعرض عليهم استقلالها فيمتدرون لها به وتنظم مع التوازن الدولي الجديد وتوقع المحالفات الحبية الدفاعية معهم

ولقد استبشر مسلموا الهند بالانجاح عند ما فتح سلطان نجد أبواب بلاده الى احرار سورية والعراق وفلسطين ولا جرم ان هؤلاء واقفون على سبيل الحضارة والتقدم الحديث وأفكارهم ثاقبة فسوف تستفيد الامة النجدية الفتاة منهم فوائد كبيرة تكون ان شاء الله سببا لرفاهية مجدها ورفع شأنها الى مصروف الدول الحية وان مسلمي الهند يقترحون على دوائكم ان تجاؤا للرياض معامل للأسلحة من بلاد الغرب، وان ترسلوا بعثات علمية من الطلبة النجديين الى بلاد الغرب يتعلمون كيف تصنع المخترعات الحديثة والآلات الحربية والمواد الكيماوية. ويأمل مسلمو الهند ان يوقع سلطان نجد محالفات حربية دفاعية هجومية مع الامام يحيى والادريسي وباقي أمراء الجزيرة وان يعرض علينا شروط الاتفاقيات لتعلمن قلوبنا، وبهدأ روعنا على آخر قوات عربية اسلامية مستقلة مسلحة بقيت لحماية العرب، والانضمام مع الاتراك والافغان وايران وباقي ملوك وأمراء الاسلام المسلحين لحماية الاسلام. وفق الله العاملين. وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

(مبايعة الحجاز لحسين بالخلافة)

كان هذا الفصل وما بعده من أخبار خلافة حسين المكي التي حققنا انها « وضعت سقطا لم يستعمل، ومضغعة لم تكتمل » قد جمعت منذ ثلاثة اشهر وضاق عنها الجزء الماضي وجمع معها مواد اخرى في موضوعها ولكن تاخر هذا الجزء وسبقته الحوادث فاخرنا تاريخه حتى ظهرت طلائع انقاذ الحجاز والعرب من هذا الطاغوت الذي سمي نفسه « المنقذ » بسيف الحق الذي سله الله في نجد فوجب أن نختصر ما كنا جمعناه واكتفي منه بالوثائق التاريخية للاعتبار بهادون استقصاء فنقول

صدر العدد ٧٦٩ من جريدة القبلة المؤرخ في ٣٠ رجب سنة ١٣٤٢ (٦ مارس سنة ١٩٢٤) مزيناً بذور الذهب لانه خص بخبر المبايعة بالخلافة وما يتعلق بها . واقتتح عقالة في (الخلافة والعرب) — وما العرب عندها الا حسين وأتباعه — فبعد التنويه بشورته الشؤمي، وأعماله القبيح، قال الكاتب المستأجر فيها ما نصه :

« وعند قيام جلالته بالنهضة بايحه أهل الحل والعقد في الحجاز كما بايحه بذلك أهل سورية (بما فيها فلسطين) قبل النهضة وبعدها وكذلك أهل العراق ووفود اليمن وغيرها من الاقطار العربية بيعة مستكملة لشرائطها الشرعية ولا تزال وثائقها بين أيدينا »

ثم قال انه هو لم يقبل تلك البيعة في حينها « تحاشيا عن التشويش والاضطراب في هذه المسألة الاسلامية الكبرى تاركا أمر البت فيها الى الرأي العام الاسلامي » « ولكن مع الاسف » أن العالم الاسلامي ترك هذه المهمة الخطيرة هدفا للتلاعب حتى وصل بها الامر الى الحد الفظيع الذي أنبأنا به البرقيات المنشورة في غير هذا المكان من هذا العدد « يعني ما فعله الترك وقد ذكرنا برقياتها هذه وهي من صمان في الجزء الماضي ومنها أن جريدة المقطم سبقت الى ترشيح حسين للخلافة (٤٩) ومن البرقيات التي لم تنشر برقية حسين لرئيس حكومة مكة بأن من امتنع من البيعة يقتل رميا بالرصاص فمبايعة الحجاز وقعت بالاكرام خلافا لما ذكرته قبلة الدعاية الحسينية المزورة الا في تعليلها المبايعة بعمل حكومة انقره اذ قالت

« ان هذا سبب محبوب لشعب تسوري المبايعة وأن هذه الانباء لما وصلت الى العاصمة (مكة) هب أهلها للمبايعة وإقامة الزينات والاحتفالات ثم قالت : « ومما تقدم يتضح أن مبايعة الامة العربية لصاحب الجلالة الهاشمية بالخلافة ليست بالامر الجديد وإنما كانت تأكيذاً للبيعة السابقة »

ثم زعم الكاتب وهو محرر الجريدة المستأجر، الموظف خليفته المزور، أنه صار مكلفاً شرعاً بقبول هذه البيعة ، فهو يرى أن تسمية خليفة تركي كان مانعاً شرعاً من هذا القبول ! وكأنه نسي ما كتبه مولاه في قبلته نفسها من إثبات كفر الدولة العثمانية و بطلان خلافتها القديمة في الازمنة التي بايع خلفاءها هو واسلافه من قبله فيها ، ثم صرح مراراً بدعوى الخلافة ، وجهل أن حكمه بوجوب قبول البيعة الثانية دون الاولى يتضمن جهل الامة العربية التي زعم أنها بايعته بأن تلك البيعة كانت باطلة لا يجوز قبولها ، أو فسقه هو بترك القبول الذي يترتب عليه تعطيل أحكام الشرع ! ولا غرو فكل من المبايعين والمبايع صدق عليهم الحديث النبوي الحكيم « المتشبه بمالم يعط كلايس ثوبي زور » متفق عليه من حديث أسماء بنت الصديق وعند مسلم عن عائشة أيضاً رضى الله عن أبيهما وعنهما) وذلك أن كلامهما مفتقت على الشعوب الاسلامية كلها بما ليس له فيه حق بنفسه ولا بالشرع كما بيناه في الفتوى التي أقمنا فيها الدلائل على بطلان هذه البيعة وعلى كونها لم يقصد بها معنى الخلافة الشرعية لتعذر

ثم ان جريدة القبلة ذكرت بعد تلك ايقولة ما كان من الاحتفال في مكة بالمبايعة العامة والخاصة تعني مبايعة أسرة حسين وعشيرته الشرفاء ورجال حكومته ومبايعة العامة . وإننا ننقل عنها نص الخطاب الذي نطقوه وتلاه على الناس قاضي القضاة ورئيس حكومة مكة ، حفظاً لهذه الوثائق التاريخية وتذكيراً بما فيها من العبرة ، وهو :

(الخطاب الذي أعلنت به المبايعة بمكة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، الحمد لله الذي وفق أهل الحل والعقد والندبير ، لتنصيب إمام يقوم بمصالح أفراد المسلمين الكبير منهم والصغير ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل رحمة

وبشيرا ونذيرا ، والقائل ارشادا لامته « أروا عليكم أميرا » ، وعلى آله وأصحابنا وسلم تسليما كثيرا ، وبعد فبناء على انحلال الامامة الكبرى منذ زمن بعيد وقد نص الشارع صلى الله عليه وسلم على تنصيب المسلمين إماما لهم بقوله « أمروا عايكم أميرا ، ذاك أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقوله صلى الله عليه وآله « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » ونص العلماء على أنه لا بد شرعا للمسلمين من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم ، وإقامة حدودهم ، وسد ثغورهم ، وتجهيز جيوشهم ، وحماية بيضتهم ، وقطع مادة شرور المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق ، وإقامة الجمع والاعياد ، وأخذ العشور والزكاة ، وقطع المنازعات وقبول الشهادات ، وتزويج الصغار الذين لا أولياء لهم وقسمة الغنائم ، لوجهين (الوجه الاول) أنه تواتر إجماع المسلمين في الصدر الاول بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على امتناع خلو الوقت عن خليفة وإمام حتى قل أبو بكر الصديق في خطبته حين وفاته عليه الصلاة والسلام « إلا أن محمدا قد مات ولا بد لهذا الدين من يقوم به » فبادر الكل الى قوله وتركوا له أهم الاشياء وهو دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل أحد من الصحابة لاحاجة الى ذلك ، بل اتفقوا عليه واستمر الناس بعدهم على ذلك (الوجه الثاني) ان في تنصيب الامام دفع ضرر مظنون ، ودفع الضرر المظنون واجب على العباد اذا قدروا عليه اجماعا لما نعلمه علما ضروريا ان مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمالكات والجهاد والحدود والمقاصات واظهار شعار الشرع في الاعياد والجمعات إنما هو مصالح عائدة الى الخلق مآشا ومعادا ، وذلك المقصود لا يتم الا بإمام يكون من قبل الشرع ، يرجعون اليه فيما يعين لهم ، فتصيب الامام من أهم مصالح المسلمين ، وأعظم مقاصد الدين ، فحكمه الايجاب السمي وقد يتمسك على وجوبه بقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) .

وحيث ان شروط الامامة الكبرى قد توفرت في جلالة مليكنا ومنقذنا ملك العرب المعظم صاحب الجلالة الهاشمية الشريف الحسين بن علي تعينت مبايعة فبايعناه بالخلافة سنة خمس وثلاثين بعد الثماتة والالف على أن يعمل فيما بكتاب الله

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي يومنا هذا التاسع والعشرين من شهر رجب الحرام من عامنا الحالي اقتضى الحال تأييد تلك البيعة وإعلانها للعموم فأكدناها اليوم، وحيث أنه غائب في هذا الوقت ومولانا حجة الاسلام قاضي القضاة ومفتي السادة الحنفية ونائب رئيس وكلاء الحكومة العربية الهاشمية مفوض عام من قبل جلالته مدة غيابه في الأمور الشرعية والإدارية بإيعاز الرؤساء من الأشراف والسادة والعلماء والأعيان من أهل الرأي والتدبير من عموم أهالي الحجاز والمجاورين والوافدين على اختلاف طبقاتهم بالخلافة العظمى قائلين « نبايعك نيابة عن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين سيدنا الشريف حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون علي أن يعمل فينا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونقسم لك بالله العظيم على طاعته ورضاه والانقياد له في السر والعلانية وله علينا في ذلك عهد الله وميثاقه ما أقام الدين ، واجتهد فيما فيه صلاح حال المسلمين (فمن نكث فإنا ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) فقبل مولانا المومي إليه هذه البيعة لجلالاته وللإعلام بذلك صار تحريره. اه بنصه ويليه دعاء له بالظفر والفتح والنصر ومحقق سيفه » رقاب الطائفة الباغية الكافرة اه فياللفضيحة والخجل

(المنار) كنا عازمين على إحصاء كل ما في هذا الكتاب من مواضع النقد، واذ كان حسين قد عجز عن إحياء سقط خلافته بالدعاية كما توهم وعن تحنيطه إبقاء لصورته، واذ تفسخ وقرب دفته، نكتفي بالإشارة إلى بعض المسائل المهمة . فأما دعوى مبايعته بالخلافة سنة ١٢٣٥ فإن نص تلك المبايعة الذي نشر في جريدة القبلة كان بالملك على العرب لا بالخلافة، وأما دعوى أهليتهم للمبايعة فباطلة فانهم عاجزون مستعدون له وأعيده لا حل ولا عقد لهم في بلادهم فضلا عن بلاد العرب كلهم الذين سخرُوا بمبايعتهم — فضلا عن العالم الاسلامي كله الذي حقره لقبوله هذه المبايعة — وقد بينا في فتوى الجزء الرابع بطلان هذه الدعوى ودعوى استجاءه لشروط الخلافة، ومن المضحكات أن ذكروا فيها حماية الممالك الاسلامية وهو عاجز الا عن ظلمهم — وقد قرب عهد ام قاط البيعتين، وطرده من الحرمين الشريفين.

منشور الخلافة

كتب الملك حسين منشورا أذاعه على أثر المبايعة الخادعة الباطلة التي مثلت في شونة شرق الأردن ونشر في بعض الجرائد وهذا نصه:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحسين بن علي

(الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، أهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله أفضل الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه وكافة أنبيائه ورسله صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين. أما بعد فاني أسأله الرأفة والرحمة بعباده والهداية والتوفيق لهم وان يجعلنا هاديين مهتدين غير ضالين ولا مضايين، فإنه هو البر الرحيم، والمنان الكريم، ثم انه لما كانت الامامة الكبرى، والخلافة العظمى، نظام عقد الامة، وسند قوام الملة، وكان أمر صيرورتها وكفيتها وما جرى فيها مدونا ومنقولا عن تلقينا عنهم ديننا القويم وكان كل ماجرى من بعد عهد السعيد في كيفية حتوقها وصلاحتها وصائر معاملاتها الى يومنا هذا موضحا في تواريخ العالم الاسلامي وسيره المعبر فقدام حكومة أنقره بما أقدمت عليه على ذلك المقام المكرم كيفما كان شيكاه جمل اولي الرأي والحل والعقد من علماء الدين المبين في الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى وما جاورها من البلدان والامصار يفاجثونا ويلزمونا ببيعهم بالامامة الكبرى والخلافة العظمى حرصا على إقامة شائر الدين وصيانة الشرع، لعدم جواز بقاء المسلمين أكثر من ثلاثة أيام بلا امام كما يفهم صراحة من توصية الفاروق الاكرم رضي الله عنه لاهل شورى البيعة بعده كيفما كانت صيغة تلك الامامة واشكالها الى الآن وعليه

ولما كانت المملكة الهاشمية، والقطعة المباركة الحجازية، مهد الاسلام ومحل ظهوره، ومطلع نوره، وكانت مصونة بعنايته تعالى من كل شائبة في حالتها

السابقة والحاضرة ، ولا سيما العمل فيها باحكام كتاب الله وسنة رسوله بجميع خصوصياته وعمومياته وانطباق حكم البيعة المشروعة من المبايع والمبايع له انطباقا لا يتصور حصوله في أى مملكة أخرى في الوقت الحاضر كان حقا علينا اجابة ذلك الطالب الديني المشروع بعد الاتكال على الله سبحانه واستمداد روحانية نبيه صلى الله عليه وسلم. انذلك قبائنا البيعة متوكلين عليه عز وجل مستمدين منه النور والعون والتوفيق لما يحبه ويرضاه واننا نرجوه سبحانه وتعالى ان يكون هذا الامر الذي قضى به في حكمته الازلية وقدرته الصمدانية وأظهر حكمة قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) مضاعفا لنا بانباع مسالك السلف الصالح .

نعم اننا لم نتعرض البحث في شؤون ذلك المقام الجليل ابان نهضتنا لابل الى قبيل جراءة انقره على كرامته كيفما كانت وضعيته وذلك حذراً من توسع شقة الاختلاف لئلا يتخذ اعداء الاسلام وسيلة لا عريض بمكائنه ولا نكلف سوانا بما لا يراه عملا بقوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته فربكم (١) أعلم بمن هو اهدى سبيلا) ومع هذا فهو المسؤول أن يجعل هذه البيعة ألفة للمسلمين تضم قاصيهم ودانيهم وتسوقهم الى حسن التألف، مع مجارويهم من أبناء دينهم ، وسكان بلدانهم من أهل الكتب السماوية وسائر مواطنيهم بما ألقته اليهم الشريعة الاسلامية وتطبيق ما فرض في أمر «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» وكل ما أوجبه عليهم الشرع الشريف من الرفق بالبشرية وخدمة الانسانية وتجنب الشرور والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، مؤملين منهم حسن القيام بكل ما هو في معنى هذا مما أوجبه الله عليهم فردا فردا وجماعة جماعة وبالاخص العلماء الاعلام في أقطار الاسلام كافة »

حرر في ٥ شعبان سنة ١٣٤٢ هجرية

(المنار) هذا كل ما في المنشور من موضوع الخلافة وعبارته مفهومة في الجملة قليلة اللحن والغلط بالنسبة لكل ما اطلعنا عليه من كلام هذا الرجل ولعله

«١» في الاصل « فربك » وهو غلط لا يجوز لنا ابقاؤه على اصله

أملاه على أحد فحسن عبارته في الجملة والا فهي سخيفة ضعيفة في نفسها وإنما هي كثيرة عليه هو وغرضنا من نقل هذا المنشور في المنار التعليق عليه بما هو حجة على المبايين والمبايعين له نوجز فيه لأن أصل سقوط هذه الدعوى بالفعل صار قريباً (١) اعتراف حسين بأن سبب بيعته « إقدام حكومة انقرة بما أقدمت عليه على ذلك المقام الكريم » أي الخلافة — دع سخافة عبارته « بما وعليه وعلى » وراجع عبارة جريدة (القبلة) تجده مكذباً لهذه الدعوى، ومصدقاً لقولنا السابق المكرر أن هذه المبايعة ليست شيئاً جديداً فما بايعه أخيراً في الشونة إلا بعض من بايعه أولاً فإن كانت البيعة الأولى صحيحة قامت بها عليه الحجة قبلها ولم يقبل ما بأنه غير أهل لها وعاجز عن القيام بأقل شؤونها اذ لم يعمل شيئاً مما توجبه عليه ، واعادتها حجة الزامية على المبايين بما أسندوه اليه من الاهلية مع ظهور بطلانها بالفعل كما هو ظاهر وبأدلة الشرع التي بينها في فتوى الجزء الرابع . وان كانت غير صحيحة فماذا صحيحها الآن ؟

(٢) قوله في توجيه صحة البيعة الجديدة انها الحرص « على إقامة شعائر الدين وصيانة الشرع لعدم جواز بقاء المسلمين أكثر من ثلاثة أيام بلا إمام » ننتقد هذا التوجيه (أولاً) بأن فيه اعترافاً بصحة خلافة عبد المجيد أفندي العثماني وأنه كان يقيم الشعائر ويصون الشرع . وهو كذب في نفسه . فإن عبد المجيد أفندي لم يكن له من الامر شيء ، وكانت حكومة انقرة تعيث بالشرع قبل تسميته خليفة بالسلطة ولا عمل وفي أثباتها وبعدها (وثانياً) بأن حسيناً كان يقول ان هذه الخلافة باطلة وأشار الى ذلك هنا بقوله « كيفما كان شكله » واحترس واضع خطاب المبايعة بمكة بمثله ايضاً (وثالثاً) بأن مبايعي علماء المسجد الأقصى ومن تبعهم من أهل سورية هم الذين كانوا يرون صحة تلك الخلافة وبنوا المبايعة عليها فهذا الاختلاف بينهم وبين خليفتهم وأهل الحرم المكي معه يقتضي جهل أحد الفريقين بالخلافة الصحيحة وغير الصحيحة وعدم أهليته المبايعة وبطلانها . من قبله ، ولما كان قبول حسين لمبايعة الفريق الاول مبنياً على ركن الايجاب الفاسد نعين أن يكون عقد البيعة فاسداً بفساد ركن الايجاب بالقبول بالاتباع

وهذا دليل إلزامي والا فقد بينا بالأدلة التحقيقية بطلان الركنتين مما
(٣) زعمه انه أحق الناس بان يبايع وان الذين بايعوه أحق المسلمين بان
يبايعوا وأنهم أهل الحل والمقد في الاسلام ، وهو ما كررنا فسادَه وبطلانه
بالأدلة الحقيقية والالزامية ومنها عجزه عن القيام بأحكام الخلافة فيهم وفي غيرهم
وعجزهم عن تأييده ونصره — وقد وقع ما يظهر صدقنا فيهما بزحف النجديين
لا تقاذ الحجاز من هذه الخلافة الكاذبة الخاطئة ، دع مظهر اولاً من مخالفة العالم
الاسلامي كله لهم .

(٤) قوله « اننا لم نتعرض للبحث (كذا) في شؤون ذلك المقام الجليل » الى
آخره .. ونكتفي فيه بتعليقنا هنا على عدد (٢) وعلى ماسبق في خطاب بيعة مكة .

﴿ منشور العودة ﴾

(الذي اذاعه حسين المكي قبل عودته من شرق الاردن)

ان هذا الرجل لم يحذق شيئاً من أمور سياسة العالم الا الدعاية لنفسه بالخداع
وقول الزور والوعود التي تكذبها الاعمال والايام وقد نشر منشورا سماه منشور
العودة وعد فيه بتأليف (مجلس شوري للخلافة) ولن يكون إلا آلة لدعايته وأهوائه،
كمجلس وكلائه وقد استشهد فيه بمحدثين يدلان على جهله بأشهر ما يدور على
أسنة العوام من الاحاديث النبوية ، فكيف يكون نائبا عن الرسول (ص) وهو
أجهل من أكثر العوام بعلمته

(الحديث الاول) ما أورده بهذا اللفظ « لا يتم إيمان أحدكم حتى يتمنى
لاخيه ما يتمنى لنفسه » واللفظ الحديث في الصحيحين وغيرهما عن أنس مرفوعا
« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه » والحب فوق التمني فقد يتمنى
الانسان الخير لمن لا يحبه ولا يبغيه

(الثاني) لا يزال العبد مع مولاه ما زال في خدمة أخيه المسلم . وهذا مما
يدور على أسنة العوام بلفظ كان الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه . ولم

أسمه من أحد بلفظ متعجل الخلافة ، وهو لا يوجد في الصحيح ولا السنن ولا المسانيد بل ورد ما في معناه في بعض الكتب التي تعني بجمع لروايات الشاذة والواهية وكذا الموضوع في الترغيب والترهيب فقد روي ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج والحرائط في مكارم الاخلاق عن انس « من أعان مسلما كان الله في عون أخيه . ومن فك عن أخيه حلقة كف الله عنه حلقة يوم القيامة » والمراد بالحلقة الرق وحسين بن علي يسترق الاحرار والحرائر ويأذن ببيعهم وبيعهم في حرم الله تعالى . وقد غضب على بعض التكرور لرغبتهم في التطوع للحرب مع الدولة حين أمرته هو بالدعوة الى ذلك عند اعلان الحرب الاخيرة — فجازاهم على ذلك من حيث يظنون أنهم أطاعوه بان أمر بخطاف أولادهم وبيعهم فنفذ أمره أحد الشرفاء الاشقياء مثله ولو شذنا لذكرنا اسمه وكنيته

التبرع بنسخ من المنار ، ومن شهد له من الكبار

من بعض الادباء سنة حسنة في نشر العلم والادب والسياسة هي اهداء ما يعتقد نفعه من المجلات والجرائد لبعض أصدقائه أو بعض طلاب العلم من أولادهم أو لمن يحب لهم ذلك ولو من غيرهم ، وطالما رأينا في الجرائد العربية السورية التي تصدر في أقطار أمريكا أسماء كثير من هؤلاء المتبرعين وانا نعلم أن كثيرا من الناس يعتقدون أن المنار أنفع الصحف وأهداها وكان شيخنا الأستاذ الامام في مقدمة هؤلاء ، ويرى القراء كلمة له فيه ننشرها في دياجة الغلاف من كل جزء . وكان يرى هذا من كبار الرجال الذين توفاهم تعالى الى رحمة كثيرين نذكر بعض المصريين منهم

(فمن الوزراء) شيخهم الاكبر مصطفى رياض باشا وهو أول من تبرع بالاشتراك بخمسة عشرة نسخة كنانوزعها على بعض طلبة الازهر فرحمه الله واجزل ثوابه (ومنهم) الوزير الكبير ابراهيم قواد باشا المنسترلي الذي كان وزير الحقانية صرح لي ولغيري أن المنار ضروري للنهضة الاسلامية التي تجمع بين هداية الدين والرقي المدني وتؤلف بينهما ، وقد فكر كثيرا في تعميم نشره واستشار يومئذ في ذلك

احمد فتحي زغلول باشا (وكان يومئذ رئيس محكمة مصر الالهائية واقبه: بلك) قالوا: ان الاعانة الشخصية لا تستمر وصاحب المنار الابي لا يقبلها - كانا يعلمان مني ذلك وكان رباح باشا أول من عرضها عليّ واعتذرت عن قبولها - ثم قال الوزير لفتحي: فكر لي في طريقة لاعانة ثابتة يقبلها صاحب المنار بشرط أن يجعل بدل اشتراكه قليلا بحيث يسهل على طلاب الازهر وتلاميذ المدارس وغيرهم من الفقراء الاشتراك فيه فان هذا أنفع من الاشتراك في مثات أو الوف من النسخ ربما تعطى لمن اعلمه لا يقرأها - أخبرني فتحي رحمه الله بهذا، ومما أعترف به من ضرر الزهد الذي طبعت نفسي عليه قراءة إحياء العلوم وغيره من كتب التصوف أن كان من تأثيره أنني لم أراجع أحدا من الرجلين في هذه المسألة على ما فيها من نشر تعاليم الاصلاح الذي أريده - ومات ابراهيم فؤاد باشا قبل أن يضع له الخطة احمد فتحي باشا رحمهما الله تعالى . ولم أندم على هذا التفريط الا بعد موت الوزير بسنتين ، أثابه الله على حسن نيته

(ومنهم) محمود سامي باشا البارودي الاديب الشاعر الاكبر والذي كان رئيس الوزارة في عهد الثورة المرابية - وقد بلغ من ولوعه به أن كان يرسل الى المطبعة من يطالب له ما طبع منه فيقرأ كرامة بعد أخرى . وكان يترجم بعض الموضوعات لصديق له من الانكليز وقد نقل لي عن هذا الانكليزي أنه قال: إن المسلمين غير مستعدين لهذه التعاليم والمبادئ الآن ولكنهم سيبدون طبعهم المنار بعد خمسين سنة ويعملون به، وقد قل مثل هذه الكلمة من الاحياء سلیمان افندي البستاني العالم السوري والوزير العثماني المشهور فكان من توارد الخواطر ومن حملة الاقلام ورجال الصحافة الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد نقل لي: ان المنار شيء غير اعتيادي ولا نعرف أحدا غيرك يقدر على القيام به . . . وان المسلمين في أشد الحاجة اليه، ومن الضروري أن يوجد في كل بيت من بيوتهم، ولكن كثرة تنويهه بالشيخ محمد عبده لاطراء والفضيل يوجد له أعداء كثيرين أصحاب نفوذ وتأثير يصدرن الناس عنه ، والشيخ جدير بما يقول المنار ولكنه في غنى عنه الخ وقد أجبت به بأن تنويه المنار بالشيخ يراد به ترشيحه لزعامة الاصلاح في العالم

الاسلامي ولا نعرف أحدا جديرا بهذه الزعامة سواء وهي عندى أمم من كثرة
المشركين في المنار، فقال: لا انكر ان هذا غرض صحيح ولأن الشيخ أهل
له . فعلمت باقراره هذا أنه لم يكن في قوله يقصد التفريق بيني وبين الاستاذ
الامام لاجل الخديوي الذي تقرب اليه كثيرون بالسعي لهذا التفريق ومنهم بطرس
باشا غالي الوزير المشهور

ومن وافق الشيخ عليا من حملة الاقلام من الاحياء في قوله يجب ان يكون المنار
في بيت كل مسلم داود بك بركات رئيس تحرير الاهرام فقد قال لي مرة: لو كان
المسلمون يعرفون مصاحبتهم - او ما هذا معناه - لدخل المنار كل بيت من
بيوتهم . وكان هذا من توارد الخواطر ولا أذكر أي الرجاءين سبق الى هذه
الكلمة، وأنا لم أذكر له كلمة الشيخ علي يوسف ولم اكتبها الا في ترجمته بعد وفاته
ومن كبار العلماء إمام اللغة في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي كما
يعلم من تقريره له الذي نشر في المجلد الثاني منه (ص ٣٤٩ م ٢) ولقب صاحبه
« بمنتي الاكفاق ، على رغم أنف كل ذي حسد ونفاق » كتب ذلك بخطه على
نسخة رحاله (الحماسة السنية ...) حين اهداها الي

ومن رجال القانون وعلماء الاجتماع عمر بك لطفي الواضع الاول لمشروع النقابات
في مصر، كلمني في هذا الموضوع مرارا ومما انفرد به لومه إياي على العرلة أو قلة الخاطئة
التي تقرب منها ، وقال إن المنار لا يكفي لتعميم هذه الافكار فيجب أن تتعرف
الى جميع الطبقات المتعلمة ولذلك وسيلتان الخطابة والمحافل الماسونية ، ولكنني
لم أعمل بنصيحته الا في إلقاء بعض الخطب في بعض الجمعيات الادبية الدينية
وأما الاحياء فخسبي أن يكون رجل العصر بمصر صاحب الرياستين رئاسة
الامة ورئاسة الحكومة سعد باشا زغلول وفقه الله تعالى وأيده موافقا لخطه المنار في
الاصلاح الديني ، وقد سمعت منه مرارا أن ارتقاء المسلمين المدني متوقف على
هذا الاصلاح ، كما أن أوربة لم يمكنها النهيض من الانحطاط الذي كانت
مرتكسة فيه الا بعد اصلاح ديني ، وهذا الرأي كان أول من بثه في مصر
وغيرها السيد جمال الدين ، وقد عرضت على سماعه في الربيع الماضي
« المنار . ج ٢٦ » « ٦٠ » « المجلد الخامس والعشرون »

خبر تأليف جمعية للاصلاح الديني والمدني في الحجاز وجعله قطر سلم وحياد ، فكان مما قاله ولم لا يجمعون هذا الاصلاح في مصر ؟ أليست هي محتاجة للاصلاح الديني ايضا ؟ ...

وقد كان هو أول من أمر باشتراك وزارة المعارف بنسخ من المنار لمدارسها في عهد توليه لوزارتها وكانت الوزارة قبله نشترك في جميع المجلات المشهورة بمصر من دونها ، لكرهه الانكياز كل اصلاح للمسلمين ، ولذلك منعوا المنار من السودان من قبل الحرب بسنين بدسائس المبشرين

وانا لثرجو من دولته نظرة أخرى الى المنار عند منوح الفرصة ولم نعرض عليه طالباً مكتوباً ولا شفويّاً به ، كما أننا لم نعرض مثل ذلك في عهد وزارته المعارف ذكرنا بتاريخ المنار وآراء الكبار في تعميم نشره ما كتبه الينا وكيله في بيروت من تبرع تاجر من خيار تجارها وأكرم وجهائها (أنيس أفندي الشيخ) بخمسة نسخ توزع من قبله على بعض الخطباء والواعظين فيها . فجزاه الله تعالى خيراً وجعله قدوة صالحة وذكري نافعة لمحبّي العلم والاصلاح .

الشيخ سالم أبو حاجب

سبحان الحي الذي لا يموت اننا قبل أن نفرغ من ترجمة عالم العراق ، وامام الشرق في تلك الآفاق (السيد محمود شكرى الالوسي) الا ونعي بريد الغرب الاسلامي علامة الديار التونسية ، وإمام البلاد المغربية ، شيخ الشيوخ مفتي المالكية العلامة المستقل الاديب العاقل الشيخ سالم أبو حاجب ، نعمه الله برحمته ، وقد كان بين عالم الشرق والغرب تشابها عظيماً وكان من حسن حظنا ان وجدنا صديقاً لنا من تلاميذ كلا منهما يكتب لنا ترجمتهما وقد شاء الله تعالى أن يتأخر صدور هذا الجزء من المنار حتى تنشر فيه ترجمة علامة جامع الزيتونة الاكبر بقلم الاساذ الفاضل الشيخ محمد الخضر نزبل القهرة وقد ألقاها في حفلة جامعة في الجامع الازهر وهذا نصها :

تأين رئيس العلماء في الديار التونسية

أقام طلاب العلم من جاليات شمال أفريقية حفلة بالجامع الازهر مساء يوم الاثنين الحادي عشر من الشهر الجاري حفلة لتأين المأسوف عليه الاستاذ الكبير الشيخ سالم أبي حاجب مفتي الديار التونسية

افتتحت الحفلة بقراءة آيات من الذكر الحكيم ثم قام محرر هذا المقال وألقى خطبة في نشأة الفقيد ومواهبه السامية وعلمه الغزير وهذه خلاصتها :

نعت الينا « هـ ف س » والصحف التونسية فضيلة أستاذنا الشيخ سالم أبي حاجب واسطة عقد العلماء ورئيس المحكمة الشرعية المالكية بالديار التونسية ، فكان نعيمه لدى العارفين بمقامه الاسنى كقبس من نار تذوب له القلوب لوعة وتساقط له العبرات أسفا

كان الفقيد رحمه الله آية من آيات العبقرية ، وأحد العلماء الذين لا تجود بهم يد الايام الا في أوقات معدودة ، فلا جرم أن أنثر على بساط هذا الاحتفال الجامع شذرا من آثار حياته الزاهرة خدمة للعلم والادب والتاريخ ، وان في سيرة العظماء من ارجال امهرة لاولي الالباب

ولد الفقيد حوالي سنة ١٢٤٤ بقرية من قرى الساحل تسمى « بنبله » ثم ارتحل منها عند ما بلغ سن التعليم الى حاضرة تونس لتلقي العلم بجامع الزيتونة الاعظم ، ولم يلبث أن سطع بين جدران ذلك المعهد شمع الميته ونبوغه ، وصلاحيته في أندية العلم والادب ولا سيما اذ كانت له في صناعة القريض براعة فائقة وفي نقده الشعر ذوق لا يقل عن ذوق العربي الصميم

ترقى الفقيد في مدارج العلم حتى تقلد وظيفة التدريس بالمعهد الزيتوني ، درس من علوم الشريعة والعربية كتباً عالية مثل شرح العضد على مختصر ابن الحاجب وشرح القسطلاني على صحيح الامام البخاري والشرح المطول للسعد التفتازاني . وكان يجلس لدرس هذه الكتب وغيرها على منصة التحقيق ويخوض عباها بنظر مستقل ، وينطق فيها بالهجة مجتهد نحرير ، فلا ينتهي من تقرير

موضوع الا بعد أن يعقد لما يجري فيه من الخلاف محاكمة يدخل الى القول
الفصل فيها من باب الحرية والانصاف

ولما وضع في فطرته من حب البحث والفوص في أغوار المسائل كان يتلقى
أسئلة التلاميذ في الدرس بصدر رحب، وكثيرا ما يغير الباحث النجيب بعبارات
الثناء تشجيعه على البحث، وأخذ يده الى أن يسير مع أصحاب الآراء والمؤلفين
على مقتضى حكمة من يقول « هم رجال ونحن رجال »

ولمعه الراسخ وعبقريته البارزة كان بعض أقرانه مثل الاستاذ الشيخ
مصطفى رضوان يقرر في درسه عازيا شيئا من الافهام التي انفرد بتحقيقها .
وكثيرا ما يورد الفقيه في مجالسه أو دروسه في صدد الاستشهاد على بعض
المعاني اللغوية عبارة القاموس بنصها حتى ظن كثير من أهل العلم أنه يحفظه
على ظهر قلب . وأغلب مسائل الشرح المطول والمغني لابن هشام وشرح السيد
على المفتاح وشرح الدماميني على التسهيل تجري على طرف لسانه مهما تدعو
الحاجة الى الاستشهاد بشيء منها

ولم يكن الاستاذ ممن يسارع الى الاعتقاد بصدق من يخرج في زي المجذوبين
أو يدعي أنه من أرباب الولاية والكرامة، وظهر منه هذا الخلق في مجلس بعض رجال
الدولة فقال له : اعتقد ولا تنتقد . فقال الاستاذ : ليس الاعتقاد مما تنتقده النفس
بمجرد الاختيار، وإنما هو من قبيل العلم الذي لا يرتسم فيها إلا بمؤثر من حجة
و برهان . وكانت يحارب الخرافات والآراء السخيفة والافوال المسندة الى
الشرعية بمجرد الدعوى أو بأحاديث غير ثابتة، وكان يبدى رأيه بكل صراحة
وان صادم المعروف بين شيوخ عصره كانكاره لوجود جبل قاف ومشاهدة الجن
بعين الباصرة، ويرى أن ما يزعم من ذلك إنما هو من قبيل تأثير الخيال

أحرز الفقيه بن رجال الدولة مكانة إكبار وإجلال، وانتظم له هذا الاقبال
إذ كان من أولي النظر الواسع في شؤون الاجتماع، وما تقتضيه المدنية الراقية ،
وكذلك كانت دروسه في علوم الشريعة مملوءة بالبحث عن أسرارها من حيث
المطابقة لما تستدعيه مصالح الشعوب . ومن هذا الوجه كان للاستاذ حيتانان :

علمية وسياسية ، فاتخذته الوزير خير الدين باشا من مساعديه في تنظيم التعليم وإصلاح الإدارة قبل الاحتلال : وتقلد وظيفة العمل بإدارة المال مضافة الى وظيفة التدريس بجامع الزيتونة

سافر الاستاذ الى ايطاليا مبعوثا من طرف الحكومة التونسية قبل الاحتلال لنيوب عنها في قضية أقاتها على ورثة أحد قابضي أموالها المدعو « نسيم » وأقام هنالك زمنا واسعا التقى في خلاله بكثير من علمائها ودارت بينه وبينهم محاورات علمية ، وكانوا يلقون عليه أسئلة فيما يشكل عليهم من بعض الأحكام الإسلامية فيذهب في الجواب عنها الى طريق النظر الفلسفي حتى تقع أجوبته لديهم . وقع القبول والتسليم . وكان الاستاذ يقول : إن هذه الرحلة مجموعة عنده في كتاب . وقص عاينا انه دخل الى بعض المكاتب الخاوية لكتب عربية فتناول كتابا منها فكان أول جملة وقع عليها بصره « كان العرب اذا خطبهم لاعب الشطرنج ممنوعه وقالوا انه ضرة ثانية » وفي هذه الرحلة بحث الاستاذ بصورة فتوغرافية الى الوزير محمد البكوش وكتب عليها من نظمه :

لما شكت شحط النوى رويحي التي أبقيتها عند الاحبة بالوطن
أرسلت تمثالي لها بوعسى تسلو فلا تبغي اتعاقا بالبدن
وسافر المقيد رفيقا الوزير خير الدين باشا الى الأستانة وامتدح السلطان العثماني بقصيدة فأمر بكافاته عليها بوسام فأبى وقال للمرسل من جانب السلطان ان حمل الوسام مما لا يرغب فيه أهل العلم ببلادنا بل يروونه بحكم العادة مزرية بمقامهم وكان يلقي في شهر رمضان من كل سنة درسا من صحيح البخاري بجامع « سبحان الله » ودرسا من كتاب الموطأ في المدرسة المنتصيرية ، ويشهدهما صاحب المملكة التونسية سمو الباي وكبير الوزراء في مجمع حافل من أعيان العلماء وتجري فيهما مباحثات من أقران الاستاذ أو نجباء تلاميذه ، وقد يورد بعض الأبحاث الأمير نفسه متى كان من رجال العلم مثل المغفور له الناصر باي وهذه الدروس التي كان يلقيها المقيد بعناية لا تزل محفوظة إذ كان يحررها كتابة قبل يومها المشهود

واشتهر بالفلسفة في العلوم الإسلامية فكان مورد المستشرقين ومن تشدد عنايتهم للاطلاع على حقائق الإسلام من فرنسيين وغيرهم فيجاذبهم أطراف المحاورة بنفس مطمئنة وأدب جميل

وكان يقوم بالخطابة والامامة بالجامع المعروف بجامع سبحان الله ويلقي خطبا براعي في إنشائها ما تستدعيه حال الزمان والمكان . ومما ابتكره في الخطابة أنه كان يعتمد الى ما يرد في الخطبة من حديث أو آية يسبق الى ظنه أنه يعيد المأخذ من أفهام السامعين فيشرحه بعبارات بصوغها على طريقة بيانه في التدريس وقد ظهر قسم من هذه الخطب مطبوعا في تونس منذ ثلاث عشرة سنة

وكان يشد أزر القائمين على بعض الاعمال الإصلاحية وكان النشء الناهض يلتف حوله ولهذا انتخبوه للخطابة في حفلة افتتاح المدرسة الخلدونية التي تعد شعبة من جامع الزيتونة لدراسة العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخ . واذكر اني كنت انشأت مجلة علمية أدبية تسمى « السعادة » فتمحركت بعض النفوس الحاملة لكم انفاسها فقال لي الاستاذ حال انصرافنا من درس صحيح البخاري : لا تعباً بما يلقيه هؤلاء في سبيل عمالك وتأس بالنبي عليه الصلاة والسلام اذ قال له ورقة بن نوفل : لم يأت احد بمثل ما جئت به الا عودي .

وكان للفقيه عاطفة أدبية تسمو به الى الاحتراف بالعلماء الوافدين على الحاضرة وبذل المستطاع في مجاملتهم . زار فيلسوف الإسلام الاستاذ الشيخ محمد عبده البلاد التونسية سنة ١٣٢١ ونزل ضيفا مكرما في بيت حضرة السيد خليل أبي حاجب نجل الفقيه وهو اليوم وكيل وزير الداخلية بتونس فعرف الفقيه فضل الاستاذ الشيخ محمد عبده وكان يقضي جل أوقاته في مؤانسته ومذاكرته العلمية أو الادبية أو الإصلاحية

وورد عالم الجريد الشيخ ابراهيم ابو علاق الحاضرة وأتى درس الفقيه بجامع الزيتونة ولم تنعقد صلة التعارف بينهما بعد ، فاخذ يناقش الاستاذ في المبحث الذي كان يصدد تقريره ولما طال أمد المناقشة ووقع في ظن الفقيه أن ليس انقراض منها طالب الحقيقة بدرت منه كلمة كبرت على مسمع الشيخ أبي

علاق فانصرف عن الدرس وقال

تقاصرت منذ ابدى التطاول سالم وسالت والقاصي المكان يسالم
ولما وصل نبأ هذا الببت الى مجلس الفقيه نهض في الحال للقاء الشيخ أبي
علاق فاسترضاه وخطب مودته ودامت بينهما الصداقة المحبة

وتحلى الفقيه بأدب راقية مثل التواضع والحلم والمراحة فاذا شرفا على
شرف العبقرية وانجذبت له القلوب بعاطفة المحبة بعد امتلائها بمهابته واجلاله حتى
اذا حضر مجتمعا خاصا أو عاما مسك بعنان المجلس وأخذ ينشر على اسماع
الحاضر بن من غرائب المسائل ولطائف الادب ما ينجذب اليهم انهم في جنة عالية،
لا تسمع فيها لاغية ، وكنا نرى أهل العلم والادب يقصدون في الاحتفالات
الجامعة الى ان تكون مجالسهم بمقربة من مجلس الفقيه حرصا على اقتباس أدب
مؤنس أو اقتناص علم غريب

وانفرد بين علماء جامع الزيتونة بانه كان يتزيا في لباسه بزي علماء الشرق
أي يلبس القفطان والجببة المفتوحة من أمام ويضع عليهما البرنس، ولم يكن يلتزم
تقاليد أهل العلم وذوي المناصب الشرعية في بلاده حتى انه كان يلبس الجزمة
ابام كان لبس أهل العلم لها شيئا نكرا ، ويتجول في بعض المنزهات العامة
راجلا، وغيره من ذوى المناصب العالية لا يغشونها الامر ورا في عرباتهم

وكانت له عند افتتاح الكلام عقدة خفيفة لذيدة على السمع حتى اذا انطلق
لسانه في التقرير سمعت العربية الفصحى ولهجة تنسوغها الاسماع اربياح وإعجاب.
ومن المعروف عن الاستاذ انه كان يطمح الى طول الحياة ويمثل حركة الساعة
الميقانية بحسيس الارضة في اكلها من عمر الانسان ، وينقل عنه في تعليل عدم حمله
للساعة انه يكره ان يسمع أو يرى آلة تذكره كيف تنقضي حياته العزيزة شيئا فشيئا
هذا ما أجده في الذاكرة من ما كثر حياة الاستاذ الذي فارقه — وبودي
لا أفارقه — برحاتي الى بلاد الشرق سنة ١٣٣١ — وقد ناهز التسعين من عمره. اهـ

﴿ علاوة ﴾

حكى الاستاذ ان أحد الباشاوات من قواد الجند بالاستانة دهاه الى منزله

في طائفة من أهل العلم ومما دار بينهم في المذاكرة ان صاحب المنزل سأله عن حكم تعلم الجغرافية فقال له : ان تعلمها من فروض الكفاية قال الاستاذ فالتفت ذلك الباشا الى أحد الفقهاء بالمجلس وقال له : لماذا كنت تقول لي ان تعلمها حرام ؟ فاقبل ذلك الفقيه على الاستاذ وقال له : مادليلك على ما تقول من أن تعلم الجغرافية من الواجبات ؟ قال فلم ارد ان أطيل الحديث في الاستدلال بمثل قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) واخترت ان أورد كلمة تكون اقرب الى فهم السائل فقلت موحها الخطاب لصاحب المنزل: اذا صدرت ارادة السلطان يأمرك ان تسير بقسم من الجيش الى بعض بلاد العدو وكنت تجهل المسافة التي بينك وبين ذلك البلد ثم لم تكن على خبرة مما يوجد في تلك النواحي من ضروريات حياة الجند ومالا يوجد فانك بلاريب تذهب على غير هدى ولا تأمن ان يقع الجيش في تهلكة. فوقع الجواب من نفس الباشا موقع الارتياح والقبول . وفيما حكى الاستاذ من هذه المحاورات أن أحد المستشرقين سأله عن الوجه في اباحة الاسلام تزوج المسلم بالكتابية من مسيحية أو اسرائيلية ، ومنعه المسلمة من أن تتزوج مسيحيا أو اسرائيليا . وقال السائل ماهذا الحكم الا ضرب من التعصب في الدين : فاجابه الاستاذ بانه حكم قائم على حكمة عمرانية بالغة . وهي ان النكاح يقصد به التعاون على مرافق الحياة ، وهذا الغرض لا يتحقق الا مع التآلف وانتظام حلة المعاشرة ، ومن المعروف أن المسلم يؤمن بالرسول الذي يؤمن به الكتائية ويصدق بصحة دينها في الجملة ، فلا يتوقع ان يصدر منه ما يجرح احساسها ويكدر صفو المعاشرة بينهما وأما الكتائبي غير المسلم فانه لعدم ايمانه بصحة الاسلام وصدق الرسول الذي جاء بشريعته قد يؤذي المسلمة بما يقذفه من كلمات يطعن بها في أصل دينها أو ينال بها من كرامة الرسول الذي تعتنق شريعته وحكى لنا الفقيه ان الاستاذ الشيخ محمد عبده تكلم على ضرورة الاجتهاد فقلت احكام الشرعية حتى قال ينبغي اهل كتب الفقهاء واتلافها بالاحراق قال في الاله : لا بأس بابقائها والاستعانة بها لانها لا تخلو من فوائد . فقال لي: فلتبقى .





قال عليه الصلاة والسلام ان الاسلام ضوى « وشاراً » كمنار الطرب

٢٨ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ — ٥ المقرب ١٣٠٤ هـ ٢٨ اكتوبر ١٩٢٤

ابطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

لشيخ الاسلام تقي الدين احمد ابن تيمية رضي الله عنه

الاصل الثاني

الاحتجاج بالقدر على المعاصي على الأمور (١) وفعل المحذور فان القدر يجب الايمان به ولا يجوز الاحتجاج به على مخالفة أمر الله ونهيه ووعدده ووعيده والناس الذين ضلوا في القدر ثلاثة اصناف (٢) قوم آمنوا بالامر والنهي والوعد والوعيد وكذبوا بالقدر وزعموا ان من الحوادث ما لا يخلقه الله كالمزلة ونحوهم (٣) قوم آمنوا بالقضاء والقدر ووافقوا أهل السنة والجماعة على انه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وان الله خالق كل شيء وربهم ومليكهم، لكن عارضوا بهذا الامر والنهي، وسدوا هذا حقيقة، وجعلوا ذلك معارضا للشريعة، وفيهم من يقول ان مشاهدة القدر تنفي الملام والعقاب، وان العارف يستوي عنده هذا وهذا، وهم في ذلك متناقضون مخالفون للشرع والعقل والذوق والوجد فانهم لا يسمون بين من أحسن اليهم وبين من ظلمهم، ولا يسمون بين العالم والجاهل والقادر والم عاجز، ولا بين الطيب والخبيث ولا بين العادل والظالم، بل يفرقون بينهما (٢) ويفرقون ايضا بموجب أهوائهم وأغراضهم لا بموجب الامر والنهي، فلا يقفون لا مع القدر ولا مع الامر بل كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدرتي، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق مذهبك (٣) تمذهب به فلا يوجد أحد

(١) لعله: أي ترك الأمور « ٢ » لعل الاصل: بل يفرقون بينهما بالطبع والعقل - أو ما هو بمعنى هذا بدليل ما بعده (٣) لعله هواك أو غرضك

بالفلك (?) في ترك الواجب وفعل المحرم إلا وهو متناقض لا يجعله حجة في مخالفة هواه بل يعادي من آذاه وإن كان محقا ويجب من وافقه على غرضه وإن كان عدو الله ، فيكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته بحسب هواه رغرضه وذوق نفسه ووجدته ، لا بحسب أمر الله ونهيه ومحبهه وبغضه وولايته وعداوته ، إذ لا يمكنه أن يجعل القدر حجة لكل أحد فإن ذلك مستلزم للفساد الذي لا صلاح معه . وللشر الذي لا خير فيه إذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد ولا اقتص من باغ ولا أخذ لمظلوم من ظالم ، ولفعل كل أحد ما يشتهي من غير معارض يعارضه فيه

وهذا فيه من الفساد ، مالا يعلمه إلا رب العباد . فمن المعلوم بالضرورة أن الأفعال تنقسم إلى ما ينفع العباد وما يضرهم والله قد بعث رسوله صلى الله عليه وسلم يأمر المؤمنين بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، فمن لم يتبع شرع الله ودينه اتبع ضده من البدع والاهواء ، وكان احتجاجه بالقدر من الجدل بالباطل ليدحض به الحق لا من باب الاعتماد عليه (١) لزمه أن يجعل كل من جرت عليه المقادير ، من أهل المعاذير ،

(وإن قال) أنا أعذر بالقدر من شهادته وعلم أن الله خالق فعله ومحركه

(١) المظاهر أن يقال : ولزمه - كقوله وكان احتجاجه عطفا على قوله اتبع ضده - الذي هو جواب فن لم يتبع شرع الله ودينه . ولو قال : واتبع ضده ، عطفا على قوله : لم يتبع - لكان قوله : لزمه الخ هو جواب الشرط ولم يصح عطفه

لا من غاب عن المشهود ، أو كان من أهل الجحود . (قيل) فيقال لك وشهود هذا وجحود هذا من القدر فالقدر متناول لشهود هذا وجحود هذا . فان كان موجبا للفرق مع شمول القدر لهما فقد جعلت بعض الناس محموداً وبعضهم مذموماً مع شمول القدر لهما ، وهذا رجوع الى الفرق ، واعتصام بالامر والنهي ، وحينئذ فقد نقضت اصلك وتناقضت فيه . وهذا لازم لكل من معك فيه . ثم مع فساد هذا الاصل وتناقضه فهو قول باطل وبدعة مضلة ،

فمن جعل الايمان بالقدر وشهوده عذراً في ترك الواجبات وفعل المحظورات (١) بل الايمان بالقدر حسنة من الحسنات ، وهذه لا تنهض بدفع جميع السيئات ، فلو اشرك مشرك بالله وكذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ناظراً الى أن ذلك مقدر عليه لم يكن ذلك غافراً لتكذيبه ، ولا مانعاً من تعذيبه ، فان الله لا يغفر أن يشرك به سواء كان المشرك مقرأاً بالقدر وناظراً اليه ، أو مكذباً به أو غافلاً عنه ، بل قد قال ابليس (فما اغويتني لأزين لهم في الارض ولا اغوينهم اجمعين) فأصر واحتج بالقدر ، فكان ذلك زيادة في كفره ، وسبباً لمزيد عذابه . وأما آدم عليه السلام فانه قال (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو

(١) سقط من هنا جواب : فمن جعل - والمعنى من جعل الايمان بالقدر عذراً لمن عصى الله واشرك به - لزمه كون هذا الايمان منكراً من المنكرات وضلالة من الضلالات ، وليس الامر كذلك - بل الايمان بالقدر حسنة من الحسنات الخ

التواب الرحيم) فمن استغفروا تاب كان آدميا سعيدا. ومن أصر واحتج بالقدر كان ابليس شقيا. وقد قال تعالى لا بليس (لا ملان جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين)

وهذا الموضع ضل فيه كثير من الخائضين في الحقائق فانهم يسلكون انواعا من الحقائق التي يحدونها ويذوقونها ويحتجون بالقدر فيما خالفوا فيه الاصر فيضاهون المشركين الذين كانوا يبتدعون ديناً لم يشرعه الله ويحتجون بالقدر على مخالفة امر الله

(والصنف الثالث) من الضالين في القدر من خاصم الرب في جمعه بين القضاء والقدر والامر والنهي كما يذكر ذلك على لسان ابليس، وهؤلاء خصماء الله واعداءه. وأما أهل الايمان فيؤمنون بالقضاء والقدر والامر والنهي ويفعلون المأمور، ويتركون المحذور، ويصبرون على المقدور، كما قال تعالى (من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين) فالتقوى تتناول فعل المأمور، وترك المحذور، والصبر يتضمن الصبر على المقدور وهؤلاء اذا أصابتهم مصيبة في الارض أو في انفسهم علموا أن ذلك في كتاب، وان ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، فسلموا الامر لله وصبروا على ما ابتلاهم به. وأما اذا جاء امر الله فانهم يسارعون في الخيرات، ويسابقون الى الطاعات، ويدعون ربهم رغبا ورهبا، ويجتنبون محارمه، ويحفظون حدوده، ويستغفرون الله ويتوبون اليه من تقصيرهم فيما أمر وتعميدهم لحدوده، علما منهم بأن التوبة فرض على العبد دائما واقتداء بنبيهم حيث يقول في الحديث الصحيح «أيها الناس توبوا الى ربكم فوالذي نفسي بيده اني لاستغفر الله وأتوب اليه اكثر من

سبعين مرة » وآخر سورة نزلت عليه (إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)

•

وإذا عرف هذان الاصلان فمليهما ببني جواب مافي هذا السؤال من الكلمات ؛ ويعرف ما دخل في هذه الامور من الضلالات بدء الجواب عن كلمات أهل الوحدة

فقول القائل « ان الله لطف ذاته فسيماها حقا ، وكشفها فسيماها خلقا » هو من أقوال أهل الوحدة والحلول والاتحاد وهو باطل فان اللطيف ان كان هو الكثيف فالحق هو الحق ولا تلطيف ولا تكثيف. وان كان اللطيف غير الكثيف فقد ثبت الفرق بين الحق والخلق، وهذا هو الحق . وحيث لا يكون خلقا فلا يتصور أن ذات الحق يكون خلقا بوجه من الوجود كما أن ذات المخلوق لا تكون ذات الخالق بوجه من الوجوه

وكذلك قول الآخر ظهر فيها حقيقة واحتجب عنها مجازا فانه ان كان الظاهر غير المظاهر فقد ثبت الفرق بين الرب والعبد ، وان لم يكن أحدهما غير الآخر فلا يتصور ظهور واحتجاب

ثم قوله « فمن كان من أهل الحق شهدا مظاهر ومجالي، ومن كان من أهل الفرق شهدا ستورا وحجبا كلام ينقض بعضه بعضا فانه ان كان الوجود واحدا لم يكن أحد الشاهدين عين الآخر ولم يكن الشاهد عين المشهود. ولهذا قال بعض شيوخ هؤلاء من قال ان في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له آخر فمن الذي يكذب؟ فأخذه. وهذا لانه اذا لم

يكن موجود سوى الواجب بنفسه كان (هو) الذي يكذب ويظلم ويأكل ويشرب . وهكذا يصرح به أئمة هؤلاء كما يقول صاحب الفصوص وغيره انه موصوف بجميع صفات الدم ، وانه هو الذي يمرض ويضرب وتصيبه الآفات ويوصف بالمصائب والنقائص ، كما انه هو الذي يوصف بنعوت المدح والذم ، قال فالعلي لنفسه هو الذي يكون له جميع الصفات الثبوتية والسلبية سواء كانت محمودة عقلا وعرفا وشرعا أو مذمومة عقلا وعرفا وشرعا ، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة ، وقال ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وقد اخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الدم ؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق ، فكأنها حق له كما أن صفات المخلوق حق للخالق

وقول القائل * لقد حق لي عشق الوجود واهله * يقتضي أن يعشق ابليس وفرعون وهامان وكل كافر ، ويعشق الكلاب والخنازير والبول والعدرة وكل خبيث ، مع انه باطل شرعا وعقلا فهو كاذب في ذلك متناقض فيه ، فانه لو آذاه مؤذ وآله ألما شديدا لا يفضب محرم شرعا وما ذكر عن بعضهم من قوله : « عين ما ترى ذات لا ترى ، وذات لا ترى عين ما ترى » هو من كلام ابن سبعمين وهو من أكابر أهل الاتحاد ، أهل الشرك والسحر والاتحاد ، وكان من أفاضلهم واذكيائهم واخبرهم بالفلسفة وتصوف المتفلسفة

وقول ابن عربي : ظاهره خلقه ، وباطنه حقه . هو قول أهل الحلول وهو متناقض في ذلك فانه يقول بالوحدة فلا يكون هناك موجودان أحدهما باطن والآخر ظاهر . والتفريق بين الوجود والأمين ، تفريق

لاحقيقة له بل هو من اقوال أهل الكذب والمين

وقول ابن سبعين : «ربُّ هالك، وعبد مالك ، وائتم ذلك ، الله فقط والكثرة وهم» موافق لاصله الفاسد في أن وجود المخلوق وجود الخالق ولهذا قال: وائتم ذلك، فانه جعل العبد هالكاً أي لا وجود له فلم يبق إلا وجود الرب ، فقال وائتم ذلك، وكذلك قال: الله فقط والكثرة وهم. فانه على قوله لا موجود إلا الله . ولهذا كان يقول هو واصحابه في ذكرهم ليس إلا الله بدل قول المسلمين لا إله إلا الله وكان يسميهم الشيخ قطب الدين ابن القسطلاني الليسية ويقول احذروا هؤلاء الليسية. ولهذا قال: الكثرة وهم . وهذا تناقض ، فان قوله وهم يقتضي متوهماً فان كان المتوهم هو الوهم فيكون الله هو الوهم وان كان المتوهم هو غير الوهم فقد تعدد الوجود. وكذلك: ان كان المتوهم هو الله فقد وصف الله بالوهم الباطل، وهذا مع انه كفر فانه يناقض قوله الوجود واحد. وان كان المتوهم غيره فقد اثبت غير الله وهذا يناقض اصله. ثم متى اثبت غير الزمت الكثرة فلا تكون الكثرة وهما بل تكون حقاً

والبيتان المذكوران عن ابن عربي مع تناقضهما مبنيان على هذا الاصل فان قوله * يا صورة انس سرها معنائي * خطاب على لسان الحق يقول لصورة الانسان يا صورة انس سرها معنائي . أي هي الصورة وانا معناها. وهذا يقتضي أن المعنى غير الصورة وهو يقتضي التعدد والتفريق بين المعنى والصورة فان كان وجود المعنى هو وجود الصورة كما يصرح به فلا تعدد. وان كان وجود هذا غير وجود هذا تناقض وقوله * ما خلقتك للامر ترى لولائي * كلام مجمل يمكن أن يراد به معنى صحيح أي لولا

الخالق لما وجد المكلفون ولا خلق لأمر الله. لكن قد عرف أنه لا يقول بهذا. فإن مراده الوحدة والحلول والاتحاد. ولهذا قال

شئناك فأنشأناك خلقا بشرا كي تشهدنا في أكمل الأشياء

فبين أن العبيد يشهدونه في أكمل الأشياء وهي الصورة الانسانية وهذا يشير الى الحلول وهو حلول الحق في الخلق لكنه متناقض في كلامه فانه لا يرضى بالحلول ولا يثبت موجودين حل أحدهما في الآخر بل عنده وجود الحال هو عين وجود المحل لكنه يقول بالحلول بين الثبوت والوجود فوجود الحق حل في ثبوت الممكنات وثبوتها حل في وجوده وهذا الكلام لا حقيقة له في نفس الامر فانه لا فرق بين هذا وهذا لكنه هو مذهبه المتناقض في نفسه

وأما الرجل الذي طالب من والده الحج فأمره أن يطوف بنفسه الاب: فقال طف يبيت ما فارقه الله طرفة عين قط. فهذا كفر باجماع المسلمين. فإن الطواف بالبيت العتيق مما أمر الله به ورسوله. وأما الطواف بالانبياء والصالحين، فحرام باجماع المسلمين. ومن اعتقد ذلك دينا فهو كافر سواء طاف بيده أو بقبره، وقوله ما فارقه الله طرفة عين قط ان أراد به الحلول المطلق العام فهو مع بطلانه متناقض فانه حينئذ لا فرق بين الطائف والمطوف به. فلم يكن طواف هذا بهذا اولى من العكس بل هذا يستلزم أنه يطاف بالكلاب والخنازير والكفار والنجاسات والاقذار وكل خبيث وكل ملعون لان الحلول والاتحاد العام يتناول هذا كله وقد قال مرة. شيخهم الشيرازي لشيخه التلمساني وقدم بكلب اجرب ميت: هذا أيضا من ذات الله. فقال: وثم خارج عنه؟ ومرت التلمساني

ومعه شخص فاجتازا بكلب فر كضه الآخر برجله فقال لا تركضه فانه منه . وهذا مع أنه من أعظم الكفر والكذب الباطل في العقل والدين فانه متناقض فان الراكض والمركوض واحد ، وكذلك الناهي والمنهي ، فليس شيء من ذلك بارى بالامر والنهي من شيء ، ولا يعقل مع الوحدة تعدد. واذا قيل مظاهر ومجالي - قيل ان كان لها وجود غير وجود المظاهر المتجلى فقد ثبت التعدد وبطلت الوحدة وان كان وجود هذا هو وجود هذا لم يبق بين المظاهر والمظهر والمتجلى فيه (١) فرق ، وان أراد بقوله ما فارقه الله طرفه عين - الحلول الخاص - كما تقول النصارى في المسيح لزمه ان يكون هذا الحلول ثابتا له من حين خلق كما تقوله النصارى في المسيح فلا يكون ذلك حاصله بمعرفته وعبادته وتحقيقه وعرفانه وحينئذ فلا يكون فرق بينه وبين غيره من الآدميين فلماذا يكون الحلول ثابتا له دون غيره ؟ وهذا شر من قول النصارى فان النصارى ادعوا ذلك في المسيح لكونه خلق من غير أب والشيوخ لم ينضلوا في نفس التخليق واعما فضلوا بالعبادة والمعرفة والتحقيق والتوحيد وهذا امر حصل لهم بعد ان لم يكن فاذا كان هذا هو سبب الحلول وجب أن يكون الحلول فيهم حادثا لا مقارنا لخلقهم وحينئذ نقول لهم إن الرب ما فارق ابدانهم أو قلوبهم طرفه عين قط كلام باطل كيفما قدر

وأما ما ذكر عن رابعة من قولها عن البيت انه الصنم المعبود في الارض - فهو كذب على رابعة ولو قال هذا من قاله لكان كافرا يستتاب

(١) لعل اصله : والمجلى والمتجلى فيه

(المنار . ج ٧) (٦٦) (المجلد الخامس والعشرون)

فإن تاب وإلا قتل وهو كذب فإن البيت لا يعبد المسمون ولكن
يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة اليه، وكذلك ما نقل من قولها:
والله ما وُلج الله ولا خلا منه . كلام باطل عليها. وعلى مذهب الحلولية
لا فرق بين ذلك البيت وغيره في هذا المعنى فلاي مزية يطاف به ويصلى
اليه ويمحج دون غيره من البيوت ؟

(وقول القائل) ما وُلج الله فيه - كلام صحيح، وأما قوله ما خلا منه
فإن أراد أن ذاته حالة فيه أو ما يشبه هذا المعنى فهو باطل وهو مناقض
لقوله ما وُلج فيه ، وإن أراد به أن الاتحاد ملازم له لم يتجدد له ولوج ولم
يزل غير حال فيه فهذا مع انه كفر وباطل يوجب أن لا يكون للبيت
مزية على غيره من البيوت اذا الموجودات كلها عندهم كذلك

وأما البيتان المنسوبان الى الحلاج

سبحان من اظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب

حتى بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

فهذه قد تعين بها الحلول الخاص كما تقوله النصاري في المسيح وكان
أبو عبد الله ابن خفيف الشيرازي قبل أن يطلع على حقيقة أمر الحلاج
يذنب عنه فلما انشد هذين البيتين قال لعن الله من قال هذا وقوله
عقد الخلائق في الاله عقائدا وأنا اهتمدت جميع ما اعتقدوه

فهذا البيت يعرف لابن عربي فان كان قد سبقه اليه الحلاج وقد تمثل هو به
فأضافته الى الحلاج صحيحة وهو كلام متناقض فإن الجمع بين النقيضين
في الاعتقاد في غاية الفساد . والقضيتان المتناقضتان بالسلب والايجاب على

وجه يلزم من صدق احدهما كذب الاخرى لا يمكن الجمع بينهما وهؤلاء
يرحمون أنه ثبت عندهم في الكشف ما يناقض صريح العقل وانهم يقولون بالجمع
بين النقيضين وبين الضدين وأن من سلك طريقهم يقول بمخالفة المعقول
والمعقول. ولا ريب أن هذا من أفسد ما ذهب اليه أهل السفسطة ومعلوم
أن الانبياء عليهم السلام اعظم من الاولياء، والانبياء جاؤا بما تعجز
العقول عن معرفته ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه فهم يخبرون بمحارات
العقول، لا بمحالات العقول، وهؤلاء الملاحدة يدعون أن محالات
العقول صحيحة، وان الجمع بين النقيضين صحيح، وأن ما خالف صريح
المعقول وصحيح المنقول صحيح. ولا ريب أنهم أصحاب خيال واهام
يتخيلون في نفوسهم امورا يتخيلونها ويتوهمونها فيظنونها ثابتة في الخارج
وانما هي من خيالاتهم والخيال الباطل يتصور فيه مالا حقيقة له ولهذا
يقولون ارض الحقيقة هي ارض الخيال كما يقول ذلك ابن عربي وغيره
ولهذا يحكون حكاية ذكرها سعيد الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض
وكان من شيوخهم. وأما قوله

بيني وبينك إني تراحمي فارفع بحمك لاني من البين

فان هذا الكلام يفسر بعمان ثلاثة يقوله الزنديق، ويقوله الصديق
فالاول مراده به رفع ثبوت لانيته حتى يقال إن وجوده هو وجود الحق
وانيته هي انية الحق فلا يقال إنه غير الله ولا سوى. ولهذا قال سلف
هؤلاء الملاحدة إن الخلاج نصف رجل وذلك أنه لم ترفع له الانية بالمعنى
فرفت له صورة، فقليل وهذا القول مع ما فيه من الكفر والاحاد فهو

متناقض ينقض بعضه بعضا فان قوله * بيني وبينك اني تراحمني * خطاب لغيره واثبات انية بينه وبين ربه وهذه اثبات امور ثلاثة وكذلك يقول * فارفع بحقك اني من البين * طلب من غيره ان يرفع انيته وهذا اثبات لامور ثلاثة وهذا المعنى الباطل هو الفناء الفاسد وهو الفناء عن وجود السوى فان هذا فيه طلب رفع الانية وهو طاب الفناء، والفناء ثلاثة أقسام فناء عن وجود السوى وفناء عن شهود السوى وفناء عن عبادة السوى فالاول هو فناء أهل الوحدة الملاحدة كما فسروا به كلام الحلاج وهو ان يجعل الوجود وجودا واحدا واما الثاني وهو الفناء عن شهود السوى فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين كما يحكي عن ابي يزيد وأمثاله وهو مقام الاصطلام وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده وبمعبوده عن عبادته وبشهوده عن شهادته وبذكوره عن ذكره، فيظن من لم يكن، ويبقى من لم يزل، وهذا كما يحكي ان رجلا كان يحب آخر فألقى المحبوب نفسه في الماء فألقى الحب نفسه خلفه فقال أنا وقعت فلم وقعت أنت؟ فقال: غبت بك عني، فظننت أنك إني. فهذا حال من عاجز عن شيء من المخلوقات اذا شهد قلبه وجود الخالق وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين ومن الناس من يجعل هذا من السلوك ومنهم من يجعله غاية السلوك حتى يجعلوا الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية، فلا يفرقون بين المأمور والمحظور، والمحبوب والمكروه، وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر واحكام الربوبية عن شهود الشرع والامر والنهي وعبادة الله وحده وطاعة رسوله فمن طلب رفع انيته بهذا الاعتبار لم يكن محمودا على هذا ولكن قد يكون معذورا

مؤتمر الخلافة *

وأتمروا بينكم بمعروف

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله *
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ،
وأيبدلنهم من بعد خوفهم أمنا
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي الى الصراط المستقيم ،
وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان

كان المسلمون ملك عظيم امتد يميننا وشمالا فبسط جناحيه على المشرق والمغرب
فاختلنا أعظم ممالك العمران ما بين الطرف الغربي من أوربة وحدود الصين في
الشرق الاقصى ، وما بين المحيط الجنوبي الى أحشاء أوربة في الشمال ، وكان لهم
في هذا الملك العظيم من الدول العزيزة والسلطان الكبير ، ما فصلت أخباره في
لاسفار الكثيرة من خزائن التاريخ ،

كانوا كلما سقطت دولة من دولهم بخروج أمراءها وسلاطينها عن هداية الشرع العدل ،
وسنن الله المطردة في العمران ، خلفتها دولة أخرى أعز منها شأنًا ، وأقوى سلطانًا
كانوا أمة واحدة تدبر أمورها دولة واحدة ، ثم تمددت فيها الدول وهي
أمة واحدة ، لأنها كانت لا تزال نحيًا بروح الاسلام ، الذي ساوى بين الشعوب
والاقوام ، وجعل التفاضل بين الناس بالعلم والعمل ، دون القومية والنسب ،
حتى كان مثل البخاري وأبي حنيفة من سلاسل الفرس ، معدودين من أكبر
أئمة السنة والفقهاء ، ومثل نور الدين الشهيد وصلاح الدين الايوبي من سلاسل

(*) رغب الينا السكرتير العام للجنة مؤتمر الخلافة أن نكتب مقالة في موضوعه
ووجه الحاجة اليه لتنشر في صدر الجزء الاول من مجلة المؤتمر التي تصدر في هذا
الشهر فكتبنا هذه المقالة ثم رأينا ان ننقلها في محلتنا ليطلع قرائنا عليها وهي هذه :

الترك والکرد ، مفضلين على كثير من خلفاء قریش في الحكم
ومن طرائف شهادة التاريخ على هذا ما ذكره ابن جبیر الاندلسي في رحلته
واصفاً خطبة الجمعة في الحرم المكي الشريف (سنة ٥٧٩) قال : ثم دعا الخطيب -
للخليفة العباسي أبي العباس أحمد الناصر ثم لأمير مكة مكثر بن عيسى بن فليته
ابن قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم الحسني ، ثم لصلاح الدين أبي المظفر
يوسف بن أيوب ولولي عهده أخيه أبي بكر بن أيوب . وعند ذكر صلاح الدين
بالدعاء تخفق الاسنة بالتأمين عليه من كل مكان

واذا أحب الله يوما عبده ألقى عليه محبة للناس

وحق ذلك عليهم ، لما يبذله من جميل الاعتناء بهم ، وحسن النظر لهم ،
ولما رفعه من وظائف المكوس عنهم ، وفي هذا التاريخ علمنا بأن كتابه وصل
الى الأمير مكثر وأهم فصوله التوصية بالحاج والتأكيد في مبرتهم وتأسيسهم ورفع
أيدي الاعتداء عنهم ، والايجاز في ذلك الى الخدام والاتباع والاوزاع وقال :
انما نحن وأنت متقلبون في بركة الحاج . فتأمل هذا المنزع الشريف ، والمقصد
الكریم - الى آخر ما قال

والعبرة فيه ظهور تفضيل حجاج الشعوب الاسلامية كلها مع أهل الحرم
لسلطان الكردي ، على الخليفة القرشي والأمير العلوي ، وذكر في غير هذا الموضع
من الرحلة أن أمير مكة كان من أشد هؤلاء الامراء في الاتحاد بالظلم في حرم
الله تعالى وأنه انتزع مفتاح بيت الله من وارثه زعيم الشيبين محمد بن اسماعيل وأمر
بالقبض عليه وانتهاب منزله ومصرفه عن حجابة البيت الحرام طهره الله تعالى ،
(قال) والحال يشبه بعضها بعضا (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) والى الله المشتكى
من فساد ظهر حتى في أشرف بقاع الارض ، وهو حسبتنا ونعم الوكيل اهـ

وأعظم مما ذكره ابن جبیر رحمه الله في الاعتبار ان الظلم والفساد في الحرم
تسلسل في هؤلاء الامراء المكيين ، الذين يفضلون أنفسهم بنسبهم على جميع
الصالحين والمصلحين ، الى أن بلغ أشده في هذه السنين ، من المتعاقب الذي

ادعى حق الملك على جميع العرب والخلافة على جميع المسلمين ، وصرححت جريدته بأنه نال هذا بالرغم من أهل السموات والارض أجمعين ، فأخرجه الله تعالى منها مذوفاً مدحوراً ، مأفوناً مشهوراً ، منبوذاً مهجوراً ، (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين)



ما فعل الله تعالى بذلك الملك العظيم ؟ وماذا بقي منه لا أكثر من ثلاثمائة مليون من المسلمين ؟ وكيف وجد من ضعف ، ثم كان من بعد ضعف قوة ، ثم ذهبت تلك الدول والشعوب شذرمذر ، وصارت عبرة لمن اعتبر ؟ وهل يرجى أن يعود الاسلام كما بدا ؟ وكيف السبيل الى ذلك ؟ وكيف تفرقوا في الدين فكانوا شيما والملة واحدة ، وتفرقوا في الاجناس والاقوام والاطان والامة واحدة ؟ لقد نزل ما نزل بالمسلمين وهم غافلون ، وأتاهم بأس الله ييانا وهم نائمون ، وضحي وهم ياعبون ، فضرب على آذانهم في كهف الجهل بضعة قرون ، ثم نأذن الله تعالى يبعثهم من رقادم ، وهداهم الى التفكير في حالهم وحال آباءهم الاولين ، وخلفائهم الراشدين ، وملوكهم الفاتحين ، فاختلّفوا في أسباب ما كان من قوة وضعف ، وعز وذل ، بما رسخ في شعوبهم من الجهل ، وما طرأ عليها من البدع ، وما سرى اليها من نكرة الجنسية ، وعصبية الجاهلية ، وما تغافل فيها من المسائس الاجنبية ، والتعاليم المادية الالحادية ، فذهب أهل البصيرة منهم الى أن ترك هداية الدين الاولى والابتداع والتفرق فيه هو الذي أضاع ملكهم ، وذهب بمدنيّتهم ، لأن هذه الهداية كانت هي السبب لها ، وما حصل بسبب زال بزواله . وزعم آخرون أن الاخذ بالدين هو سبب هذا الضعف والجهل بشبهة اشتراك جميع شعوب المسلمين فيه وليس بينهم جامعة مشتركة يعلل بها الا الدين ، وقاتهم أن الجهل بحقيقته والابتداع فيه والاعراض عن هدايته الاولى علة فاشية في جميع تلك الشعوب أيضا — فهؤلاء يقولون لا يمكن أن نسترجع مجدنا ونجدد ملكنا الا بنبيذ الدين ظهريا كما فعل الفرنسيين ومن

٥٢٨ الفوضى الدينية وتأسيس الترك حكومة غير دينية المثار ج ٢٥ م ٧

تبعهم من الافرنج ، واستبدال الرابطة القومية والعصبية الوطنية بالجامعة الاسلامية ، وأولئك يقولون إنما لا نزال ذلك إلا بما ناله سلفنا ، وإن الافرنج لم ينجحوا في دنياهم إلا بعد الاصلاح الديني لا بعد نبذ هداية الدين ظهريا ، وانهم لا يزالون يبذلون الملايين من الجنيهات في تعليمه ونشره

ومن قروع هذا الخلاف قول منفرجة الترك إن منصب الخلافة وشكل الحكومة الاسلامية علة العال لضعفهم وزوال سلطنتهم العظيمة ، ورد بعض العارفين عليهم أن الاسلام هو الذي كان علة تأسيس تلك السلطنة العظيمة وإن الخروج عن هدايته هو الذي كان علة ضعفها وزوالها ، وإن منصب الخلافة لم يكن عندهم إلا لقبا من ألقاب الفخر والشرف ، على أنه كان قوة معنوية لهم وإن لم يترتب عليه عمل

وبين هذين الفريقين السواد الاعظم من الجامدين على ما ألفوا من حق وباطل ، وما تقلدوا من سنة وبدعة ، ينظرون الى كل منهما بمنظار واحد ، فمنهم من يرمي الفريقين بالكفر والاحاد ، وأقلام جهودا من ينبر طلاب الاصلاح بالقب الابتداع ، ولم يبق للمسلمين رياسة عامة محترمة برد اليها هذا النزاع ، لتفصل فيه فصلا معقولا ، يرجى أن يكون مقبولا ، مهتدية بقوله تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) - ليميز الله الحديث من الطيب ويجعل الحديث بعضه على بعض ، فلا يتكلم باسم الاسلام من ليس منه ولا يعطي فيه حق الحل والمقد

قد ظهر في المسلمين مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتي لو دخلوا في جحر ضب لتبعتموهم » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : اتبعوا سننهم في البدع حتي انتهت بعضهم الى المروق من الاسلام نفاقا ثم جهارا ، ثم الى محاربة بدعوى إصلاح حكومته أو اصلاح أهله ، وقد شرع الترك في تأسيس حكومة غير دينية في بلادهم

ان هذه الفوضى الدينية في العالم الاسلامي قد حيرت الباحثين في طرق
الاصلاح الديني والمدني حتي كتب بعض الباحثين من كتاب المصريين بأنه
قد ثبت عنده بعد التروي في السنين الطوال أن المسلمين ان يرجعوا الى دينهم
ثانية الا بعد أن يتركوه تركا تاما، ثم هم يعيدون النظر فيه سالكين منهاجا غير
المناهج المسلوكة منذ قرون في تلقيه ودرسه ١١ وإنه لرأي بمعزل من الصواب،
رجعه في نظره فشل دعاة التجديد والاملاح . وفشو الفسوق والالحاد .
وسبق الملاحدة الى المناصب لدولية ، وفوزهم في أعمال العمران ، وبجاحهم في
جذب النابتة ، وشر من ذلك كله سكوت زعماء الجود عنهم ، ونضالهم لدعاة
الاصلاح من دونهم ، ونحن على علمنا بهذا نفند رأي هذا الباحث نقضا ومناقضة
ومعارضة ، واننا نبحث في هذه المسألة من زهاء ثلث قرن كتابة وخطابة ومنظرة،
ومراسلة بيننا وبين المفكرين في مشارق البلاد الاسلامية ومقاربها ، مع الباحة
في أم أقطارها ، فكانت ثمرة البحث أن الطريقة المثلى للاصلاح دونها مواع
فلم تسلك ، والرجاء أن يكون قد زال الآن ما دونها من العوائير والعقاب ، وفتح
ما كان متاخرا أمامها من الابواب

ما هذه الطريقة المثلى ؟ قيل لموقف الشرق وحكيم الاسلام : إن عل
ضعف المسلمين كثيرة فهل لهذه الحال من علة ترجع كلها اليها ، فتوجه جهود
الاصلاح لازالتها فيصالح كل شيء بالتبع لها ، اذ يكون مكانها كمكان القلب
من الجسد اذا صلح صلح الجسد كله ، واذا فسد فسد كله ، كما ورد في التمثيل
النبوي ؟ قال : نعم ، إن الامر الذي يجب على المسلمين أن يوجهوا جهودهم
الى ايجاده هو « السلك » انقطع السلك الذي كان نظام وحدتهم الدينية
والديوية، فانتثر الحب ، ولن ينتظم الا بسلك .

ونقول نحن في بيان مراد ذلك الحكيم : إنما كان السلك الاول نظام الخلافة المؤبدة
في الباطن بوازع الدين ، وفي الخارج بتأييد أهل الحل والعقد من انسلخير ، قام الخلفاء
الراشدون بهاقق القيام ، ثم ساءت بعصبة القومية الجاهلية ، فعصية التشيع المذهبية ،

٥٣٠ أساس الشرع الاسلامي وشكل حكومته المنار: ج ٧ م ٢٥

فضعف الوازع الديني المؤيد لها في الباطن رويدا رويدا، وانحصر الحل والعقد في عصبية المتغلب شيئا فشيئا، فتمزق بذلك شمل المسلمين، وصار أمرهم كالكرة بين صوالجة المتغلبين، وصارت الامة أمما متعادية، والدولة دولا متقاتلة، وسبب هذه المصائب كلها عدم وضع نظام للحكم، يكون السلطان فيه لمن تختارهم الامة للحل والعقد، من غير قيد ولا حصر الا في حدود الشرع،

شرع الاسلام مبني على جعل أمر المسلمين شورى بينهم، وكل ما ليس فيه نص قطعي مفوضا الى اجتهاد أولى الامر منهم، وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باستشارتهم في الامر، وقيد الطاعة في مبايعته بقوله (ولا يعصينك في معروف) حتى لا يتجرأ أحد من أمراء المسلمين على دعوى الاستغناء عن المشاورة، ولا على دعوى وجوب الطاعة المطلقة. وقد جرى خلفاؤه الراشدون على هديه في ذلك فقال الخليفة الاول في خطبته الاولى على منبره عقب المبايعة مخاطبا لجماعة المسلمين : فاذا استقمتم فأعينوني، واذا زغت فقوموني. وتبعه الخليفة الثاني بقوله : من رأى منكم في عوجا فليقومه. وقال الخليفة الثالث على المنبر أيضا : أمري لا امركم تبع. وقد جروا كلهم على ذلك بالعمل، بنفذون نصوص الكتاب وما ثبت في السنة، ويشاورون أهل العلم والرأي في جميع الامور الاجتهادية. وهذا معنى ما ورد من الاحاديث الصحيحة في التزام الجماعة وكون من شد عنها في النار، وهو ما عبر عنه بعض كبار العلماء بحق الامة أي سلطة الامة وعلاوه بأنها هي التي ورد الحديث بأنها لا تجتمع على ضلالة، وانما يمثل الامة، في المسائل العلمية أئمتها المجتهدون، وفي سياستها وادارتها أهل الحل والعقد منهم ومن سائر رجالها الموثوق بكفائتهم في المصالح الدنيوية ولا سيما الحربية، التي صارت في هذا زمان تنوقف على فنون كثيرة. قال الحافظ ابن حجر في الكلام على مبايعة عثمان من شرحه للبخاري : والذي يظهر من سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد أنه كان لا يراعى الا فضل في الدين فقط بل يضم اليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع فلاجل ذلك استخلف

(أي أمر) معاوية والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص منع وجود من هو أفضل منهم في أمر الدين والعلم كأبي الدرداء في الشام وابن مسعود في الكوفة اه
ومن أقوال كبار العلماء في سلطة الامة وكون الرأي لها في نصب الامام وعزله قول الامام الرازي في تعريف الخلافة : هي رئاسة عامة في الدين والدنيا لشخص واحد من الاشخاص . وقال في القيد الذي زاده في التعريف على غيره : هو احتراز عن كل الامة اذا عزلوا الامام لفسقه . قال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ذكر هذا القيد وتعليقه : وكأنه أراد بكل الامة أهل الحل والعقد واعتبر رياستهم على من عداهم أو على كل من آحاد الامة اه . وأراد السعد بهذا التوجيه ازالة اشكال من عساه يقول : اذا كانت الرئاسة للامة فمن المروءس ؟

وجملة القول ان الاسلام قد بين أصول حكومة الشورى وانما قصر المسلمون في عدم وضع نظام يكفل تنفيذ أحكامها بالعمل ، وبكفل سلطة أهل الحل والعقد الممثلين للامة في كل زمان بحسبه . وحكمة عدم وضع الشرع لهذا النظام انه يختلف باختلاف الزمان والمكان وأحوال الاجتماع ولذلك فوضه الى الامة ، وقد كان استبداد الذين جعلوا الخلافة ملكا يورث مانعا من ذلك الى آخر عهد آل عثمان ، حتى لم يكن أحد يتجرأ على الدعوة الى تقييد سلطتهم ، ولو في غير بلادهم التي تنفذ فيها أحكامهم ، ولم تنس ما كان مسلمو مصر والهند يرمون به كل من كان يشك من ظلم عبد الحميد المستبد ثم من استبداد الانحاديين ، ثم ما كان من شأنهم في الغلو في اطراء الكماليين ، ثم في الانحاء عليهم والتشهير بهم

لهذا رجونا أن تكون الموانع دون سلوك الطريقة المثلى للاصلاح الاسلامي قد زالت فأصبح ميسرا ما كان متعذرا . وفتح من الابواب له ما كان مغلقا ، وما ذلك الا بالغاء الترك للخلافة التركية العنصرية التي لم تكن تعمل للاسلام ولا تدع أحدا يعمل له

فالمطلوب الآن ايجاد السالك ووضع النظام ، وان يكون بالتشاور بين علماء

المسلمين الدينيين والسياسيين والاداريين والعسكريين والماليين والحاذقين اسائر الفنون التي عليها مدار العمران وعزة الامم وكرامتها ، ولا يكون هذا الا بعقد مؤتمر اسلامي عام ، وهو ما كنا نندندن حوله منذ انشأنا المنار . واقترحنا في ذلك الوقت صرارا أن يكون في ظل بيت الله الحرام ، توجيهها للقلوب ، وتحريكها للعقول ، على أن الموانع كانت على أشدها ، وآمال المسلمين محصورة في الآسنة وحدها ، ولذلك اقترح بعض الكتاب يومئذ ان يكون المؤتمر فيها ، كما اقترح ذلك بعضهم بعد زوال الدولة العثمانية وما حل بخلافتها ، لان ما رسخ في العقول والقلوب بتوالي القرون لا يزول في أشهر قليلة ، ولا في سنين معدودة

قد كان ما كتبناه نحن وغيرنا في هذا الموضوع تمهيدا وإعدادا للامة ، ولا تقوم الامم بعمل مفيد إلا بعد تمام الاستعداد للذهوض به ، ورجحان المقتضي له على المانع منه ، وهذا ما نرجو ان نكون قد وصلنا اليه أو أوشكنا . أما المانع فقد زال . وأما المقتضي فلا مراء فيه ، وبقي استعداد الامة هل تم أم لا ؟ وهو ما يظهره عقد المؤتمر

كانت الخلافة العثمانية هي المانع الاكبر ، ولا سيما بعد ان عجز السلطان عبد الحميد عما حاوله من تجديد نفوذ الخلافة ونشره ، واستحوذت عليه الوسوسة ، واتهام كل طالب للاصلاح حتى السيد جمال الدين الاقناني الذي كان المبتكر لهذه الفكرة ، والمقنع لكثير من مجتهدى الشيعة بتأييدها . فلما انزل الكمايون بها القارعة الاولى كان من حرص أكثر المسلمين عليها ان رضوا ببقاء اسمها — الخلافة — مجردة من كل معاني الرياسة والحكم ، فلما قرعت أسماعهم الصاخة الكبرى بالغاء الاسم وطرد المسعى من الآسنة ورأوا طاغوت الحجاز قد تنحلمها لنفسه — فزعوا وأعولوا ، ثم تفكروا وتدبروا ، فهتف بهم هاتف الالهام الالهي أن توبوا الى ربكم ، وثوبوا الى رشدكم ، واجعلوا الامر شورى بينكم ، كما أرشدكم كتاب الله المنزل ، ومضت به سنة نبيه المرسل ، وسعد به السلف الاول . فتجاوبت الاصوات من كل مكان : لا بد من عقد مؤتمر اسلامي عام ،

انفتحت الشعوب الاسلامية على وجوب عقد المؤتمر ، وكثرة الدعاة اليه ، واختلفوا في الزمان والمكان اللذين يعقد فيهما ، حتى اذا ارتفع صوت كبار علماء مصر بالنصدي للدعوة اليه ، وضربوا الموعد المعروف له ، ثم صاروا يدعون أهل الرأي والاختصاص في الفنون المختلفة الى الانضواء اليهم ، والاشتراك في ادارة العمل معهم ، خفتت دون صوته الاصوات ، وكان أقواها صوت دعي الخلافة في الحجاز ، سل الله تعالى عليه سيف سلطان نجد ، فأخرجه مهزوما مذموما من تلك الارض ، وذلك يضمن لنا اشتراك الحرمين الشريفين في مؤتمر مصر ، بالتبع لاشتراك نجد فيه كما نقرر من قبل .

فهذا أول مؤتمر اسلامي عام يشترك فيه علماء الدين والدنيا من أكبر الشعوب الاسلامية وأوسعها علما وثروة ، وأشدّها بأسا وقوة ، والمطلوب الاول منه وضع نظام للإمامة العظمى يدخل في باين (أحدهما) قواعد حكومة اسلامية مدنية يظهر بها علو التشريع الاسلامي على جميع ما اشترعه البشر في العدل والمساواة والجمع بين السياسة والفضيلة التي خلا منها اشتراع القوانين المادية (وثانيهما) قواعد للتربية والتعليم الجامعين بين هداية الدين ومصالح الدنيا ، وتوثيق روابط الاخوة الدينية والتكافل الروحي والتعارف الاقتصادي بين المسلمين على اختلاف شعوبهم ومذاهبهم وتعدد حكوماتهم ، ويدخل في هذا احياء دعوة الدين والدفاع عنه مع اتقاء السياسة من كل وجه . والحث على الاشتراك مع جميع الشعوب في خدمة الانسانية الدائمة ، وترقية الآداب والحضارة في جميع الامم وأما المطلوب الثاني فهو اختيار خليفة وامام للمسلمين ينفذ القسم الاول من هذا النظام في البلاد الخاضعة لحكمه خاصة مع مراعاة حقوق جميع أصناف سكانها (وصدر الشرع الواسع لا يضيق بشي من ذلك) ويشرف على تنفيذ القسم الثاني مستعينا بديوان يشترك فيه أعضاء من جميع الشعوب الاسلامية

ونحن نجتهد في أن لا نجعل لاحد حجة علينا بتدخل سياسي مري ولا جهري في مسلمي البلاد الاخرى — ولا حجة علينا في ارتباطنا الديني والادبي

مع أولئك المسلمين ، بأن يكون هذا الارتباط نحوا مما تأتبه جمعياتهم الدينية في بلادنا وبلاد غيرنا من الاجانب عنهم ، كجمعيات الدعاة المبشرين ، وجمعية الشبان المسيحيين ، وغيرها ، وهذا النظام أكبر قوة ذاتية لنا ، نقي بها استمرار هذا الخلل والضعف فينا

ان فائدة النظام الذي تقترحه على المؤتمر في المقصد الديني الادبي ، أكبر منه في المطلب السياسي ، فان ساطان الخليفة السياسي خاص ببعض المسلمين ، وسلطانه الديني الادبي عام لهم ، واكبر فوائده تلافى الفوضى في التعليم الديني ورد عادية البدع ، وكبح جماح الافكار المادية المولدة للزندنة والاحاد ، ولنزغات البلشفية وغيرها من الفتن التي أثارتها طبيعة الاجتماع ، وهذه خدمة للبشر من جميع الملل والنحل

فلهذه الغاية الفضلى ندعو أهل الرأي والفيرة والبصيرة من زعماء جميع الشعوب الاسلامية الى اغتنام فرصة إمكان عقد مؤتمر اسلامي عام في أرقى بلاد الاسلام ، فهي فرصة لم يسمح قبل بمثلها الزمان . ونسأله تعالى التوفيق في البدء والختام

المقالات الجمالية

نشر تحت هذا العنوان ما جمعناه من مقالات موقظ الشرق وحكيم الاسلام
السيد جمال الدين الافغاني الحسيني حفظها من الضياع

الشرق والشرقيون

نشرها السيد في جريدة (أبو نظارة زرقاء) التي كانت تصدر بباريس
أيام وجوده فيها سنة ١٣٠٠ (سنة ١٨٨٣) وهي مصدرة بمقدمة
حكيمية في العقل والنفس والاخلاق . التي هي يتفاضل بها البشر افرادا
وجاعات ، ويعلم بعض الامم بعضا في ارتقاء الحضارة ، ويتسابقون في جلبه
السعادة والسيادة ، — ويلبها المقصد في شعبتين احدهما بيان ما كان للشرقيين
من حظ ارتقاء العقل في العلم والبصيرة . وارتقاء النفس في الاخلاق العالية ،
ثم ما انتهى اليه حالهم من إهمال النعمتين . والتدهور عن القمتين ، والشعبة
الثانية في الشواهد التاريخية على ذلك بما كان من اضرارهم لممالكهم ، وتخريب
بيوتهم بأيديهم — قال رحمه الله

(المقدمة)

الانسان انسان بعقله وبنفسه ، ولولا العقل والنفس لكان الانسان أخس
جميع الحيوانات وأشقاها ، لانه في حياته أضيق مسلكا وأصعب مجازا وأوعس
طريقا منها ، قد حفت به المكاره ، وأحاطت به المشاق ، واكتنفت به الآلام ،
لا يمكنه ان يقوم بمعاشه وهو منعزل عن أبناء نوعه ، ولا يطيق الحر ولا يتحمل
الم البرد ولا يقدر على الذود عن نفسه ، وليس له من الآلات الطبيعية ما يشقف
به معيشته ، وهو محتاج في ضروريات حياته ومفتقر في الكمال فيها الى الصناعة ، ولا
يمكن الحصول عليها الا باجالة الفكرة والتعاون بمن يشاركه في العقل من النوع البشري
والعقل أن تستنبط المسببات من أسبابها ، ويستدل بالملل على معلولاتها ،
وينتقل من الملزومات الى لوازمها ، وتستكشف الآثار حين ملاحظة مؤثراتها ،
وتعرف العواقب ضارها ونافعها وتقدر الافعال بمقاديرها على حسب ما يمكن أن

يطرأ عليها من الفوائد والخسائر في عاجلها وآجلها، ويتميز الحق من الباطل في الاعمال الانسانية نظرا الى عواقبها .

العقل (أي بهذا المعنى) هو الهادي الى ميع السعادة ، ومنهج الامن والراحة ، لا يضل من استرشده ، ولا يغوى من استهداه ، ولا يحوم الشقاء حول من ركن اليه ، ولا يعترف المداحض من عتمد عليه ، ولا يلتبس الحق بالباطل على من استنار بنوره . وان الخير به وليس الشر الا بالخيدان عن صراطه القويم ، من فقد فاته السعادة لا محالة ، ولو أخرجت له الارض أفلاذها ، وأسبغت عليه الدنيا نعيمها . وان الامم ما سادت الا بهدايته ، وما ذلت بعد رفيع مقامها وعظم منزلتها الا بعد أن عرضت عن خالص نصحه ، وتوغلت في بيداء غوايتها ، واستعملته في مسالك ضلالتها ، واستخدمته لقضاء أوطار طبائعها الخسيسة ، التي تجلب عليها الشنار ، وتوجب المعرة والصغار

والنفس هي منشأ أخلاق كريمة وأوصاف عقلية ، هي قوام الاجتماعات المدنية والمنزلية ، وأساس التعادل وميزان التكافؤ في الموازرات ، ومقياس النوافق في المعاونات ، ولا يمكن النآف بين القوى المتفرقة لاقتناء ما تقوم به حياة الانسان الابهاء ، ولا تلتئم أهوية النفوس المختلفة لاكتساب ضروريات معاشها لا بسببها ، وهي التي تجعل الافراد الانسانية مع تضاد طبائعها ، بمنزلة شخص واحد يسمى بأعضائه المتخلفة في اشكالها ، وجوارحه المتباينة في هياتها ، الى مقصد واحد لا يمكن الوصول اليه الا باستعمالها ، بحركات قد اختلفت مع وحدة جهتها أوضاعها . وسيادة الامم الغابرة والحاضرة هي من أخص نتائجها ، لانها لا يمكن حصولها الا باتفاق كلمة آحادها ، واجتماع آراء أفرادها ، ولاتنفي الكلمة ولا تجتمع الآراء الا بالتكافؤ في المساعي ، والتوازن في تحمل المشاق ، والاشتراك في المنافع ، والمساواة في الحقوق ، والتعادل في التمتع بثمرات الاعمال ، بلا تفاضل ولا استثناء ، وكل هذه في وجودها وبقائها تحتاج الى الاخلاق الكريمة والامم العظيمة التي يعرف الانسان حقه ويقف عنده . ولا تشتت أمة ولا اضمحلت سلطة ولا تفرقت جمعية الا بفساد أخلاقها وتطرق الخلل في سجاياها ،

لأنها بفسادها، وتطرق الخلل فيها؛ توجب تخالف الأيدي وتباعد الأرواح، وتضارب الآراء، وتباين الأفكار، فيستحيل حينئذ الاجتماع ويمتنع الاتفاق وإذا أمعن البصير في حقيقة الاخلاق الرذيلة يعلم أنها بذاتها تبعث على التفرق والاختلاف، ونمنع من الاجتماع والاتلاف، وما ينشأ عن ذات الشيء لا يمكن زواله ما دامت ذاته باقية، فإذا تمكنت الاخلاق الرذيلة من أمة فلا يرجى لها نجاح، ولا يحصل لها فلاح، ما لم تسع في تعديلها، وتدأب في تقويمها ويمكن أن يقال ان بين كمال العقل وطهارة النفس وتخليها بالاخلاق الفاضلة تلازماً، لان العقل اذا بلغ كماله يقهر الطبيعة فينتد تسلط النفس من سوراتها، وتخلص عن عكر قذائفها، فتتقاد للعقل مستسلمة له، خاضعة لحكمه، ويستعملها العقل على نهج الحق والعدل — وليست الاخلاق الفاضلة الا أن تزن النفس أعمالها بميزان العدل، ولا تمجد في هواها عن صراط الحق

*

الفقرة الاولى من المقصد في أسباب انحطاط الشرق

وبعد هذه المقدمة يمكن لنا أن نقول إن الشرق بعد ما كان له من الجاه الرفيع، والمقام المنيع، والسلطنة العظيمة، وبسطة الملك وعظم الشوكة، وكثرة الصنائع والبدايع، ووفور الامتعة والبضائع، ورواج سوق التجارة، وذيع العلوم والمعارف، وشيوع الآداب والفنون — ما هبط عن جليل مرتبته، وما سقط عن رفيع منزلته، ولا استولى الفقر والفاقة على ساكنيه، ولا غلب القل والاستكانة على عامريه، ولا تسلطت عليه الاجانب، ولا استعبدت أهله الاباعد، الا لعراض الشرقيين عن الاستنارة بنور عقولهم، وتطرق الفساد في أخلاقهم، فالك ترام في سيرهم كالبهائم، لا يتدبرون أمراء، ولا يتقون في أفعالهم شراً، ولا يكدون لجلب النافع ولا يجتنبون عن الضار (١) طراً على عقولهم السبات، ووقفت افكارهم عن الجولان في اصلاح شؤونهم، وعميت بصائرهم عن ادراك النوازل التي

«١» اجتنب يتعدى بنفسه قال تعالى «الذين يجتنبون كبائر الاثم» الآية

(المنار . ج ٧) (٦٨) (المجلد الخامس والعشرون)

أحاطت بهم، يقتحمون المهالك، ويمشون المداحض (١)، ويسرعون في ظلمات أهوية نفوسهم التي نشأت عن أوهامهم المضلة، ويتبعون في مسالكهم ظنونا قادم اليها فساد طبائعهم، لا يحسون المصائب قبل أن تمس أجسادهم، وينسونها كالبيهة بعد زوال آلامها، واندمال جراحها، ولا يشعرون لاستيلاء الغباوة على عقولهم، واكفرار ظلمات غشاوة الجهل على بصائرهم، بالذائذ التي خص الانسان بها من حب الفخار في طلب المجد والعز، وابتناء حسن الصيت وبقاء الذكر، بل لاستيلاء الغفلة على عقولهم بحسبون أن يومهم دهرهم، والتقمم كالسارحة (٢) شأنهم، لا يدرون عواقبهم، ولا يدركون مآل أمرهم، ولا يتداركون ما فاتهم، ولا يحذرون ما يترتبهم (٣) من أمامهم ومن خلفهم، ولا يفقهون ما أكن لهم الدهر من الشدائد والمصاعب، ولذا تراهم قدرثموا الذل، وألقوا الصغار، وأنسوا الهوان، وانقادوا للعبودية، ونسوا ما كان لهم من المجد المؤثر والمقام الامثل. وبعد انحدارهم عن ذروة العقل الذي لا كرامة للانسان الا به، غلبت عليهم الحسة والنذالة، ورانت على قلوبهم القسوة والجفاء وتمكن من نفوسهم الظلم والجور، واستولى عليهم العجب، لا عن جاه يدعو اليه، ولا عن فضيلة تبعث عليه، وتظاهروا مع الذل المتمكن من قلوبهم بالكبر والعظمة، وفشا بينهم الشقاق والنفاق، وتلبسوا بالعدو والحيانة، واستشعروا الحسد والنميمة، وتسربلوا بالحرص والشر، وتجاهروا بالوقاحة والشراسة، واتسموا بالخشية والجبانة، واتهمكوا في الشهوات الدنية، وخاضوا في اللذات البدنية، وتخلقوا بالاخلاق البهيمية، متوسدين الكسالة والفشل، واتصفوا بصفات الحيوانات الضارية، يفترس قلوبهم ضعيفهم، ويستعبد عزيزهم ذليلهم، يخونون أوطانهم ويظلمون جاره، ويستلبون أموال ضعفائهم، ويخونون بهودهم (٤)، ويسعون في خراب بلادهم، ويمكنون

«١» أي فيها وهي جمع مدحضة حيث تدحض الرجل أي تزل

«٢» السارحة المهيمة التي تسرح للمرعى والتقمم أخذ الشاة ماعلى

وجه الارض عقمها وأكله وكذلك تتبع الانسان ماعلى المائدة وأكله كله

«٣» تر بصبه الأمر: نتظره، وتر بصبه به: توقع نزوله به ومنه (تر بصب به ريب المنون)

«٤» خاس يخيس خيسا كذب - وخاس بالعهد خيسا وخيسا نا غدر ونكت

الاجانب ديارهم، لا يحمون ذماراً، ولا ينخشون عاراً، عالمهم جاهل، وأميرهم ظالم، وقاضيهم خائن، ليس لهم هاد فيرشدهم الى سبيل نجاتهم، ولا زاجر فيكفون عن التمادى في غيهم، ولا وازع يقدرع الجائرين عن نهش عظم فقرائهم، وصاروا جميعاً بسخافة عقولهم وفساد أخلاقهم عرضة للهلاك (لها بقية وهي الشواهد التاريخية)

الطور الجديد للمسألة العربية

ذكرنا في الجزء السادس الذي قبل هذا ان المسألة العربية دخلت في طور جديد بخروج سلطان نجد من عزلته السياسية وتصديه لانقاذ الحجاز من حسين بن علي مفرق الجماعات ومثار المتن وموبيق الامة العربية بادخاله النفوذ بل السلطان الاجنبي في جزيرة العرب ، فقد زحمت الجيوش النجدية بالفعل على الحجاز وسبقتهم المشائر الحجازية التي تدفنت بدعوة نجد الى الطائف وبعد مقاومة شديدة من خاميتها الحجازية وهي أكبر قوة للملك حسين احتلوا الطائف عنوة وانهزم القائد العام للجيش الحجازي وهو الامير علي ولي العهد لوالده فتحصن في موقعة منيع يقال له الهدى (بفتح هاء) فزحف عليه الاخوان فأخذوه عنوة وولي الامير مديراً الى موقع آخر على طريق عرفات يقال له (كرى) فزحفوا عليه فانهمزم الى مكة فوقف الاخوان لان السلطان عبد العزيز آل سعود لم يأذن لهم بدخول مكة فأنحين ، وفي أثناء ذلك طفق الملك حسين يحطر عالم الشرق وعالم الغرب يرقبات من الطعن في الوهايين ليهيج عليهم مسلمي الارض ودول أوربة فرأينا من الواجب علينا أن نبادر الى كتابة مقالات في الحقائق المتعلقة بهذه المسألة وننشرها في جريدة الاهرام اليومية الواسعة الانتشار ثم اقترح علينا ان ننشر هذه المقالات في المنار تباعاً وهاهي ذي :

الوهابيون والحجاز

(١)

لو حدثت إغارة الوهابيين على الحجاز في عهد الدولة العثمانية أقامت قيامة العالم الاسلامي ولأيت الجرائد العربية في الشرق والغرب والجرائد التركية والهندية والفرسية والتتارية والملاوية تشن عليهم غارة التضليل والتكفير، وتجمع الاعانات المالية لقتالهم باقتناطير، ذلك لما كان لجاهير الشعوب الاسلامية من حسن الظن وقوة الرجاء بالدولة ومن سوء الظن بالوهابيين، أما وقد حدثت في هذا العهد قائما نرى ضلع الرأي الاسلامي العام مع الوهابيين لان ما كان خفيا من قوة دينهم واعتصامهم بالسنة ورفضهم للبدع وكراهتهم للسلطة أو النفوذ الاجنبي قد ظهر لخواص المسلمين وبدأ يظهر لعوامهم، ولان جميع الشعوب الاسلامية تحقت هذا الرجل الذي تولى أعداء الاسلام في الحرب والسلم فصرزم على المسلمين واعتمد عليهم في طاعته في خلافة الاسلام وملك العرب تحت ظلمهم وحمايتهم، فبمساعده أولاده استولوا على البلاد العربية التي هي مهد حضارة الاسلام من حدود مصر الى خليج فارس، ويحاولون جعل ما بقي للعرب من عقر دارهم في جزيرتهم المقدسة تحت ظل تلك الدولة التي جعلته ملكا مستبدا في الحجاز، ليهون على أهله وضعه تحت سيادتهم مباشرة في يوم من الايام، وسمت أحد أولاده ملك العراق، وآخر منهم أمير الشرق العربي أو أمير شرق الاردن، ويطمح أن تسميه ملك فلسطين ليخضع لها مسلميها كما أمنها تعدي الاعراب المجاورين لها

فقد ظهر لجميع شعوب العالم الاسلامي أن هذا الرجل وأولاده هم شر نكبة نكب بها الاسلام في هذا العصر فصارت تمنى زوال سلطته عن مهد الاسلام، وترى أنه لا يرجي لذلك غير هؤلاء النجدين البواسل الذين صارحهم هو بالعداوة والاذى بما جدد من دعاية سافه الطالح من الطعن في دينهم ورميهم بالكفر، وادعائه أن الاسلام يوجب عليه قتالهم، والمصلحة العربية توجب عليه إخضاعهم

لسلطانه، وجعلهم تابعين للملك، ومنعهم من أداء فريضة الحج - على ما عرف عنهم من إباء الضيم وعدم الصبر على انتهاك حرمت الله - إلى تحكيمه ما شاء في إقامة ركن الدين الاجتماعي العام في بيت الله، وظلم من شاء فيه بالضرائب المختلفة وظلم أهله في كل شيء - فهذه أسباب الرجاء في النجديين بالأجمال (١) لا حب التوسع في السلطان والتبسط في الملك الذي يرميهم به هو ودعايته وجرائده من باب « رميتي بدائها وانسلت » وتحمد الله تعالى أن هؤلاء الدعاة قتلوا وقلت الجرائد التي تنشر لهم إفكهم وبهتانهم

ولكن بقي من الناس من يسيئون الظن بالوهابية ويظنون أنهم أصحاب مذهب مبتدع في الاسلام، وذلك بتأثير الدعاية المنتشرة منذ قرن وربع قرن في الطعن فيهم - وتأثير انتشار البدع واشتهارها حتى صار بها المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فالأخذون بهذه البدع يعدون كل منكر لها وهايباً ويضيفون إلى ذلك ما حفظوه من الهتان الذي جددته الملك حسين في جريدته القبلية من رميهم بتكفير من عداهم من المسلمين وإنكار شفاعته النبي (صلى الله عليه وسلم) ونحرهم الصلاة عليه وزيارة قبره كسائر القبور، بل تجرأ حسين المكي وأمثاله على رميهم بالطعن في شخصه الا كل وتفضيل العصاة عليه برأه الله تعالى ولعن كل مجتري على مقامه الشريف

هذه البهائم كانت يمينهم بها أمير مكة وأعوانه في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة عند ظهور أمرهم لتكفير المسلمين منهم، ولما استولوا على مكة المكرمة سنة ١٢١٨ بقيادة الأمير سعود جمعوا علماءها وفي مقدمتهم مفتي الحنفية ومفتي المالكية وبينوا لهم مذهبهم وخطتهم في تجديد دعوة الاسلام فوافقهم عليها وذكروا لهم ما كان أذيع من الطعن الذي أشرنا إليه آنفاً فتمجبوا وتبرؤا منه

إننا لم نر أحداً من البهاتين الذين يطعنون فيهم ينقل شيئاً من كتبهم، ونحن في بياننا للحقيقة ننقل من كتبهم ومن كتب غيرهم ولا نقول شيئاً من عندنا بغير دليل :

« ١ » وسيأتي بيانها بالتفصيل في المقالتين الثانية والثالثة

بيان الوهابية لمذهبهم

جاء في رسالة للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد صاحب الدعوة وصف فيها دخول جماعتهم مكة مع الامير سعود سنة ١٢١٨ ومناظرتهم للعلماء فيها وإعطائهم رسائل والده الشيخ محمد عبد الوهاب — وكان مع علماء مكة الذين حضروا مجالسه حسين الابرقي الحضرمي ثم الحياياني وكان يسأل عن أصل هذه الدعوة قال الشيخ عبد الله ما نصه :

« فأجبناه بأن مذهبنا في الاصول مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الاسلام والاعلم والاحكم ، خلافا لمن قال : طريقة الخلف أعلم ، وهي أننا نقرأ آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ونكل عليها الى الله مع اعتقاد حقائقها ، فان (مالكا) وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة »

ثم قال « ونحن أيضا في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل . ولا فنكر علي من قلد أحد الائمة الاربعة دون غيرهم » الخ (ص ٤٤ من كتاب الهدية السنية والتحفة النجدية)

ثم قال : « وأما ما يكذب علينا ستر الحق ، وتلبسنا على الخلق ، بأننا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق أهواءنا ، من دون مراجعة شرح ، ولا تعويل على شيخ . وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا النبوة في قبره ، وعصا أحدنا أنفع لنا منه ، وليس له شفاعة ، وإن زيارته غير مندوبة ، وأنه كان لا يعرف معنى لا اله الا الله حتى نزل عليه (فاعلم أنه لا اله الا الله) مع كون الآية مدنية — وأنا لا نعتمد على أقوال العلماء فتتلف مؤلفات أهل المذاهب ، لكون فيها الحق والباطل — وأنا نكفر الناس على الاطلاق ، أهل زماننا ومن بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه — ومن

فروع ذلك أنا لا تقبل بيعة أحد إلا بعد التقرير عليه أنه كان مشركا وإن أبويه ماتا على الشرك بالله ، وإنا ننهي عن الصلاة على النبي (ص) ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا — وإن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون — وإنا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم « الخ
ثم قال : « فجميع هذه الخرافات (أي الأقوال) وأشباهاها لما اعتقدها عنها من ذكر أولا كان جوابنا في كل مسألة من ذلك (سبحانه) هذا بهتان عظيم) فن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبنا اليها فقد كذب علينا واقتري ، ومن شاهد حالنا ، وحضر مجالسنا ، وتحقق ما عندنا ، علم قطعيا أن جميع ذلك وضعه علينا واقتراه أعداء الدين ، وإخوان الشياطين ، تنفيرا للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نهى الله عليه بأن الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » الخ (ص ٤٦ من الهدية)

ثم قال : « والذي نتمنعه أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل إذ هو أفضل منهم بلا ريب وأنه يسمع سلام المسلم عليه وتسبب زيارته إلا أنه لا يشد الرجل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس . ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه — عليه الصلاة والسلام — الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفى همه وغمه كما جاء في الحديث عنه ، ولا ننكر كرامات الأولياء ونعترف لهم بالحق وإنهم على هدى من ربهم متى ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية ، إلا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادات لا في الحياة ولا بعد الممات » الخ ما فصل به ذلك الإجمال من إنكار ما بهتوا به . فمن شاء التفصيل فليطالع (الهدية السنية والتحفة الوهاية النجدية) وهي توزع في مكتبة المنار بغير ثمن

وقد كنت لدى الاستاذ الأكرم شيخ الجامع الأزهر في أوائل الشهر الماضي فذكرت الوهاية وسبب الطعن فيها وكان من حضري المجلس الاستاذ الشيخ

عبد المجيد اللبان والاستاذ الشيخ محمد شاكر والاستاذ الشيخ احمد هارون والاستاذ الشيخ الظواهري وغيرهم فبينت لهم تاريخ المسألة ومن كتب فيها على بينه من المؤرخين عند استيلاء الامير سعود على الحجاز ثم ذهب أحد سعاة سكرتارية الازهر الى مكتبة المنار فحاء بعشرات النسخ من الهدية السنية ووزعت عليهم وقرأ الاستاذ الاكبر ما نقلناه هنا وما فصل فيها مما لم نقله واعترف بأنه مذهب أهل السنة والجماعة إلا أنه قال : ان حديث « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصي » قد أوله العلماء قلت : وم قد أخذوا بظاهره تبعاً لبعض المحققين من علمائهم — أعني الحنابلة — وأزيد أن بعض الشافعية والمالكية حرم شد الرحال لزيارة قبور الصالحين كالامام الجويني والذمام الحرمين واختاره القافى عياض في شرحه لصحيح مسلم كما نقله عنه النووي فأخذ الوهابية بذلك لهم سلف فيه وليسوا أول من قال به

شهادة التاريخ الوهابية

نكتفي هنا بشهادتين عادلتين لمؤرخين كبيرين نقلتا عن المدول المعاصرين لظهور الوهابية واستيلاء أمير نجد بقوتهم على الحجاز (الشهادة الاولى) قال المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الازهري في أول حوادث سنة ١٢٢٧ من تاريخه نقلاً عن بعض كبار رجال جيش محمد علي باشا الذين قاتلوا الوهابية في الحجاز ما نصه :

« ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع : أين لنا بالنصر وأكثراً عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهباً وصحبنا صنایق المسكرات ولا يسمع في عرضنا أذان ولا تقام فيه فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرم شمائر الدين . والقوم (يعني الوهابية) اذا دخل الوقت اذن المؤذنون وينظمون صفوفاً خلف امام واحد بخشوع وخضوع ، واذا حان وقت الصلاة والحرب قائم (?) اذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة

الحرب وتناخر الاخرى للصلاة وعسكرنا يتمجبون من ذلك لانهم لم يسمعو
به فضلا عن رؤيته ، وينادون في معسكرهم: هلموا الى حرب المشركين المحلقين
الذقون، والمستبيحين الزنا والواطء، الشاربين الخمر، التاركين للصلاة ، الآكلين
الربا ، القاتلين الانفس ، المستعملين المحرمات . وكشفوا عن كثير من قتل
المسكر فوجدوهم غير مختونين ، اهـ (ص ١٤٠ ج ٤ من الطبعة الاميرية) وفيه
من فظائع المعسكر وفواحشه ما لا حاجة الى ذكره

ومن المعلوم أن جيش محمد علي كان أخلاطا من شعوب ومال شقى ولم يكن
مؤلفا باعتبار أنه جيش اسلامي يقيم شعائر الاسلام ويحافظ على فرائضه وبراعي
أحكامه في القتال وغيره بل لم يكن جيش الدولة العثمانية المنظم كذلك وهي التي
كانت توصف بأنها دولة الخلافة . وأما ظن ناقل الخبر للجبرتي أنهم لا ينهرون
وحالتهم ما ذكر فسيبه أنه يعتقد أن الفسق يمنع النصر وليس كذلك فان من
استوفى أسباب النصر من كثرة المعسكر ونظامه وعدته ينصر على من ليس كذلك
(الشهادة الثانية) - ما جاء في كتاب (الاستقصا ، لاخبار دول المغرب الاقصى)
لعلامة الشيخ احمد الناصري السلاوي فانه ذكر في الجزء الرابع منه خبر وصول
كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابي الى فاس وخلاصة وجيزة عن
أصل الوهابية لا تخلو من غلط ثم ذكر أن سلطان فاس أرسل جواب ذلك
الكتاب مع ولده الذي سافر مع بعض العلماء الى الحجاز وهذا نص خبره (ص
١٤٥ من الجزء الرابع المطبوع بمصر) قال:

(حج المولى أبي اسحق ابراهيم بن السلطان المولى سليمان رحمه الله)
(وفي هذه السنة) أعني سنة ست وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان المولى
سليمان رحمه الله ولده الاستاذ الافضل المولى أبا اسحق ابراهيم بن سليمان الى الحجاز
لاداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من (فاس)
على هيئة بديمة من الاحتمال و ابراز الاخبية لظاهر البلد وقرع الطبول واظهار
الزينة وكانت الملوك تعني بذلك وتختار له أصناف الناس من العلماء والاعيان
(المنار . ج ٧) (٦٩) (المجلد الخامس والعشرون)

والتجار والقاضي وشيخ الركب وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام وغيرهما فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء العرب وأعيانه مثل الفقيه العلامة القاضي أبي الفضل العباس بن كيران والفقيه الشريف البركة المولى الأمين ابن جعفر الحسني الرتيبي والفقيه العلامة الشهير أبي عبد الله محمد العربي الساحلي وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه فوصلوا إلى الحجاز وقضوا المناسك وزاروا الروضة المشرفة على حين تعذر ذلك وعدم استيفائه على ما ينبغي لاستعداد شوكة الوهابيين يومئذ ومضايقتهم لحجاج الآفاق في أمور حجهم وزيارتهم الأعلى مقتضى مذهبهم

(حكى صاحب الجيش) أن المولى إبراهيم ذهب إلى الحج واستصحب معه جواب السلطان فكان سببا لتسهيل الأمر عليهم وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغربا حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الأمن والأمان والبر والاحسان قال : حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى إبراهيم في تلك السنة أنهم ما رأوا من ذلك السلطان (يعني ابن سعود) ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه ما به الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام ، من صلاة وطهارة وصيام ، ونهي عن المنكر الحرام ، وتقية الحرمین الشريفین من القاذورات والآثام ، التي كانت تفعل بهما جهارا من غير نكير . وذكروا أن حاله كحال آحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا مركوب ولا لباس ، وأنه لما اجتمع بالشريف المولى إبراهيم أظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الكريم . وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي أبو اسحق إبراهيم الزداعني فكان من جملة ما قاله ابن سعود لهم : إن الناس يزعمون أننا نخالفون للسنة المحمدية . فأبي شيء رأيتمونا خالفنا من السنة ؟ وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا ؟ فقال له القاضي : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الداعي المستلزم للجسمية المستوي فقال لهم : معاذ الله إنما نقول كما قال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة . فهل في هذا

من مخالفة ؟ قالوا : لا ويمثل هذا نقول نحن أيضا . ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة اخوانه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم . فلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه وقال : معاذ الله انما نقول انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وكذا غيره من الانبياء حياة فوق حياة الشهداء ، ثم قال له القاضي : وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر الاموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها . فقال : معاذ الله أن ننكر ما ثبت في شرعنا ، وهل منعناكم أنتم لما عرفنا أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها ؟ وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية ، ويطلبون من الاموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية . وانما سبيل الزيارة الاعتبار بخال الموتى وتذكر مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ثم بدعوله بالعترة ويستشفع به الى الله تعالى ويسأل الله المنفرد بالاعطاء والمنع بجاء ذلك الميت ان كان ممن يليق أن يستشفع به هذا قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة فأبى مخالفة في هذا القدر . اهـ . ثم قال صاحب الجيش هذا ما حدث به أولئك المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ثم سألنا الباقي أفرادا فاتفق خبرهم على ذلك اهـ

وذكر المؤلف بعد هذا الخبر بحثا في زيارة القبور رجح فيه القول بمنع زيارة الاولياء سدا للذريعة مع بيان العلة واشهارها بين الناس وذكر أن سلطان المغرب المولى سليمان رحمه الله كان يرى هذا وألف فيه رسالته المشهورة وان الشيخ الفقيه الصوفي أبا العباس التيجاني كان يرى هذا ونهى أصحابه عن زيارة الاولياء اهـ . لمختصا

والشيخ احمد التيجاني المذكور قد انتشرت طريقته في جميع بلاد المغرب الاقصى والادنى حتى ان أتباعه يدعون بالملايين الى هذا المهد وما نقله من كلام الامير الوهابي في مسألة الاستشفاع معزوا الى الامام احمد

يظهر انه لم ينقل بحروفه فان الامام أحمد رضي الله عنه لا يعرف عنه ولا عن علماء الوهاية مثل هذا القول فيما نعلم والله أعلم

وسنزين في مقال آخر ان المتغلب على الحجاز اليوم هو الذي يكفر المسلمين الذين يعاديهم ويعادونه فقد كفر الترك والمصريين كما كفر الوهاية ونهين أن ما فعله النجديون من الزحف لا نقاذ الحجاز من بغيه هو من فروض الكفاية على الامة الاسلامية قد قاموا به فاذا ظفروا ارتفع الائم عن جميع المسلمين والا وجب ذلك على غيرهم

المقالة الثانية

في الاسباب العامة لزحف الوهابيين على الحجاز

تمهيد : طريقتنا في الكتابة

إننا نكتب ما نكتب في هذا الموضوع نبيان الحق وأداء النصح الواجب للامة الاسلامية ولشعب العربي، وقد عاهدنا الله تعالى على أن لا نؤثر على الحق والنصح شيئاً، وانه اذا ظهر لنا أننا أخطأنا في شيء فأننا نرجع عنه ونعلن ذلك اعلاناً فما كان في كلامنا من خبر فأننا مستعدون لاثباته بالنقل عن المصادر التي لا نزاع فيها وأكثرها رسمية حقيقة أو حكماً (وهذا ما يسميه كتاب هذا العصر شبيها الرسمي) كأقوال جريدة القبلة التي لا تعزوها الى الملك حسين ولا الى حكومته (التي هي هو)

وما كان من حكم شرعي فأننا نذكره بالدليل ونعرضه على علماء الاسلام في العالم كله فان كتب الينا أو كلمنا أحد منهم بما يقنعنا بأننا أخطأنا في شيء منه فأننا نرجع الى الحق ونعلن ذلك لمن اطلع على كلامنا حيث اطلع عليه ، والا بيننا خطأ بالدليل مع التزام الادب الذي نطالبه به ونعرض كلامنا وكلامه على الجمهور وما كان من رأي فأننا لا نأبى مناقشة أهل الرأي فيه على شرطنا فيما قبله ومنه ان يرسل الرد الينا أو الى الصحيفة التي ننشر فيها كلامنا، ولستنا نكلف أن

نطلع على جميع الجرائد وما عساه يوجد في بعضها من نقد أو طعن فنرد عليه، ولا أن نرد على من يخرج عن شروط المناظرة وآدابها، وإنما نرد على من ينكر بالدليل صدق خبر من أخبرنا أو صحة دليل من أدلتنا أو بطلان رأي من آرائنا، لا أننا نتحرى الحق والصواب في هذه الثلاثة وندور معه إن شاء الله تعالى حيث دار. اننا أفتينا بطلان بيعة حسين بن علي بالخلافة وسردنا الدلائل الشرعية على ذلك، ونشرت الفتوى في مجلتنا (المنار) وفي جريدتي الاهرام والمحروسة، وبيننا في هذه الفتوى وفي مقالات أخرى في المنار أن هذه البيعة على بطلانها تضر الأمة العربية وتزيد الشقاق بين شعوبها وحكوماتها، فصدقت الحوادث رأينا ولم يرد عليه أحد فيما نعلم، واننا بينا حقيقة حال خصومه النجديين في مذهبهم بالنقل من كتبهم ومن كتب التاريخ المشهورة ولم نذكر من عندنا كلمة واحدة وإن يستطيع أحد أن ينكر كلمة من قلنا وقد بينا مواضعه حتى ذكرنا أعداد الصفحات والاجزاء التي قلنا عنها، لذلك وقع أحسن موقع من أنفس الناس الذين قرؤا مقالنا الأخير الذي نشرناه في جريدة الاهرام واستزادونا من الكتابة في هذا الموضوع، وكثر طلاب التحفة السنية والهدية الوهابية من القاهرة ومن جميع أرجاء القطر المصري ومما جاوره حتى صار جل عمل مكتبة المنار منذ نشرت المقالة توزيع هذه الرسالة فكان هذا سببا لمعرفة الآلاف الكثيرة من الناس ما كانوا يجهلون من حقيقة أهل هذا القطر الاسلامي الذين هم أشد مسلمي هذا العصر حرصا على السنة السنية وعناية بالاعتصام بعرونها الوثقى وكان أمرهم مجهولا عند الاكثرين بل كانوا يوصفون بضد ما هم عليه بما يذيعه حسين بن علي وأعدائه من الطعن في دينهم تبعا لما أذاعه سافقه في إمارة الحجاز، ومقلدوهم من مدة قرن وربع قرن حين فتحوا الحجاز للمرة الاولى، حتى كتب أخيرا بعض من لا قيمة للحق والصدق عندهم مقالات في بعض الجرائد كلها زور وبهتان هبط الافتراء ببعضهم فيما الى رعيهم بأنهم يسعون لابطال دين الاسلام تمهيدا لنشر دعوة المبشرين (دعاة النصرانية) فكانت هذه فرية عجز عن مثلها

الشیطان الرجیم ولم تخطر ببال (منقذ العرب والمسلمین ١١)
واننا فی هذا المقال وما بعده نبین للناس كافة، ولاهل النبرة الاسلامیة
والجامعة العربیة خاصة، أسباب زحف النجديین لانتقاد الحجاز من هذا المتغاب
عليه، المستبد فیہ، الظالم لاهله ولمن یحبونه من سائر المسلمین، وسیعلمون بما نوردہ
من الحقائق الجلیة، والشواهد الرسمیة وشبه الرسمیة، أن سلطان نجد لم یفعل هذا
طامعا فی توسیع مملكه، ولا لجرد المحافظة علی حقہ، بل خدمة الملة الاسلامیة
والامة العربیة، وان كان الامر الثاني وحده یوجب علیه ذلك شرعا وعرفا، ونبدأ
بذكر الاسباب العامة فنذكرها بالایجاز لانها صارت مشہورة الا أنه یقل من
یحفظها كلها ویستحضر ذكرها، ثم من یخلص فی بیان ذلك للناس، ولهذا
نرى ما یتعجب منه من الخبط والخلط والباطل فی مقالات بعض الکتاب حتی
من تصدی لتخصیص امثال هذه المسائل خاصة

الاسباب العامة

لزحف النجديين على الحجاز

(السبب الاول) ما هو معلوم بالتواتر القطعی وبالوثائق الرسمیة من
موالاة شریف مكة حسین بن علی وأولاده للدولة البریطانیة وحلفائهم فی الحرب
الاخيرة ونصرهم إياهم علی الدولة العثمانیة فی فتح البلاد العربیة وانه كان یبني
الدولة البریطانیة كلما فتحت مدينة من أمصار الاسلام وعوامم الحضارة العربیة
كالقدس الشریف وبنداد ودمشق، ثم اقتسموا هذه البلاد فأعطوه ولاية
الحجاز وأخذوا هم ولايات العراق وسورية والقدس الشریف حتی إنهم اقتسموا
سكة الحديد الحجازیة أيضا التي هی وقف اسلامي أنشئ لتسهيل إقامة ركن اسلامي.
فأما تولى المسلمون غیر المسلمین فی القتال وفتح بلاد المسلمین فحكى الذیني معلوم
بنص القرآن المجید وكتب الشریعة وحسبنا منه قوله تعالى (ومن یتولهم منهم
فانه منهم ان الله لا یتدی القوم الظالمین) وأما عاقبته فی الامة العربیة فهي
استیلاء الاجانب علی مهد حضارتها وعمرانها وأخصب اقطارها وأعظم موارد

ثروتها ، وجعل ما بقي لها من جزيرتها المقدسة محاطا به من البر كالبحر وهددا بفقدان استقلاله في كل وقت ، والتهديد شامل للحرمين الشريفين بالتبع لثالثهما وهو المسجد الأقصى حتى لا يبقى لها استقلال في دين ولا دولة

(فان قيل) ان هذا الرجل وأولاده يدعون أنهم ما فعلوا هذا الا لانقاذ البلاد العربية واستقلال العرب (قلنا) اننا نحن نبين الحق الواقع لا إفك السياسة ومغالطاتها وكذبها ومكابرتها ، والا فان الانكليز قالوا ولا يزالون يقولون مثل هذا القول في احتلالهم لمصر ، وفي إكراه وزير من وزرائها على تسميته إياهم شركاء لمصر في بلاد السودان ، وفي زعمهم الآن أن السودان يجب أن يكون في أيديهم وحدهم لان لهم مصالح فيه ولا تمام سعادة السودانيين ١١ .

(فان قيل) إن ثورة الشريف التي يسميها النهضة إنما بنيت على القصد الصحيح المذكور ثم ظهر له أن حلفاء خدعوه وأخلفوا وعده ، ونكثوا عهده ، ولا عجب فقد خدعوا رئيس أعظم دولة في العالم كما خدعوه وهو رئيس دولة الولايات المتحدة في أميركا (قلنا) إن هذا باطل كالذي قبله كما يعلم من الأسباب الآتية وربما كان من أسباب أرجاء ابن سعود الزحف على الحجاز إلى الآن ، لاجل استعراف نتيجة هذه الأقوال

(السبب الثاني) أن الشريف حسينا وأولاده لا يزالون مصرين على موالاة حلفائهم الأجانب ومودتهم ومساعدتهم على تثبيت أقدامهم في البلاد الغربية مع ادعائه هو دون أولاده بأنهم خدعوه وغشوه - لانه أشدهم رياء وخداعا وافكا ولذلك يناقض نفسه ويبتطل بعض كلامه بعضا ، وما نحن أولاء قد قرأنا في عدد جريدة (القبلة) ٨١٠ الذي صدر في ١٠ المحرم فأنه هذا العام (١٣٤٣) تصريحاً رسمياً له بالثبات على مودتهم في منشور باسمه سماه (منشور عيد البيعة الاولى) وما أكثر أعياده بمصائب العرب والاسلام ١١ فقد قال فيه ما نصه : « وانا لا نزال ساءين لتأييد المودة وتأكيده الروابط بيننا وبين خلفائنا العظام » فما هذا التأيد والتأكيد ان كان صادقا في قوله إنه مخدوع ، منكوث العهد ، مكذوب

الوعد ، ولماذا يصر على السعى لمقعد المآهديات معهم والذي الذي يدعي ه
وحكومته اتباعه له دون المسلمين كافة والوهابيين خاصة يقول « لا يلدغ المؤمن
من جحر مرتين » رواه البخاري ومسلم وغيرهما — دع ما ورد في أمثال هذ
الموادة والمآهديات في سورتى الممتحنة والتوبة مما ينافي الاسلام نفسه

(السبب الثالث) ان ما يسميه النهضة قد بني على أساس الحماية البريطانية
للمملكة العربية التي طلب من الانكليز أن يؤسروها له كما فوضها ولده الشريف
فيصل في دمشق الشام بنشره نص مقرراتها الرسمي في جريدة المفيد ثم نقلتها
الصحف الكثيرة في المشرق والغرب، وهذا نص المادة الثانية منها بحروفه كما
كتبها حسين بن علي بيده الاثيمة الخاطئة :

(٢) تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي
مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخلتها وسلامة حدودها البرية والبحرية
من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو
من حسد بعض الامراء الخ

واكن الانكليز لما لم يسمحو له بغير الحجاز من البلاد العربية التي طلب أن
يكون ملكها تحت حمايتهم لم يكن من مصلحتهم أن يقبلوا رسميا جعل الحجاز
تحت حمايتهم . وهو لا يزال مصرا على هذه المقررات ويعمد من أعظم النعم
عليه أن يكون موظفا بريطانيا في الحجاز كمعض النواب والرجوات في بعض
الولايات الهندية التي تسمى مستقلة في بطن الحوضجر الواسع (١)

ومن الادلة على ذلك أنه طالب مرارا من الدولة البريطانية إقالته من ملك الحجاز
وتنصيب غيره بدلا منه . وأرسل مرة الى مدير جريدة التيمس برقية اليه رغب
اليه فيها أن يتوصل لدى حكومته لقبول استقالته . وهذا نص البرقية منقولاً عن
العدد ٥٥٣ من (جريدة القبلة) :

(١) الحوضجر = بكسر فسكون ففتح = العظيم الوطن الواسع، وسميت به الضبيع

« المدير العمومي لصحيفة التيمس

« اطلمت على عددكم المشتعل الرد والقدس باتحاد العرب والتزامكم أحد امرائهم ولزيادة اقناع حكومة جلالة الملك وايضاح الحقيقة لعموم الشعب النجيب البريطاني اكرر بهذا طلي بواسطتكم من حكومة جلالته تأكيد تعيين الامير المذكور أو من تراه ليستلم البلاد » الخ . والمراد بالامير المشار اليه سلطان نجد اذ كانت جريدة التيمس مدحته بمقال لها

وكان قد أرسل الى نائب ملك الانجليز بمصر كتاباً في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ نشره في جريدته (القبلة) مرارا لا اعتقاده انه من معجزات السياسة او الكياسة والبلاغة استعاث فيه الدولة البريطانية أن لا تعدل مقررات نهضته المبنية على الحماية ولا تعرض الاتفاق معه على مؤتمر الصلح قال فيه مانعه السقيم: « فان كان ولا بد من التعديل فلا لي سوى الاعتزال والانسحاب ولا أشبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا أنه أمر يتعلق بالحياة لا لقصد عرضي، ولا لفكر غرضي، وأنها لا ترتاب في أي وأولادي أصدقائها الذين لا تغيرهم الطواريء والايام، ثم تعينوا البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر اليها في أول فرصة » ثم اجاب عن تعليق أمر مطالبه بالمؤتمر وختم كلامه بقوله :

« ولو قرر المؤتمر المذكور أضاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فتكن (؟) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا » اه بحروفه من العدد ٣٩١ من جريدته (القبلة) الذي صدر في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣٨ ومنه يعلم أن الدولة البريطانية عنده كالمعبود فلا يعاملها معاملة مبنية على المصاحبة فقط

(السبب الرابع) رضاه باستخدام الدولة البريطانية لاولاده في العراق وشرق الاردن لتخدير أعصاب بدو البلاد وحضرها وحملهم على الرضا بما يؤسس فيها من حظائر الطيارات الحربية وتعميد الطرق في قلب الجزيرة للسيارات والدبابات ومد سكك الحديد العسكرية والتجارية لتمكين سلطانها فيها ، فان

٥٥٤ جعل حسين الحجاز دولة عربية وتقسّمه ملكا للعرب المذار :ج ٧م ٢٥

العرب اذ قاوموها قبل ذلك فالراجح أنها تضطر الى ترك بلادهم لهم لثلاث تضرها المقاومة العملية الى بذل ألوف الملايين من المال ومئات الألوف من الرجال ، وذلك ما لا يأذن لها به برلمانيها ولا تسكت عليه أمتها في هذا الوقت التي أرهقتها فيه الضرائب . واذا هي تم لها بنفوذ هؤلاء الحجازيين ما شرعت فيه من ذلك فوسخت أقدامها واستقرت قوتها فلن تخرج من البلاد وان ترضى الا الاستيلاء على سائر جزيرة العرب للمحافظة على ما تسميه مصالحها وطرق تجارتها وعلى مآذنها من اسعاد البلاد وأهلها كما تقول في مسألة السودان وهي عبرة للمخدوعين بهؤلاء الحجازيين إن كانوا غير خائفين لامتهم وبلادهم ولا جاهلين لمصالحتها ككثير من البدو (السبب الخامس) جعل حرم الله تعالى الامين مركز ملك عربي يحالف ملكه بعض الملوك الاجانب غير المسلمين ويجعل لهم حقوقا في الحرمين الشريفين غير مسألة الحماية التي تقدم ذكرها ويعادي آخرين ، ولا يجوز أن يجعل الحجاز مركزا حربيا أي عرضة للحرب لان ذلك قد يؤدي الى منع الحج الذي هو ركن الاسلام الاجتماعي العام الجامع للشعوب الاسلامية كلها . وإنما مصلحة المسلمين عامة وأهل الحجاز وجيرانهم خاصة جعل الحجاز قطريا دوسلام والسعي لاعتراف جميع الدول بذلك . ولو فعل السيد حسين المكي ذلك لاستغنى به عن معاد أجيرائه من العرب والاستعداد لقنالهم ، ولا تستغنى عما هو شر من ذلك وهو اهانة نفسه وبيته وأهله وملكه وحرم الله وحرم رسوله بالالتجاء الى حماية دولة غير مسلمة له ولها (السبب السادس) أنه سمى نفسه ملك العرب وملك البلاد العربية وحمله غروره بنفسه على السعي لاقتناع أمراء جزيرة العرب المستقلين بالاعتراف له بذلك فسخروا من سعيه اسوء سياسته وبناء ملكه على الحماية الاجنبية وضعفه وفساد ادارته واعتقاد كل منهم واعتقاد رعيته وسائر العارفين بمحالمهم أنهم أحق بالملك منه . ولكنه لم يرجع عن دعواه بل أصر على ذلك وحاول التوصل اليه بقوة الاجانب الذين جعلوا احد أولاده ملكا والآخر أميرا مرشحا للملك في دائرة امپراطوريتهم المرنّة ، فهو قد اتخذ جميع أمراء الجزيرة المحيطين بالحجاز

أعداء له . وحسبنا شاهدين على هذا: ما صرح به لرئيس مؤتمر الجزيرة الذي أسسه لبث دعايته وتمهيد السبيل له — وما جرى في مؤتمرات الكويت من الامتناع من الاتفاق الودي مع حكومة نجد وانا ننقل بعض كلامه في الشاهد الاول ونرجي الثاني الى بيان الاسباب الخاصة لزحف النجديين على الحجاز : نشرت جريدة القبلة في العدد ٧٣٧ الذي صدر بمكة في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٤٢ بيانا عاما من (اللجنة التنفيذية لمؤتمر الجزيرة) بامضاء رئيسها (محمد ابن علوي) ذكر فيه ما صرح له به الملك حسين من تفسير الوحدة العربية التي يطلبها ، وهو انه رسمها على الاساس الآتي :

« وهو وحدة البلاد العربية واستقلالها بحيث تكون خارجيتها وعسكريتها وسياستها العامة واحدة . أما داخليتها فالامارات العربية المعروفة بجزيرة العرب تكون على ما كانت عليه قبل الحرب ، وان كل أمير في أي اماره من هذه الامارات الموروثة لهم من آباءهم واجدادهم يستقل بداخلية ضمن الحدود التي كانت عليها امارته قبل الحرب بشرط أن يرتبط مع المجموع الذي كل من خرج عنه منهم أو شذ بالخروج عن الجامعة العربية بحكم عليه المجموع بمقتضى قوله تعالى (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله)

« وأما ما كان خارجا عن حدود تلك الامارات سواء كانت تلك الامارات قائمة بذاتها ضمن حدودها أو طرأ عليها الاغتصاب كحسير قبل الحرب وابن رشيد بعد الهدنة فلا بد من عودتهم الى ما كانوا عليه كعودة الامام يحيى الى صنعاء » ثم قال « ولذلك فلهذه هي الخطة التي عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله من الآمنين — لذا فلا بد من اعادة آل رشيد وآل عايض الى اماراتهم وحدودهم وقبائلهم التي كانوا عليها ، واعادة كل أمير من امراء الجزيرة الى ما كان عليه قبل الحرب » — الى أن قال — « هذا الذي أدين الله عليه ولو لم تبق الاذاتي وحياتي لانفتحتها في هذا السبيل »

فهذا نص تصريح من الملك حسين الذي سمي نفسه (ملك العرب وجميع

البلاد العربية) بمساعدة جميع امراء جزيرة العرب وجبلهم معه في حالة حرب لانه يدين الله تعالى بسلب كل واحد منهم بعض البلاد التي في يده وبجملهم تابعين في السياسة الخارجية والحربية والادارة العامة الملك العرب أي له

أذاع عنه هذا في جريدة (القبلة) رئيس مؤتمر الجزيرة المستخدم عنده لهذا وهو الذي يرسل البرقيات الى العالم الآن في الافتراء على التجديدين لينفر العالم منهم (السبب السابع) إلحاده بظلم أهل الحرم وارهاقهم العسر من أمرهم بضرب المكوس الباهظة على كل ما يرد الى البلاد من الاقوات وغيرها وباحتكاره القوت الضروري وهو الخبز بإبطاله جميع الافران العامة الخاصة وإنشائه أفرانا يكره الناس على الشراء منها بالثمن الذي لا يمكن أن يزاحمه فيه أحد ، مع عدم المبالاة بقول النبي (ص) « احتكار الطام في الحرم إلحاد فيه » رواه البخاري في تاريخه وأبو داود في سننه واكثر رواة التفسير المأثور من حديث يعلى بن أمية (رض) وفي معناه روايات أخرى عن عمر وابن عمر (رض) مرفوعة وموقوفة - وبغير ذلك من اغتصاب أوقاف الاشراف والاوقاف الاهلية في المدينة المنورة وبالحبس والتكبل والتعذيب وقطع الاطراف والقتل بغير حق يميزه الشرع ، ولا نطيل هنا في هذا وقد بيناه بالتفصيل في مجلة المنار ولدينا مزيد وهو معروف عند أهل نجد (السبب الثامن) تحككه بهواه في أمر فريضة الحج فهو يمنع منها من اتخذهم أعداء له كأهل نجد ويضرب على سائر الحجاج المكوس غير المشروعة باسم جوازات السفر ورسوم الصحة وغير ذلك مما أذاعه حجاج الافاق في جميع الاقطار ، وشرحناه بالتفصيل في مجلة المنار

(السبب التاسع) نشره في جريدة القبلة أنه لا يوجد في العالم حكومة اسلامية تقيم الحدود وتلتزم أحكام الشرع غير حكومته ، وتكفيره للترك والمصريين والتجديدين ، وسنذكر بعض الشواهد على هذا في المقال التالي

(العاشر) ادعائه مع كل ذلك الخلافة الاسلامية الذي يقتضي أن كل من يخالفه ولا يخضع لحكومته من الشعوب والحكومات الاسلامية من الخوارج

البغاة الذين يجب عليهم وعلى سائر المسلمين قتلهم ، وقد ذكرنا آنفا رأيه في امارات جزيرة العرب المجاورة للحجاز ومصر بمح قبل اظهار دعوى الخلافة والدعوة العامة الى مبايعته بها بأنه يدين الله تعالى بحملها تابعة لملك واحد وبمزمه الثابت على تنفيذ ذلك بالقوة ، فكيف يكون شأنه بعد هذه الدعوى ومقتضاها عنده أنه يجب على أهل هذه البلاد كسائر المسلمين أن يكونوا تابعين له خاضعين لحكمه فهذه الاسباب العامة توجب على من قدر من أمراء المسلمين أن ينقذوا الحجاز من سلطة هذا المدعي المغرور كما فصلناه من قبل في المنار، وسنجد القول فيه في المقال التالي الذي نبين فيه الاسباب الخاصة التي حلت أهل نجد على القيام بهذا الفرض الكفائي وسبب تأنيهم في ذلك وهو الاحترام للمحرمة الشريف

﴿ بطل العرب والاسلام وأندلسهما الثانية ﴾

بعلم قراء المنار مما كتبت فيه بشأن انتصار اخواننا الترك على اليونان في الحرب وعلى الانكليز في السياسة بعض ما كنت عاينه من الغبطة والسرور وإنما هو بعض ما كان في قلبي ، ويعلمون أنني نوهت بقواد الترك وزعمائهم ، وفضلتهم على جميع من تصدى ازعامة العرب في هذا العصر ولا سيما الشيخ حسين بن علي المكي ، وأولاده ولا سيما فيصل وعبد الله الذين جاهدت بجهادهم في المنار وغيره من الصحف منذ أنشئت المراقبة على الصحف في مصر ولكنني على ما كان من إعجابي ببسالة مصطفى كمال باشا زعيم هذه النجدة وقائد هذه الغزوة لم أره مستحقا للقب بطل الاسلام الذي منحه إياه بعض الصحف الاسلامية بمصر وغيرها ثم ندموا ووصفوه بمداة الاسلام ، بل كان هذا مما أنكرته على أشهر المنوهم به من كبار كتاب الصحف لكن قولاً لا كتابة لاني كنت أعلم علما اجماليا أنه قائم بالعصبية التركية ولها يعمل لا للاسلام ثم صار هذا الاجمال علما تفصيليا عندي قبل جماهير المسلمين وغيرهم وأما محمد عبد الكريم القائد العربي لجيش الريف المغربي بمزق الزخرف الاصاينة

وهازمها، وقاتل قوادها ومذل دولتها، فأنني أحليه بلقب بطل العرب والاسلام بحق بل نقول أن ما اطلعنا عليه من بلائه وهو اقله يثبت أنه قد فضل جميع قواد الدول وزعماء الامم في نهضاتها الحربية والادارية لاهم مصطفى كمال باشا وحده، وحسبنا في امتيازه على هذا مقال الكاتب السياحي الشهير صديقنا الامير شكيب ارسلان الذي نشرناه في الجزء التاسع (م ٢٤) وهو أول من أطلق عليه لقب بطل الاسلام من كبار كتاب السياسة المسلمين

فأما كونه بطالا في نفسه فقد ثبت بعمله الذي أعجب به العالم كله ونوهت به صحف الشرق والغرب لجميع الامم والمال ولما يوفه أحد ما استحققه من النساء فيما نعلم، وأما كونه بطالا للاسلام فلانه قائد مسلم نهض بطائفة من المسلمين لا تقاذ بلاد اسلامية من استعباد شمس متعصب استأصل بنعصبه الديني مسلمي الاندلس بالسيف والبار، حتى لم يبق منهم في تلك البلاد التي جعلوها أرقى بلاد العالم كله عمراناً وحضارة دياراً ولا نافخ نار، بل كل من لم يتنهر منهم ولم يتأخر البلاد ناجياً بنفسه قتل شر قتلة

وأما كونه بطالا للعرب فلانه هو وقومه المهاجرون في سبيل الله لحفظ حريتهم ودينهم ووطنهم من العرب لغة ودينا وأديبا، وان كان بعضهم ليس منهم نسباً. ولان سلمهم من مسلمي الاندلس الذين ثاروا لهم كانوا من صميم العرب. على أنهم لم يقصدوا النار، وانما جهادهم دفاع عن النفس، وقد أيدم الله تعالى بالبصر، بمثل ما أيد سلفهم بقيادة كبار أبطالهم من قبل،

فان كان تأثير عمل محمد عبد الكريم في العالم الاسلامي أقل من تأثير عمل مصطفى كمال باشا ورجاله فليس لانه دونه بل لان الدولة العثمانية التي كانت مشرقة على الزوال أعظم شأنها في قلوب جميع الشعوب الاسلامية وغير الاسلامية من أهل ريف مراکش، وبقاء الترك دولة حربية مستقلة في عقر ديارهم يعد بمنزلة الحصن العائق دون سهولة استيلاء الاجانب على الممالك المجاورة لها، حتى بعد انسلاخ حكومتها الحاضرة من الجامعة الاسلامية الذي لم يكن يخطر لاحد من تلك الشعوب

بإلا بعض الضباط والمتمرسين بالسياسة من العرب الذين كانوا عثمانيين
ولكننا نرجو أشد المرجو أن نرى البلاد العربية ولا سيما دعاة النهضة
الجنسية فيها لم يقدروا عمل هذا الزعيم قدره ولم يشدوا أزره ، وهم يرون كبرى
دول الاستعمار الثلاث المتعدية على جميع بلادهم بمحمة على التشاؤم من انتصار
حكومة الريف بتدبيره وخائفة أن يكون سببا لتحرير سائر الاقطار الاسلامية
الافريقية من رقن ، وان يمتد شعور المسلمين برجاء الحرية والاستقلال من
المغرب الاسلامي الى المشرق فيعرف أهله طريق الاستقلال المبدى فيسلكوه ،
وان يعود للاسلام سلطاناه الاول بحياة هذا الرجاء في جميع شعوبه المستعبدة ،
فطلق رجال السياسة فيهم يتناجون لاجماع أمرهم على إحباط عمل الزعيم العظيم
ويوقف سريان هذا النهر عند الحد الذي تنفق مصالحهم عليه - فأين هذا من
مساعدة كل من فرنسا وإيطاليا لمصطفى كمال باشا وقومه ، واضطرار الشعب
البريطاني حكومته الى الامساك عن مساعدة اليونان على قتاله ؟

إننا لا ننكر أن الشعوب الاسلامية مرتاحة لعمل قائد الريف العظيم ومسيرة بقدر
المهام من سلب الاجانب لاستقلال أمتهاء ، ونسخ شريعتهاء ، ولكن سياسة دول الاستعمار
يعلمون من تأثير حياة الامم ومن سر بانهاود يديها من شعب الى آخر ولا سيما اذا كان
لها وحدة جامعة وتاريخ مشترك تفتخر بسلفه كالامة الاسلامية التي أدجت فيها أقوى
مقومات الامم ومشخصاتها ، فهم لعلمهم هذا يحسبون لحياة الشعوب ما ليس
في حساباتها ، ثم يبالغون فيها على سبيل الاحتياط فيرجعون الشائل من ميزانها ،
ولوصلت الحياة المالية في تونس والجزائر أو في طرابلس الغرب أو فيما بعد فوقها
على تفارتها كعصر الهند الى المستوى الذي تخافه فرنسا وإيطاليا وانكلترا
لرأينا الاعانات المالية والبعثات الطبية مرسلة تترى من هذه البلاد كلها الى ريف
مراكش ، بل رأينا المتطوعين يهاجرون اليه أرسالا ، نافرين خفاقا وثقالا ، ما
وجدوا الى ذلك سبيلا . لكننا لم نر شيئا من هذا ولا ذاك ، ولم نسمع في الدعوة
الى أهون المساعدة صوتا عاليا يسمع فيلبس ، وإنما سمعنا نامة خافتة بهر ، ونباة
فوقها من الهند ، ولم نر عملا يذكر ، ولا سعيًا يشكر

أين كبار العلماء ؟ أين سرة الامراء ؟ أين الاغنياء الاسخياء ؟ أين الكتاب والشعراء ؟ أين الجمعيات الخيرية ؟ أين الاحزاب السياسية ؟ بل أين جمعية الهلال الأحمر المصرية ؟ ولا أمادي أختها التركية ، فان الترك في الشعوب الاسلامية كهلماء الدين في كل شعب قد اعتادوا أن يأخذوا وما اعتادوا أن يعطوا ، وهذا قبل وقوعهم تحت أحكام دولة قررت بترم من جسم الجامعة الاسلامية فكيف يكون حالهم بعد ذلك ؟

كملت بعض أعضاء جمعية الهلال الأحمر المصرية منذ سنتين في مسألة الريف هذه وما يجب على جموعهم من مساعدة هؤلاء الرغبين المنقطعين عن جميع الامم والشعوب وليس عندهم من الاطباء والادوية والآلات الجراحية ولا من الممرضين والمضمدين من بأس وجروحهم ويطهر قروحهم ويدوي مرضاهم فان جمعيات الصليب الأحمر لا تعطف على قوم من المسلمين يدافعون عن أنفسهم بقتال دولة من دول النصرانية تريد استعبادهم واستعمار بلادهم ، وقد سعى مسلم أفريقي لدى عبد المجيد أفندي الذي سمي خليفة المسلمين بأن تؤلف في الاستانة لجنة تحت رعايته لجمع التبرعات لذلك فارتاح لهذا الاقتراح ولكن حكومته زعمت أن جمعية الهلال الأحمر التركية أول بهذا العمل وستقوم بهذا الواجب ولم يقم به أحد . وان يقوم هنالك أحد لان الحكومة لا تريد ذلك بماذا أجاب عضو جمعية مصر ؟ قال ان القانون الجديد لجمعيةنا قد حظر عليها انفاق شيء مما في صندوقها فلا سبيل الى بذل شيء الامما يدخل في الصندوق بعد تقرير هذا القانون والا يدخله شيء . قات : وما المانع من أن تتولى الجمعية دعوة أهل البر والاحسان الى التبرع لها بما تؤدي به هذا الواجب ؟ وهل لك أن تقترح عليها ذلك ؟ قال : نعم ولكن بعد عودة صاحب الدرة الامير يوسف كمال رئيسها من سفره

لا شك ، ندي في صدق النضو الكريم في استعداده للاقتراح . وقبوله بالقبطة والارتياح . ولكن الامير عاد من سفره ثم سافر ثم عاد ولم يظهر للجمعية عمل فدمسى أن تتولى (جمعية الرابطة الشرقية) السمي الى هذه المبارة الانسانية لدى جمعية الهلال الأحمر المصرية ولدى الشعب المصري ومائر الشعوب الشرقية . وسأقترح ذلك عليها ان شاء الله تعالى في أول اجتماع تعقدته واعد هذه الكلمة تمهيداً له .

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يُذَكِّرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ

الْمَلِكُ

١٣١٥

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّقُونَ أَهْلَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ أَجْرٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ أُولَ الْأَلْبَابِ

قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضوى « وصارا » كمنار الطريق

٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٤٣ - ٥ القوس ١٣٠٤ ٢٧ نوفمبر ١٩٢٤

أبطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

﴿ لشيخ الاسلام نقي الدين احمد بن تيمية رضى الله عنه ﴾

وأما النوع الثالث وهو الفناء عن عبادة السوى فهذا حال النبيين وأتباعهم وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه ، وبمحبة عن حب ما سواه ، وبخشية عن خشية ما سواه . وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه . فهذا تحقيق توحيد الله وحده لا شريك له وهو الحنيفية ملة ابراهيم ويدخل في هذا أن يفنى عن اتباع هواه بطاعة الله فلا يحب الا الله ، ولا يبغض الا الله ، ولا يعطي الا الله ، ولا يمنع الا الله . فهذا هو الفناء الديني الشرعي الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ومن قال * فارفع بحقك اني من البين * بمعنى أن يرفع هوى نفسه فلا يتبع هواه ولا يتوكل على نفسه وحوله وقوته بل يكون عمله لله لا لهواه وعمله بالله وبقوته لا بحوله وقوته كما قال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فهذا حق محمود . وهذا كما يحكى عن أبي يزيد أنه قال: رأيت رب العزة في المنام فقلت : خدائي (١) كيف الطريق اليك ؟ قال: اترك نفسك وتعال- أي اترك اتباع هواك والاعتماد على نفسك فيكون عمالك لله واستعانتك بالله كما قال (فاعبدوه وتوكل عليه)

والقول المحكي عن ابن عربي * وبني حلفت وان المقسم الله * هو أيضا من الحادهم وإفكرهم: جعل نفسه حائلة بنفسه ، وجعل الخالف هو

(١) خدا - بضم الخاء اسم الجلالة بالفارسية واصله الى ياء المتكلم أي إلهي (المنار : ج ٨) (٧٤) (المجلد الخامس والعشرون)

الله فهو الخالف والمحلوف به كما يقولون : أرسل من نفسه الى نفسه
رسولا بنفسه فهو المرسل والمرسل اليه والرسول وكما قال ابن الفارض
في قصيدته نظم السلوك :

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلات
كلانا مهمل واحد ساجد الى حقيقة بالجمع في كل سجدة
وما كان بي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة
الى أن قال :

وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي حنت
وقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفي رنمها عن فرقة الفرق رفعتي
فان دعيت كنت المحيب وإن أكن منادى أجابت من دعائي ولبت

وأما المنقول عن عيسى بن مريم صلوات الله عليه فهو كذب عليه
وهو كلام ملحد كاذب وضعه على المسيح وهذا لم ينقله عنه مسلم ولا
نصراني ، فانه لا يوافق قول النصارى قوله ان الله اشتاق أن يرى ذاته
المقدسة فخلق من نوره آدم وجهه له كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها
واني أنا ذلك النور وآدم المرآة . فهذا الكلام مع ما فيه من الكفر
والالحاد متناقض وذلك أن الله سبحانه يرى نفسه كما يسمع كلام نفسه ،
وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عبد مخلوق لله قال لأصحابه
« لاني أراكم من ورائي كما أراكم من بين يدي » فإذا كان المخلوق قد
يرى ما خلقه وهو أبلغ من رؤية نفسه فالخالق تعالى كيف لا يرى نفسه ؟
وأيضاً فان شوقه الى رؤية نفسه حتى خلق آدم يقتضى أنه لم يكن في

الازل يرى نفسه حتى خلق آدم ، ثم ذلك الشوق كان قديما كان ينبغي أن يعمل ذلك في الازل وان كان محدثا فلا بد من سبب يقتضي حدوثه ، مع أنه قد يقال الشوق أيضا صفة نقص ولهذا لم يثبت ذلك في حق الله تعالى وقد روي «طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم أشوق» وهو حديث ضعيف

وقوله : خلق من نوره آدم وجعله كالمرآة وأنا ذلك النور وآدم هو المرآة - يقتضي أن يكون آدم مخلوقا من المسيح والمسيح خلق من مريم ومريم من ذرية آدم فكيف يكون آدم مخلوقا من ذريته ؟ وان قيل المسيح هو نور الله فهذا القول وان كان من جنس قول النصارى فهو شر من قول النصارى ، فان النصارى يقولون : ان المسيح هو الناسوت واللاهوت الذي هو الكلمة هي جوهر الابن ، وهم يقولون : الاتحاد اتحاد اللاهوت والناسوت متجدد حين خلق بدن المسيح ، لا يقولون أن آدم خلق من المسيح إذ المسيح عندهم اسم اللاهوت والناسوت جميعا وذلك يمنع أن يخلق منه آدم ، وأيضا فهم لا يقولون ان آدم خلق من لاهوت المسيح

وأيضا فقول القائل ان آدم خلق من نور الله الذي هو المسيح ان أراد به نوره الذي هو صفة لله فذاك ليس هو المسيح الذي هو قائم بنفسه إذ يمنع أن يكون القائم بنفسه صفة لغيره ، وان أراد بنوره ما هو نور منفصل عنه فمعلوم أن المسيح لم يكن شيئا موجودا منفصلا قبل خلق آدم فاستنع على كل تقدير أن يكون آدم مخلوقا من نور الله الذي هو

المسيح ، وأيضا فاذا كان آدم كالمرآة وهو ينظر الى ذاته المقدسة فيها لزم أن يكون الظاهر في آدم هو مثال ذاته لا أن آدم هو ذاته ولا مثال ذاته ولا كذاته ، وحينئذ فان كان المراد بذلك أن آدم يعرف الله تعالى فيرى مثال ذاته العلمي في آدم فالرب تعالى يعرف نفسه فكان المثال العلمي اذا أمكن رؤيته كانت رؤيته للعالم المطابق له القائم بذاته أولى من رؤيته للعالم القائم بآدم ، وان كان المراد أن آدم نفسه سأل الله فلا يكون آدم هو المرآة بل يكون هو كالمثال الذي في المرآة ،

وأیضا فتخصيص المسيح بكونه ذلك النور هو قول النصارى الذين يخصوصونه بأنه الله، وهؤلاء الاتحادية ضموا الى قول النصارى قولهم بعموم الاتحاد حيث جعلوا في غير المسيح من جنس ما تقوله النصارى في المسيح وأما قول ابن الفارض:

وشاهد اذا استجليت ذاتك من ترى بغير مرآة في المرآة الصقيلة
أغريك فيها لاح أم أنت ناظر اليك بها عند انعكاس الاشعة
فهذا تمثيل فاسد وذلك أن الناظر في المرآة مثال نفسه فيرى نفسه
وكذا المرآة لا يرى نفسه بلا واسطة فقولهم بوجود باطل وبتقدير
صحته ليس هذا مطابقا له وأيضا فهو لا يقولون بعموم الوحدة والاتحاد
والحلول في كل شيء فتخصيصهم بعد هذا آدم أو المسيح يناقض قولهم
بالعموم وانما يخص المسيح ونحوه من يقول بالاتحاد الخاص كالنصارى
والغالية من الشيعة وجهال النساك ونحوهم ، وأيضا فلو قدر أن الانسان
يرى نفسه في المرآة فالمرآة خارجة عن نفسه فرأى نفسه أو مثال نفسه

في غيره والكون عندهم ليس فيه غير ولا سوى فليس هناك مظهر مغاير للظاهر ولا مرآة مغايرة للرأي

وهم يقولون : ان الكون مظاهر الحق (فان قالوا) المظاهر غير الظاهر لزم التعدد وبطلت الوحدة ، وان قالوا المظاهر هي الظاهر لم يكن قد ظهر شيء في شيء ولا تجلى شيء في شيء ولا ظهر شيء لشيء وكان قوله : * وشاهد اذا استجليت نفسك أن ترى * .. كلاما متناقضا لان هنا مخاطبا ومخاطبا ومرآة تستجلى فيها الذات فهذه ثلاثة أعيان فان كان الوجود واحداً بالعين بطل هذا الكلام وكل كلمة يقولونها تنقض أصلهم

فصل

وأما ما ذكره من قول ابن اسرائيل : الامر أمران أمر بواسطة وأمر بغير واسطة الى آخره - فمضمونه أن الامر الذي بواسطة هو الامر الشرعي الديني والذي بلا واسطة هو الامر القدري الكوني وجعله أحد الامرين بواسطة والآخر بغير واسطة كلام باطل فان الامر الديني يكون بواسطة وبغير واسطة فان الله كلم موسى وأمره بلا واسطة وكذلك كلم حمدا صلى الله عليه وسلم وأمره ليلة المراج وكذلك كلم آدم وأمره بلا واسطة وهي أوامر دينية شرعية وأما الامر الكوني فقول القائل : انه لا بواسطة خطأ بل الله تعالى خلق الاشياء بعضها ببعض وأمر التكوين ليس هو خطابا يسمعه المكون المخلوق فان هذا ممتنع ولهذا قيل ان كان هذا خطابا له بعد وجوده لم يكن قد كون (به) بل كان قد كون

قبل الخطاب وان كان خطاباً له قبل وجوده فخطاب المعلوم ممتنع. وقد قيل في جواب هذا انه خطاب المعلوم لحضوره في العلم وان كان معدوماً في العين وأما ما ذكره الفقير فهو سؤال وارد بلا ريب. وأما ما ذكره عن شيخه من أن آدم كان توحيداً ظاهراً وباطناً فكان قوله «لا تقرب» ظاهراً وكان أمره «بكل» باطناً (فيقال) ان أريد بكونه قال كل باطناً أنه أمره بذلك في الباطن أمر تشريع أو دين فهذا كذب وكفر. وان كان أراد أنه خلق ذلك وقدره وكونه فهذا قدر مشترك بين آدم وبين سائر المخلوقات فانما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. فكل ما كان من المكونات فهو داخل في هذا الامر. وأكل آدم من الشجرة وغير ذلك من الحوادث داخل تحت هذا كدخول آدم فنفس أكل آدم هو الداخل تحت هذا الامر كما دخل آدم. وقول القائل: انه قال لا آدم في الباطن كل مثل قوله انه قال للكافر اكفر وللفاسق افسق، والله لا يأمر بالفحشاء، ولا يحب الفجاءة، ولا يرضى لعباده الكفر ولا يوجد منه خطاب باطن ولا ظاهر للكفار والفساق والعصاة بفعل الكفر والفسوق والعصيان، وان كان ذلك واقعاً بمشيئته وقدرته وخلقه وأمره الكوني - فالامر الكوني ليس هو أمراً للعبد أن يفعل ذلك الامر بل هو أمر تكوين لذلك الفعل في العبد أو أمر تكوين لكون العبد على ذلك الحال فهو سبحانه هو الذي خلق الانسان هلوفاً * اذا مسه الشر جزوعاً * واذا مسه الخير منوعاً * وهو الذي جعل المسلمين مسلمين كما قال الخليل: (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) فهو سبحانه جعل العباد على

الاحوال التي خلقهم عليها وأمره لهم بذلك أمر تكوين بمعنى أنه قال لهم :
كونوا كذلك فيكونون كذلك. كما لو قال للجماة كن فيكون فأمر التكوين
لا فرق فيه بين الجماد والحيوان وهو لا يفتقر الى علم المأمور ولا ارادته ولا
قدرته لكن العبد قد يعلم ما جرى به القدر في أحواله كما يعلم ما جرى به
القدر في أحوال غيره، وليس في ذلك علم منه بأذن الله أمره في الباطن بخلاف
ما أمره به في الظاهر، بل أمره بالطاعة باطنا وظاهراً، ونهاه عن المعصية
باطناً وظاهراً، وقدر ما يكون فيه من طاعة ومعصية باطناً وظاهراً، وخلق
العبد وجميع أعماله باطناً وظاهراً، وكون ذلك بقوله « كن باطناً وظاهراً »
وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر بل القدر يؤتمن به ولا
يُحتجج به ، والمحتجج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض ، فان القدر ان
كان حجة وعذراً لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتص منه
وحيث أن هذا المحتجج بالقدر يلزمه اذا ظلم في نفسه وماله وعرضه وحرمة
أن لا ينتصر من الظالم ولا يغضب عليه ولا يذمه. وهذا أمر ممتنع في
الطبيعة لا يمكن أحداً أن يفعله فهو ممتنع طبعاً محرم شرعاً .

ولو كان القدر حجة وعذراً لم يكن إبليس ملوماً معاقباً ولا فرعون
وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار ولا كان جهاد الكفار جائزاً
ولا إقامة الحدود جائزاً لا قطع السارق ولا جلد الزاني ولا رجس ولا قتل
القاتل ولا عقوبة معتد بوجه من الوجوه . ولما كان الاحتجاج بالقدر باطلاً
في فطر الخلق وعقولهم لم تذهب اليه أمة من الأمم . ولا هو مذهب
أحد من العقلاء الذين يتردون قولهم فانه لا يستقيم عليه مصلحة أحد

لا في دنياه ولا آخرته ولا يمكن اثبات أن يتعاشرا ساعة واحدة ان لم يكن أحدهما ملتزما مع الآخر نوعا من الشرع، فالشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده لكن الشرائع تتنوع فتارة تكون منزلة من عند الله كما جاءت به الرسل وتارة لا تكون كذلك، ثم المنزلة تارة تبدل وتغير كما غير أهل الكتاب شرائعهم. وتارة لا تغير ولا تبدل، وتارة يدخل النسخ في بعضها وتارة لا يدخل. اما القدر فانه لا يحتاج به أحد إلا عند اتباع هواه فاذا فعل فعلا بمجرد هواه وذوقه ووجدته من غير أن يكون له علم بحسن الفعل ومصلحته استند الى القدر كما قال المشركون (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون * قل والله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) فبين أنهم ليس عندهم علم بما كانوا عليه من الدين وانما يتبعون الظن، والقوم لم يكونوا ممن يسوغ لكل أحد الاحتجاج بالقدر فانه لو خرب أحد الكعبة أو شتم ابراهيم الخليل أو طعن في دينهم لعادوه وآذوه كيف وقد عادوا النبي صلى الله عليه وسلم على ما جاء به من الدين وما فعله هو أيضا من المقدور؟ فلو كان الاحتجاج بالقدر حجة لكان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فان كان كل ما يحدث في الوجود فهو مقدر، فالحق والمبطل يشتركان في الاحتجاج بالقدر ان كان الاحتجاج به صحيحا ولكن كانوا يعتمدون على ما يعتقدونه من جنس دينهم وهم في ذلك يتبعون الظن ليس لهم به علم بل هم يخترصون (لها بقية)

المقالات الجالية

الشرق والشرقيون

(٢)

﴿ الشعبية الثانية من المقصد ﴾

في الشواهد التاريخية ، على اضاءة الممالك الشرقية

تأمل فيما أقص عليك من اعمال الشرقيين من قبل حتى تعلم انهم هم الذين
يحيدانهم عن سنة العقل قد اوقعوا انفسهم في الذل الدائم، وجلبوا بعدم تدبرهم
في عواقب امورهم الخراب والدمار الى بلادهم، واضعفوا بسوء سياستهم سلطنتهم
القوية، ومكنوا اعداءهم من بلادهم جهلا منهم بنتائج اعمالهم . وهاهو ذا :
ان العثمانيين قد اتفقوا مع الروس على مقاسمة البلاد الايرانية حينما تغلب
الافغانيون على اصفهان أيام (شاه سلطان حسين) ولو نظروا بمنظار التدبر الى
الامة الروسية وما لها من العلاقات مع اليونانيين والرومانيين والسربيين والبلغاريين
وغيرهم من رعايا السلطنة العثمانية وما يمكنها أن تحوزه في مستقبل امرها من
القوة والبسطة لما اختلفت ببالهم مخالفتها، ولا خطرت في اذهانهم مؤامرتها، بل
كانوا يسهون في قلم اسها قبل استحكامه ، وقطع شجرتها قبل أن تشيع عروقها
وانهم جاهدوا الايرانيين بالحرب من طريق بايزيد اذ كان عباس مرزا بجيوشه
يقاومون الروسية ويدافعونها عن بلادهم، فوهنت قوتهم، وضعفت مريتهم،
واستملك الروس بسبب هذا الاقتحام أكثر بلاد آذربيجان، ولو استشار العثمانيون
عقولهم وقتئذ لشارت عليهم بأن ضعف الايرانيين وقوة الروس هما معا آلة
تزعزع اركان السلطنة التركية، ولكنهم انبعوا خطرات انفسهم، وزينت لهم
اوهامهم، وظنوا انهم يحسنون صنعا، فاسرعوا في هلاك انفسهم وهم لا يشعرون،

(١) خاس يخيس خيسا كذب - وخاس بالمهد خيسا وخيسا نا غدر ونكث

(المنازل . ج ٨) (٧٥) (المجلد الخامس والعشرون)

٥٩٤ مساعدة الترك والفرس والافغان الاجانب على انفسهم المذارج ٢٥٨

وكان عليهم اهتمام بنور العقل، وسلوكا في مسالك السياسة الحقة (١) أن يلاحظوا الجامعة القوية، التي بينهم وبين السلطنة الايرانية، فيتفقوا معها على كبح شره الروسية واضعاف قوتها، امنا من غوائلها، وحذرا من آفات مطامعها

وانهم أي العثمانيين جبهوا سفير (تيبوسلطان) سلطان (ميسور) بالرد حين عرض عليهم من طرف سيده استبدال البصرة ببعض البلاد الهندية (٢) التي كانت في حوزته، وامتنعوا من هذا الطلب وردوا السفير خائبا. وكان غرض (تيبوسلطان) من طلبه هذا أن يكسر سورة الانجليز ببسط السلطنة العثمانية في الهند وتمكينها من ذهل العثمانيون تعاوننا منهم عن العلاقات التامة التي بينهم وبين الهنديين وان سلطنتهم لو امتدت الى تلك الممالك لدخل جميع حكمائها بلامارضة تحت لواتهم وقدروا حينئذ على قمع الحكومة الانجليزية عن تطاولاتها في الهند، وسدوا عليها طرق فتوحاتها في المشرق، وما شعروا تساملا في السياسة وتغافلا عن منهج العقل أن بسطة الحكومة الانجليزية في آسيا توجب تحكمها في بلادهم وطردوا في الاستيلاء عليها كما وقع الآن حتى مكنوا عساكرها مدة طويلة من شق الاراضي المصرية ذاهبة الى اقاصي المشرق للتغلب عليها .

وان شاه ايران (فتح علي شاه) ارضاء الانجليز هدد الافغانيين بالحرب وقما ارادوا أن يزحفوا على الهند لانتزاعها من أيدي الانجليز ولو استنار الايرانيون وقتئذ بنور عقولهم لاكتشف لهم أن قوة الانجليز بالهند اذلال لهم وخطر على بلادهم، ولعلموا أنهم والافغانيين غصنا شجرة الايران (٣) وقد تشعبوا من أصل واحد ونشؤا في

(١) الصواب أن يقال الحق لأنه مصدر يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والجمع على سواء (٢) الصواب أن يقال : استبدال بعض البلاد الهندية بالبصرة أي ياخذوها بدلا من البصرة التي قاتلوا أهلها للاستيلاء عليها وأعانهم بعض العرب على بعض ، فان الباء تقرر بالمبدل منه (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل) الخ «٣» كان السيد رحمه الله على سعة مادته في اللغة العربية يعرف بعض الأعلام بلامسوخ فيقول الايران الاوربة ويظهر ذلك في قلمه أحيانا لكثير من الاعاجم

أرض واحدة، تجمعهم وحدة الجنسية، وتؤلفهم الاخوة الحقيقية، وأنهم متساهلون في العز والشرف، ومتشاركون في لذل والهون، وما فرقت كلمتهم إلا أروهام واسية نشأت عن الظنون الدينية وليست منها في شيء. ولو راجع كل عقله لرأى وجوب اتفاقهم تحت الوحدة استرجاعا لمجدهم السابق، وتداركا لما فاتهم بسبب الشقاق من الشرف والفخار وعلو الكلمة بين الأمم.

وإن الأمير (دوست محمد خان) أمير الافغان قد جعل بلاده تعاميا منه عرضة للهجمات الانجليزية فانه بعد المحالة مع (رنجيت سينكت) (١) ومعاهدته على مقارمة الانجليز قد تركه اغترارا بالمواعيد الانجليزية في ميدان الحرب وحيدا وتقر به مساره فان هزمته جيوش (رنجيت) وتغلب الانجليز على جميع أراضي البنجاب المتاخمة لافغان، ولو استمدى الأمير (دوست محمد خان) إذ ذاك عقله وسلوكه في سياسته سلوك بصير يتدبر نتائج أفعاله قبل أن يتسرع فيها لتحقيق لديه أن صيانة بلاده من هجمات الانجليز إنما يكون ببقاء الحكومة البنجابية حريزة حتى تكون سدا مانعا بين افغانستان وبين الحكومة الانجليزية فكان يدافع عنها كما كان يدافع عن حكومته وإن نواب البنجاله ونواب (الكرناتكر) قد مهدوا للانجليز سبل دخولهم في الاراضي الهندية. وإن نواب (لكهنو) أيد مقاصدهم في إذلال السلطة التيمورية وإن نواب دكن قد أعانهم على إبادة حكومة (تيبو سلطان) وإذلال راجة (بروده) وقهر الذين قاموا سنة ١٨٥٧ لانتقاذ بلادهم ودفع شر المتغلبين عليهم من الانجليز (٢) وكل هؤلاء جهلاء منهم بمنافعهم وعمي عن نتائج أفعالهم المضرة مكثروا الحكومة الانجليزية ثقة بمواعيدها من الاراضي الهندية، وجعلوا على أعناقهم نير العبودية، وما عقلوا أن قوام كل بالآخر، وأن بقاءه قد يبط ببقائه، وأن كلا للآخر بمنزلة العضو من الجسد فاذا تمكن الداء من عضو سرى في الجميع ولزم منه انحلال البدن كله، والآن ترى الحكومة الانجليزية بعد استعبادهم وسلب أموالهم

«١» ضبط تارة رنجيت بفتح فكسر فسكون واخرى رنجيت بالنون والجيم، وضبط سنكت بكسر السين المهملة وسكون النون «٢» يعني الذين قاموا بالثورة الهندية الكبرى المشهورة

٥٩٦ ضياع استقلال بخاري وقوقند والتركمان ومصر المنار: ج ٨ م ٢٥

ونزع أيديهم عن الملك - تعارضهم، في ديانتهم وتزاحمهم في تجارتهم، وتعاقبهم على نياتهم وتعاقبهم على أعمال آبائهم (١)

وإن أهل بخاري فرحوا بتساط الروسية على قوقند - والتركمان تبجحوا بغلبتها على بخاري - والافغان والفرس قد مروا من استيلائها على التركمان - وكل هذا غفلة منهم عن المضار التي تنشأ عن قوة الروسية وبسطة سلطتها في تلك الاراضي، وقد أقام جهاهم بمصالح انفسهم وإغضاؤهم عن الاستنارة بنور عقولهم في التهلكة، واشرفوا كلهم بغرورهم على الزوال والاضمحلال .

وإن مدحت باشا واعوانه لو نظروا بصيرتهم الى اركان سلطنتهم المتداعية الى السقوط، وشعروا بهداية عقولهم ان دعائم حكومتهم كادت ان تنهد بما ألم بها من المصائب، وعلموا بتدبرهم ان البلايا تترصد لهم من جوانبهم، لما تقهوا وغرور وضلالة في خلع عبد الميز وقلته وقما ترقب الاعداء سقطاتهم، وتغتتم هفواتهم، ولكنهم اعتمدوا على واهي آرائهم، واغترارا بدسائس الحكومة الانجليزية قد جلبوا الهلاك والاضمحلال على امتهم ويظنون انهم هم المصلحون

وإن اسماعيل باشا حبا بالاستقلال وعنى عن نتائج افعاله السيئة التي نشأت عن حرصه على اسم الملك قد أقم الافرنج جميع اموال مصر وما استدانه من صرافى الاوربا (?) بالارباح الباهظة، ثم سعى الافرنج في خلعهم عن الملك ونفيه عن الديار المصرية ارادة استملاكها ووضع اليد عليها - ولو تروى في حالة الشرقيين وتأمل فيما اصابهم من الذل والصغار لاجل تفرق كلمتهم لازداد خضوعا لسلطانهم وسعى صيانة لنفسه في تشييد مباني سلطته ونزع من قلبه حب الاستقلال، وعلم ان الذين لا يفترون عن السعي في فتح الممالك لا يمكن ان يساعده في مقاصده وإن وزراء توفيق باشا جهلا بمقدار انفسهم، وعجبا بآرائهم الفاسدة واتباعا

« ١ » وأعجب من ذلك أنهم بعد اتساع دائرة العلم والعرفان فيهم وسعى عقلاهم الى التعاون بين المختلفين في الملل والنحل منهم لرفع نير العبودية عن أعناق الجميع تمكن الانكيز بعد نجاح اولئك الزعماء من التفريق بينهم وإضرار نيران التعصب والشفاق الديني فيهم !! فالى متى الى متى ؟

لا وهامهم الباطلة فدجلوا الانجليز بغاية جهدهم الى القطر المصري وملكواهم اياه،
وهم يظنون انهم يستظهرون بهم على اعداء الخديوي، فلو تدبروا في سياسة الحكومة
الانجليزية وراوا اطماعها في ارض مصر لما جلبوا هذه المصيبة على انفسهم وعلى
خديويهم وعلى سلطانهم ولما ألقوا انفسهم في فم الاسد خوفا من وعوذة الكلب

*
* *

فقد ظهر من كل ما ذكرته من سير الشرقيين قدحا في معاملاتهم انهم
ما سلكوا في سياستهم سبيل الرشد والهدى ، وما استفادوا من عقولهم شيئا ،
ولا تدبروا في عواقب افعالهم ونتائج اعمالهم، ولا نظروا بنور البصيرة في حالهم
وماكلهم، بل تاهوا جهلا منهم بمناقضهم في بيداء الغواية، وحادوا عني عن غاية
مسيرهم في تيه الضلالة، حتى خربوا بأيديهم ديارهم، وابدوا بسوء تصرفهم بلادهم،
ومكثوا الاجانب بمساعدتهم الفاسدة من رقابهم . وكان الواجب على احفادهم
الذين احترقوا بنارهم، وتدنسوا بعارهم، ان يعتبروا بالمصائب التي جلبتها عليهم
غفلات اسلافهم، وان يتقوا البليات التي قادت بها الغباوة الى آبائهم، وان يسعوا في
جمع الكلمة، وان ينحدروا عن الشنات والتفرقة وضواء، يجتنبوا اراض الشخصية،
ويعرضوا عن دواعي الخطوات الوهمية، ويتنحوا عن مضال الاستبداد والاستئثار،
ولكن تراهم اسباب عقولهم يقتنفون آثارهم، ويتبعون اغلاطهم، معرضين عن العقل
وإرشاده، جاحدين للحق وآياته، ارتفعت عنهم الامانة، وفشت بينهم الخيانة،
وانقطعت بينهم عرى الوداد، وانحلت عقدة الجنسية، كل ينظر الى نفسه، ويسعى
لمنفعة شخصه، جهلا منه ان سعادته منبثة في جميع آحاد الامة ولا يمكنه ان يفوز
بها الا بسعادة الكل، ولذلك قد صاروا فقراء لا يملكون شيئا، حائرين في معاشهم،
ضالين عن رشدهم في مبدئهم ومعادهم، وكاد ان يقضى عليهم بذل ابدى وموت
دائم ، بتلاشي جنسيتهم ، وتأثر جمعيتهم .

وعم كل هذا ما فاتهم اوان التدارك، ولا ضاق عليهم زمان التلافي، ولا
أوسدت عليهم الابواب، ولا انقطعت دونهم الاسباب، ولكن قد تمكن منهم القنوط

غلب عليهم اليأس، وفترت همهم، وضعفت عزائمهم، واستكت آذانهم عن استماع النصائح، وعميت ابصارهم عن رؤية الحق، وقست قلوبهم عن الاذعان له، فتراهم يتدادوا في غيهم يريقون دماء هداتهم ويتبعون آراء غوتهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله اه

*

(المنار) ان أمة وجد فيها مثل هذا الحكيم الاجتماعي السياسي، وانتشرت في بلادها أمثال هذه الحقائق الرائعة، والنذر الصادقة، لجديرة بان تقيين الرشد من الغي، وتميز بين الحق والباطل، ونزيل بين الضار والنافع، فتجمع كلمتها، وتستعيد سيادتها، ولكن الفساد الذي أطال الحكيم في وصفه بهذه المقالة قد تجاوز الحد الذي تعقل فيه النذر، وتؤثر النصائح، فقد ازدادت الشعوب الشرقية الاسلامية التي وجه اليها الخطاب تماديا وتدبرا، حتى سقطت الدولة العثمانية بجهالة رجالها وفساد عقائدهم وأخلاقيهم، ولكن لم يفعل احد في القديم ولا في الحديث شرا مما فعله أمير مكة الشريف حسين وأولاده فقد تجاوز جهلهم وفساد عقولهم وأنفسهم كل حد بأن احدثوا ثورة عربية لمساعدة الدولة البريطانية وأحلافها على اسقاط الدولة العثمانية واستعباد الشعوب العربية باغراء هذه الدولة التي بين انا السيد الحكيم بعض أفعالها في تل عروش الدول الشرقية، وأساليبها في الطرق الاستعمارية، وخداعها للملوك والامراء بالوعد الكاذبة، والعهود الفارغة، مالا يدع مجالاً لثقة أبلد البلدان بها، وقد استولى الانكليز وأحلافهم من الفرنسيين على سائر البلاد العربية العامرة، ذات الغلات الوفرة، من حدود مصر الى خليج فارس، ولا يزال هؤلاء الخونة المتحلون بلقب الشرقاء يوطدون ساطة الاحتلال في تراث سلطنتي العرب الكبريين - سورية والعراق - ويمكنونها من الاحاطة بالمجاز ونجد، حتى لا يبقى الامة العربية ملجأ مستقل في هذه الارض

وأغرب من هذا وأعجب أنه لا يزال هؤلاء الافراد حسين بن علي وأولاده أنصار وأولياء في فلسطين وسورية والعراق بعضهم من الخونة المأجورين، وبعضهم من الاغرار المأفونين، وسيسجل عليهم التاريخ اللعنة الى يوم الدين

﴿ التشريع الاسلامي ومؤتمر الخلافة ﴾ - - *

(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة * ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)

الاسلام هداية روحية غايتها سعادة الدنيا والآخرة، وبدايتها ترقية العقل بالمعتقدات الصحيحة السليمة من نزغات الشرك وأوهام الخرافات ، وتزكية النفس بالعبادات المشروعة التي تعرج بها الى مناجاة الرب تبارك وتعالى كفاحا بدون واسطة وزراء ولا حجاب وبالأداب العالية ومكارم الاخلاق ، التي تنهأ بها المعيشة الشخصية والمنزلية وترتقي شؤون الحضارة والاجتماع ، حتي تعم الاخوة جميع طبقات البشر من جميع الشعوب والاجناس ، وهو مع ذلك نظام مدني سياسي يساوي بالعدل ، بين جميع الافراد وجميع الطبقات من جميع الملل والنحل ، ويقرن الاحسان بالعدل ، حتى في ذبح الحيوان للاكل ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وقد أبطل السيطرة الشخصية التي كانت الملوك على الاجساد ، والمهيمنة الروحانية التي كانت للكهان على العقول والارواح ، وجعل السلطان في الحقوق بأنواعها للشريعة العادلة المستمدة من الوحي ، أو المستنبطة باجتهاد جماعة أولي الامر ، وتشاور أهل الحل والعقد ، وقيد طاعة الائمة والامراء بالمروءة ، وأرشد بالورع الشخصي الى استفتاء القلب ، وتحكيم الضمير فيما يشتهه من الامر

فالاسلام هو دين الحرية الكاملة برفعه ما كان من استرقاق الملوك والرؤساء للبشر في أمور دينهم ودنيائهم ، والسيطرة عليهم في تصرفاتهم البدنية ، وأفكارهم العقلية ، وعباداتهم الاعتقادية ، وإبطاله تمييز بعض الشعوب وبعض الطبقات

من الشعب الواحد على البعض الآخر، وبتسويته بين الملوك والامراء، والاغنياء والفقراء، والرؤساء الدينين والدنيويين، - في جميع الحقوق الشرعية المتعلقة بالدماء والاموال والاعراض، بحيث يقتص من القوي للضعيف، ومن الكبير للصغير، - كما أمر الخليفة الثاني الفاتح الاعظم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الرجل الفزاري من ضعفاء السوق بأن يلطم جبلة بن الايهم ملك غسان بما اطمه، الا أن يرضيه فيعفو عنه، وكما عزّر عمرو بن العاص فاتح مصر بضرب ولده لغلّام قبطي. وأمر بأن يضربه القبطي كما ضربه، وقال في ذلك كلمته الحكيمه التي يفاخر المسلمون بها جميع أهل الملل، ويفاخر العرب بها جميع الشعوب والامم، وهي: « يا عمرو منذكم تمبذتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا »

هذا ما قاله أمير المؤمنين انثائه فاتح مصر وعامله عليها

وليس ما ذكرته من المثل عن عمر الا تنفيذاً لتشريع القرآن المجيد الذي جعل العدل عاماً، والقيام بالقسط أمراً واجباً، لا يحابي فيه قريب على بعيد، ولا ولي على بغيض، ولا غني على فقير، كما هو منصوص في الآية ١٣٤ من سورة النساء والآية التاسعة من سورة المائدة، بالصيغ العامة المطلقة التي يدخل فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر: وثم آيات خاصة بغير المسلمين كقوله تعالى في قضية لليهود (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين)

وأبلغ من هذا ما ورد في قضية بين مشلم ويهودي كان المسلم فيها مذنباً واليهودي بريثاً فنورد أخصر ما قيل فيها من تفسير (الجلالين) لسورة النساء قال الجلال: وسرق طعمة من أريق درعا وخباها عند يهودي فرماه طعمة بها وحلف أنه ما سرقها فسأل قومه النبي (ص) أن يجادل عنه ويبرئه فنزل (إذا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً) واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً * يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون

محيطاً * ها أنتم هؤلاء جاداتم عندهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً) هذا في تهديد قوم طعمة السارق المتهم لليهودي اذ كذبوا على النبي (ص) حتى صدقهم وعم بالجرال عن صاحبهم لولا وحي الله تعالى له ببيان الحقيقة. ثم قال الله تعالى لرسوله: (ولولا فضل الله عليك ورحمته لم كنت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضروك من شيء) ، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم. وكان فضل الله عليك عظيماً)

بعد هذا التهديد أقول : ان أصول التشريع الاسلامي هي أرقى تشريع لم يسبق بمثله ، أفليس من أكبر البلاء وأعظم الخطوب في الاسلام أن تجهل بعض الحكومات الاسلامية هذه المزايا فيه بل تعيبه بأنه عثرة في طريق الحضارة والقوة ، وتبيح لنفسها أن تذبذبه ظهرياً بتدريج بطيء أو سريع ، وتستبدل به تشريعاً دونه في نفسه ، ودونه في موافقته لصالح الامة التي كان له أعظم التأثير في تكوينها ، ودونه تأثيراً فيما ترجو من تجديد حضارتها ، ودونه فيما يجب أن تتوخاه من حسن الاتصال بالامم المرتقية في علومها ونظمها ، بله الاتصال والمودة مع الشعوب التي تدين الله تعالى بأصول هذه الشريعة وفروعها ؟

أليست الامم وليدة التاريخ وريثته ؟ أليس التشريع من مقوماتها التي تفصل بينها وبين غيرها كالفصول الطبيعية التي تفصل في عرف علماء المنطق بين أنواع الجنس الواحد كالحيوان والنبات ؟

كثير بحث دعاة التجديد في الشعوب الاسلامية في هذه المسألة وكثير القاء التبعة فيها على علماء الشرع ورميهم بالجحود

وربما يدور البحث في مؤتمر الخلافة هذا في مسألة المذاهب أو الآراء في التشريع وهي ثلاثة : رأي الملاحدة الذين يرون أن التزام الشريعة الاسلامية تدينا مانع من تأليف دولة قوية في أمة ذات حضارة راقية — ورأي الذين يرون وجوب التزام تقليد أحد المذاهب المتبعة كما هو مدون في الكتب المتداولة

مهما يكن تأثيره في الامة والدولة ، وانه لا يجوز استعداد شيء من العلم والفنون والاعمال الا اذا دلت على جوازه — ورأي الحزب الوسط الجامع بين معرفة أحكام الشرع وحكمه وأسراره وبين شؤون العصر ، وقد فاز حزب مصطفى كمال باشا من أهل الرأي الاول في الحكومة التركية الجديدة بعد تمهيد طويل سبقه اليه الاتحاديون وغيرهم من ملاحدة الترك ، واشتد النزاع بين الحكومتين الايرانية والافغانية وبين أصحاب الرأي الثاني فيهما المعارضين لكل اصلاح مدني جديد لم يهد من قبل ، حتي اضطرت الحكومة الافغانية الى قمع ثورات المعارضة منهم باقتال ، وذكرت البرقيات والجرائد أن مثيري الناس على الامير هم العلماء ، ولا غرو فن سنن الله في الامم أن المتشدين في المحافظة على القديم المألوف ينكرون كل محدث وان كان معروفا ، ويسكتون على القديم وان كان منكرا ، وضدهم الغلاة في طلب التجديد فهم يجذرون كل جديد وان كان قبيحا ، ويقبحون كل قديم وان كان حسنا

والحق والصواب أن في كل من القديم والجديد من المنافع والمضار ما يحكم فيه بحسب وصفه ، لا بحسب جدته وقدمه ، والجديرون بصحة الحكم في ذلك هم الذين عالجوا الامرين من اهل العلم والبصيرة والاعتدال في الرأي ، وبطل أن يوجد في علماء الافغان الدينيين أمثال هؤلاء الذين يعرفون اضطراب حكومتهم الى الاخذ بالنظام المصرية التي بها حفظ بلادهم . ويعلمون أنه لا بد لهم من توسيع ثروة بلادهم بالطرق الزراعية الجديدة ، ومن الاخذ بأسباب الصناعات الحديثة — وان كل ذلك يتوقف على العلوم الكونية التي يعرف بها ما أودعه الله في الماء والهواء والكهرباء وغيرها من الخواص والمنافع والفنون ، التي يتوقف عليها صنع الآلات التي تستخرج بها تلك المنافع . ولو عرفوا هذا كله لعرفوا أن هذه العلوم والفنون والصناعات التي أدخلتها حكومة أميرهم في بلادهم هي من فروض الكفاية شرعا

وأما فقهاء الترك ومصر وتونس وأمثالهم فيعلمون هذا علما قطعيلا ان المشاهدة

أثبتت لهم أنه من الضروريات ولكن هنالك أموراً أخرى شعرت حكوماتهم بالحاجة إليها قبلهم، ولا تزال خفية على أكثرهم، وهي ما يتعلق بالتشريع، فقد تجددت للناس أفضية كثيرة بما حدث من النظام المالي والمعاملات المدنية كالشركات والمصارف المالية والمعاملات الأجنبية والمعاهدات الدولية من سياسية وتجارية وغيرها. اشتدت حاجة هذه الحكومات الى وضع أحكام لهذه الامور حتى وصلت الى حد الضرورة، فلما لم تجدها عند فقهاءها لم تجد بداً من اقتباسها من بعض الحكومات الاوربية واستتبع الضروري منها ما ليس بضروري، حتى تحول التشريع عن القواعد والاصول الاسلامية.

وغرضنا من بيان هذا أنه قد يكون من مندبي الشعوب الاسلامية في هذا المؤتمر من يرى أن يكون الخليفة الذي يختارونه حاكماً بالشرع المدون في كتب الفقه كهندوبي جزيرة العرب وأمثالهم، وقد يكون منهم من يرى أن يكون مدنياً تجاري في حكومته أرقى حكومات العصر في العلوم والفنون والحضارة والقوة كهندوبي الهند وشمال أفريقيا، ولا سبيل للجمع بين الامرين، وجعل نظام الخلافة متفقاً عليه من الفريقين، الا باظهار الشرع الاسلامي بقسميه التنزلي والاجتهادي في أسلوب من البيان، يعلم به موافقته لحال هذا الزمان في كل مكان.

ولا يوجد قطر اسلامي أجدر بهذا العمل من القطر المصري، فانه عمل لا يتم الا بالتعاون بين الراسخين في العلوم الشرعية ومذاهب المجتهدين فيها وبين المطلعين على قوانين أمم الحضارة ونظمها وعلومها وفنونها. فحصر أهل القيام بهذا الامر العظيم وحدها، فكيف اذا وفد عليها من علماء سائر الاقطار وزعمائها من يكونون أفضل الا عوان لها؟ ألم تر أن كبار علماء الشرع فيهم الذين اضطاعوا بالدعوة الى مؤتمر الخلافة ونولوا الدعوة اليه، ورأوا أن يشاركهم في ادارة العمل بعض علماء القوانين العامة والطب والسياسة وغيرهم؟ وما كان أحد ينتظر هذا من الصنف الذي كانت تاتي على عاتقه تبعة نيل الشريعة، وقد كان علماء الترك أجدر منهم بالسبق الى هذا الامر بما كان لهم من النفوذ

الرسمي في دائرة المشيخة الاسلامية مع النفوذ الروحي في الامة ، وهم سياج الدولة التي كانت تمثل الخلافة .

فيا لها من فرصة سنحت الاله الاسلاميه ما سمحت بمثلها المصور الحالية ، فحيا الله مصر وعلماء مصر وجميع رجال الاصلاح في مصر ، فقد كانوا بهذا العمل أمة وسطا بين أهل التفريط والافراط في أم المصالح الاسلاميه كما كان بلدهم وسطا بين الاقطار الاسلاميه ، وسيقرب هذا المؤتمر بين المخلصين من الواقفين على الطرفين فيجذبهم الى الوسط ، ويزيل شبهات علماء الافغان وأمثالهم على ما يظنون من التعارض بين الشرع والفنون التي يتوقف عليها نظام القوة وثروة الامة وتعزز الدولة ، كما أنها ستدحض شبهات الذين يظنون أن الشرع الاسلامي يحول دون ارتقاء الامم الى أرقى مدارج القوة والعزة وأوج الحضارة ، ففي أي مكان يرجي مثل هذا كما يرجي في مصر ؟ أي الاستانة التي ألغت حكومتها الخلافة وتبرأت من اسمها ومسميها ؟ أم في مكة المكرمة وهي في اضطراب حزبي بين حكومتين ولم يكن في أهلها منذ قرون من يصلح لما ذكرنا في هذا المقال من أعمال المؤتمر وهو بعض وظائفه التي ستبين في هذه المجلة ما

الوهايون والحجاز

— ٣ —

بيننا في المقالة الثانية جل الاسباب العامة لانتقاد الحجاز من السيد حسين المكي المستبد فيه التي يمدحها السلطان عبد العزيز بن سعود موجبة شرعا للقيام بهذا العمل لمن قدر عليه مثله ، وإذا كنا نكتب أمثال هذه الملاحظات في فترات قصيرة فنخلصها من شواغلنا الكثيرة اخلاسا نسبنا أن نذكر في تلك الاسباب عجز المتغلب على الحجاز عن حفظ الامن بين الحرمين الشريفين ونكثه للمهود التي عاهد أعرابها عليها حين دعاهم الى الثورة والخروج على الدولة العثمانية وهو أن

يعطيهم في كل سنة ضعف ما كان مرتباً لهم من الاموال التي كانت ترسلها الدولة الى الحجاز لاعانة أهله فكان يعطيهم في سني الثورة ثم منعهم بعدها كما منع أكثر المستحقين للاعانات التي ترسل من مصر - فاضطروا الى منع الناس من زيارة حرم الرسول صلى الله عليه وسلم الا من يؤدي لهم ما فرضوه بدلا مما كانوا يأخذونه كما فصلناه في المنار

الاسباب الخاصة بنجد لزحف أهلها على الحجاز

ونبين الآن ما تذكره من الاسباب الخاصة بالنجديين وهي ترجع الى غرض واحد هو ازالة استقلال سلطنة نجد وجعلها تابعة لما يسميه الممالك العربية الهاشمية ، والاسباب التي تذكرها حجج ناهضة تدل على ذلك وهي :

(١) اننا عقب انكسار الدولة العثمانية في الحرب البلقانية وضعنا مع بعض أهل الفيرة العربية والاسلامية خطة لوقاية بلاد العرب من استيلاء الاجانب عليها ومنها جمع كلمة أمراء العرب ووضم اتحاد حلفي بينهم لازالة العدوان والتعاون على حفظ البلاد العربية وصيانتها من تمدي الاجانب ، والفصل في المنازعات الداخلية بين أولئك الامراء ومن دونهم من القبائل بالتحكيم . . .

وقد تولى كاتب هذه المقالات تبليغ أمراء اليمن ونجد وعسير ذلك فجاه منهم مكتوبات بالاستحسان وطلب التفصيل وطرق التنفيذ . . . وعهد الى الشريف عبد الله أن يبايع ذلك والده حسينا اذا كان يرجح قبوله له . ولما وقعت الحرب الكبرى ودخلت الدولة العثمانية في حلفي دول أوروبا الكبرى وشرعت الدولة البريطانية تخادع جميع أمراء العرب وزعمائهم لتستخدمهم وتستعين بهم على الدولة ثم على أنفسهم لتكافئهم على ذلك بسبب استقلالهم - اشتدت الحاجة الى تحالفهم واتفاقهم على صيانة البلاد العربية والاحتياط لحفظ استقلالها اذا قهرت الدولة العثمانية و انكسرت مع أحلافها ، ولما انخدع أمير مكة هذا للرقية البريطانية بسوء سريره وجهله بشؤون السياسة صارت الحاجة الى ذلك أشد ، وقد أخبرني والده

السيد عبد الله أنه ذكر له اقتراحي ولكن وقعت الحرب عقب ذلك فشغلهم الثورة عن إعادة القول فيه ، أخبرني بهذا في مكة المكرمة بعد أماننا مناسك الحج ورغب الي أن أكرم والده فيه فكلمته وذكرت له شيئا من خداع السياسة وكون الاستفادة منها منوطة بالقوة . . . ولما صرحت له بالمسألة اعتذر عنها بأنه اذا خاطب جيرانه بذلك يظنون أنه عاجز عن مقاومة الترك ويريد مساعدتهم وان الرأي أن يرجى ذلك الى أن يستولي على المدينة ويخرج الترك من الحجاز كله ، فقلت له : لا نكلفكم مخاطبة أحد منهم بل نحن نتولى ذلك ونرجو النجاح فيه وانما نرجو أن نكون على بينة من رأيه فيه وثقة من رضاه وقبوله للاشتراك فيه اذا أقنعنا سائر الامراء . . . فلم يقبل حتى أنني قلت له : إنني أضمن لكم قبول صاحب نجد واذا احتيج الى ذهابي اليه بنفسي فاني أفعل ، فلم يقبل ، ثم قال أمام بعض بطانته أو حاشيته : من هؤلاء الكلاب حتى أتفق معهم ؟ اليوم يوجد في الدنيا رجل يقال له ابن سعود وغداً لا يوجد في الدنيا ابن سعود . . .

(٢) ان أول عمل عمله بعد الاستيلاء على المدينة المنورة عقب خروج الترك منها بعد هدنة الحرب — وقد عجز عن أخذها منهم بالقوة — أنه جمع كل ما كان يقاتل به الترك هنالك من الجند النظامي والبدوي مجهزاً بأحدث الأسلحة ولا سيما المدافع والرشاشات وقنابل اليد ووجههم بقيادة ولده السيد عبد الله الى الشرق لاسترداد الخزعة وتربة فالزحف على نجد ، وكانت تلك أعظم قوة حربية اجتمعت لهم في الحجاز يدير حركتها مائة ضابط عربي جلهم من ضباط العراق البارعين ، ولما وصلوا الى الخزعة باغتوا أهلها وهم في صلاة الفجر ففتكوا بهم وهم يصلون شرفكة . . . فاستنجد الشريف خالد عامل الخزعة الاخوان (الوهايين) فزحفوا على ذلك الجيش المنظم ، فكانوا قضاء الله المبرم ، اصطلموا الجيش وغنموا سلاحه وكراعاه وذخيرته وقتلوا أكثر من ثمانين ضابطاً هم خيار ضباطه ، وفر الشريف عبد الله منهزماً بزي الاخوان مقلداً لهم في كلامه

(٣) ان السيد حسين لم يقترح على الانكليز في « مقررات النهضة »

أن يؤسسوا المملكة العربية ويتولوا حمايتها وصيانتها « من الداخل والخارج »
 الا لما في قلبه من العداوة لابن سعود والخوف منه ، وهو هو الذي يعنيه بقوله
 في مادة الحماية الذي ذكرناه في المقالة الثانية « أو حسد بعض الامراء » فابن
 سعود أولى الناس بثل هذا العرش المبني على جعل الحرمين تحت حماية غير
 المسلمين خوفاً منه ، وها نحن أولاء نقرأ في جميع الصحف ما جاء في البرقيات
 من (لندن) من استغاثة الشيخ حسين هذا بالدولة البريطانية ومطالبتها بانقاذ
 الحجاز من الوهابية ، قالانكليز يتصلون من الاعتراف أمام العالم الاسلامي
 بحمايتهم للحجاز لا يعلمون من كراهة المسلمين لذلك وعده اعتداء عليهم في دينهم
 وهو لا يستحي من الجهر بمطالبتهم بذلك ومكافأتهم عايه بتوقيع « المعاهدة البريطانية
 العربية » على علاقتها ، وان كره أصدقاؤه من أهل فلسطين تضمينها لاعترافه
 بالانتداب البريطاني ووطن اليهود القومي في بلادهم ، وكره جميع المسلمين ما جعل
 الانكليز فيها من المقوق في الحجاز وفي معاملة الحجاج ، ومتى كان يبالي بالمسلمين أو
 غير المسلمين اذا رضي عنه الانكليز ؟ ولكن من مصلحتهم الآن أن لا يرضوا
 عنه ولا ينصروه وهم أعرق الناس في بناء سياستهم على المصالح لا كما يصنفهم
 بأنهم يعملون بمقتضى « الحسيات » بالمعنى الذي يفهمه هو

(٤) ان هذا الرجل قد شرع منذ سعى (نفسه) ملك العرب وصاحب الممالك
 العربية وبايعه مستضعفو مكة وجدة في الجهر بالملك وفي السر بالخلافة الاسلامية
 (كما قالوا أخيراً عند تجديد البيعة) — شرع يطعن في دين الوهابية وعقائدهم
 ويرميهم بالكفر وتكفير المسلمين تمهيداً لقتالهم وأخذ بلادهم ولم يكتف في ذلك
 بما نشره في جريدته (القبلة) بلسانها بل صرح بذلك مراراً في مقالاته ومنشوراته
 الرسمية كالمشور الرسمي الذي نشره في العدد ٢٠٢ المؤرخ في ٢٤ شوال سنة
 ١٣٣٦ والمشور الرسمي الذي أصدره في غرة ربيع الاول سنة ١٣٣٧ والمشور
 الرسمي الذي نشره في عدد ٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٧

وقد صرح في المنشور الثاني بعزمه على محو بدعة الوهابية « خدمة للدين وتنزيها له مما في هذا الزيغ والضلال وسلامة البلاد من سيئاته » وذكر في الثالث أنه معهم في موقف دفاع ثم قال « فنحن نحرر منشورنا هذا علاوة على ما سبق ليعلم القاصي والداني أنه متى تحقق لدينا عدم نجاح خطة الدفاع أمام مبادئهم فلا بد للسلطان من قتالهم بكل موجوديته »

وهذان النصان الرسميان انذار بأنه يرى وجوب قتالهم لاجل دينهم واکرامهم على ترك عقائدهم وما يدينون الله به وانه هو سلطان المسلمين ويفعل هذا اصاله ونيابة عنهم ، فاذا كان صرح بهذا والدولة العربية التي اقترح على العظمة البريطانية تأسيسها له وهم من الاوهام ، والخلافة التي رضبها له ملك الانكليز حلم من الاحلام ، فماذا عسى أن يفعل بهؤلاء النجديين اذا اسنقر ملك اولاده في العراق والشام ، ورضي الانكليز بأن يؤلف بهم الوحدة العربية ، وقد سبق فادعى انفسه الخلافة الاسلامية؟ اللهم الطف بعبادك وارحمهم برحمتك ، وانقذ من هذا الطاغوت أهل حرمك ، ولا تسلطه على أحد من خلقك » كتبت هذه المقالة قبل وصول خبر خلعهم ولكن تأخر نشرها » *

قلنا في مقال سابق أن رميه الوهابيين بالمروق من الدين ، واستحلال دماء المسلمين ، قد اتبع فيه سلفه الطالح عند ظهور أمرهم في فجر القرن الثالث عشر للهجرة ، ونذكر هنا ما فاتنا هناك من شهادته التاريخ على ذلك ، لائحاد العلة والمعلوم في فساد الاول والاخر ، ولانها من الشواهد على ما قيل من « أن التاريخ يعيد نفسه » :

قال المرحوم محمود فهمي باشا المهندس المصري في الجزء الاول من تاريخه (البحر الزاخر) في سياق الكلام على الوهابية :

(* المنار : نشرت هذه المقالة في الاهرام في ٨ ربيع الأول وكانت أخبار الحجاز قد جاءتنا بانه استقال أو خلع حزم تآلف من كبراء أهل جدة ومن هاجر اليها من مكة ونصب ولي عهده عليا ملكا دستوريا للحجاز وحده ، ثم تبين ان ذلك كان خداعا كما سنبينه بعد

المنار: ج ٢٥ م ٧٢ كلمة مؤرخ مصري في سبب المداوة بين نجد والحجاز ٦٠٩

« ومن بعد مدة استمرت في محاربات شديدة، ووقائع عتيدة، دخل جميع بلاد العرب في العقائد الوهابية، أي العقائد الإصلاحية للديانة الإسلامية، وصارت نجد أيضا في حالة سياسية مدنية جديدة، وبدل أن كانت جهاتها منقسمة إلى عدة عشائر وشعوب صغيرة منفصلة عن بعضها (١) ومستقرة في حروب وكروب بين بعضها (٢) صارت مملكة قوية، وسلطنة سياسية، مثال سلطنة الخلفاء القدماء ورئيس هذه الدولة الساطة في الأعمال المدنية والدينية

و «مع ما كان عليه الوهابيون من الحروب والمبارزات في بلاد العرب لم يعتدوا على حقوق الحكومتين المجاورتين لهم وهما حكومة بغداد والحجاز، وكانت قوافل الحجاج تمر من وسط أراضيهم من غير أن يحصل لأي قافلة ضرر أو انزعاج، وكانوا في أحوال أخوية ودية مع الشريف سرور شريف مكة. وفي سنة ١٧٨١ بعد الميلاد استحصلوا على رخصة منه في أداء حجهم وطوافهم بالكعبة، فتولد من زيادة قوتهم نفوذ شوكتهم اشتعال نار الحسد في قلب الشريف غالب، وفي ظرف بضع سنين من تقلده الحكومة وتوطينه شريف مكة (٣) بعد الشريف سرور أعلن حربا على الوهابية وكانت طرائق هذا الحرب مثل طرائق حرب البدو متقطعا بهدانات قصيرة المدة ولما انتظمت مخابرات الشريف غالب مع الدولة التركية العثمانية لم يهمل أدنى طريقة يمكنه اجراؤها في تمكين الدولة العثمانية من دخول عساكرها في بلاد العرب لأجل الوقوع بالوهابيين (٤) الا وأجراها وأثبت (٥) أنهم من الملحدين الكافرين وأن معاملتهم مع قوافل الحجاج التركية من أفجح الأعمال الفاسدة المفسدة بالدين اه. المراد منه هنا بحروقه على ما فيه من غلط لغوي (راجع ص ١٧٣ و ١٧٤ منه)

ثم قد أعقب هذا الاقتراء والافساد أن أمرت الدولة العثمانية حكومة بغداد بقتال الوهابيين ففعلت فلما اشتغل الوهابيون بقتال الدولة ودخلوا العراق زحف

١ «الصواب: منفصل بعضها عن بعض» ٢ «الصواب فيما بينها» أي توليته إمارة الحجاز
٤ «يقال وقع بالعدو وأوقع به أي فتك به في القتال وواقع، قاتله» (٥) أي ألد وجزم كاذبا

(المنار: ج ٨) (٧٧) (المجلد الخامس والعشرون)

٦١٠ أشهر وقائم تعددي الحجاز على النجديين المنار : ج ٨ م ٥

الشریف غالب علی نجد واستولى علی قرية فیها فکان هذا هو السبب لرحف الوهابیین علی الحجاز وفتحہ . والآن یرید خلفہ حسین أن یهیب علیہم العالم الاسلامی کلہ والعالم الاورپی أيضاً بما یرسلہ من البرقیات الی یلفقہا بأسماء مجهولة لحجاج رعایا الدول الاوربیة، أو معروفة کاجنة مؤتمر الجزيرة الی ألفها بمكة للفساد والافساد فی البلاد العربیة ، فهو الذی کتب تلك البرقیات وهو الذی أرسلها الی البلاد والاقطار والصحف وکلاء الدول وجمعية الامم (*) من غیر أن یکلف أحد منها قرشا من أجورها ، ومن غرائب غفلات البشر أن وجد منهم من یصدق ما قیل فیها من اتهام الوهابیین بارتکاب الفظائع الی لا یتبیحون شیئا منها ، وحسبهم أنها شهادة ممن عرف بالکذب علی عدوه وأقرب ما اشتهر من کذبه فی جریدته (القبلة) ومن کذبه فی منشوراته الرسمیة ادعاء مبايعة العالم الاسلامی له بالخلافة حتی مدن مصر المشهورة

(٥) شن الغارات علیهم وبدؤہ بقتالهم عند کل فرصة سنحت له ، واکبر هذه الغارات زحف ولدء عبد الله بأ کبر قوة اجتمعت له بعد اخلاء الترك للمدینة المنورة عقب هدنة الحرب العامة وهي الی ذکرناها فی السبب الرابع آنفا وأوسطها زحفه علی منطقة عسیر فی إثر وفاة السید محمد علی الادریسی الذی کان قد نخلی عنها اسلطان نجد، وفی إثر تنکیل الوهابیة بحملته هنالك وقعت حادثة حجاج الیمین الذین اعتقد الوهابیون أنهم نجدة منه فأطلقوا علیهم الرصاص ، وبعد ان عرف الامر اعتذر السلطان عبد العزیز للامام یحیی عن هذا الخطأ واتفقا علی

(*) لما فتح الوهابیون الطائف أرسل الملك حسین برقیة طويلة من مكة باسم بعض أهلها وألوف الحجاج من رعایا الأجانب فیها الی قناصل الدول بجدة والی جمعية الامم بسويسرة وعواصم أوربة وجرائدها وأشهر مدن الشرق والغرب وجرائدها یزعم فیها أن الوهابیین اقترفوا أعظم الفظائع والمنکرات .. ثم ظهر کذب البرقیة من وجوه متعددة وان الذین سبقوا الی احتلال الطائف كانوا من عرب الحجاز التابعین لنجد لا من النجديین وان النجديین لما وصلوا الی الطائف انتظمت الامور فیها کانها لم تصل بنار حرب

حفظ المودة بينهما بتعويض مقبول معقول ، واكن حسينا كان قد أمطر العالم كله بركات في التشجيع على الوهابيين

وآخر هذه الغارات حملة ولي عهد حسين الامير علي على الوهابيين بالقرب من خيبر وقد مهد لذلك بخدعة هو بارع بأمثالها

ذلك بأن أعلن عقب زيارته لشرق الاردن في أواخر العام الماضي بأنه قد عفا عن المسجونين والمعتدين وأباح المرور والدخول في المدينة المنورة وسائر الممالك الهاشمية الا أنه لا حرج على النجديين في التجارة في بلاد الحجاز ، ولما تبعه نجله ولي عهده السيد علي أمير المدينة المنورة (١) والى شرق الاردن أمره بتأليف حملة لغزو عرب ابن سعود المحييين بالقرب من خيبر اذ يكونون وادعين هناك ، مغترين بذلك الناميين العام والعفو الشامل ، فألفها من ستائة هجان وأربعمائة فارس بقيادة الشريف جعفر بن سلطان ففتكت بالاخوان المتفرقين في الاطراف وشلبت أموالهم ومواشيهم وهمت بالرجوع ولكن نبأها كان وصل الى الاخوان الذين في جهة خيبر فأتبعوها وفتكوا بها فتكة لم يسلم منها الا أفراد من قارة الهزيمة واسترجعوا جميع ما أخذت ، ووصل قائد الحملة الشريف جعفر الى المدينة المنورة مضربا بدمه فكان من سوء تأثير هذه الحملة ان زالت بقية الثقة بأقوال « ملك جميع البلاد العربية » على ما أضيف اليه من لقب « الخلافة الاسلامية » وانقطعت سبل التجارة بين نجد والمدينة المنورة كما انقطعت مع مكة قبلها وكان ذلك سببا لشدة غلاء اللحم والسمن في الحجاز كله

على أن الامير عليا أذاع في جرائد سورية وفلسطين وغيرها وجريدتهم قبله الكذب أن بعض الوهابيين حارلوا الاعتداء على سكة الحديد الحجازية فأدبتهم الجنود الهاشمية ، أو ما هذا معناه . هذا ملخص ما كتبه اليينا بعض رجالهم بل ضباطهم (٦) بحث حسين الدسائس واغراة للعداوة والفتن بين نجد والبلاد المجاورة

« ١ » وهو الذي وردت البرقيات قبل نشر هذه المقالة بنصيبه ملكا على الحجاز وهو أعجز من والده عن ارادته وحفظ الامن فيه

لها منذ اعتقد أن الحجاز صار ملكا له وأنه سيكون في خاتمة الحرب ملكا على جميع البلاد العربية بما كان يكتبه الى ابن الرشيد وآل عايش وغيرهم ، وهذا أمر قد أذاعته حكومة نجد في البلاغ الذي نشره الأمير فيصل بنجل سلطان نجد في جرائده مصر وغيرها المؤرخ في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٢ وقد جاء فيه ما نصه :

«ان تحت يدنا من الكتب والرسائل التي وجدت في تربة والخزنة وعسير ما يفيد أن ملك الحجاز وولده عبد الله لا يسمعون الا لشهواتهم ومصالحهم ولو أدى ذلك الى هدم بناء العرب ولكننا نملك عن نشرها الآن فان سمح لنا ملك الحجاز بنشرها نشرناها وهناك يعلم العالم الاسلامي والعربي تلك الجنايات والفسائس» الخ (٧) ما ذكر في هذا البلاغ النجدي الرسمي من بث حسين الفسائس في بريدة من بلاد نجد واغرائها بالخروج على حكومتها

(٨) انه كان سببا في فشل مؤتمر الكويت اذ اشترط في الاتفاق مع ابن سعود تركه لبعض بلاده كما هو مشهور*)

فعلم من هذه الاسباب أنها تفصيل لخطة حسين فيما سماه الوحدة العربية التي ذكرنا نص عبارته الرسمية فيها في المقالة السابقة وهي واضحة في أنه لا يقر له قرار حتى يزيل سلطنة نجد من الوجود ويجعل بلادها تابعة له . وهذا كاف في عرف كل دولة وكل حكومة في العالم لمقابته بالمثل ، ولكن السلطان ابن سعود لم يحفل بما بعد اوة شريف مكة لعلمه بضعفه وعجزه، أن ينال منه مثالا وقد صرح تصريحاً رسمياً بأنه إنما ينقذ الحجاز من ظلمه وبغيه لاجل المصلحتين الاسلاميه والعربية اللتين فصلنا أسبابهما في المقالة السابقة . وسنبين في المقال التالي وجه الوجوب الشرعي لهذا الانقاذ ممن سعى نفسه (المنقذ) ونبين أن هذا خدمة جليلة للمصلحتين بالدليل والبرهان

(*) نواط ملك الحجاز حسين هو وابناه فيصل ملك العراق وعبدالله أمير شرق الاردن على ان يشترطا في اتفاقهما مع سلطان نجد على الحدود وغيرها الاتفاق على حدود الحجاز ومطالبه ، وصرحوا بان منها ترك سلطان نجد لبلاد حائل وللاجوف وسكاكه من بلاده المتصلة بسورية وللخزنة وتربة من جهة الحجاز ولعسير - ولذلك فشل مؤتمر الصلح

الوهابيون والحجاز

٤

بيننا في المقالة الثانية الاسباب العامة التي توجب انقاذ الحجاز من طاغوت مكة حسين بن علي من قدر عليه من المسلمين كأهل نجد ، وفي المقالة الثالثة الاسباب الخاصة بأهل نجد أنفسهم ، ونسبنا أن نعد منها منهم من التجارة في الحجاز بل جاء بالعرض وهو الذي كان من أسباب شدة غلاء السمن واللحم في مكة كما بيناه في المنار من قبل ، وقلنا ان هذه الاسباب الخمسة كافية في البعث على القنال عند كل أمة ودولة ، ولكن سلطان نجد لا يبالي بعداوة حسين له لبلاده ، ولا بمظاهرة أصحاب الالقاب الفخمة له من أولاده ، الذين لم يستع كل واحد منهم باظهار الاحتقار له بمثل قولهم ليس ابن سعود الا شيخ عشيرة أو قبيلة — وإنما هو يرجع الواجب الشرعي والمصلحة العامة الاسلامية والعربية على المصلحة النجدية الخاصة ، ونحن نؤيد قولنا بالوثائق الرسمية حقيقة أو حكما كما أيدينا كل موضوع مما بيناه في المقالات الثلاث

نشرنا في المنار ثلاث وثائق صدرت من الرياض عاصمة آل سعود فيما بين الحجاز ونجد من الخلاف سبقنا الى نشرها كثير من جرائد مصر وغيرها من البلاد الشرقية ولا سيما العربية

(الاولى) : بلاغ بامضاء الامير فيصل بنجل السلطان عبد العزيز آل سعود عنوانه « الحقيقة والتاريخ » وجهه الى أشهر الصحف في العالم الاسلامي في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٢ يتضمن سعي سلطان نجد في أثناء الحرب وبعدها لبناء الوحدة العربية ومقابلة الملك حسين له بالاستهزاء وسعيه لانتقض بنيانها بما كان يسعره من نار الفتن والنسائس » الخ وقد حدثنا من سمع من لسان السلطان عبد العزيز آل سعود أن فيما كتبه الى ملك الحجاز أن يكون هو (أي الملك حسين) رئيس الوحدة العربية المقترحة . . . فهزي به ولم يرد عليه ، وفي هذا البلاغ انذار

لملك حسين بنشر المکتوبات التي وجدت بأرضائه في تربه وعسير والنصيم في الحث على الافساد والفتن اذا هو ماري فيها

(الوثيقة الثانية) : بلاغ آخر منه « للعالم الاسلامي والشعب العربي » صدر من الرياض في ٢٨ شوال سنة ١٣٤٢ افتتحه بأنه منذ بضع سنين قام نفر من العرب يطالبون باستقلال شعبيهم واتحاد أمرائه فخدمت حكومة نجد سعيهم (قال) « وعرضنا عليهم مساعدتنا على أن نضع حدا لمطامع الاجانب ومقدار مداخلهم في بلاد العرب فأبوا إلا أن ينفردوا بهذا العمل الخطير ويأخذوا على عاتقهم مسئولية ويحوزوا وحدهم فخر تحرير بلاد العرب — فقلنا أنجح الله استقلال العرب أيا كان المحرر والمنقذ . ولكن ما كاد السيف يوضع في غمده حتى رأينا الاستقلال والتحرير وصاية وانتدابا ، وحتى رأينا شباب العرب وأحرارهم يتقادون الى السجون ويجلون عن بلادهم ، ويمنعون من الإقامة في ديارهم ، فهل الاستقلال أن يصبح العرب غرباء في بلادهم ، ومرافق الحياة في يد غيرهم ؟ ولو لا أن الحجاز يمس شعور المسلمين احتلاله لرأينا الانتداب قد ضرب عليه »

ثم ذكر مناوأة هؤلاء الجناة على البلاد العربية لنجد جارتهم لاهيا « قوية مستقلة لم تنفذ اليها مطامع المستعمرين » ثم قال « ان نجد تمدد يدها لكل من يريد خير العرب ويسعى لاستقلال العرب ، وتساعد كل من ينهض لتحرير العرب واتحاد العرب »

« ان نجد ترحب بكل عربي أبي ، وتعد أرضها وطنا لكل عربي سوري أو عراقي أو حجازي أو مصري ، ان نجد لا تطعم في املاك أرض خارجة عن حدودها الطبيعية . ولكنها لا تقبل الا أن تستقل بلاد العرب كلها استقلالا صحيحا لا يكون لغير ابنائها سلطان عليها »

ثم ذكر مسألة الخلافة فيغي أن تكون وظيفته روحية للتبرك وأثبت أنها حق لجميع المسلمين ليس لجماعة أو شعب حق البت فيها وأنهم لذلك أنكروا على حسين بن علي « عجلته والخط من شأنها بقبوله هذا المنصب الذي لا يليق له ..

(وقال) ان أهل نجد يوافقون اخوانهم أهل مصر والهند في وجوب عرض هذه المسألة على مؤتمر يمثل الشعوب الاسلامية تمثيلاً صحيحاً ،
فهذه تصريحات قطعية في رأي حكومة نجد في استقلال البلاد العربية استقلالاً صحيحاً مطلقاً من قيود الوصاية والانتداب التي جناها عليها بيت حسين الحجازي ولا يزالون يخدمون حلفاءهم في تمكينها جهاراً ، ونصوص لا تحتمل التأويل بأن أئمة نجد وحكامها يمدون جميع الشعوب الاسلامية اخواناً لهم خلافاً لما يفتريه عليهم حسين بن علي وأجراؤه من عدم اعتراف النجديين لاحد بالاسلام غير الوهابيين

(الوثيقة الثالثة) ما صرح به السلطان عبد العزيز آل سعود نفسه في مؤتمر الشورى الذي عقد في الرياض عاصمة نجد في أول شهر ذي القعدة الماضي سنة ١٣٤٢ فقد اجتمع هنالك كبار علماء البلاد وزعمائها ورؤساء الاجناد وقوادها في قصر الامام عبد الرحمن الفيصل والد السلطان الذي حضر مجلسهم وكانوا قد كتبوا الى والده الجليل برغبتهم في أداء ركن الاسلام — الحج ، والاستعداد لغزو ملك الحجاز وصد عدوانه ، فأخبرهم أنه أرسل مكتوباتهم الى والده (السلطان) في أوقاتها وقال لهم اسألوه عنها

فتكلم عنهم سلطان بن محجاد بن حميد زعيم برقان عتيبة وأمير هجرة غطفان قال :
« أيها الامام ! اننا نريد الحج لا محالة ولا نستطيع ان نصبر على ترك ركن من اركان الاسلام مع قدرتنا عليه ، ان مكة ليست ملكاً لاحد ، ولا يحق لاحد أن يمنع مسلماً أو يصد مؤمناً عن أداء فريضة الحج . اننا نريد أن نحج فان منعنا شريف مكة دخاناً مكة بالقوة ، وان لم يصدنا عن سبيل الله أو يلحق بنا أذى فنحن نحج ولا شأن لنا به . واذا كنتم ترون من المصلحة تأخير فريضة الحج فلا بد من غزو الحجاز وتخليص البيت من سيطرة طاغية مكة الذي أهرق العباد وضرب من المكوس والرسوم على قاصدي بيت الله الحرام ما تبرأ منه الشريعة الطاهرة »

فأجاب السلطان بإحالة الحكم في مسألة الحج على العلماء فقرروا وجوب أدائه بالرضا أو القوة إلا أن يكون في ذلك مفسدة راجحة وسألوه عن ذلك فشرح لهم ما كان من سعيه للسلام والامان في الجزيرة والعيش مع شرقاء مكة بالمحبة والمودة وما كان من سعي الشريف حسين لا لقاء القن بين النجديين الى أن قال مانصه: «السلطان عبد العزيز: أيها العلماء والاخوان لقد سمعيت من مدة طويلة في بسط السلام والامان داخل الجزيرة فنحن لا نود أن نحارب من يسألنا ، ولا نمتنع عن مصافاة من يضافينا . لقد أحببت أن نعيش مع أشرف الحجاز كما يعيش الجيران على المودة والمحبة ولكن الشريف مكة كما تعلمون يسعى دائما لبث الدسائس وإلقاء بذور الخلاف بين عشائرننا ، ولكنه كان دائما ييؤ بالخسران ، والله لا يترك الحق يصرعه الباطل . ان الشريف مكة قد ورث من أسلافه بغضكم فهو لا يفتأ يطمئن في طريقةكم السوي وسيرتكم الحميدة ، ولا يألوا جهداً في الاقتراء علينا والطمع على علمائنا ولكن أهل الحق لا يضرهم من نأوهم ، ولينصروهم الله ما نصرنا دينه ، وظاهروا شريعته

» ان الشريف مكة لم يكفه ادعاؤه الزعامة على العرب مع أنه أضعفهم بل قام يلقب نفسه بإمارة المؤمنين مع أنه يعلم أن الاقطار الاسلامية كلها تبغضه ، وان علماءكم قد أرسلوا التلغرافات الى مصر والهند ينكرون عليه هذه الدعوى التي لا نراه كفوا لها ، ولا بد لنا من وضع حد لا كاذبيه وافساداته

» وأما الحج هذه السنة فلا أراه من مصلحتكم . أنا لا أقبل أن تهبطوا بكم شيء من الضعف أو يلحق بكم نوع من الاذى والضرر ، وإني على يقين أن أخذ مكة والمدينة لا يحتاج الى اكبر مجهود ولكن مكة ليست لنا وحدنا بل هي للمسلمين كافة ، وما دمننا لم نضع خطة بالاشتراك مع المسلمين فأنا لا أجهز لكم الاستيلاء على احدى المدن المقدسة

» ان الشريف مكة قد لا يمنعكم من الدخول الى مكة ولكن الرجل لا يعدم وسائل الشرف فقد يدس من يتحرش بكم لتحدث فتنة في مكة في موسم الحج وفيه

المسلمون من كل جنس وإني أكاد أجزم أن هذه خير فرصة له ليهييج علينا العالم الإسلامي الذي أخذ يفهمنا ويقرب منا ونقترب منه ، واعلموا أن الأمر لا يطول فاصبروا إن الله مع الصابرين »

عندئذ قال العلماء بصوت واحد : أنه لا حرج عليكم من تأخير الفريضة هذا العام ، ما دام أن أدائها قد يؤدي إلى فتنة في بلد الله الحرام اهـ

فهذا نص قطعي رسمي من سلطان نجد في مجلس الشورى العام لبلاده في الحامل له على انقاذ الحجاز من هذه الحكومة الطاغوتية القيصرية ، المسماة بالعربية الهاشمية ، لأن احتمال التأويل ، ولا الدعاية السياسية التي لا تعرف في تلك البلاد ولو في غير ذلك المجلس الرسمي ، ولقد صبر سلطان نجد صبراً لم يمهله نظير من قوي يعتدى عليه جميع أنواع الأعداء الدينية والدنيوية من ضعف عاجز يصول ويغني سرا وجهراً حتى يتجراً على مطالبة هذا القوي في مؤتمر الكويت بأن يترك لأمره جل مملكته — أعني إقليم الأحساء الذي استرده سلطان نجد من الدولة العثمانية — وأمانة آل الرشيد الذين ناصبوا بلاده العداء حتى انتزعوها من والده بمساعدة الدولة ثم أدال الله له منه — وأمانة عسير التي استولى عليها بالاتفاق الذي عقد بينه وبين المرحوم السيد الإدريسي - وتربة والخزعة المختلف عليهما بين حدود الحجاز ونجد ، ورضي ابن سعود باستفتاء أهلها

ملخص ما تقدم : أن سلطان نجد قد علم هو وأمتة بعد التروي واستفتاء العلماء أن انقاذ الحرمين الشريفين من حسين بن علي واجب شرعاً ولو لم يكن لذلك من موجب إلا منع أهل نجد من الحج لكفى فكيف إذا أضيف إلى ذلك سائر ما أشرنا إليه فيما أجملناه في الأهرام وفصلناه في المنار من الحادء بالظلم لأهل الحرمين والحجاج ، وإدخاله للنفوذ الأجنبي في البلاد ، وخطره على الأمة العربية وما بقي لها من البقعة الصغيرة المستقلة في جزيرتها ، وتكفيره للترك والمصريين كالتجديدين ثم تنحله منصب الخلافة

وفي تصريح السلطان عبدالعزيز نص قطعي باعترافه هو وعلماء بلاده بإسلام جميع

الشعوب الاسلامية والرغبة في المعارف والتواد معها وبأن هؤلاء الامراء الحجازيين ورثوا عن سلفهم تكفير النجديين والطعن فيهم والتنفير منهم وقد استفتينا واستفتي غيرنا في شأن هذا الباغي (الملك حسين) في سنة ١٣٤١ فأتى بعض علماء الازهر بأنه من البغاة المتغلبين الذين يجب قتالهم على امام المسلمين. وكتبنا نحن فتوى مطولة نشرناها في المنار الذي صدر في ذي الحجة من تلك السنة (ج ٨ ص ٢٤ ص ٥٩٣ - ٦١٦) ونشرناها في جريدة الاهرام أيضا أجمعنا فيها صفاته وجنباياته التي يقتضي بعضها الردة الا أن يوجد ما يدفعها من شبهة ، وأقلها البقي والالحاد بالظلم في الحرم - الى آخر ما لخصناه في هذه المقالات ولكننا استدركنا على من جعل حكمه حكم البغاة متسائلين : أين امام المسلمين الاعظم الذي يجب عليه قتاله ؟

ثم بينا أن انقاذ الحرمين من بغيه وظلمه يجب على كل من يقدر عليه من جماعات المسلمين وأمرائهم وان أقدرهم على ذلك سلطان نجد وامام اليمن وذكرنا ما يقال في المانع المشترك لهما من ذلك وهو الخوف أن يفضي الى تدخل الانكليز في الحجاز لانه جعله تحت حمايتهم - وقد ثبت هذا بدعوته هو وخلفه المخذول لهم واستنجادهما إياهم لارسال طياراتهم وغيرها لقتال سلطان نجد وإرجاعه عن الحجاز - وذكرنا أنه لا يرجي من امام اليمن أن ينقذ الحجاز - وما كان يقول أكثر الناس في مثل مصر وسورية من سبب امتناع ابن سعود عن الاستيلاء على الحجاز وهو اصطناع الانكليز له بالمال وتخويفهم إياه من تأليب الحجاز والعراق وعرب فلسطين عليه اذا هو خالف رأيهم في ذلك ، وقولهم انهم هم الذين صرفوه عن أخذ مكة بعد سحقه لاعظم قوة ساقها عليه الحجاز بقيادة الامير عبد الله في تربة - ومن المعلوم أن سبب هذه الآراء دعاية الحجازيين وأقوال جرائد المأجورة

ثم ذكرنا أقوال النجديين في سبب ذلك وهي ترجع الى سببين (أحدهما) كراهة السلطان عبد العزيز آل سعود لسفك الدماء وحبه للسلم وانه لذلك أخضع

آل الرشيد بالحصار الطويل في أشد أيام العسرة والغلاء (وثانيهما) تخرجه وتأثمه من دخول مكة فأنحوا وقد صبح في الحديث أن القتال فيها لا يحل لاحد حتي قال بعض العلماء ان أفراد الجنة الذين يثبت شرعا وجوب قصاصهم يجب أن يقتلوا خارج الحرم

ثم ذكرنا أقوال الاثمة وكبار العلماء في مسألة القتل والقتال في الحرم وان الشريف حسينا لم يبال بحرمة الحرم فقاتل الترك فيه ولا يزال يقتل كل من يزين له هواء قتله ويسمي فعله حدا شرعيا ، وان المخرج من ذلك سهل وهو كما قال بعض العلماء أن نحصر شقة الحرم وهي محدودة حتي يضطر المعتصم فيه الى التسليم — وقد فعل ذلك الوهاية عند الاستيلاء على الحجاز في فجر القرن الثالث عشر للهجرة فحصروا الشريف غالبا وأعوانه وقطعوا عنهم ماء عين زبيدة حتي اضطروا الى التسليم ، ودخل الوهايون مكة محرمين

وبذلك عللنا تأخرهم عن فتح مكة في هذه المرة على اختلاف أهواء الكتاب وآرائهم في تمليله، وإرجاف أجراء الوكالة العربية الهاشمية الملكية الامامية الخليفة (١) بمصر في هذه الفرصة تارة بأهم عادوا أدراجهم مخذواين ، وتارة بانتظارهم للإشارات المطاعة أن ترد عليهم من لذان كانتظار الملك الخليفة حسين أولا وانتظار الملك علي النيابي الدستوري المدني ثانيا ١١١

وإذا لمعجب أن صدق هذه الفرية بعض المصريين المعارفين بالشؤون العامة ، وسيعلمون أن الانكليز يمدون نجاح الوهاية أكبر الاخطار على مطامعهم في العرب والاسلام

كذلك سوغت لهم هذه الفرصة تكبير أمر هذا القتال بايهام الناس أنه من أعظم الحروب تسيل فيه الدماء أنهاراً في المعارك التي تشيب لهاولها الولدان ، وتغشيل الوهاية للناس في صور السباع الضارية والوحوش المفترسة: تبقّر البطون، وتندق الصدور، وتمزق الاشلاء، وتلغ في الدماء، وما حجتهم على ذلك الا البرقية

٦٢٠ خروج حسين من الحجاز واستئجار ولده للانكليز المنار: ج ٨ م ٢٥

التي طيرها مسيلة الزمان حسين الى جميع بقاع الارض بامضاء بل أسما مجهولة من سكان مكة وحجاجها وأنفق الالوف عليها ، والحق الواقع أنه لم يكن ثم إلا مناوشات ضئيلة مرتين أو ثلاثا ولولا بعض البمانيين وغيرهم في جيش الحجاز لما وقع شيء من ذلك يذكر لان أهل الحجاز مجمعون على مقت الطاغوت المرهق، الذي سعى نفسه المنقذ، وما زالوا يدعون الله باتقاذهم منه حتى استجاب لهم

وقد بنى على هذه الارجيف الخاطئة الكاذبة الدعوة الى استعراخ أمم الشرق والغرب من جميع المال والنحل الى التعاون والسعي لا تقاذ البشر من هذه الكارثة التي تصغر دون وقائعها معركة (فردون) وغيرها من معارك حرب المدنية العظمى ، وانما الغرض من ذلك ابقاء حكم الطاغوت الاكبر في حرم الله تعالى يرهق أهله ومن يرد اليه من الحجاج ظلما ويعيت الالوف منهم ظلما الخ وقد انخدع بهذه الارجيف مجلس الامور الشرعية المحلية بفلسطين المسمى بالمجلس الاسلامي الاعلى فطير الهرقيات الى ملوك المسلمين وجمعياتهم الدينية وغيرها يستعمرهم للتعاون على ايقاف هذه الحرب حقنا للدماء . . . وكذلك جمعية الرابطة الشرقية التي رددت صدى هذا المجلس في جلسة لم تبلغني دعوتها الا بعد اجتماعها . ولا شك في حسن نية المجلس والجمعية ، ولو صدقت اراجيف الحجاز لكنت على رأي اخواني فيهما فأنا وكيل هذه الجمعية وأعضاء المجلس كلهم محترمون عندي ورئيسهم من خواص أصدقائي ومن أقرب الناس الى رأيي قد طالت هذه المقالة وكنا نريد ختم هذه المقالات بها ولكن علمنا بعد كتابتها وقبل نشرها أن الله تعالى قد قضى على الطاغوت الاكبر مثار الشقاق والنفاق حسين بن علي وأنقذ الحجاز منه فخرج من جدة مذؤما مدحورا، ولو بقي فيه ولو بعد عزله لما أمنت شره ، وسينقذه قريبا من ولده وولي عهده وخليفته الملك علي المهزوم المدحور ، الذي لم يكذب بسمى ملكا للحجاز بعد انهزامه من الطائف أولا ومن الهدى ثانيا ومن كرى ثالثا حتى أبقى الى وكيل والده ناجي الاميل بأن يعضي المعاهدة البريطانية الحجازية المتضمنة لقرار الانسحاب على السيادة على

البلاد المقدسة وتمليك رقبته لليهود الصهيونيين واعطاء البريطانيين من الحقوق في الحجاز ما قامت قيامة العالم الاسلامي على والده من أجله
وان لنا كلمة ختامية فيما يجب على المسلمين للحجاز وأخرى في السياسة
البريطانية مع العرب في هذا الطور الجديد (للمقالات بقية)

باب الانتقاد على المنار

(المنار بين الروافض والنواصب)

ذكرت رصيفتنا مجلة العرفان الشيعية الغراء أن في جزائر جاره نواصب تنهزم وتؤيدهم مجلة المنار — أو ما هذا معناه
لا أجد سعة في الوقت أبحث فيها عن الجزء الذي ذكر فيه هذا المعنى ولا
حاجة الى نقله بحروفه وكنت نسيت فذكرني به ما كتب الي أخيراً من تلك البلاد من
الانتقاد والعتاب على ما نشرت في المنار من الشراء على امام اليمن وتعظيم شأن اليمنيين
في مباحث الخلافة مما عدّ دعاية له وتأييداً لدعاة النزعة الشيعية في تلك الجزائر
وتقوية لضعفها — حتى قال بعضهم اننا نلومكم على التعصب لنسبكم ولا يعنيننا من
امام اليمن كونه زيدا أو غير زيدي وانما نبغي مصلحة المسلمين والعرب وأهل
الجزر ليسوا أهلاً للقيام بها

اننا لا أذكر الآن هذا ولا ذاك الرد عليه فان الجدال والمراء في المذاهب ونصر
بعض الاحزاب والشيعة الدينية — وكذا السياسية — على بعض لم يأت في يوم من
الايام باقناع بل أتى بشرور كثيرة أفسدت على أهلها ولا سيما المسلمين منهم دينهم ودنياهم
اذ خرجوا بها عن وحدة الدين العامة وصدق على مشيري فتنة التفريق واتباعهم قوله
تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم
في شيء) الآية — فظلموا بتمادون ويشاق بعضهم بعضاً لاجل منافع بعض الزعماء

الذين يطالبون الملاك أو الجاه بهذه الوسيلة - ولما ضمنت العصبية الدينية والمذهبية بالتبع لأهلها في بعض البلاد انتقلوا منها إلى العصبية الجنسية والوطنية فخاروا بها الدين نفسه ، وقد كان هذا غرضاً مقصوداً بالذات لبعض اليهود ومجوس الفرس الذين أحدثوا بدعة التشيع والأحزاب العدائية في الإسلام والذي يساري بين الأجناس والأوطان والطبقات والأفراد في جميع الأحكام وجعل التفاضل بالعلوم الزافمة والأعمال الصالحة ، لأصلاح الإنسانية العامة وإيجاد التآخي البشري ، ورفع مرتبة البشر عن عبادة بعضهم لبعض بنصوص القرآن المحكمة - فنحن نحارب هذا التفرق والعداء ، وندعو إلى الوحدة والاتفاق ، والشواهد على هذا في جميع مجلدات المنار كثيرة لا يمكن لأحد أن يماري فيها مراراً ظاهراً ، وأما مسألة دعوة التشيع في جزائر جاوه فهناك نبأها وخططنا فيها :

كنا ذكراً في أجزاء من مجلدات المنار السابقة أنه حدث في تلك الجزائر الشرقية الجنوبية دعوة تشيع بين الحضارمة وغيرهم من العرب أحدثت شقاقاً جديداً ولم ندر غرض الدعاة منها فقد كان جميع مسلمي تلك البلاد من عرب وعجم يجولون السادة العلويين ويوقرونهم ، - والفريقان ينسبان إلى مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه - فصار لهم بها خصوم ينكرون عليهم - لأنواصب يفضون عليها كرم الله وجهه - وقد جاءتني رسائل كثيرة من الفريقين بعضها مخطوط وبعضها مطبوع يطلبون مني نشرها في المنار ، وأسئلة يستفتوني بها فيما شجر بينهم ، فكنت أعمل بعضها ، وأقف موقف المصلح فيما أنشر منها ، وما أكاتب به أهلها ، وأجبت أن أرف على قصد الذين أحدثوا هذه الدعوة ماذا يريدون منها ؟ أهو ما عهد منذ القرون الأولى من فتنة الإمامة الدنيوية الظاهرة ، أو الإمامة الدينية الباطنة ، معصومتين أو غير معصومتين ؟ أم ثم قصد جديد يناسب هذا العصر ؟ أم مجرد استملاء السادة العلويين على غيرهم وإن كانوا يفوقونهم في علومهم وفضائلهم ؟ بحثت وتساءلت فلم أقف على كنه الحقيقة كلها ، وكنت اقترحت أن تترك هذه الدعاية الجدلية التي أرجح أنها ستنتهي بشر ما ظهر من انتاجها ضد ما يريد دعائها ،

وأن يستبدل بها دعوة الى جمع رأس مال كبير لا إنشاء معاهد للتربية والتعليم خاصة بأولاد السادة العلويين في جميع الاقطار يعلمون فيها التعليم العالي من ديني ودنيوي مع التربية الفضلى ليكونوا قدوة للناس بحق، وينهضوا بهذه الامة النهضة التي تقتضيها حال العصر، فيكون منهم الاخصائيون في العلوم والفنون المختلفة والدفاع عن الاسلام وجمع كلمة المسلمين، وليستعينوا بها على كسب رزقهم من أشرف الطرق — فلم تلق نصيحتي سمعاً مجيباً، وان استحسنها بعضهم بالقول فقط. وقد كنت بهذه الدعوة أبرّ بسلالة أجدادنا ممن دعوا الناس الى عبادة بعضهم والظلم القريب من العبادة في بعض، والى جعلهم خلفاء في الارض، اذ كان واضحاً تلك الدعوة من زنادقة اليهود والمجوس أصدق أصدقائهم في الظاهر، وأعدى أعدائهم وأعداء جدم وقومه ودينه في الباطن

فأما اليهود من مبتدعي تلك الدعوة كالسبائيين فقد حملهم عليها حقد رسول (ص) ولقومه أن يكون منهم خاتم النبيين، الذي بشر به موسى وغيره من أنبياء بني اسرائيل — ثم حقدوا على الرسول لنصر الله اياه على يهود مدينته وما يقرب منها، وعلى عمر بن الخطاب الخليفة الثاني لاجلاء قومه عن جزيرة العرب كلها، على أنهم رأوا بعد ذلك من عدل العرب في سورية ثم في الاندلس وغيرهما ما أنساهم ذلك الحقد وجعلهم أنصاراً للمسلمين على النصارى الظالمين لهم، اذ لم يروا بعد ذهاب ملكهم عدلاً واحساناً الا من المسلمين، وما سبب مكانتهم في بعض دول أوربة الكبرى في القرون الاخيرة الا انتصارهم بالدهاء والكيد على الحكومات الدينية فيها واثل عروشها، واستبدال حكومات مدنية مادية بها، لا يقدر أن يفوق اليهود أحد فيها، وقد أعاد الانكامل العداء بينهم وبين العرب في هذا العصر وأما المجوس من الفرس فأصروا على الكيد للعرب والاسلام حتى غلبهم الاسلام على أمرهم، ولم يبق للمجوسية شأن قوي في شيء من بلادهم، وظهر أن تعصبهم الظاهر للعلويين كان نفاقاً ومكرًا منهم، فانهم حولوا عصبيتهم عن العلويين الى العباسيين لما وجد من طلاب الخلافة في هؤلاء من يعرف كيف يسخر تلك العصبية، ثم

وجد في إيران ملك مستقل، ولم يكن لأهل البيت فيه شيء من السلطان والحكم، على استقرار تعاليم الشيعة وميرورها مذهباً دينياً، بعد أن كانت لديهم حزبا خداعا سياسياً، بل فضلو جعل الملك في سلالة من الأعاجم الذين عادوا قومهم وقتلهم لاجل التشيع على جعله في السلالة العلوية الفاطمية الحمدية

وكانت عاقبة ذلك الغلو في التعظيم لآل البيت صرفهم في الأكثر عن تحصيل الفضائل الذاتية من التفوق في العلم والعرفان، والأعمال الناهضة بالاسلام، وصارت الألوف الكثيرة منهم كلاً على الناس في رزقهم، وأغرب من ذلك كله في سيرتهم أن تناط إمارة الحجاز بيطن من بطونهم فتمر القرون ولا يظهر أحد من أفرادهم يصح أن يسمى مصلحاً في علم ولا عمل ولا حكم، بل غلب عليهم الجهل والظلم، في أفضل بقاع الأرض — دع الفسق واخباره — حتى انتهى الأمر في هذا وكان لهم أسوأ الأثر المعمر إلى هذا الرجل الظلام (حسين بن علي) الذي اعتمد على أعدى أعداء الاسلام والعرب في تسمية نفسه ملكاً للعرب وخليفة المسلمين، وكان هو وأولاده مساعدين لهم على فتنج بلاد العرب وتمكين سلطانهم فيها، دع شدة ظلمه لأهل الحرمين وحجاج الأفاق كلها

مع هذا كله يقوم فينا هؤلاء الدعاة للاهنداء بحملة أوراق هذه الانساب، وانهم كسافهم الاول قرناء الكتاب، ثم يفتحوا علينا باب الطمن في أهل الصدر الاول حتى الخلفاء الراشدين منهم كأبي بكر وعمر، الذي يفتخر بعلمها وفضائلها جميع المنصفين من البشر، فقد كان من الرسائل التي لم ننشرها رسالة طبع في ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٩ حارل كاتبها العلوي المامي إيجاب أخذ الدين عن العلويين وحدهم، وان من أخذه عن غيرهم فهو « ضال منافق كائن من كان »، فياضمة دين يؤخذ عن مثل هذا المامي الجاهل الذي لا يحسن كتابة عبارة عربية صحيحة، بل ياضمة دين وأمة يسمى فيها حسين بن علي المكي ملكاً للعرب وخليفة للمسلمين، وما جعله هو وأولاده ملوكاً الا الانكليزا ؟

ومنها رسالة أخرى يهذي مرسلها الجاهل في مسألة غضب السيدة فاطمة

عليها السلام، من أصدق البشر وأخلصهم في حبها وحب أبيها عليه أفضل الصلاة والسلام، صاحبه الأول الثابتة صحبته بنص القرآن، وصديقه الأكبر في إقامة الاسلام واليمان، أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

الجواب عن هذه المسألة ليس بالممتنع الذي تنبؤ عنه أسنة الالسنه وتكبر في ميدان بيانه جياذ الاقلام ، لو كان السائل عنه مشتبهاً عليه ، وكان ينشد الحق فيه ليعتصم به ، فاذا كنا نأخذ بما صح عنه (ص) من مناقب السيدة ومناقب الصديق معا فلا يعز علينا أن نرفع التعارض بين كلامه عليه الصلاة والسلام فيما بما يصدق به بعضه بعضاً ، ونعذر كلا منهما بما كان منه باعتقاده واجتهاده . وأما اذا كنا نقبل بعضه ونرد بعضاً بأهوائنا ، كما فعل أعداء الاسلام المفرقون من قبلنا ، فالنتيجة اليوم تكون غير النتيجة بالامس ، غلو يقابل بغلو ، ورد يقابل برد ، وتجديد شقاق قائل لجميع المسلمين في إبان هذا الضعف ، وإحاطة الاجانب بهم وبعهد دينهم من البر والبحر

وقد استتبعت الطعن في الصحابة الطعن في حنظة السنة ورواتها ، ونقادها وحاتها ، وهذا يستتبعت الطعن في القرآن الذي نجرأ بعض غلاة الروافض على القول بتحريف كالمه عن مواضعه ، وبكتمان الخلفاء الراشدين وجمهور الصحابة — برأهم الله تعالى — لبعض كالمه وآياته وسوره ، التي زعموا أنها نزلت في أهل البيت عليهم السلام وفي ولاية علي كرم الله وجهه وامامته . وقد ألفوا في ذلك كتاباً طبعوه في طهران ، وفيه من الاكاذيب على أئمة أهل البيت — برأهم الله تعالى وطهرهم — ما يقتضي لو ثبت أنهم أشد الكفار طعناً بدين جدهم وهدموا له (وحاش لله) ولقد كان زنادقة المجوس واليهود الواضعون لهذه الزندقة يقصدون بما اقترؤه عليهم ، أن ينسب هدم الاسلام اليهم ، بل الى جعل خنقه بأيديهم ، باضلالهم لمن أضلوا منهم ، ولا سيما ان صح نسب العبيديين وغيرهم من ائمة الاسماعيلية ولا يزال بعض المخلصين من الشيعة غافلين عن ذلك ، ولا غرو فقد اغتر مثل الشريف الرضي رحمه الله تعالى بالعبيديين ومدح خليفاتهم

نحن واقفون على هذا كله ولم نمتح بابا للخوض فيه لاننا نود رتق الفتوق التي أحدثها في الاسلام اعداؤه من زنادقة الفرس الباطنية وغيرهم لا توسيعها ، فقد آن لنا أن نطهر أمتنا ، من جراثيم الوباء الذي أفسد به مزاجها من قبلنا ، أو لم يكفنا شبهات ملاحدة هذا العصر التي كان من تأثيرها دعوة بعض كبراء الترك الى ترك الاسلام ولو الى عبادة الذئب الابيض ، ودعوة بعض نابذة الفرس الى المجوسية الاولى ؟ أوليس أولو العلم والبصيرة في الدين من بقية أهل البيت النبوي الكريم أولى من غيرهم بالتجاني عن القرور بأنفسهم ، والتلافي لما أفسد المحب العالي والمبغض القالي من أمرهم ، وباصلاح ما أفسد التشيع الديني ثم التمسب الجنسي من أمة جدم ؟ مهماتكن المذاهب والشيع التي نشؤا فيها ؟ بلى والله ، هذا ما نعتقد ، ولا نقول ولا نكتب ولا نعمل إلا ما نعتقد أنه الحق وفيه الصلاح والاصلاح ، من غير تحامل على طائفة ولا تميز الى فئة ولا تحرف لمذهب

ونحن نصرح بالاجتهاد والاستقلال المطلق فيما وقع فيه الخلاف بين المسلمين باختلاف الفهم وتعارض الأدلة ، وان ما كان عليه جماعة المسلمين في الصدر الاول من أمر الدين هو الحق ، وان اجماهم فيه حجة ، وان شذوذ بعض الافراد لا يعتد به ، وان الخطأ في الاجتهاد جائز على كل مجتهد وواقع في كل مذهب ، فلا يعذر أحد بقطع اخوة الاسلام بنصر مذهب على آخر ، وندعو الجميع الى التعادب والتأخي الديني الذي تجمعهم فيه العقائد القطعية كوحداية الله تعالى ورسالة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ، وكون جميع ما جاء به من القرآن وما تواتر عنه من الاحكام حق ، كالاركان الخمسة ونحریم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والى ان يعذر بعضهم بعضا فيما لا قطع فيه ولا اجماع عليه مما صبح من النقل عند بعضهم دون بعض ، وما اختلف فيه الاجتهاد والرأي ، فلا يجعلوه سببا للاختلاف والتفرق الذي يبغيضه الله تعالى وتوعد عليه بأشد الوعيد ، بل يتحتم ان يجعلوه كسائر المسائل العلمية من كونية ولغوية ، فذلك أحرى أن تجتمع عليه كلمتهم ، وتحقق به وحدتهم ، وذلك خير لهم في دنياهم وآخرتهم ، وكذلك كان الصالحون من سلفهم .

على هذه الطريقة استقمنا ولذلك ندعو منذ أسسنا المنار ، جرينا في التفسير والفتاوى الشرعية ، على الاستقلال المحض واجتناب التزام شيء من المذاهب الكلامية والفقهية ، وفي المقالات والآراء الاجتماعية والسياسية ، على النصح الخاص لجميع الفرق الإسلامية ، وهو ما حده لنا المنصفون من أئمتها وزعمائها في الأمور الدينية والدينية ، حتى الذين بينهم أشد الخلاف كالشيعة والاباضية ، أو أدناه وأهونه كالسلفيين والخلفيين من السنية ، ولدينا مكتوبات من كبارهم في هذا لا يحسن نشرها الآن ، وفي تفسير هذا الجزء ، وبقوله نموذج لمشر بنا هذا في مسألة من أهم المسائل الاعتقادية التي لا يزال الخلاف فيها شديدا بين المذاهب الباقية من الطوائف الإسلامية الكبرى إلى الآن وهي ثلاث :

(الأولى السنية) ولها في الأصول ثلاثة فروع : السلفيون وهم أهل الحديث وهم ثلة في الهند وقبائل في غيرها ، والحنابلة ومنهم أهل نجد وأتباعهم في جزيرة العرب - والخلفيون وهم الأشاعرة ومنهم المالكية والشافعية ، والماتريدية وهم الحنفية ، والخلاف بين هذه الفروع لولا جهود بعض أفرادهم وتعبهم لا أقوال بعض الشيوخ لم يكن بالذي يبقى فأكثره لفظي محض ، وبقية ضرورة لا عقيدة كالتأويل لدفع بعض الشبهات . وما زالت مساجدهم واحدة يقتدي فيها بعضهم ببعض ، وما أحدث الحكم والأمراء المتأخرون من إقامة عدة جماعات في بعض المساجد حتى المسجد الحرام في وقت واحد لمذاهب الفروع فهو جهل تنبيه المنافع الدنيوية وهو بدعة مفرقة ظن الجاهلون أن منع الوهابية إياها من المسجد الحرام في هذه الأيام من شذوذهم

(الثانية الشيعة) ولها فرعان كبيران معروفان بإلهما من دولة وحكومة وهما الزيدية والامامية ، وفروع صغيرة ليس لها تأثير كبير في معارضة ما نهتم به وندعو إليه من جمع الكلمة ، وإزالة ما بقي من ضرر الخلاف والتفرقة .

(الثالثة الاباضية) وهم المعتدلون من فرق الخوارج بل رأيت بعض علمائهم يبرئهم منهم ، ولهم حكومتان سلطانيتان اعتدت الدولة البريطانية على استقلالهما ،

وانتقلت لنفسها حمايتها بالرغم منها أعني حكومة عمان في أقصى الشرق من جزيرة العرب وحكومة زنجبار في الشرق من أفريقية ، وفي شمالها عدد كبير منهم له شأن في طرابلس والجزائر

أما المسيحية القاديانية فهي فرقة إسلامية مارقة اذ هي تدعي وقوع الوحي لمؤسسها المسيح الدجال وغيره من خلفائه المضلين ، وأما البهائية فقد خرجت عن كونها من فرق المسلمين وصارت تصرح بدينها في بلاد الحرية

نحن نسعى للتأليف بين جميع الطوائف الإسلامية ونتقي في سعيينا كل ما يخشى أن يبعثه من جدل أو مناقشة في مسائل الخلاف المذهبي بينها وبين الأخرى أو في شؤون حكومتها أو أحزابها السياسية ، وإنما حملنا تلك الحملة الشديدة على جمعية الاتحاد والترقي لأنها تصدت لأضداد الدين الإسلامي نفسه أو هدمه ولجعل السيادة في الدولة العثمانية للجنس التركي أو التوراني وحده وكانت الدولة حولتنا وسياسة هذه الجمعية فيها خطر على ديننا وعلى قومنا (العرب) وعلى الدولة في جملتها، وقد صرحنا بأنها مستقضي على هذه الدولة وصح قولنا

وذلك الباعث الذي دعانا الى تلك الحملة هو الذي دعانا في هذا العهد الى حملة على سياسة الملك حسين وأولاده فهي أشد خطرا على ديننا وقومنا العرب كما يننا ذلك بالبراهين في مقالاتنا الكثيرة في المنار وغيره ، وهم أفراد لا يتجاوزون عدد أنامل اليد ، لا شعب ولا دولة ولا عشيرة ولا أئمة مذهب ولا زعماء حزب ، وقد انفض من حولهم الحزب السياسي الذي كان يؤيدهم ، ولولا ما بقى لهم من الجاه والسلطة الممنوحة لهم من وليتهم «العظمة البريطانية» ومن المال المأخوذ منها أو المسلوب من الحجاج لما بقي أحد يذكرهم بكلمة ثناء . ونسأل الله تعالى أن يكفيننا شرهم ، قبل أن يتم ما نتوقع من خطرهم ، وقد نصحننا لهم ، وسعيينا لأصلاح شأنهم ، حتى يئسنا منهم ،

وكذلك نصحننا لإمام اليمن واسطان نجد ، ولم نبال بعذل من عذلنا في الاول لانه زبدي ولا في الثاني لاجل لقب وهابي ، ونصحننا أيضا لسلطان مسقط السابق

وهو اباضي، وننصح اخلفه السلطان تيمور اذا سنحت لنا الفرصة ، وليقل من شاء ماشاء ، ولينبزي المتعصبون بما شاؤوا من هذه الالقاب، وسأكون بهذا الجمع ملقبا بها كلها ومجردا منها كلها ، « وانما الاعمال بالنيات وانما الكل امريء مانوي » وانما يدهن العلماء والكتاب للجماعات التي ينسبون اليها أو لغيرها من الاحزاب والشيع والمذاهب اذا كانوا يعملون ابتغاء الجاه عندها، أو المال منها، واحمد الله تعالى اتي بعمل ابتغاء مرضاته وان سخط من شاء من الجاهلين والجامدين والمتعصبين قلوا أو كثروا

اعبد القول كما بدأته بانني مسلم سلفي لا أقلد عالما معيننا ولا أتعصب لمجتهد معين ولا أعيبه ولا أعيب أنبائه ولا أدعي تأسيس مذهب جديد، وإنما أتكلم في المسائل الخلافية بالدلائل والادب مع الجميع اتباعا لعلماء السلف كما يرى القراء في مسألة رؤية الرب تعالى في التفسير، وأرى من أكبر المفاصد الطعن في طائفة من الطوائف أو مذهب من المذاهب أو شعب من الشعوب ، وانتقاده ولو بما فيه من المساوي والعيوب ، لان ذلك يغريه بشدة الاستمسك بما عيب به، والتعصب لما انتقد عليه ، وعداوة العائب وكل من ينسب اليهم من قومه أو أهل مذهبه، ففي كل قوم خير وشر ، وحق وباطل ، وخطأ وصواب ، واذا كنا لا نقول بعصمة فرد من أهل هذا زمان ، فهل يمكن أن نقول بعصمة طائفة كبيرة ؟ وإنما المصلحة في النصيح اتباع قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

خطاب عام للمسلمين

في شأن الحجاز

هـ

علاوة

﴿ في ظلم الملك حسين وولي عهده الامير علي في المدينة المنورة ﴾

كتب اليانا قد خبير من سكان المدينة المنورة مقالا طويلا ذافصول
في ذلك فرأينا من اتمام الموضوع ان نلخصه ونختصره بما يأتي :
(١) نهبها للاوقاف الاهلية الخيرية

لما استولى الشريف حسين على المدينة المنورة بعد هدنة الحرب كان
أول شيء فعله أن وضع يده على أوقافها حتى الموقوفة على سكان البلاد كوقف
المناربة وهو يحتوي على نخيل وأراضي وبيوت . وكذا وقف الهنود
والبخاريين وغيرهم فبيع هذه الاوقاف بوضع الآن في الخزينة النبوية
ومنها يرسل الى خزينة الشريف في مكة الى يومنا هذا . وسندكر بعض
الوقائم في مخاصمة بعض مستحقي هذه الاوقاف الامير علي والشكوى لوالده
ولم يكنه هذا كله بل تسلط على الاوقاف الخيرية المحبوسة على
الفقراء في المدينة وامر بتحويلها الى الخزينة النبوية لتصرف في شؤون
الحرم مدعيا ان المستحقين ليسوا موجودين والله يعلم ان عدد الفقراء
في المدينة المنورة اكثر من سائر سكانها ولكن ليس المقصد ذلك بل
هو استيلاء الخزينة على غلة هذه الاوقاف واطلاعها على تفرعاتها وبيعها

وأن تجدهما وترسلهما في صناديق مقلدة الى الملك بمكة ، وهذه العادة مستمرة الى يومنا هذا

(٢) نهبها للحجرة النبوية

ثم مد يده الى الحجرة النبوية المعطرة فجردها من جميع ما بقى فيها بعد أن أخذ الترك ما أخذوا من جواهرها وذاخيرها . وأخذ جميع الامتعة التي تركها نخري باشا على ضريح السيدة فاطمة البتول رضي الله عنها ، ولولا أن نخري باشا تدارك الامر وأرسل مجوهرات الحجرة الشريفة الى الاستانة لتصرف فيها الشريف حسين ووضعها في خزائنه مثل بقية الامتعة فمن جملة تصرفه في اموال الحجرة الشريفة انه اخذ ما ينوف عن عشرة كيلو (غرام) من الذهب كان نخري باشا ذوبها وجعلها سبائك وهو قطع بعض الامتعة المكسورة و ٢٥٠ كيلو من الفضة المسبوكة وكان قد اراد نخري باشا ارسالها الى الآستانة مع بقية الامتعة فحال دونه قطع المواصلاات . والنقود التي طبعها الشريف حسين في المدة الاخيرة من هذه السبائك ومن جملة الاحوال التي بئثر بها الانسان — ان الحجرة الشريفة بعد ان كانت توقد قناديلها كلها من الزيت الرفيع اصبح يوقد عدد قليل منها بالزيت المكروهة رائحته الا انه امر بايقاد شمعين في الحجرة فقط وقد نقل الى مكة كل ما كان في الخزينة النبوية من جواهر وحلي وأمتعة موقوفة من أهل البر والاحسان لسكل عائلة تريد التحلي بها والتزين في الاعراس مع ما تركه نخري باشا من النقود التي تزيد عن مليون ونصف مليون جنيه من القراطيس المالية «بانقنوط» وخمسين الف جنيه عثماني اصلها من اموال الخزينة و اوقافها غير مبال بحق الله او بحق

رسوله أو بحق العباد وحرمان الفقراء المستحقين من القوت

(٣) نهبه للحرم النبوي الشريف

أمر الملك حسين ولده الأمير عليا والي المدينة المنورة بأن يرسل اليه جميع مافي الحرم النبوي الشريف زائدا على فرشته من السجاد والبسط فنقلها الى مكة شيئا فشيئا ففرش الملك بها قصره وداره ودوائر أولاده حتى بيوت عبيده وغلمانته، وكل ما يهدى الى الحرم الشريف من زيت وشمع وعطر وغيرها يأمر بارسالها اليه قبل أن تفتح وأن يراها أحد، وهو يخبر بكل شيء من هذه الهدايا عند وصولها وأكثرها تجيء من الهند

ولا اعلم انه ارسل يوما من الايام شيئا الى الحرم النبوي بل كلما بلغه ان هناك هدية قدمت للحرم فقبل ان يخبروه بها هو يرسل في طلبها خلا حتى أصبحت الخزينة النبوية لا تستطيع شراء اقل شيء يحتاجه الحرم ولو « مكنسة » واذا اطاعت على قيود الخزينة النبوية ترى ان لها مخصصات تبلغ خمسمائة جنيه في كل شهر ربما تتقاضى هذا المبلغ في مدة سنتين بيد ان مداخل الخزينة تقدر بالالوف من الليرات. فايرادات الحرم النبوي في الحالة الحاضرة ليست بقليلة بل هي تقوم بجميع ما يحتاج اليه مع رواتب مأموريه ولكن الشريف لا يرضيه ذلك ولا يهتمه الا تكديس الذهب الأحمر في خزائنه وهو لا يصرف لخدمة الحرم من اثمة وخطباء ومؤذنين وائوات وغيرهم الا نصف المرتب ولكن في كل ثلاثة اشهر مرة ثم انه يعطيهم بدل الجنيه الا فرنجي ستة ريالات مجيدية وانما سعره في الخارج يساوي ١٤ مجيديا، وهو لا يدفع لهم مرتباتهم الا قطع فضة وكذلك بقية عمال حكومته لانه يحتكر الذهب لنفسه

وقد بلغ الحرم في الحالة الحاضرة الى حالة سيئة لاهمال ترميمه في كل سنة حسب العادة ، ويقال ان ترميمه في الحالة الراهنة يحتاج الى مصرف قدره خمسة آلاف جنيه وزيادة ليعود كما كان

ولو لا مساعدة ارباب الغيرة من المسلمين وبذلهم ما في امكانهم لشراء « البوية الخضراء » وجلبها من مصر لاجل طلاء القبة الشريفة لاصبحت القبة غبراء. وكذلك بقية ملزمة (?) الحرم التي ترسل تارة من اخواننا المصريين والهنود وغيرهم

(٤) ان بعض أغنياء الهنود يبذلون كثيرا من الهدايا والصدقات لاهل المدينة في أثناء زيارتهم وذلك يسوء الملك جداً فيتوسل جواسيسه وأعوانه بما يعلم أهل المدينة من سوء حاله الى مشاركتهم في هذه الصدقات والهدايا والا أخبروه بها . وفي رمضان الماضي زار المدينة المنورة ملك (جترال) واسمه شجاع الملك وأقام فيها خمسين يوماً فبذل كثيراً من الخيرات والصدقات على جميع الاهالي من طعام ولباس وفلوس حتى رجال الحكومة عموماً فكان كل يوم يدعو جماعة من الدوائر لافطار في رمضان ووسع على بعض علماء المدينة الذين عرفهم وكانت نفقاته اليومية تقدر على الأقل بخمسين جنيهاً ما عدا العطايا التي كان يبذلها لخدمة الحجرة المعطرة والحرم الشريف ومؤذنيه وخطبائه وأئامته والسقاة والبوابين الخ فلما بلغ الامر الى الشريف الحسين وكان أمر بمراعاته وخدمته أخذ يضيق عليه بطرق أزعمته وأضرت بكثير من الناس فقد أمر بمنع الاهالي من زيارته حتى العلماء والفقراء الا باذن من الحكومة فكانوا يمنونهم -م جهراً

ويهيئونهم (١) فأدرك الملك المشار اليه ذلك — فحزن ووعد بأن يساعدهم من بلاده ويتحرى أن لا يصيبهم من مساعدته ضرر . وقد أرسل الشريف حسين اليه من يباغته شكره ويقول له : ان المطعم الهاشمي يكفي فقراء المدينة حاجتهم (!!)

(٥) وأما خبر المطعم الهاشمي فهو أنه لما امتنعت التكية المصرية في المدينة المنورة من إعانة الفقراء من جراء الخلاف بين الحكومتين الهاشمية والمصرية أمر الشريف حسين بإنشاء مطعم يغنيهم عن إعانة التكية وأمر تجار المدينة بأن تقوم بجميع نفقاته فقاموا بذلك طائين ان الحكومة تطعمهم ما ينفقونه فلما طال الزمان ولم يروا منها شيئاً علموا أن هذا من جملة الغرامات التي تلقيها على رقابهم فقصروا واختل نظام المطعم وأصبح يطعم يوماً ويمنع أياماً ، ويمطي أقل ما ينفقه للفقراء وأكثره لرجال الحكومة الهاشمية وجواسيسها وعبيدها ليشهدوا لهم عند من لا يقبل شهادة غيرهم

اي الرجلين اظلم حسين بن علي ام علي بن حسين

(٦) لأهالي المدينة المنورة أوقاف كثيرة بعضها موقوف على بعض العائلات بموجب فرمانات وحجج شرعية فلما نهق الشريف حسين نهيقه المشهورة بآبادة العالم الاسلامي (?) ودخل المدينة المنورة بعد الحرب وضع يده على المباني الاميرية وعلى الاوقاف العائدة لاهاليها الحاضرين بالمدينة المنورة فحول ريعها الى خزينة كما تقدم غير مبال بالمستحقين فيها من أيتام

(١) سبب هذا انه لا يريد أن يعلم أهل الحجاز انه يوجد في المسلمين ملوك وأمراء يعطون لوجاء قبل هو لحسده واثرتة كان يمنم جريدة الفلاح بمكة من الشناء هلي محمد عبد الكريم امير الريف في المغرب او ذكر اصماله لثلا يفضله الناس عليه

وأراهم وغيرهم وهو يعلم أنه ليس لهم من دونها أقل دخل يعتمدون عليه في تدبير معيشتهم وقد ظن بعض الناس أن هذا خطأ فقام بعضهم بواجب الدفاع عن حقوق بعض المائلات التي أدخلت أراضيهم ودكاكينهم في الاوقاف الاميرية وعرضوا الفرمانات والحجج الشرعية التي تثبت أن الوقف أهلي له مستحقون — فتلقى الامير علي أمير المدينة المنورة هذه الحجج والمستندات بنغاية الغضب والاشمئزاز وأخذ يتدبر في حل المشكلة فأوعز الى قاضي المدينة بتشكيل هيئة تدقق الحجج وتنتهي المسألة على حسب مرغوبه في الباطن فقامت الهيئة بالعمل فأتضح الحق كالشمس في رابعة النهار ولكن « المخلصين » من رجال الهيئة لم يمكنهم المجاهرة بالحق فقوضوا الرأي « لمولانا » القاضي لأن يحكم بما أنزل الله. فخيم بما أنزله الامير علي بقوله: للحكومة حق فيها من حيث إن أصل الاراضي اميرية وقد تبرعت بها الحكومة التركية على بعض الاهالي وبما أن القوانين التركية لا يعمل بها في الحكومة الهاشمية فلا عبرة بحججها ولا بغيرها وأتى بنص أخرجه من كتب الزنادقة (كذا) أيده رأيه فعارضه بعض الاعضاء ببطلان نصه واثبات صحة الوقف شرعا ونفاذه. ولكن الامير عليا أخذ بقول القاضي — وكتمت المسألة حتى جاء والده المدينة زائرا قبل سفره الى شرق الاردن فرفعوا الامر اليه فأمر بتأليف لجنة للنظر في القضية فقال له الامير علي ان اللجنة تشكلت وحكمت والتفت الى الشاكين وهددهم بقوله : سأناقشكم الحساب ... فقال الملك : أي حساب يا ولدي ؟ شكل اللجنة ثانية — واعتذر هو للشاكين بأنه زائر ماجاء ليحكم وإن في ولده الغنى عن حكمه ولأنه لو لاحتبه إياهم لما ترك عنهم أعز أولاده

في وقت هو محتاج اليه فيه (قال) فأرجو مساعدته وحفظه وما هو إلا أمانة مودعة عندكم فراعوا حقها وواجبها ، فاني أوصيكم به خيراً
(٧) كان صدر أمر الامير علي بأخذ العشور عن كل ما يباع في أسواق المدينة من صنف الخضر والفواكه التي تزرع في نفس البلاد فكان هذا الامر ساء زراع أهل المدينة مع مخالفته لحديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بقوله ما تأويله : لا يؤخذ عن سوقنا هذه شيء (؟) ولما هو مكتوب على باب السلام من ثلاثمائة سنة : سوق المدينة المنورة معفي من أداء العشور فمرضت علي الملك حسين وهو في المدينة فسأل ولده الامير علياً عن صحة ذلك — فأجابه في حضرة المدعين : بأنه لم يأخذ باسم العشور وإنما أخذ باسم الزكاة وفقاً لأصول مكة ، فسأل الملك الحاضرين ما قولكم ؟ فأجابوه : إننا تؤخذ منا الزكاة وتؤخذ منا العشور وما نحن بكاذبين أمام صاحب الجلالة . فسكت قليلاً وقال : أنا أمرت الا تؤخذ عشور من المدينة فما سافر الملك حسين حتى ازدادت قيمة العشور فوق ما كانت اه (١)

(خاتمة الخطاب والغرض منه)

ان مجموع ما أثبتناه في هذا الخطاب يوجب وجوباً كفاً على من علم به من المسلمين أن يسموا لانقاذ الحرمين الشريفين واهلهما من ظلم هذا الطاغوت وظلم أولاده ، وتأمين اهلهما ومن يقصدهما للنسك أو غيره على نفسه وشرفه وواله ، ومنع الغرامات والضرائب والظلم القاتل

(١) المنار : نكتفي بهذا الماخص من رسالة المدينة المنورة لانه لم يبق الى التطويل حاجة ويليهها رسالة في اختلال الامن هنالك وعجز الحكومة الهاشمية عن منع الاعراب من القتل والنهب ربما ننشرها في المنار وحده

والغلاء الفاحش منها ، بتغيير شكل حكومتها ، ومنع نفوذ حسين وأولاده أن يعود اليها . ثم السعي لاعلاء شأنهما بالعلم والعمران فأما القادرون على ازالة هذه المنكرات بأيديهم كأمراء جزيرة العرب وأئمتها فهم المسؤولون قبل كل أحد عن القيام بهذه الفريضة بالتعاون أو الا تفراد ، فأبهم قام بها يسقط بعمله الاثم عن الباقيين وسائر المسلمين ، وقد كنا أفتينا بهذا من قبل ، وطالبنا هؤلاء الامراء بهذا الواجب في السر والجر ، وبيننا لهم ان ما كانوا يخشونه من تدخل الاجانب غير المسلمين في أمر الحجاز بدعوة حسين ولا سيما من ناطبهم أمر حمايته ، مخالف لتقاليدهم السياسية ، الا أن يكون بالدسائس السرية ، وهي لا خطر فيها ولا تسقط الفريضة بها

وأما الافراد الذين لا يملكون من القوة ما ينقدون به الحرمة بين واصلاح شأنهما فيمكنهم نصيحة القادرين ، والتعاون على العمل بوضع نظام للعاملين ، وقد تألفت لذلك جمعية خاصة باسم (جمعية السلم العام ، في بلد الله الحرام) ونحمد الله تعالى اننا قبل ختم هذا الخطاب الذي ابطأنا في نشره علمنا أنه تعالى قد وفق السلطان عبدالعزيز آل سعود امام نجد وملحقاتها للقيام بما كان يجب على أولي الاستطاعة كافة — وجوب كفاية — من انقاذ الحجاز من هذا الظالم وأولاده ، وقد نصره الله نصراً عزيزاً فاستولى على مكة المكرمة ، وخر حسين بن علي عن عرش ملك العرب والخلافة العظمى اللذين تنهلهما بالباطل ، وفر منهزماً من الحجاز مشيحاً من قومه بمقتهم له وسخطهم ودعائهم عليه بأن لا يريه الله خيراً ، ولا تقسمهم بأن لا يريهم له وجهاً ، فظننا ان قد حصل الغرض من الخطاب قبل تمام نشره ولكن إبطاء جند السلطان ابن السعود المؤلف من عرب الحجاز وعرب نجد في انقاذ مكة وقطع طريق

جدة والاستيلاء عليها مكنه من نقل ألوف ألوف من الدنانير الذهبية
الانكليزية والجنهيات المصرية الورقية (الانواط) وسبائك الذهب والفضة
التي نهبها من المدينة المنورة وما لا يحصى من الذخائر والجواهر
سيرة حسين بعد فراره من الحجاز

إنه قد شحن سفينتين من البواخر التي كان ابتاعها للتجارة مما ذكر
من الاموال والاثاث والرياش الذي كان في داره وفي دار الامارة لانه وان
قيل كذبا وخداعا لانه استقال بعد كل ما للحكومة من مال وعقار واثاث
ملكه ، وكان يتصرف في كل شيء الى يوم ابحاره من جده . وسافر
بذلك من جدة الى خليج العقبة فألقى مراسيه فيه وهناك بسط يده
الكزتين بالمال لولده علي الذي خلفه في الحجاز وبأذنه سماه الحزب
الوطني المؤلف من بعض أهالي مكة وجدة ملكه وحده فهو فيه تحت
سلطان والده ملك ملوك البلاد العربية وأمرائها كلهم وخليفة المسلمين كافة
— ولولده عبدالله الامير البريطاني من قبل الدولة الانكليزية على شرقي
الاردن بأذنه ورضاه أيضا وهما اللذان جعل لهما حق السيادة الانتدائية على هذه
البقعة من قلب جزيرة العرب وهي مركز الخطر الاكبر عليها اذ هي بين الحجاز
ونجد وفلسطين وسورية والعراق

وانما بسط يديه الكزتين لولديه المذكورين لاجل جمع المقاتلة بالاجرة وجلب
الاسلحة والذخائر الحربية لقتال الوهابيين واخراجهم من الحجاز ثم القضاء على
قوتهم وثل عرش ملكهم في عقر ديارهم إن أمكن وأملهم في القتال ضعيف
وانما يظنون ان الاستعداد له يكون وسيلة لاقتناع سلطان نجد بالصلح ليعود
حسين الى مكة أشد ظلما والحادا في الحرم مما كان ولا سيما أعراب الحجاز
الساخطين عليه الماقتين لحكمه حتى قيل إن ما خصصه لهؤلاء خمسمائة ألف

جنيه من الذهب الانكليزي — وما قيل من استقالته أو خلمه فهو من خداعهم وإفكهم لانهم يعلمون ان جميع بدو الحجاز وحضره يقتونه ويفضلون سلطان نجد على حكمه وأما علي ابنه فضعيف الارادة فلا يظلم الا ضعفاء الحضر ، ولكنه مبايع لوالده بملك العرب وبالخلافة وانما يعمل لاعادته ولولا ذلك لما أمده بالمال ، فان عاد كان الخطر على جزيرة العرب أشد مما كان أماوله ببذل المال غرض آخر هو بث الدعاية العامة في العالم لتحسين سمعته وأشويه سمعة ابن سعود وأهل بلاده بوصفهم بالتعصب الديني والتوحش والضرارة بسفك الدماء وهو يعلم ما لا يعلم أهل نجد من تأثير هذه الدعاية وقلما يسخو إلا في سبيلها من حيث لا يقيم لها سلطان نجد وزنا ، وقد بذل في هذه السبيل كثيرا مما جمع من السحت ولكن كان كل ما ربحوه أن بعض الجرائد نشرت لهم ماشاؤا وقل من يصدقها لتعارضها وظهور كذب ما تنشره في الغالب ولان سياستها أجنبية غير اسلامية ، وما برح الرأي الاسلامي خصما لهم ومؤيدا عليهم فم ارا لمسلم معروف بمصر كلمة خير فيهم وقد أخبرنا الثقات ان انصارهم في سورية وفلسطين يملون ولا يزيدون ويلبها الدعاية في بلاد العرب لتأليب القبائل على حكومة نجد والوهابيين وحملهم على قتالهم واسترداد إمارة آل الرشيد لهم (في ظل ملك البلاد العربية كلها وخليفة المسلمين) ولا غراء العداوة والبغضاء الدينية بينهم وبين قبائل الشيعة في العراق وهذه المهمة منوطة بالملك فيصل ولولا أن الشيعة مقتوه مع مبايعته في التملق لهم لما علموا من اخلاصه للاجانب دون الامة والملة لنجح في هذا الامر نجاحا عظيما ، واعلماء الشيعة وزعمائهم ورؤساء قبائهم في العراق الفضل الأكبر في مقاومة الانكليز واضطرارهم الي تأليف حكومة عربية مستقلة في دائرة الامبراطورية البريطانية والسمي

٦٤٠ دعوة ابن سعود الى مؤتمر اسلامي بمكة _ المنار : ج ٨ م ٢٥

للاستقلال المطلق - ولولا الشيعة لكان العراق ولاية هندية محضة، فان اكثر المنتمين الى السنة هنالك أضعف عزيمة وأوهن عصبية من الشيعة، فالصاحبة العربية تقضي باتفاق الشيعة كاهل السنة مع أهل نجد ومن تبعهم وذلك ممكن اذا كف الله كيدهؤلاء الحجازيين عن البلاد العربية وقد أبطأ النجديون في احتلال ثغور الحجاز حتى تمكن حسين وأولاده من تحصين جدة بعد ان استغنوا وليتهم وسيدتهم الدولة البريطانية وطلبوا منها ان تحمي الحجاز وتكف سلطان نجد عنه فامتنعت، من ذلك لما رأت من مشايمة العالم الاسلامي له ومقتلهم ولا سيما الهند ومصر، وكان دعائهم قد اذاعوا انها تحمي لهم جدة بأسطوطها ثم استنجدوا ايطالية واذاعوا انها انجدهم ثم كذبوا ذلك كما دتتهم، ولاكنهم لا يزالون يسمعون لذلك سرا وكان أفضل ماعمله سلطان نجد التقي العادل أن أعلن أنه لا يريد بانقاذ الحجاز توسيع ملكه به ولا الاستبداد بالامر فيه بل امنه واعلاء شأنه وطلب من جميع الاقطار الاسلامية ارسال مندوبين الى مكة لعقد مؤتمر من أهل العلم والرأي يضعون نظاما لحكومة الحجاز يرضيهم وهذا هو الباعث على تأليف (جمعية السلم العام في بلد الله الحرام) منذ ثلاث سنين ونيف فذكر لهذا السلطان هذا العمل العظيم الذي لم يسبقه الى مثله أحد من سلاطين المسلمين الذين تولوا أمر الحجاز، وقد قاوم ذلك حسين وأولاده بدسيسة شيطانية وهي ان هذا يحكيم الاعاجم في بلاد العرب، وهذا من أقبح الكذب الذي يضر العرب ويفرق بينهم وبين من ينفعهم من اخوانهم المسلمين ولا ينتفع منهم. فندعو جميع أصحاب الشأن من مسلمي الارض لاجابة هذه الدعوة ومن مصر فهو الذي أسقط حقه، وندعو أصحاب الصحف الاسلامية لترويج الدعوة الى ذلك. والعاقبة للمتقين، وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين

(يؤتي الحكمة من
يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد
أوتي خيرا
كثيرا ، وما
يذكر الا أولو
الالباب)

الملك
١٣١٥

(فبشر عبادي
الذين يستمعون
القول فيتعلمون
أحسنه ، أولئك
الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو
الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق)

٢٩ رجب سنة ١٣٤٣ - ٤ الحوت سنة ١٣٠٤ هـ ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٥

فتاوى المنار

﴿ غرائب الوسوسة في الطهارة ﴾

(ص ٢٢) من صاحب الامضاء في أسير

أستاذي الفاضل

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أرجو الفتوى على ما يأتي —
رجل تردد على غالب محلات الاكل في مدينة من المدن وكان يتناول أسلحه
منها بدون ان يغسل يديه المتجستين وقد ترك هذه العادة الممقوتة الآن — فما
الحكم في مأكولات هذه المدينة ؟ وما الذي يعمل ذلك الرجل اذا كانت حرفته
تستدعي وجوده في هذه المدينة ولا يمكنه الانتقال عنها الا في أزمئة مخصوصة
وكالاجازات الرسمية مثلا ؟ ومعلوم أيضا ان سكان المدن لا غنى لهم عن تناول

طعامهم من تلك المحلات الساقطة الذكر وبعضهم يأكل منها ولا يغسل يديه عقب الأكل . ولا يمكن للرجل المذكور أن يستغني عن قضاء حاجاته منهم - ولما أعهد في فضيلتكم من شرح معضلات المسائل والتفاني في خدمة العلم والمسلمين جميعا - بعثت بهذا اليكم طابا من المولى سبحانه وتعالى أن يجزل ثوابكم ويعظم أجركم وتنازلوا بقبول عاطر تحياتي

ابنكم المختص

عبد البديع مصطفى

بمعهد أسبوط الديني

(ج) أن الرجل المسؤول عن حاله وما يترتب عليها شاذ في عقله وعمله فهو موسوس والسؤال عن حاله من شواذ مسائل الوسوسة ويصعب على العاقل أن يتصور وجود رجل عاقل تكرر منه الأكل في أكثر مطاعم مدينة وهو متنجس اليدين ولعل السائل لو ذكر لنا كيف كانت يداه متنجستين في هذه المرات كلها لجزمنا بأن تنجسها من الوسوسة لا حقيقي

هذا وإن تنجس اليدين لا يتغني تنجس الطعام الذي يؤكل بهما إلا إذا كان يغمرهما في الأدام المائع كالرق وأما تناوله بالملقة فهو كالأخذ الجامد باليد لا يقتضي تنجس الأبناء ، وإذا فرضنا أن كان من شذوذ وسوسته غمس يده النجسة أو يديه في المائعات وإن أوانيها تنجست بها فذلك لا يقتضي بقاء هذه الأواني نجسة فإن الأواني في المطاعم وغيرها تغسل عقب كل طعام ، وطهارة أواني المطاعم وغيرها وطهارة الطعام أصل لا يعدل عنه إلا في إناء يعلم أنه تنجس وأنه لم يطهر بعد ذلك بأن رأى النجاسة أصابته ولم يغب عنه غيبة يحتمل تطهيره فيها

وجملة القول في الجواب أن السؤال ليس من المشكلات بل هو من أوضح الواضحات فأواني مطاعم البلد كلها تعد طاهرة شرعا وعقلا وعرفا فلا حرج على الرجل في الأكل منها إذا ارتفع حرج الوسواس من قلبه . ولا خلاف في هذا بين فقهاء المذاهب المعتبرة ولكن لم أبحثا دقيقة في بعض النجس بيقين إذا اختلط بالطاهرات وما في مناه

﴿ أسباب ارتقاء العرب الماضي وهبوط المسلمين وعلاجه ﴾

(س ٢٣ - ٢٥) من صاحب الامضاء في حصص

حضرة العلامة الفاضل الشيخ رشيد رضا ، زاده الله رشد او أرشاه .

نوجه لحضرتكم الاسئلة الآتية آملين ان تنوروا بصائرنا بما آتاكم الله من العلم ، مد الله مناركم نورا ، فليجب الله سؤالكم وينجح مقاصدكم وأمانيتكم :

(١) ما السر الذي جعل العرب الجاهلية - على ما كانوا عليه من التباين والتنافر والجود والمهجة - ان يمتدوا قوانين النشوء الطبيعي ونواميس الارتقاء الى ان وصلوا درجة الكمال بأقل من جيل

(٢) ماهي الاسباب التي أدت الى هبوط المسلمين من الكمال الى حضوض الزوال - مع ما كانوا عليه من منانة القواعد الدينية والمدنية الجامعة لجميع ما يحتاجه البشر من العلوم النافعة والصالحات في كل زمان ومكان . واعتبارا من أي تاريخ يبدأ هذا الانحطاط وفي أي النواحي يتوقف ثم يعود الى الهبوط . وأسبابه (مختصرا)

(٣) بأي أصول يمكن معالجة حالة المسلمين الحاضرة . وأي السبل أنفع وأقرب للفلاح . وأي الامم والامراء الحاضرة من المسلمين أكمل استعدادا لاداء المهمات للنجاح العام - وكيف يمكن ذلك .

لولا ان هذا الموضوع يهم كل مسلم يدق قلبه على تأخر أمته ، بل كل شرقي يتألم من تدنس الشرق . ثم لولا علمنا بأننا ما قصدنا الا ارتق معهدنا وأوسع دائرة علمية اسلامية شرقية ، لما تجاسرنا لتمعجيزكم ، فعذراً يا سيدي جزاكم الله عنا كل خير

محمد فوزي

(ج) ان ما قاله السائل الغيور في جاهلية العرب لا يصح ولعله يريد السؤال عن أصحاب الرسول (ص) وتابعيهم من عرب الجاهلية الذين ارتقوا بالاسلام عقولا وأخلافا وحكمة وعلماء وعملاء وعدلا وسياسة وادارة كانوا بها فوق اليهود في تاريخ البشر من نوع ارتقائهم وفيما ترتب عليه من الفتح الشريف وتأسيس ذلك الملك العظيم على أساس العدل الخ. قد بينا ذلك في مواضع كثيرة من مجلدات المنار

وتفسيره كما يبتأ أسباب هبوط المسلمين بعد ذلك وتاريخه وعلاج ما طرأ عليهم من الامراض الاجتماعية ولا يمكن تلخيص شيء من المسائل الثلاث في جواب سؤال ينشر في باب الفتاوى

وإنما نقول بالاجمال إنه لا يصلح آخر هذه الامة إلا ما صلح به أولها كما قال الامام مالك رضي الله عنه وذلك ما جاء به الاسلام من اصلاح العقول بالعقائد الصحيحة الخالية من خرافات الوثنية واصلاح الانفس بالعبادات السليمة من البدع والاكاذيب والفضائل — واصلاح حال الاجتماع بوحدة الامة وجمع كلمتها وتوحيد وجهتها وتوجيهها الى طاب العزة والكمال الذي شرع الاسلام لاجله ،

واقوى الشعوب الاسلامية استعداداً لذلك أهل الدين في جزيرة العرب وأهل افغانستان ولكن هؤلاء عرضة للتفرنج الذي يفرق كلمة كل شعب شرقي يفتن به في نفسه ويجعل بعض أهله أعداء وخصوما لبعض بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى فنسأل الله تعالى أن يقبهم ثم هذه الفرقة التي قوضت أركان السلطنة العثمانية وقطعت أوصال الوحدة المصرية ، وضمت أبواب الطوائف السورية ، فيجب ارشاد عرب الجزيرة الى جمع كلمتهم بالدين ولن تجتمع بغيره الى العناية مع ذلك بتنظيم القوة الحربية وتنظيم موارد الثروة الداخلية ، ثم يحيى كل ارتقاء تبعه ذلك ولا نظام أصالح وارجى لذلك من نظام الوهابية اذا اتيح له ما يحتاج اليه من المساعدة وكذلك الزيدية في اليمن فهم فرقة متحدة تحتاج الى المساعدة على تنظيم القوة والثروة الداخلية ويجب أن يتحالف الإمامان فيهما . ونحمد الله تعالى أنه ليس ثمة أجناس ولا ملل يتخذها الاجانب ذرائع للفساد فيهما

﴿ خطيب يأمر المسلمين بالشرك ﴾

(س ٢٦) من صاحب الامضاء في عبي (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العالم العلامة والخبير الفهامة سيدي الاجل السيد محمدرشيد رضا صاحب مجلة المنار المنبر لا زال محفوظا لخدمة الدين الحنيف آمين . أما بعد فأرجو إجابتي

عما يأتي ..

خطب أحد خطباء مساجد بمبئي خطبة يوم الجمعة حين فيها الاستغاثة والاستعانة بغير الله كالأنبياء والأولياء والصالحين وقد جاء بأحاديث عزز فيها قوله لا أعلم مقدار حظها من الصحة وكان بودي أن آخذ نص الخطبة وأرسلها مرفقة بسؤالي ولكنني لم أستطع غير أني أعلن أنني أحفظ حديثاً واحداً مما أتى به ذلك الخطيب بدون اسناد اذا لم تخني ذاكرتي وهو « أذكر أحب الناس إليك قال يا محمداه يا محمداه » وقد سب وشتم أيضاً عالماً من كبار علماء المسلمين الا وهو المرحوم حسن صديق خان البهبالي لزمه انه حرق في فتح الباري الذي طبعه في مصر على نفقته حديث (أوتيت علوم الاولين والآخرين) وعند انتهاء الخطبة عاد فكرر كراهات الصالحين ووجوب الاستعانة بهم واستشهد على ما قال بقصة عمر بن الخطاب (رض) مع سارية والقصة مشهورة عند العامة ولكنني لم أعثر عليها في كتب من أثق به من المؤرخين فما قول سيدي الاجل فيما تقدم ؟ اهدنا الى طريق الحق جعله الله دياراً مرشداً

والله يحفظكم والسلام

المخلص لكم

علي خان البنجابي

(ج) الاستغاثة والاستعانة بالخلق قسماً (أحدهما) ما يكون بين الناس من طلب التعاون والمساعدة في الامور الكسبية كالاستغاثة من أشرف على الفرق أو تردى في بئر أو حفرة بمن ينقذه مثلاً ، والاستعانة من وقع حمل دابته بمن يساعده على رفعه — فهذا القسم مشروع في كل عمل مشروع من الواجبات والمستحبات والمباحات . (وثانيهما) ما يكون فيما وراء الاسباب التي هي من كسب الناس مما يخالف سنن الله تعالى في خلقه كالأستغاثة بالموتى والاستعانة بهم وبالأحياء فيما ليس من مقدورهم وكسبهم كإنزال المطر وشفاء المرضى بغير تداءي فهذا القسم خاص بالله تعالى لا يطلب من غيره وهو المراد بقوله تعالى في سورة الفاتحة (وإياك نستعين) ومعناه نستعينك وحدك ولا نستعين غيرك كما أن معنى قوله تعالى قبله (إياك نعبد) نعبدك ولا نعبد غيرك — فالاستعانة بغير الله تعالى بهذا المعنى كفر وشرك كعبادة غيره، ومن أمر بذلك كان آمراً بالكفر بالله ومخالفة ما كلف به جميع عباده أن

بخطابه به في كل ركعة من صلواتهم ، فهل صار المسلمون في درجة من الجهل بل ينهم يؤمهم بها في صلواتهم ويتولى وعظهم في مساجدهم من يأمرهم بهذا؟ واذا لم تكن هذه الاستعانة هي الخاصة بالله تعالى بنص هذه الآية في أشهر سورة من كتاب ربهم يحفظها كل مسلم ومسلمة فإليه ؟ على أن العباد يتحرون اجتناب الاستعانة بالمتخلفين وسؤالهم حتى في الاور الكسبية التي أقام الله تعالى بها نظام هذا العالم وقد ورد في مناقب الصديق الأكبر رضي الله عنه انه لم يسأل النبي صلوات الله عليه وعلى آله شيئا لنفسه قيل ولا الدعاء . وفي وصية النبي (ص) لابن عباس (رض) « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » رواه الترمذي عنه وقال حسن صحيح ، وقال الحافظ ابن رجب في شرحه إن هذه الوصية منتزعة من قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وقد بايع النبي (ص) جماعة من أصحابه على ألا يسألوا احدا شيئا منهم الصديق وأبو ذر وثوبان (رض) فكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته من يده وهو راكب فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه — (اقول) وهذه درجة كمال ، لا يقدر عليها إلا أفراد الرجال ، وأما الاولى فيكلفها كل مؤمن لان تركها ينافي الايمان . وفي المسألة أحاديث اخرى في الصحاح وآثار عن كبار الصحابة والتابعين ومن دونهم من الصالحين

والاستغاثة في هذا الباب مثل الاستعانة بل أخص لانها عبارة عن الضراعة في الدعاء عند شدة الضيق التي وصف الله تعالى مشركي العرب بأنهم لا يدعون غيره عندها وإنما يشركون به بعد أن ينجيهم منها ، والآيات في ذلك متعددة . وقد استغاث المسلمون الله تعالى يوم بدر ولم يستغيثوا النبي (ص) بل كان بأبي هو وأمي أمامهم وقدوتهم في الاستغاثة كما أنزل الله عليه (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الخ وذلك أنهم كانوا قد قاموا بكل ما قدروا عليه ولم يبق الا ما لا يذله كسبهم من أسباب النصر فسألوا الله تعالى مستغيثيه فاستجاب لهم وانصرهم

ولكنك تجد الالاف من المسلمين الاعميين والمتعلمين يعارض هذه الاصول القطعية من التوحيد بشبهات تنقأها بعضهم من بعض بالتسايم والتقليد الجهلي وهي

ان ما ثبت في الكتاب من حياة الشهداء وما عليه جمهور أهل السنة من اثبات كرامات الاولياء يقتضيان جواز دعائهم ودعاء سائر الصالحين واستمعائهم على قضاء الحاجات وكشف السوء والنصر على الاعداء وسائر ما نعجز عنه من طريق الاسباب وسنن الله في الخلق - وهذه الشبهة باطلة من وجوه شرحناها في التفسير وباب الفتوى وغيره من المنار مرارا ، ومن أخصها ان حياة الشهداء من أمور عالم الغيب وكرامات الاولياء من خوارق العادات عند مثبتها وقد اجمعوا على ان كلامها يؤخذ ما مرح منه بالتسليم فليس للمجتهد أن يقيس عليه ولا أن يستنبط منه حكما شرعيا ولو لم يكن معارضا لنصوص الكتاب والسنة كاستعانة غير الله تعالى فكيف اذا كان كذلك وكان المستنبط مع هذا غير مجتهد ولا عالم كقولاء الجاهل وان كان فيهم معممون كثيرون ؟ وأما قصة عمر (رض) في نداء سارية فقد رواها البيهقي بسند ضعيف وذكرها السبكي في طبقات الشافعية

وأما سب هذا الخطيب للعالم الجليل السيد حسن مديق محيي السنة في بلاد الهند وغيره افهو من المعاصي المعلومه من الدين بالضرورة وأما زعمه أنه حرف في فتح الباري فكذب وهو لم يتول تصحيح فتح الباري وإنما صححه له عند طبعه بعض علماء مصر



أبطال وحدة الوجوه

وارد على القائلين بها

لشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية رضي الله عنه

وموسى لما قال لا آدم لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال آدم عليه السلام فيما قال لموسى : لم تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين عاما ؟ فنج آدم موسى - لم يكن آدم عليه السلام محتجا على فعل ما نهي عنه بالقدر ولا كان موسى ممن يحتاج عليه بذلك فيقبله بل آحاد المؤمنين لا يفعل مثل هذا فكيف آدم وموسى ؟ وآدم قد تاب مما فعل واجتبا به وهدى ، وموسى أعلم بالله من أن يلوم من هو دون نبي على فعل تاب منه فكيف بنى من الأنبياء ؟ وآدم يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يحتاج إلى التوبة ولم يجر ما جرى من خروجه من الجنة وغير ذلك ، ولو كان القدر حجة لكان لا بليس وغيره وكذلك موسى يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يعاقب فرعون بالغرق ولا بنو اسرائيل بالصعقة وغيرها كيف وقد قال موسى (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وقال (فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين) وهذا باب واسع وانما كان لوم موسى لا دم من أجل المصيبة التي لحقتهم بآدم من أكل الشجرة ولهذا قال : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ واللوم لأجل المصيبة التي لحقت الانسان نوع واللوم لأجل الذنب الذي هو حق الله نوع آخر ، فان الاب لو فعل فعلا افتقر به حتى تضرر بنوه فأخذوا يلومونه لأجل ما لحقتهم من الفقر لم يكن هذا كلومه لأجل كونه أذنب والعبد مأمور أن يصبر على المقدور ، ويطيع المأمور ، وإذا أذنب استغفر كما قال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال طائفة من السلف

هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم فمن احتج
 بالقدر على ترك الأمور، وجزع من حصول ما يكرهه من المقدور، فقد
 عكس الايمان والدين، وصار من حزب الملحدين المنافقين، وهذا حال
 المحتجين بالقدر فان أحدهم اذا أصابته مصيبة عظم جزعه وقل صبره فلا
 ينظر الى القدر ولا يسلم له، واذا أذنب ذنباً أخذ يحتج بالقدر، فلا يفعل
 المأمور، ولا يترك المحذور، ولا يصبر على المقدور، ويدعي مع هذا أنه من
 كبار أولياء الله المتقين، وأئمة المحققين الموجودين، وانما هو من أعداء الله
 الملحدين، وحزب الشيطان اللعين. وهذا الطريق انما يسلكه أبعد الناس عن
 الخير والدين والايمان، تجد أحدهم أخيراً الناس اذ قدر، وأعظمهم ظلماً وعدواناً،
 وأذل الناس اذ قهر، وأعظم جزعاً ووهناً. كما جربه الناس من الاحزاب
 البعيدين عن الايمان بالكتاب والمقابلة من أصناف الناس. والمؤمن ان قدر
 عدل وأحسن، وان قهر وغلب صبر واحتسب، كما قال كعب بن زهير في قصيدته
 التي أشدها للنبي صلى الله عليه وسلم التي أولها بانت سعاد الخ في صفة المؤمنين:
 ليسوا مفاريج إن نالت رماحهم يوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا
 وسئل بعض العرب عن شيء من أمور النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلم فقال: رأيت يَغلب فلا يبطر، ويَغلب فلا يضجر، وقد قال تعالى (قالوا
 ألمنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا، إنه من
 يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (وإن تصبروا
 وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) وقال تعالى (إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم
 من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال
 تعالى (وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) فذكر الصبر

والتقوى في هذه المواضع الاربعة فالصبر يدخل فيه الصبر على المقدور؛
والتقوى يدخل فيها فعل المأمور. فمن رزق هذا وهذا فقد جمع له الخير،
بخلاف من عكس فلا يتقي الله بل يترك طاعته منبعا لهواه ويحتج بالقدر،
ولا يصبر اذا ابتلى ولا ينظر حينئذ الى القدر، فان هذا حال الاشقياء
كما قال بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى أي
مذهب وافق هوالك تمذهب به؛ يقول أنت اذا أطعت جعلت نفسك
خالقا لطاعتك فتنسى نعمة الله عليك كي (١) أنه جعلك مطيعا له واذا عصيت
لم تعترف بأنك فعلت الذنب بل تجعل نفسك بمنزلة المجبور عليه بخلاف
مراده أو المحرك الذي لا ارادة له ولا قدرة ولا علم وكلاهما خطأ

وقد ذكر أبو طالب المكي عن سهل بن عبد الله التستري أنه قال : اذا
عمل العبد حسنة فقال : أي ربي أنا فعلت هذه الحسنة ، قال له ربه أنا
يسرّتك لها وأنا أعنتك عليها. فان قال أي ربي أنت أعنتني عليها ويسرّتي
لها، قال له ربه : أنت عملتها وأجرها لك . واذا فعل سيئة فقال أي ربي
أنت قدرت علي هذه السيئة قال له ربه : أنت اكتسبتها وعليك وزرها
فان قال أي ربي اني أذنبت هذا الذنب وأنا أتوب منه، قال له ربه : أنا
قدرته عليك وأنا أغفر لك. وهذا باب مبسوط في غير هذا الموضع

وقد كثر في كثير من المنتسبين الى المشيخة والتصوف شهود القدر فقط
من غير شهود الامر والنهي والاستناد اليه في ترك المأمور وفعل المحذور،
وهذا أعظم الضلال. ومن طردها القول والتزم لوازمه كان أكفر من اليهود
والنصارى والمشرّكين لكن أكثر من يدخل في ذلك يتناقض ولا يطارده قوله

« ١ » كذا في الاصل ولعل صوابه « في » وحذفه اولى

وقول هذا القائل هو من هذا الباب فقوله: آدم كان أمره بكل باطنا
فأكل، وإبليس كان توحيداً ظاهراً فأصر بالسجود لآدم فآدم غيراً فلم يسجد
فغضب الله عليه وقال (أخرج منها) الآية فإن هذا مع ما فيه من الاتحاد كذب على
آدم وإبليس فأدم اعترف بأنه هو الفاعل للخطيئة وأنه هو الظالم لنفسه وتاب
من ذلك ولم يقل أن الله ظلمني ولا أن الله أمرني في الباطن بالاكل، قال تعالى
(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وقال تعالى (قلنا
ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وإبليس أصر
واحشج بالقدر فقال (ربي بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولا غوينهم أجمعين)
وأما قوله: رآه غيراً فلم يسجد - فهذا شر من الاحتجاج بالقدر فإن
هذا قول أهل الوحدة الملحدين وهو كذب على إبليس فإن إبليس لم
يمتنع من السجود لكونه غيراً بل قال (أنا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين) ولم تؤمر الملائكة بالسجود لكون آدم ليس غيراً
بل المغايرة بين الملائكة وآدم ثابتة، عروفة والله تعالى (علم آدم الاسماء
كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين*
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) وكانت
الملائكة وآدم معترفين بأن الله مبين لهم وهم مغايرون له ولهذا قالوا:
دعوه دعا العبد ربه فأدم يقول (ربنا ظلمنا أنفسنا) والملائكة تقول:
لا علم لنا الا ما علمتنا) وتقول (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) الآية وقد قال تعالى
(أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وقال تعالى (أغير الله أتخذوليا
فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم) وقال أفغير الله أتبغي

حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا (فلو لم يكن هناك غيره لم يكن
المشركون أمروه بعبادة غير الله ولا اتخاذ غير الله وليا ولا حكما فلم يكونوا
يستحقون الانكار، فلما أنكر عليهم ذلك دل على ثبوت غير يمكن عبادته
واتخاذهم وليا وحكما، وانه من فعل ذلك فهو مشرك بالله كما قال تعالى (ولا
تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) وقال (لا تجعل مع الله الها
آخر فتقع مذبذوبا مخذولا) وأمثال ذلك

وأما قول القائل ان قوله (ليس لك من الامر شيء) عين الاثبات
للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) فهذا بناء على قول
أهل الوحدة والاتحاد، وجعل معنى قوله (ليس لك من الامر شيء) اي
فعلك هو فعل الله لعدم المغايرة وهذا ضلال عظيم من وجوه

(احدها) ان قوله (ليس لك من الامر شيء) نزل في سياق قوله
(ليقطع طرفا من الذين كفروا اويكبتهم فينة قلبوا خائنين * ليس لك من
الامر شيء او يتوب عليهم اويعذبهم فانهم ظالمون) وقد ثبت في الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو على قوم من الكفار او يلعنهم في القنوت
فلما انزل الله هذه الآية ترك فلم ان معناها افراد الرب تعالى بالامر وانه
ليس لغيره امر بل ان شاء الله تعالى قطع طرفا من الكفار وان شاء كبتهم
فانقلبوا بالخسارة وان شاء تاب عليهم وان شاء عذبهم. وهذا كما قال في
الآية الاخرى (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت
أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) ونحو ذلك قوله تعالى
(يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل ان الامر كله لله)

(الوجه الثاني) ان قوله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) لم يرد به ان فعل العبد هو فعل الله تعالى كما تظنه طائفة من الغالطين فان ذلك لو كان صحيحاً كان ينبغي ان يقال لكل احد حتى يقال للماشي ما مشيت إذ مشيت ولكن الله مشى ، ويقال للراكب وما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب ، ويقال للمتكلم ما تكلمت إذ تكلمت ولكن الله تكلم . ويقال مثل ذلك للآكل والشارب والصائم والمصلي ونحو ذلك ومرد ذلك يستلزم ان يقال للكافر ما كفرت اذ كفرت ولكن الله كفر . ويقال للكاذب ما كذبت اذ كذبت ولكن الله كذب . ومن قال مثل هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين . ولكن معنى الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وماهم ولم يكن في قدرته ان يوصل الرمي الى جميعهم فانه اذا رماهم بالتراب وقال شاهت الوجوه ولم يكن في قدرته ان يوصل ذلك اليهم كلهم فאלله تعالى أوصل ذلك الرمي اليهم بقدرته ، يقول وما أوصلت اذ حذفت ولكن الله أوصل ، فالرمي الذي أثبت له ليس هو الرمي الذي تقاه عنه وهو الايصال والتبليغ وأثبت له الحذف والالقاء وكذلك اذا رمى سهما فواصلها بقدرته (الوجه الثالث) انه لو فرض أن المراد بهذه الآية أن الله خالق أفعال العباد فهذا المعنى حق وقد قال الخليل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) فאלله هو الذي جعل المسلم مسلماً

وقال تعالى (إن الانسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً) فאלله هو الذي خلقه هلوعاً لكن ليس في هذا أن الله هو العبد، ولأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، ولا أن الله حال في العبد. فالقول بأن الله خالق أفعال العباد حق والقول بأن الخالق حال في

المخلوق أو وجوده وجود المخلوق باطل وهؤلاء ينتقلون من القول بتوحيد الربوبية الى القول بالحلول والاتحاد وهذا عين الضلال والالحاد (الوجه الرابع) ان قوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لم يرد انك أنت الله وانما أراد انك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه فمن بايعك فقد بايع الله كما أن من أطاعك فقد أطاع الله ولم يرد بذلك أن الرسول هو الله. ولكن الرسول أمر بما أمر الله به فمن أطاعه فقد أطاع الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أطاعني فقد أطاع الله » ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني، ومعلوم أن أميره ليس هو آياه ومن ظن في قوله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) أن المراد به أن فعلك هو فعل الله أو المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك فهو مع جهله وضلاله بل كفره وإلحاده قد سلب الرسول خاصيته وجعله مثل غيره، وذلك أنه لو كان المراد به أن خالق لفعلك لكان هنا قدر مشترك بينه وبين سائر الخلق، وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله ومن بايع مسيلمة فقد بايع الله ومن بايع قادة الأحزاب فقد بايع الله، وعلى هذا التقدير فالبايع هو الله أيضا فيكون الله قد بايع الله إذا الله خالق لهذا ولهذا، وكذلك اذا قيل بمذهب أهل الحلول والوحدة والاتحاد فإنه عام عندهم في هذا وهذا فيكون الله قد بايع الله. وهذا يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلولية حتى إن أحدهم اذا أمر بهتال العدو يقول أقاتل الله ؟ ما أدر أن أقاتل الله ونحو هذا الكلام الذي سمعناه من شيوخهم وبيننا فسادهم وضلالهم غير مرة وأما الحلول الخاص فلاس هو قول هؤلاء بل هو قول النصارى ومن وافقهم من الغالية (١) وهو باطل أيضا فان الله سبحانه قال له (ليس

لك من الامر شيء) وقال (وانه لما قام عبد الله يدعوه) وقال (سبحان الذي
أسرى بعبده ليلا) وقال (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) وقال (لقد
رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل
السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا * ومنهم كثيرة يأخذونها وكان الله
عزيزا حكما)

فقوله (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة)
يبين قوله (ان الذين يبايعونك اما يبايعون الله) ولهذا قال (يد الله فوق
أيديهم) ومعلوم أن يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت مع أيديهم
كانوا يصافحونه ويصفقون على يده في البيعة، فعلم أن يد الله التي فوق
أيديهم ليست هي يد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الرسول عبد الله
ورسوله فبايعهم عن الله وعاهدهم وعاقبهم عن الله، فالذين بايعوه بايعوا الله
الذي أرسله وأمره ببيعتهم، ألا ترى أن كل من وكل شخصا بمقد مع
الوكيل كان ذلك عقداً مع الموكل ومن وكل نائباً له في معاهدة قوم؟
فماهدم عن مستنبيه كانوا معاهدين لمستنبيه ومن وكل رجلاً في نكاح
أو تزوج كان الموكل هو الزوج الذي وقع له العقد وقد قل تعالى (ان
الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية ولهذا
قال في تمام الآية (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)
فتبين أن قول ذلك الفقير هو القول الصحيح وان الله اذا كان قد
قال لنبيه (ليس لك من الامر شيء) فإيش نكون نحن وقد ثبت عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم في الصحيح أنه قل « لا تطروني كما أطرت
النصارى المسيح بن مريم فانما أنا عبد فتولوا عبد الله ورسوله » (لهابقية)

المقالة الخامسة (*)

(ماينبغي للمسلمين علمه وعمله)

أيها المسلمون

ان الحجاز مهد دينكم، وفيه بيت ربكم، وهو قبلة صلاتكم، ومشاعر نسككم، وشعائر الله لكم، فيه يقام الحج الاكبر، الذي هو ركن الاسلام الاجتماعي الاوحد، وفيه مقام ابراهيم، وقبر نبيكم الكريم، عليهما من الله أفضل الصلاة والتسليم. وقد جاء الاسلام بحرية الاديان الا في حرم الله وحرم رسوله وسياحتهما من جزيرة العرب، فهما خاصان بدين الاسلام، وقد امتدت اليهما أيدي غير المسلمين في هذه الايام

روى الامام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله تعالى عنه قالت آخر ما عهد رسول الله (ص) ان قال « لا يترك بجزيرة العرب دينان » وروى أحمد ومسدد والحميدي في مسانيدهم والبيهقي في سننه من حديث أبي عبيدة (رض) قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب » وفي رواية نصارى نجران

وروى أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال : اشتد برسول الله (ص) وجهه يوم الخميس وأوصى عند موته بثلاث « اخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » قال سليمان الاحول راوي الحديث عن سعيد بن جبير الذي سمعه من ابن عباس : ونسيت الثالثة. وحملها العلماء بالاحتمال على ما صح من وصاياه الاخرى في مرض موته — صلى الله عليه وسلم — كقوله « لا تتخذوا قبوري وثنا » وفي موطأ الامام مالك ما يشير الى ذلك — أو وفد أسامة — أو الوصية بالنساء والرقيق .

وقد أجلى النبي (ص) بني قينقاع وقريظة والنضير المحاربين له من يهود

(*) نشرت في الاهرام بتاريخ ١٩ ربيع الاول ١٨ أكتوبر

(المنار ج ٩) (٨٥) (المجلد الخامس والعشرون)

المدينة وأنذر من بقي من اليهود الجلاء بعد عجزهم عن قتاله ليخرجوا بسلام ويحفظوا أموالهم، فقد روى البخاري في مواضع من صحيحه وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة قال: بينما نحن في المسجد خرج النبي (ص) فقال «انطلقوا الى يهود» فانطلقنا حتى جئنا بيت المدراس (هو بوزن المفتاح العالم الذي يدرس كتابهم) فقال «أسلموا واسلموا، واعلموا ان الارض لله ورسوله، وانني أريد ان أجعلكم من هذه الارض فمن يجد منكم بماله (أي بدل ماله) شيئاً فليبعه - فاعلموا ان الارض لله ورسوله» والمراد أرض المدينة وسائر الحجاز

وروى أحمد ومسلم والترمذي من حديث عمر بن الخطاب (رض) انه سمع رسول (ص) يقول «لا يخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها الا مسلماً» ولما كان أبو بكر (رض) لم يتسع له الوقت لتنفيذ هذه الوصية نفذها عمر (رض) فقد روى البخاري عن عبد الله ان عمر والده (رضي الله عنهما) أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وذكر يهود خيبر الى ان قال: اجلاهم عمر الى تيماء وادبحاء.

سبب هذه الوصية النبوية معروف دلت الاحاديث الصحيحة وهو ان الله تعالى أطلع رسوله (ص) على ما سيكون من مطاردة الامم لامته وسلبهم اياها ما يخولها الله تعالى من الملك، ومحاولتهم القضاء على دينها بعد القضاء على ملكها، فاراد ان يكون مهد الاسلام معقلاً لها تعتصم فيه، ولا تجعل للامم التي ستبغى عليها سبيلاً للتدخل في شؤونها، كما تفعل الآن دول الاستعمار الكبرى، وفي مقدمتها حليفة البيت الحسيني في الحجاز بريطانيا العظمى: هذه الدولة التي أرادت ان تجعل طائفة القبط وسيلة لحرمان مصر من الاستقلال فلما خيبوا أملها خلقت مسألة الاقليات بدون قيد، وكلفت نفسها بدون اذنهم، ان تبقى محسلة لاضر لاجل حمايتهم - هذه الدولة التي خلقت للعراق العربي شعباً اشوريا قضى عليه التاريخ منذ ألوف السنين فقلدته السلاح وحماته على مطالبة جمعية الامم بتأسيس دولة جديدة له في العراق، لاجل العداء والشقاق، وانتدع به لابقاء العراق تحت ساططها الى

يوم التلاق . . هذه الدولة التي مازالت تكبد للدولة العثمانية وتتوسل الى اسقاطها بالارمن والروم وغيرهم الى ان سقطت وزالت من الارض فحاولت القضاء على شعبيها الاسلاميين الكبارين . . العرب والترك — فحالت احداث الزمان دون الاجهاز على الشعب التركي ، ووجدت من حسين المكي وأولاده أقوى نصير للقضاء على الشعب العربي ، فلما ساط الله تعالى عليه شعباً شديداً الاعتصام بالاسلام ، طرده من الحجاز في هذه الايام ، قامت جرائدهم تدعو بالويل والثبور ، وتنذر قومها الخطر الاسلامي العربي على ما سلبوا من بلاد العرب ان ينفلت من أيديهم

أيها المسلمون ؟ تأملوا الشواهد على صحة قولي هذا لعلمكم تتفكرون : روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً الى النبي (ص) قال « ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدا ، ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » وروى الترمذي من حديث عمرو بن عوف مرفوعاً اليه (ص) قال « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الاروية من رأس الجبل (١) ان الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سني »

وملخص معنى هذه الاحاديث أن المسلمين سيطراً عليهم الفساد بالبدع حتى يكون الاسلام نفسه غريباً فيهم ومحتاجاً الى الاصلاح — وأنهم سيضطهدون دينهم ولاجل دينهم ، حتي لا يجحدون ملجأ يعتصمون فيه لاقامته الا معقله الذي ظهر فيه غريباً وهو الحجاز ، فيكون فيه عزيزاً قوياً كعصم الوعول في شناخيب الجبال . ومن تمام التشبيه ان يستتبع ذلك ما استتبعه أولاً من الملك والعمران (إن شاء الله) أيها المسلمون : الى متى أتم غافلون ، ان الدولة البريطانية ولاية حسين بن علي المكي وأولاده من دون الله والمسلمين هي التي أخذت على نفسها القضاء على دين الاسلام في الشرق بعد القضاء على حكمه . وقد سلكت أقرب الطرق الى

(١) أرز : كلم وضرب ونصر : تجمع وانكش وعاد وثبت . والاروية بضم الهزة وكسر الواو وتشديد الياء انش الوعول وهي تعتمص في أعلى الجبال

ذلك وأقلها خسارة ونفقة ؛ وهو جعل الشعوب الاسلامية أسلحة لها تضرب بعضهم ببعض ، الى أن يهلك الجميع وتكون السيادة لها وحدها على بلادهم — وهي هي التي قاتلت المصريين باذن ولاية الامر من السلطان والحديو — وهي هي التي قاتلت السودانيين بالمصريين ، وهي هي التي قاتلت قبل ذلك بعض ملوك الشرق وأمراءه ببعض ولاسيما في الهند ، كما سترون في المنار من مقال للسيد جمال الدين الافغانى (١) الذي كان أول من نبه الشرق عامة والمسلمين خاصة لعداوتها — وهي هي التي قاتلت الترك بالعرب الذين خدعهم ملك الحجاز وأولاده حتى سلبت منهم أخصب بلادهم وقررت اعطاء البلاد المقدسة منها لليهود ، وجعلهم شعبا جديدا قويا بين مصر وسورية والحجاز ، يستعينون به على أهلها من العرب في حرمانهم من رقبة بلادهم وخيراتها — وهي هي التي ألقت العداوة والبغضاء بين امام اليمن والسيد الادريسي — وهي هي التي أغرت العداوة والبغضاء الموروثين بين النجديين وأمراء الحجاز — وهي هي التي أطعمت اطاعت حسين بن علي بالخلافة الاسلامية وملك العرب كلهم تحت حمايتها ، وقد بينا بعض الوثائق الرسمية في ذلك كله أنها المسلمون : ان العقل وحالة الاجتماع العامة وتقاليد السياسة الانكليزية الحارقة كلها تؤيد معنى ماورد في الحديث لذي صدقته وقائع التاريخ التي أشرنا اليها آنفا من ان الله لا يهلك المسلمين الا بقتال بعضهم لبعض

روى مسلم من حديث ثوبان (رض) قال قال رسول الله (ص) « ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها (٢) وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنز بن الأحمر والأبيض ، وأني سألت ربي لا أمتي أن لا يملكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليها عدو من سوى أنفسهم يستبيح بضعتهم (٣) وان ربي قال لي يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، وأني أعطيتك لانتك ان

«١» نشر هذا المقال في ج ٧ و ٨ وكان الوعد في الاهرام قبل صدورهما

(٢) زوى الشيء يزويه جمعه وقبضه والمراد انه تعالى أطلعهم عليها

«٣» يكفى بالبيضة عن موضع سلطة القوم وملكهم ومستقر قوتهم وما يحذون من حقيقةتهم

ان لا اهلكهم بسنة عامة ، وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح
بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها — أو قال من بين أقطارها — حتى
يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا »

وقد ظهر صدق هذا الحديث في الفتح الاسلامي للشرق والغرب ، ثم في
ذهاب ملك المسلمين كما أشرنا اليه آنفا في شأن بعض دول الشرق الاسلامي ومثله
دول الغرب القديمة والحديثة فلولا تفرق أهل الاندلس وتعاديهم وتقائلمهم لما زالت
دولهم وورثها الاسبانيون ، ولولا مسلمو مراکش لما فتحت فرنسا الجزائر ثم لولا
مسلمو الجزائر لما استتوات فرنسا على مملكة مراکش

أيها المسلمون ! لا يكن أمركم عليكم غمة في مسألة زحف النجديين لا نقاذ
الحجاز من صنيعه الاجانب حسين المكي وأولاده . قد بينا لكم بالوثائق الرسمية
حقيقة السبب الحامل للسلطان ابن سعود على ذلك وانه اسلامي محض لتأمين
فريضة الحج ومنع الاحاد والظلم في الحرم وقطع عروق النفوذ الاجنبي في مهد
الاسلام ، المانع من تنفيذ وصية المصطفى عليه الصلاة والسلام

وكذا منع حسين وأولاده مما صرح به رسميا من عزمه على اخضاع جميع حكومات
جزيرة العرب لحكمه قبل ادعائه الخلافة فكيف يكون خطره بعد ادعائه حق
الولاية العامة عليهم شرعا ؟

أرجف بعض الكتاب الذين يخدمون السياسة الانكليزية من طريق الحجاز بأن
سلطان نجد يريد اكرام حسين بصفته على توقيع المعاهدة العربية البريطانية ، فتنى خضم
عاد جيش نجد أدراجه ، ورددت جرائد أخرى هذا الارجاف فظهر كذبهم
وارجفوا بأن ابن سعود ينفذ للانكليز في الحجاز ما لم ينفذه حسين وأنهم
هم الذين أغروه بالاستيلاء على الحجاز ، فظهر كذبهم أتم الظهور بما نشرته صحيفة
إرجافهم بمصر من برقيات لندن — أولا — من خبر الاتفاق بين ابن سعود ونوري باشا
الشمعان رئيس قبائل الرولة على سماح الاول للثاني ببقعة الجوف بشرط منع
الانكليز من مد سكة حديدية بين فلسطين والعراق — وثانيا — ببرقية التيمس

التي أرسلها اليها مراسلها من الاسكندرية الناطقة بأن احتلال ابن السعود للحجاز وموانئه الواقعة على البحر الاحمر مفعم بأخطار شديدة ١١ وأنه يحمل معظم القبائل على الانضواء الى كتفه والسير تحت لوائه — وأنه يرجح أن ينتقل من انقاذ الحجاز الى انقاذ شرق الاردن وفلسطين وكذا اليمن على احتمال

ثم ان هذا الانكاي في الغيور على الاسلام والعرب طعن في دين الوهابيين ومذهبهم ووصفهم بالتوحش وكراهة المدنية وأظهر خوفه وحذره من اكراههم لغيرهم على اتباع مذهبهم وغيرته على المآهد المقدسة ١١ واستدل بهذا كله على انه يجب على الدولة البريطانية وهي أكبر دولة اسلامية (١١) ان تبادر الى رد الوهابيين عن الحجاز قال « فتقد بذلك المآهد المقدسة في الحجاز من ان تمسها يد الوهابيين بالتدمير والتخريب — وليس ذلك فقط — بل تزيل أيضا خطرا شديدا يهدد البلاد العربية ، وتقضي على عامل يفاق السلم في جزيرة العرب ، فاذا لم تزل زوالا تاما قلما تخفف من حدته كثيرا »

المعنى الصريح المراد من هذا الكلام أن انكلترا ترى من أعظم الخطر على سياستها في البلاد العربية أو الاسلامية أن يوجد في المسلمين أمير مسلم قوي ولا سيما اذا كان مسلما مؤمنا معتصما بدينه مؤيدا بشعب صادق الايمان كابن سعود وقومه ، لا يباع ولا يشتري بالذهب الانكاي في ولا بالالقب الفخمة الضخمة كحسين وأولاده ، لان قوة مثل هذه تحول دون نجاح السياسة البريطانية في ازالة الاسلام من الارض من حيث هو دين سيادة وسلطان ، ثم في ازالته من الارض من حيث هو دين عقيدة وإيمان ، ويستتبع ذلك احتمال انقاذ ما استبدته من الشعوب الاسلامية والعربية .

ثم إن مراد كتاب الانكاي وصنائعهم بمصر من نشر هذه الارجيف والنضيلات تمهيد السبيل لحل المسلمين في مثل الهند ومصر وفلسطين وسورية على استتباع استيلاء الوهابيين على الحجاز ، وتغني اخراجهم منه لتتوسل الدولة البريطانية بذلك الى بذل قوتها لاجلائهم عنه خدمة للاسلام والمسلمين (١١)

لأنها شديدة الحب لهذا الدين والایمان به ومنغمة القلب بحب المسلمين كافة كما فعلت من قبل في احتلال أوطانهم خباياهم وتكريما لدينهم (١١) وهل كان فتحها الصليبي للقدس الشريف واحتفالهم بذلك في جميع كنائسهم الا من آثار هذا العشق والغرام ؟ وهل تملكها رقة فلسطين لليهود الصهيونيين وتجدد ملك لهم في قلب بلاد العرب الا من عشق الاسلام والمسلمين كافة ، والعرب منهم خاصة (١١) يظهر ان مدير التيمس ومراسل التيمس بمصر وأمثالهما لا يزالون يظنون كما يظن رجال الوزارة الخارجية البريطانية ان المسلمين لا يزالون كالبه يصدقون كل ما يقول الانكليز بدليل ان بعض أهل فلسطين وسورية والعراق لا يزالون يعظمون حسيننا وقبصلا وعبدالله مع ظهور خيانتهم للامة العربية وجنائتهم على الدين الاسلامي والصواب الذي يجب ان يعرفه الانكليز هو ان السواد الاعظم من المسلمين صاروا على الرأي الذي سمعته من حسنى افندي أحد مشايخ الاسلام المتأخرين في الاستانة وهو: ان كل ما تقول دول أوربة لنا انه مفيد لكم فهو ضار بنا ، وكل ما تقول لنا انه ضار بكم فهو نافع لنا ، فليرجع الساسة الانكليز عن هذه الوسائل السخيفة ، للتنكيل بالامم الضعيفة ، مع ادعاء المقاصد الشريفة ، وايرجعوا عن مطامعهم التي لاحد لها فان ذلك خير لهم

أيها المسلمون : حسبكم ما بينا لكم من الدلائل في هذه المقالات وغيرها تبلى مصابب الاسلام والعرب بهذا البيت الحجازي ووجوب تطهير الحجاز من جنائياته على العرب والاسلام ، وقد سخر الله لحرمه من أنقذه بأهون الوسائل فاذا يجب عليكم الان ؟ خذوا رأي أخيك كاتب هذه المقالات الذي درس مسألة جزيرة العرب وأمرائها وسياسة الاجانب فيها بالعلم والعمل درسا طويلا عريضا عميقا في أكثر من ربع قرن وألخص ما يتعلق منه بموضوعنا في القضايا الآتية :

١ - ان أعظم جناية يجنيها مسلم على الاسلام والمسلمين والعرب السعي لاقرار سلطة علي بن حسين وابقائه ملكا على الحجاز فقد سنحت الآن الفرصة لأعظم إصلاح يمكن أن يقوم به المسلمون في مهد دينهم فاذا اضاعوها يخشى أن لا تعود

قد تولى اماره الحجاز كثيرون من هؤلاء الناس الذين يسمون شرقاء مكة في بضعة قرون فلم يخرج منهم مصلح في علم ولا عمل ولا ديانة ولا سياسة ولا ادارة، بل كان أكثرهم مفسدين ظالمين، وأقلامهم غير نافعین ولا ضارين، والدليل على ذلك سوء حالة الحجاز في جميع هذه القرون، ورجوع بدوہ الى شر مما كانوا عليه في الجاهلية، وكون حضره اسوأ حالا من جميع سكان المدن في البلاد الشرقية وقد كان شرهم وأطمعهم وأشددم إلحادا وفسادا للدين والدنيا حسين بن علي الذي لم يبلغنا ان أحدا من الامراء أبغضه أهل ملته وذموه مثله . وهذا والله قد سمي ملكا في أسوأ حال نصب فيها حاكم في أمة أو بلد ينهزم أمام الفاتحين من مكان الى مكان ويبتغيث بجميع أهل الملل والنحل من جميع الأمم لينقذوه من هؤلاء الفاتحين، ثم هو يقر حكومة والده الممقوتة برجالها كلهم ويبدأ أعماله السياسية بأمر وكيل والده في لندن بعقد تلك المعاهدة التي بين فسادها كتاب المسلمين في مشارق الارض ومغاربها

٢ — إنه لم يكن يوجد في الدنيا شعب اسلامي غير النجديين يمكنه انتفاذ الحجاز من الخطر الذي كان محيطا به بعد احتلال الاجانب لفلسطين وسورية والعراق، واستيلائهم على سكة الحديد الحجازية من جانب العمران، وقد كان هذا البلاء المبین بمساعدة هذا البيت الحجازي . وها نحن أولاء نسمع ونقرأ ما يهدد الانكليز به الحجاز من عدم السماح لقوة اسلامية تؤسس فيه لثلاث تكون خطراً على ما صاروا يمدونه ملكا لهم من بلاد العرب التي يزعم حسين وأولاده أنهم أنقذوها (فلسطين وشرق الاردن والعراق)

ولا يخفى عليكم أن مقتضى القاعدة السياسية الانكليزية وجوب الاستيلاء التام على الحجاز واحتلاله بالقوة العسكرية ان لم تكن تحت الاشراف البريطاني لاجل الامن على المواصلات البريطانية بين فلسطين والعراق

٣ — أعلموا أنه لا توجد حكومة اسلامية غير حكومة نجد تقدر الآن على حفظ الامن في الحجاز ومنع التمدي على الحجاج، ثم على اصلاح حال قبائل

الاعراب فيه ومنهم من النزول لجرد التعدي أو الكسب والنهب ، فيجب أن يعضدها جميع العالم الاسلامي ، وسيرون صحة قولي في هذا كما رأوه في غيره ولا سيما الأرجاف الاخير بالخوف على الكعبة المشرفة أن يهدمها الوهابيون أو يمزقوا استارها ، وأمثال هذه الاكاذيب التي كان يذيعها الانكليز ومروجو سياستهم الحجازية في مصر وسورية فقد دخلوا مكة كما دخلها أجدادهم في فجر القرن العشرين معتمرين فطافوا بالكعبة المعظمة وقبلوا الحجر وصلوا سنة الطواف ثم الفريضة وآمنوا جميع الاهالي من كل اعتداء فلم يعتدوا على احد ، وسيلفون جميع الضرائب والمضارم التي أرهق حسين بها الناس . ولما علم ذلك عاد الذين كانوا فارين من مكة الى جدة من الطريق ولا بد أن يكون جميع الذين فروا الى جدة قبل ذلك قد ندوا لتصديقهم الملك السابق والملك اللاحق بأن الوهابية تميزقون أشلاءهم ، ويقترون بطون نسائهم ، ويقطعون أعضاء أطفالهم على مرأى منهم ، ثم ينهبون جميع ما يملكون . . .

٤ — انه لا يلبق بالاسلام، ولا بيت الله الحرام ، أن يكون في مكة وهي البلد الامين، والمعبد الاعظم للمسلمين، ملك قاهر مستعل على الناس يقتل ويسجن ويغذب ويفرض الغرامات ويعادي جيرانه ويقاثلهم ، بل يجب أن يكون فيها حكومة يديرها مجلس شرعي منتخب من خيار علمائها وعلماء الشعوب الاسلامية الاخرى ويكون لهم رئيس يختارونه من أنفسهم في كل سنة ولا يكون لاي فرد من الافراد أن يستبد بأي أمر في حرم الله برأيه

٥ — يجب أن يكون الحجاز قطراً على الحياد لا يقاتل ولا يقاثل ولا يكون لاحد من الاجانب غير المسلمين نفوذ فيه ولا حق سكنى ولا ملك ولا حماية أحد من الحجاج ولا من غيرهم . ولا يوجد مسلم يعرف دينه برضى أن يكون بلد الله الامين تحت حماية حاكم غير مسلم أو يجعل نفسه ذريعة لتدخله في شؤونه ، واهانتة لحكومته الاسلامية . واذا كان قد عهد من أجهل المسلمين التابعين لدول غير اسلامية الصبر الجميل على ظلم أمراء مكة القبيح ولم يستحلوا أن يشكوا ذلك لحكوماتهم فكيف يكون شأنهم اذا هارت حكومة الحجاز

شرعية شورية لا استبداد فيها ولا مجال للاستبداد

٦ — يجب أن يكون الحجاز مهد العلم والصلاح والاصلاح . وقد الفت في القاهرة جمعية اسلامية عامة للسمي لما يجب من تأمينه وحياده السلمي باعترف جميع الدول ومن الاصلاح فيه اسمها (جمعية السلم العام في بلد الله الحرام) وستعلن الدعوة اليها

٧ — ان ما أشرنا اليه وتقلنا به في المقالة الرابعة من أقوال سلطان نجد وبلاغه نجله وما لدينا من الاطلاع الخاص يعطينا اعتقادا جازما بأن السلطان عبد العزيز بن سعود يقبل بكل ارتياح أو يدعو الى عقد مؤتمر اسلامي في مكة المكرمة يؤلف من خواص مسلمي الشعوب الاسلامية للبحث وتقرير النظام الذي أشرنا اليه ، كما أنه سيرسل وفدا من علماء نجد لحضور مؤتمر الخلافة الذي سيعقد في مصر ، فهل كان أحد من المسلمين يطمع في شيء من هذا قبل انقاذ هذا الرجل العظيم للحجاز من قبضة الطاغوت ؟

المقالة السادسة (٥)

﴿ ماذا يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية وقبة الحرم الشريف ﴾

كثير المثنون علينا من قراء هذه المقالات من العلماء والفضلاء قولاً وكتابةً هل ما بينا لهم من الحقائق ، مؤيدة بالدلائل والوثائق ، كما كثير طلاب (الهدية السنية ، والتحف الوهابية النجدية) حتي صارت تطلب من الاقطار البعيدة ، ووزعت منها ألوف عديدة ، وكثير السائلون لنا عما يشتهر عليهم من هذه الرسالة ومن أقوال الجرائد ، فأما من يلقوننا منهم فأننا نجيب كل سائل بقدر ما يتسع الوقت ، وأما الذين يكتبون الينا منهم فتعذر لهم ، بأننا لا نجد وقت فراغ من أعمالنا الضرورية نصرفه في الكتابة لهم وان كنا نعتقد أن الكتابة مفيدة لمن أراد أن يستفيد

(*) نشرت في الاهرام بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ١٣٥٥ اكتوبر

ومن الاشئلة الكتابية سؤال أرسل إلنا من طريق جريدة الاهرام هو أجدرها بأن لا يجاب عنه ، وان كان مرسله مستعجلاً لا صبر له ، إذ هو يسأل عما يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية اذا هم فتحوا مكة والمدينة ، ويقم عليهم الحجة اذا هم فعلوا ما زعم أنهم يدينون الله تعالى به واذا هم لم يفعلوا على سواء . فأنا لا يعني أن أبحث في أمر المستقبل وما عسى أن يفعل الوهابية فيه ، ولا يعني أن يخطيء القوم في أمر فتقوم به عليهم الحجة ومتى فعلوا شيئاً يعلم السائل وغيره ذلك ، وهم على تشددهم في الدين غير معصومين ، فان وقع منهم خطأ فقد وقع ممن هم خير منهم كالصحابة الذين قتلوا جماعة أسلموا بأمر خالد بن الوليد (رض) لانه لم يثق باسلامهم فلما أخبر النبي (ص) بأمرهم قال « اللهم أبرأ اليك مما فعل خالد ، اللهم إني أبرأ اليك مما فعل خالد » رواه البخاري وغيره

والكنني وجدت باعثاً دينياً دعاني للإجابة عن هذا السؤال الذي هو غير جدير بالإجابة عنه لذاته ، وهو أن أبين للعامة من الناس الذين لم يطلعوا على كتب السنة أصح ما ورد في هذا الباب ، مع فوائد أخرى تتعلق بما في السؤال من الاحتجاج ، اقتداء بما ورد في آخر كتاب العلم من صحيح البخاري في (باب من أجاب السائل بأكثر مما سأل)

وهذا نص السؤال :

السلام عليكم ، وبعد : رأيك يا أستاذ ، لو تم الاخوان الوهابيين فتح مكة والمدينة ، يهدمون قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، أعني يحطمون ما حوله من بناء وما فوقه من قباب ، اذاً أنهم يدينون بتحريم ذلك ، ويعتقدون أنها بدع يجب استئصالها ؟

وهل لا يغضب العالم الاسلامي لمثل ما يأتون اذا حصل . . . ؟ واذا راعى الاخوان في ذلك شعور العالم الاسلامي وتحاشوا تلك الاعمال عند هذا المقام ، فما معنى تلك الاسطر الكثيرة التي خطوها في هذا الباب ؟ أو هل كان النص تنقطع سلسلة اتباعه هنا ، فهو مقصود على قبر غير النبي (ص) . . . ؟

عجل ياسيدي باجابتي وتقبل جميل اختراماني
محمد ابراهيم خليل يولاق

جواب السؤال :

(١) الذي نغتنه أن الوهابيين لا يهدمون الحجرة التي فيها القبر الشريف وما قاله السائل من أنهم يدينون الله تعالى بتحريم ذلك البناء ويعتقدون أنها بدع يجب استئصالها—فيه نظر فان البدع المخالفة لصرح السنة هي اتخاذ القبور مساجد بأن يدفن الميت في المسجد أو يبني المسجد على القبر... كما يعلم مما يأتي، وقبر النبي صلى الله عليه وسلم منفصل من المسجد في بناء وحده كان بيت زوجته عائشة رضي الله عنها وعن أبيها فالذي يصلي في المسجد لا يمد مصليا إلى القبر، وإذا كان بعض الناس يدخل الحجرة الشريفة فيصلي إلى القبر يسهل منه وقد استولى القوم على الحرم الشريفين في فجر القرن الثالث عشر الهجري (الموافق لاول القرن التاسع عشر الميلادي) ولم يهدموا الحجرة الشريفة، ولكن روى بعض المؤرخين أنهم ازالوا من فوق قبة الحرم النبوي الشريف ما كان من شكل الهلال والكرة المذهبين، وأنه كان من مرادهم هدم القبة ولكن سقط اثنان من الفعلة الذين صعدوها لازالة الكرة والهلال الذهبين فماتا فامتنعوا من هدم القبة لذلك، والمعلوم قطعا أنهم لم يهدموا تبة الحرم ولم يحدثوا اعتداء ولا تغييرا في القبر الشريف، وربما كان نزع الكرة والهلال لاعتقادهم أنهما من الذهب فرأوا أن الاتفاف بهما في خدمة الدين التي يعتقدون القيام بها أولى من وضعها فوق القبة. على أن هذا الزخرف في بناء المساجد ليس من الدين في شيء بل هو من البدع التي تفاخر بها الملوك فأنكرها عليهم بعض العلماء وسكت عنها بعضهم خوفا منهم، أو لانهم عدوا الكثير منها من البدع الدنيوية التي لا تمس العقائد ولا العبادات. ثم ابتدع هؤلاء الملوك بناء المساجد على قبورهم فكانوا يوصون بذلك فينفذه أخلافهم. وهو محرم بالنصوص الصحيحة الصريحة. فأنكره قليل من العلماء الربانيين، وسكت عنه الآخرون خوفا من شرهم، أو طمعا في برهم، كما يعلم من

الشواهد التي نزيدها على جواب السائل الفاضل

(٢) ان العالم الاسلامي يفضب أشد الغضب ان هدموا القبة الخضراء أو شيئاً من جدران الحجرة الشريفة لان هذه المظاهر الفخمة والزخارف الجميلة تعد في عرف جميع العوام وكثير من يسمون الخواص من قبيل شعائر الاسلام، والمشعر الحرام، بل هي عندهم أفضل من الركن والمقام، واهم من الصلاة والصيام، ومنهم من يذهب الى الحجاز لاجل الزيارة ولا ينخشم الرؤية هذه المباني الفخمة. فاذا كان في ازالة شيء منها مصالحة من بعض الوجوه كالرجوع في الامور الدينية وما يتعلق بها الى مثل ما كانت عليه في عصر السلف والتميز بين ما هو مطلوب شرعاً وما هو محذور أو غير مطلوب — فان فيه مفسدة أكبر والحال في أكثر البلاد الاسلامية على ما ذكرنا حتى صح فيها ما تنوء به خطباء المنابر من تحول المعروف منكراً والمنكر معروفاً. ودرء المفسدة مقام على جانب المصالح بشرطه المعروف عند العلماء

(٣) اذا راعى الاخوان شعور العالم الاسلامي في ترك بعض المنكرات المتفق على حظرها على حالها درءاً للمفسدة، واتقاء لتغيير الكثيرين عن الاملاح المقصود من انتقاذ البلاد المقدسة، يكون عملهم هذا موافقاً للشرع، وقد علمنا مما دار في مؤتمر الشورى في عاصمة نجد أن العلماء أفتوا السلطان بجواز تأخير أداء فريضة الحج في الموسم الاخير اذا كان يترتب على أدائه مفسدة راجعة ووجود الحجرة النبوية نفسها ليس من المنكرات بل من المعروف المتواتر خبره في كتب السنة كالمسجد النبوي وانما تغير شكل البناء، وأمره هين لا يذكّر مع تركهم للحج خوفاً من المفسدة

ومن دلائل السنة على هذه المراعاة بهذا القصد ما ثبت في الصحيحين وغيرها من حديث عائشة (رض) أن النبي (ص) كان كارها لما عليه بناء قريش للكعبة متمركين جهة الشمال عن قواعد جده ابراهيم (عليهما وآلهما الصلاة والسلام) ومن جعل بابها مرتفعاً ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، وأنه كان (ص)

يود لو نقضها فأعاد بناءها على أساس إبراهيم وجعل لها بابين لاصقين بالأرض
ليدخل كل من أراد من باب ويخرج من الآخر . وما منعه من ذلك إلا حداثة عهدهم
بالكفر والجاهلية كما صرح به لعائشة والحديث في ذلك مكرر في الصحيحين
وغيرهما ، فإذا كان المعصوم (ص) خاف أن تنكر قلوب حديثي العهد بالشرك
من المؤمنين هدمه للكعبة وبناءها على أتم وأفضل مما بناها عليه المشركون فمراعاة
الاخوان مثل ذلك يعد عملا شرعيا

الزيادة على الجواب :

إذا أراد السائل وأمثاله نصا عن الائمة الاثمة المجتهدين في هذه المباني
الخدمة والزينة في الحرم النبوي الشريف فليراجع ما قاله العلامة الشاطبي في
كتابه الاعتصام في بحث الشروط التي تشترط لعد البدع من المعاصي الصفات
كبائر حتى إذا ما بلغ الشرط الثالث وهو « أن لا تفعل البدعة في المراضع التي هي
مجمعات الناس والمواضع التي تقام فيها السنن وتظهر فيها أعلام الشريعة » يجد
من الدلائل على هذا الشرط ما نصه :

« قال أبو مصعب قدم علينا ابن مهدي فصرى ووضع رداءه بين يدي الصف
فله سلم الامام رمقه الناس بأبصارهم ورمقه واما الكا (هو الامام مالك ابن أنس)
وكان قد صلى خلف الامام فلما سلم قال من هاهنا من الحرص ؟ فجاءه نفسان
فقال هذا صاحب هذا الثوب فاجلسا . فجلس ، فقيل له انه ابن مهدي (أي
قيل للمالك ان هذا الذي حبس هو عبد الرحمن بن مهدي الامام المشهور وهو من
أقران مالك في الحديث) فوجه اليه وقال له : ما خفت الله واتقيته أن وضعت
يوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر اليه وأحدثت في مسجدنا
شيئا ما كنا نعرفه ؟ وقد قال النبي (ص) « من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه ان لا يفعل
ذلك في مسجد النبي (ص) ولا في غيره . وفي رواية ان عبد الرحمن بن مهدي اعتذر
بانه ثقل عليه رداؤه من شدة الحر فوضعه ولم يقصد مخالفة من مضى . أي في عدم

إحداث شي جديد في مسجده (ص)

فإذا كان امام دار الهجرة يرى ان من مخالفة الحديث الشريف الذي رواه هو ومن بعده من أصحاب الصحاح والسنن ان يضم المصلي رداءه أمامه لان هذا لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم ، وكل ما لم يكن في عهده يصدق عليه انه إحداث وابتداع فيه يستحق صاحبه تلك اللفظة الشاملة المحيطة بما القول عنده في سائر الاحداث؟ والامام مالك متفق على جلالة واجتهاده ويلقبه بعض المحدثين حتى من غير المالكية بالامام الاعظم، ولكنه لو خرج اليوم من قبره ، واراد أن يجعل المسجد النبوي كما كان في عصره لرجمه جماهير المسلمين بالحجارة وفي مقدمتهم أتباع مذهبه من المغاربة والسودانيين والمصريين

نكتفي بهذا القدر من الزيادة الآن وسندكر في المقال المتعمم لهذه الفتوى بعض الاحاديث المحتج بها في أحكام القبور والمساجد واقوال بعض كبار الفقهاء من غير الحنابلة لان هذه فرصة تنبهت فيها الاذهان للتمييز بين السنن والبدع

﴿ المقالة السابعة ﴾

القبور ومساجدها وقيامها

قد عم الجهل بالاسلام حتى صار ألوف الألوف من المسلمين جنسية لا هداية يعدون بعض الحق من عقائده وآدابه وأحكامه باطلاً، والباطل من البدع المحدثه فيه حقاً ، وسبب هذا اهمال التعليم الديني والارشاد الاسلامي ، وترك فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فانقلب الامر وانعكس الوضع ، فصار الكثيرون يعدون كثيراً من المعروف منكراً ومن المنكر معروفاً حتى في الامور المتعلقة بصحة الايمان

ولما فشت البدع ورسخت صارت ألوفة وعز على المشتغلين بالعلم أن يطبقوا على أصحابها أحكام الشرع في أحكام الردة والخروج من الاسلام وأحكام ورد

٥١ نشرت في جريدة الاهرام بتاريخ ٢٩ ربيع الاول و ٢٨ أكتوبر

الشهادة ثم صار بعضهم يتأول لهم ولو بالتمحل البعيد عن النقل والعقل
لهذا اضطرب الناس في الاصلاح والتجديد للدين الذي قام به الشيخ محمد
عبد الوهاب الحنبلي السلفي في نجد وأولاده وأحفاده وتلاميذهم بتأييد أمراء نجد
سعود وآل سعود لأنهم أقاموا أحكام الاسلام بالعلم والعمل والتأييد بالحكم
النافذ — فرأى أمراء الحجاز المفسدون مجالا واسعا لانهم بهم بتكفير المسلمين
واستباحة دماهم — ووافقهم الدولة العثمانية يومئذ على ذلك لامانة ذلك الاصلاح
لئلا يفضي الى تأسيس دولة عربية قوية في بلاد العرب ، مع أن الدولة كانت
تدفرق الباطنية كالنصيرية والاسماعيلية والدروز مسلمين اذ كانت أبعد الحكومات
الاسلامية عن التكفير وعن مقاومة البدع ، الا ان يكون لاجل السياسة كقتالها
للإيرانيين ، وكل من هذا وذلك دوران مع السياسة يدل عليه أن الشعب التركي
يثنى على الوهابيين اليوم وتتمنى جرائده لهم الفوز بالاسنيلاء على الحجاز لان
الحجاز قد خرج من دائرة دولتهم وكان المتغلب عليه عدوا لهم

أشهر ما اشتهر من اصلاحي الوهابيين الذي سماه الجاهلون بدعة أو مذهبا
جدبدا أو دينا محدثا منع البدع والمعاصي المتعلقة بقبور الانبياء والاولياء وأهل
البيت ، واننا ننشر للجمهور الآن بعض ما ورد في ذلك من الاحاديث النبوية
وأقوال بعض الفقهاء المشهورين من المجتهدين والمنتهمين الى المذاهب المشهورة
ليميزوا به الحق من الباطل والهدى من الضلال

جاء في كتاب الزواجر للفقير الشهير احمد بن حجر الميمني الشافعي المولود
بمصر سنة ٩٠٩ والمتوفي بمكة سنة ٩٧٣ — ما نصه :

﴿ المكبيرة ٩٢-٩٨ ﴾

(اتخذ القبور مساجد وابتعاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها
واستسلامها والصلاة اليها)

أخرج الطبراني بسند لا بأس به عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال :
« هدي بنبيكم قبل وفاته بخمس ليال فسمعته يقول « انه لم يكن نبي الا وله خليل

من أمته وان خايلي أبو بكر بن أبي قحافة ، وان الله اتخذ صاحبكم خليلا ، ألا
وان الاسم قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد واني أنهاكم عن ذلك ، اللهم
اني لعنت « ثلاث مرات ، ثم قال « اللهم أشهد » ثلاث مرات الحديث . والطبراني
« لا تصلوا الى قبر ولا تصلوا على قبر » (١) واحمد وأبو داود والترمذي والنسائي
وابن ماجه وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما « لعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ومسلم « ألا
وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد فاني أنهاكم عن ذلك »
واحمد « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون
القبور مساجد » واحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم « الأرض كلها
مسجد الا المقبرة والحمام » والشيخان وأبو داود « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد » واحمد عن أسامة واحمد والشيخان والنسائي عن عائشة وابن
عباس ومسلم عن أبي هريرة بمعناه (٢) واحمد والشيخان والنسائي « أولئك اذا
كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور
أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وابن حبان عن أنس « نهى صلى الله
عليه وسلم عن الصلاة الى القبور » واحمد والطبراني « ان من شرار الناس من
تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد » وابن سعد « الا أن من
كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم ومصلحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور
مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وعبد الرزاق « ان من شرار الناس من يتخذ القبور
مساجد » وأيضا « كانت بنو اسرائيل اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلعنهم الله
تعالى (٣) ثم قال المصنف بعد سرد هذه الاحاديث :

﴿ تنبيه ﴾ عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه

(١) كل ما وضع بين هذه الالامة « فهو حديث نبوي شريف
« ٢ » وفيه زيادة « والنصاوى » وكان ذكر له (ص) كنيسة في الحبسة فيها
صور النخ (٣) هذه الجملة من كلام عائشة قالتها بعد رواية لعنه (ص) لن اتخذوا القبور
مساجد تعليلا للعن

أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجداً منها واضح لأنه لمن من فعل ذلك بقبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك بقبور صلواته شر الخلق عند الله يوم القيامة ، فقيه تحذير لنا كما في رواية : « يحذر ما صنعوا » أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك فيلعنوا كما لعنوا . واتخاذ القبر مسجداً معناه الصلاة عليه أو إليه وحينئذ فقوله « والصلاة اليها » مكرر ، إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط (١) .

« نعم إنما يتجه هذا الأخذ أن كان القبر قبر معظم من نبي أو ولي كما أشارت إليه رواية « أن كان فيهم الرجل الصالح » ومن ثم قال أصحابنا : تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركا واعظاما فاشترطوا شيئين : أن يكون قبر معظم وأن يقصد بالصلاة إليه ومثابها الصلاة عليه التبرك والاعظام . وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الأحاديث المذكورة لما علمت ، وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كإيقاد السرج عليه تعظيماً له وتبركاً به - والطواف به كذلك - وهو أخذ غير بعيد عما وقد صرح في الحديث المذكور آنفاً بأن من اتخذ على القبر سرجاً فيحمل قول أصحابنا بكراهة ذلك على ما إذا لم يقصد به تعظيماً وتبركاً بذى القبر

« وأما اتخاذها أوثانا فجاء النهي عنه بقوله (ص) « لا تتخذوا قبوري وثناً يعبد بعدي » أي لا تعظموه وتعظيم غيركم لا وثانهم بالسجود له أو نحوه (٢) فإن أراد ذلك الإمام بقوله : واتخاذها أوثانا - هذا المسمى أتجه ما قاله من أن ذلك كبيرة بل كفر بشرطه ، وإن أراد أن مطابق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد . نعم قال بعض الحنابلة قصد الصلاة عند القبر متبركاً به غير المحادة لله ورسوله إبداع دين لم يأذن به الله لأنه عنهم أجماعاً فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجداً أو بناؤها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك إذ لا يظن بالعلماء تمييز فعل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لمن فاعله

« ١ » المتبادر بقرينة ما فعل أهل الكتاب أن منه بناء المساجد عليها وجعلها منسوبة اليها كما وضحه صلى الله عليه وسلم بقوله « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح » الخ
« ٢ » أي كالطواف به كما صرح به المؤلف آنفاً ومثله التمسح به أو بقبضه للتبرك أو الاستشفاء

وتجيب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضرم من مسجد الضرار لانها أسست على معصية الرسول (ص) لانه نهى عن ذلك وأمر (ص) بهدم القبور المشرقة . وتجيب ازالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى (راجع صفحة ١٦١ — ١٦٣ من الزواجر المطبوع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣)

وقد أشار بقوله أن النبي (ص) أمر بهدم القبور المشرقة الى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه وغيره عن أبي الهياج الاسدي قال : قال لي علي : ألا أبغضك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرقا الا سويته . قال الامام النووي في شرحه لهذا الحديث : قال الشافعي في الام : ورأيت الأئمة بمكة يأمرؤن بهدم ما يبني . ويؤيد الهدم قوله « ولا قبرا مشرقا الا سويته » اه

فهل كان ابن حجر والنووي قبله والامام الشافعي قبلهما من الوهابية ؟ وهل كان أئمة المسلمين بمكة في عصر الشافعي أعلم واهدى أم طاغوت الحجاز في عصرنا حسين الذي أمطر الخافقين برقيات في الطمن على الوهابية بهدم قبر ابن عباس (رضي الله عنهما)

ان أمر النبي (ص) لملي كرم الله وجهه حين أرسله الى اليمن بطمس التماثيل وهدم القبور المشرقة وتسويتها بالارض - ثم أمر علي عامله أبا الهياج الاسدي بذلك وعمل أئمة المسلمين بذلك في خير القرون كان لسد ذريعة تعظيم القبور تعظيما دينيا اذ هو من أعمال الشرك ، فهل ننكر هدمها وهدم القباب والمساجد التي عليها بعد ما وقع المحذور ، وارتكب المحذور ؟

حدثني الشريف محمد شرف عدنان باشا حفيد الشريف عبد المطلب الذي كان أعقل رجل في شرقا مكة أنه رأى رجلا في مسجد ابن عباس بالطائف يصلي مستقبلا القبر مستدبرا القبلة فظن أنه أعمى قد أخطأ القبلة فأخبره بذلك وجاء ليحوله الى القبلة فرآه بصير العينين وأبي أن يتحول معه فعلم أنه متعمد فقال لبعض الخدم : أخرجوا هذا المشرك من المسجد

فلا امر المشاهد الذي لا شك فيه أن هذه القبور المعظمة تعظيماً دينياً لم يأذن به الله قد كانت سبباً لمنكرات كثيرة أخرى منها هو شرك صريح لا يحتمل التأويل ومنها ما يحتمله احتمالاً قريباً أو بعيداً، ولكن لا يجوز أن يجعل الاحتمال مسوغاً للسكوت عنه وإقرار أهله عليه وإنما قد يجوز ذلك في درء الكفر عن شخص معين — ومنها ما هو معصية كبيرة ومنها ما هو صغيرة وكلاهما كثير جداً لا خلاف بين المسلمين فيه ولا في أن استحلال المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كفر وخروج من الملة . وقد فصل العلماء الناصحون ذلك في كتب كثيرة أشهر المطابع منها كتاب المدخل للعلامة ابن الحاج المالكي القاسمي المتوفي في مصر سنة ٧٣٧ ومما ذكره أن العلماء أفتوا بهدم بنيان البيوت التي على القبور (الاحواش) كما في الصفحة ٢٧٤ من الجزء الاول وفصل المفاصد الموجبة لذلك وقال الامام الشوكاني المجتهد في شرح حديث أبي الهياج الاسدي من كتابه (نيل الاوطار) ما نصه : « ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أولياً القيب والمشاهد المعمورة على القبور ، أيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لعن النبي (ص) فاعل ذلك كما سيأتي . وكما قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاصد يبكي لها الاسلام (منها) اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار الاصنام ، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودرء الضرر ، فجعلوها مقصداً لطالب قضاء الحوائج ، وماجراً لنجس المطالب ، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم ، وشدوا اليها الرحال ، وتمسحوا بها واستغاثوا . وبالجملة فانهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالاصنام الا فعلوه ، فانا لله وانا اليه راجعون » ومع هذا النكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يعضب لله ويغار حمية الدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً . وقد توارد اليئام من الاخبار ما لا يشك فيه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من قبل خصمه حلف بالله فاجراً فاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق وهذا من آيين الادلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال أنه تعالى ثاني اثنين و ثالث ثلاثة

وفيا لعلماء الدين ، وبأملوك المسلمين ، أي رزق للاسلام أشد من الكفر ؟ وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله تعالى ؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأي منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا البين واجبا ؟ اه المراد منه (ص ٢٣٤ ج ٣ من نيل الاوطار المطبوع بالمطبعة الاميرية بمصر)

والامام الشوكاني هذا رسالة خاصة في هذا الموضوع نشرت في المجلد الثاني والعشرين من المنار ، وللعلامة المحدث محمد بن اسماعيل الوزير رسالة في معناها اسمها (تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد) نشرت في المجلد الثالث والعشرين منه — وقد طبعنا على حدة — وقد ذكر الأخير شبهة بعض الناس في قوة المسجد النبوي الشريف بعد أن بين أن مبتدعي بناء القباب والمساجد على القبور هم ملوك الاعاجم الجاهلون فقال :

وقان قلت: هذا قبر رسول الله (ص) قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الاموال (قلت) هذا جهل عظيم بحقيقة الخال ، فان هذه القبة ليس بناؤها منه (ص) ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين ، ولا من علماء أمته وأئمة ملته ، بل هذه القبة من ابناء بعض ملوك مصر الآخرين وهو قلاوون الصالح الميموني بالملك المنصور في سنة ٦٧٨ ذكره في (تحقيق النعمرة ، بتلخيص معالم دار الهجرة) فهذه أمور دولية لا دلالية يقيم فيها الآخر الاول اه

فقد علم القراء بهذا القول أن الوهابية لم يتدعوا في هذا الامر بل اتبعوا الادلة وأقوال الأئمة من المحدثين والفقهاء المتهميين الى المذاهب المشهورة لا مذهبهم الحنبلي فقط بمد ترك الجماهير لها (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

واننا ندعو بالخير لمن سأل فكان سبب هذا البيان ، وقد باعنا ما علمنا به أننا أخطأنا في فهمنا أنه أراد به الاحتجاج ، والنية حسنة والله الحمد في كل حال.

من الخرافات الى الحقيقة *

« ١١ »

﴿ الجمعيات السرية ﴾

ان الفتوحات التي ابتدأت في زمان الخلفاء الراشدين وعظمت في زمان الامويين ، واستولى المسلمون على ايران ومصر والشام وافريقية الشمالية . ولكن هذه الفتوحات كانت اقليمية لا قلبية ، نعم تبدلت الحكومات وزالت الدول الا أن العقائد الراسخة منذ أجيال بقيت كما كانت ، لان تبدلها ليس هينا ^(١) ثم كان بين الذين أسلموا أناس كان اسلامهم مقاصد سياسية فكانوا يريدون إمارة الديانة الاسلامية ويتوسلون الى احياء عقائد ثم يبرزها بشوب اسلامي جديد ، وفي أواخر أيام العباسيين ظهر أناس بعضهم ملحد راسخ في الالحاد وبعضهم فارسي « زردشتي » وبعضهم من أتباع « ماني » أي نصفه مجوسي ونصفه مسيحي وحصروا الشؤون العامة في أنفسهم وكان أكثر الناس غافلين عن كل شيء ، ومستعدين لتصديق كل شيء ، اذا صادفت الجماعة منهم رجلا صالحا قادها الى طريق الهداية ، واذا صادفت آخر طالحا خرجت معه عن جوهر الدين بدون أن تشعر ، وكان « تصديق » كل ما يسم من أمارات الامتياز في تلك الاوقات ، فكل فكر اسند الى آية ولو لم تكن موجودة ، أو اسند الى حديث موضوع ، أو أي كتاب مجموع ، كان ذلك يقبل بغير تفكير ، ويتبع بدون تدبر و ثم أسباب أخرى لميل الناس لكل جديد . وهو ظلم الأمراء . فكان

* (تاير لما سبق من الكتاب المترجم عن التركية « راجع ص ٤٤٤ م ٢٥ »)

(١) المنار: الحق أن الاسلام قضى على جميع العقائد القديمة في عقول أكثر الناس وقلوبهم لظهور بطلانها في نوره المتألق واسكن أكثر الاجم لم تفهم القرآن كما فهمه العرب واعلم فهمه منهم حق الفهم من تلقوا اللغة عن أهلها في الصدر الاول وكان الأكثرون قابلين لكل بدعة فيه

الناس بميلهم الى الجديد يرجون خلاصاً من الظلم الواقع
ثم أن كثرة المذاهب الدينية التي يكفر أصحابها بعضهم بعضاً أزالته هيبة
الدين وقلة من احترامه في نظر الناس . هذه هي الحالة الذهنية التي تقدمت
لشعر مذهب الباطنية
الباطنيون

كان ظاهر عملهم بذل الجهد لاهياء مذهب الاسماعيليه الذي هو من
مذاهب الشيعة ، والحقيقة أنهم كانوا يقصدون احياء اساطير وخرافات قديمة
يكتمونها عن المبتدئين — فان مؤسسي هذه الفرقة لم يكونوا مسلمين الا
فعلًا ولا اسماً . والصحيح أنهم كانوا مجوساً .

منهم (عبدالله بن ميمون بن القداح) عقد مرة مجلساً وخطب فيه فقال :
« ان المسلمين فتحوا بلادنا ، وأزالوا دولتنا ، ان الانتصار عليهم في الحرب
والقتال أصبح مستحيلاً ، وانما النافع في جهادنا لهم أن تقطع اواصر الاتحاد
التي بينهم ، ونشوش عليهم أمورهم ، ونوقعهم في بحر الارتباك ، فحينئذ تنال
منهم ما نبتغي : نحرف الاسلام بتأويل نصوصه ، ونعجس المسلمين من حيث
لا يشعرون ليخربوا بيوتهم بأيديهم اذ بهذا وحده يمكن أن تدال الدولة
لفرس ويعيدوا دينهم ودولتهم الى سابق عجدها

وكان طائفة التشاور في ذلك المجلس انتخاب عبدالله بن ميمون منهلاً
لهذه الخطة وكان ابن ميمون يعلم كنه الاخطار التي تظهر أمام من يريد لشعر
مذهب جديد . فاختار لذلك طريق الدسائس السرية ، وكان طالما بمذهب
(زردشت) واقفاً على أصوله وفروعه ، وكان له نصيب من العلوم الطبيعية ،
والاحوال الروحية ، لذلك بدأ يعرض الناس على الظلم والظلمة وينفرهم من
الاستبداد والمستبدين . فجمع حوله جماعاً غفيراً . وكانت يجذب قليلاً الدين
بمقدمات فلسفية ، ويجذب الشيعة بالامام الموهوم المستتر ، وأهل السنة بالمهدي
المنتظر ، ويجذب أفئدة اليهود بأسيح الموعود ، كل هذا لاجل إعادة سلطنة
إيران الزائلة

بذل ابن ميمون هذا مساعي حمة لبيل المرام . وكان موفقاً بالنجاح . ثم
مات وخلفه ابنه (احمد) فواظب على خطة أبيه وعند ما ظهر (حمدان القرمطي)

وجد الجو مناسباً جداً لامتلاء أفكار الناس بمقائدم
أهل العراق كانوا مغالومين من قبل الحكومة ظلماً شديداً ولذلك كانوا
ميالين لكل ما يظهر من جديد فكانت الضرائب كثيرة جداً والعسرة المالية
شديدة على الجمهور وعند ما سمع العراقيون بذهب حمدان الترمطي الذي
يقتضي اشتراك الناس بالاموال هرعوا اليه وقبلوا دعوته بدون مناقشة
هندثد شرع الباطنيون يحرفون القرآن الكريم بالنأويل ويقولون ان له
معنى ظاهراً للمعاني ومعنى باطناً للخواص، وهو المقصود بالذات، لان الظاهر
هو القمر، والباطن هو اللب، وظاهر القرآن الكريم يحمل الانسان واجبات
أخلاقية واجتماعية ودينية كثيرة وفيه أوامر ونواهي كثيرة وهذا مركب
صعب لا يذلل، وبما أن باطن القرآن يقتضي ترك ظاهره طفقوا يفسرونه
تفسيراً غريباً

كانوا يقولون ليس من شؤوننا البحث عن صفات الله وهل هو موجود
أو معدوم، وعالم أو جاهل، خلق الله العقل قبل كل شيء ثم بواسطة العقل
خلق النفس وبما أن النفس مشتاقة بكمال العقل احتاجت الى الحركة، والحركة
تحتاج الى آلات ولذلك خلق الاجرام الفلكية وتتدبير النفس تحركات الاجرام
الفلكية حركة دورية وتأثير ذلك النباتات والمعادن وأنواع الحيوانات
أفضل الحيوانات الانسان لان بينه وبين العالم العلوي رابطة من دونها
وعندما يرتقي الانسان الى مرتبة العقل ترتفع عنه التكاليف والسنن ويستغني
عن الاشتغال بالمبادات

الرسول عند الباطنية سبعة : آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد
ومحمد المهدي^(١) وبين كل رسولين سبعة أئمة والواجب على الامام إكمال نواقص
الرسول الذي تقدمه ولا يخلو عصر من امام
لهذا المذهب رتب مختلفة : (١) امام (٢) حجة (٣) ذو مصة (٤)
باب (٥) داع (٦) مأذون (٧) مكاب (٨) مؤمن

١ المنار : قد كان تأثير هذه المفسدة المراد بها ابطال الاسلام بنبي آخر بعد خاتم النبيين
رواج دعوة الباطنية والبهائية ثم الاحدية والقاديانية فمؤلا ابتدعوا نبوة جديدة واولئك
ابتدعوا الوهية جديدة

الامام عندهم : هو غاية الادلة ومؤدي الله ، والحجة هو مؤدي الامام
والحائز لعلم الامام ويعتج بذلك المعلم

ذو المصبة : هو الذي يأخذ العلم من الحجة أبواب : هو المأمور بتعلم الفكرة .
الداعي نوحان : داع أكبر وداع مأذون فالاول هو الذي يعين درجات المؤمنين والثاني
هو الذي يقبل أهل الظاهر ، ويدخلهم في عداد أهل الباطن ويأخذ عهدهم وميثاقهم
المكاتب : هو الذي يدخل بين أهل الظاهر ويعرف أحوالهم والذي يعرضها على
الداعي . المأذون المؤمن : هو الذي دخل في جمعية أهل الباطن وصار في ذمة الامام
الداعي هو ما يعبر عنه أهل زماننا باسم « جزويت » وهو يراقب الناس
من رأى فيه قابلية واستعداداً يختبر أحواله وأطواره وأفكاره ويجذب به
الى التعرف اليه فان رآه متديناً يظهر اي الداعي له بمظهر الدين . وان وجد
ملحداً او ضعيف الايمان يأتيه من حيث يحلو له وإن رآه متحلياً بمكارم
الاخلاق يتشبه له بمظهر ملك كريم ، وان وجد من المهملين في الفسق
يتظاهر بأنه مثله . وجملة القول انه يتجسس الى الرجل ويختل به حتى اذا رأى انه
استولى على روحه في تنفيذ وظيفته وهز جذبه الى حزبهم ، يقنعه بأن
كل ما يرغب فيه من السعادة لديهم . وكان الدعاة يعملون عملهم بالترتيب
ويتسلقون الى الغاية - درجة بعد درجة - وهذه الدرجات ثمانية

وقبل ان نبحث في هذه الدرجات نبين بالابحاز حقيقة طائفة الاسماعيلية
التي يستند عليها بالظاهر ارباب مذاهب الباطنية .

طائفة الاسماعيلية

الاسماعيلية طائفة من طوائف الشيعة تنسب الى اسماعيل بن جعفر الصادق
الكبير كانوا يقولون يا مائة جعفر الصادق وانه فرضها الى ابنه الكبير وبما
ان اسماعيل توفي قبل جعفر كان يقتضي ان ينتقل حق الامامة الى محمد المكنوم وبعبارة
قام ابنه جعفر المصدق مقامه وخلفه محمد الجيب وكان ذكياً وفعالاً وهذا هو
الذي هم نشر مذهب الاسماعيلية وكان يسكن بلدة النعمانية في جوار حمص
وارسل الدعاة منها الى جميع الجهات وام تقطة كان يعنى بها الاسماعيليون ان العالم
لا يخلو من امام فان كان مخفياً فلا بد له من لقياء وعند وفاة محمد الجيب اعلن ابنه
عبد الله انه هو الامام المنتظر اي المهدي (لهايقية) المترجم

حسني عبد الهادي

ماضي الأزهر وحاضره ومستقبله

« لقد أقيمت في الأزهر بركة جديدة إما أن
تكون مبدأ حياة جديدة له وإما أن يموت »
(الاستاذ الإمام)

نعني بالأزهر ما شمل معاهد العلوم الدينية ووسائلها من الفنون العربية في
الاسكندرية وطنطا ودسوق ودمياط وأسيوط وكلها مرتبطة بالجامع الأزهر
وتابعة له في ادارته ونظام التعليم فيه

كانت مصر بالأزهر بلاد علم وحضارة وثروة وحكومة عزيزة قوية فكان
الأزهر ركن العلم من حضارتها . وكان بالأزهر قوام حكومتها ومن رجال الأزهر جل
حكامها . الا السلاطين والملوك ورؤساء الجند . فكانوا يكونون من غيرهم ومن
غير الشعب المصري أيضا ، ولكن علماء الأزهر وكبراء المصريين قلما كانوا يشعرون
بهذه الغيرية ، والاحكام تصدر بشريعتهم ، والدواوين والمحاكم بلغتهم ، وأولئك
السلاطين والقواد من أهل دينهم ، وإنما كان يهمهم من أمر الامراء والسلاطين
عدلهم وفضاهم ، لا أصلهم وفصلهم ، ولو كان ثم أسباب تشعروهم بهذه الغيرية
شعورا مؤلما لطبايعهم ، لا يمكنهم ازالة ملكهم ، كما أمكن الشيخ عز الدين بن عبد
السلام بيع أمراء الدولة المصرية من المماليك الاتراك فانه مازال يصرح ببطلان
تصرفاتهم من بيع وشراء ونكاح لانهم أرقاء مملوكون لبيت المال ، حتى تعطيات
مصلحتهم فإرسلوا اليه يسألونه عن حل لهذا الاشكال فقال : نعقد لكم مجلسا
وينادي عليكم لبيت مال المسلمين وبحصل عتقكم بطريق شرعي . وبعث اليه
السلطان بأن يرجع عن هذا القول فلم يرجع ، فأذكر عليه السلطان دخوله في هذا
الامر بأنه لا يعنيه وذكر كلمة فيها غلظة حملت الشيخ على الشروع في الهجرة من
القاهرة الى الشام فركب مع أهل بيته حميرا وخرجوا فتمهم وجهاء المسلمين من
جميع الطبقات فبلغ الخبر السلطان وقيل له متى راح الشيخ ذهب ملكك فليحمله
بنفسه على بعد فرسخ من القاهرة واسترضاه فرجع عني ان يترك ما قرره ، فأراد

المنار : ج ٩ م ٢٥ يوم الزين عبد الملام راءه مر الاسلام دين وذوله ٦٩٩

نائب السلطنة وكان من اولئك الممالك أن يحوله عن رأيه بالملاطفة فلم يقدّم بالتمديد فلم يقدّم ، فاضطروا الى الامتثال فاجتمعوا ونادى عليهم واحداً واحداً وغالى في نمنهم حتى باعهم وأعتقهم مبتاعوهم من الاغنياء ، وصرف الشيخ نمنهم في وجوه البر العامة كما بينه التاج السبكي في ترجمته من طبقات الشافعية

ولهذه المكانة التي كانت للشيخ عز الدين قدس الله روحه قال الملك الظاهر لبعض خواصه لما رأى جنازته تحت القلعة وما يتبعها من كثرة الناس : اليوم استقر أمر عي في الملك لان هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لانزع الملك مني كان الناس كلهم يتبعون العلماء ، وكان في استطاعة العلماء أن يسيروا الامراء والاسلاطين في طريق الشرع المستقيم ، ويمنعوهم من الاستبداد والظلم ، ولكنهم لم يفكروا في هذا الامر فيعدوا له عدته ، ويهدوا له طريقه ، بل لم يكونوا يشعرون باستطاعتهم ، ولا يقدرّون كنه سلطتهم ، وما كان يظهر من آياتها بعدونه من الاحداث الشاذة ، التي لا ترجع الى سنة عامة ، ولعلهم كانوا يعدون ما فعله الشيخ عز الدين بامراء الترك من كراماته ، والكرامات من خوارق العادات فلا يقاس عليها ، ولا يبحث عن سبب لها

كذلك لم يكونوا يفكرون في سنة الله في قوة الاجتماع ، ولا في أن منه حل علماء الازهر الدولة العثمانية على تولية محمد علي الكبير على هذه البلاد ، فلمذ لم يضموا نظاما لجمع كلمتهم ، وجمع كلمة الامة على زعامتهم ، ولما جاء السيد جمال الدين هذه البلاد وشرع في اية ظلالمة وتعريفها بما لها من الحق في ادارة امرها وسياسة حكومتها كان كبار علماء الازهر أبعاد الناس عنه وأشدّهم تحذيراً منه وانما انتفع به بعض الشبان منهم الاسلام دين وذوله ، وقد أسس المسلمون دولة عزيزة في قارات العالم القديم الثلاث آسية وافريقية واوربية - كانت أرقى دول الارض عدلا وعلميا وحضارة ولم يكن لها قانون في سياستها وحروبها ولا في ادارتها وقضائها إلا الشريعة العادلة الغراء ومن أحكامها أن يكون امراؤها وقضاؤها علماء فقهاء عدولا ، وبذلك كان لها من السؤدد والملك ما كان ، ثم دب اليها الفساد وقامت ساعتها بتوسيد الامور فيها الى غير أهلها وفقا للحديث «اذ وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة» رواه البخاري

من حديث أبي هريرة فذلب الجبل فيها على العلم ، وانقلب الوضع وانعكست القضية
فصار من القواعد الاساسية أن علماء الشرع أبعد الناس عن السياسة كما قال الحكيم العربي
ابن خلدون في الزمن الذي لم يكن فيه لسياسة مستمد علمي إلا الشرع ، وما سبب
ذلك إلا تقصير علماء الشرع فيما يجب عليهم مما ينهوا من قبل ولا يحل لأعادته هنا
صار أمر المسلمين بتقصير العلماء الى الجاهل بالشرع قبل أن يوجد في بلادهم
علم غير الشرع فكان الملك فيهم ينال بعصبية القوة لا باختيار أهل الحل والعقد
الذين يمثلون سلطة الأمة ، حتى أن الإمامة العظمى وهي النيابة عن الرسول (ص)
في إقامة الدين وسياسة الدنيا جعلوها لقوة العصبية التي تبرأ صلى الله عليه وسلم منها
ومن أهلها ، فلا عجب إذا اجتهد ملوك القوة وامراء العصبية باستمالة محبي الدنيا
من العلماء لتقوية نفوذهم عند العامة واضعاف نفوذ كل عالم لا يميله المال ولا يطويه
الجاه ، وصار من علامة العالم العامل المخلص البعد عن الحكم كما قيل :

قل للامير مقلة لا تركزن الى فقيه
ان الفقيه اذا آتى أبوابكم لاخير فيه

كانت حكوماتنا الاسلامية هكذا تتدلى بل تتردى في مهاوي الجبل والفساد بعد
أن أخذ الافرنج عنها وعنا مبادئ العلم واصول العدل والاصلاح ، وحسبك ما رأوه
من السلطانين العادلين المجاهدين نور الدين وصلاح الدين في الحروب الصليبية.
ثم ما زالوا في ترق وما زلنا في تدل الى من أدبل لهم منا وفتحوا من بلادنا بالعالم
والقتل اضعاف ما عجزوا عن فتحه بالسيف فاتهم فتحوا بالعالم ادمغة الالف الكثيرة
منا وقلوبهم وتصرفوا في مراكز الادراك منها ومشاعر الانفس منهم فأودعوا فيها
من المعلومات والوجدانات ما يعظم شأنهم ويولي قدرهم في تاريخهم وآدابهم وعاداتهم
وتشريعاتهم من حيث يحيط من شأن امتنا وملتنا في تاريخها وآدابها ونشرها .
فومان هؤلاء انفسهم على تقاليدهم وقبول شياذتهم ورياستهم وكانوا منافذ بل ابوابنا
واسجة لدخول الاجانب بلادهم والسيطرة على حكوماتهم - من حيث يشعرون ومن
حيث لا يشعرون فأفسدوا عليهم أمرهم ونزعوا منهم اسنق لاهم وخرّبوا عليهم بيوتهم
بايديهم وليس من موضوع هذا المقال تفصيل ذلك وبيان الشواهد عليه في مشرق

العالم الاسلامي ومغربه ويغنياء عنه ما شرناه أخيرا وما سنشره من مقالات السيد جمال الدين فيه . وانما نضرب مثالا لذلك كلمة واحدة في مسألة السودان المصري التي هي أهم ما تنازع فيه مصر مع الانكليز اليوم وهي أن إسماعيل باشا هو الذي مكن الانكليز من الاستيلاء على السودان لا بطرس باشا غالي الذي أمضى لهم عقد الشركة مع مصر فيه وأن الذي فتحه الانكليز غوردون (باشا) لا لورد كوتشتر (باشا) وأما الذي مكن الانكليز من احتلال مصر فعروف لقرب عهده

أدخلنا الافرنج بلادنا ليصلحوها لنا فأنفذوا علينا أمرها بما اصلحوه لانفسهم من وسائل استقلالها وسلب استقلالها ، فكان مثامهم ومثلنا كما قال الشاعر في القيان :

تبارين يصلحن أعوادهن فأصلحن وأفسدتي

أفشاءوا علينا تشريعنا ، وشوهوا لنا تاريخنا ، وأفسدوا منا آدابنا ، وسلبوا منا ثروتنا ، حتى انتزعوا منا سلطتنا ، وكان من أكبر مهمهم في ذلك إبعاد رجال الشريعة الاسلامية عن مناصب الحكومة ، وحرمانهم من تولى شؤون الامة ، وإيثاسهم من منصات الزعامة ، وروا لنا من فابتتنا ، من جعلهم آلات لجميع ما يريدونه منا ، ومن قواعدهم فيه أن الدين والسياسة ضدان لا يجتمعان ، ومن فروع هذا الأصل أنه يجوز لكل فريق من الامة أن يعنى بسياسة بلاده ويسعى لاستقلالها ويبحث في شؤون حكومتها - الرجال الدين ، معلمين كانوا أو تلمذيين ، فلا يسمح لهم بقول في ذلك ولا فعل ، ولا بتأليف جمعية أو حزب ، ويجرى العمل على هذا واتقاد له الازهر يون خانعين صاغرين حتى اذا ما دب شبائهم من رقادم وأبوا ليشاركوا الامة في نهضتها بعد الحرب تأسيا بطلاب المدارس المدنية وعقدوا لذلك الممثل في الازهر كبر الخطب على الانكليز وعلى رجال الحكومة المصرية معا فحجروا على الازهر وأهله ، واشترعوا أمقيهم أحكاما خاصة بهم ، وأقفلوا أبواب الازهر في وجهه ، وبدي لاجتماع فيه للبحث في شؤون الامة ولخطابة في مصالحها ورضوها عليه الشرط رواقهم الشيوخ الرسميون على ذلك سكبت عنه غير المتبدين بالرسميات منهم ورءاهونه على بعض زهادهم في الدنيا ولو من عجز وضعف بعض الأكرار مثل حديث ابن عمر عند البيهقي والمؤمنون هيون لينون كالجلال الانف إز قيدا نقادوان أنيسخ

على صخرة استناخ « فان لامثال هذه الروايات الباطلة تأثيرا كبيرا في قلوب هذه الامة ، وهذا الحديث على ضعف اسناده من مراسيل مكحول الدمشقي وهو على علمه وزهدة مدلس ، واذا حمل على ما أشرنا اليه كان معارض المتن بالقطعيات ككرة المؤمنين .

جرى العمل على هذا المنكر حتى صار هو المعروف حتى عند جمهور الامة وقد لك رأينا كثيرين يستنكرون بحث المنار في شؤون السياسة ويقولون انها بمجلة دينية فالها والسياسة ؟ وقد كلم بهض وجهاء الاسكندرية الاستاذ الامام في هذا محتجين به على انتقادنا الحكومة الخيدية وكلفوه رحمه الله أن ينهانا عن ذلك . فقال لهم ماذا أقول له والاسلام لم يفصل بين الدين والسياسة ؟ وآل أمر رجال الدين بمصر وغيرها من البلاد الى ترك شؤون الامة حتى الارشاد الديني ، وصاروا حالما آخر أقرب الى الخيال منه الى عالم الوجود كقلنا في بهض مقالات المنار التي كتبناها في أول العهد بمعرفة حال هذه البلاد

حاول السيد جمال الدين الافغاني أكرم الله مثواه إخراج الازهرين من عزلتهم وحملهم على العمل لاصلاح حال الامة والحكومة فلم يلق من جمهورهم الا الاعراض والنفور كما قلنا آنفا ، ثم كان من أمر من تلقوا عنه من مجاوري الازهر ان ترك أكثرهم الزمي الازهري أو الديني وبرعوا كاهم في الامور العامة من حكومية وغيرها، وثبت آخرون أعظهم وأشهرهم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والاستاذ القاهني الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان ، ومن عرفنا من الخاملين منهم الشيخ داغر من القضاة الشرعيين وكان شيخنا يبره وبجبه — رحمهم الله أجمعين ثم تصدى لاصلاح الازهر واخرجه من عزله الى خدمة الامة شيخنا الاستاذ الامام وكان اعلم الناس بحال أهله بما يحتاجون اليه وبما ينبغي لهم وبما يؤثر فيهم ، وأحرص الناس على اعلاء شأنهم وحفظ كرامتهم ، توفير رزقهم واتقاء عيب الامراء والحكام بهم مع تسخير هؤلاء لاصلاح شأنهم . فأما محمد توفيق باشا فكان بعد عودة الشيخ من منفاه والبلاد رازحة تحت نير الاحتلال لا يزال على ما كان من الحذر منه منذ تذكر له ولاستاذه السيد جمال بعد ان كان من حزبهم ،

فلم يسمح بأن يتولى شيئا من التعليم في مدرسة دار العلوم لثلاث يحدث في البلاد انقلابا جديدا كما قال - وما كان يكون ذلك الانقلاب الا خيرا له ولبلاد - فلما قضى نحبه وتولى الامر ولي عهده عباس باشا وجاء من أوربة يتدفق حماسه ويلتهب غيرة ، حامت حوله الآمال ، وطاف بكعبة امارته الرجال ، فأرشده الاستاذ الامام الى أرجى الاعمال ، التي لا ينازع فيها الاحتلال . قال له : ان لدى أفندينا ثلاث مصالح لا يمكن أن يحد اليها الانكيز أيديهم الآن (١) وهي الاوقاف والازهر والمحاكم الشرعية فاذا هو عني باصلاحها فانه يصالح بها البلاد كلها ، فأمر الامير يومئذ بتأليف لجنة لوضع نظام أو نظم لما ينبغي لهذه المصالح فكانت تجتمع وتعمل سرا ، ورأب أمرها أصحاب المقطم فصاروا يعرضون بها جبرا . ثم كان من أمر إصلاح الازهر ما شرحه الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان في كتاب خاص سماه (أعمال مجلس ادارة الازهر) وطبعناه بعد أن قرأه الاستاذ الامام في أثناء مرض موته وأذن بطبعه ، وهو كتاب يشبه الرسمي ولو صدر بقرار من مجلس ادارة الازهر لكان رسميا بالمعنى الاصطلاحي ،

وان من وراء الرسمية في كل عمل من المصالح العامة أمورا أهم من الرسمية ، ولا يسعنا أن نذكر من ذلك هنا الا أن أكثر كبار الشيوخ حتى أعضاء مجلس إدارة الازهر كانوا كارهين للاصلاح والنظام فلم يكن منهم ظهير مخلص لواضع أصوله والناهض بأعبائه إلا صديقه وثربه الشيخ عبد الكريم سلمان وانما كانت قوته التي يجاهد بها الحق المؤيد بالبرهان وتعضيد الامير فلما تنكر الامير له قويت معارضة الشيوخ حتى إن شيخ الجامع الازهر كان يهدل تنفيذ قرارات مجلس الادارة الرسمية ، وكان ذلك على أشده في مشيخة الشيخ سليم البشري

وأما الشيخ حسونة النواوي فكان مواليا معتدلا ولكن غضب الامير الشديد كان بعد مشيخته ، ثم كان السيد علي البيلاوي مواليا له فباغ سخط الامير انتهى حده في عهد مشيخته ، وكان له حظ كبير منه . فقد ألجى الى الاستقالة

(١) هذا لفظه الذي سمعناه منه قبل تدخل الانكيز في شؤون المحاكم والاقاف بل قد صرح له بأنه يخشى من ذلك في المستقبل ولا سيما اذا بقيت هذه المصالح مختلفة

هو والاستاذ الامام وغيرهما من اعضاء ادارة الازهر في وقت واحد عقب اتفاق الامير مع الحكومة على ان كل ما يهمهم من أمر الازهر شيان أحدهما أن يكون أهله في أمن والثاني تخريج القضاة الشرعيين — واذا كان غير مستعد لتخريج القضاة عزمت الحكومة على إنشاء مدرسة خاصة للقضاة الشرعيين ، وقد صرح الامير بذلك في مقابلة إلياس الخلة للشيخ الشريفي الذي ولي المشيخة بعد السيد البلاوي ، وأسند المقطم يومئذ هذا الرأي الى « أولياء الأمور » ومعنى ذلك اتفاق الحديو والحكومة والانكياز على حرمان الازهر من كل شيء

وقد ذكرت في المنار ، أم ما طرأ على الازهر من هذه الاطوار ، ومنها أمثلة عديدة من معارضة أعضاء مجلس الادارة ومجادلاتهم للاستاذ الامام ، ولو واتوه وعرفوا قيمة الاصلاح الذي كان يريدونه منهم ولم يهتم لكان الازهر الآن شأن عظيم في مصر بل في العالم كله

على أن قصارى ما كان من تأثير المعارضة انها استطاعت تأخير الاصلاح ولم تستطع ان تقتله قتلا ، ولا ان تبيث نبتة فرعا وأصلا ، اذ لم تستطع أن تمنع أفكار الامام المصالح التي كان يلقيها في دروسه والتي يمل بها أعماله أن تنفذ الى العقول ، وأن تأخذ مكانها من القلوب ، فها هي ذي قد فعلت فعلها ، وكان من تأثيرها أن النابتة الجديدة من المدرسين والطلاب هم الذين صاروا يطلبون اصلاح التعليم واختيار الكتب النافعة ودرس ما يسمى العلوم الجديدة ، وجعل التعليم الازهري وسيلة للعمل ووسائل الخدمة الامة في مدارس الحكومة ومصلحتها كتعليم سائر المدارس الرسمية ، وقد كانوا محرومين من كل هذا فلا يخطر في بال أحد من شيوخهم ولا من شبانهم ، وانما هي أفكار الاستاذ الامام التي جعلت لهم قيمة عند انفسهم ، من حيث لا يدري أكثرهم ، ودروسه في التفسير والتوحيد والبلاغة والمنطق واحداثه لتعليم الانشاء في الازهر هي التي أوجدت فيهم هذه الالسة الخطابة ، وادق قلام الكتابة ، والحماس الذي يجادلون بها الرؤساء والوزراء ، بعد ان كان أحدهم يشتم ، يامن وربما يقرب بأخس ما يهرب به جبار خادمه فلا يرتفع له رأس ، ولا يدفع عن نفسه بقول ولا فعل ، ولولا الكتابة

والخطابة ، لما استطاعوا أن يبينوا ما لهم من حق ولا ما يشعرون به من كرامة
أهل أكثر من لم يدرك عهد الأستاذ الامام منهم لم يعلموا أنه أحسن الله
ثوابه قد احتال ، دخل تعاليم الانشاء في الأزهر احتيالا وتقي فيه معارضة شديدة
من كبار الشيوخ الذين يقولون أن الانشاء ليس بعلم ، وأنه لا يصح أن يجعل في مواد
الدرس والتعليم ، فلم ير وسيلة لي ارضاء مجلس ادارة الأزهر بتقريره إلا وضع مبالغ
من المال لاجله ، فاقترح عند وضع ميزانية الاوقاف العامة أن يوضع فيها مائة جنيه
باسم ترقية لغة العربية في الأزهر وإنما اختار هذا الاسم استئقالا للاعتراف بأن
الأزهر لا يعلم فيه الانشاء ، ولأنه كان يريد نوط هذا الدرس بعلم من غير الأزهر بين
كما أخبرني بذلك في وقته ، فماذا كان من رأي أعضاء مجلس إدارة الأزهر في هذا
المبلغ عند وضع ميزانية الأزهر ؟

اقترح بعض كبار الاعضاء منهم أن يوزع المبلغ عليهم لأنهم يرقون اللغة العربية
بقراءة بعضهم لكتب النحو الكبرى وبعضهم لمختصر السعد في البلاغة ، فأخبرهم
الأستاذ بأن النرض من رضع هذا المبلغ احداث درس للانشاء ، قل بعضهم
ولكن العبارة أعم فهي تشمل من يقرأ كتب ابن عتيل فضلاء عن الصبيان والسعد
قل استاذ اني أنا الذي رضت هذه العبارة ومرادي بالعام فيها هذا الخاص من
أفراده وإلا لم يكن لوضهها فائدة !!

وأما معارضة كبار الشيوخ له فيما يسمونه العلوم الجديدة كتقويم البلدان
والحساب والهندسة بالطريقة العملية فقد كانت من فضائح التاريخ ، وكان
لمنشي هذه المجلة جرات هذه المعمة فكتب في الجريدة اليومية مقالات في الرد على
ما كتبه بعضهم في الانكار على درس هذه العلوم في الأزهر ولكن بامضاء مستعار
كأزهري اثلا ينسب الى الأستاذ الامم نفسه أو الى إبعازه لان صلي به
ومكاني من بطانته تد عرف منذ السنة الاولى من هجرتي الى مصر ، وهذا
الكذبة فاجاني فيها ، وقد كتب الامام نفسه في أثناء اشتداد المعارضة مقالة رد فيها على
كلام نشر في المؤيد عزي فيه إنكار تدريس تلك العلوم الى الشيخ محمد الشربيني
ليكن بالوصف الذي بعينه لا باسمه العلم ربما ننشرها في جزء آخر . ولولا الانشاء

٧٠٦ اتباع علمائنا سنن من قبلهم في الضار دون النافع المنار : ج ٩ م ٢٥

لما كان للازهريين هذا الصوت الذي صرخ مسامع الوزراء ، وولاء جواء البلاد ، ولولا هذه العلوم التي كانوا ينكرونها لما كان لهم أن يطلبوا ان يكونوا معلمين في مدارس الحكومة وغيرها كمتخرجي دارالعلوم بل هم يطلبون أن تكون هذه المدرسة تابعة للازهر على أن الامام الصالح أحسن الله جزاءه كان يريد لهم وبهم ما هو أعظم وأعلى مما يطلبونه اليوم لانفسهم ، كان يريد أن يكونوا أرقى طبقة في الامة الاسلامية ، وأهلا لكل ما تتوقف عليه حياتها الدينية والمدنية ، وقد كان من أغرب مساوي عصر الضعف الذي منيت به الشعوب الاسلامية ان ترك رجال الدين والعلم الشرعي فيه حياتها على غاربها ، ورضوا بالذل والهوان لانفسهم ولها ، فلم يعنوا باملاح أمرها من جانب الحكومة ولا من جانب الامة ، اتبعوا سنن من قبلهم في الشر ولم يتنبهوا في الخير ، ولأجل هذا كنا ننحي عليهم باللائمة منذ أنشأنا المنار ، حيا فيهم وغيره عليهم وإرشاداً لهم الى ما يجب عليهم لسماعتهم وسعادتهم أمتهم بهم * وقد يستفيد الظنة المتصح *

ومما يدخل في موضوعنا من أمر اتباعهم سنن من قبلهم أن رجال الدين من أولئك الاقوام كانوا في القرون الوسطى لاتهم وهي التي يسوءونها العصورا المظلمة يحرمون كل ما يجهلون من العلوم والاعمال ويضطهدون أهلها بعصبية الدين التي كان سببها خضوع العامة لهم ، واضطرار الملوك والامراء الى مداراتهم ومواتاتهم ، لمكانتهم عند العامة ، وقد اتبعهم رجال الدين عندنا في هذا ولكنهم لم يبلغوا شأوم فيه لان لاسلام لم يعطهم من الرياسة والسلطة ما أعطت أولئك ديانتهم ولما رأى أولئك ان رجال العلم والفكر قد انتصروا عليهم وغلبوا على الملوك والامراء ، وطفقوا يتزعجون من الحكومات ما كان لهم فيها من النفوذ والسلطان ، بل تصدوا لمحاربة الدين نفسه بدعوى مخالفته للعلم والعقل وللنطرة البشرية وطبيعة الوجدان وسننه - لما رأى رجال الدين هذا - قبلوا على درس هذه العلوم والفنون كلها فخذقوها في أديارهم ومدارسهم الخاصة بهم ودعموا بقوتها بناء الكنيسة ، واتخذوا منها سلاحاً للدفاع عن الدين ، ثم تولوا هم تعليمها لاجداث الامة مع تعليم الدين وتربية الناشئ على آدابها وفضائله وعصبيته ، والتوفيق بينها وبين تقاليد

المنار : ج ٩ م ٢٥ . اتباع علمائنا سنن من قبلهم في الضار دون النافع ٧٠٧

وعقائده ، بل اتخذوها ذريعة لبث دعوة دينهم في الملل الاخرى بقبول أحداثها في مدارسهم المشتعلة على ماذكر — واما رجال الدين الاسلامي فلم يذبوا عنهم في هذا الامر النافع كما اتبعوه في ذلك الامر الضار

دخلوا في جحر الضب المشار اليه في حديث « لتبعن سنن من قبلكم شهرا بشيرا وذراعا بذراعا حتى لو سلكوا جحر ضب اسلكتموه » قلوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فن ؟ » رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري . وفي لفظ لو دخلوا في جحر ضب الخ ولكنهم لما يخرجوا منه الا قليلا منهم ، بيد أن الحركة الجديدة الثابتة الجديدة في الازهر تبشرنا بقرب الخروج العام ، الذي كان يرجوه الاستاذ الامام ، وسنبين ذلك في مقال آخر ان شاء الله تعالى ونختم هذه المقالة بما قلناه في هذا الموضوع بمآزدها في (المقصورة الرشيدية) بصدرة الاستاذ الامام من الكلام في موضعه بأمر الاصلاح مع السيد جمال الدين وبعده وهو :

ما تم للامام ما أراد من	مخطي الاصلاح هدمنا
ولم يفتنه كل ما شاء فقد	خرج من يتم كل ما بنا
لذا استجاب الله ما به دعا	وزال ما حاذره بما رجا (١)
اذ علم الازهر كيف يفقه الد	ين ويطلب العلوم واللغى (٢)
من خير بحث في مقال من خلوا	يكثر فيه الاحتمال والمرا
علمنا التفسير كما نهتدي	به على علم صحيح يقتفى
وعلم (اسرار البلاغة) التي	(دلائل الاعجاز) منها بتغى
علمنا التوحيد كي تفهمه	بمقلنا لا بمقول من مضى
علمنا (بصائر) المنطق كي	نقيم ميزان العلوم للحجا

(١) فيه اشارة الى الايات التي نظمها قبيل وفاته التي قال فيها
ولكنه دين أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم

(٢) اللغى بالضم جمع لغة

وهل وراء الدين واللسان والعقل
فإن يك الأزهري لم يصلح بها
ونبتت من غرسه نابتة
وترفع الحجر عن المهد أو
إذا ينال وهو قد أشفى الشفا
ثم يولي المصلحون شطره
ما وردوا حياضه وصدروا
فأحيوا الإسلام في أنفس من
فعاد آملا إلى موطنه
واستبعت غربته المجد كما
إذا أصلحتهم منتهى
قد نأى عن سبل من كان مأى^(١)
سلا ثم الصدع وترأب الثأى^(٢)
يعود جحر الغب رحبا كالقضا
من مرض بات به على شفا
ينحونه من كل فج ورجا
الا يفيضون علوما وهدي
وأصلهم مجرد عرف الردى
من غربة طلبة بهامد القوى
كن نعاد الأمر مثل ما بدأ^(٣)

(١) مأى : في الأمر بمأى (وزن نأى بنأى) بالغ فيه وتعمق متكلفا توسيعه
وهو من مأى الجلد إذا مده وشده ليتسع ، والمراد أن الأزهري لم يكن قد صلح
بالفعل فقد إمد عن طرق أولئك الشيوخ المنتظمين المتعمقين في ألفاظ الكتب
واسألها الشاغلة عن جوهر العلوم

(٢) يقال لأم الصدع والجرح إذا شده وجمعه وجبر كسره ولأم فلانا إذا أصلحته.
ويقال ورأب الثأى إذا أصلح الفساد ، وهو من ثأى الغرزة ثأيا إذا انخرم ويقال
عظم الثأى بينهم إذا وقعت بينهم جراحات وقتل

(٣) إشارة إلى حديث « بدأ الإسلام غريبا ويود غريبا كما بدأ » رواه
مسلم والترمذي

والمعنى أن دعوة الإسلام غريبا كما بدأ لا يقتضي أن تدوم هذه الغربة بل
تشبيه الاعادة بالبده يدل على أن الغربة الثانية تؤول إلى ظهور وقوة وتستتبع عزاء
ومجدا — إن شاء الله تعالى

الإغراء بين النصاري والمسلمين

أرسل اليينا من بيروت كتاب جديد ألفه أحد نصارى اللبنانيين لاجل تأريث العداوة والبغضاء بين أهل وطه اذ جمع فيه من كتب التاريخ ما هو عليه مما ينقعه النصاري من حكومات المسلمين من قول وفعل ، ومن المسلمات التي لا يختلف فيها اتقان ان في كل أمة وكل حكومة عادلين وظالمين ، وان الظالم قد يظلم القريب والموافق ، كما يظلم البعيد والمخالف ، وان من الناس من لا يرضى من يخلفه في الدين والسياسة بالحق ولا بالعدل ، وان من أخبار التاريخ الصادق والكاذب - فعلى هذا يسهل على كل مطلع على التاريخ المشترك بين الامم والملل ان يجمع منه ما ينكره بعضهم على بعض ، ولكن هذا لا يكون الا بنية سيئة ارسل اليينا هذا الكتاب لئلا ترد عليه والرد عليه سهل ولكن ما فائدته ؟ ان اريد بها بيان ان ما قد يصح من تلك المطاعن شخصي ليس الباعث عليه احكام الاسلام - فهذا امر يعرفه من يقرأ المنار من النصاري القليلين كما يعرفه المسلمون لما شرحناه مرارا من عدل الاسلام العام ، والجمهور منهم لا يقرؤنه . وان اريد تلقين المسلم الحجج لرد على من يكلمه في ذلك ففي المنار حجج كثيرة على عدل الاسلام وتفضيله على جميع الملل والقوانين من الكتاب والسنة والتاريخ وشهادة المنصفين من مؤرخي الافرنج أنفسهم كقول فيلسوف فراسة الاجتماعى ومؤرخها المنصف الدكتور غوستاف لوبون : ما عرف التاريخ فانما أعدل ولا أرحم من العرب - يعنى الذين أقاموا الاسلام ونشروه في العالم . وان شاؤا المقارنة بين ما كتبه هذا اللبناني عن المسلمين وبين ظلم دول النصارى للمسلمين ولليهود أيضا فهذه نبذة منه :

اضطهاد اسبانية لمسلمي الاندلس ويهودها

جاء في ملخص تاريخ الاندلس الذي جمعه الامير شكيب ارسلان ذيلاً لرواية (آخر بنى سراج) مانعه مترجماً عن النوارىخ الافرنجية : كانت دولتا قشتالة وأراغون تتسابقان في تعذيب المدجنين الذين ذكرنا أنهم المسلمون الخاضعون لحكومة الاسبانيول وملوك الدولتين يتبارون

٧١٠ ظلم اسبانية واضطادها للمسلمين واليهود المذارج ٢٥ م ٩
في الانتقام منهم والنكال بهم استزادة للمثوبة واستملاء في درجات الآخرة،
حسبما كانت عليه حالة ذلك العصر من التعمس الديني والتأخر المدني
ففي قشتالة كان هنري أخو بطريرك قد جعل للمدجنين والاسرائيليين
علامة فارقة اسمها (المشيرة) وأمر بمنع اختلاطهم وأخذهم وعطائهم مع
الاسبانيول وان لا يقبل أحد منهم في خدمة الدولة

وفي أيام جان الاول ملك قشتالة صدرت الاوامر بأن كل مسيحي
يربي في بيته مدجنا (مسلم) أو اسرائيليا فله الحق كل الحق أن يؤدبه
بالسياط وانه لا يجوز لمدجن ولا يهودي ان يستخدم عنده مسيحيا، وان من
خالف ذلك يضرب وتضبط أملاكه، كما انه لا يجوز دخول مسلم ولا يهودي
بيت أحد من الاسبانيول الا اذا كان طيبا وثبت لزومه ومن خالف ذلك
يغرم بدفع ستة آلاف مراويد (نوع من السكة)

وسنة ٨١١ هجرية جدد جان الثاني أمر سلطته في رفض المدجنين
واليهود في خدمة الدولة وضم اليه أن جزاء المخالفة دفع ثلاثة آلاف
مراويد، وان كل من يسافر من المسلمين أو اليهود مع أحد الاسبانيول أو
يؤاكله أو يستخدمه في عمله يجلد مائة، واذا تكرر العمل يؤخذ منه ألف
مراويد ويكون ثلثها للمخبر، واذا وجد أحد من هؤلاء في ولية اسبانيولي
يغرم بدفع ثلاثة آلاف وان عاد صاحبها له من الاسبانيول أثناء مرض يدفع
ثلثمائة وان عاملهم بأخذ أو عطاء يدفع الثلاثمائة ويضرب ويعزر

وكانت في بادئ الامر محاكم مخصوصة بالمدجنين فالغيت في التالي
وأحيلت دعاويهم الى محاكم الاسبانيول وصدرت الاوامر ايضا بأن كل
من يخرج مدجنا من مزارعه ويستخدم لخدمته جنابدا لا عنه يغرم بخمسة

المنار : ج ٩ م ٢٥ ظلم اسبانية واضطادها للمسلمين واليهود ٧١١

آلاف مراويد وان تكرر فعله فبمائة الف وان تكرر ايضا تضع الدولة يدها على جميع عقاراته. واذا فرمدجن الى غرناطة ووقع أثناء فراره في يد الاسبانيول عدة اسير حرب وضبطت جميع أمواله وصار ملكا لمن يمسكه وسنة ٨٢٦ أضيف الى هذا الشرط أن من منهم من المدجنين ابنه من التنصر عذب شديدا ومن اسر من مسلمي غرناطة احدا كان له ملكا خالصا

وسنة ٨٣٠ صدرت الاوامر بعدم اعتبار امضاء الاسبانيول فيما عليهم للمدجنين واليهود وباعتبار امضاء هؤلاء فيما عليهم للاسبانيول وسنة ٨٣٣ صدرت الاوامر ان المسلم او الامرائيلي المدعى عليه بدين لا حد الاسبانيول اذا انكره لا يقبل منه اليمين ولكن حيث كان بعض المدجنين واليهود يضمنون الاراضي الاميرية في هذه الحالة يقبل منهم اليمين عند الاتكار لعدم إلحاق الضرر بمخزينة الدولة

وسنة ٨٨٠ صدقت الملكة ايزابلا بجميع عهد جاز الصغير وأضافت عليها حظر لباس الحرير وحلية الذهب والفضة على المسلمين واليهود (عاملت المسلمين في ذلك بحكم شريعتهم لكن في الرجال فقط) ووضعت لهم علامات فارقة في اللبس من جعلتها رقعة زرقاء عرضا أربع أصابع لتمييز المسلمين والاسرائيليات

وما كفى كل هذا حتى نشرت حكومة قشتالة امرا لجميع عمال النواحي بأنه بلغ الملكة وقوع إهمال في اتقاد بعض الشروط بتجاسر في حق المدجنين واليهود وانه ان حصل فيما بعد اقل تقاعس من احد في تنفيذها بحرقها بمنزل من منصبه ويحرم مماشه

واما في مملكة اراغون فكان بطريرك الثالث قد اعلن في نحو سنة ٦٨

هجرية أن كل شخص مسيحياً كان أو مسلماً أو إسرائيلياً يمكنه استيطان مملكته والإقامة بها حيث شاء لكن ينشئ المسلمون واليهود من الخدمة العسكرية والمالية في الحكومة ويحظر عليهم أن يدينوا الأسبانيول مالا بأكثر من فائدة عشرين في المائة وأن دعاويهم تنظر عند المحاكم ويقبل فيها البمين على أنه أن كان لمسلم أو يهودي دين عند أحد الأسبانيول بدون سند أو يدنة خطية فيقبل قوله من تاريخ الدين إلى خمسة عشر يوماً من ثمة لا يهود مقبولاً والسند الذي للمسلم والأسبانيول على الأسبانيول أن لم يسجل عند حكام الأسبانيول فبعد مضي ست سنوات يسقط اعتباره ويلغى كل حكم له

وسنة ٧٧. أصدر الدون جان أمراً بأن من تنصر من أبناء المدجنين ومات أبوه فله نصيبه من الارث كما لو بقي مسلماً

وسنة ٧٨٠ صدرت الاوامر بأن كل مدجن يفر إلى ارض غرناطة ويقع في اليد يعتبر انهير حرب وتضبط املاكه وتقسم إلى ثلاثة اقسام الاول للملك والثاني لمن يكون قد قبض عليه والثالث مناصفة بين صاحب الارض التي أبق منها وصاحب الارض التي تهبأ وقوعه فيها

ثم منع المدجنون من الجهر بالشهادتين (تأملوا) واستعمال التنهير لما نيه من تحريك الجامعة وجوزي من يجاهر بشيء من ذلك بالقتل (تأملوا) وسنة ٨٩٠ أصدر الملك فرديناند صاحب اراغون امرًا بمنع المدجنين من الخروج من مملكته وأنه إذا استصحب أحد الأسبانيول أحدًا منهم في خدمته لضرورة قضت فيؤذن بشرط أن لا يكون مع المدجن ولد دون الأربع عشرة من عمره ذلك خوفاً من الفرار إلى بلاد الاسلام — إلى

غير ذلك من آيات العدل (١) التي تواترت في كتب الافرنج فليخصنا منها ما قرأت لا عجب فلولا هذه الغرائب ولولا الامعان في الظلم الى هذه الدرجة لما تأخرت اسبانية الى الحد الذي وصلت اليه بمد ان كان لها من مركزها في أوروبا وافتتاح اميركا على يدها وانبساط أيديها في مستعمرات الخلافتين ما يضمن لها المقام الاول بين الدول اهـ

﴿ من الامير الى الملك ﴾

بعث الامير شكيب ارسلان بكتاب سياسي خطير الى الملك حسين راينا ان نشره لما تضمنه من الحقائق التاريخية قال :

الامير النبيل سليل العترة الفاطمية ، وطراز المصابة الهاشمية ، اطال الله بقاءه ، وسدد الى الصواب آراءه ، آمين

لا يخفى ان من الاحاديث الماثورة المشهورة عن جدك سيد الثقلين (ص) « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » (١)

فاذا كان الامر كذلك ايها الامير، ويطابق على صحته العقل وتظاهر بدهته الحديث، فماقولك بالمؤمن يلدغ الف مرة ؟ وما ظنك بالمؤمن ابن المؤمن والشريف ابن الشريف ولي نعمة الايمان ، ومشرق نور الاسلام ، وامير بلاد الله الحرام، ان لدغ من جحر قد سبق أنه لدغ منه غيره من المؤمنين لا مرة ولا مرتين ، بل مرارا يضيغ عندها الحساب، ولا يستوفيا كتاب ؟

(*) رأينا هذا الكتاب بهذا العنوان في جريدة (الوطن) السورية البرازيلية ولم نره في جريدة اخرى والظاهر انه كتب في أوائل سني الحرب الكبرى، فلم ندر كيف وصل الى هذه الجريدة المنشأة لنشر الاعلانات التجارية دون غيرها من الجرائد التي اعددنا أن نرى فيها جولات براع أمير البيان فنشرناه بنصه لما فيه من الجرح الناهضة على جهل الشريف حسين وغروره وجنائته على الامة العربية وبلادها ومن النصائح الناصحة والحكم البالغة التي يجب أن يعرفها كل عربي

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما

أيها الأمير عندنا في بر الشام مثل سائر : إن أنت لم نمت ألم تر من مات
 فعلى فرض أن الانكليز لم يخونوك الى الآن أيها الأمير ، أفلا تنظر الى من
 خانوا قبلك؟ وعلى تقدير أنه لم يأت وقتك أفلا اعتبرت بمن أمهلوا قبلك ثم أخذوه؟
 وإذا كانوا لم يعترضوك الى اليوم في داخل إمارة مكة أو في الحجاز فيمكنك
 أن تريح فكرك منها منذ الآن (١) ولا حاولوا إدخال عسكرهم الى البلد الحرام ، ولا
 وضعوا ضباطهم على أبواب حجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، تذاذبا من العجالة
 التي قد تخالف الحكمة ، وتجر الوحشة على حين لم يسترح بالهم ولا تحققت آمالهم
 أفليس عندك أنت بمكانك من الذكاء والفضل ومطالعة التواريخ وقياس
 الحاضر على الماضي وقوة الاستنتاج ما يدلك على أنك بعد ركود العواصف
 ومضي الازمة وانتضاء الغرض من مراعاتك ومدارتك صائر الى ما صار اليه
 غيرك ولا حق بمن تقدمك من ملوك الاسلام الذين وقفوا في حبال الانكليز
 طوعا أو كرها ، فما زالوا حتى عفوا آثارهم ، واطفئوا نارهم ، وجعلوا في الغابر من
 اتظن أيها الأمير أن الانكليز يغدرون بكل هؤلاء الملوك والملك
 ويستثنونك أنت من الجميع فيتملكون فيك الوفاء ويخرقون من أجلك خطة القدر
 التي صاروا عليها الى يومنا هذا مع كل من ظلمته الخضراء ، وأقلمت النعيراء ، حال
 كون غرضهم في محو امارتك وأخذ بلدك أعظم من غرضهم في أخذ غيرك ، وحال
 كون مصلحتهم في طي سجلاتك أهم من مصلحتهم في حذف أي أمانة من أمارات
 الاسلام ، لانهم يرون أنهم إن استولوا على الحرمين الشريفين فقد استولوا على
 الرأس فصارت في أيديهم أرواح المسلمين في مشارق الارض ومناكبها ، وعاد
 المسلمون لا يملكون معهم عينا تطرف ولا نفسا يصمد ، وأمنوا جانب انتقامهم
 عليهم في مستقبل الايام . وكل فتوحاتهم لا يحسبونها شيئا بالقياس الى نشر
 أجنتهم على الحجاز وعلى البلد الامين - والعياذ بالله - وجعله من جملة
 مستعمرات بريطانيا

أم غرك كون الانكليز عقدوا معك عهدا ؟ قل بحرمة جدك أيها

(١) وضع هذه الجملة التفرعية بين الجملة الشرطية وما عطف عليها غير ظاهر

الشريف ابن الشريف : كم عقدا عقد الانكليز ولم ينتهضوه؟ وكم عهدا أبرموه ثم لم يجعلوه أنكاثا؟ وما إخالكم تجهل التاريخ وتكابر في التواتر بمن شأنهم في الاخلال باليهود والمواثيق الى الحد الذي تنكر فيه هذه الحقيقة التي تتجلى في جميع معاملاتهم سواء مع المسلمين أو مع سائر الامم؟

ناشدك الله أيها الامير هل أنت مصدق في ذات صدرك وذخيرة نفسك أن للانكليز عهدا يرعونه معك أو مع غيرك، أو ذماما يحفظونه لك أو لسواك اذا قضت سياستهم (١) أفلم تكن تقرأ ولم يخبرك أبوك الامير الكبير أنه قرأ اعلانات حكومتهم الصريحة الرسمية مرارا بأنهم يخلون مصر عند ما يستتب فيها الامن ويميدونها الى اهلها؟ فماذا كان بعد ذلك سوى انهم لبثوا يلتمسونها لتسريحها حتى انتهوا باستلحاقها بدون ادنى مبالاة بيهود خطية، ولا بمواعيد رسمية، وضموها الى سائر مستعمراتهم؟ وان احسوا بأدنى مقاومة لافكارهم في ارض مصر يندفعون هذه الحكومة القائمة فيها كالشبح المائل، ويحملونها ولاية كسائر الولايات، ولا نظيل عليك بسر ما صنعوه في الهند وبنجبار وجنوبي اليمن ومسقط والبحرين والكويت والعجم وبلوخستان وغيرها، وكل مبادئهم مع هذه البلاد لم تكن الا كبادئهم معك، فكان من البديهي ان ينتهي معك الامر كما انتهى مع غيرك

والى كم أيها الامير تمر بنا المثالات ولا نعتبر، ونهملنا الحوادث ولا ندرك؟ ونكون أشبه بالغنم بأخذها الجزار للذبح واحداً بعد واحد وهي لا تمقل ماذا يصنع بها حتى يصير السكين في أعناقها؟

فاذا كان من المقرر عند أهل الشرق والغرب أن الانكليز ينكثون عهودهم لما هو أقل شأنًا من الخيثار وتلك البقاع المقدسة التي تهوي اليها أفئدة المسلمين كل حذب فهل هناك في يدك من قوة مادية تمنعهم من دخول قلب بلادك ويكونون مضطرين أن يحترقوك من أجلها؟ أو تردعهم فيما لو قضت عليهم سياستهم عن سلب إمارتك، لا بل والايقاع بك واستئصال جرثومتك؟

لا جرم انك تقدر أن تدعى بوجود بعض عشائر من العرب توفر القوة التي

(١) كذا في الاصل والمعنى اذا قضت سياستهم غير ذلك او ان يخفروه

تكنفل دفع انكلترا بجيوشها الجزاراة عن مكة والمدينة، ولا أحد من الخلق يرتاح الى هذه الدعوة، فانت اذا باتفاق كلمة جميع العقلاء وأهلك وقومك باقون تحت رحمة انكلترا ورهن ارادتها، وقيد اشارتها، موكل امرم الى أمانتها وكرم أخلاقها، (١)

لا قوة معنوية تتكلمون عليها من حفظ العهد، وتأكيد الوعود، بعد ما رأينا سياسة انكلترا مع غيرك. ولا قوة مادية من جيوش منظمة ومدافع وذخائر وأعتاد وطائرات وبوارج وغواصات وما أشبه ذلك مما تنظم انكلترا معه جانب الادب والكماسة، فبماذا أنت آمن شر تلك الدولة على جزيرة العرب ولا سيما على الحجاز منذ أحقاب؟ (٢) وأي ضمان عندك على كونها لا تقلب لك ظهر المجن، فتندم حين لا ينفعك الندم؟ وبعد أن يكون تسلط غير المسلمين على أقدس تراب عند المسلمين منذ ١٣ قرنا

ليس من باباوية في الاسلام أيها الامير، ولا مزية للمسلم على المسلم إلا بالقوى؛ وأقرب الناس الى الرسول أطوعهم لوصاياه، وأنت لا تجهل ما في كلام الله وأحاديث جدك المصطفى (ص) مما يثبت لك أن مزيك هذه المتعة بسلاوة الرسالة وبنور النبوة إنما تبدأ عند حفظ حدود الله لا غير

أم تظن (أن الغاية تبرر الوسيلة) كما يقولون؟ وانك إنما تريد لنضع اساس دولة عربية تبدأ في أول امرها بالنشوء تحت حماية انكلترا حتى اذا بلغت أشدها استقلت تماماً، وأن تلك هي سنة النشوء والارتقاء؟ فاعلم أيها الامير ان الذين يزينون لك هذه الالهام هم قوم قد عرفناهم وندرفهم لاخلاق لهم، ابتلى الله بهم هذه الامة كما ابتلى كل الامم بامثالهم، وما هم في واقع الحال سوى مبادرة

« ١ » المثار: كان الاولى بالكاتب أن يخاطب حسينا هنا بلغته وعرفه في التعبير عن امكاله على انكلترا فيقول: موكل امرم الى «الحسيات النجبية البريطانية» وهو حين كتب هذا لم يكن يعلم انه هو واولاده بنوا اساس سياستهم على أن يكون الحجاز وما دونه من بلاد العرب تحت حماية الانكليز بشرط ان يجعلوهم ملوكا امراء فيها « ٢ » لعله قد سقط من هنا كلمة يتعاقب بها ما بعدها كان يقال الطامعة هي فيه منذ أحقاب

الانكليز يسعون أن يتموا لانكلترة صفقه البلاد العربية واسماؤهم مقيدة في دفتر المبالغ السرية التي تنقدها انكلترة ممارستها السياسيين كلا على قدر خدمته يدخل هؤلاء عليك وعلى غيرك بمثل هذه الاعايل التي هي أسخف من أن يتنزل فاقل مثلك لاستماعها فضلا عن أن يتلقاها بالقبول .

هل الانكليز الذين حلوا في المنام بطائر خلق فوق الهند همبوا مذعورين وارسلوا بيزاة طياراتهم لاصطياده في لوح الجو يرضون أن هذا العرق العربي النجيب الذي سبق له ما سبق في التاريخ العام يتمكن من تأسيس دولة عربية مستقلة على ضفاف البحر الاحمر دهايز الهند تسد على الانكليز طريق حياتهم ومجاري انفسهم أي وقت شاءت ؟ أياظن اولئك المدعوون بالانكليز انهم صاروا أدهى من رجال بريطانيا وأعلى كعبا في السياسة وأبعد نظراً في عواقب الامور حتي انتهبوا الى ما غفلت هي عنه وفكروا في مستقبل الامة البريطانية

ام هذه الامة البريطانية التي هي اربعون مليوناً خامر عقولها الجنون فصارت تسعى بارادتها في تأسيس استقلال للعرب على طريق الهند أو في مقابلة مصر والسودان وتبحث عن حنفها بظلفها ؟

قل لهؤلاء القائلين بالدعوة العربية الناهضين لحفظ حقوقها وأخذ ثاراتها ماذا الى اليوم أمنوا من حقوق العرب بقيامهم ليقولوا لنا ماذا أقاموا للعرب من الملك حتى نشكرهم وتقرب بفضاهم لانا عرب نحب كل من أحب العرب ونبغض كل من ابغض العرب ولا نبالي بالقال والقليل أمام الحقائق

أترانا اكتفيننا بأن يتلقبوا بالقباب الحكام ذوي السلطان ؟ فهل الملك بالالقباب والإلفاظ الضخمة ؟

ليتلقب واحد منهم بملك الملوك أو سلطان السلاطين وهو ذوقوة نعرفها كما هي فما يؤثر على الامة الاسلامية أو يفيدها (١)

(١) قوله وهو ذوقوة نعرفها كما هي - يعني أنها لا غناء فيها ولا اعتداد بها ، والا فال مقام مقام النبي اي وهو ليس بذئ قوة يصدق بها اللقب . وقوله : فما يؤثر على

ان قلت انك مستقل في الحجاز وانها أول بلاد عربية استقلت أجبناك إن الحجاز وحده لا يمكن أن يستقل عن بريطانيا طرقة عين مادام الحجاز عيالا على الخارج وعلى ما وراء البحر وما دام ليس هناك استقلال اقتصادي ممكن وان قلت انه يقدر أن يستغني عن البحر وأن يعيش من الداخل فأني داخل دخل عليك لهذه المملكة الجديدة (لها بقية)

(المطبوعات الحديثة)

أكثر ما يهدي إلى المنار من المطبوعات الحديثة خيارها بالفعل أو برأي يعرفنا من ناشري الكتب في مدح ما لا يستحق المدح أو السكوت عن ذم أصحابها لعدم طمع من الضار كما كثر الروايات والقصص وأمثالها وقد كثر لدينامن المطبوعات ما يستحق أن يقرأ وأن يقرظ وينتقد للترغيب في نفعه أو التحذير من ضرره، ولا نزال بضم بالقرب منا كثيراً من هذه الكتب والرسائل لنذكرها عند سماع فرصة فقرأ منها ما يبيح لنا أن نقول فيها قولاً مفصلاً أو مجزئاً، وقد سبق أن ذكرنا مثل هذا واكتننا ترى الموانع تزداد سنة بعد سنة فمر مناه على احتذاء مثال غيرنا من أصحاب المجلات بذكر هذه المطبوعات بكلمات وجيزة قضاء ما للمهدين من الحق الذي أعطاه إياه الشرع والعرف فمن هدي السنة النبوية مكافأة المهدي وجزاؤه، ويقابل ذلك حق قراء المجلات على قرائها في النصيح لهم أو عدم غشهم على الأقل فنقول

(الاخلاق عند الغزالي)

من هذه الكتب التي يوجب الشرع والعرف وحال العصر انتقاده بالتفصيل كتاب (الاخلاق عند الغزالي) الذي ألفه (الدكتور زكي مبارك) وتقدم به إلى الجامعة المصرية عند امتحان شهادة (الدكتوربة) في الآداب العربية فكان لذلك ضجة الأمة الإسلامية اطلع لعل أصله الأمة العربية فخرف في الطبع أو سبق القلم قبله. وتعدية التأثير على من اغلظ الجرائد التي يجتنب مثلها إلا وير شكيب ولكنها أكثر استعماله قولاً وكتابة حتى صارت تجري بها الأقلام كالأسنة ولا يتذكر الكاتب العالم بها أنها من الغلط

استنباه وحالة شديدين من علماء الازهر وغيرهم من أهل الدين سبق مثلها لغيره من
خريجي هذه الجامعة فكان ذلك من المسائل التي تستوقف الفكر ، وتدعو إلى
الجلولان والبحث ، وقد نظرنا في هذا الكتاب نظرة عجيبة مرة واحدة ، وقرأنا
منه مسائل متفرقة ، علمنا بها أن فيه من مواضع النقد ما لم نسمع ولم نقرأ كلاما لا أحد
فيه ، ولله أم من كل ما كتب الكتائب الكثيرون في نقده — لهذا نعد بأننا
سنخصه بوقت نقرأ فيه منه كل ما يتوقف عليه الحكم فيه قبل كتابة ما طلب منا
مهديه وغيره من نقده ان شاء الله تعالى

(غرائب الغرب)

« كتاب اجتماعي تاريخي اقتصادي أدبي فيه كلام عن مدينة فرنسا وانكلترا
والمانية وإيطالية واسبانية وسويسرة والبايجيك وهولاندة والنمسة والمجر والبلقان
واليونان والاسنانية ومصر والشام — ومقالات في علائق الغرب بالشرق منذ الزمن
الاطول ، ولا سيما صلات الغرب مع العالم الاسلامي والعربي منه خاصة ، في جنوبي
إيطالية وفرنسة »

مؤلف هذا الكتاب صديقا محمد افندي كردعلي رئيس المجمع العلمي العربي
في دمشق ومنشي ، مجلة المتنبس وجريدة المتنبس فروغني عن التعريف ، مشهور
عند أهل العلم والادب ، حسن الاختيار حسن العبارة معتدل الفكر حريص على
الاصلاح العلمي والمدني فما كتبه في هذا الكتاب من أخبار رحلته الاولى والثانية
الى أوروبا مفيد لقراء العربية ن شاء الله تعالى كما رجا من كرم الله تعالى
طبع الجزء الاول منه صاحب المكتبة الاهلية بمصر سنة ١٣٤١ في المطبعة
الرحمانية وهذه الطبعة الثانية له صفحاه ٣٣٨ و٢٥٤ قرشاهو يطلب من طابعه
ومن مكتبة المنار بمصر

(المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية)

لمنشي ، مجلة الهلال جرجي زيدان بك كآب في تاريخ آداب اللغة العربية يدخل
في أربعة أجزاء مرتب على أعصر التاريخ كان رسم خطه لاختصاره في جزء واحد .

يرتب على حسب الموضوعات الادبية ولكنه توفي قبل انجاز ذلك فمهدت ادارة الهلال الى الاستاذ أنيس أفندي الخويري المقدمي استاذ هذا الفن في الجامعة الاميركية ببيروت بمراجعة اصوله وتهيئها فأجاب وأجاد، وقد طبع الكتاب في العام الماضي بمطبعة الهلال على ورق جيد فنحث القراء على مطالعته

(الزهراء) مجلة علمية أدبية اجتماعية تصدر في القاهرة في منتصف كل شهر عربي لمنشئها محب الدين (أفندي) الخطيب ، اشتراكها السنوي خمسون قرشا مصرياً في المملكة المصرية وستون قرشا في الخارج ، وستة عشر شهراً وتأتلف كل جزء منها من ثمانية كراريس (ملازم) وتهدى الى المشتركين كتاباً في آخر السنة بدلاً من الشهرين

صاحب هذه المجلة كاتب مشهور اشتغل بالكتابة والتحرير في عدة صحف أولها المؤيد وآخرها الاهرام ولا يزال من المحررين فيها ، وهو محب للثقافة فبجأته جدية بالثبات على خدمة الآداب العربية مرجوة الارتقاء والنجاح، فمضى أن تصادف من القراء تفضيلاً يمينها على هذه الخدمة النافعة

(الشورى)

جريدة اسبوعية سياسية تبحث في شؤون سورية : فلسطين سورية لبنان شرق الاردن — يصدرها في مصر محمد علي أفندي الطاهر سكرتير الجمعية الفلسطينية بمصر وهو من الشبان الفلسطينيين الاذكياء يحرص بالسياسة من نشأته الاولى في أثناء الحرب العامة وتمرن على الكتابة في أشهر الجرائد المصرية والسورية الفلسطينية، وهو في نشاطه وخبره جدير بالنجاح في عمله وخدمة وطنه به ، وله اصدقاء كثيرون من حملة الاقلام يواظرونه ويمدون جريدته في الموضوعات السياسية العامة والآداب فتسمى له التوفيق والفلاح وقيمة الاشتراك في الشورى ٧٥ قرشاً صحيحاً في القطر المصري و ٧٥ قرشاً في فلسطين وسائر الاقطار

(يؤتي الحكمة من
يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد
أوتي خيرا
كبيرا ، وما
يذكر الا أولو
الالباب)

الملك
١٣١٥

(فبشر عبادي
الذين يستمعون
القول فيتعبدون
أحسنه • أولئك
الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو
الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٣٠ شعبان سنة ١٣٤٣ - ٤ المحل سنة ١٣٠٤ هـ ش ٢٥ مارس سنة ١٩٢٥

فتاوى المنار

حكم المكره على الحلف بالله أو بالطلاق

(س ٢٧) وجه الينا الاستفتاء الآتي في جريدة الاهرام من أصحاب الامضات التي في آخره وم من المندوبين لانتخاب أعضاء مجلس النواب المصري وقد اتهم أن من رجال الحكومة من يكره أمثالهم على الحلف بانتخاب فلان دون فلان وقد استفتي غيرهم بعض العلماء فجمع بعض وسكت بعض . وهذا نص الاستفتاء :

الى العالم العلامة المصلح الكبير حجة الاسلام ومشكاة الشرع السيد محمد رشيد رضا منشي المنار الاسلامي

ماقولكم دام فضلكم فيمن اكره على الحلف بالطلاق أو بالله أو بالمصنف ليفعل أمرا لا يجب عليه شرعا فعليه مع قدرة المكره على تنفيذ ما هو به المكره (بالفتح) لازمه للاسلام حصنا منيما والدين همادا رفيعا

محمد خطاب مندوب ثلاثيني . سيد احمد علي مندوب ثلاثيني . مصطفى مندوب ثلاثيني

وهذا نص ماأجبنا به ونشر في الاهرام

نحن إنما نجيب عن أمثال هذه المسائل ببيان دلائل الشرع وحكمة أحكامه لا بالكتب المحصورة في مذهب معين وان كان هو الذي قيدت به المحاكم الشرعية والفتاوى الرسمية . فنقول هنا اذا حلف أحد ليفعل كذا مما لا يجب عليه شرعا ففيه تفصيل فان غير الواجب يشمل المندوب والمستحب شرعا والمباح والمكروه والحرام ، فان كان المحلوف على فعله مندوبا أو مباحا فلا وجه لتفصي من القسم وعدم البر باليمين بعذر الاكراه فان ما سيأتي بيانه من الخلاف والراجع منه في مسألة الاكراه لا يقتضي أن يحنث في يمينه فان الخروج من الخلاف أولى من الدخول فيه كما قال العلماء ومن اليديهات أن من لا خلاف في جواز عمله أو صحتة خير من المختلف فيه

وان كان المحلوف على فعله من المحظورات القطعية أو الظنية فلا يفعله وان حلف مختاراً فان اليمين على فعل المعصية أو ترك الواجب باطلة لا يجب الوفاء بها بل يحرم ومثلها النذر واختلاف في كفارتها كما سيأتي فكيف اذا أكره على الحلف اكرها وكيف لا يحنث في اليمين على ترك المعصية وقد صح الامر بالحنث فيمن حلف على شيء فوجد غيره خيراً منه ، وفيه أحاديث منها ما رواه الشيخان (البخاري ومسلم) وغيرهما من حديث عبد الرحمن بن سمرة (رض) قال قال رسول الله (ص) « اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير » وفي رواية لابي داود والنسائي « فكفر عن يمينك ثم أت الذي هو خير » وفي معناه أحاديث أخرى في الصحيحين والسنن وهو دليل على أن من حلف أن ينتخب فلاناً لمجلس النواب ثم رأى أن غيره أنفع منه واقتدر على القيام بالمصلحة فعليه أن ينتخب هذا دون من حلف لينتخبه ويكفر عن يمينه اذا حلف باختياره وإلا فلا كفارة عليه

وفي معنى ذلك في النذر قوله (ص) « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه » رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الأربعة من حديث عائشة (رض) بل ورد فيمن نذر أو حلف على عمل شاق إفتاء النبي (ص) إياه بالكفارة دون تمذيب نفسه: روى الشيخان وأصحاب السنن الثلاثة من حديث أنس أن النبي (ص) رأى شيخاً يهادى بين ابنيه فقال ما هذا ؟ قالوا نذر أن يمشي — زاد النسائي في رواية — الى بيت الله — قال « ان الله عن تمذيب هذا نفسه لغني » وأمره أن يركب وروى أحمد والشيخان عن عقبة بن عامر قال نذرت اختي أن تمشي الى بيت الله فأمرتني أن استتي لها رسول الله (ص) فاستفتيته فقال « لتمشي وتركب » وفي رواية أصحاب السنن الأربعة أن اخته نذرت أن تمشي حافية غير مختمرة وأن النبي (ص) قال له « ان الله لا يصنع بشقاء أحدك شيئاً مرها فلتختمر وتركب ولتصم ثلاثة أيام » وفي بعض الروايات امرها أن تهدي بدنة .

واختلف في النذر بمعصية هل تجب فيه الكفارة أم لا فقال الجمهور لا، وعن

أحمد والثوري واسحق و... الشافعية والحنفية نعم — ونقل الترمذي اختلاف الصحابة في ذلك، واتفقوا على تحريم النذر في المعصية واختلافهم إنما هو في الكفارة قاله في نيل الاوطار

وأما الحلف بالطلاق اختياراً فلا علماء فيه ثلاثة أقوال مشهورة أشدها أنه يقع به الطلاق وأخفها أنه لا يقع به شيء البتة لأنه عبارة عن تأكيد للكلام وصاحبه لم يعزم الطلاق ولم يردده وأوسطها أنه يجب به كفارة يمين . وليس هذا بموضع بسط أدلة هؤلاء القائلين وترجيح الراجح منها وإنما ذكرناه تمهيداً للكلام في الاكراه عليه هل يقع أم لا

اتفق جمهور أئمة المسلمين وعلماء الملة المستقلين من السلف والخلف إلى أن من أكره على شيء من قول أو فعل فأنى به مكرها غير مرید له فإنه لا يؤخذ به في الجملة ، واختلفوا في مسائل من ذلك تمارضت فيها النصوص عند بعضهم أو رأوا أنه لا يتحقق فيها الاكراه . والاصل في هذه المسألة قوله تعالى في سورة النحل (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) الآية — فجعل الكفر بالله بالاكراه من مطمئن القلب بالإيمان غير مؤخذ به والكفر أعظم الآثام وأشدّها عقاباً فما دونه أولى بأن لا يؤخذ المكره عليه ، وكذا قوله تعالى في الاكراه الاماء على البقاء (ومن يكرهن فإن الله من بعدا كراههن غفور رحيم) أي لا يعاقبن على الزنا بالاكراه

قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه (أحكام القرآن) في تفسير الآية الأولى: فذكر استثناء من تكلم بالكفر بلسانه عن اكراه ولم يعقد على ذلك قلبه فإنه خارج عن هذا الحكم معذور في الدنيا مغفور له في الآخرة

ثم قال في سياق تفسير المكره : وقد اختلف الناس في التهديد هل هو اكراه أم لا ؟ والصحيح أنه اكراه فإن القادر الظالم إذا قال لرجل ان لم تفعل كذا والا فقتلك أو ضربتك أو أخذت مالك أو سبجتك ولم يكن له من يحميه إلا الله فله أن يقدم على الفعل ويسقط عنه الاثم في الجملة إلا في القتل فلا خلاف بين الأمة أنه إذا أكره عليه بالقتل أنه لا يحل له أن يفدي نفسه بقتل غيره . ثم ذكر الخلاف في

الزنا أيضا وقول من قال انه لا يتحقق فيه الاكراه لانه شهوة غريزية الخ
ثم قال : لما سمح الله تعالى في الكفر به وهو أصل الشريعة عند الاكراه ولم
يؤاخذ به ولا ترتب حكم عليه وعليه جاء الاثر المشهور عند الفقهاء « رفع عن امري
الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » والخبر وان لم يصح سنده فان معناه صحيح
باتفاق من العلماء ، (١) ولكنهم اختلفوا في تفاصيل (منها) قول ابن الماجشون في
حد الزنا وقد تقدم (ومنها) قول أبي حنيفة ان طلاق المكره يلزم لانه لم يعدم
فيه اكثر من الرضا وليس وجوده بشرط في الطلاق كالمأزول . وهذا قياس باطل
فان المأزول قاصد الى ايقاع الطلاق راض به والمكره غير راض ولا نية له في
الطلاق ، وقال النبي (ص) « انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوي »

ثم قال : من غريب الامر ان علماءنا اختلفوا في الاكراه على الحنث في اليمين
هل يقع به الاكراه أم لا . وهذه مسألة عراقية سرت لنا منهم لا كانت هذه المسألة
ولا كانوا هم ، وأي فرق يامعشر اصحابنا بين الاكراه على اليمين في انهما لا يلزم
وبين الحنث في انه لا يقع ؟ فاتقوا الله وراجعوا بصائركم ، ولا تغتروا بذكر هذه
الرواية ، فانها وصمة في الرواية » اهـ

أقول أما حديث « ثلاث جدهن جد وهزلن جد النكاح والطلاق والرجعة »
الذي استدلل به الحنفية في هذه المسألة فقد رواه أصحاب السنن الا النسائي وقال
الترمذي حسن غريب ، وفي اسناده عبدالرحمن بن حبيب بن ازدك قال النسائي
فيه منكر الحديث ووثقه غيره وله شواهد أضد منه

وقد رد الجمهور استدلال الحنفية به بمرمه على وقوع طلاق المكره من
وجوه غير ضعفه اقواها انه لو كان صحيحا لما صلح معارضا لقوله تعالى (الا
من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) ودلائلها على عدم الاعتداد بطلاق المكره وبمبنيته
ونذره بالاولى ، (ومنها) الاحاديث الواردة في ذلك كحديث « لا طلاق ولا
اعتاق في اغلاق » والاغلاق الاكراه كما نقله الحافظ وقال انه المشهور رواه احمد

(١) سيأتي تحسين بعض اهل المرح والتعديل له

وابو داود وابن ماجه بن حديث عائشة وكذا ابو يعلى والحاكم وصححه وفي اسناده محمد بن عبيد بن أبي صالح ضعه أبو حاتم وذكره ابن حبان في الثقات ولكن رواه البيهقي من غير طريقه — وكحديث « رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس وفي اسناده مقال وقد حسنه النووي وفي معناه آثار تقويه سنذكر بعضها وأقل ما يقال في هذه الروايات انها مخصصة للحديث الذي ذكره ومنها حديث النية. قال البخاري في كتاب الطلاق من صحيحه :

(باب الطلاق في الاغلاق والكره والسكران والمجنون وامرهما والمط والنسيان في الطلاق والشرك وغيره) يقول النبي (ص) « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » ثم قال فيه : وقال عثمان ليس لمجنون ولا سكران طلاق . وقال ابن عباس طلاق السكران والمستكره ليس بجائز . قال الحافظ ابن حجر في شرحه لعنوان الباب : اشتملت هذه الترجمة على أحكام يجمعها أن الحكم إنما يتوجه على العاقل المختار العائد للذاكر ، وشمل ذلك الاستدلال بالحديث لأن غير العاقل المختار لانية له فيما يقول أو يفعل وكذلك الغالط والنامي والذي يكره على الشيء .

ثم قال الحافظ : وقد اختلف السلف في طلاق المكره فروى ابن أبي شيبة وغيره عن ابراهيم النخعي انه يقع قال لانه شيء اقتدى به نفسه وبه قال أهل الرأي (يعني الحنفية) وعن ابراهيم تفصيل آخر : ان وري المكره لم يقع والا وقع . وقال الشعبي ان اكرهه للصوم وقع وان اكرهه السلطان فلا — أخرجه ابن أبي شيبة ووجه بأن الصوم من شأنهم أن يقتلوا من يخالفهم غالباً بخلاف السلطان

(قال) وذهب الجمهور الى عدم اعتبار ما يقع فيه . واحتج عطاء بآية النحل (الا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان) قال عطاء : الشرك أعظم من الطلاق . أخرجه سعيد بن منصور بسند صحيح ، وقرره الشافعي بأن الله تعالى لما وضع الكفر عن تلفظه حال الاكراه وأسقط عنه أحكام الكفر فكذلك يسقط عن المكره مادون الكفر لان الأعظم اذا سقط سقط مادونه بطريق الاولى ، والى هذه النكتة أشار البخاري بمطاف الشرك علي الطلاق في الترجمة اه كلام الحافظ

وقال الامام الشوكاني في شرح حديث « لا طلاق في اغلاق » من كتابه نيل الاوطار مانصه : وقد استدل بهذا الحديث من قال انه لا يصح طلاق المكره وبه قال جماعة من أهل العلم حكى ذلك في البحر عن علي وعمر وابن عباس وابن عمر والزيير والحسن البصري وعطاء ومجاهد وطاوس وشريح والاوزاعي والحسن ابن صالح والقاسمية والناصر والمؤيد بالله ومالك والشافعي ، وحكى أيضا وقوع طلاق المكره عن النخعي وابن المسيب والثوري وعمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة وأصحابه ، والظاهر ما ذهب اليه الاولون الخ يعني أن الصواب قول الجمهور وشرع في الاستدلال عليه

وحاصل ما تقدم أن من حلف بالله أو بالطلاق مكرها لا تعتقد يمينه ولا يجب عليه به شيء سواء كان اليمين بالله تعالى أو بالطلاق وان هذا ما كان عليه جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين والعترة النبوية وأئمة الامصار ، وان أدلتهم عليه الكتاب والسنة والقياس الصحيح فالمطلوب من كل ذي دين أن لا يمنعه ذلك عن النصيح لأمته ووطنه وعلى المستفتين لنا وأمثالهم أن ينصحوا لأمتهم بانتخاب من يرونه أصلح للقيام بآباء النيابة عن الأمة وأقدر عليها وأخلص فيها (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

﴿ بدعة الحلف بالطلاق وحكمها ﴾

« ص ٢٨ » من سائل كنى عن نفسه بكلمة مستفهم فأجبت عنه بما يعلم منه معنى السؤال — وهذا نص الجواب كما نشر في الالهرام اجابة لطلبه

سألني سائل (مستفهم) عن بدعة الحلف يمين الطلاق هل أحدثها الحجاج بن يوسف الظالم المشهور أم لا وما حكمها وهل قال أحد من الفقهاء انه يجب بها كفارة يمين الخ وجه الى هذا السؤال في جريدة الالهرام أولا فرأيت ان ما يتعلق منه بالحكم الشرعي قد سبق لي بيانه في الفتوى التي نشرت في الالهرام جوابا لمن سألوا عن حكم الاكراه على اليمين بالله وبالطلاق واتي است مكلفا ان أضيع وقتي في كتابة المسائل التاريخية التي يسهل على كل قارئ أن يراجعها في مواضعها . ثم كتب الي هذا السائل كتابا خاصا

وصل الى اليوم (١٥ شعبان) علمت منه أن ماذكرته في الفتوى الاولى من خلاف العلماء في يمين الطلاق لم يفهمه كل أحد حق الفهم لذكره مختصرا — فرأيت أن أجيب عن السؤال بقدر ما أرى من الفائدة بالبيّنات التي تطعن بها القلوب ، والنقول التي تستنير بها البصائر، لا بالدعوى التقليدية التي اعتاد الكثيرون من الشيوخ أن يحملوا الناس عليها لانهم قالوها وعزوها الى مذاهبهم فاقول

إن الشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قواعد في العقود واختلاف المذاهب فيها ودلائلهم عليها وبيان الراجح والمرجوح منها ، هي غاية التحقيق في بابها ، وقد افتتح القاعدة الخامسة منها وموضوعها (الايمان والنذور) بالآيات القرآنية التي تنكر على الناس تحريم ما أحل الله لهم وجعل الحلف باسمه تعالى عرضة لمنع البر والتقوى والاصلاح بين الناس — والتي تدل على عدم المؤاخذه بالغفوي الايمان وهو ما لم ينوه الخالف ولم يكسبه قلبه ، ثم وضع المقصود من الباب بمقدمات وحررها في قواعد مفصلة ، وحصر الايمان في المقدمة الاولى منها في ست (١) ايمان بالله (٢) ايمان بالنذر (٣) ايمان بالطلاق (٤) ايمان بالعناق (٥) ايمان بالحرام كقوله : عليّ الحرام لا أفعل كذا (٦) الظهار الذي هو نوع من تحريم الزوجة بتشبيه الزوج اياها بأمة مثلاً. ثم قال بعد هذا التقسيم «وأما إيمان البيعة فقالوا أول من أحدثها الحجاج ابن يوسف الثقفي وكانت السنة ان الناس يبايعون الخلفاء كما بايع الصحابة النبي (ص) يعقدون البيعة إما كما يعقدون عقد البيع والنكاح ونحوهما وإما أن يذكروا الشروط التي يبايعون عليها ثم يقولوا بآبناك على ذلك ، كما بايعت الانصار النبي (ص) ليلة العقبة . فلما أحدث الحجاج حلف الناس على بيعتهم لعبد المالك بن مروان (١) بالطلاق والعناق واليمين بالله وصدقة المال — فهذه الايمان الاربعة كانت

« ١ » كذا في النسخة المطبوعة من فتاوى ابن تيمية وهي كثيرة الغلط والتحريف وقد سقط «منها» هنا جواب لما أو مفعول أحدث فيكون الاصل على هذا الاخير فلما أحدث الحجاج ايمان البيعة حلف الناس... الخ وهو الاظهر وعلى الاول يكون حلف بفتح فسكون مصدرا وقع مفعولا لاحداث وجواب لما الساقط : صاروا يحلفون بالطلاق... الخ

إيمان البيعة القديمة المبتدعة. ثم أحدث المستحقون (?) عن الأمراء من الخلفاء والملوك وغيرهم إيمانا كثيرة أكثر من تلك . وقد تختلف فيها عاداتهم . ومن أحدث ذلك فحسبه إنما ما ترتب على هذه الأيمان من الشر اهـ

اقول . ولما جرى العباسيون على بدعة الأمويين في إيمان البيعة كان ممن أنكر عليهم من العلماء الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وقد احتمل الأذى في سبيل الله تعالى حتى أنه ترك بعد ذلك صلاة الجمعة والجماعة كما ذكره الفقهاء والمحدثون والمؤرخون .

روي الحافظ أبو نعيم في الحلية أن جعفر بن سليمان ضرب مالكاً في طلاق المكره . قال ابن وهب وحمل على بعير فقال : ألامن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس بن عامر وأنا أقول طلاق المكره ليس بشيء . فبلغ جعفر بن سليمان أنه ينادي على نفسه بذلك فقال أدركوه وأنزلوه . وفي تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي : قال المفضل بن زياد سألت أحمد : من الذي ضرب مالكاً ؟ قال ضربه بعض الولاة في طلاق المكره وكان لا يجيزه فضربه لذلك . وروي عن مالك أنه قال ضربت فيما ضرب فيه سعيد بن المسيب ومحمد بن المنكدر وربيعة ولا خير فيمن لا يؤذى في هذا الأمر . وقال الواقدي حسدوا مالكاً وسعوا به إلى جعفر بن سليمان وهو على المدينة وقالوا أنه لا يرى بيعتكم هذه شيئاً وياخذ بحديث في طلاق المكره أنه لا يجوز فغضب ودعاه به وجرد ومدت يده حتى انخلع كتفه (قال) فوالله ما زال بعد ذلك الضرب في علو ورفعة وكانما كانت تلك الشياطين حلياً تحل به . وروي الحافظ أبو الوليد الباجي قال حج المنصور فاقاد مالكاً من جعفر بن سليمان فاستنم مالك وقال معاذ الله . أي لم يرض بأن يقتص له المنصور من عامله جعفر . وقد نقل خبر عزله وتركه للمسجد والجمعة والجماعة غير واحد منهم الشاطبي وابن خلكان في تاريخه هذا — ولما بلغ شيخ الإسلام مسألة الحلف بالطلاق ذكر أنها لم يرد فيها شيء من الصحابة (رض) لأنها لم تكن حدثت في زمانهم وإنما ابتدعها الناس في زمن التابعين فاختلفوا فيها هم ومن بعدهم رواد طائفة في بيان هذا الخلاف ودلائل المتخلفين فيه ومفاسد القول بوقوع الطلاق وخروجه بالملة السمجة عما وصفها الله تعالى به من اليسر

ورفع الحرج، والحيل التي جعلوها بها آيات الله هزوا، ولا يمكن نقل شيء من كلامه في أدلة المسألة لطوله وتعلق بعضها ببعض، ولكنه ذكر الخلاف في فتوى مختصرة منشورة في أول المجلد الثالث من فتاواه قال فيها مانعه :

« وللعلماء في هذه الايمان ثلاثة أقوال (أحدها) إذا حنث لزمه ما حلف به (والثاني) لا يلزمه شيء (والثالث) يلزمه كفارة يمين . والقول الثالث أظهر الأقوال لان الله تعالى قال (قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) وقال (ذلك كفارة ايمانكم إذا حلفتم) وثبت عن النبي (ص) في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة وعدي بن حاتم وأبي موسى أنه قال « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه » وجاء هذا المعنى في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي موسى وعبد الرحمن بن سمرة ، وهذا يعم جميع ايمان المسلمين » وقد أطلال في إثبات شمول التحلة بالكفر عن اليمين للحلف بالطلاق في رسالة قواعد العقود التي أشرنا اليها بما ينبغي أن يراجع من شاء ذلك والعمدة فيه ما ورد في سبب نزول آية التحريم ونكتفي بأهم ما ورد فيه وأصححه من صحيح البخاري وشرحه الفتح فقط : روى البخاري في صحيحه ان ابن عباس قال في الحرام : يكفر وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) قال الحافظ ابن حجر في شرحه من كتاب التفسير : أي إذا قال لامرأته أنت علي حرام - لا نطلق وعليه كفارة يمين . وذكر من زيادة رواية أخرى عنه : إذا حرم امرأته ليس بشيء (قال) والغرض من حديث ابن عباس قوله فيه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) فان فيه إشارة الى سبب نزول أول هذه السورة والى قوله فيها (قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) وفي بعض حديث ابن عباس عن عمر في القصة الآتية : فما قبله الله في ذلك وجعل له كفارة اليمين . ثم ذكر الحافظ القولين في تحريم ما أحل الله له وهو شرب العسل عند زينب أم المؤمنين أو تحريم مارية القبطية على نفسه (قال) ووقع عند سعيد بن منصور بإسناد صحيح الى مسروق قال : حلف رسول الله (ص) لحفصة لا يقرب أمته وقال « هي علي حرام » فنزلت الكفارة ليمينه وأمره ان لا يحرم ما أحل الله له وذكر غير هذه الرواية في المسألة

ثم عاد الى ذلك في شرح حديث ابن عباس من كتاب الطلاق من البخاري ، ومما جاء فيه قوله : قال زيد بن أسلم فقول الرجل لامرأته : أنت علي حرام - لغو وانما تلزمه كفارة بيمين. وحقق ان قوله : ليس بشيء - معناه ليس بطلاق. أقول واياها كان سبب نزول الآية فليس المراد بالايمان فيها الحلف بالله بل تحريم الحلال بماء يميننا وجري على هذا عرف الناس قديما وحديثا وان اختلفوا في وقوع اليمين بالطلاق وعدمه. وإذا كانت الآية عامة فهي حجة للقائلين بالكفارة وعدم وقوع الطلاق. وهذا ما أطال شيخ الاسلام في بيانه، وله أدلة أخرى إذا كانت اليمين على تأكيد فعل أو ترك منها أمر النية فإن الحالف لا يريد به طلاق زوجته وخراب بيته قطعا وإنما يريد التأكيد كما لو حلف بالله تعالى سواء . ولفظ علي الحرام أو امرأتي علي حرام . بدون قوله ان فعلت كذا أقرب الى عزم الطلاق ومع ذلك وقع الخلاف فيه على أقوال كثيرة لخصها الحافظ بن حجر في شرح ترجمة الباب الذي ذكرنا حديث ابن عباس فيه بقوله :

قوله (باب من قال لامرأته أنت علي حرام وقال الحسن نيته) أي يحمل على نيته ، وهذا التعليق وصله البيهقي ووقع لنا غالبا في جزء محمد بن عبد الله الانصاري شيخ البخاري قال حدثنا الاشعث عن الحسن في الحرام : ان نوى يميننا فيمين وان طلاقا فطلاق ، واخرجه عبد الرزاق من وجه آخر عن الحسن ، وبهذا قال النخعي والشافعي واسحق وروى نحوه عن ابن مسعود وابن عمر وطاوس وبه قال النووي ولكن قال إن نوى واحدة فهي بائن . وقالت الحنفية مثله لكن قالوا ان نوى اثنتين فهي واحدة بائنة وان لم ينو طلاقا فهي يمين ويصير موليا . وهو عجيب والاول أعجب

« وقال الاوزاعي وابو ثور يمين الحرام يكفر (أي بكفارة اليمين بالله) وروى نحوه عن أبي بكر وعمر وعائشة وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس ، واحتج أبو ثور بظاهر قوله تعالى (لم تحرم ما أحل الله لك) وسيأتي بيانه في الباب الذي بعده .
« وقال أبو قلابة وسعيد بن جبير من قل لامرأته أنت علي حرام لزمته كفارة الظهار ، ومثله عن أحمد . . . وقال أبو حنيفة وصاحبا ، لا يكون مظاهرا ولو اراده

وروي عن علي وزيد بن ثابت وابن عمر والحكم وابن أبي ليلى : في الحرام ثلاث تطبيقات ولا يستل عن نيته . وبه قال مالك . وعن مسروق والشعبي وربيعة لا شيء فيه ، وبه قال أصح من المالكية

« وفي المسألة اختلاف كثير عن السلف بلغه القرطبي المفسر إلى ثمانية عشر قولاً وزاد غيره عليها وفي مذهب مالك فيها تفاصيل يطول استيعابها » اهـ تلخيص الحافظ ثم ذكر مدارك ما تقدم من الأقوال ، وحسبنا هذا في الجواب ، وسنفضله في المنار إن شاء الله تعالى وهو الموفق للصواب

هذا ما أحبت به ونشر في جريدة الأهرام وأزيد هنا مما نقله الحافظ عن القرطبي مانعه : قال بعض علمائنا سبب الاختلاف أنه لم يقع في القرآن مريخاً ولا في السنة نص ظاهر صحيح يعتمد عليه في حكم هذه المسألة فتباجذبا العلماء فمن تمسك بالبراءة الأصلية قال لا يلزمه شيء . - ومن قال أنها بمن أخذ بظاهر قوله تعالى (قد فرض الله تحلة أيمانكم) بعد قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) ومن قال يجب الكفارة وليست بيمين بناء على أن معنى اليمين التحريم فوقعت الكفارة على المعنى - ومن قال تقع به طلبة رجعية حمل اللفظ على أقل وجوهه الظاهرة وأقل ما تحرم به المرأة طلبة تحريم الوطء ما لم يرتجها - ومن قال بآئنة فلا استمرار التحريم بها ما لم يجدد العقد - ومن قال ثلاثاً حمل اللفظ على متعنى وجوهه - ومن قال ظاهر نظر إلى معنى التحريم وقطع النظر عن الإطلاق فأنحصر الأمر عقده في الظاهر والله أعلم اهـ

أقول وقد ظهر ببيان مدارك هذه المذاهب وأدلتها أن أقواها الثاني الذي هو الأخذ بظاهر القرآن وهو أن من حرم امرأته بقوله هي عليه حرام مطلقاً أو مقيداً بقوله إن فعلت كذا أو إن لم أفعل كذا - فالواجب عليه كفارة بيمين وهو الذي فرضه الله في تحلة جميع الأيمان - وهو لا يعارض هذا الظاهر من كتاب الله بشيء من تلك التعليقات وأقواها البراءة الأصلية وهي أنه لا يقع عليه شيء ولا يجب عليه شيء ، والتزام كفارة اليمين أقوى وأحوط . فعسى أن تقرر الحكومه المهرية العمل بهذا وكذا سائر الحكومات الإسلامية ذلك والله الموفق

المفطرون في رمضان

كتبنا في فريضة الصيام وحكمه وفوائده الروحية والبدنية والاجتماعية مرارا متعددة في المجلدات المتفرقة من المنار وإذ قضى الله تعالى أن يقرأ هذا الجزء منه في شهر رمضان المبارك رأينا أن نعيد التذكير والوعظ في ذلك بكلمة وجيزة عسى أن يتذكرو ويستفيد المستعدون لذلك من الذين لا يؤدون هذه الفريضة إن الذين يفطرون في نهار رمضان أصناف (منهم) المسلم بالوراثة الذي لا يعرف من الاسلام الا تقاليد منها انظري كالشهادتين وكلمه «مسلم موحدا بالله» ومنها عملية كالصلاة والصيام احتفالات والموالد والمواسم والحمل والمقابر وكون زبارة الاولياء وشد الرحال اليها تغفر الذنوب وتقضي الحاجات وكون كل ما يفعله الانسان مقدر فلا يؤاخذ عليه ، فكل أمور الدين عند أكثر هؤلاء عادات من تعود شيئا منها بتقاليد بيته فعمله والا تركه بلا مبالاة بالوعيد ولا أكثرا لوعده ، وأقلهم من تغلبه شهوته الحيوانية فيعذر نفسه باستغناء الله عن صيامه وتمنى المغفر والمغفرة ومنهم المارقون من الدين بشبهات تلقفوها من ملاحدة الافرنج والمتفرنجين الذين لا نصيب لهم من الاسلام إلا الولادة في بعض بيوت المسلمين ومن المفطرين من يفطر سرا ويحفظ حرمة الشهر بين الناس فلا يأكل ولا يشرب ولا يدخن على مرأى أحد ، ومنهم الذين يدخنون في الشوارع العامة ويشربون قهوة البن أو الخمر في المقاهي أو الحانات العامة ، ويتندون في المطاعم العامة مع أمثالهم من غير المسلمين أو من المعدومين في دقات الاحياء منهم وإذا كانوا أرباب بيوت لهم فيها الامر والنهي أو كان أهل بيوتهم من المارقين معهم من الدين فان موثد الطعام تنصب لهم في رمضان أول النهار وبعد الظهر كما تنصب في سائر الشهور

من الاسباب النظرية الفكرية الاسرار بالفطر ان الاسلام رابطة اجتماعية ادبية سياسية في الحياة الدنيوية وعقيدة دينية مظهرها هذه العبادات المخصوصة فمن فقد المقيسدة الباعثة على العبادة فالواجب في القانون الادبي والاجتماعي أن يحافظ على الرابطة الدنيوية العامة التي تربطه بالامة الكبيرة - أو الصغيرة -

التي ينتمي اليها وأن يحترم شعائرها فلا يمتحنها جبراً على مرأى من أهلها لان ذلك إهانة لها ولنفسه من حيث هو فرد من أفرادها ، وأصحاب هذا النظر هم أرقى هؤلاء المارقين عقلاً وشعوراً . وقد قال لي أحد أدباء الترك إنتى ان أفطرت في رمضان قاتنى لا أمتن نفسي وماتى بالجهر بذلك ولا أطيق ان أرى أحدا يفعل ذلك فان وجدت مسلماً يجهر به أمامي قاتنى أجد من نفسي شعوراً يبعثنى على قتله ان استطعت ومن الاسباب الاجتماعية والادبية مالا يرتقى بالمسر بالفطر إلى هذه الافكار والشعور بل يسره سبب احترام لاهل بيته وعشرائه إذا كانوا من أهل البيوت العريقة في الاسلام المحافظة على شعائره ، فان بعض أولاد وجهاء العلماء وغيرهم من بيوتات المسلمين الذين أفسد دينهم وأدبهم تعليم المدارس المصرية يفطرون في رمضان ويسكرون . . ولكن مرأ أو مع أمثالهم من الفساق المستهترين كذلك الذين يجاهرون بانتهاك حرمة شهر الصيام منهم أصحاب رأي ونظر كالمترنحين الذين ليس لهم من الرأي والفكر ما يرتقى بهم إلى احترام الملة أو الامة التي يتسمون اليها ، ولا لهم من البيوت التي يعيشون فيها من يوافقونه على تقاليد الملة كماداته ، ولا من الخططاء الذين يعاشرهم من يستحيون منه ، فقد إنتفى المانع من الجهر ووجد المقتضي له عندهم وهو ما يسمونه الحرية الشخصية والشجاعة أو الجرأة المعنوية ، وقد يحتقرون المستخفي بالفطر أو يفندون رأيه برمييه بالجبن والنفاق وانه هو المانع له من إظهار ما هو منطوق عليه من عدم التدبىن ، وهم يخذعون أنفسهم بألقاب الحرية والجرأة الفسقية التي يسمونها شجاعة أدبية ، فان أحدهم لو مات والده المسلم مثلاً وكان غنياً وادعى بعض إخوته أو غيرهم انه لا يرثه لانه ليس على دينه وطالب من المحكمة الشرعية الحكم بحرمانه من الارث وسأله القاضي الشرعي عن ذلك فانه يدعي الاسلام ويكذب من رماه بالارتداد عنه ، وقل مثل هذا اذا أراد أن يتزوج فتاة مسلمة أو ادعت عليه زوجته المسلمة انه قد ارتد عن الاسلام وطلبت من المحكمة الشرعية التفريق بينهما وبينه وجملة القول ان هؤلاء أدنياء لا شعور لهم بالكرامة القومية ولا المالية، وأما سائر المجاهرين بالفطر في رمضان فهم النحوت المستولفون من الطبقة السفلى أي الذين لا يبالون أما ولا عارا وأمرهم معروف

أبطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

(شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه)

وأما قول القائل

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما ينسكم ويبتنا من بين

فهذا القول مبني على قول هؤلاء وهو باطل متناقض فان مقتضاه

انه يرى الله بعينه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه

قال « واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت » وقد اتفق أئمة

المسلمين على أن أحدا من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا ولم يتنازعوا

الا في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أن جماهير الأئمة على انه لم يره

بعينه في الدنيا وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم والصحابة وأئمة المسلمين

ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الامام احمد وامثالهما انهم قالوا

رأى ربه بعينه بل الثابت عنهم إما اطلاق الرؤية وإما تقييدها بالقواد

وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة انه رآه بعينه وقوله « أتاني

البارحة ربي في احسن صورة » الحديث الذي رواه الترمذي وغيره إنما

كان بالمدينة في المنام هكذا جاء مفسرا وكذلك أم الطفيل وحديث ابن عباس

وغيرهما مما فيه رؤية ربه إنما كان بالمدينة كما جاء مفسرا في الاحاديث

والمعراج كان بمكة كما قال (سبحان الذي اسرى بعبد له ليلا من المسجد

الحرام الى المسجد الاقصى) وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا

الموضع. وقد ثبت بنص القرآن ان موسى قيل له (لن تراني) وأن رؤية

(المنار ج ١٠) (٩٤) (المجلد الخامس والعشرون)

الله أعظم من أنزال كتاب من السماء فن قال ان أحدا من الناس يراه فقد زعم انه اعظم من موسى بن عمران ودعواه أعظم من دعوى من ادعى ان الله أنزل عليه كتابا من السماء

المسلمون في رؤية الله على ثلاثة أقوال فالصحابة والتابعون وائمة المسلمين على أن الله يرى في الآخرة بالابصار عيانا وأن احدا لا يراه في الدنيا بعينه لكن يرى في المنام ويحصل للقلوب في المكشفات والمشاهدات ما يناسب حالها . ومن الناس من تفوى مشاهدة قلبه حتى يظن انه رأى ذلك بعينه وهو غلط ، ومشاهدات القلوب تحصل بحسب إيمان العبد ومعرفة في صورة مثالية كما قد بسط في غير هذا الموضع (والقول الثاني) قول نقاة الجهمية انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة (والثالث) قول من يزعم انه يرى في الدنيا والآخرة

وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والاثبات فيقولون انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وأنه يرى في الدنيا والآخرة وهذا قول ابن عربي صاحب القصص وأمثاله لان الوجود المطلق الساري في البكائنات لا يرى وهو وجود الحق عندهم

ثم من أثبت الذات قال يرى متجليا فيها ومن فرق بين المطلق والمعين قال لا يرى الا مقيدا بصورة وهو لاء قولهم دائر بين أمرين انكار رؤية الله واثبات رؤية المخلوقات ويعملون المخلوق هو الخالق أو يعملون الخالق حالا في المخلوق والا فتفريقهم بين الايمان الثابتة في الخارج وبين وجودها هو قول من يقول بأن المعدوم شيء في الخارج وهو قول باطل وقد ضموها اليه انهم جعلوا نفس وجود المخلوق هو وجود

الخالق وأما التفريق بين المطلق والمعين مع أن المطلق لا يكون هو في الخارج مطلقا يقتضي أن يكون الرب معدوما وهذا هو وجود الرب وتمطيله، وإن جعلوه ثابتا في الخارج جعلوه جزءا من الموجودات فيكون الخالق جزءا من المخلوق أو عرضا قائما بالمخلوق. وكل هذا مما يعلم إفساده بالضرورة، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وأما تناقضه فقوله

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين
 يقتضي المغايرة وأن المخاطب غير المخاطب وأن المخاطب له عين قلب لا
 يغيب عنها المخاطب بل يشهده القلب والعين والشاهد غير المشهود
 وقوله * ما بينكم وبيننا من بين * فيه اثبات ضمير المتكلم وضمير
 المخاطب وهذا اثبات لاثنيين، وإن قالوا مظاهر ومجالي قيل فإن كانت
 المظاهر والمجالي غير الظاهر المتجلي فقد ثبتت الثنية وبطل التعدد،
 وإن كان هو أياها فقد بطلت الوحدة فالجمع بينهما متناقض. وقول القائل
 فارق ظلم الطبع وكن متحدا بالله والا كل دعواك محال
 إن أراد الاتحاد المطلق فالمفارق هو المفارق وهو الطبع وظلم الطبع
 وهو المخاطب بقوله « وكن متحدا بالله » وهو المخاطب بقوله « كل دعواك
 محال » وهو القائل هذا القول، وفي ذلك من التناقض ما لا يحصى.
 وإن أراد الاتحاد المقيّد فهو ممتنع لأن الخالق والمخلوق إذا اتحدا فإن كانا
 بعد الاتحاد اثنين كما كانا قبل الاتحاد فذلك تعدد وليس باتحاد، وإن
 كانا استحالا إلى شيء ثالث كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد ونحو
 ذلك مما يشبه النصارى بقولهم في الاتحاد لزم من ذلك أن يكون الخالق

قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره فانه لا بد أن يستحيل وهذا ممتنع على الله ينزه الله عن ذلك ، لان الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجودا والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له يمتنع عدم على شيء من ذلك ، ولان صفات الرب اللازمة له صفات كمال فعدم شيء منها نقص تعالى الله عنه ، ولان اتحاد المخلوق بالخالق يقتضي أن العبد متصف بالصفات القديمة اللازمة لذات الرب وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق فان العبد يلزمه الحدوث والافتقار والنل وصفات الرب تعالى اللازمة القدم والغنى والعزة وهو سبحانه قديم غني عزيز بنفسه يستحيل عليه نقيض ذلك فاتحاد أحدهما بالآخر يقتضي أن يكون الرب متصفا بنقيض صفاته من الحدوث والفقر والذل ، والعبد متصفا بنقيض صفاته من القدم والغنى الذاتي والعز الذاتي وكل ذلك ممتنع وبسط هذا يطول

ولهذا سئل الجنيد عن التوحيد فقال التوحيد افراد الحدوث عن القدم . فبين أنه لا بد من تمييز المحدث عن القديم

ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أن الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد (إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدم عدا * وكلهم آتية يوم القيامة فردا) وان كان المتكلم بهذا البيت أراد الاتحاد الوصفي وهو أن يحب العبد ما يحبه الله . ويفض ما يفضيه الله . ويرضى بما يرضى الله . وينغضب لما يغضب الله . ويأمر بما يأمر الله . وينهى عما ينهى الله عنه . ويوالي من يواليه الله . ويعادي من يعادي الله . ويحب لله . ويهمل لله . ويمتنع لله . بحيث يكون

موافقا لربه تعالى فهذا المبنى حق وهو حقيقة الايمان وكماله وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه . ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشي ، ولئن سألتني لاعطينه ولئن استعاذ بي لاعيننه . وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه »

وهذا الحديث يحتاج به أهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة . (منها) انه قال « من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة » فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه وهؤلاء ثلاثة ، ثم قال « وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه » فأثبت عبدا يتقرب اليه بالفرائض ثم بالنوافل وانه لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه فاذا أحبه كان العبد يسمع به ويبصر به ويبطش به ويمشي به ، وهؤلاء هو عذهم قبل أن يتقرب بالنوافل وبعد هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه ونفذه لا يخصصون ذلك بالأعضاء الاربعة المذكورة في الحديث فالحديث مخصوص بحال مقيد وهم يقولون بالاطلاق والتعميم فاین هذا من هذا ؟ وكذلك قد يحتجون بما في الحديث الصحيح ان الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول أناريكم فيقولون نعمو بالله منك

هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه ثم يأتهم في الصورة التي رأوه فيها في أول مرة فيقول انار بكم فيقولون انت ربنا، فيجعلون هذا حجة لقولهم انه يرى في الدنيا في كل صورة بل هو كل صورة وهذا الحديث حجة عليهم في هذا - أيضا فانه لا فرق عندهم بين الدنيا والآخرة وهو عندهم في الآخرة المنكرون (١) الذين قالوا نعوذ بالله منك حتى يأتينا ربنا وهؤلاء الملاحدة يقولون ان العارف يعرفه في كل صورة فان الذين أنكروه يوم القيامة في بعض الصور كان لتصور معرفتهم. وهذا جهل منهم فان الذين أنكروه يوم القيامة ثم عرفوه لما تجلي لهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة هم الانبياء والؤمنون وكان انكارهم مما حدهم سبحانه وتعالى عليه فانه امتحنهم بذلك حتى لا يتبعوا غير الرب الذي عبدوه فامذا قال في الحديث وهو يسألهم ويثبتهم « وقد نادى المنادي ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون،

ثم يقال لهؤلاء الملاحدة اذا كان عندهم هو الظاهر في كل صورة فهو المنكر وهو المنكر كما قال بعض هؤلاء لا آخر من قال لك: ان في الكون سوى الله فقد كذب، وقال له الآخر فمن هو الذي كذب؟ وذكر ابن عربي انه دخل على مرید له في الخلوة وقد جاءه الغائط فقال ما أبصر

(١) هنا تحريف ظاهر فان قوله : وهو عندهم في الآخرة المنكرون - لا معنى له فقد سقط من النسخ كلام لا سبيل الى معرفته والمعروف عن ابن عربي في فتوحاته يدل عليه ومنه ان الرب تعالى يتجلى لكل احد بحسب معرفته فالقاصر المفيد برأي أو مذهب معين لا يعرفه الا اذا تجلى له في صورة اعتقاده واما العارف المطلق من حجب القيود فانه يعرفه في كل شيء ويراها في التجلي بكل صورة، لانه في اعتقاده كل شيء - قاله محمد رشيد

غيره أبول عليه، فقال له شيخه فالذي يخرج من بطنك من أين هو؟ قال فرجت عني. ومر شيخان منهم التلمساني هذا والشيرازي على كلب أجرب بيت فقال الشيرازي للتلمساني هذا ايضاً من ذاته - فقال (التلمساني) هل تم شئ خارج منها؟ وكان التلمساني قد أضل شيخاً زاهداً عابداً يبيت المقدس يقال له أبو يعقوب المغربي المبتلى حتى كان يقول : الوجود واحد . وهو الله ، ولا ارى الواحد ، ولا ارى الله . ويقول نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود والوجود واحد لاثنوية فيه . ويجعل هذا الكلام له تسبيحاً يتلوه كما يتلو التسبيح

و. ا. قول الشاعر

إذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
فشاهد حقايق يشهده الهوى بأن صلاة الصارفين من الكفر
فهذا الكلام مع انه كفر هو كلام جاهل لا يتصور ما يقول فان
الفناء والغيب هو أن يغيب بالمذكور عن الذكر وبالمعروف عن المعرفة
وبالمعبود عن العبادة حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ، وهذا مقام
الفناء الذي يعرض لكثير من السالكين لهجزم عن كمال الشهود المطابق
للحقيقة بخلاف الفناء الشرعي فمضمونه الفناء بعبادته عن عبادة ماسواه
وبحبه عن حب ماسواه . وبخشية عن خشية ماسواه . وبطاعته عن
طاعة ماسواه . فان هذا تحقيق التوحيد والايمان

(وأما النوع الثالث) من الفناء وهو الفناء عن وجود سوى
بحيث يرى ان وجود الخالق هو وجود المخلوق - فهذا هو قول هؤلاء
الملاحدة اهل الوحدة . والمقصود هنا أن قوله يغيب عن المذكور كلام

جاهل فان هذا لا يحمد أصلاً بل المحمود أن يغيب بالمذكور عن الذكر لا يغيب عن المذكور في سطوات الذكر اللهم إلا أن يريد أنه غاب عن المذكور فشهد المخلوق وشهد أنه الخالق ولم يشهد الوجود الا واحداً ونحو ذلك من المشاهد الفاسدة فهذا شهود أهل الاتحاد لا شهود الموحدين ولعمري ان من شهد هذا الشهود الاتحادي فإنه يرى صلاة العارفين من الكفر . وأما قول القائل

الكون يناديك اما تسمعي من ألف أشتاتي ومن قرقي

انظر لتراني منظرآ معتبرآ مافي سوى وجود من اوجدني

فهو من أقوال هؤلاء الملاحدة وأقوالهم كفر متناقض باطل في العقل والدين فإنه اذا لم يكن فيه الوجود من أوجده كان ذلك الوجود هو الكون المنادي وهو المخاطب المنادي وهو الاشتات المؤلفة المفرقة وهو المخاطب الذي قيل له : انظر وحينئذ يكون الوجود الواجب القديم الأزلي قد أوجد نفسه وفرقها وألفها . فهذا جمع بين النقيضين

فالواجب هو الذي لا تقبل ذاته العدم فمتنع أن يكون الشيء الواحد قابلاً للعدم . غير قابل للعدم ، والقديم هو الذي لا أول لوجوده والمحدث هو الذي له أول ، فيمتنع كون الشيء الواحد قديماً محدثاً ولولا أنه قد علم مرادهم بهذا القول لا يمكن ان يراد بذلك مافي سوى الوجود الذي خاقه من أوجدني وتكون اضافة الوجود الى الله اضافة الملك لكن قد علم أنه لم يرد هذا ولأن هذه العبارة لا تستعمل في هذا المعنى وإنما يراد بوجود الله وجود ذاته لا وجود مخلوقاته . وهكذا قول القائل :

وله ذات وجود الـ ككون الحق شهود

ان ليس لموجود سوى الحق وجود
مراده بان وجود الكوز هو نفس وجود الحق وهذا هو قول أهل
الوحدة والا فلو أراد ان وجود كل موجود من المخلوقات هو من الحق
تعالى فليس شيء وجود من نفسه وانما وجوده من ربه والاشياء باعتبار
أنفسها لا تستحق سوى العدم وانما حصل لها الوجود من خالقها وبارئها
فهي دائمة الافتقار اليه لا تستغنى عنه لحظة لاني الدنيا ولا في الآخرة —
لكان قد أراد معنى صحيحا وهو الذي عليه أهل العقل والدين من الاولين
والآخرين . وهؤلاء القائلون بالوحدة قولهم متناقض ولهذا يقولون
الشيء ونقيضه والا فقوله : منه والى علاه يبيد ويعيد . يناقض الوحدة
فن هو البادي والمائد منه واليه اذا لم يكن الا واحد . وقوله

وما انا في طراز الكون شيء لاني مثل ظل مستحيل
يناقض الوحدة لان الظل مغاير لصاحب الظل فاذا شبه المخلوق
بالظل لزم اثبات اثنين كما اذا شبهه بالشعاع فان شعاع الشمس ليس
هو نفس قرص الشمس وكذلك اذا شبهه بضوء السراج وغيره
والنصارى تشبه الحلول والاتحاد بهذا

(وقلت) لمن حضرني منهم وانكلم بشيء من هذا : فاذا كنتم تشبهون
المخلوق بالشعاع الذي للشمس والنار والخالق بالنار والشمس فلا فرق
في هذا بين المسيح وغيره فان كل ماسوى الله على هذا هو بمنزلة الشعاع
والضوء فما الفرق بين المسيح وبين ابراهيم وموسى ؟ بل ما الفرق بينه وبين
سائر المخلوقات على هذا ؟ وجعلت أردد عليه هذا الكلام وكان في المسجد
جماعة حتى فرمه فهما جيذاً وتبين له وللاحاضرين ان قولهم باطل لاحقيقة
(المنار : ج ١٠) (٩٥) (المجلد الخامس والعشرون)

له وان ما أثبتوه للمسيح إما ممتنع في حق كل أحد وإما مشترك بين المسيح وغيره. وعلى التقديرين فتخصيص المسيح بذلك باطل (وذكرت له) أنه مامن آية جاء بها المسيح الا وقد جاء موسى بأعظم منها فان المسيح صلى الله عليه وسلم وان كان جاء بأحياء الموتى فالموتى الذين أحياهم الله على يد موسى اكثر كلذين قالوا (لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) ثم أحياهم الله بعد موتهم، وقد جاء بأحياء الموتى غير واحد من الانبياء، والنصارى يصدقون بذلك. وأما جعل المصاحبة فهذا أعظم من احياء الميت فان الميت كانت فيه حياة فردت الحياة الى محل كانت فيه الحياة. وأما جعل خشبة يابسة حيوانا تبتلع العصي والحبال فهذا أبلغ في القدر واقدر (١) فان الله يحيي الموتى ولا يجعل الخشب حياة

وأما ازال المائدة من السماء فقد كان ينزل على عسكر موسى كل يوم من المن والسلوى وينبع لهم من الحجر من الماء ما هو أعظم من ذلك فان الحلو أو اللحم دائما هو أجل في نوعه وأعظم في قدره مما كان على المائدة من الزيتون والسمك وغيرهما، وذكرت له نحوه من ذلك مما تبين ان تخصيص المسيح بالاتحاد ودعوى الالهية ليس له وجه، وان سائر ما يذكر فيه اما أن يكون مشتركا بينه وبين غيره من المخلوقات واما أن يكون مشتركا بينه وبين غيره من الانبياء والرسل مع ان بعض الرسل كإبراهيم وموسى قد يكون أكل في ذلك منه، وأما خلقه من امرأة

(١) كذا في الاصل وفيه تحريف ظاهر من جهل النساخ والمعنى ظاهر وهو أن آية المصاحبة لموسى أعظم من احياء الميت لعيسى عليهما السلام وأدل على قدرة الله تعالى بما ذكر من الفرق بين البشر والخشب

بلا رجل نخلق حواء من رجل بلا امرأة أعجب من ذلك فإنه خلق من
بطن امرأة وهذا معتاد بخلاف الخلق من ضلع رجل فان هذا ليس بمعتاد
فما من أمر يذكر في المسيح صلى الله عليه وسلم الا وقد شرکه فيه أو فيما
هو أعظم منه غيره من بني آدم

فلم قطعا ان تخصيص المسيح باطل وان ما يدعى له ان كان ممكنا فلا
اختصاص له به وان كان ممتمنا فلا وجود له فيه ولا في غيره ولهذا قال
هؤلاء الاتحادية ان النصاري إنما كفروا بالتخصيص وهذا أيضا باطل
فان الاتحاد عموم وخصوص والمقصود هنا ان تشبيه الآلية أحدم
بالظل المستحيل ينافي قولهم بالوحدة . وكذلك قول الآخر

أحن اليه وهو قلبي وهل يرى سواي أخو وجد يحن لقلبه
ويحجب طرفي عنه إذ هو ناظري وما بعده الا لا فراط قربه
هو مع ما قصده به من الكفر والاتحاد كلام متناقض فان حنين
الشيء الى ذاته متناقض ولهذا قال وهل يرى أخو وجد يحن لقلبه؟ وقوله
وما بعده الا لا فراط قربه ، متناقض فانه لا قرب ولا بعد عند أهل
الوحدة فانه يقتضي ان يقرب أحدهما من الآخر والواحد لا يقرب من
ذاته ولا يبعد من ذاته لها بقية

المقالات الجاهلية

(٣)

(السياسة الانجليزية . في الممالك الشرقية)

(نشرت في العدد الثالث من السنة الخامسة من جريدة النحلة التي كانت تصدر في لوندرة في أثناء زيارة السيد لها من أواخر سنة ١٨٨٢ وأول سنة ١٨٨٣)
 بلغنا أن الحكومة الانجليزية قد عرضت لائحة في المسئلة المصرية على الدولة العثمانية تمكيننا لرؤسها وتطميننا لبها نذكر فيها أنها ما قصدت الاستيلاء على مصر ولا تود وضع اليد عليها ولكن سوف تبقى العساكر الانجليزية في البلاد النيلية الى مدة زوال القلاقل وحصول الراحة وتشكيل المجالس والمحاكم ولا تود الدولة البريطانية أن تفسد حقوق الحضرة السلطانية بمداخلتها في مصر

نعم هذه هي السياسة الانجليزية في جميع البلاد الشرقية عملت بها في الممالك التي أرادت الاستيلاء عايتها وقد حذقت فيها وجربتها مرات عديدة حتى اذا خاض العاقل فيها رأى أن لا سياسة للانجليز مواءما كماها عرفت عقول الشرقيين وعلمت ما فطروا عليه من السذاجة وشدة الاعتقاد بمواعيد عرقوب فتأخذهم على غرة وتستلب بلادهم وهم في أمن منها ينتقون بموعداها ولا يعرفون أن هذه الحكومة إنما تقتنص باوهاق الايمان (١) ولا تسلك في فتوحاتها إلا مسلك الوداد ، حتى إنها قل ما تملك بلدًا بالقوة القاهرة وان الشر لا يأتي إلا من معاهداتها

أليست هي التي أزالت السلطنة التيمورية التي كانت منبثة في جميع أرجاء الهند بمداخلتها الودادية ومواعيدها المؤكدة ؟ أليست هي التي تقضت الحكومة النظامية في بنغال بعمساكرها التي وضعتها للمحافظة على تلك البلاد ؟ أليست هي التي أزاحت السلطنة الكهنورية (٢) بنفس جنودها الذين أقامتهم لتوطيد اراحة فيها ؟

(١) الوهق محرك ويسكن الجبل يرمى في الشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان الجمع أوهاق
 (٢) كذا في الاصل المخطوط وهو مما تركه لنا الاستاذ الامام ولكنه بغير خطه
 ولعلها اللسكنا هورية

أين ذهبت حكومات امراء الكرناتك ومدراس التي كانت مطمئنة بالعساكر الانجليزية ومعتمدة على معاهداتها ؟ أين حكومة بنجاب وممالك امراء السند ؟ أين حكومة المراتين في بونه ؟ ذهبت كلها لاعتماد أهلها على وعود الانجليز وحماية عساكر الملكة ، وما أبادهم لعمري سوى تلك العساكر نفسها التي وضعت لحياتها من الفساد الداخلي ، فاحذروا يا أهل الديار النيلية من أن يحل ببلادكم ما حل بغيرها * ولا غرو أن يحذروا القتي حذو والده *

وقد بلغنا منذ قدمنا لوندن أن معظم الاوامر التي يجريها الخديو تكتب أولا في الوزارة الخارجية بلوندره ثم ترسل الى المندوب الانجليزي بمصر ، والمذكور يقدمها لمضرة الخديو ليجريها كأنها صادرة عن أمره باختياره ، ولا أمر له فيها ولا اختيار ، وربما هذا كان الباعث على استقالة ترياخ باشا من الوزارة هذه هي السياسة الانكليزية التي كشفت عنها غطاءها التجارب ، وبهذه السياسة جالت في ميدان جميع فتوحاتها فلا أظن أنها تتمكن بعد الآن من اختلاب عقول الشرقيين بهذه المواعيد (١) وما أظن أن السلطان ورجال دولته بعد ما علموا نبأ معاهدات الانجليز في الهند أن يعتمدوا عليها ويثقوا باصحابها ، ولا ريب انهم قد اطلعوا على المعاهدات الانجليزية التي طبعت في اربعة مجلدات بمطبعة (نورل كشور) في بلدة لكناهور ومنها علموا كيف يستولي الانجليز على البلاد بحرقه اليهود الفارغة والمواثيق الباطلة ، وفيما قلناه عبرة لمن يعتبر ، وسوف نعود الى الخوض في هذا الموضوع متصلا به

قال ناسخ هذه المقالة بعد ما تقدم :

وقدر أينا في نفس العدو المذكور من تلك الجريدة نبذة عرفنا من مشربها

« ١ » ان امير مكة حسين بن علي واولاده قد خيبوا آمال السيد جمال الدين فانحدوا بالوعد الانكليزية على قول الذين يحسنون الظن فيهم بنباوتهم والذين يدافعون عنهم - - ويرى آخرون انهم خائفون لأمتهم لا يحدعون فانهم يطلون الملك ولم تسم همهم الى طلبه الا من طريق الانكليز فساعدوهم على اخذ البلاد العربية ليستركوا همهم وتحت ظلمهم في التمتع بحكمها

وأشوبها انها لاستاذنا حفظه الله خصوصاً وان بين عبارتها وعبارة صاحب الجريدة ما يدل على انها مدخولة فيها فنقلناها جازمين بانها بنت فكره فانه رضي الله عنه ما حل بلداً إلا تراى عليه أرباب جرائدها العربية لئلا يناس أن يزين مدحهم ببدايع حكمه وإفكار أفكاره فيجيب سؤالهم ناحياً فيما يكتبه نحو ما هو ولوع به من الحماية عن الشرق وبنيه ، والذود عن الامم الاسلامية والسعي في توحيد كلمتهم ونحذيرهم من دسائس الغربيين كاشفنا لهم الحجاب عن وجه سياسة الامة التي يريد تحذيرهم منها بمالم يستطعم ساستها الى كشفه سبيلاً لو أرادوا له كشفها
أما البزة فيها هو نصها

(أسباب الحرب بمصر)

لقد ذهب الناس مذاهب شتى في أسباب الحرب التي قد حدثت الانجليز زنادها على المصريين ، فمنهم من زعم أن الطمع في الاستيلاء على البلاد النيلية الخصيبة كان الباعث على ذلك ، ومنهم من اعتقد أن مصالح بريطانيا في خليج السويس كانت الانجليز على فعل ما فعلوا ، وظن قوم أنهم اندفعوا الى تجشم تلك الخسائر الباهظة غيرة على حفظ نفوذهم السيامي والتجاري بالديار المصرية ، والتأمين على استيفاء ديونهم وهم جراً - تلك لعمري تبايلات سارت بها الجرائد رجماً بالغيب أو تمويهاً على عيون الناس أما أسباب الحرب الحقيقية فهي ما كان قد ثبت في عقول الانجليز والفرنسيين من أن جلالة السلطان عبد الحميد قد سعى منذ تولي الخلافة والملك في جمع كلمة المسلمين المنتشرين في أقطار الهند وافريقية وسورية والعراق واليمن والحجاز ومصر وغيرها من البلاد لكي يجعلهم عصبة متمسكة بعروه الخلافة الوثقى وامة تتساند الى بعضها (١) كاليونان المرصوص ، وأن يكون السواد الاعظم من المسلمين في يد أمير المؤمنين يستتجدهم في الملأ لمقاومة دول اوربا اذا طمعوها في سلب بلاد المسلمين ، فكان الفرنسيون يقاومون نفوذ السلطان وخلافته في مسامي

(١) المنار : الوجه ان يقال يتساند بعضها الى بعض

الجزائر وتونس مخافة أن يكون ذلك وبالاعليهم ، وكانت الانجليز تحاذرون من انقياد مسلمي الهند الى دعوى الخلافة ومن الانضمام الى العصبة الاسلامية ، وكانت تلك الدولة القيصرية قد بلانها أن الحضرة السلطانية بعثت برجال الدين الى المسلمين ايدعوا اخوانهم الى طاعة أمير المؤمنين ، وينشروا بينهم رسائل تولد في عتولهم فروض الانقياد الى الراية النبوية اذا نشرها السلطان ، ودعاهم الى التشهير عن ساق الجدد لنصرته والجهاد في سبيل الملك والدين

وما زاد في طنبور الانجليز نعمة إلا الذشرات التي كان السيد (نصرت علي) ينشرها في دهلي بامراز السلطان ، فلما أخذت مشروعات السلطان ومندوبيه تفرم نار الغيرة الدينية ، وتشير الحمية الاسلامية في نفوس بعض من الهنود ، اضطرت الحكومة الانجليزية بالهند الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع سريان تلك الدعوى ، وعثرت في اثناء ذلك على رسائل منتشرة بين المسلمين كانت قد طبعت في القسطنطينية بدار الطباعة الشاهانية ، وأرسلت الى الاقطار الهندية لانهاض همة المسلمين ، فالقت القبض على كثيرين من الذين وجدت عندهم من تلك الرسائل وحاصرتهم ، ومن ذلك الوقت شرعت انجاعة تنوجس في تلك المقدمات نتائج وخيمة في مالكا الهندية فكانت بالمرء ما تترقب الفرصة الملائمة لمزريق شمل تلك العصبة الاسلامية التي يصنفها الافرنجيون باسم (باسلاميزم) وفيما كانت تفترق اخماسا في اسداس وتقدم رجلا وتؤخر اخرى بانها أن الحضرة السلطانية قد باشرت تنفيذ مشروعاتها بالديار المصرية ، وضم مسلمي تلك البلاد أيضا الى العصبة الاسلامية ، بواسطة الشيخ محمد طاهر والسيد احمد اسعد المدني وبسيم بك ورائب بك واحمد عرابي واحزابهم فاصدرت الدولة البريطانية امرها الى مندوبيها بمصر بأن يستقصي حقيقة الخبر أما ذلك المندوب فكان باديء بدء يعتقد أن الحرب الاهلية عبارة عن عصبة عسكرية جل سعيها في اصلاح شؤونها وطرد الضباط الشر كس من مصاف الجهادية المصرية ، ولكن خيل اليه بعد ذلك أن الحضرة السلطانية قد اغتنمت الفرصة من ثورة العساكر المصرية واتخذت عرابي باشا آلة لقضاء اغراضه ، وتوطيد نفوذها في القطر المصري ، وضم المصريين الى العصبة الاسلامية ، ورفع المندوب

٧٦٠ قضاء الانكليز على الحركة الاسلامية العراقية بمصر المنار : ج ١٠ م ٢٥

الانجليزى تلك الاخبار الى لورد جرانفيل واثبت وجود عصبية دينية قد تردت برداء عصبية سياسية وطنية ، تدعى تحرير الفلاحين من ربطة المرايين والاجانب وفي الحقيقة ليست سوى عصبية اسلامية دينية تحت قيادة الساطان امير المؤمنين غرضها الوحيد مقاومة دول اوربا وإنهاض همة المسلمين في الهند والجزائر وتونس وبلاد العرب ، فتداركت انجلترا العواقب ، وصممت على اذلال تلك العصبية الاسلامية قبل أن يستفحل امرها ، لان الانجليز تعتقد أن مصر باب الهند وخابج السويس دهبها ، فإن استفحل امر عراقي باشا وحزبه لحق بهم المصريون على اختلاف أجناسهم ، وتبعهم السوريون والعرب ، وانشأوا أمة عظيمة الشأن شديدة البأس تضر الانجليز ومستعمراتهم في الهند ، فرسخ في عقول رجال السياسة البريطانية أن منع إفشاء الوباء خير من علاجه بعد انتشاره ، وصمموا على اخراج عراقي باشا وحزابه من الديار المصرية إما بالحسنى وإما بالاكراه طمعا في اطفاء نار الفتنة وتمزيق شمل العصبية الاسلامية المتظاهرة بشعار الوطنية ، فلما أيد رامن اخراجهم بالحسنى عولوا على اذلالهم بالاساطيل المدرعة ، والمدافع المثلثة ، والجنود البحرية والبرية ، وما اثنوا حتى فتمكوا بهم في ملحمة انتل الكبير وكانت القاضية على عراقي باشا وحزابه . وقد ثبت في عقول كثيرين أن اذلال عراقي وانصاره قد أذل العصبية الاسلامية اذلالا لا عز بعده ما توالى الفرقدان

الوهابيون والحجاز

عود على بدء

المقالة الاولى (*)

مقدمة

كنا كتبنا بضع مقالات في هذه المسألة في أول العهد بزحف الاخوان لانتقاد الحجاز من إرهاب الطاغوت حسين بن علي وما يرجي أن يتبع ذلك من انتقاد جزيرة العرب كلها من الاستعباد الاجنبي — فكان لها من التأثير فوق ما قدرناه لها حتى إن حقها دحض أباطيل الدعاية الحجازية القديمة في الطعن بدين أهل نجد منذ قرن وثلاث قرن باختلاق الشريف غائب أمير مكة في عهد ظهور الإصلاح الذي قام به الشيخ محمد عبد الوهاب ، وأخرى السنة الدعاية الجديدة التي اختلقها الشريف حسين الذي ادعى انه ملك العرب وخليفة المسلمين

ثم عرضت لنا شواغل كثيرة عاقبتنا عن مواصلة الكتابة فيما فتح امامنا من أبواب المسائل الكثيرة في هذا الموضوع فانشطت في هذه الفترة الدعاية وبذل في سبيلها المال بسخاء فوق المعتاد ، ونجرات حكومة الشريف علي بن حسين المحصورة في ميناء جدة ودعائها على ضروب من الكذب والبهتان لم يتجرأ على مثلها حسين بن علي ودعائه ، حتى انهم افتروا علي كاتب هذا المقال وهو أول من هناك أستارهم ، وتبجح عوارهم ، وقلم أظفارهم ، فزعموا أن حكومة جدة عثرت على كتاب منا أرسلناه الى السلطان عبد العزيز بن السعود آذناه فيه بانصراف القلوب عنه وتصويب سهام الانكار اليه ، وقد طال العهد على هذه الفرية ولم نجد فرصة نكذبها فيها ونفضحهم بمطالبتهم بنشر صورة هذا الكتاب مأخوذة عن خطنا ، وكثر إلحاح المطالبين لنا بالعودة الى الكتابة لرد أمثال هذه المفتربات ، وكشف ما يحوم حولها من الشبهات . لان بعض المخلصين اغتروا بها ، وصدقوا أن علي بن حسين الف ملكا جديدا في الحجاز ، مخالفنا لوالده في سياسته ،

(*) نشرت في عدد الاهرام الذي صدر في ١٩ رجب (١٣ فبراير)

(المنازل : ج ١٠) (٩٦) (المجلد الخامس والعشرون)

وان في جدة حزبا وطنيا مؤلفا من زعماء الحجاز وأهل الرأي فيه وأنه هو الذي خلع حسيناً ونصب علياً، وأنه يتكلم باسم بدو الحجاز وحضره، وان سلطان نجد ضعيف لا جند عنده ولا سلاح، وان ما أعده ملك جدة من آلات القتال الجنمية العممية كاف لتدوينه وسحق جيشه الضعيف وطرده من الحجاز والاستيلاء على نجد كلها، وان انقاذ الحجاز من هذه الاسرة الطاغية الباغية صار متعذراً، فاهون الشرين إذاً إصلاح ذات البين ببقاء علي بن حسين ملكاً للحجاز بشروط منها ان لا يعود والده حسين بن علي الى الحجاز. الى هذا الحد وصل تأثير أمثال هذه الدعاوى الكاذبة التي سنيين الحق فيها

كنا نقرأ تلك المفترقات في جريدة المقطم وبعض جرائد سورية فنضحك منها ضحك السخرية متربصين بها تكذيب السيف لها وهو أصدق من اللسان والقلم، ولا يتأري في قوله ولا في حكمه أحد، على أننا جمعنا بعض الدلائل لرد عايبها ولكن قضى الله تعالى أن نضطر الى استئناف الكتابة في وقت لا نملك فيه مراجعة شيء مما جمعنا، وهو وقت نقل كتبنا وأوراقنا ومطبعتنا ومطبوعاتنا الكثيرة وأثاثنا من دار الى دار. وقد بدأنا في الاستعداد لهذا في الشهر الماضي وسيدخلنا شهراً أو شهرين آخرين لأننا لا نجد من يقوم مقامنا في الاشراف على ذلك، ولكننا سنجد ما نحتاج اليه من الاوراق المحفوظة في أقرب وقت

بعد هذا التمهيد أقول إن حسين بن علي وأولاده كانوا قد خدعوا الواد الأعظم من عرب سورية والعراق وكثيراً من غيرهم بما بثوه من دعاية المملكة العربية والوحدة العربية والخلافة العربية حتى خيلوا اليهم أنهم سيعيدون الى هذه الامة عصر (هارون الرشيد) ثم ظهر أن غاية سعيهم تحقيق أمنية الانكليز القديمة وهي ادخال جزيرة العرب وما اتصل بها من بلادهم في دائرة الامبراطورية البريطانية المرنّة على أن تسودهم فيها على قومهم وتسميهم ملوكاً وخلفاء، ومع هذا الحزني يرون كثيراً من وجهاء البلاد العربية يعظمهم ويقبل بزعامتهم إما لغباوتهم وجهلهم وأما لآتهم برضون مثلهم «أن تكون الامة العربية كالعصر في حجر الدولة البريطانية» كما صرح به حسين بن علي رسمياً في (مقررات نهضته) التي

هي اصل سياسته وسياسة اولاده — دمع الذين هو الوهم للالتفاف منهم
 لهذا أصبح اهل هذا البيت الحجازي يعتقدون ان الدعاية تؤسس الممالك
 وتوطد دعائم الملك ، وتهزم الجيوش ، وتغفل كل شيء ، فكان اغتادهم عليها
 وعلى الدولة البريطانية في حماية الحجاز وعرش ملك العرب وخلافة الاسلام
 فعمادوا جميع امراء جزيرة العرب المستقلين المسلحين ولا سيما جارههم بالجانب
 سلطان نجد وهو اقواهم واشدهم بأسا ، ولم يستعدوا لحماية عرشهم منه ولا من
 غيره بالاسلح ، فاهملوا ما تركه الترك أو العثمانيون من الاسلحة الكثيرة الجيدة من
 كل نوع واكتفي حسين بتأليف جنود صغير بقصد به اظهار عظمة الملك في
 الاحتفالات والمواسم ، واتكل على الدولة البريطانية والدعاية السياسية ، فلما
 ضاق العالم الاسلامي عامة وعرب نجد خاصة بفسادهم في الحجاز ، وزحف جنود
 الاخوان الوهابيين لطرده وطرد اولاده منه ، استغاث للدولة البريطانية فلم تر
 من مصلحتها اغضاب العالم الاسلامي الساخط عليه ، والاصطلاء بنار حرب
 جديدة في جزيرة العرب لاجله ، فاعلمت الحياء ، فلم يبق له الا قوة الدعاية الخاطئة
 الكاذبة فشرع فيها فلم تكن عنه شيئا ، واضطر الى الخروج من الحجاز مذموما
 مدحورا ، وخلف فيها ولي عهده الذي ينخر به ويقول « لا تقى الا علي » فكان
 ابرع منه في هذه الدعاية ، على أن والده هو الذي ربي له رجالها ، واصطاع له
 صحفها ، وهو الذي يفيض عليه المال للاتفاق في سبيلها ، وسندكر انواع هذه
 الدعاية الجديدة مع بيان بطلانها في مقال آخر ونعجل بالنوع الوحيد الذي فيه
 شبهة من الحق ، وشبهه من الصدق ، ولكنه حق اريد به باطل ، وصدق انخذ
 ذريعة الى الكذب والتضليل ، وهو :

الاتفاق النجدي البريطاني

سمعت خبر هذا الاتفاق أو المعاهدة من الملك فيصل في الشام أول مرة
 وهو الذي نشرها في بغداد في هذه المرة وأرسلت اليها والى الجرئد الشهيرة
 وقد صدقها الناس لان سلطان نجد لم يكذبها والغرض من نشرها ايهام العالم
 الاسلامي الذي يؤيد ابن سعود في طرد حسين وأهل بيته من الحجاز — أن مملكة

نجد نفسها غير مستقلة استقلالاً مطلقاً بل قيدت بالحكومة البريطانية سلطانها بما هو حماية ، وان الحجاز هو المستقل ، وانه اذا استولى عليه سلطان نجد يدخل تحت حماية الانجليز كنجد ، وقد اطالت الدعاية الحجازية في المسألة واكثرت من الابهام ، وتناقضت سائر الجرائد نص الاتفاق ، كما أرسل من العراق ، وتآلم منه المسلمون ، فوجب أن نبين ما عثردنا من رأي ورواية فيه على تقدير صحة نصه :
كان هم عبد العزيز ابن السعود بعد استرداد ما كان قد سلب من بلاد آبائه وأجداده محصوراً في حفظ استقلالها بقوتها وبث دعوة الدين فيما جاورها من قبائل العرب ، والقناعة بميشة العزلة والتجافي عن السياسة الدواية وأهلها ، ولم يكن له ختم في تلك البلاد الا آل الرشيد في شمر فهم الذين ألوا على آل السعود الدولة العثمانية حتى استولوا بمساعدتها على عاصمتهم (الرياض) وقضوا على امارتهم ، فلما انزعجها منهم السلطان عبد العزيز هذا بحزمه وعزمه رأى انه سيكون معه في نزاع دائم وقنال مستمر ، وان قطاراً صغيراً كنجد لا يصح أن يكون فيه امارتان تتوارثان الاحقاد والاضعاف وتنتهز كل منهما الفرصة للقضاء على الاخرى ، فدعا ابن الرشيد للاتفاق وتوحيد العلم (الراية) والحكم والتعاون على حكم البلاد بصفة مدقولة - كما نقل الينا - فامتنع ، فلم يرد من ازالة امارته ففعل ، وقد اخار حصر منطقته على افتتاحها بالمانجزة وكان ذلك في أيام عسر وغلاء فاحش وكانت مؤنة الجيش كلها بل مؤنة عامة بلاد نجد تأنيها من الهند فكان هذا سبباً ملجئاً لابن السعود الى الاتفاق مع الحكومة الانكليزية كما قال بعض أهل العلم والخبرة بالبلاد العربية

وهناك سبب آخر لا يقل عنه إلقاء الى ما دعي اليه من الاتفاق بما رآه أهون الشرين ، وه أن الدولة العثمانية رأت بعد عقد الصلح مع الامام يحيى انها كانت مخطئة في معاداة حكومة نجد كما كانت مخطئة في معاداة أئمة اليمن وأن الاتفاق ممكن وهو خير للدولة فمقدت مع امام نجد وهو عبد العزيز ابن السعود اتفاقاً آخر اعترفت له فيه بالاستقلال التوراتي في بلاد نجد كلها حتى ما كان بيد الدولة منها كالحسا وتغور البلاد بشرط ليس هذا محل بيانها. فلما وقعت الحرب

العامة واصططت الدولة العثمانية سميرها خاف ابن السعود أن تحل الدولة البريطانية
تغور بلاد نجد وأقليم الاحساء إذ كانت تمدها من أملاك الدولة العثمانية ، فرضي
بان بمقد معها إتفاقا تعترف له فيه بان هذه البلاد بلاد له وأنه مستقل فيها ، وأن
ترضى منه في مقابلة ذلك بامور سلبية كان يرى أنه لا يفقد بها شيئا
وجملة القول أن هذا الاتفاق قد عقد عقب ايدان دول الحلفاء للدولة العثمانية
بالحرب ، وكانت الدولة البريطانية قد عدت ابن السعود أمير نجد إلى قتال الدولة كما دبت
امير مكة حسين بن علي وأمام اليمن والسيد الادريسي أمير نهامة وعسير ، وقد
قلنا في المنارج مرارا انه لم يوالها أحد منهم موالاة فعلية حربية الا امير مكة ، وان
امام اليمن والى الدولة عاينها واعانها على قتالها ، وأما الادريسي وابن السعود
فقد اتفقا معها اتفاقا سلبيا ، ولم تكن قد اطعنا على هذا الاتفاق ولكن اخبرنا
طالب بك الدقيب انه كان رسول الدولة البريطانية الى أمير نجد وأن هذا الامير
أبي أن يحارب دولة اسلامية انتصارا للدولة غير مسلمة وأنه لم يكن يمكنه ان
يحارب الانكليز انتصارا للدولة العثمانية لانهم يمكنهم أن يقضوا على بلادهم بالحصر
البحري فان عامة أقوات أهل نجد من الهند ، فكانت المصلحة التي لا بد منها
أن يكون على الحياد

نعم إننا نحن نظن الآن أنه كان في الامكان أن يشال صاحب نجد ما لا
غنى له عنه من تموين بلاده والاعتراف باستقلاله فيها بدون ان يقيده نفسه بما
ذكر في هذه المعاهدة من القيود المنافية للاستقلال التام المطلق وان كانت قيودا
سلبية ، وأنه لا سبب لقبوله هذه القيود الا عدم تمرسه بالسياسة الدولية وعدم رقبته
على ما كان لدى أعداء الانكليز من القوات الحربية التي ترتعد منها فرائص دول
اوربة كلها — ولكننا لا نجزم باننا لو كنا في مكانه في ذلك الوقت لكاننا نعتقد
هذا الاعتقاد نفسه ونتجراً على رفض تلابج المواد التي ننكرها بعد ما علمنا من
قوات الالمان وأحلافهم ما لم يكن نعلمه في أول الحرب — ولا بأن الانكليز كانوا
يرضون منه دون هذه الشروط ليكتفوا شرم مساعدته للدولة العثمانية
هذا ما عندنا من أسباب هذه المعاهدة واننا نتكلم في المقالة الآتية على كل

مادة من موادها التي نشرها الحجازيون نتكلم عليها من الجهة العامة ثم نبين ان سلطانهم قد نقضها منذ عزم على الخروج من عزلته السياسية والاجتماعية واقتصادي لزمامة النهضة العربية، وثبت عنده ما يجب عليه شرعا من انقاذ الحرمين الشريفين من الظلم والاحتلال ومنع النفوذ الاجنبي ان يتغلغل فيهما وفي سياجتهما من جزيرة العرب، فمعاهدة سنة ١٩١٥ امست قصاصة ورق لا قيمة لها كما نبين ذلك فيما يأتي

(الوهابيون والحجاز)

عود على بدء

المقالة الثانية (*)

بيننا حقيقة الحال التي كان عليها صاحب نجد عند عقد المعاهدة التي نشرها في هذه الايام الملك فيصل ليثبت بها انه قد سبقه وسبق ابيه وأخاه عبد الله في جعل بلاده تحت حماية الانكليز ، وقام انصارهم بقولون في دعايتهم لهم انهم اذا لم يكونوا خيرا منه في هذا فهم مثله فارجو تفضيله عليهم ؟ ولماذا يقتصر له العالم الاسلامي ويود جعل الحجاز تابعا لمن دونهم ؟ فعلم بذلك بعض الفرق الجلي بين عملهم في اضاءة اكثر البلاد العربية وعمله في وقاية ملكه من السقوط بغزو الانكليز له من الخارج وغزو ابن الرشيد له من الداخل في مقابلة الاعتراف لهم بأمور سلبية يذهب باثرها الزمان — وسنبين هذا الفرق من سائر وجوهه بعد انجاز ما وعدنا به من بيان مضمون مواد هذه المعاهدة ، ومن الكلام عليها من الجهة العامة ، فيعلم من لم يدرس هذه المسائل ان هذا البيت الحجازي لم يعتبر بشئ من التجارب وارزاقا التي نزلت بالامة التي تصدي ازعامتها والتي نزلت بجميع زعمائه هو أيضا ، وانه لا يزال يطمع في اضلال الامة العربية وجميع الشعوب الاسلامية ، واثامهما بالدعاية الكاذبة أن الذين سلوا سيوفهم مع الاجانب وقتلوا معهم حتى ملكوهم بلاد العرب من حدود مصر الى خليج فارس خير للاسلام وللعرب ممن أسس لها ملكا جديدا ليس لاجنبي ما ادنى نفوذ فيه ، ثم انقاذ الحجاز من السيطرة الاجنبية والمظالم الطاغوتية ليجعل الامر فيه لاهله وللمسلمين دون

* نشرت في عدد الإهرام الذي صدر في ٢٤ رجب (١٨ فبراير)

غيرهم ، وهالك مضمون مواد المعاهدة كما نشرتها جميع الجرائد المشهورة
١ — مضمون المادة الاولى اعتراف الحكومة البريطانية بان نجد والحسا
والقطيف والجبيل وملحقاتها وتغورها (موانئها ومرافئها) على سواحل خليج العجم
كلها تابعة الامير عبد العزيز بن السعود كما كانت لا بانه من قبل ، وانه هو
حاكمها المستقل والرئيس المطلق على جميع قبائلها ، واعترافها ايضا بانها ستكون
مورثة لاولاده واعقابه من بعده ولكنها قيدت هذا الاعتراف بان يكون
الامير اللاحق مختارا من الامير السابق (فيخرج من كان متغلبا عليه) وأن
لا يكون خصما معاديا للحكومة البريطانية بمخالفته لشروط هذه المعاهدة فقط

نقول ان هذه المادة نص في مصلحة ابن السعود فان الدولة البريطانية
اعترفت له فيها بالاستقلال المطلق في هذه البلاد كلها وكان قريب العهد باستيلائه
عليها ، ولو قالت أن تغور نجد وبلاد الحسا كانت للدولة العثمانية ولي الحق
باحتمالها ماذا كان يفعل ؟ وأما تقييد اعترافها باستقلال من بعده من أولاده
واعقابه بقبولهم هذه المعاهدة فلا يضره ، فان معاهدته لما كانت لا تلزم من يخلفه
اشترط الانكياز فيه هذا الشرط ، ولا يجب على خلفه قبوله بنص هذه المعاهدة
كما يعلم من أصول القوانين الدولية ، فاذا كان الحلف في غي عن الاعتراف بهذه
المعاهدة لم يعترف بها — لا كما يزعم اجراء الدعاية الحجازية من أن هذا تقييد
من بعده بالاخلاص الانكياز كما عبر بعضهم (١١)

٢ — مضمون المادة الثانية أن الدولة البريطانية تلتزم أن تساعد ابن السعود
وذريته على أي دولة أجنبية تعدي على بلادهم اذا كان هذا الاعتداء بدون علمها
ولا اعطائها الوقت الكافي لمراجعة سلطان البلاد ومذاكرته في ازالة الخلاف
المسبب للاعتداء ، رقيدت هذه المساعدة برأي ابن السعود ، وهذه المادة في
مصلحته ولا تخل باستقلاله ايضا

٣ — مضمون المادة الثالثة ان ابن السعود يلتزم ان لا يعقد انفاقا ولا معاهدة مع
أي حكومة أو دولة أجنبية و يعد عدم معاهدة أحد في ذلك ويلتزم اعلام الحكومة
البريطانية بكل تجارز أو تمدد على شيء من بلاد التي ذكرت في هذه المعاهدة

هذه مادة منافية لمصلحة ابن السعود لأنها قيد للاستقلال وإنما سهل قبولها عليه — ان صح نصها — ما كان عليه من حياة العزلة وعدم نية الارتباط والاتفاق مع أحد من الحكومات والدول . ولما شعر بالحاجة الى الاتفاق مع السيد محمد علي الادريسي نقض هذه المادة واتفق معه اتفاقاً كتابياً ، ثم قارض الامام بحبي واتفق معه على امور لم تنشر بعد ، فثبت بهذا أنا غير مقيد بما يراه مخالفاً لمصلحته منها ٤ — مضمون المادة الرابعة أن ابن السعود يلتزم أن لا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر ولا يتخلى عن شيء من اراضي بلاده التي ذكرت في هذه المعاهدة ولا يمنح امتيازاً للدولة اجنبية أو لاحد من رعايا دوله اجنبية بدون رضى الحكومة البريطانية وبان يتبع في ذلك نصائحها التي لا تخرب بمصالحه

هذه المادة منافعة لمصلحة ابن السعود من حيث هي مقيدة لاستقلاله فقط وإنما سهل عليه قبولها اعتماده انها من تحصيل الحاصل لانه لا ينوي ان يجعل لاية دولة اجنبية حقاً من حقوق الملك ولا الامتياز ولا غيره في بلاده ، وهذا عين المصلحة له وليسلاده بشرط ان يشمل الدولة البريطانية ورعاياها كسائر دول الفرنج ، لانهم اذا دخلوا بلاداً ومارسوا حقوق فيها اذلوا اهلها وافناتوا عليهم وسلبوا استقلالهم ، وقد نصح شيخ حكماء العصر الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر لليابانيين بان لا يدخلوا الانكليز في بلادهم لمساعدتهم على تنظيمها وعمرانها وعلى لهم ذلك بانهم اذا دخلوا لا يخرجون ، وارشدوا الى الطريقة المثلى وهي ان يرسلوا من ابنائهم من يتعلمون ما يحتاجون اليه حيث يجدونه من أوربة ليعودوا ويتولوا الاصلاح بانفسهم وقد قبلوا نصيحته فارسلوا الى الغرب من تعلموا ما يحتاجون اليه من فنون الحرب وال عمران والثروة والصناعات التي تترقف عليها القوة والسيادة — خلافاً لما فعل من عنوا من الشرقيين باقتباس عادات الفرنج وازيائهم وقوانينهم فكان ذلك سبباً لاضاعة استقلالهم (اياك اعني واسمعي يا جارة)

وقد كان فيما مضى مع اصدقائنا مؤسسي قواعد (الجامعة العربية) قبل الحرب العامة انه لا يجوز لاحد من اصراء جزيرة العرب أن يمنح دولة اجنبية شيئاً من

رقبة البلاد ولا منافعتها ولا لاحد من رعاياها ، ولكن الدولة البريطانية أرادت حصر هذه المنافع في رعاياها أو حكومتها لانه توطئة لاستعمار البلاد والسيادة فيها بل هو الطريق المعبد له دون الحرب ، فلا يجوز للحكومة شرقية أن تبيعه في بلادها طمعا في الربح منه لا بعد أن تصير ذات قوة حرية تخولها أن تشرط على الاجانب الذين يدخلون بلادها ان يكونوا فيها خاضعين لشرعها ونظامها ، نافذة فيهم احكامها ، وأن تشرط عليهم في عقد الامتياز أو الامتلاك من الشروط الواقية للبلاد من تعدي دولهم ما هي قادرة على تنفيذه

٥ - هذا ما يتعلق بالاستقلال اطلاقا وتقييدا من مواد هذه المعاهدة والمادة الخامسة منها خاصة بابقاء الطرق الموصلة الى البلاد المقدسة من نجد وملحقاتها مفتوحة والمحافظة على الحجاج الذين يسلكونها ، وذكرها في هذه المعاهدة من الربا ، والفضول البريطانيين ، والمادة السادسة في التزام ابن سعود عدم الاعتداء على حكومات حيرانه من عرب البحرين والكويت وقطر وعمان والمشايع الذين تحت الحماية البريطانية

وخلاصة القول في هذه المعاهدة انها كانت على علاقتها في مصلحة ابن السعود وأنه لا يوجد عاقل منصف يعرف ما كانت عليه حاله وحال بلاده عند عقدها يقول إن عدمها كان خيرا منها ، وكل ما امكنا انتقاده منها هو أن الانكليز ربما كانوا يرضون من ابن السعود بما دون هذه القيود كلها مع اقناعهم بحسن نيته لو كان أشد في مساومته وألحن بحجته (ان نطن الا ظنا وما نحن بمستيقنين)

وأما الحال التي اشرنا اليها هنا فهي ما ذكرناه بالايجاز من قبل وهي أنه كان لآل سعود اماره في نجد عظم شأنها الديني والدنيوي بالاصلاح الذي قام دعاليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فنهضوا به نهضة اشتهت نهضة العرب في صدر الاسلام حتي توقع المؤرخون وأهل الرأي في الشرق والغرب بان يعود بها عهد الخلفاء والاوين قوة ومجدا واصلاحا وحضارة ، فكان أول من ناصبها العداء اير مكة الشريف غاب وهو الذي اغرى بها الدولة العثمانية ، واقرى عليها المطاعن الدينية (المنازع ج ١٠) (٩٦) (المجلد الخامس والعشرون)

وما زالت توارثها وتقاتلها وتساعد ابن الرشيد عليها حتى استولى على عاصمتها ولبأ أميرها الامام عبد الرحمن المبصل بأولاده الى الكويت فاقاموا ضيقا على شيخها ابن الصباح الى ان نهض نجله عبد العزيز هذا نهضته التي تعد من نواد تاريخ الرجال فاستعاد الامارة التي كانت لوالده ثم استرد ما كان يبد الدولة العثمانية منها و كان من امر دخول الدولة في الحرب الكبرى ما ذكرنا في المقام الاول فلو لم يعقد مع الانكليز هذه المساعدة لزموا ان هذه البلاد للدولة العثمانية واحتلوا سواحلها وأعانوا ابن الرشيد وغيره على مناجزتها من الداخل بل كان منهم من يغريه بابن السعود مع اتفقه معهم كما ثبت هذا عنده ١١

على أن هذه القيود المنتقدة من المعاهدة لا تجعل الانكليز أدنى حق في التدخل الفعلي في شؤون بلادهم ولا نعترف لهم بسيادة ولا حماية عليها — كما اعترف لهم الشريف حسين بحق الحماية والتدخل الفعلي — ومثل هذه المعاهدات تكون مؤقتة بطبيعتها وقما تتجاوز العائرة من عمرها ، والعبرة بما يحصل بالفعل من فمرة عقدها ، في زمن اقتناع المتعاقدين بالحاجة اليها ، ثم يتبع كل منهما بعد ذلك الزمن مصلحته ، والمدار في جميع الامور السياسية على القوة وما يسهونه « الامر الواقع » فالذي استفاده الانكليز من هذه المعاهدة بالفعل هو أن ابن السعود لم يقاهاهم مع الدولة العثمانية ، والذي استفاده هو منهم (١) اعترافهم له ولقريته بانهم اصحاب هذه البلاد وحكامها (٢) عدم الاستيلاء على شيء منها كما استولوا على فلسطين و سورية والعراق فهو لولا اتفاق هياج العالم الاسلامي لاستولوا على الحجاز (٣) تأمين معيشة بلاده في عسرة سني الحرب (٤) تمكنه من القضاء المبرم على اماره ابن الرشيد التي كانت تهدده في كل حين (٥) قبض مئات الالوف من الجنيهاات نظم بها قوة بلاده حتى صارت أعظم قوة في بلاد العرب ، وقد تقض بعد ذلك ما رأى من مصلحته نقضه

ولوانه جعل للانكليز أدنى تدخل فعلي في بلاده باتفاق كتابي أو شفوي لكان اشد خطرا عليها من الف معاهدة تكتب ولا يعمل بها كما يعلم هذا باليقين من تاريخهم ومسألة مصر والسودان أظهرها وأشهرها

(فان قيل) ان هذه المعاهدة قد تمكنهم من العبث باستقلاله والتدخل العملي في شؤونه بحجة نقضه لبعض شروطها (قلنا) ان هذه أمور تتبع المصلحة وتراعى فيها القوة ، ومتى عزم القوي على شيء لا تعوزه الوسيلة ، وليس في هذه المعاهدة نص علي جواز العبث باحتلال البلاد النجدية أو التدخل في شؤونها الداخلية اذا ترك سلطانها الوفاء بشيء مما التزمه فيها ، وانما يمكن للانكبار ان يحاولوا دون تنفيذ أي نقض للمادة الرابعة لا يمنع ابن السعود وحده من اعطاء امتياز لدولة أجنبية او لبعض رعاياها في تلك البلاد بل يمنع أي دولة من الدول نفسها أو رعاياها من الاقدام علي التعاقد معه على ذلك ، وقد بينا انه ليس من مصلحة ابن السعود نقض هذه المادة ومن المعلوم من سياسة الانكبار انهم يقدمون على حرب شعب حربي مسلح لاجل فتح بلاده أو التمتع بالنفوذ فيها ولا سيما مثل بلاد نجد في فقرها وعدم وجود مرفق الحياة واسباب النقل فيها ، فهي بلاد لا يمتدح عليها بالقوة العسكرية ، لان الخسارة في ذلك أعظم من الربح قطعا ، وانما يخشي عليها من تمكن قوة الاجانب ونفوذهم فيما جاورها ، وهو ما يخدمهم البيت الحسني فيه هذا وان جميع مواد هذه المعاهدة خاصة بالبلاد التي ذكرت فيها بالانصر فلا يدخل فيها ما استولى عليه ابن السعود بعدها كبلاد عسير باتفاقه مع الادريسي فضلا عن بلاد الحجاز كما أرجف أهل بيت حسين الحجازي وأجراء دعايته الكاذبة الخادعة . على ان ابن السعود قد قيد نفسه في مسألة الحجاز بمؤتمر اسلامي يقرر شكل حكومة الحجاز فلم يدع ما يدعيه حسين واولاده من ان الحجاز ملك لهم يجب ان يكون رهن تصرفهم فيه مطلقا لا رأي فيه لاحد من مسلمي العرب ولا المعجم (١). وسنبين في المقالة الثالثة وجوها أخرى من الفرق بين أهل هذا البيت وبين ابن السعود دسضا لدعاويهم ، وإبطالا لدعايتهم

(١) قال الامير عبد الله ان لهم حقا ان يتعرفوا شؤن الحاج ويمنعوا من شأوا منهم دخول الحجاز أي لأجل الحج ونشر هذا بعض الجرائد عنه

الوهابيون والحجاز

عود على بدء

(٣)

ذكرنا في المقالة الاولى من هذه المقالات اننا استأنفنا الكتابة في هذا الموضوع في وقت لآنك فيه مراجعة شيء مما عندنا من المحفوظات المتعلقة به وهو وقت نقل مكتبنا ومافيه الى دار خري فكان اعتمادنا على ما تذكر ما سمعنا وقرأنا ومنه الكثير مما كتب به اجراء الدعاية الحجازية الحسينية العلوية في المعاهدة البريطانية النجدية وغيرهم واننا على اعتقادنا أن أكثر ما يكتبونه مقترحات وأباطيل ، وخداع وتضليل ، قد علق في ذهننا بعض فتوهمنا أن في هذه المعاهدة نصوصا في تقييد استقلال سلطان نجد فوق ما يبينه في المقالة الثانية التي كتبناها بعد أن اتيج لنا الاطلاع على نصها الذي نشر في العراق ثم في سائر الاقطار العربية اذ كان قد طال عهدنا بالاطلاع على ذلك الاصل ، وكان من هذا الوهم أن من القبول السلبية التي قيد بها سلطان نجد انه لا يستطيع أن يحارب بلادا موالية للدولة البريطانية بدون اذنها اذا أكثر أنصار حسين وعلي من اللغط بانه تحت الحماية البريطانية وأنه لم يهاجم الحجاز الا باتفاق مع الدولة الحامية له ، ولكننا رأينا رجاله يهاجمون العراق وشرق الاردن ايضا ، وتصدى الطائرات البريطانية لهاجمين عابها من الوهابيين فتدفعهم عنها — فلماذا ولما ذكرناه من اتفاق سلطان نجد مع السيد محمد علي الادريسي من قبل ومع الامام يحيى من بعد ولما عرفه القاصي والداني من اتفائه مع نوري باشا الشعلان أمير قبائل الرولة على ان يشغل هذا بقبائله (الجوف) بشرط أن يمنع الانكباب من مد سكة حديدية بين فلسطين والعراق تمر منه — لهذا كله قلنا ان تلك المعاهدة امست قصاصة ورق لا قيمة لها

وقد اتفق لما عند الشروع في كتابة المقالة الثانية ان رأينا نص المعاهدة في بعض الجرائد قبل أن يتيسر لنا مراجعة الاوراق فلم يرفها شيئا يمنع سلطان نجد

أن يكون غازيا ولا فاتحا ولا أن يتصرف في بلاده بما يشاء كما يشاء ، اذا لم يدخل فيها نفوذ دولة أجنبية وهذا قيد يمنع مما يضره ولا ينفعه — وأما منعه اياه من عقد الاتفاقات مع الحكومات والدول فاذا كان يشمل الحكومات العربية المجاورة له فقد نقض المعاهدة بمخالفته — وان كان لا يشاها فلا يضره هذا الشرط الآن اذ ليس من مصلحة نجد أن تكون ذات علاقة بالدول الاجنبية ولا هي مستعدة لذلك ، والمستقبل حكمه واستعداده

واننا قبل ان ندين ما وعدنا به من المقابلة بين سلطان نجد وبين الشريف حسين وأولاده نقول اننا كنا ذكرنا في المقالة الاولى اننا سمعنا خبر المعاهدة البريطانية النجدية أول مرة من الملك فيصل في الشام (وكان اجتماعنا به هنالك سنة ١٩٢٠) كما ذكرنا اننا سمعنا خبر اختصار ابن السعود عدم الدخول في الحرب العامة في جانب الدولة العثمانية ولا في جانب الدولة البريطانية وذكرنا تعليقه نقلا عن صديقنا السيد طالب بك النقيب ، وتذكر اننا سمعنا منه انه كان قد كاف مخاطبته في هذه المسألة وانه نصح له بما يليق به من حيث هو أمير مسلم وهو ما فيه مصلحته وقد فهم المشار اليه اننا ننمي بمقتضاه انه كان هو الذي وسط بين الانكليز والامير ابن السعود في عقد هذه المعاهدة فكتب في الجرائد نصحيحا للخبر هو انه كان اخبرنا بأنه هو الذي توسط بين الامير ابن السعود وبين الدولة العثمانية في عقد الاتفاق الذي اشرنا اليه في المقالة الاولى وكان ذلك قبل الحرب وأما المعاهدة المذكورة فقد عقدت بعد نفيه من العراق في أوائل الحرب وحدد لنا الزمان والمكان اللذين اخبرنا فيهما بما ذكر وهو انه كان على مائدة الافطار بدارنا في شهر رمضان من سنة ١٩١٦ وذكر بعض الذين كانوا معنا ليلئذ . وقد تذكرنا ولكن هذا غير ذاك فنحن لم نقل ولم نتصد بعبارتنا الوجيزة المبهمة ان صديقنا توسط في معاهدة سنة ١٩١٥ اذا صرحنا بأننا لم نسمع خبرها الا من الملك فيصل سنة ١٩٢٠ وانما العالق بذهنتنا ان الانكليز لما أعلنوا الحرب مع حلفائهم على الدولة العثمانية وشرعوا يفرون امراء جزيرة العرب بان يكونوا معهم عليها كان نصيهم من ابن السعود ما ذكرنا من الاتفاق السابي ولم نكن نعلم انه

كان بمقتضى معاهدة مكتوبة ، وقد ذكرنا هذا مراراً في المنار وغيره اي الاتفاق السلي ، فان كنا واهمين في سماع هذا الخبر من صديقنا (طاب لك) وانه كان كاتب مخاطبة ابن سعود فنصح له - فانا نستغفر الله تعالى ولا نرى عليه غشاً فيه فاستغفره هو واما بعد ذلك من حسناته

اما بعد فهذا أوجز ما يقال في مسألة المعاهدة البريطانية النجدية على فرض صحتها وكون هذا الذي نشره المجازيون هو نصها ليس فيه تحريف ولا تزوير عما اعتادوه حتى في الرسومات كما حرفوا نص ما كتبه جمعية الخلافة في الهند للملك جده الشريف على تحريفها غير المعنى وان زعم نصيرهم المقطم ان لا فرق بين الاصل الذي كتبه اليه رئيس وفد الخلافة وبين تحريف الكتاب الاحمر المجازي في المعنى ، كان المقطم يري ان اذا الشرطية بمعنى ما المصدرية وسيأتي بيان هذا في مقال آخر والامر الواقع الذي لا يمتثل التحريف ولا التأويل أن السلطان ابن السعود سلطان مستقل في بلاد نجد وملحقاتها ليس في بلاده اجنبي مسيطر ولا غير مسيطر عليه اوله نفوذ ما في بلاده — وانه يفزو ويضم ابلاداً الى بلاده ويعقد المعاهدات بينه وبين من يتفق معه من الحكومات المجاورة له ، بدون ادنى تدخل من الانكليز وغيرهم — وأن رجاله قد غزوا بعض قبائل العراق وشرق الاردن التي هي بمقتضى سياسة اراء اولئك البيت الحسيني تحت سلطان الانكليز بالفعل وقاومهم هؤلاء بطياراتهم واخيراً هاجم الحجاز وطارد منه رئيس هذا البيت الذي سمي ملك العرب وخليفة المسلمين واحتل عاصمته وحصر ولي عهد الذي ادعى الملك في اخذ نفوره ، وقد ظهر للقاصي والداني كراهة الانكليز لهذا الامر وما قبله ، وعلو آلتهم ارسلا اليه من يفارضه فيه بصفة غير رسمية فاني ان يقابله وأن يكلمه في ذلك فماد خائباً

هذا هو الخلق الواقع الذي لا تستطيع حكومات البيت الحسيني البريطانية ولا دعائهم ومقطمها ان يحرفوه ولا أن ينقضوا منه شيئاً ، ولا أن ينكروا ان نجد كانت اماراً صغيرة قد تقاص ظل امرائها آل سعود عنها فاعاده السلطان

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل هذا ووسع الامارة فصارت سلطنة شهد أهل المعرفة من الشرقيين والاوربيين أنها اعظم قوة في بلاد العرب

فماذا فعل البيت الحسيني الحجازي ؟

منحت للشريف حسين فرصة لتأليف قوة عربية بوحدة حلفية تحت رياسته كانت تكون هي الوسيلة الوحيدة لتأليف مملكة قوية مستقلة فلم يمتثل ذلك ولا رضي به — وفاوضه الانكليزي موالاته لهم واثارة العرب على الدولة العثمانية فلو اشترط في القبول اعترافهم واعتراف احلافهم باستقلال البلاد العربية بنص رسمي لا يمكن قولهم — ولكنه استبد بالامر وعرض عليهم من تلقاء نفسه تلك المواد التي سماها « مقررات النهضة » التي صرح فيها بان « الامة العربية بمنزلة القاصر في حجر الدولة البريطانية » — وان هذه الدولة هي التي تؤسس لمملكة عربية وصفها بكلمة مستقلة وبان على الدولة البريطانية ان تكون حامية لها من الداخل والخارج حتي من الفتن الداخلية والثورات المحلية — وان تختار لها العمال والموظفين (١) وان الدولة البريطانية تحتل البصرة من ولايات العراق لاجل تأمين حماية البلاد العربية الى أن يصير للدولة العربية في ظلها من القوة ما يكفي لحاية نفسها بقوتها (١) ثم اعترف لها بحقوق خاصة في جميع العراق وبتأجيل البت في مسألة سورية الشمالية لما تدعيه فرنسا من الحقوق فيها الخ

كانت هذه المقررات سرا مكنونا فافشاه الامير فيصل ونشره في جريدة المفيد بدمشق الشام. ثم قرأنا في جريدة الملك حسين التي سماها القبلة انه قد كتب الى الدولة لانكليزية مرارا بالاستقالة من ملك الحجاز وأن يمينوا فيه ملكا غيره !!

هذا شأن الحجاز الذي تفخر الدعاية الحجازية بان حسينا جملة مستقلا بالفعل ، وما جملة مستقلا الامكانه الدينية التي منعت الانكليز من تنفيذ ما اقترحه حسين في مقررات نهضته من حمايتهم له من الدخول والخارج وأما فيصل ومخدع أهل سورية خداعا فوق خراع والده الذي نومهم تنويما كانوا يحملون فيه بالمملكة العربية المستقلة — خدعهم بذلك الخطب التي كانت

تهدر بها شفاشفه بكفالة الاستقلال التام الناجز لسورية وبانه هو ابن محمد (ص) ويتبرأ منه ان كان برضى سورية بماعدا الاستقلال المطلق من قيود الوصاية والحماية وغيرها — وقد رضي فبري — فلما جاءت لجنة الاستفتاء الاميركانية الى سورية للوقوف على رأي أهلها امره سادته الانكليز بان يحمل الالهالى على طالب الوصاية البريطانية ففعل ولكنه لم يقطع ، وصرح بانه غير سياسته فجأة لانه علم علما قطعيا بان الوصاية لا بد منها وأن طالب الاستقلال التام المطلق ينفذ الى جعل الوصاية افرنسية ، فهو اذا خيانة لارطن وأهو الخيانة المعظمى (١)

ثم ذهب الى انكلترا فامرته حكومتها بان يتفق مع مسيو كلمنصو الرئيس الفرنسي على قبول انتداب فرنسا لسورية واقباع السوريين بذلك فاطاع ، وعاد الى سورية لاقتناع زعمائها بذلك فاعجزه الاقتناع ، وأعلنت البلاد استقلالها وجعلته ملكا عليها ليرجع عن هذا الرأي ، ويكون لها على الاجنبي دون العكس ، فرجع في الظاهر دور الباطن ، ولما أرسل اليه الجنرال غورو إنذاره المعروف في يونيو سنة ١٩٢٠ حاول أن يخذع المؤتمر السوري ليفوض الامر اليه فمجزء ، فحل عقد المؤتمر وقبل الانذار الفاضح ، وحل الجيش المدافع ، وخرج من دمشق فاقام في ضواحيها الى ان احتلها الجيش الفرنسي فلما تم الاحتلال عاد اليها ليكون في ظل الانتداب الفرنسي ملكا عليها (٢)

وبعد طرده منها عاد الى أولياء أمره الانكليز الذين سل سيفه تحت قيادتهم وساء لهم على فتح القدس الشريف والشام ، وأخذ ثار القرون الطويلة من العرب والاسلام ، شاكيهم ما أصابه معاداهم ثباته على اخلاصه لهم ، فارسلوه الى العراق وجعلوه ملكا عليه ، فجهاد ولا يزال يجاهد في سبيل توطيد نفوذهم فيه بالاسم الذي يريدونه . وأما عبدالله فقد جاء شرق الاردن بعد فرار أخيه من سورية في اثر مكاتبات بين بعض احرار السوريين الذين لجؤوا اليها وبين والده وكانت هي المنطقة الحرة التي لم تدخل في الانتداب لافلسطين ولا لسورية ، وكان لاولئك الوطنيين الاحرار من الآمال فيها وفي الملك حسين وفي الامير عبدالله ما كانت في حيرة منه ولم أجده تأويلا . بعد أن علموا من كذب هذه الاسرة وخداعها مالا يمكن

تأويله — الاتفاق الغريب بجهال الهواء (كما يقال في تلك البلاد) فما زال الامير عبد الله يجاهد في هؤلاء الاحرار ويسرف في اموال المنطقة ويحكم فيها عبيده ويتزلف الى الانكليز والصهيونيين حتى وضع المنطقة في دائرة الانتداب الفلسطيني وأوصل نفوذ الانكليز واليهود الى حدود الحجاز باذن والده (المنفذ الاعظم) ورضاء وهو أحب أولاده اليه.

وأما على ولي عهد والده وهو الذي كان يظن أنه خير من ان كان فيهم خير — فهو « يمثل الآن شر دور من أدوار القضية العربية » كما يقال في التعبير المصري — فان الداء الذي جعل أباه وأخويه نكبة على العرب والاسلام متمكن منه كتمكنه منهم أو أشد ، وفيه جميع مساوئهم الاخزوانة الجبروت فلم يحكم لنا عنه منها شيء لانه ضعيف الارادة

اما الداء الذي نعنيه فهو الإفتتان بلقب الملك ومظاهر عظمته ولو في ظل دولة اجنبية ، بل هو متواطىء معهم على أن يكونوا كلهم ملوكا في حماية الدولة البريطانية ، وقد أخبرني رئيس الوفد الهندي أنه ثبت عندم في جدة انه عرض على المعتمد البريطاني فيها أن يكون الحجاز تحت الحماية البريطانية رسميا ليصدوا سلطان نجد عنه ، وكافه أن يكتب الى دولته بذلك فاجابه بأن دولته قررت الحياذ رسميا فلا تمديل عنه ، فكان هذا مصداقا للروايات الكثيرة المختلفة المصادر في ذلك ، وان كذبها دعاء سياستهم في مقطوعهم وغيره ، ونبين هذا في مقال آخر ، وأما المساوي المرادة هنا فهي الجهل والاستبداد والخداع والكذب والاثرة والفرور بالنسب باعتقاد انهم أولى الناس بالسيادة على العرب وأحقهم بالملك والخلافة بنسبهم الذي يشار بهم فيه ألوف لا نحصى كثير منهم يفضاونهم كل ما يتوقف عليه الملك من علم وخلق وعمل

« ١ » بلغنا بعد نشر هذه المقالة في الاهرام صحة ما كان أشيع من ان الشريف حسين وولديه عبد الله وعليهما مضوا للانكليز ضم معان والعقبة الى شرق الاردن وهما من ارض الحجاز لئلا يأخذها سلطان نجد ، فهل يوجد مسلم صحيح الاسلام أو هوبى غير خائن لامته يشك بعد علمه بهذا في خيانتهم لدينهم وأمتهم ؟ ؟

فعلي هذا متواطئ مع أبيه على ادعاء خلعه واخراجه من الحجاز وكون أهل الحجاز بايعوه على أن يكون ملكا دستوريا على الحجاز وحده — وكونه يعترف لكل امارة في جزيرة العرب باستقلالها اذا اعترفوا باستقلاله في الحجاز — وهذا كله كذب وخداع، وكذا وجود حزب وطني حجازي ينطق بلسان أهل الحجاز ويعبر عن رغباتهم — وقد كنا نرتاب في كل خبر من هذه الاخبار عند نشرهم اياه ثم تأتينا الانباء الصادقة باليقين الموافق لرأينا، ومن المؤسفات اننا كنا في شواغل حالات دون بيان رأينا في الجرائد، على اننا كنا نذكره لكل من نتكلم معهم في هذه الشؤون وذكرنا بعضه في الخطاب العام الذي ننشره في هذه الايام وفي المنار وقد كانت اخبار الوفد الهندي الصادقة آخر ما جاءنا من الحقائق الموافقة لرأينا ومنها أن عليا لا يزال يخاطب والده بالقباب الملك والخلافة وامارة المؤمنين وأن الحزب الوطني مؤلف هنالك من محمد الطويل وطاهر الدياغ من اركان حكومة علي ولم يبق ممن كانوا خدعوا به ودخلوا فيه من الحجازيين احد، والذي نعلمه نحن أن الاول تركي الاصل والثاني مغربي — ولهما مندوبان بمصر هما حسين الصبان الذي كان مدير جريدة القبلة وعبد الرؤف الصبان وهما اللذان ينشران الدعاية باسمه — وبما قاله رئيس الوفد وأعضاؤه وهو معروف عندنا وعند المختبرين انه ليس في حكومة علي في جدة نفوذ لاحد من أهل الحجاز فان الجند وضباطه سوريون وكذا جل رجال الحكومة على قلوبهم

ومن غريب أحداث الزمان ان أهل هذا البيت الحسيني يبعضون السوريين اشد البغض وأن السوريين كانوا اشد انصارهم في الحجاز وسورية وشرق الاردن وهم الذين سموا بكيرهم خليفة المسلمين وامير المؤمنين المرة بعد المرة — ولكن لما كان كل ذلك في كل وقت مبني على اساس منافي للحق ولمصلحة العرب ولشريعة الاسلام، لم تكن عاقبته الا الخيبة والخذلان

وجملة القول أن علي بن حسين قد حصن ثغره جدة بمال أبيه ومساعدة أخيه وبما استأجرا له من الجند من شرق الاردن ومئات فلسطين ومنورية وبما ابتاع به من السلاح والذخائر وعدد القتال من أوربة، وسمى نفسه ملك الحجاز، قد عرض

بلاد الحجاز بهذا الحرب والجوع وهو مستعد لمنع الحج اذا عجز الوهابيون عن الاستيلاء على جدة قبل الموسم ، بل هو يستحل اهلاك الحجاز وأهله والعرب والمعجم لاستعادة ملك الحجاز له والخلافة لوالده . فالخلاف بين علي بن حسين وحسين بن علي من جهة والسلطان ابن السعود من جهة أخرى قائم على هذه المسألة وهي أنه هو يريد انقاذ الحجاز من أهل هذا البيت الظالم وأهله وجعل أمره لأهل العقل والبصيرة من أهله ومن سائر العالم الاسلامي وهما يريدان أن يكون ملكهما يتصرفان فيه وفيمن يرد اليه من مسلمي العالم كله كما يشاء كبيرهم الذي ثبت بالتواتر العام ظلمه وإلغائه في الحرم وسوء ادارته ثم من يرثه منهم .

ماضى الازهر وحاضره ومستقبله

٢

كتبنا في المقالة الاولى من هذا الموضوع كلمة إجمالية في ماضى الازهر البعيد والقريب حتى عهد الاستاذ الامام ، وغرضنا مما كتبنا ونكتب فيه العبرة والتذكير لاسرذوقنا التاريخ .

ونقول الآن إن الحكومة المصرية لم تستطع تنفيذ مقررته موافقا لرأي لورد كرومر من ترك الازهر وشأنه والاكتفاء بحفظ الامن فيه كما تحفظه في كل عهد ومكان في البلاد حتى الحانات ومواخير الفجور ، بل ذكر في نصهم «أن يكون في أمان وهدوء وبعد عن الشغب والقتال وأن يظل مدرسة دينية كما كان» والمراد من هذه الكلمات أن لا يكون له شأن مافي أمور الحكومة ولا لأمور العامة السياسية ونحوها ولا تدرس فيه العلوم الكونية فان كان الاميراسمال اللورد بمال محل لذكره هنا لممكنه من عزل الاستاذ الامام من الافتاء ومن ادارة الازهر فقل اللورد أن يستقيل من الثانية دون الاولى على شرط أن يتولى هو تأسيس مدرسة القضاء الشرعي بوضع نظامها والاشراف عليها وأن لا يكون بعد ذلك للازهر صفة خاصة عند الحكومة ولكن الاستاذ الامام لم يلبث بعد ذلك أن مرض فتوفي قبل انعام وضع نظام مدرسة القضاء الشرعي فلم يصبر الامير عن الاشتغال بأمر الازهر بصفة غير

رسمية ، ولم يرض حال الازهر بعد ذلك أحدا من الازهريين ولا من سائر المسلمين في مصر ولا غيرها كما يبيناه في الجزء التاسع من مجلد المنار التاسع وفيه مقالة حافلة لرئيس مشي الهندي ذلك العهد الزواب محسن الملك - ثم ذكرنا في الجزء العاشر منه ان الامير قد بدا له في أمر اصلاح الازهر بعد إنشاء مدرسة القضاء الشرعي وجعلها تابعة لوزارة المعارف وكان وزيرها ومؤسس المدرسة فيها همقونا عندهم مد باشا زغلول تلميذ الشيخ محمد عبده وأنه شاع ان أساس هذا الاصلاح إنشاء (مجلس أعلى) من مجلس إدارة الازهر من أعضائه رئيس الديوان الحديوي ومدير الارقاف العامة - وكان تابعا لنفوذ الحديوي وحده - وأن يكون لشيخ الازهر وكيل من حقوقه أن ينوب عنه في غيبته في كل شيء وما زال الازهر بعد إنشاء مدرسة القضاء الشرعي في أمر مريج وعلم أهله أن المتخرجين فيها سبستأثرون بجميع المناصب الشرعية ويزاحمون مع ذلك شيوخ الازهر على التدريس فيه فيزحونهم ويفوقونهم وأفصى ذلك الى الهياج والاضطراب في سنتي ١٣٢٧ و ١٣٢٨ ثم باعتصاب الطابة أي تركهم لحلقات الدروس مطالبين باصلاح التعليم في الازهر وزيادة العلوم والفنون الطبيعية والرياضية التي تدرس في مدرسة القضاء الشرعي في برنامج دروس الازهر ووافقهم بعض المدرسين على ذلك ، حتى أنهم طلبوا إلغاء مدرسة القضاء الشرعي

حينئذ ظهر الامير وللحكومة ولمن يعقل من الشيوخ الذين كانوا يعارضون الاصلاح في عهد الاستاذ الامام أن بقاء الازهر على ما كان عليه محال كما قال ، فعهدت الحكومة الى المرحوم أحمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية بأن يضع نظاما جديدا للازهر بمساعدة كل من اسماعيل صدقي باشا وكيل وزارة الداخلية وعبد الخالق ثروت باشا النائب العمومي - وهؤلاء الثلاثة في الذروة العليا من رجال الحكومة ذكاه وعلموا بالقوانين والنظم - وقد جمع فتحي باشا جميع ما وضع للازهر من القوانين والنظم من مدة أربعين سنة وبعد وضع النظام الجديد الحافل الجامع للكثير من الفوائد والمنافع طبعت كلها مع النظام الجديد ولكن هذا النظام على ما انتقدناه منه من جعله الازهر تحت تصرف الحكومة لم توضع فيه المادة المهمة التي تجعله مضمون التنفيذ وانما نفذ منه بعض المواد المتعاقبة بالنظام الصوري كالمجلس

الاعلى واجتماعاته الخ وعلم من ذلك ان الحكومة ثابتة على رأيها في وجوب عزلة الازهر وعدم تدخله في أمور الحكومة أو الامة العامة إلا الامور الدينية المحضة كالصلاة والدروس الدينية

وفي هذه الاثناء عني بعض اذكيا، طلبة الازهر بامور السياسة والاحزاب وكان الحزب الوطني أول من دعا بعضهم الى ذلك فلما ظهرت الثورة بعد الحرب العظمي كان الالوف من الازهر يبن في جيش (المتظاهرين) وكان الاجتماع في الازهر لالقاء الخطب السياسية وتنظيم الاعمال أعظم منه في غيره فشددت الحكومة عليهم مالم تشدد على غيرهم كما سبق الالماع به في المقالة الاولى وظل الازهريون محل مراقبة الحكومة وتشديد لها الى عهد الملك فؤاد الاول وفقه الله تعالى لخدمة العلم والدين - فقد عني أولا بكبار العلماء ثم بمن يليهم فأطمع ذلك صفار العلماء والطلاب بنيل ما يروونه ، فكثرت المطالب والاقترحات ولما نجحوا في بعضها توسعوا فيها وتآلفت لاجاها الجماعات ، ورأت الحكومة أن العطف الملكي على العلماء والازهر يكاد يفضي الى ابتلاع المعاهد الدينية لمعظم مازد من دخل وزارة الاوقاف على نفقاتها من غير أدنى فائدة للحكومة ولا الامة من خرجها يكثرون عاما بعد عام وكلهم طلاب رزق واسع ورقاه سابغ ، فأطالت التفكير في وضع نظام جديد لهذه المعاهد بمحصر فيه عدد علماء الدين الذين يرزقون من خزينة الاوقاف

وقد كبرت آمال الازهر يبن بعد رفع الحماية البريطانية عن مصر بتأثير الثورة التي كان لهم فيها المظهر الذي لا ينكر ، وحدث في هذه الاثناء كثرة عقوبات الدين يؤدون امتحان شهادة العالمية - فظنوا أن التشديد في الامتحان لم يحدث الا بايعاز يراد به تقليل عددهم ، وتنقيص مددهم وما زالوا يماررون الوزارات وهي تدافعهم باللين وتقدم بدرس الموضوع وتأليف اللجان له الى أن وضع قرار لمطالبهم كنتم أمره عنهم وألحوا في وزارة سعد باشا على مكاشفتهم به قبل تنفيذه يغاضبوا الوزارة والرئيس الذي كانوا من أعز أنصاره لعدم إجابته اياهم - إلى أن انحصرت مطالبهم أخيرا في المواد الآتية التي أجابتهم اليها الحكومة الحاضرة وهذا نصها

مطالب الازهر وماحقاقه من الحكومة

- المطالب التي اتفق عليها طلبة الازهر وطلبة معهد طنطا
- (١) اعتبار الازهر الشريف جامعة كبرى تتكون عناصرها من المعاهد الدينية التالية ومدارس القضاء الشرعي ودارالعلوم والمعلمين الاولى بحيث تكون هذه الجامعة مشرفة على جميع ما يختص بتعليم الدين وتعليم اللغة العربية
 - (٢) المساواة الفعلية بين حاملي شهادات الازهر ونظرائهم من حاملي شهادات وزارة المعارف فتساوي الاولى الابتدائية والثانوية البكالوريا والعالية اللسانس وذلك فيما يختص بميزاتها وبالمرتبات والترقيات واحتساب الماش مع حفظ امتيازات العلماء الخاصة بهم مثل كيونات السكك الحديدية
 - (٣) اقرار مشروع التعليم الديني في المدارس وهو الذي قرره وزارة المعارف السابقة واسناد القيام بتعليمه الى خريجي الازهر خاصة
 - (٤) الغاء القوانين الاستثنائية والاجراءات والقرارات التي ترتبت عليها واباحة الانتساب والتحويل الى الجهة التي يريد الطالب .
 - (٥) تعديل الكشف الطبي بحيث لا يمنع من تولي الوظائف الامن به مرض معد
 - (٦) حفظ الحق للمكفوفين في مباشرة التدريس بالازهر وفي وظائف الامامة والخطابة بالمساجد .
 - (٧) جعل الامتحان على دورين في السنة الواحدة حسب المتبع في المدارس .
 - (٨) ارسال بعثات الى الجامعات الاوربية لدراسة العلوم التي تناسب التعليم في الازهر

المطالب التي اتفرد بها طلبة معهد طنطا

- (١) تعديل برامج التعليم تعديلا يتناسب مع الحال الحديثة ويحفظ للازهر صفته العلمية والدينية
- (٢) تعديل مدة الدراسة بجعل مدتها العامة ثمانى سنوات والاربع الباقية بعد ذلك في مختلف العلوم الدينية والعربية على أن تكون دراسة القضاء الشرعي

للتخصص في القضاء الشرعي ومدرسة دارالعلوم للتخصص في اللغة العربية وباقي
الاقسام في الأزهر للتخصص في العلوم الاخرى وعلى أن تكون الشهادة الثانوية
من الأزهر هي شرط الدخول في هذه الاقسام .

(٣) إيجاد قسم لتعليم اللغات الأجنبية المتداولة في العالم ليتمكن العالم
الأزهرى أن يبين حضارة الدين الاسلامي في اللغة العربية للعالم الاوربي .

المطالب التي اقتردها الأزهر

(١) معاملة العلماء معاملة خاصة في الكشف الطبي بوزارة المعارف
(٢) تعديل قانون التخصص الجديد بمجمل مدة الدراسة فيه سنتين فقط
على أن تكون مدرستا القضاء الشرعي ودارالعلوم فرعين من الأزهر - الاولى
لتخصص في القضاء والثانية في اللغة العربية - وباقي اقسام التخصص في الفنون
الاخرى بالأزهر . وأن يكون الانتساب الى هذه الاقسام كلها مقيدا بالحصول
على شهادة العالمية من الأزهر

(٣) تنفيذ الحقوق التي كفلتها القوانين والوائح لحلة شهادات الأزهر المعطل
العمل بها الآن .

(٤) إيجاد أمكنة صحية صالحة للدراسة غير الامكنة الحالية التي يدرس فيها الطلبة
(٥) جعل الوظائف الكتابية بالمحاكم الشرعية حقا مشتركا بين جميع المذاهب
لا فرق في ذلك بين خريجي القسم المؤقت والقسم النظامي والغاء قرار الحقاينة الاخير
(٦) حل اللجنة المنتدبة من وزارة المعارف لتغيير نظام مدرسة القضاء الشرعي
الحالي واهمال عملها

(٧) تأليف لجنة للنظر في هذه المطالب

مطالب قسم التخصص

(١) ألا يقل المرتب من ستة جنيهات تصرف في زمن الدراسة وفي
لمساحات والاجازات

- (٢) إيجاد مكان صالح للدراسة يكون على نظام المدارس العالية
 (٣) تخفيض مدة الدراسة الى سنتين
 (٤) أن يعتبر كشف القومسيون الطبي حين الدخول في التخصص كشفاً نهائياً فلا يعاد الكشف عند الطلاب للتوظيف في أثناء التخصص أو بعد الحصول على شهادة التخصص .
 (٥) أن يكون لهم حق التدريس في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية
 (٦) أن يعتبروا في جملة الموظفين فيحسب لهم زمن التخصص في المعاش
 (٧) أن يعتبر صرف المرتب الشهري بعد حصولهم على شهادة التخصص الى أن ياتحقوا بالوظائف

(٨) صرف جوازات السفر بالسكة الحديدية المصرية

مطالب جمعية تضامن العلماء

(المطلب الاول) تعديل المادة التاسعة من قانون مدرسة القضاء الشرعي والمادتين الثامنة والتاسعة من قانون التخصص للجامع الأزهر بما يحفظ امتيازات العلماء الذين تخرجوا قبل صدور ذلك القانون

(المطلب الثاني) إلغاء قرار المجلس الاعلى القاضى بقصر الانتخاب في التدريس على عشرة الاول وتحكيم الكفاءة العلمية مع رعاية الاقدمية في الانتخاب وتظهر الكفاءة بالقاء دروس تحضيرية مؤتة

(المطلب الثالث) أن يخص من مالية الحكومة مبلغ يسد حاجيات العلماء غير المدرسين من القسم المؤقت الذين ليس بيدم شيء في مقابلة إلقاء حصة أو حصتين في الأزهر أو ملحقاته

(المطلب الرابع) المماقة من الكشف الطبي واذا كان مشروعاً فلا يتناول الا من كان مريضاً بالامراض المعدية مع اباة التدريس والامامة والخطابة للمكفوفين من غير شرط ولا قيد .

(المطلب الخامس) التعليم الديني في جميع مدارس الحكومة ومجالس المديريات على أن يكون مقصوراً على العلماء لاختصاصهم بالعلوم الدينية وآلاتها .

﴿ تقرير اللجنة الوزارية في شؤون الازهر ﴾

بعد ان قدمت هذه المطالب لوزارة أحمد زبور باشا أمرت بتأليف لجنة خاصة للنظر فيها مؤلفة من تذكر أسماؤهم فعمدت عدة جلسات قررت فيها عدة أمور وكان إتمام عملها في جلستها التي انعقدت يوم ٢ فبراير سنة ١٩٢٥ (٨ رجب سنة ١٣٤٣ هجرية) ووضعت القرار الآتي (المكل لاقتراحاتها السابقة) وقدمته الى مجلس الوزراء لاعتماده موصية بضرورة تنفيذه بسرعة وتقرير النفقات اللازمة له . فأقره المجلس وهذا نصه :

(١) أن تعتبر المدارس الأولية للمعلمين ومدرسة دارالعلوم ومدرسة القضاء الشرعي داخلة في ضمن الجامعة الازهرية الكبرى على شرط أن تبقي وزارة المعارف العمومية متولية إدارة هذه المدارس وأن تقوم وزارة المعارف نفسها بمقابلة الامتحانات اللازمة لقبول طلبتها وتخريجهم ومنحهم الشهادات طبقاً للقوانين والمناهج التي تسير على حسبها الآن والتي تسنها لها فيما بعد على حسب مقتضيات الاحوال . وأن على مدرسة دار العلوم والمدارس الأولية للمعلمين معاً مجلس ادارة رئيسه شيخ الجامع الازهر وأعضاؤه مقمي الديار المصرية ومدير المعاهد الدينية ومراقب التعليم الاولي بوزارة المعارف وناظر مدرسة دارالعلوم واثنان من أساتذة هذه المدرسة . وأن يطلق على هذا المجلس مجلس (إدارة دار العلوم والمدارس الأولية للمعلمين)

(٢) ابتداء من أول السنة المكنية المقبلة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ يضاف الى منهج دراسة القسم الاولي للمعاهد الدينية - علاوة على مقرره الحالي في العلوم الدينية والعلوم العربية ما يتسم له من المواد الحديثة التي تدرس للمدارس الأولية للمعلمين وليست في منهج القسم الاولي للمعاهد الدينية ليتسنى لمن يتم دراسة القسم الاولي ويريد الاشتغال بوظيفة التعليم في المدارس الأولية أن يتفرغ سنة واحدة لاستيفاء ما ينقصه من العلوم ثم يؤدي الامتحان اللازم للحصول على الشهادة المعروفة بشهادة الكفاءة للتعليم الاولي أمام اللجنة أو اللجان التي ستؤلف

في دائرة الازهر والمعاهد الدينية برياضة من يعينه مجلس الازهر الاعلى ومساعدة من يندب من المعاهد الدينية ومن وزارة المعارف العمومية توحيداً للنظام العام . ويقصر تخرج هذا الصنف من المعلمين على المعاهد الدينية متى وجد أن حاجة التعليم لا تتطلب أكثر مما يخرج هذه المعاهد .

ونظراً الى أن الحاجة ماسة للاكثار من المدرسين للتعليم الاولي الذي يزداد انتشاراً على ممر السنين ويقابل الرغبة الصادقة للحكومة المصرية العاملة على تعميمه وحياتي الاستفادة من حاملي شهادة القسم الاولي من المعاهد الدينية في فترة السنوات الخمس التي يستغرقها سير الدراسة الجديد في التعليم الاولي بالمعاهد الدينية تنشأ فرقة من أول السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ تسمى (فرقة التخصص للتدريس بالمدارس الاولية) يتكفل فيها حاملو الشهادة الاولية من المعاهد الدينية مدة سنة واحدة لاعداد أنفسهم لتأدية امتحان شهادة الكفاءة للتعليم الاولي وهذه الفرقة تنشأ في المعاهد الدينية التي بالقاهرة وطنطا وأسيوط والزقازيق والاسكندرية أي في المعاهد الدينية التي توجد معها في بلدة واحدة مدارس أولية للمعلمين . ويقوم بالتدريس في هذه الفرقة أساتذة المعهد الديني أنفسهم ومن يندب معهم من أساتذة المدرسة الاولية للمعلمين . وهؤلاء الاساتذة المندوبون يكلفون التدريس بهذه الفرقة في أوقات الفراغ من أعمال مدرستهم ويؤجرون على ذلك بمكافأة تصرف لهم على حسب القواعد المتبعة بوزارة المعارف العمومية . أما معهد دسوق ودمياط اللذان لا توجد الي جانبهما مدارس أولية للمعلمين فاذا وجد فيهما من الطلبة من تطمح نفسه الى التخصص للتدريس بالمدارس الاولية فإنهم ينقلون الى معهد آخر يتيسر لهم فيه الالتحاق بفرقة التخصص المذكورة .

(٣) ونظراً إلى أن الرغبة قد توجهت الى ادخال التعديل المرموق بعين الاصلاح على مناهج المعاهد الدينية وأن الازهر الشريف سيضيف الى مقررات القسم الثانوي من العلوم العصرية ما يهتمشى مع الحركة العلمية الحاضرة ليكون اطلاب العلم والدين مهبط لتلقي العلوم القديمة والحديثة وأن الهمة الصادقة ستبذل لتدرس فيه

العلوم الحديثة المشتمل عليها منهج المدرسة التجهيزية الملحقة بمدرسة دار العلوم (الذي هو منهج القسم الادبي المدارس الثانوية الاميرية واستيعب فيه عن اللغات الاجنبية والترجمة ببعض العلوم الحديثة) إذن لم تبق حاجة الى بقاء هذه المدرسة التجهيزية الى جنب القسم الثانوي بالمعاهد الدينية . ولهذا تقرر اللجنة إلغاء المدرسة التجهيزية الملحقة بدار العلوم بالتدريج ابتداء من أول السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ بمعنى أنه في هذه السنة تلغى السنة الاولى فقط من المدرسة التجهيزية المذكورة ويكتفى بنظيرتها بالقسم الثانوي بالمعاهد الدينية بحيث ينظم فيها التدريس وفقا لذكره . وفي السنة التي تليها تلغى السنة الثانية من المدرسة التجهيزية ويكتفى بنظيرتها بالقسم الثانوي بالمعاهد الدينية وعلم جراً .

وبما أن الحاجة ماسة للاكثار من متخرجي دار العلوم الذين يقومون بمهمة تدريس العلوم العربية والدين في المدارس التي تزداد نموا وانتشارا ورغبة في التعجيل بالاستفادة من حاملي الشهادة الثانوية بالمعاهد الدينية في فترة السنوات الاربع التي يستغرقها سير الدراسة الجديد في التعليم الثانوي بالمعاهد الدينية تقرر اللجنة أنه ابتداء من السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ تنشأ فرقة بالسنة الاولى لدار العلوم تكون الدراسة بها على حسب المنهج المؤقت لطلبة دار العلوم الذين أتموا دراسة القسم الاول لمدرسة القضاء الشرعي يقبل فيها من حاملي الشهادة الثانوية بالمعاهد الدينية (١) وهذه الفرقة تسير الى جنب فرقة السنة الاولى السائرة على حسب النظام الجديد كل يدرس مقرره الخاص به في منهجه وفي السنوات التي تليها يسار على هذا النحو حتى اذا وافت السنة المكتبية ١٩٢٩ - ١٩٣٠ . يلغى السير على حسب هذا المنهج المؤقت بالتدريج لأن المدة المحددة له تكون قد انتهت ويحل محله النظام الجديد لدار العلوم

أما قبول الطلبة للسنة الاولى بالقسم المؤقت لدار العلوم في غضون السنوات الاربع المشار اليها فيكون بامتحان مسابقة لحاملي شهادة الدراسة الثانوية بالمعاهد الدينية في المواد الآتية : تحريريات في الاملاء والانشاء والخط والرسم . وشفهيا في القرآن الكريم كله حفظا وتجويدا والفقه ابن مالك حفظا وفهما

لمعناها. وتكون المطالعة في كتاب أدب الدنيا والدين مع التطبيق وفهم المعنى وحسن التعبير، وحرصا على المزايا التي يتمتع بها حاملو شهادة الدراسة الثانوية بقسميها الاول والثاني. يبقى الامتحان المعروف بامتحان شهادة الدراسة الثانوية لتجهيزية دارالعلوم معمولا به لطلبة الاقسام الثانوية المعاهد الدينية التي ستسير ابتداء من أول السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ على حسب المنهج الجديد لمن يريد منهم الالتحاق بمدرسة دارالعلوم. وسبقه لهؤلاء لجنة أو لجان في دائرة الازهر والمعاهد الدينية برئاسة من يختاره مجلس الازهر الاعلى وبمساعدة المندوبين الذين يعينون من المعاهد الدينية ومن وزارة المعارف العمومية توحيدا للنظام العام. وسيكون القبول في مدرسة دارالعلوم ابتداء من سنة ١٩٢٩ وفقا لترتيب الناجحين في هذا الامتحان وقد لاحظت اللجنة في كل خطوة شملت أن المناهج الجديدة التي ستبتم في الازهر الشريف والمعاهد الدينية في أقسامها الاولى والثانوية ابتداء من السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ لانس العلوم الدينية والعلوم العربية من حيث مقرارتها الحاضرة التي تحفظ للازهر صبته الدينية العربية. ونظرا إلى أن فرقة السنة الثانية من النظام المؤقت لدارالعلوم ستكون السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ خالية من الطلبة بداعي التنظيم الذي بدىء به في العام الماضي فقد تقرر أن يؤخذ لها من يريد الالتحاق بها من حاملي شهادة العالمية من المعاهد الدينية بعد أن يؤدوا امتحان مسابقة فيما بينهم في مقرر السنة الاولى من مدرسة دارالعلوم على النظام المؤقت مع إعفائهم من تأدية الامتحان في العلوم الشرعية. ومع عمل استثناء خاص لهم من حيث السن

(٤) حاملو شهادة العالمية الذين يلحقون بوظائف التدريس في المعاهد الدينية والامامة والخطابة في وزارة الاوقاف يشترط فيهم أن يكونوا خاليين من الامراض المعدية. وقادرين على أداء وظائفهم. ولكل مصلحة أن تحدد قوة الابصار الضرورية لتدريس المواد المختلفة في المعاهد التابعة لها

(٥) أن تكون مدة التخصص في جميع أقسامه بمد الحصول على شهادة العالمية ثلاث سنوات وتعديل مناهج الدراسة لهذه الاقسام بواسطة مجالس الادارة المختصة

وتوصي اللجنة باعداد مكان واحد يضم أقسام التخصص مما توحيداً لانظمتها العامة وتسوية لجميع طالبها في الامتيازات، وقد يكون من الممكن بناء الجناح الشرقي في مدرسة القضاء الشرعي لتكون فيها حجرات دراسية تكفي السنوات الثلاث لأقسام التخصص. وينبغي الشروع في ذلك في الحال. ويكون القبول لقسم التخصص للقضاء الشرعي بامتحان مسابقة في مادتي الفقه والاصول فيما بين العلماء الذين يتقدمون له. وتوصي اللجنة كذلك بمعاملة حاملي شهادة التخصص بمعاملة (الدكتوراه) متى وضعت القواعد اللازمة لحاملها في الديار المصرية.

ورغبة في توحيد الدراسة السنوية في أقسام التخصص وغيرها من المعاهد الدينية ترى اللجنة أنه من حيث إن السنة الأولى للتخصص في الازهر قد انتهت فعلاً في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٤ وأن السنة الثانية لاستبدأ في منتصف شهر فبراير سنة ١٩٢٥ فإذا أمكن هؤلاء الطلبة أن يدرسوا مقرر السنة الثانية بتمامه في غضون المدة ما بين شهر فبراير ومايو من سنة ١٩٢٥ بحيث يؤدون الامتحان في ذلك المقرر كله حوالي شهر سبتمبر المقبل - اعتبرت هذه المدة بمثابة السنة الثانية كاملة للناجحين منهم. وحينئذ يستطيع هؤلاء الناجحون أن يبدأوا سنتهم الثالثة مع بقية طلبة المعاهد الدينية في موعد واحد. وأما الذين لا ينجحون منهم فإنهم يبقون للاعادة في السنة الثانية. وبهذه الكيفية تصبح السنة الدراسية واحدة لأقسام التخصص والمعاهد الدينية جميعاً ابتداءً حوالي شهر سبتمبر من كل سنة وتنتهي حوالي شهر يونيه.

(٦) وتقرر اللجنة للمكفوفين حق التمتع بما يتمتع به المبصرون من حيث الانتساب للازهر والمعاهد الدينية وتلقي العلوم التي تناسبهم فيها للحصول على شهادة العالمية الخاصة بهم. ودخول أقسام التخصص بالازهر. وتدریس ما يمكنهم تدریسه من العلوم في الازهر والمعاهد الدينية والامتحان بوظائف الامامة والخطابة بوزارة الاوقاف.

(٧) وترى اللجنة أن ما قدمت من المقترحات لآئس ما لطيلة الاقسام الثانوية بالمعاهد الدينية من الامتيازات بمقتضى المادة ٥٩ من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١

﴿ جبار زمزم والخطيم ﴾

قصيدة تاريخية اجتماعية نظمها شاعر الغمام الجيدخير الدين أفندي الوركلي
على إثر سقوط حسين بن علي المكي عن كرسي ملكه وخلافته وفراره من الحجاز

صبر العظيم على العظيم	جبار زمزم والخطيم
ان القضاء اذا تسلط	ضاع فيه حجب الحكيم
والنفس جامعة فخذ	ما اسطمت منها بالشكيم
إنهض فقد طلع الصبا	ح ولاح بحر الاديم
ألق السلام على الطلوع	ل وحي شاخصة الرسوم
ودع قصور « أبي نعي »	لست فيها بالقيم
راعتك رائحة الملوك	ويؤت بالخطب الجسيم
سهم رماك الاقربو	ن به فتغلل في الصميم
لم يجدك الحذر الطوبى	ل من الموالى والخصيم
أيام كنت تسيء ظاك	بالرضيع وبالخطيم
ما كنت تحفل بالنصي	ح وكنت أحفى بالقموم
للتعميات يد الوشا	ة وللاياة لظى الجحيم
ربيع الكرام بقصرك الـ	مالي فذق روع الكريم
اسمع أنين « القبو » وبيع	« القبو » من حنق كظيم (١)
اعددت للاحرار في	« عقاب منتقم ظلوم
أكلت حياة « القبو » من	أرواحهم ومن الجسوم

طال انقيادك لخصوم م وأنت ادري بالخصوم
الانكليز وما أرا ك بامرهم غير العليم

(١) القبو سجن تحت الارض لا يدخله الهواء ولا شمس الشمس كان يسام
فيه الذي يفضب عليهم حسين سوء العذاب

ما في جموعهم وان حذبوا عليك سوى غريم
 ذؤبان واديك النفس مع وآفة الملك العقيم
 قد يستنيم أدام حيناً وليس بمستنيم
 كالنار تذكها الريا ح فكيف تطفأ بالنسيم

عجبا لمن طلب الخلافة والخلافة في النجوم
 أين الخلافة لا خلافة في الحديث ولا القديم
 تلك الذي ذهبت مع الـ يام قبل ذوي «سليم»

أو لست اعجب للزعيم م يفوته سهر الزعيم
 الجامع المتناقضات من الغرائز والفهوم
 الغافل اليقظ، الحريص الباذل، العاتي الرحيم
 الملدرة العي المصي الطيع، الشرص الحلیم
 الصادق الظن الصحيح مع الفاسد الرأي السقيم
 الطيب النفس الانيس السميء الخلق السؤوم

يا ناظم العقد النير ونائر العقد النظيم
 لم الف قبلك هادما ما كان يبني من أطوم
 كانت نخومك لاتنا ل فهل حيث هم النخوم
 هذا وايدك في «الرقية» يعيث في أهل الرقيم (١)
 يحبو «يهودا» ما حبو ت وليس غيرك من ملوم
 خسروا رضى موسى الكليم فناب عن موسى الكليم

«١» الرقيم قرية أصعباب الكهف وكانوا بعمان قاعدة شرق الاردن اليوم
 (على ما قيل) حيث يعيث أميرها عبدالله بن حسين

العرب قومك يا حسين وأنت منهم في الصميم
 كم علموك وما علمت وحاولوا بك من مروم
 هلا اقتديت وأنت تشهد بالفتى «عبد الكريم» (١)
 المستعز بقومه والمستبد على العشوم
 والمسترد على حماه يحد مرهقه الصروم
 التارك «الاسبان» طائفة المدارك والحلوم
 والمشهد الاقوام أن الحق محمي الحرم
 والمبلغ الاسماع أن الضيم ينهض بالضميم
 رفع العقيرة في الجو ع وأنت لاه بالنعيم
 ونفى الهموم عن الربو ع وأنت تبعث بالهموم
 وشفى الصدور من الكلو م وأنت كنت من الكلوم
 ماذا ادخرت لثل هو مك والنذير نذير شوم
 اعددت خمسا ساجحا ت في الفضاء بلارجوم (٢)
 وسفائنا مر التسي م يحبلهن الى هشيم (٣)
 ومدارسا ماكن ينة من حسنهن سوى العلوم
 اعددت اجنادا وما عودنها صد القروم
 مافي القبين دعيت «منقدم» سوى شاك هضم
 باعبرة لاولي البصا ثري الحيد وفي الذميم
 قل للذين سيخلفو نك من عدو أو حميم
 الواردين على التربع في الدسوت ورود هيم
 شر الماك مايسا من سياسة البني الوخيم
 مافي العروش على الجها لة والنباء بمستقيم

(١) يعني محمد عبد الكريم أمير الريف في مراکش

(٢) يعني خمس طيارات ليس لمن قذائف يرمي بها العدو

(٣) هي ثلاث بواخر صغيرة اشترى من للتجار وقل الحجاج

«المنازل : ج ١٠» «١٠٠» «المجلد الخامس والعشرون»

ومن استدام الملك ما سيا فليس بمستديم
 ما عرش « مكة » بالامار رة في « ثقيف » أو « نعيم »
 عصر « البداوة » قد توا رى عهده بين الغيوم
 العرش منهار اذا لم يحمه علم العليم
 لهني على أهل « الجزية » رة في السهول وفي الحزوم
 يتخبطون من الغما ية في دجى حلك بهيم
 أنرى ينم « ابن السمود » اذا استوى عن طيب خيم
 فبؤاف الوحدات طي بة المنابت والاروم
 ويهيب بالأكجاد - يو قظها و بالحشد الحميم
 أم يستبد كما استبد عجائب السنن القويم
 فيبيت بجرع مانجر عه سواء من السموم
 ما كان والله « الحسين » الشيخ بالشيخ النؤوم
 لكن من خاف الهز يم رمته صاعقة الهزيم
 من حاد عن شرك الغمو م اصطاده شرك الغوموم
 طالب السلامة بالوئى فاذا به غير السليم

﴿ ترجمة القرآن وتحريف ترجمة له والتشكيك فيه ﴾

أم ما طرأ من الحوادث التي تعني العالم الاسلامي ثلاث (أولاها) مجاهرة
 الحكومة التركية الانقروية بالمساعدة على ترجمة القرآن الكريم ونشرها باللغة التركية
 وكانت توجهت ففكرة ملاحظتهم الى هذا العمل مندسين كثيرة لاجل صرف أهل
 الدين منهم بالترجمة التركية التي هي من كلامهم وتأليفهم ونظامهم عن كلام الله
 تعالى الذي أنزله على محمد النبي العربي (بلسان عربي مبين) وليسهل عليهم تحريف
 الترجمة والتصرف فيها كيفما شاؤوا ، وقد كنا أنكرنا هذا العمل وبيننا ما فيه فانكر علينا
 ذلك مراسيل الاخبار في الاستانة (عمر أفندي رضا) وقال إنه لم يفعل ذلك أحد من

الترك وإنما فعله أحد نصارى السوريين يعني زكي بك مغامر ، وقد كتبنا في ذلك ما عرفه قراء المنار والاعخبار ، ثم وردت الانباء بأن بعض الترك قد ترجموه ، فذكرنا بذلك نبأ قديماً في ذلك سنذكره في مقال خاص بهذه الترجمة . ثم نشرت رصيفتنا مجلة (سبيل الرشاد التركية) شيئاً من ترجمة حديثة لغير السوري النصراني المذكور وبينت خطأ المترجم في أداء المعنى بها . ثم تلا ذلك طرح المسألة على مجلس الدولة التركية في انقرة وموافقته على تخصيص مبلغ من المال للاعانة على نشر ترجمة القرآن (ثابتهما) ان فرقة مسيحية الاسلام القاديانية في الهند كانوا نشروا ترجمة انكليزية للقرآن المجيد حرقوا فيها بعض آياته تحريفاً معنوياً لا ثبات . بدعتهم القاديانية وطمعوا بها مع القرآن الكريم العربي ، وقد نشط دعاة هذه الملة الجديدة في هذين العامين في نشرها في البلاد العربية وزار بعضهم مصر فلم يلتفت اليهم أحد على ما سبق زيارتهم من الدعوة وتأسيس لجنة لها دخل فيها بعض الملاحدة ابتغاء الرزق ، ثم زاروا سورية فكان من سوء حظها عناية بعض وجهائها في القدس والشام وبيروت بزيارتهم والحفاوة بهم ، واشتغال الجرائد بنشر أقوالهم ومناظرات الناس لهم على أن تلك المناظرات كانت والله الحمد منفردة عن بدعتهم المنافقة للدين الاسلام وقد ارسلوا الى مصر بعض نسخ القرآن المجيد المطبوع مع ترجمتهم المحرفة فارسلتها مصلحة الجمر الى مشيخة الازهر لاخذ رأيها في جواز ادخالها للبلاد حسب النظام المتبع في ذلك فلم تأذن المشيخة بذلك فكانت قيامة الفرقة الضالة وطفقت تنشر في الجرائد رسائل الطعن في مشيخة الازهر زاعمة أن هذا حجب على نشر القرآن وسيطرة على حرية الفهم فيه . . . وليس الامر كذلك فان مشيخة الازهر لم تتعرض قط لحرية الفهم والتفسير ولا لنشر الكتب المشتملة على الافهام والاقوال المخالفة للمأثور عن السلف ولا المؤيدة لبعض الفرق المخالفة للسنة من قديم وحديث ، ولكنها لا يبيع لها الشرع الاسلامي أن تأذن اذنا رسمياً بنشر ترجمة للقرآن محرفة له يقصد بها نشرها والدعوة الى بدعة جديدة مخالفة للإجماع في اصول العقائد الاسلامية كبدعة الاحدية القاديانية التي منها ادعاء استمرار الوحي وان المسيح الدجال غلام احمد القادياني هو المسيح المنتظر وأنه نسخ بعض أحكام القرآن

وقد ارسلت نسخ من هذه الترجمة الى سورية منذ سنين فارسلتها مصلحة الجرك في بيروت الى مفتيها صديقي الاستاذ الكبير الشيخ مصطفى نجاعلا بالنظام المتبع منذ عهد الدولة العثمانية كما وقع هنا فذكر لي المفتي ذلك فاخبرته بحقيقة هذه الفرقة الضالة التي تنشره فعهد الى بعض متقني اللغة الانكليزية من مسلمي بيروت بمراجعة ترجمة بعض الآيات المحرفة وبينوها له فاقى بمنع نشر الترجمة المطبوعة مع المصحف كما قامت مشيخة الازهر في هذا العهد فنجتها السلطة المختصة . فأي عاقل يطلب من مشايخ الاسلام ومفتي الاذن الرسمي بهذا الضلال لان اصحابه ينشرونه بحماية المصحف الشريف لضد ما أنزله الله تعالى لاجله ؟

(ثالثها) شكك دكتور انكليزي في القرآن العزيز بشبهة واهية اذاعتها جريدة السياسة المصرية في برقية هذا نصها ومزائها لها :

رأي باحث انكليزي في نص القرآن

لندن في ٢١ فبراير - لمراسل السياسة الخاصة - قال مكاتب المورنج بوست في مانشستر أن الدكتور منجانا اسناد اللغة العربية في جامعة مانشستر قد أعلن لمروراً جديدة عن نص القرآن الذي اعتمده المسلمون الى اليوم فقد اكتشفت أخيراً مخطوطة مكتوبة باللغة السورية (الارامية القديمة) ذات أهمية عظيمة جداً وهي مودعة الآن بمكتبة مانشستر لفحص وتشتمل على آيات ليست موجودة في النسخة المعتمدة من القرآن والتي استعملها المسلمون منذ أجيال عديدة . ويقول الاستاذ منجانا أنه تابع البحث عن بعض هذه الآيات في المصنفات الاسلامية فثبت له من البحث والاستقراء أن بعض هذه الآيات قد قام بها النبي صلى الله عليه وسلم فعلاً ولكنه لم يجد أثراً للآيات الاخرى حتى إن الكثيرين من رواة الاحاديث لم يدونوها في مصنفاتهم ويوجد بين المصنف الحالي والترجمة السورية القديمة عدد كبير من الاختلافات ومنها اختلاف في آيات ذات أهمية عظيمة في مسألة « القبلة »

وقال ذلك الاستاذ إن القرآن في نسخته المعتمدة الآن لم يجمعه سيدنا عثمان

الخليفة الثالث كما هو الاعتقاد العام ولكن الذي جمع هو الحجاج في زمن الخليفة
عبد الملك أي بعد سيدنا عثمان بأربعين سنة . اهـ

(المنار) وجاءت برقية أخرى في ذلك فاهتم بعض المسلمين بهذا الخبر وظنوا أنه
شبهة تستحق البحث والدفع وما هي بشيء . فإن المصحف الموجود بين أيدي المسلمين
في مشارق الأرض ومغاربها منقول نقلاً متواتراً عن جمهور علماء الصحابة إلى هذا
العصر بالحفظ في صدور الآلاف ونسخ الآلاف من المصاحف منذ خلافة عثمان
إلى هذا اليوم والحجاج لم يجمع القرآن وإنما أحدث فيه القط . فلا يؤثر في تواتره
روايات علماء الحديث والقراء لبعض القراءات الشاذة . ومنها ما صح سنده —
فكيف يؤثر فيها ترجمة رجل غير مسلم باللغة السورانية القديمة أو غيرها وهو مجهول
ينقل عن مجهول ، وغير ثقة في نقله ولا في ترجمته ولا في أمانته ، ومثله كمثل
من يعزو إلى عدوله في الدين أو السياسة أقوالاً مخالفة للنصوص الدينية أو السياسية
الرسمية الثابتة في قوانين الدولة ، فأني عاقل في الدنيا يسمع قول خصم يدعي على
خصمه أقوالاً تخالف ما ثبت عنه بما دون ثبوت القرآن الذي لم يثبت نقل شيء
في العالم مثل ثبوته ؟ وأي فرق بين افتراء ذلك المترجم القديم للقرآن وبين ما افتراه
بعض دعاة النصرانية في هذا العصر على النبي (ص) وعلى القرآن ؟ وسيكون
لنا قول آخر في هذه المسألة إذا نشر مذيوعها تفصيلاً لمباحث الدكتور منجان فيها

المطبوعات الجديدة

﴿ تاريخ الحركة الاستقلالية الإيطالية ﴾

ألقى الاستاذ محمد صبري أفندي في مدرسته الجامعة المصرية (محاضرتين)
أو درسين ممتعين موضوعهما تاريخ الحركة الاستقلالية للبلاد الإيطالية ثم جمعها
وطبعهما في كتاب فطبعها طبعاً حسناً على ورق جيد فبلغت كراسات بقطع المنار
محمد صبري أفندي كاتب مؤرخ من أفراد النابتة المصرية المنقطعين للعلم
والتصنيف وقد اشتهر في حلبة العلم والأدب بلقب (خريج السوربون) والسوربون
أشهر معهد للعلم والأدب في باريس عاصمة فرنسا ، ووجه جل عنايته إلى

التاريخ على الطريقة المصرية التي كانت بها التاريخ الركن الركين لعلم الاجتماع والسياسة والمرشد البصير للامم في تطورها وارتقاها ولا سيما الامم التي جنت الدول المستعمرة عليها فسلبتهم استقلالها ، وإن الشعوب الشرقية منها كـ مصر وسورية والعراق لا حرج الى الاطلاع والاعتبار بتاريخ الامة الايطالية في هذا العهد منها الى غيرها لوجود من الشبه بينهم وبينها ، وقد أتى الأستاذ في درسيته بخلاصة مفيدة في ذلك لا يقدر على استخلاصها من ذلك التاريخ الكبير ، الا المؤرخ الخبير البصير ، والكتاب يطلب من مكتبة المنار بمصر ونمن النسخة منه ٤ قروش

(المشرح) ألقى النفس بولس مسعد بضع خطب ومحاضرات في مصر وسورية وفلسطين للدعوة المسلمين فيها الى النصرانية كأمثاله من دعاة دينهم الكثيرين في جميع البلاد ثم طبعها وسماها بهذا الاسم وأرسل اليها نسخة منها لاجل الانتقاد لعله بأنه ذريعة لاشهارها ودرغبة الكثيرين في الاطلاع عليها ، وقد سلك هذا الداعية (المبشر) الطريق الذي سلكه بعض سلفه من المغالطة في الاستدلال على العقائد الوثنية التي مزج بها الرومانيون دين موسى وعيسى عليهما السلام بآيات من القرآن حرفوها عن مواضعها وحملوا ألفاظها على المعاني الاممطلاحية عندم حتى التي أخذوها من وثنية المصريين والهنود القديمة كما بيذه بالتفصيل ، وألف كتاب (العقائد الوثنية في الديانة المسيحية) فزعم أن القرآن يثبت عقيدة التثليث (١١١) وأنها عين التوحيد الذي يدعو اليه هم قوله (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد) الخ (١١١) ولا حاجة الى بيان ما أخذهم الوثنية بالشواهد فان قراء المنار في غنى عن ذلك بما بيناه من تفسير الآيات الكريمة التي حرفوها كما حرفوا التوراة قبلها لاجل أن يدعووا بها هذه العقائد الغريبة التي مزجوا بها توحيد الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيراجع في السور الطول — البقرة وآل عمران والنساء المائدة — ومن المختصر المفيد في ذلك تفسيرنا لقوله تعالى (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلته آلهامها الى مريم وروح منه) في أواخر سورة النساء فقد بينا فيه معنى الكلمة والروح الحقيقي واستعمال النصارى لها وقفينا على تفسيرها بفصل في عقيدة التثليث عند البراهمة والبوذيين وقديمااء المصريين والفرس وقديمااء اليونان والرومان

وكون تثليث النصارى مأخوذ عن اولئك الوثنيين فليراجع القس الأديب ومن شاء من سمعوا أو قرؤا كلاما ذلك (في ص ٨١ - ٩٥ من جزء التفسير) وأمثلة في سائر الاجزاء ، وكذا ردودنا الاخرى على المبشرين التي كنا نشرها في باب (شبهات النصارى وحجج الاسلام) من المنار وقد جمع بعضها في جزء مستقل ونشرها . ويجب على من ابتلى بقراء كتبهم أو سماع جدلهم أن يطلع على أمثال هذه الردود عليهم اذا لم يكن لديه من العلم ما ينحس به شبهاتهم ويثبت برأهم .

﴿ التهنيت في أصول التعريب ﴾

كتاب جديد مفيد للدكتور أحمد بك عيسى الطيب العالم الشهير أودعه مباحث نفيسة في اللغة العربية من حيث أصلها وتكونها وأطوارها وأحوال أهلها واختلاف شؤونهم فيها ونسبتها الى اخواتها السامية وبلاغتها ومكانة القرآن المجيد فيها وتدوينها وفنونها واتساعها وكتابتها وما دخل فيها من العلوم والفنون والاصطلاحات وما طرأ عليها من الضعف والفساد والعامي المحرف والكلام في النقل والترجمة والاشتقاق والمجاز والنعت والتعريب وغير ذلك . — والكتاب يدخل في ثلاثين باباً عقد الثامن والعشرين منه لتعريب والتاسع والعشرين في الحروف المهجاء ومقارنتها بحروف اللغات الاخرى والثلاثين لقواعد التعريب . وصفحاته ١٤٥ وقع باب التعريب في أول الصفحة ١٢٠ منها ويختص هو المقصود بالذات من وضع الكتاب وما قبله كالمقدمات له وان كان يطلب اذانه ومن ابوابه (٢١ باب حاجة العرب الى التعريب) وكان المناسب أن يكون من فصوله . وانما جعل بحث التعريب هو المقصود الأول من الكتاب لاشتداد الخلاف فيه بين علماء اللغة في هذه السنين الاخيرة في الجمع القوي الذي كان قد أُلِف في سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ تم انفض في إبان الثورة المصرية بعد الحرب الكبرى وأعيد تأليفه سنة ١٣٤٠ وكتب مؤلف هذا الكتاب من خيار أعضائه في الحالين ، وهذا الكتاب يدل على مكانته من العلم والأدب والتدقيق في البحث على المنهج المصري وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر ثمنه ٢٠ قرش

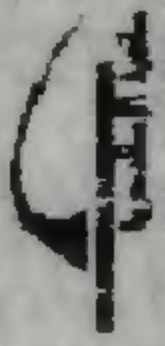
﴿ خاتمة المجلد الخامس والعشرين ﴾

نختتم المجلد الخامس والعشرين بحمد الله والثناء الحسن على توفيقه إيانا وإقداره لنا على إتمامه ، على قصر الساعد ، وعدم المساعد ، ومطل أكثر المشتركين ، كما هو شأن أكثر المسلمين ، في التقصير في الشؤون العامة ولا سيما خدمة العلم والدين ، وقد تأخر أول السنة ثلاثة أشهر أخرى بالأسباب التي تأخر بها قبله وزيادة هو نقل المطبعة والأسرة والإدارة من مكان كان توسيع العمل فيه متعذرا إلى د فسيحة كثيرة المرافق فشكلنا بذلك شهرين كاملين سبيلوها شهر آخر أو أكثر لتوسيع المطبعة وإدارتها بالكهرباء ، وتكثير عمالها ، وإعدادها لسرعة إنجاز أعمالها ، وقد كنا عاجزين عن ذلك في الدار الأولى لضيقها علينا وبعدنا عن بهرة البلد ومراكز العمل وسهولة المواصلات التي توفر الوقت وتيسر السبل للأعوان على العمل - فالرجو من فضل الله تعالى أن يصدر المنار في داره الجديدة في أمان وأن يكون أحسن طبعا ، وأكثر نفعا

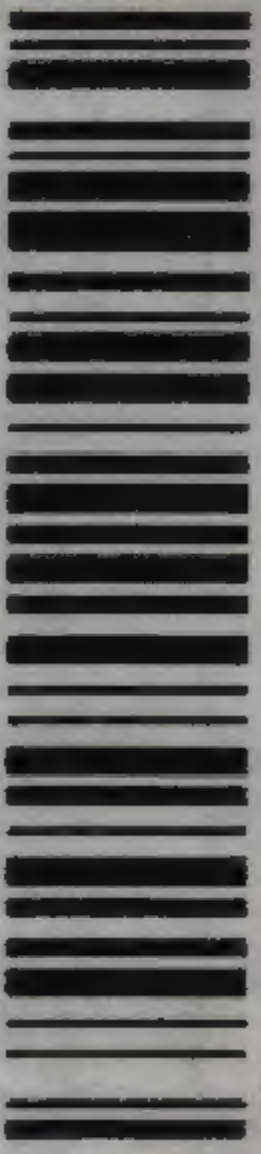
ولدينا من المواد للمجلد السادس والعشرين رسالة لشيخ الاصلاح ابن تيمية في الإنكار على مشايخ الطريقة الباطنية الرقاعية في دجلهم وخرافاتهم وأزيائهم المخالفة لسنة وأدعائهم دخول النار ومناظرتهم في ذلك ونحديهم لدى حكومة الشام وظفره بهم واستتابته أيام وهي قصة في واقعة حل جامعة بين الفائدة والفكاهة - ولدينا مقال مطول لبعض كبار الكتاب في الرد على منفرج من دعاة الألحاد المقلدين وبيان جهلهم بحال أوربة الدينية . وسنفيض نحن في الرد على هؤلاء الملاحدة وعلى محاولي هدم الاسلام باسم الاسلام من البهائية وأحدية المسيحية القاديانية ، فقد قويت دعوة هؤلاء كلهم بمصر وغيرها ، ويؤيدهم بعض الكتاب في الجرائد والمجلات المشهورة .

ونسأله تعالى أن يوفقنا في مستقبل عمالنا لخير مآرقنا لله في ماضيه من مقاومة الكفر والألحاد ، والفسق والفساد ، المفسدة للآرواح والأجساد ، وأن يهدينا في كل شؤوننا سبيل الرشاد ، وصلاح غلى المرسلين ولحمد الله رب العالمين

﴿ انتهى ﴾



Bibliotheca Alexandrina



0551748